ديوان بني بكر

في الجاهلية

جمع وشرح وتوثيق ودراسة

الدكتور عبد العزيز نبوي

كلية التربية - جامعة عين شمس

دار الزهراء للنشر بالقاهرة
ص ب - ٨٠ العباسية

الطبعة الأولى

١٤١٠ هـ = ١٩٨٩ م

رقم الإيداع ٨٩/٧٢٢٨

مطبعة المدني المؤسسة السعودية بمصر
١٨ شارع العباسية - القاهرة - ت: ٨٢٦٨٠١

الإهـــداء

إلى العالم الذى رحَل فى رَيْعان شبابه ..

إلى الأستاذ الدكتور النعمان القاضى ..

إجلالا لعلمه ..

وسماحة خلقه ..

وفاءً .. وعرفانا .. وذكرى

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة

قبيلة بكر بن وائل من القبائل المهمة فى تاريخنا الأدبى ؛ إذ يرتبط الحديث عن الأولية الناضجة للشعر العربى بذكر حرب البسوس ، تلك الحرب التى نشبت بين قبيلتى بكر وتغلب ابنى وائل قبيل الإسلام بنحو قرن ونصف – أو قرنين – من الزمان . وهى الفترة التى تُرَدُّ إليها أقدم مجموعة من النصوص الشعرية الجاهلية . وكان من شعراء بنى بكر فى هذه المرحلة المبكرة : جليلة البكرية ، وسعد بن مالك ، والحارث بن عُباد ، والمرقِّشان : الأكبر والأصغر اللذان اختار لهما المُفَضَّلُ الضَّبِّىُّ كثيرا من الأشعار فى مختاراته .

أما فى المرحلة التالية لمرحلة شعراء حرب البسوس ، وهى مرحلة شعراء المعلقات ، فإن لبنى بكر ثلاث شعراء من بين شعراء المعلقات ؛ فمن شعراء بنى بكر : طرفة بن العبد ، والحارث بن حِلِّزَة ، والأعشى الكبير (للأعشى معلقتان : « وَدِّعْ هُرَيْرَةَ » و « ما بُكاءُ الكبيرِ بالأطْلالِ ») ومعنى هذا أن لشعراء بنى بكر وحدهم ما يقرب من ثلث المعلقات – فى أى رواية من الروايات – سواء كانت سَبْعًا أم عَشْرا أم اثنتا عَشْرة .

ويذكر الآمِدِىُّ (٣٧٠ هـ) فى المؤتلف والمختلف أسماء ستين ديوانا من دواوين القبائل والبطون ، منها تسعة دواوين لبكر بن وائل وحدها . ويذكر ابن النديم (٣٨٥ هـ) فى الفِهْرِسْت ستةً وعشرين ديوانا للقبائل المختلفة ، من بينها خمسة دواوين لبطون بنى بكر .

وشعر بنى بكر الذى جمعه القدماء فى مثل هذه الدواوين ، تتوزعه دواوين بطون – كل ديوان لشعر بطن بعينه – إذ لم يُجْمَعْ كاملا من قبل فى ديوان واحد ، هذا فضلا عن ضياع كل ما جُمع من دواوين القبائل العربية – عدا نُتَفٍ من ديوان بنى هذيل – وهذه محاولة لجمع ما بقى من شعر بنى بكر ، أو ما نُسب إليهم ، أو وُضع على ألسنة شعرائهم ، مع ضبطه ، وشرحه ، وتوثيقه ، ودراسته موضوعيا وفنيا .

وهذا الكتاب ينقسم – فى مجمله – قسمين : الأول : الدراسة ، والثانى : الديوان . أما الدراسة فتوزعتها خمسة فصول ؛ حيث خصصتُ **الفصل الأول** للحديث عن بنى بكر : بطونهم ، ديارهم ، أيامهم ، حياتهم الاجتماعية والاقتصادية والدينية . ثم رأيت – قبل أن أعرض لدراسة الشعر – أن أفرد **فصلا لمصادره** المختلفة : من الدواوين المفردة ، وكتب المختارات الشعرية ، والمصادر الإخبارية . وقدمت لكل ذلك بالحديث عن شعر بنى بكر المفقود ، وقضية الانتحال ، باحثا عن مقياس أرتضيه ؛ لكى أستعين به فى توثيق ما جمعته من أشعار . ثم بدأت بعد ذلك **فصلا ثالثا** أفردته لموضوعات شعر بنى بكر ، وقسمته قسمين : الأول – للموضوعات التى سايرت سائر أغراض الشعر الجاهلى . والثانى – لأثر القرب من البحر وفارس فى موضوعات الشعر . أما **الفصل الرابع** فقد ترجمت فيه لأشهر شعراء بنى بكر ، وقسمته كذلك قسمين : الأول – لشعراء المرحلة الأولى (شعراء حرب البسوس) ، والثانى – لشعراء المرحلة الثانية من مثل : طرفة بن العبد ، وعمرو بن قَميئة ، والحارث بن حِلِّزَة ، والمُسَيَّب بن عَلَس ، والخِرْنِق بنت بدر بن هِفَّان ، والمُنَخَّل اليشكرى . وقد حاولت رسم صورة لحياة

الشاعر الخاصة أو العامة ، وسماته الخِلْقية والخُلُقية ، واستعنت – بجانب الأخبار – بالأشعار الموثقة لاستكمال صور هؤلاء الشعراء . وأما **الفصل الخامس** فخصصته للدراسة الفنية للشعر البكرى فى مرحلتيه – الأولى والثانية – محاولا تعرُّف وجوه الاتفاق أو الاختلاف بين المرحلتين ، مظهرا خصائص شعر بنى بكر بصفة عامة .

أما القسم الثانى : فهو ما جمعته من شعر يُنْسب إلى نيف وثمانين شاعرا ، ينتمون إلى سبعة بطون ، هم : بنو تيم اللات ، وبنو حنيفة ، وبنو زِمَّان ، وبنو شَيبان ، وبنو عِجْل ، وبنو قَيْس بن ثَعْلبة ، وبنو يَشْكُر .

وما جمعته فى هذا القسم – الثانى – هو شعر من لا ديوان له ، باستثناء ديوان الحارث بن حلزة الذى نشره المستشرق كرنكو بمجلة المشرق سنة ١٩٢٢ عن مخطوطة عثر عليها بجامع السلطان الفاتح بالآستانة . وقد آثرت نشر هذا الديوان – وهو صغير الحجم – لأضعه بين يدى الدارسين بعد أن أضفت إليه المعلقة . كما نشرت فى هذا القسم أيضا « مجموعة ما أُنْشِدَ للمُسَيَّبِ بن عَلَس » الذى نشره جاير فى ذيل الصبح المنير ، للأسباب نفسها : وهى قلة الأشعار وندرة تداولها بين الدارسين .

شعر بنى بكر فى الجاهلية إذًا هو مجموع ما نقدمه فى القسم الثانى من هذا الكتاب ، إلى جانب الدواوين المفردة لكل من : طرفة ، وعمرو بن قميئة ، والخِرْنق ، والأعشى .

وهو ديوان من دواوين القبائل العربية ، نقدمه ليكون نواة تدور

حولها دراسات أخرى ، تستهدف مزيدا من تعرُّف الشعر والشعراء عند بنى بكر ، فى ضوء مذاهب نقدية مختلفة ؛ إذ لا أزعم أننى انتهيت إلى كلمة أخيرة فى شعر بنى بكر فى الجاهلية ؟

القاهرة فى ١/٩/١٩٨٩ م

د . عبد العزيز نبوى

الفصل الأول

بنو بكر

(١)

بطــون بنى بكــر

يُرَدُّ نسب بنى بكر إلى بكر بن وائل بْنِ قاسِطِ بن هِنْبِ بن أَسَد ابنِ رَبِيعة بن نِزارِ بنِ مَعَدّ .

وسواء صح هذا النسب الأعلى ، وما ينحدر من بكر من سلاسل أخر ، أو لم يصح ، فإننا نظفَرُ فى النهاية بحقيقة مهمة لا يمكن إغفالها ، وهى اعتقاد أبناء هذه القبيلة فى صحة هذا النسب ، وانتظامهم فى بطون وعشائر طوعا له ، واستجابة لندائه ، فجمعهم الحل والترحال ، فى السلم والحرب على هُداه ، وقد عصبتهم لُحْمَتُه [١] ، شأن سائر القبائل العربية الأخرى التى عَرَكَتِ الحياة وعركَتْها ، ودافعوا الفناءَ والخَطر على مسرح شبه الجزيرة العربية وما والاها .

وما دام الأمر كذلك ، حق لنا أن نعرض لشجرة بَكْرٍ [٢] ، التى

---

(١) ومن أقدم المتشككين فى صحة هذه الأنساب العلامة ابن خَلدون ، ولكنه فى الوقت نفسه لا يغفل ما للاعتقاد فى صحته من فوائد تدفع إلى الالتحام وصلة الأرحام والمناصرة . يقول : « إن النسب إنما فائدته هذا الالتحام الذى يوجب صلة الأرحام حتى تقع المناصرة والنُّعْرة ، وما فوق ذلك مُسْتَغْنًى عنه ، إذ النسب أمر وَهْمِىٌّ لا حقيقة له ، ونفعه إنما هو فى هذه الصلة والالتحام . تاريخ العلامة ابن خلدون . بيروت . مكتبة المدرسة ودار الكتاب اللبنانى سنة ١٩٦٧ . الطبعة الثالثة . جـ ١ ص ٢٢٧ .

(٢) انظر ، ابن حزم : جمهرة أنساب العرب . فى مواضع متفرقة .

والقلقشندى : نهاية الأرب فى معرفة أنساب العرب . فى مواضع متفرقة . ومحمد جاد المولى وآخرين : أيام العرب فى الجاهلية . ملحق فى أنساب العرب .

وجواد على : المفصل فى تاريخ العرب قبل الإسلام . المجلد الرابع .

يتسنمها بَكْرُ بْنُ وَائِل . ويتفرع منه ثلاثةُ بنين هم : يَشْكُر ، وعليٌّ ، وبَدَنٌ الذى دخل بنوه فى يشكر ، أما يشكر ، فمن بطونهم : حَرْبُ بن يشكر ، وبنو غُبَرِ بنِ غَنْم ، وبنو كِنانة بن يشكر ، وذُبْيان بن كِنانةَ بن يشكر . ومن شعرائهم : الحارث بنُ حِلِّزة ، والمُنَخَّلُ اليشكرى ، وسُوَيْدُ ابن أبى كاهِل اليشكرى .

وأما على ، فأنجب صَعْبًا ، وأنجب صَعْبٌ : مالكا ، وعُكَابَة ، ولُجَيْمًا .

فمالك : من ولده بنو زِمَّان ، ومن شعرائهم شَهْلُ بنُ شَيْبانَ بْنِ زِمَّان ، المعروف بالفِنْد .

ومن بطونهم أو أفخاذهم : بنو هِلال ، وبنو الحارث ، وعائِش بن مالك وبنو حَنْتَم .

وعُكابة : أنجب ثَعْلَبَة (وهو الحِصْنُ) ، وقَيْسُ الذى دخل بنوه فى بنى ذُهْلِ بْنِ ثَعْلَبَةَ ، ومن بطون ثَعْلَبَةَ بْنِ عُكَابة :

(١) بنو شيبان الذين تفرعوا بدورهم إلى أفخاذ وعشائر مشهورة ، منها : بنو ذُهْلِ بن شَيْبان ، وبنو مُحَلِّم بنِ ذُهْل ، وبنو الحارث ، وأبو رَبِيعَةَ ومنهم عمرو بن أبى ربيعة المعروف بالمُزْدَلِف الذى يرِدُ ذكره يوم التَّحالُقِ بين بكر وتغلب . ومن أبى ربيعة هانىء بن مَسْعُود الشيبانى .. ومَفْرُوق واسمه النُّعْمَان بنُ عمرو الأَصَمّ ، وهما من فرسان بكر فى حروبها مع تَمِيم ، ومن بنى شيبان كذلك بنو مُرَّةَ بْنِ ذُهْلٍ ومنهم : هَمَّامُ وجَسَّاسُ ابنا مُرَّةَ ، والمُثَنَّى بْنُ حارِثَةَ بْنِ سَلَمَةَ بنِ ضَمْضَمِ بْنِ سَعْدِ بنِ مُرَّةَ بْنِ ذهْلٍ الشَّيْبانِيُّ القائدُ الإسلامى الشهير .

كما اشْتُهِرَ من بنى شيبان : بِسْطامُ بْنُ قَيْس ، والضَّحَّاكُ بنُ قيس ، وهانِئُ بنُ قَبِيصَةَ ، وعَوْفُ بْنُ مُحَلِّمٍ الذى يُضْرَبُ به المثل فى الوفاء (١) وابنته خُمَاعَةُ التى أجارت مَرْوَانَ بْنَ زِنْبَاع العَبْسِىّ (٢) ، والحارثُ بْنُ شَرِيك المعروف بالحَوْفَزانِ .

(٢) قَيْسُ بنُ ثَعْلَبَةَ بْنِ عُكَابَةَ : ومن بطونهم أو أفخاذهم المشهورة : بَنُو ضُبَيْعَةَ وسَعْدُ وتَيْمُ (الحُرَقَتَانِ) .

وقد تفرق بنو ضُبَيْعَةَ إلى أربع عشائر مهمة فى التاريخ الأدبى لقبيلة بكر ، وهى :

أ — بنو مالك بن ضُبَيْعَةَ ومنهم : سَعْدُ بن مالك ، وابنه عمرو وهو المُرَقِّشُ الأكبر ، ورَبِيعةُ بْنُ قَيْسِ بن سعد بن مالك وهو المُرَقِّشُ الأصغر ، وطَرَفَةُ بْنُ العَبْدِ بن سفيان بن سعد ، وعمرو بنُ قَمِيئَةَ بنِ سَعْدٍ ، وعَوْفُ بن مالك المعروف بالبَرْك وهو أبو أسماء محبوبة المُرَقِّش الأكبر ، وعمرو بن جَنَابِ بن عوف صاحب المرقش الأصغر (٣) ، وفكيهة بنت قَتادة بن مَشْنُوءٍ التى أجارتِ السُّلَيْكَ بْنَ السُّلَكَةَ (٤) .

ب — بنو ربيعة بن ضُبَيْعَةَ وهم بنو جَحْدَر ... وجَحْدَر بطل من أبطال حرب البسوس .

---

(١) ابن حبيب : المحبر . بيروت . منشورات المكتب التجارى للطباعة والنشر والتوزيع ص ٣٤٩ .

(٢) المصدر نفسه ص ٤٣٣ .

(٣) المفضليات ، المفضلية رقم ٥٦ انظر « جو القصيدة » للشارحين أحمد محمد شاكر وعبد السلام هارون .

(٤) المُحَبَّر ص ٤٣٣ .

جـ – بنو عُبَادِ بن ضُبَيْعَةَ ومنهم الحارِثُ بْنُ عُباد – فارس بكر الذى يُضْرَبُ به المثل فى الوفاء (١) – وابنه بُجَيْرٌ ، وقيل بُجَيْرُ بْنُ عَمْرِو ابنِ عُباد .

د – بنو سَعْدِ بنِ ضُبَيْعَةَ وهُم رَهْطُ الأعشى مَيْمُونُ بْنُ قَيْسِ بنِ جَنْدَلِ بن شَرَاحِيل بن عوف بن سعد .

(٣) ذُهْلُ بنُ ثَعْلَبَةَ بنِ عُكَابَةَ : ومن بطونهم أو عشائرهم : بنو عامر وهم بنو الوخم ، وشَيْبَان بن ذهل وبنوه : عمرو الذى اجتمعت له رئاسة بكر فى الجاهلية (٢) ، ومازن ، وسَدُوس ، والرَّقَاشِيُّون أو بنو رَقَاش وهم مالكٌ وزَيْدُ مَنَاة ابنا شيبان بن ذُهْل نُسِبوا إلى أمهم رَقاش بنت ضُبَيْعَةَ بن قَيْسِ بن ثعلبة .

(٤) تَيْمُ اللات بْنُ ثَعْلَبَةَ : ومن بطونهم شَيْبان . وكان بنو تَيْمٍ حلفاء لقيسِ بن ثعلبة ، وعِجْلِ بْنِ لُجَيْمٍ ، وَعَنَزَةَ بْنِ أَسَدٍ ويُسَمَّوْنَ كلهم اللَّهازِمِ .

أما لُجَيْمُ بْنُ صَعْبٍ ، فمِنْ بُطُونِه المشهورة :

(١) بنو حَنِيفَةَ بْنِ لُجَيْمٍ ، ومن عشائرهم : الدُّوَلُ بْنُ حنيفةَ ، وعَدِيُّ بْنُ حنيفةَ ومنهم مُسَيْلَمَةُ الكذَّاب ، وعامرُ بن حنيفة ، وعبد الله ابن الدُّوَل ، وسُحَيْمُ بْنُ مُرَّةَ بن الدُّول ، ومنهم هَوْذَةُ بنُ عَلِيٍّ ممدوح الأعشى ، وعمرو بن عبد الله بن عمرو بن عبد العُزَّى وهو قاتلُ المُنْذِرِ ابْنِ ماءِ السماء يَوْمَ « عَيْنُ أُباغ » .

---

(١) المحبر ص ٣٤٨ .

(٢) المصدر نفسه ص ٢٥٤ .

(٢) بنو عِجْلِ بْنِ لُجَيْم ، ومن عشائرهم : بنو حاطِبَةَ بْنِ جُذَيْمَةَ ، وسَيَّار بن الأسْعد ، وجُشَمُ بْنُ عِجْل ، وسَعْدُ بن عِجْل ، وحَنِيفَةُ بْنُ عِجْل ، وبنو دُلَفِ بنِ جُشَم ، وعبدُ العُزَّى بْنُ دُلَفٍ .

والمتتبع لشجرة نسب بكر بن وائل ، يروعه تشابهٌ كثير فى أسماء بعض البطون والعشائر المختلفة . فلا يكفى أن تذكر البطن مجردا ، وإنما يجب أن تُلحقه بسلسلة من النسب تزيد أو تنقص ، حسب حاجة البيان والوضوح وخشية اللَّبْس . وقد أغفلتْ مصادرُ كثيرةٌ هذا الأمر ، وكانت النتيجة أحيانا حَيْرَةَ الباحث بين أسماء متشابهة لعشائر مختلفة فى قبيلة واحدة . فلدينا – كما سبق وكما نلحظه فى شجرة أنساب بكر – شَيْبَان ، فَهُمْ : بنو شَيْبان بن ذُهْل بن ثَعْلَبة ، وهم بنو شيبان بن ذُهْل ابن شيبان . ولدينا اسم ذُهل : فهم بنو ذُهْلِ بن ثعلبة بن عُكَابة ، وهم بنو ذُهْل بن شَيْبان بن ثَعْلَبة ، وذُهْل بن ذُهْلِ بن ثَعْلَبة ، وذهلُ بنُ الدُّوَلِ بنِ حَنِيفَةَ بْنِ لُجَيْم . وهناك اسم قَيْس : علمٌ على بنى قَيْسِ بْنِ ثَعْلبة ، وبنى قَيْسِ بن عُكابة الذين دخلوا فى بنِي ذُهل بن ثعلبة . وهناك أيضا ثَعْلَبة ، علمٌ على بنى ثَعلَبَة بن عُكابة ، وثَعْلَبة بن شيبان بن ثعلبة ابن عُكَابة ، وثعلبةُ بن قَيْسِ بن ثَعْلَبة . ولدينا بعد ذلك « مُرَّةُ » عَلَمٌ على بنى مُرَّةَ بْنِ ذُهْل ، وبنى مُرَّةَ بنِ هَمَّامِ بْنِ مُرَّةَ ، وبنى مُرَّةَ بْنِ الدُّوَلِ ابن حَنِيفَةَ بْنِ لُجَيْم . وهناك فضلا عن ذلك بنو عامر ، ويقصد بهم أحيانا بنو عامر بن ذُهْلِ بن ثعلبة ، أو بنو عامرِ بن حَنِيفَةَ بن لُجَيْمٍ . ناهيك عن اسم عوف فهناك عَوْفُ بن مُحَلِّم بن ذهل بن شيبان ، وعوف بن أبى عمرو بن عوف بن مُحَلِّم ، وعوف بن هَمَّام بن مُرَّة ، وعوف بن ذهل بن شيبان ، وعوف بن عامر بن ذُهل ، وعوف بن شيبان وهم بنو الشَّقِيقَةِ .

بكر بن وائل إذاً قبيلة كبيرة متشعبة – بطونا . وأماكن كما سنرى – يكاد كل بطن من هذه البطون أن يستقل بنفسه . وكأنه قبيلة قائمة بذاتها ؛ لا تربطه بالقبيلة الأم ذلك الرباط القوى ، واللحمة التى كانت ظاهرة بارزة فى حياة العرب قبل الإسلام . ولا نسرف فى القول إذا زعمنا أن رباط العصبية قد وَهَى – قليلا أو كثيرا – بين فروع القبيلة منذ العصر الجاهلى ، نتيجة لتعدد البطون وتَشَعُّبِ الأَفْخَاذِ وكثرة النسل ، الأمر الذى أدى إلى نُشُوبِ معاركَ كثيرةٍ بين البطون المختلفة ، وإن غطت عليها – فى تاريخ القبيلة – تلك المعارك الدامية التى رفع لواءها فى كثير من الأحيان بنو شيبان . وقد عرفت تلك المعارك بأيام بكر .

ونلمح فى أخبار بنى بكر وأشعارهم ، ما يؤكد ذلك : فبنو حنيفة وبنو زِمَّان – وكانوا فى اليمامة – تباطئوا عن نُصْرَةِ بنى شيبان فى حربها ضد تَغْلِبَ فى حرب البسوس ، ولم يُمِدُّوهم إلا بسبعين فارسا على رأسهم الفِنْدُ الزِّمَّانى قبيل نهاية الحرب [١] . كما تجنب بنو يَشْكُرَ هذه الحرب ، وعَتَبُوا على بنى تَغْلِبَ أن أخذوهم بِجَرِيرَةِ بنى حَنِيفَةَ ، ومعلقةُ الحارثِ بْنِ حِلِّزَةَ اليَشْكُرِىِّ خير دليل على ذلك [٢] . ويبدو أنه كان هناك خصومة وعداء بين يَشْكُر وشيبان . فهذا راشِدُ بْنُ شِهَابٍ اليشكرى يهجو قَيْسَ بْنَ مَسْعُودٍ رئيسَ شيبان ، ويتوعَّده ، أو يبادله الوعيد ، فيقول [٣] :

(١) كتاب بكر وتغلب ص ٨٣ .

(٢) وفيها يقول :

أم علينا جَرَّى حَنِيفَةَ أمْ ما   جَمَّعَتْ مِنْ مُحَارِبٍ غَبْرَاءُ

(٣) المفضليات . المفضلية رقم ٨٦ .

وَلَا تُوعِدَنِّى إننى إن تُلاقِنِى مَعى مَشْرَفِىٌّ فى مَضارِبِهِ قَضَمْ
وَنَبْلٌ قِرانٌ كالسُّيُورِ سَلاجِمٌ وفرعٌ هَتُوفٌ لا سَقِىٌّ ولا نَشَمْ
ومُطَّرِدُ الكَعْبَيْنِ أسْمَرُ عاتِرٌ وذاتُ قَتِيرٍ فى مَواصِلِها دَرَمْ

ونجد أثر هذا العداء فى قصيدة ثانية لراشد بن شِهاب ، يوصى فيها فتيان بنى يَشْكُر ، ويتهكَّم فيها على حَىِّ بنى شَيْبان . يقول (١) :

مَنْ مُبْلِغٌ فتيانَ يَشْكُرَ أننى أرَى حِقْبَةً تُبْدِى أماكِنَ لِلصَّبْرِ
فأُوصِيكُمُ بالحَىِّ شيبانَ إنَّهُمْ هُمُ أهْلُ أبناءِ العَظائمِ والفَخْرِ
على أنَّ قيسًا قال قَيْسُ بْنُ خالدٍ لَيَشْكُرُ أحْلَى إنْ لَقِينا من التَّمْرِ
رأيْـتُكَ لَمَّـا أنْ عرفْتَ وُجُوهَنَـا صَدَدْتَ وَطِبْتَ النَّفسَ يا قَيْسُ عَنْ عَمْرِو
رأيْتَ دِماءً أسْهَلَتْها رِماحُنا شآبِيبَ مِثْلَ الأُرْجُوانِ على النَّحْرِ
ونَحْنُ حَمَلْناكَ الْمَصِيفَةَ كُلَّها على حَرَجٍ تُؤْسَى كُلُومُكَ فى الخِدْرِ

كما نجد فى أخبار يوم ذى قار أن بُطُونًا من بَكْرٍ قد حاربوا فى صفوف الفُرْسِ ضد بنى شيبان وحُلفائهم . واستمر هذا الانشقاق فى صفوف بكر إلى ما بعد ظهور الإسلام ؛ حيث كانت جماعات من بكر بقيادة المثنى بن حارثة الشيبانى تحارب دفاعا عن دين الله تحت إمرة خالد ابن الوليد ، فى الوقت الذى كانت فيه جماعات أخرى من بكر تحارب فى صفوف الفرس . وربما كان هذا التنافر والتباعد سببا فى عدم وجود وحدة دينية للبكريين قبل الإسلام ، فبعضهم كان نصرانيا ، والآخر كان وثنيا (٢) .

* * *

---

(١) نفس المصدر . المفضلية رقم ٨٧ .
(٢) انظر ، دائرة المعارف الإسلامية . مادة بكر .

(٢)

ديار بكر

كانت قبيلة بكر فى الجاهلية – شأنها شأن القبائل العربية – دائبةَ الرحلة ، انتجاعا أو فرارا من حرب ، أو هجرة أمام عدو قاهر ؛ ومن هنا تعددت الأماكن التى حلت بها بكرٌ وتنوعت ، حتى كادت أن تشمل كل أصقاع جزيرة العرب ، انحدارا إلى الجنوب الغربى فى تِهامة اليمن ، وصعودا إلى الشمال ، والشمال الشرقى ، والشرق ، وفى بلاد فارس . فقد عاشت قبيلة بكر [١] فى تِهامة اليمن ، ووسَط الجزيرة ، واليمامة والبحرين ، صعودا إلى ما يوالى البَصْرة ، ويروى أن سابُورَ الثانى (٣٠٩ – ٣٧٩ م) قد أسر عددا لا يستهان به من البكريين أسكنه فارس فى الأهواز وكِرْمان ، وذلك إثر إغارته – نحو عام ٣٥٠ م [٢] – على بكر وحلفائها من بنى تَميم وبنى عبد القيس الذين كانوا يقيمون فى البحرين واليمامة ، وقَتْلِهِ منهم خلقا كثيرا ، تأديبا لهم ، لإغارتهم المستمرة على مملكة فارس .

كانت اليمامة[٣] والبحرين [٤] إلى مشارف العراق [٥] إذاً هى

---

(١) انظر ، دائرة المعارف الإسلامية . مادة بكر .

والطبرى : تاريخ الرسل والملوك . تحقيق محمد أبو الفضل ابراهيم . القاهرة دار المعارف سنة ١٩٦٧ ٢ : ٥٥ وما بعدها .

(٢) دائرة المعارف الإسلامية . مادة بكر .

(٣) من مواضع بكر فى اليمامة : فُطَيْم ، وشاحب ، ومثقب وهو اسم طريق بين اليمامة والكوفة ، والأفاكِل . (معجم ما استعجم) .

(٤) من المواضع التى نزلتها بكر فى البحرين : ذات رجل ، وأُوال وهى قرية بالبحرين . (معجم ما استعجم) .

(٥) من هذه المواضع : نُخَساف (بين الحجاز والشام) ، ماردين أو ماردون (بين الحيرة والشام) ويرى السقا أنها فيما بين النهرين ، رأس عين . (معجم ما استعجم) .

الموطن الأول الذى بدأ معه تاريخ بكر فى الجاهلية منذ عام ٣٥٠ م ، وهو الموطن الذى عادوا إليه بعد حرب البسوس . رحلت بكر إذًا – على ما نرجح – عن موطنها الأول إثر إغارة الفرس ... وما كادت تستقر فى مهجرها الجديد فى تهامة اليمن ، حتى كان شبح الحرب لها بالمرصاد ، إذ سرعان ما نشبت بينهما – ومعها تغلب وقبائل من مَعَدٍّ – وبين اليمنيين معاركُ ضاريةٌ انتهت باندحار اليمنيين فى وقعة خَزَازَى .

وكان طبيعيا أن يطيبَ لبكرٍ المقام فى تِهامة اليمن وقد تحقق لها ولتغلبَ السيادةَ والحِلْف . وكانت أهم الأماكن التى نزلوها : الذَّنائِب ، ووارِدَات ، والأَحَصّ ، وشَبِيث ، وبطن الْجَرِيب ، والتَّغْلَمَيْن ، وما بينها وحولها من منازل [١] . وما لبثت حرب البسوس أن اشتعلت بينها وبين شقيقتها تغلب ... ومازالت هذه الحرب تعركهم عَرْكَ الرَّحى ، طحْنًا وتشريدا . وكما كانت حرب بكر والفرس سببا فى تشتتها غربا ، كانت هزائمها القاسية فى بداية حرب البسوس سببا فى انتجاعها شرقا – ووراءها تغلب – إلى أن استقروا فى موطنهم الأول فى يمامة نجد والبحرين ، منتشرين إلى مشارف العراق والشام [٢] . كان هذا هو المسرح الذى تحركت عليه البطون البكرية ، حلا وترحالا ، لا نكاد نستثنى سوى بنى حنيفة – الذين حَلّا لهم الاستقرار فى بلاد اليمامة – ويبدو أنهم لم يرحلوا مع القبيلة الأم إلى تهامة اليمن [٣] فقد كانوا أهل مَدَرٍ [٤] وزُرُوع .

---

(١) معجم ما استعجم ٨٢/١ وما بعدها .

(٢) المصدر نفسه ص ٨٥ .

(٣) كتاب بكر وتغلب ص ٨٣ .

(٤) النقائض ص ٧٢٨ .

ومن تتبعنا لأشعار بكر وأخبارها ، نجد أن بنى ضُبَيْعَةَ بْنِ قَيْس ، قد أقاموا فى مشارف الشام ، ومشارف العراق ، واليمامة ، والبحرين . وهو المسرح الذى تحركوا عليه كما ذكرنا . يقول المرقش الأكبر (١) :

لاتَ هَنَّا وَلَيْتَنى طَرَفَ الـزُّ   جِّ **وأَهْلى بالشأْمِ** ذَاتِ القُرونِ (٢)

وأما إقامة بنى ضبيعة – فى بعض أيامها – فى أرض العراق ، فنجدها فى قول طرفة بن العبد (٣) وهو يحكى قصة حب المرقش الأكبر لأسماء :

كما أحْزَنَتْ أسماءُ قَلْبَ مُرَقِّشٍ   بِحُبٍّ كَلَمْعِ الْبَرْقِ لاحَتْ مَخَايِلُهْ
وأَنْكَحَ أَسْماءَ الْمُرَادِيَّ يَبْتَغِى   بذلك عوفٌ أَنْ تُصَابَ مَقاتِلُهْ
فلما رأى أن لا قَرارَ يُقِرُّهُ   وأَنَّ هَوَى أسْماءَ لابُدَّ قَاتِلُهْ
تَرَحَّلَ من **أرض العراق** مرقشٌ   على طربٍ تَهْوِى سِراعاً رَواحِلُهْ

كما كانت البحرين من منازل بنى ضبيعة ، إذ يقول المرقش الأكبر (٤) :

واحْتَلَّ أَهْلِى بِالْكَثِيبِ ، وأَهْلُها   فى دَارِ كَلْبٍ أَرْضِهَا وَسَمائِها (٥)

---

(١) المفضليات . المفضلية رقم ٤٨ .

(٢) لات هنا : ليس هذا وقت إرادتك إياى . طرف الزُّجِّ : أى فى طرف الزج ، والزج : موضع . ذات القرون : القرون الضفائر ، ووصف الشأم بذلك لما أنها كانت فى حكم الروم ، وهم يضفرون شعورهم .

(٣) ديوان طرفة ص ١٢٦ .

(٤) المفضليات . المفضلية رقم ٥١ .

(٥) الكثيب : قرية بالبحرين .

وقصةُ طَرَفَةَ بْنِ العَبْدِ مع الملك عَمْرِو بْنِ هِنْدٍ مشهورةٌ ، حين كتب عمرٌو إلى عامله بالبحرين أن يَقْتُلَ طَرَفَةَ (١) . كما ذكر البكرىّ (٢) أن بُطونا من بَكْرٍ وَعَنزَةَ وضُبَيْعَةَ قد استقرت فى القسم الشرق من اليمامة حتى البحرين واتصلت بطونٌ منها بالعراق .

وأما إقامة بنى ضبيعة فى اليمامة (٣) ، فنجد خبرها فى قول طرفة ابن العبد (٤) :

أَرِقَ الْعَيْنَ خَيالٌ لَمْ يَقِرّ   طافَ والرَّكْبُ بِصَحْراء يُسُرْ (٥)

وكما أُثِرَ فإن مولدَ الأعشى – وهو من بنى ضُبَيْعَة – ووفاتَهُ كانا بِمَنْفُوحَةَ فى يمامةِ نَجْد .

وأما بنو يَشْكُر ، فقد حَلُّوا بالبحرين .. قال الحارثُ بْنُ حِلِّزَةَ الْيَشْكُرِيُّ (٦) :

---

(١) ابن قتيبة : الشعر والشعراء . تحقيق أحمد محمد شاكر . القاهرة . دار المعارف سنة ١٩٦٦ – ١ : ١٨٦ .

(٢) معجم ما استعجم من أسماء البلاد والمواضع . تحقيق مصطفى السقا . القاهرة . لجنة التأليف والترجمة والنشر سنة ١٩٤٥ – ٤ : ٨٥ .

وانظر ، جواد على : المفصل فى تاريخ العرب قبل الإسلام . بيروت . دار العلم للملايين سنة ١٩٧٠ – ٤ : ٢١٨ .

(٣) المفصل فى تاريخ العرب قبل الإسلام ٤ : ٥٠٣ .

(٤) ديوان طرفة ص ٦٨ .

(٥) يُسُر : موضع قريب من اليمامة .

(٦) الزوزنى : شرح المعلقات السبع . القاهرة . مطبعة محمد على صبيح سنة ١٩٦١ . ص ٢٠٣ .

إذْ رَفَعْنَا الجِمالَ مِنْ سَعَفِ البَحْـ ـرَيْنِ سَيْرًا حتى نَهاها الجِسَاءُ (١)

كما حلوا بالعراق ، على نحو ما نجد فى قول المُنَخَّلِ اليشكرى (٢) :

إنْ كُنْتِ عاذِلَتِى فَسِيرِى نَحْوَ الْعِراقِ ولا تَحُورِى

وأما بنو شيبان فقد نزلوا بأرض البحرين إلى مشارف أرض السواد بالعراق فمعلوم أن الفرس قد ساروا بجيوشهم للقاء بنى شيبان والمتحالفين معهم عند ذى قار ، وذُو قار مُتاخِمٌ لِسَوادِ العراق (٣) ويذكر الطَّبَرِيُّ « أن المثنى بْنَ حارِثَةَ الشيبانىّ سار حتى قَدِمَ على أبى بكر رحمه الله ، فقال : أمِّرْنى على مَنْ قِبَلِى مِنْ قَوْمِى ، أُقاتِلْ مَنْ يلِينِى من أهل فارِس ، وأَكْفِيكَ ناحيتى . ففعل ذلك . فأقبل فجمع قومه ، وأخذ يُغِيرُ بناحية كَسْكَرَة مرة ، وفى أسفل الفُرات مرة » (٤) .

أما بنو حنيفة فقد أقاموا باليمامة ، ولم يُذْكَرْ لهم مكانٌ غيرُه . ومن الشواهد على ذلك ما ذكره ابن حبيب عند حديثه عن عُمَيْرِ بْنِ سُلْمَى الْحَنَفِىّ من « أنَّ رَجُلاً من بنى عامرِ بْنِ كلاب كان استجار عُمَيْرَ بْنَ

---

(١) السعف : أغصان النخلة ، والواحدة سعفة . سيرا : أى فسارت سيرا فحذف الفعل لدلالة المصدر عليه . الجِسَاء : رملة تحتها ماء إذا كشفت ظهر الماء ، والحسى أيضا البئر القريبة الماء والجمع الأحساء ، والجِسَاءُ موضع بعينه .

(٢) الأصمعيات . الأصمعية رقم ١٤ .

(٣) معجم ما استعجم ص ١٠٤٢ .

(٤) الطبرى : تاريخ الرسل والملوك ٣ : ٣٤٤ .

سُلمى ، وكانت معه امرأة جميلة . فكان قرين ، أخو عمير ، يتحدث إليها حتى بلغ ذلك زوجها ، فنهاها ، فخافته ، فانتهت . فلما رأى قرين ذلك وثب على زوجها ، فقتله ، وعمير غائب . فأتى أخو المقتول قبر سلمى فعاذ به وقال :

وإذا آستَجَرْتَ من اليمامةِ فاستَجِرْ

زَيْدَ بْنَ يَرْبوعٍ وآلَ مُجَمَّعِ

....

فقدم عمير بن سلمى فأخذ أخاه . فبلغ ذلك وجوه بنى حنيفة ، فأتوه فكلموه . فقال : والله لا أدعه أو يعفو عنه جارى .... » [١] .

كما نقرأ فى « الشعر والشعراء » [٢] أن يزيدَ بن عمرو الحنفى « أسر عمرو بن كُلْثُوم حين أغار على بنى حنيفة **باليمامة** » . وهكذا يرتبط ذكر بنى حنيفة بهذا الموطن [٣] .

وأما بنو عِجْل ، فيبدو أنهم انقسموا فريقين : فريق يدين بالنصرانية [٤] ، وارتضى العيش مستقرا فى سواد العراق ، مختلطا بالفرس ، ومحاربا فى صفوفهم إخوانهم العِجْليِّين ، وفريق آخر ظل على وثنيته [٤] وعاش مجاوراً لبنى شيبان [٥] على مشارف العراق . وقد شهدت

---

(١) محمد بن حبيب : المُحَبَّر : بيروت . المكتب التجارى . ص ٣٥١ ، ٣٥٢ .

(٢) ابن قتيبة : الشعر والشعراء ص ٣٨٠ .

(٣) جواد على : المفصل فى تاريخ العرب قبل الإسلام ٢١٣/٤ .

(٤) دائرة المعارف الإسلامية . مادة بكر .

(٥) معجم ما استعجم ص ١٠٤٣ . وتاريخ العرب قبل الإسلام لجواد على ٢٣٣/٤ حيث كان سُوَيْدُ بن قُطْبَةَ العِجْلِىّ يغير هو والمثنى بن حارثة على الدَّهاقين .

الجاهلية وصدر الإسلام هذا الصراع فى مثل يوم ذى قار [١] ، وفى مثل غزوتى الْوَلَجَة وأُلَّيْسٍ ، حيث حاربت الجماعات المستقرة من عِجْلٍ فى سواد العراق بقيادة الأَسْوَدِ العِجْلِىّ فى صفوف الفُرْسِ ضد إخوانهم الذين انضموا تحت لواء الْمُثَنَّى بْنِ حارِثَةَ .

(٣)

أيـــام بكـــر

أيام العرب :

يقصد بأيام العرب تلك الحروب الطاحنة التى دارت رحاها على مسرح جزيرة العرب ، سواء ما كان منها بين القبائل المختلفة ، أو بين العرب والعجم .

وقد اعتاد أكثر الباحثين أن يصوروا هذه الأيام تصويرا يبعد عن الحقيقة وذلك حين يزعمون أن أكثر هذه الحروب إنما كانت مجرد مناوشات يلقى فيها الرجلُ الرجلَ والرَّجُلان الرَّجُلَيْن ، وأنها كانت مجرد مهاترات وغزوات لم يسقط فيها إلا بضعة أشخاص [٢] . ولم تكن تجرى الدماء فيها بغزارة كما أوهمتنا الأخبار [٣] . وقد يقدمون لذلك بذكر

---

(١) نقائض جرير والفرزدق . طبع ليدن .

(٢) جواد على : تاريخ العرب قبل الإسلام . العراق . مطبوعات المجمع العلمى العراقى ٤ : ٣٤٧ .

(٣) الدكتور فيليب حتى وآخرون : تاريخ العرب (مطول) . بيروت : دار الكشاف للنشر والطباعة . الجزء الأول . الطبعة الثالثة سنة ١٩٦١ ص ١١٩ .

الأسباب العامة لهذه الحروب ، من نزاع على ماء أو مرعى أو أخذ لثأر أو محاولة للتخلص من تحكم القبائل الأخرى فى قبيلة ما بظهور شخصية قوية فيها ، وأمثال هذا من أسباب ، ليقيموا الدليل على ضآلة الحروب بتفاهة الأسباب ! .

ولكن هل كانت أسبابُ هذه الأيام تافهةً حقا ؟ بل متى كانت ضآلةُ الأسباب دليلا على عدم خطورة النتائج ؟ إنها لو لم تَتعدَّ النزاعَ حول الماء والمرعى لَكَفاها ... فَهُمَا عَصَبُ الحياة الاقتصادية فى هذا المجتمع ، بل هما عصب الحياة ذاتها . وهل نشبتْ أكثر الحروب قديما وحديثا إلا لهذا العامل الاقتصادى ؟.

وإذا كانت حروب العرب فى الجاهلية مجرد مناوشات ومهاترات ، ففى أى مدرسةٍ تلقى قادةُ الجيوش الإسلامية فنونَ الحرب والقتال ؟ أين تعلم خالد بن الوليد ، وسعد بن أبى وَقّاص ، وأبو عُبَيْدَة الجَرَّاح ، والمُثَنَّى بْنُ حارِثَةَ الشَّيْبانِىُّ البَكْرِىُّ ؟ أين تَعَلَّمَ هؤلاء وأضرابهم من قواد المسلمين فنون الحرب والنزال ، حتى استطاعوا أن يقوضوا مملكتىْ الفرس والروم ؟

لسنا نشك فى أنهم تعلموا وسط معارك العرب فى الجاهلية ، حتى خرجوا على هذا النحو من الحُنْكَةِ والعبقرية والتَفَرُّد .

ولسنا نشك فى أن جيوش المسلمين فى صدر الإسلام – على الأقل – إنما كانت تستمد خُطَطَها من خبرةٍ عسكرية موروثة عن أيامها الخالية . ونحن واجدون فى حديث القدماء عن أيام العرب فى الجاهلية ، وحديثهم عن أيام العرب فى الإسلام ما يؤيد ذلك .

لقد عرفتْ حروبُ العرب فى الجاهلية كثيرا من فنون الحرب التى عَرَفَها قادةُ المسلمين العِظام ، والتى مازالت الحروب الحديثة تعرفُها وتحرِصُ عليها من مثل : أعمالُ المخابراتِ والتَّجَسُّسِ ، وإرسال فِرق الاستطلاع ، ومحاولةُ إضعافِ العدو اقتصاديا بالاستيلاء على أمواله وممتلكاته ، والعنايةُ بالشئون الإدارية – إن جاز التعبير – واشتراك النساء فى الحرب ، والعناية بالجرحى . كما أجادوا الكَرَّ والْفَرَّ ، فليست الشجاعةُ أن تُورِدَ نَفْسَكَ مَوْرِدَ الهلاك .

كما عرفت أيام العرب فى الجاهلية مُثُلاً حَرَصَ الإسلام على إقرارها وتدعيمها : كالنَّهْيِ عن قتل النساء ، والمحافِظة على الأسرى وحُسْنِ معاملتهم . وهم قبل ذلك كله قد عرفوا تنظيم الجيوش مَيْمَنَةً ومَيْسَرَةً وقَلْبًا ، وعرفوا أنَّ الحربَ خُدْعَةٌ .

كانت كل قبيلة من القبائل ترسل عُيُونَها فيما حولها خَوْفَ الغارة المفاجئة ، وكانوا يختارون لمن يقوم بهذه المهمة من يتوسَّمُون فيه القدرة على القيام بها على خَيْرِ وجه . من ذلك ما نجده فى أخبار يوم جَدُودٍ – وهو يوم من أيام بكر وتميم ، على سبيل المثال – من أن سِنَانَ بْنَ سُمَيٍّ المِنْقَرِيَّ حين رأى تَجَمُّعَ بَكْرٍ بقيادة الحَوْفَزان ، اختلط بهم ، وحدَّثهُمْ ، ثم أتى أصحابه – من تميم – فأخبرهم الخبر (١) . وفى يوم النِّباجِ وثَيْتَل يرسل بنو تميم سِنانَ بْنَ سُمَيٍّ هذا « شَيِّفَة » أى طليعة ، ليأتى لهم بأخبار بنى بكر قبل الإغارة عليهم . فيأتى سِنان بخبر القوم

---

(١) نقائض جرير والفرزدق . طبع ليدن . ص ١٤٥ .

ومكانهم ويبلغه رئيسَ القوم (١) . وفى حديث موقعة القادسية نجد أن سعد بن أبى وقاص يقيم بالقادسية شهرا « دون أن يتحرك إليه العدو ، فلم يضيِّع الوقت هَباءً ، بل كان نشيطا فى أعمال المخابرات للحصول على المعلومات عن الأرض والماء والكلأ وتحركات العدو » (٢) .

وكما حَرَصَتِ القبائلُ المتحاربةُ فى الجاهلية على إضعاف أعدائهم اقتصاديا حين يسوقون إبلهم وماشيتهم وأموالهم إثر كل غارة ... فقد كان هذا الهدف قائما أو محسوبا بين أهداف القتال فى الإسلام (٣) .

أما عن اشتراك النساء فى الحرب ، فلعل أقدم يوم تحدث فيه المؤرخون هو يوم « تَحْلَاقُ اللِّمَم » بين بكر وتغلب (٤) ، حين أوصى الحارث بن عُباد بإشراك النساء ، لِمَا رآه من قِلَّةِ فرسان بكر ، فألْبَسَهُنَّ ملابسَ الفرسان ، وجعلهن فى مؤخرة الصفوف ، حتى يُضَيِّقَ الخِناقَ على كل هارب ... وأين يهرب ويترك نساءه ؟ ، وحتى تقوم النساءُ بعلاج الجرحى ، وخدمة المحاربين . وهذا ما فعله خالد بن الوليد فى موقعة اليَرْمُوكِ ، حين جعل للنساء موقعا خلف الصفوف حتى يعلم المجاهدون أنهم يدافعون عن العِرْضِ والشَّرفِ والدِّين ، فلا تكون رَجْعَةٌ ولا ارتداد (٥) . وكذلك فعل سعد بن أبى وقَّاص فى موقعة القادسية ،

---

(١) المصدر نفسه ص ١٠٢٣ .

(٢) السيد فرج : القيادة والحرب عند العرب . القاهرة . دار المعارف . سلسلة اقرأ العدد ٤٠٢ ص ١٨١ .

(٣) المرجع السابق ص ١٢٤ .

(٤) كتاب بكر وتغلب ص ٨٣ وما بعدها .

(٥) القيادة والحرب عند العرب ص ٢٠٨ .

فكانت النساء تَقُمْنَ بدفن الموتى ، وإسعاف الجرحى ، ونقل السلاح والماء والغذاء [١] .

ولا يفوتنا أن نذكر ما كان من أمر الفارسِ التَّمِيمِىِّ قَيْسِ بْنِ عاصِم يوم النِّباج وَثَيْتَل حين جهز رجاله وسقى خَيْلَه ، ثم أَراقَ ما معهم من الماء . وقال لرجاله : قاتلوا فالموت بين أيديكم والفلاة من ورائكم » [٢] . وأحسبه فى ذلك أستاذًا لطارق بن زِياد الذى أحرق سُفُنَهُ وقال لجنوده قولتَهُ المشهورة « البحر من ورائكم والعدو أمامكم » .

ويبدو أن القوم فى الجاهلية قد تعارفوا على وجوب المحافظة على الأسرى وحسن معاملتهم ... فهذا أحد الأسرى التميميين عند بكر يبعث برسالة إلى قومه مع أحد المارة فى الصحراء ، يقول فيها « قل لهم : ليحسنوا إلى أسيرهم ويكرموه ، فإنى عند قوم يحسنون إلىّ ويكرمونني » [٣] . وهذا أبو مُلَيْل التَّمِيمِىّ حين يقع أسيرا فى يد بِسْطام ابن قيس البكرى يمتنع عن تناول الطعام – ولابد أنه كان يعرف حِرْصَ القوم على حياة أسيرهم – فيقول بِشْرُ بْنُ قَيْسٍ لأخيه بِسْطام : « إنى لا آمن أن يموت أَسِيرُك هذا فى يدك هَزْلاً **فَتَسُبَّكَ العرب** » [٤] . فأطلق بِسْطام سَراحه بعد أنْ أحلفه أَلّا يَغْزُوَهُمْ ثانية . ومعلوم عناية

---

(١) المرجع نفسه ص ١٨٦ .

(٢) جورجى زيدان : العرب قبل الإسلام . بيروت سنة ١٩٦٩ ص ٢٣٢ .

(٣) نقائض جرير والفرزدق . طبع ليدن ص ٣٠٥ .

(٤) المصدر نفسه ص ٢٠ .

المسلمين بجميع الأسرى ، وقوله ﷺ – وهو ينظر إلى أسرى بدر : « استوصوا بهم خيرا » (١) .

ولو كانت الحروب فى الجاهلية مجرد مناوشات أو مهاترات ، فما بال المثنى بن حارثة الشيبانى فارس بكر يستطيع جمع جموع القبائل العربية فى جيش قوامه ثمانية آلاف مقاتل (٢) حتى دانت له منطقة الخليج العربى قبل الإسلام ، واستطاع أن يَدْحَرَ جيوشَ الفُرْسِ والمتحالفين معهم من القبائل العربية فى وقعة ذى قار ؟ .

أيام العرب فى الجاهلية – إذاً – فى عمومها حروبٌ حقيقية ، بكل ما تحمل الكلمة من معنى ... وبكل ما تتطلبه الحروب من فنون مختلفة .

حرب البسوس (٣) :

وهى الحرب المشهورة فى تاريخ الأدب العربى ، والتى دارت بين

---

(١) القيادة والحرب عند العرب ص ١٣٠ .

(٢) المرجع السابق ص ١٧١ . وانظر ، محمد حسين هيكل : الصديق أبو بكر . القاهرة . دار المعارف . الطبعة السابعة ص ٢٠٤ .

(٣) انظر ، الشعر فى حرب البسوس للمؤلف (رسالة ماجستير بآداب القاهرة ، لم تنشر) .

وكتاب بكر وتغلب (مجهول المؤلف) مطبوع بمطبعة نخبة الأخبار بالهند سنة ١٣٠٥ هـ .

والأغانى (ساسى) ٤/١٤٠ وما بعدها ، ٩/١٧١ .

وشرح ديوان الحماسة ص ٤٢١ . =

قبيلتى بكر وتغلب فى الجاهلية . وماذِكْرُ المُهَلْهِلِ بْنِ رَبِيعَةَ ، وجَسَّاسِ ابْنِ مُرَّةَ ببعيد عن الأذهان .

ولسنا نود الدخول فى دقائق هذه الحرب وتفاصيلها ، فقد تخللها شيءٌ من الأساطير وأحاديث السُّمَّار منذ أقدم المصادر . ولسنا فى معرض الفَصْلِ بين التاريخ والأسطورة فنعرض لكل ذلك . فالمقام لا يقتضيه ، إلا أن يكون حديثا عن الصورة العامة لهذه الحرب ، نستخلصه من الحشد الهائل للروايات المختلفة فى المصادر العديدة .

ليس ثمة خلافٌ على أنه كانت هناك قبيلتان – هما بكر وتغلب – وأنهما كانتا من سلالة رجل واحد هو وائل ، ولذا أُطلق على الحيين : « ابنا وائل » وأن هذين الحَيَّيْنِ كانا يُقيمان فى دارٍ واحدة ، يَنْتَجِعانِ معا مواطِنَ الكلإِ ، ومواقع السحاب .

= والاشتقاق ، تحقيق عبد السلام محمد هارون ص ٢٥٨ .
ونهاية الأرب للنُّوَيْرِى ١٥/٤٠٠ .
وشرح القصائد السبع الطوال لابن الأنبارى ص ٣٧٠ .
وخزانة الأدب ٣/٤٣٤ ، ٢/١٦٢ وما بعدها .
ومعجم ما استعجم ص ٩٧٦ .
والعقد الفريد ٥/٢١٣ وما بعدها .
والكامل فى التاريخ . الطباعة المنيرية ١/٣١٢ وما بعدها .
والعرب قبل الإسلام لجورجى زيدان ص ٢٧٧ وما بعدها .
وتاريخ العرب قبل الإسلام لجواد على ٤/٣٤٧ .
وأيام العرب فى الجاهلية ص ١٤٢ وما بعدها .

وفى الروايات على اختلافها ذِكْرٌ لِكُلَيْبٍ ، وجَسَّاسٍ ، ومُهَلْهِلٍ ، والحارِثِ بْنِ عُبَادٍ ، ومُرَّةَ بْنِ ذُهْلٍ ، وهَمَّامِ بْنِ مُرَّةَ ، وجَليلةَ بِنْتِ مُرَّةَ البكرية . . إلى آخر هذه الشخصيات التى لعبت دورها فى تلك الحرب الضَّرُوس .

كما ذكرت المصادر أنّ مَعَدًّا اجتمعت على كُلَيْبٍ ، فحققت به الانتصار على قبائل اليمن ... وأن قبائل مَعَدٍّ أطاعوه وأكبروه ... وكان من بينها قبيلة بكر التى أقامت مع تغلبَ فى دارٍ واحدة ، يَجْمَعُهُما الحل والتَّرحال ... وأن كُلَيْبًا دخله زَهْوٌ شديد ، فبغى عليهم وَسَامَهُم الخَسْفَ والْهَوان ... وهم عرب أُباةٌ يَعْقِدُونَ كرامتهم مَع رِقابهم بعقد لا يَنْفَصِمْ ، فإمَّا ذهبوا ذهبوا معا . ولم يكن ضَرْبُ كليبٍ لِضَرْعِ ناقةِ الْبَسُوسِ إلا نقطة بَلَغَ عندها السَّيْلُ الزُّبَى ، أو هى الْقَشَّةُ التى قَصَمَتْ ظَهْرَ البعير كما يُقال . لقد شعرت بكر أن الرجل لا يريد أَنْ يَنْتَهِىَ عند حد . وأن رجال بكرٍ ليسوا أوتادًا تُشَجُّ رءوسُهم فلا يَزْدَادُونَ إلا انحناء وذُلاًّ . وكان جساسُ بْنُ مُرَّةَ هو الفتى الذى توالد عنده هذا الشعور وتَحَدَّد . وقد شعر أنه – إلى جانب ذلك – قد أهين إهانتين ؛ إذ لم يقتصر الأمر على ضَرْبِ بعير – على ما فى ذلك من إهانة واستهانة لم يألفها عربى ، بل بلغ الأمر التعدى على حقوق الإجارة . فإذا علمنا أن المرأة كان يحق لها أن تجير فى هذا المجتمع البدوى ، علمنا مبلغ الإهانة التى لَحِقَتْ بنى بكر من جَرَّاء تَعَدِّى كليبٌ على ناقة جارهم . وتجسدت الإهانة لدى جَسَّاسٍ – فَهْوَ الْمُجِيرُ – فصمم على الانتقام من كليب ، ونفذ ما عقد عليه العزم ، فأَرْدَى كُلَيْبًا . وانطلقت الشرارة التى أشعلت نيران حرب طاحنة بين بكر وتغلب ، تلك الحرب التى دارت رحاها بين القبيلتين أربعين سنة .

وكان كِلا الحيين – على ما يبدو – حريصا على صاحبه : فهؤلاء أكابر تغلب يهدِّئون من ثورة مُهَلْهِل ويطلبون منه أن يُخْفِضَ جَناحه لَهُمْ ولأبناء عمومتهم البكريين . ثم يوفدون رجالا إلى بكر ليضعوا معا حلا سلميا للمشكلة تفاديا لصدام لا يعلمون مداه ، فيعرضون على بكر أن يُسْلِمُوهُمْ واحِدًا من ثلاثة : جساس ، أو همام ، أو أبيهما مُرَّةَ بْن ذُهْلٍ رأس القوم . ويبدو أن مُرَّةَ قد وقع فى حَرَجٍ شديد ، إذ أن جساسًا كان قد هرب – خوفا من أن يُسْلِمَهُ أبوه بِجَرِيرته وهو ما صَرَّحَ به مُرَّةُ نفسُه حين أبلغه جَسَّاسٌ بقتله كليبا – فلم يستطع أن يجيبهم إلى هذا الطلب . كما أنه لم يستطع أن يدفع إليهم هَمَّاما ، خوفا من معارضة إخوته وأبنائه العديدين . كما بَخِلَ مُرَّةُ بعد ذلك بنفسه أن يكون فداء لكليب حَقْنا للدماء .

ولما كان مُرَّةُ حريصا على إرضاء تغلب ، فقد عرض على وفدها إحدى اثنتين : إما أن يختاروا أحد أبنائه الباقين فيأخذوه بكليب ، وإما ألفَ ناقة تضمنها لهم قبيلة بكر كلها ... ولم يجد وَفْدُ تغلب فيما عرضه مُرَّةُ مَقْنَعًا ، إذ لم يجدوا فى بنيه الباقين كُفُؤًا لكليب ، كما تحرجوا أن يأخذوا ثمنا لقتل كليب .

وهكذا رُفِضَتْ شروطُ تغلب ، كما رُفضت مقترحاتُ بكر – رغم حرصهما على إقرار السِّلم – وهنا فُرِضَ على الحيين القتال وهو كُرْه لهم .

واختلفت الروايات فيما أوردته من ترتيب زمنى لأيام هذه الحرب ، ولسنا نجد ما نرجح به رواية على أخرى ، كما اختلفت فى عددها . ولعل

أشهرها — كما ذكر ابن الأثير — تلك الأيام التى اشتد فيها القتال بين الطائفتين وهى خمسة أيام : عُنَيْزَةُ وتكافئوا فيه ، وواردات وكان لتغلب ، والحِنْوُ وكان لبكر ، والقُصَيْبَاتُ وكان لتغلب ، ثم قِضَةُ أو يوم التَّحَالُق وكان لبكر .

ومما لاشك فيه أنه كانت هناك أيام كثيرة بين الحيين دون هذه الأيام ، كانت بمثابة مُناوشات بينهما ، ولذا أغفلتها المصادر العربية .

وإذا وقفنا قليلا عند ذكر أيام هذه الحرب ، فإننا لا ندرى ذلك المعيار الذى اختار الرواةُ على أساسه هذا العدد المحدود من الأيام ، فذكروه وأهملوا ما عداه !! فإن كان عدد القتلى هو المعيار ، فلدينا أحَدَ هذه الأيام وهو يوم النَّهْى ، وفيه لم يُقْتَلْ أحدٌ من الفريقين المتحاربين . أم أن هذه الأيام — التى ذكرها الرواة — هى التى واجه فيها أكبر عدد من القبيلتين بعضهم بعضا ؟ وأن ما عداها كان مجرد مناوشات يلقى فيها الرَّجُلُ الرجلَ والرجلان الرجلين ؟

ونلحظ إيجاز الرواة الشديد عند ذكر هذه الأيام التى اشْتُهِرَتْ وذاعت من بين أيام هذه الحرب . إذ لا يزيدون عادة عن قولهم هذا اليوم لبكر أو لتغلب ، باستثناء يوم واحد هو يوم قِضَة أو تَحْلَاق اللِّمَم ، فقد أفاضت المصادر فى ذكره ، ولسنا نجد لذلك سببا سوى أهمية هذا اليوم حيث تم فيه أسْرُ المُهَلْهِل على يد الحارث بن عُبَاد الذى كان دخوله الحربَ بداية النهاية لتغلب ، إذ كان الحارث داهيةَ حرب ، فقد أشار بإشراك النساء فى الحرب — خلف الرجال — لابساتٍ ملابسَ الرجال ، حتى تجنى بكر فوائدَ أربع :

الأولى : أن العدو سينخلع قلبه حين يرى هذه الكثرة الهائلة – التى كان يجهلها عن بكر – فيظن أن لا قِبَلَ له بها ، وهذا يؤثر فى حماس الأعداء .

والثانية : إثارة الحمية والحماس فى نفوس فرسان بكر حين يَرَوْنَ أن نساءهم خلفهم ، وأين يفرون ويتركون النساء ؟.

والثالثة : تضميد جراح الفرسان وخدمتهم .

والرابعة : قتل جرحى الأعداء .

وفى يوم قِضَةَ يتم أسر المهلهل على يدى الحارث بن عُبَاد .... ثم يحتال المهلهِل حتى يُطلق الحارثُ سراحَه ... ويرحل يائسا إلى اليمن ... فكانت رحلته هذه إرهاصا بإقرار السِّلم والدخول فى الصلح ، بعد أن سئمت القبيلتان كثرةَ الحروب ، إذ كان المهلهل دائما زيت المعارك يشعلها أنَّى وجد . ونظن أن الصلح الدائم لم يُظَلِّل الحيين إلا بعد مقتل مهلهِل . وإن لم يستطع الحيَّان مع ذلك أن يَنْسَيا بسهولة ما مر بينهما من أحداث وإحَنٍ عَمَّقَتِ العداءَ فى نفوسهم .

* * *

أيام بكر على تميم :

(١) **يوم الزَّوْرَيْن** (١) : يروى أن قبيلة بكر كانت تَنْتَجِعُ أرض

---

(١) انظر : ابن الأثير : الكامل فى التاريخ ١/٣٦٨ .
القلقشندى : نهاية الأرب فى معرفة أنساب العرب ص ٤٦٠ .
ابن عبد ربه : العقد الفريد ٥/٢٠٤ .
لسان العرب ، مادة « زور » .
جورجى زيدان : العرب قبل الإسلام ص ٢٣٦ .
محمد جاد المولى وآخرين : أيام العرب فى الجاهلية ص ٢١٢ .

تميم فى الجاهلية ترعى فيها إذا أجدبوا ، فإذا أرادوا الرجوع إلى مواطنهم عاثوا فسادا فى أرض تميم ، فلا يظفرون بشىء إلا اكتسحوه . فتفاقم الشر بين القبيلتين وعَظُم ، حتى صار لا يلقى بكرىٌّ تميميا إلا قتله ، ولا يلقى تميمىٌّ بكريا إلا قتله .

وعقدت تميمُ العزم على منع بكر من الحلول فى ديارهم ، وبلغ ذلك بكرا . وأصبح الصراع صراع حياة ... وحشدت تميم ، وحشدت بكر واجتمعت ، ويروى أنه لم يتخلف من بنى بكر إلا الحَوْفَزَانُ بْنُ شَرِيك فى أناس من بنى ذُهْلِ بن شَيْبان وكان غازيا فى بنى دارِم .

وتجمع التميميون وعقلوا بعيرين سَمَّوْهُما « الزَّوْرَيْن » (١) وأقسموا لا يفِرُّونَ حتى يفرَّ البعيران . وولت بكرٌ قيادتها عَمْرو بْنَ مسعودٍ الشيبانى – ويكنى بأبى مَفْرُوقٍ – الذى حقق لهم انتصارا ساحقا على بنى تميم ، بعد قتال شديد ، راح ضحيته رجال كثيرون من تميم . واجترف البكريون الأموال والنساء ، وأسروا ما استطاعوا . ولَحِقهم الحارثُ ابنُ شَرِيك (الحَوْفَزان) فَانْقَضَّ بدوره على الأموال والنساء ، مشاركا قبيلته فى مغانمها .

(٢) **يوم الْوَقِيط** (٢) : يذكر الرواة أن اللَّهازِم (٣) – من بنى

---

(١) أى إلهين .

(٢) انظر ، النقائض (ليدن) ص ٣٠٥ وما بعدها .
ابن عبد ربه : العقد الفريد ١٨٢/٥ وما بعدها .
وابن الأثير : الكامل فى التاريخ ٣٨٣/١ .
جورجى زيدان : العرب قبل الإسلام ص ٢٣٥ .
ومحمد جاد المولى وآخرين : أيام العرب فى الجاهلية ص ١٧٠ .

(٣) اللهازم : هم قيسُ وتَيْمُ اللّات ابنا ثعلبةَ بنِ عُكابة ، وعِجْلُ بن لُجَيْم وعَنَزَة ابن أسد بن ربيعة بن نزار .

بكر – جمعوا أمرهم لشن غارة على بنى تميم وهم غافلون . وكان فى بنى بكر أسير من تميم (١) . وشاء الرجل أن ينذر قومه ... وتصادف أن مر به راكب . فسأله عن وجهته ... وعلم منه أنه سيمر بديار تميم . ولما كان أحد رجال بكر أسيرا هو الآخر عند بنى العَنْبَر – من تميم – فقد شاء الرجلُ أن يُوهِمَ القوم أنه سيوصى قومه بأسيرهم خيرا ، لقاء معاملتهم له ، ويوصيهم كذلك ببعض شئونه . ورأى بنو بكر أن يحتاطوا للأمر ، فلا يُلْقِى أسيرُهُمْ بوصيته إلا وهم حُضُور . ويُودِعُ الرجلُ وصيتَه فى كلمات لا يعلم باطنَها من ظاهرها إلا النابهون من قومه . من مثل قوله : ... وقُل لهم : فَلْيُعْرُوا جَمَلِى الأحمر ، ويَرْكبوا ناقتى العَيْسَاء (٢) ، بآية ما أكلت معهم حَيْسًا (٣) ، ولْيَرْعَوْا حاجتى فى أُبَيْنِى مالك (٤) ، وأَخْبِرْهُمْ أنَّ العَوْسَجَ (٥) قد أَوْرَق ، وأن النساء قد شكَتْ (٦) ، ولْيَعْصَوْا هَمَّام بن بَشامة فإنه مَشْئُوم مَحْدُود (٧) ، وليطيعوا هُذَيْل بنَ الأخْنَسِ فإنه حازِمٌ مَيْمُون » .

فلما أتى الراكب إلى بنى تميم وأبلغهم الرسالة ، لم يلبث أحدُ شيوخهم أن بدد حَيْرَتَهم ، ومضى يوضح الأمر ، ويفك طلاسم الرسالة

---

(١) هو ناشِبُ بن بَشَامة الأعور من بنى العنبر ، وهم بطن من تميم .

(٢) العيساء : الناقة يخالط بياضها شقرة .

(٣) الحَيْسُ : تمر يخلط بسمن .

(٤) أبينو : تصغير بنين (لسان العرب مادة : بنى) .

(٥) العوسج : شوك .

(٦) شكت النساء : اتخذت الشِّكَاء ، والشِّكَاءُ جمع شكوة وهو وعاء من أدم يبرد فيه الماء .

(٧) المحدود : الممنوع من الخير .

ورموزها : فالجَمل الأحمر هو جَبَلُ الصَّمَّان (١) ، ولابد للقوم أن يرحلوا عنه ، حتى إذا أقبلت فرسان بكر وجدت الجبل منهم بَلْقَعًا . وأما الناقة العَيْسَاء فترمز إلى الدَّهْنَاء ، ويرى الأسير أن يتحرز فيها القوم . وأما أُبَيْنُو مالك ، فيرى الرجل أن يصلهم قوله وتحذيره ، وأن يتحالف القوم فيما بينهم للقاء بنى بكر الذين تجمعوا فى عدد لا يحصى . وأما إيراق العَوْسَج فيعنى أن بنى بكر قد اكتسوا سلاحا . وأما اشتكاء النساء فيرمز إلى أخلاط عديدة من الناس فى طريقهم إلى غزو تميم .

وتأخذ تَمِيمُ بوصيةِ الأسير ، سوى بنى مالك بن حَنْظَلة الذى شاء حظهم العاثر ألّا يأبهوا لهذا الحديث ، فلا يتحولون عن مكانهم . فَصَبَّحَتْهُم بكر قتلا وأسرا عند ماء يقال له « الْوَقِيطُ » .

وبعد ، فنحن نشك كثيرا فى هذه الوصية المزعومة ، لسبب بسيط ، وهو ما تحمله من رمز يبدو لنا غير مألوف فى التراث الموثق من الشعر الجاهلى . فإذا كانت معانى الشعر الجاهلى – كما استقر عليه رأى الدارسين – معانى واضحة بسيطة ، ليس فيها تكلف ولا إغراق فى الخيال ، وإنما تُعرض فيها الحقيقة واضحة جلية ، فليس لنا إذًا أن نفرد النَّثْر الجاهلى بما يخالف فى كثير هذا القول ، فضلا عما يبدو فى الرواية من صنعة وتكلف يظهران ضرورة أداء الرسالة بحروفها وهذا لا يتأتى إلا إذا كُتِبَتْ ! ، وكل ما نقبله من أخبار هذا اليوم – يوم الوَقِيط – أنه يوم من أيام بكر وتميم ، كُتِبَ فيه لبكر الانتصار على بطن من بطون بنى تميم هم بنو مالك بن حَنْظَلَة . وربما كان هناك إنذار وتحذير من أسير على

---

(١) الصَّمَّان : جبل أحمر فى أرض تميم .

نحوٍ ما . وليس ببعيد أن يكون التحذير فيه قدر من الذكاء حتى يضمن وصوله . ولكنه على الأرجح – إن لم يكن يقينا – لم يكن على هذا النحو الرمزى الذى يبدو فيه واضحا عَبَثُ الرُّواة . وهو ما يذكرنا بالقصة المزعومة عن موت المهلهل بن ربيعة ، حين روى الرواة أبياتا للمرقش الأكبر [١] بعد أن عبثوا بها [٢] ، حتى لا يفهمها العبدان ، ولا يستطيع فك رموزها سوى ليلى بنت المهلهل .

(٣) **يوم قُشارة** [٣] : وكان بين بنى شَيْبان البكريين وبين بنى يَرْبُوع التميميين . ومن حديثه أن بِسْطام بن قيس بن مسعود الشيبانى [٤] خرج غازيا لبنى يربوع ، فصادف نَعَمًا لرجلين من بنى

---

(١) انظر المفضلية ٤٥ البيتين ٤ ، ٥ ويقول فيهما :

لله دَرُّكُما ودَرُّ أبيكمـــا   إنْ أفْلَتَ العُفْلِيُّ حتى يقتلا

من مبلغُ الأقوام أنّ مُرَقّشا   أمسى على الأصحاب عبئا مثقلا

(٢) انظر القصة فى كتاب بكر وتغلب ص ١١٥ ، ١١٦ ، وتزعم أن المهلهل طلب من العبدين أن يبلغا أهله هذه البيت :

مَنْ مُبْلِغٌ عنى بأن مُهَلهلاً   لله دَرُّكُما ودَرُّ أبيكُمـــا

وأن ابنته فسرت هذا البيت بأن أباها يريد أن يقول :

من مبلغ عنى بأن مهلهلا   أضحى قتيلا فى الفلاة مجندلا

لله دركما ودر أبيكمـــا   لا يبرح العبدان حتى يقتلا

(٣) انظر : النقائض . طبع ليدن ص ١٩ .

ابن الأثير : الكامل فى التاريخ ١/٣٦٤ .

جورجى زيدان : العرب قبل الإسلام ص ٢٣٦ .

محمد جاد المولى وآخرين : أيام العرب فى الجاهلية ص ٢٠١ .

(٤) بسطام بن قيس من أشهر فرسان العرب فى الجاهلية ، يضرب به المثل فى فروسيته ، أدرك الإسلام ولم يسلم ، وقتله عاصم بن خليفة الضَّبِّى يوم الشقيقة فى نحو السنة العاشرة قبل الهجرة (المعجم الكبير ٢/٣٢١) .

سَليط إحدى عشائر يَرْبُوع التميمية ، فاستولى عليها . فأتى الصَّرِيخُ إلى بنى عاصم ابن عبيد اليربوعيين ، وكانوا أقرب الناس منهم . فأسرع سبعةُ فوارسَ من بنى عاصم فيهم : بُجَيْرٌ بنْ عبد الله ، ومُلَيْلُ بنُ عبد الله ، والأُحَيْمِرُ حُرَيْثُ بن عبد الله ، ومالك بن حِطَّان بن عَوْف . وخرج معهم قوم من بنى سَليط . ولما أدرك هؤلاء الفرسان جيش بِسطام هابُوا أن يُقْدِمُوا عليه . ورأى مُلَيْلُ بن أبِى مُلَيْل أن يُرْسِل نذيرا لقومه بنى يربوع ، فأبى كل فارس أن يكون الصريخ ، فذهب مُلَيْل – بعد أن عاهد رفاقه – على أن يملكوا زمام أنفسهم فلا يشتبكون مع جيش بِسْطام حتى يعود إليهم بالمدد . ولمح بِسطامُ أبا مُلَيْل . وهو يعدو بفرسه ، فعلم أنه ذهب صريخا لقومه ، ورأى أن يفرغ من رفاقه قبل عودته . واستطاع بِسطام أن يُحَرِّضَ رفاقَ أبى مُلَيْل – كَيْدًا وخَديعة – حتى حملوا على جيشه . ودارت معركة انتهت بمقتل بُجَيْر ، وجُرِحَ الأُحَيْمِر جُرْحًا نافذا ، تَصنَّع على إثْرِه الموت ، وانهزم بقيةُ فرسان بنى سَليط .

وعرف بِسطام أنَّ أبا مُلَيْل سيكون أول فارس يطلع عليهم فى مقدمة بنى يربوع ، وأنه لابد مُعاين جِيفَةَ ابنه بُجَيْر . فكَمَنَ له مع فوارسَ من قومه بنى شيبان . وحدث ما توقعه بِسْطام ، وأخَذَ أبا مُلَيْل أسيرا . ولكنه يُضْرِبُ عن الطعام ، ويكاد يَهْلِكُ جوعا وعطشا ، فيشير بِشْرُ بنُ قَيسٍ على أخيه بِسطام أن يبيع أبا مُلَيْلٍ نَفْسَه ، خشية أن يموت جوعا فيلحقهم العار بين العرب ، ويعملُ بِسطام بمشورة أخيه ، ويطلق سراح أبى مُلَيْل .

(٤) **يوم مُبايض** [١] : كان الفرسان إذا أمن بعضهم بعضا فى الشهر الحرام وأرادوا الذهاب إلى سوق عُكاظ [٢] ، تَقَنَّعُوا حتى لا يعرفهم أحد من عدوهم . وكان طريفُ بنُ تميم العَنْبَرِيّ [٣] فارس قومه لا يَتَقَنَّع كما يتقَنَّعُون . فوافى عُكاظ ... ويروى أنه كان قد قتل شَراحِيلَ [٤] الشيبانى . وجاء حَمَصِيصَةُ بن شراحيل ، وهو شاب قوى شجاع يطوف بالبيت ، يريد أن يَتَعَرَّفَ قاتلَ أبيه . فقال : أَرُوْنى طَرِيفًا . فأرَوْهُ إياه ، فجعل حَمَصِيصَةَ كلما مر به تأمله ونظر إليه ، فَفَطِن طَرِيف . وقال : لِمَ تَشُدُّ نظرك إلىَّ ؟ قال حَمَصِيصَةَ : أريد أنْ أُثْبِتَك ، لعلى ألقاك فى جيش فأقتلك ! فقال طريف : اللهم لا تُحِلِ الحَوْلَ حتى ألقاه . ودعا حمصيصة مثله . وافترقا .

وكان بنو عائِذَةَ [٥] حلفاء لبنى ربيعة بن شَيْبان بن ذُهْل ، فخرج

---

(١) انظر : ابن عبد ربه : العقد الفريد ٢٠٨/٥ وما بعدها .
ابن الأثير : الكامل فى التاريخ ٣٦٧/١ .
الميدانى : مجمع الأمثال ٢ : ٤٠٩ .
لسان العرب : مادة « خصم » .
محمد جاد المولى وآخرين : أيام العرب فى الجاهلية .

(٢) عكاظ : سوق بصحراء بين نخلة والطائف . كانت تقوم هلال ذى القعدة وتستمر عشرين يوما يجتمع فيها قبائل العرب فيتعاكظون ويتناشدون الشعر .

(٣) من بنى العنبر وهم بطن من عمرو بن تميم .

(٤) من بنى ربيعة وهم بطن من ذهل بن شيبان من بكر .

(٥) منهم مقاس العائذى الشاعر ، وهم من فهر بن مالك بن النَّضر بن كنانة . جمهرة أنساب العرب لابن حزم ١٣ .

منهم رجلان يصيدان . فعرض لهما رجل من بنى مُرَّةَ بنِ ذُهْلِ بن شَيْبان ، فَذَعَر عليهما صَيْدَهما . فوثَبا عليه فقتلاه . فثارتْ بنو مُرَّةَ يريدون قتلهما . فأبت بنو ربيعةَ عليهم ذلك . ولما رأى هانئُ بنُ مَسْعُود — رئيسُ ربيعة — إصرار بنى مُرَّةَ على إدراك ثأرهم ، أغار بقومه بنى ربيعة ، خَشية أن يتفاقَم الشر بين بنى شيبان . ونزل هانئُ بن مسعود وقومه على ماء يقال له مبُايِض مُنْتَحِيًا عن القوم .

وتصادف أن هرب عَبْدٌ من عبيد بنى ربيعة ، فصار إلى أعدائهم بنى تميم ، وأخبرهم خبر انعزالهم عن القوم . فقال طَرِيفُ العَنبرى — وقد تذكر حديثه مع حَمَصِيصَةَ — هؤلاء ثأرى ياآل تميم ، إنما هم أكلة رأس (١) . وتجمع التميميون وساروا لقتال القوم .

وبلغ خبرهم إلى بنى ربيعة ، فاستعدوا للقائهم ، وحدد لهم رئيسهم هانئ بن مسعود خطة القتال ، فأوصاهم ألَّا يقاتلوا قتالا شديدا فى أول اللقاء ، وأن يظهروا الهزيمة ، فإذا اشتغل القوم بجمع الغنائم ، هنا يكون الانقضاض على حين غرة ، وبأشد ما يكون القتال .

وعلى الجانب الآخر ، لم يكن بنو تميم بغافلين — فليس للغفلة مكان فى هذا المجتمع — فقد ناقشوا خطة القتال بدَوْرِهم : فرأى طَرِيف أن ينتهوا أولا من [illegible] عدوهم والقضاء عليه ، ثم يعُوجُون على الغنائم . وعارضه أبو الجَدْعَاء رئيس بنى حَنْظَلة وفَدَكِىّ رئيس بنى سَعد اللذان رغبا فى الانقضاض على الأموال . وانتصر هذا الرأى ؛ فسارت الأمور على ما دَبَّر هانئُ بن مسعود حيث انقض على بنى تميم وهم منشغلون فى

---

(١) أكلة رأس : أى قليل ، يشبعهم رأسٌ واحد من الإبل .

الغنيمة والسَّبْىُ ، فهزموهم وقتلوهم وأسروهم كيف شاءوا ، فى وقعة لم تُصَبْ تميم بمثلها ، ولم يفلت منهم إلا القليل ، ولم ينظر الغادى منهم الرائح . وانهزم طريف ، فتبعه حمصيصة وقتله مُدْرِكًا ثأره ، واستردت شيبان الأهل والماء ، وأخذوا من عدوهم ما كان معهم .

(٥) **يوم زُبالة** (١) : خرج أبو جُعَل أخو بنى عمرو (٢) بن حَنْظَلة ، والأَقْرَعُ بن حابِس وأخوه فِراس (٣) فى ناس من تميم ، وقد رَأَسُوا عليهم الأَقْرَعَ ، فأغاروا على بكر بن وائل بِزُبالة (٤) . فدارت الدائرة على بنى تميم ، وأُسِرَ منهم الأقرعُ وفِراس – أسرهما بنو تَيْم اللات (٥) – كما أُسِرَ أبو جُعَل الذى أخذه عِمْران بن مُرَّة بن هِنْد .

وعاد بنو رِباب – ومعهم بنو تَيْمِ اللات – بالأسيرين – الأقرع وأخيه – فلقيهم بنو شيبان ورئيسهم بِسطام بن قَيْس الذى انتزع منهم الأسيرين . فاختصموا فيهما ، وحَكَّموا عِمْران بن مُرَّةَ بن هِنْد الذى جعل الأسيرين لِبسطام على أن يُعطىَ لبنى رِباب مائةً من الإبل .

وافتدى الأقرعان نفسيهما من بِسطام ، وعاهداه على إرسال الفِداء ، فأطلقهما فَبَعُدَا ولم يُرسلا شيئا .

---

(١) انظر : النقائض . طبع ليدن . ص ٦٨٠ .
محمد جاد المولى وآخرين : أيام العرب فى الجاهلية ص ٢٠٦ .

(٢) عمرو بن حنظلة بن مالك بن عمرو بن تميم وهو أخو يربوع بن حنظلة .

(٣) الأقرع بن حابس وأخوه فراس يسميان الأقرعين وهما من بنى مجاشع بن دارم بن مالك بن حنظلة بن مالك بن عمرو بن تميم .

(٤) زبالة : منزل بطريق مكة إلى الكوفة .

(٥) تيم اللات : من بكر .

ويذكر الرواة أبياتا طريفة لرجل من بنى يَرْبُوع ، أنشدها ليلا وكان أسيرا عند بِسطام ، فقال [١] :

فِدًى بِوالدةٍ عَلَيَّ شَفِيقَةٌ ... فكأنَّها حَرَضٌ على الأَسْقَامِ [٢]
لو أنها علمتْ فَيَسْكُن جَأْشُهَا ... أَنِّى سَقَطتُ على الفتى المِنْعَامِ
إن الذى تَرْجِينَ ثَمَّ إيابَهُ ... سَقَطَ العَشَاء [٣] بِهِ على بِسطامِ
سقط العَشاءُ به على مُتَنَعِّمٍ ... سَمْحِ اليدين مُعَاوِدِ الإِقْدَامِ

فلما سمع بِسطام ذلك منه قال له : وأبيك لا يخبر أُمَّكَ عنك غَيْرُكَ ، وأطلقه . ونحن لم نَسُقْ هذه الأبيات إيمانا بصحتها ، وإنما لنشير إلى أن شخصية بِسطام بن قيسٍ فارسُ بكر – الذى ضُرب به المثل فى الفروسية ، فيقال : أَفْرَسُ من بِسطام – ربما أغرت الرواة لِيَحُوكُوا حولها القصص . ونظن أنه لولا ظهور هذا البطل قبيل الإسلام بقليل لَصَنَع الرواةُ معه صنيعهم مع المهلهِل بنِ ربيعةَ وأضرابِهِ الجاهليين .

(٦) **يوم الشَّيِّطَيْن** [٤] : الشَّيِّطان واديان كانا لبكر بن وائل [٥]

---

(١) أيام العرب فى الجاهلية ص ٢٠٦ .

(٢) حرض : يقال ، نهك فلان مرضا ، حتى أصبح حرضا ، وهو المشفى على الهلاك . وأحرضه المرض ، ولا تأكل كذا فإنه يمرضُك ويُحْرِضُك . (أساس البلاغة – مادة حرض) .

(٣) يقال : سقط العشاء به على سرحان : يضرب للرجل يطلب الأمر التافه فيقع فى هلكة ، وأصله أن دابة طلبت العشاء فهجمت على أسد .

(٤) انظر ، ابن عبد ربه : العقد الفريد ٢٠٦/٥ ، ٢٠٧ .
ابن الأثير : الكامل فى التاريخ ٣٩٩/١ وما بعدها .
النقائض . طبع ليدن ص ١٠٢ .
محمد جاد المولى وآخرين : أيام العرب فى الجاهلية ص ٢١٧ .

(٥) البكرى : معجم ما استعجم .

ولما أجْدَبا تركتهما بكر ، وساروا إلى أرض السَّواد بالعراق . ثم أخصب الشَّيِّطان ، فنزلتْ فيهما تَمِيم . ثم إن بكرا لحقهم وباء فى أرض السواد ، فولوا هاربين حتى نزلوا بأرض مُجْدِبةٍ تسمى لَعْلَع . ولما بلغهما خِصْبُ الشَّيِّطَيْن حَنُّوا إليهما ، وأجمعوا أمرهم على انتزاعه من تميم ، وكانت أخبار الإسلام قد بلغتهم ولما يُسْلِمُوا ... وكانوا قد عرفوا أنَّ مَنْ قَتَلَ نفسا قُتِل بها فى هذا الدين الجديد . فأرادوا أن يسرعوا بالإغارة على تميم ، ليخرجوهم منَ الشَّيِّطَين ثم يدخلون فى الإسلام بعد ذلك ، فلا يُقام عليهم الحد . وأسرع البكريون – ورئيسهم فى هذا اليوم بِشْر بنُ مَسْعود – وصَبَّحُوا بنى تميم وهم لا يشعرون ، فقاتلوهم وهزموهم وأخذوا أموالهم .

(٧) **أيام أخرى** : وهناك أيام أخرى أقل أهمية – انتصرت فيها بكر – وربما كان هذا سببا فى إغفال كثير من المصادر لها . وهذه الأيام هى :

يوم صَفْعُوق (١) ، ويوم فَيْحان (٢) ، ويوم الحاجِز (٣) ، ويوم الشَّقِيق (٤) ، ويوم ذى قار الأول (٥) ، ويوم فَلَج (٦) .

---

(١) النويرى : نهاية الأرب فى فنون الأدب ص ٣٩٣ .

(٢) المصدر نفسه ص ٣٩٥ .

(٣) المصدر نفسه ص ٣٩٦ .

(٤) المصدر نفسه ص ٣٩٦ .

(٥) المصدر نفسه ص ٣٩٥ ، ص ٤٣١ .

(٦) جورجى زيدان : العرب قبل الإسلام . بيروت سنة ١٩٦٩ ص ٢٣٥ .

ولدينا بعد ذلك – وقبل أن ندير الحديث حول أيام تميم على بكر – ستة أيام لم تبين المصادر موقف القبيلتين فيها ، فلم تذكر أيهما كان المنتصر وأيهما كان المنكسر . وهذه الأيام هى : يوم خُوى [(١)] ، ويوم ذى أحْثال [(٢)] ، ويوم الهِزَبْر [(٣)] ، ويوم الصّليب [(٤)] ، ويوم القرعاء [(٥)] ، ويوم ملهم [(٦)] .

أيام تميم على بكر :

(١) **يوم النّباج وَثَيْتَل** [(٧)] : يُروى أن قيس بن عاصم خَرَج بِمُقاعِس [(٨)] – وهو رئيس عليها – ومعه سَلامة بن ظَرِب الحِمّانى – فى

---

(١) الميدان : مجمع الأمثال ٢ / ٤٠٦ .

(٢) المصدر نفسه : ٢ / ٤٠٧ .

(٣) المصدر نفسه ٢ / ٤٠٨ .

(٤) القلقشندى : نهاية الأرب فى معرفة أنساب العرب ص ٤٥٩ .

(٥) المصدر نفسه .

(٦) المصدر نفسه .

(٧) انظر ، النقائض . طبع ليدن . ص ١٠٢٣ .

ابن عبد ربه : العقد الفريد ١٨٥/٥ وما بعدها .

ابن الأثير : الكامل فى التاريخ ٣٩٧/١ ، ٣٩٨ .

جورجى زيدان : العرب قبل الإسلام ص ٢٣٢ ، ٢٣٣ .

محمد جاد المولى وآخرين : أيام العرب فى الجاهلية ص ١٧٥ وما بعدها .

(٨) مُقاعِس : بطون من تميم وهم : صَرِيم ، وعُبَيْد وربيع بنو الحارث بن عمرو ابن كعب بن سعد .

الأجارِب (١) – لغَزْوِ بكر بن وائل – فوجدوا اللَّهازِمِ (٢) ، وبنى ذُهْل ابن ثَعلبة (٣) ، وعَنَزَة بن أسد بن ربيعة بن نِزَار بالنَّباج وثَيْتَل وبينهما رَوْحةَ . فتنازع قيس وسَلامة الإغارة ، ثم اتفقا على أن يُغِير قيسٌ على أهل النَّباج . ويُغِير سلامةُ على أهل ثَيْتَل . فبعث قيسُ سِنانَ بنَ سُميٍّ الأهْتَم شَيِّفَة (٤) له ، ليأتيه بأخبار القوم قبل أن يبدأ غارته – ويبدو أنّ الأهتم كان متخصصا فى مثل هذه الأعمال – فاستطاع أن يرجع بخبر القوم إلى قيس الذى كَتَمهُ حتى الصباح ، فجهز فرسانه وراجِليه ، وسقى خيله ، ثم أراق ما معهم من الماء وقال لرجاله : « قاتلوا فالموت بين أيديكم والفَلاةُ من ورائكم » (٥) . ثم فاجأ البكريين بالنَّباج ، وألحق بهم هزيمة قاسية ، فَقَتل وأَسَر ، وغَنِمَ مغانمَ كثيرة .

ولم يشأ قَيْسُ بن عاصم أن يأخذ حظه من الراحة هو ورجاله ، قبل أن يطمئن على سلامةَ ورجاله ، فوجدهم لم يغيروا بعد على أهل ثَيْتَل . فأغار قيس عليهم وهزمهم ، وأصاب مغانم كثيرة من الإبل . وجاء سَلامةُ يقود الأجارِبَ ، فوجد أنَّ قيسا قد سبقه ، ووجد ما غنمه قيس من غنائم ، فثار ثائره ، وفار فائره ، حتى كاد الأمْرُ يَفْقُمُ بينهما .

---

(١) الأجارِب : بطون من تميم وهم : حِمَّان ، وربيعة ، ومالك ، والأعرج بنو كعب بن سعد بن زَيْد مناة بن تميم .

(٢) اللهازِم : بطون من بكر وهم : بنو قيس وتيم اللات ابنا ثعلبة وعِجْلُ بن لُجَيْم . وكانوا حُلفاء عَنَزَة بن أسد ، فهم جميعا اللهازم .

(٣) بنو ذهل بن ثعلبة ، بطن من بكر .

(٤) شَيِّفَة : طليعة .

(٥) جورجى زيدان : العرب قبل الإسلام ص ٢٣٢ .

واستطاع رجال الحيين أن يحسموا الأمر ، جَمْعًا لشمل القبيلة ، وسَلَّمَ قيسُ لسلامةَ غنائم ثَيْتَل .

(٢) يوم ذى طُلُوح (١) : أقام رجل من تميم يدعى عُمَيْرة بن طارق اليربوعى فى بنى عِجْلِ بنِ لُجَيْم البكريين ، وكان متزوجا منهم . وشعر عُميرةُ ذات يوم أن بنى بكر يعتزمون غزو أهله تميم . ولما كان البكريون قد أخذوا حِذْرَهم من عميرة ، إذ وَكَلُوا به رجُلا منهم يدعى حُرقصة بن جابر – أخو زوجته – فقد احتال عميرة على حُرْقُصَةَ حتى أفلت مسرعا إلى قومه ، فأنذرهم . فبعث بنو تميم عيونهم ليستيقنوا الخبر . فلما تيقَّنُوا ، جمعوا أمرهم وفاجئوا البكريين وهم مقيمون بموضع يقال له ذِى طُلُوحٍ ، فأحاطوا بهم إحاطة السِّوار بالمِعْصَم ، وقاتلوهم وهزموهم ، وأسروا منهم خلقا كثيرين ، وغنموا غنيمة عظيمة . وكان من أسراهم فى هذا اليوم رأس بنى بكر الحارِثُ بْنُ شَرِيكٍ ، وهو الحَوْفَزَان .

(٣) يوم جَدُود (٢) : وأما ما كان من يوم جَدُودٍ فَيُرْوى أن

---

(١) انظر : النقائض . طبع ليدن ص ٤٧ ، ٧٣ ، ٤٨١ .
ابن عبد ربه : العقد الفريد ٥/١٨٨ وما بعدها .
ابن الأثير الكامل فى التاريخ ١/٣٨٩ .
محمد جاد المولى وآخرين : أيام العرب فى الجاهلية ص ١٨٤ .

(٢) انظر ، النقائض . طبع ليدن . ص ١٤٤ وما بعدها .
ابن عبد ربه : العقد الفريد ٥/١٩٩ ومابعدها .
ابن الأثير : الكامل فى التاريخ ١/٣٧١ ، ٣٧٢ .
جورجى زيدان : العرب قبل الإسلام ص ٢٣٣ .
محمد جاد المولى وآخرين : أيام العرب فى الجاهلية ص ١٧٨ وما بعدها .

بنى شيبان بقيادة الحارث بن شَرِيك الشيبانى (الحَوْفَزان) ، وبنى عِجْلٍ بقيادة أَبْجَرِ بن جابِر العِجْلى ... خرجوا متساندين للإغارة على بنى تميم . وحين مروا ببنى يَرْبُوع – وهم فى جَدُود – تنبهوا إليهم ، وحالوا بينهم وبين الماء ، وأرادوا قتالهم . ويبدو أن الحَوْفَزان البكرى رأى أن كفة يربوع ستكون راجحة إذا اشتبك معهم ، فأقسم لهم أنه لم يأت لقتالهم ، وإنما أراد بنى سعد بن زيد مناة !! وعرض عليهم أن يلزموا ديارهم وألا يشتركوا فى قتال بكر ، ولهم عليه أن يوادعهم فلا يروع حَنْظَلِيًّا ولا يقاتله ، ودفع إليهم الحوفزان فضلا مما كان معه من تمر وثياب . وتصالح القوم على ذلك ثلاث سنين .

ومضى البكريون إلى بنى سعد بن زيد مَناة فأغاروا على ديار بنى رُبَيْع بن الحارث ، فأسروا نساءهم ، وغنموا إبلهم . فأتى الصريخُ بنى سعد . فركبوا بقيادة فارسهم قيس بن عاصم ، وسرعان ما أتاهم الأَهْتَمُ بخبر القوم ، فأغاروا عليهم وقد أمنوا أن يطلبهم أحد ، ودارت الدوائر – بعد قتال شديد – على بنى بكر . واستنقذ بنو سعد نساءهم ونَعَمَهُم ، وكاد قيس بن عاصم أن يأسِرَ الحَوْفَزان الذى أفلت منه ومن ضربة رمحه التى حَفَزَتْهُ عن سرجه . ويروى أنه سُمِّىَ لذلك بالحَوْفَزان .

(٤) **يوم الإياد** (١) : ويقال له يوم العُظالَى ، ويوم الأُفاقَةِ ، ويوم

---

(١) انظر : النقائض . طبع ليدن . ص ٥٠٨ وما بعدها .

ابن عبد ربه : العقد الفريد ١٩٢/٥ وما بعدها .

ابن الأثير : الكامل فى التاريخ ٣٧٢/١ وما بعدها .

جورجى زيدان : العرب قبل الإسلام ص ٢٣٤ ، ٢٣٥ .

لويس شيخو : شعراء النصرانية ص ٢٥٩ .

محمد جاد المولى وآخرين : أيام العرب فى الجاهلية ص ١٩١ .

أَعْشَاش ، ويوم مُلَيْحَة . ويروى أنه سمي يوم العُظالى لأن أربعة من أكابر بكر تعاظلوا (١) على الرئاسة ، وهم : بِسطام بن قيس ، وهانئُ بنُ قَبِيصَة ، وَمَفْرُوق بن عمرو (٢) ، والحَوْفَزان . ومن أخبار هذا اليوم أن بنى يَرْبوع — من تميم — كانوا يقضون الشتاء فى موضع يسمى جُفاف ، ثم يَنْتَجِعُون السهل بعد انتهاء الشتاء ، وكانت بكر تعلم ذلك . فتجمَّعَ البكريون يتوقعون انحدار بنى يربوع فى السهل فى هجرة جماعية . وكعادة العرب بدأوا بِبَثِّ العيون لمعرفة أخبار القوم ، ومواقعهم وفرسانهم ، مَنْ غابَ وَمَنْ حَضَرَ . وعرفوا أن عشيرة بنى زُبَيْد اليربوعية فى الحُدَيْقَةِ وهم نحو خمسين رجلا ، بينهم فارسهم أُسَيْدُ بن حِنَّاءَة . وأن بنى عُتَيْبَةَ وبنى أَزْنَم ، قد نزلوا رَوْضَةَ الثَّمد . وأن بقية العشائر مازالوا فى جُفاف لم يبدأوا رحلتهم بعد .

وكان رأى بِسطام بن قيس البكرى أن يُغِيرَ القوم على بنى زُبَيْدٍ لبُعدهم عن بقية عشائر يربوع وأن يكتفِيَ بهذه الغارة وما يغنمونه منها ، لِمَا عرفه من يقظة أُسَيْد بن حِنَّاءة اليربوعى ومراقبته الشديدة لديار قومه ، وفوق ذلك فروسيته . ولم يوافقه على هذا الرأى كل من هانئ بن قَبِيصَة ومفروق بن عمرو بل وَجَبَّنَاهُ . ولم يجد بِسْطام بُدًّا من أن يوافق القوم على الإغارة على عشائر بنى زُبَيْدٍ وبنى عُبَيْدٍ وبنى عُتَيْبَةَ . وكان ما توقعه بِسطام ، فقد أَفْلَتَ أُسَيْدُ بن حِنَّاءَة من الكمين الذى أُعِدَّ لمنعه

---

(١) تعاظلوا تدافعوا .

(٢) هو مَفْرُوق بن عمرو بن هانئ بن مسعود الشيبانى ، ويقال لعمرو بن هانئ ابن مسعود : أبو مفروق .

من تحذير قومه . وتنبه بنو يربوع ، واشتبكوا مع المغيرين فى معركة حامية كتب لهم فيها النصر على بنى بكر ، كما تمكنوا من أسْرِ بِسطام بن قيس .

(٥) **يوم عاقل** (١) : يروى أن الصِّمَّةَ الجُشَمِىَّ – من بكر – أغار على بنى حَنْظَلَةَ – من تميم – وهم مقيمون بموضع يقال له عاقِل (٢) . فدارت الدائرة على بنى جُشَم وأُسِرَ الصِّمَّةُ على يد أحد فرسان حَنْظَلة يدعى الجَعْد بن الشَّمَّاخ .

ولما كان من عادة العرب فى الجاهلية أن يَفْدِىَ الأسير نفسَهُ بمالٍ يؤديه ، وكان الصِّمَّةُ قد أبطأ فى فداء نفسه ، فقد جَزَّ الجَعْدُ ناصيته على أن يؤدىَ له الفداء بعد ذلك . وذهب الجَعْدُ ذات يوم إلى الصِّمَّة مطالبا بحقه فى الفداء ، فغدر به الصمة وضرب عنقه . ودارت الأيام ، وغزا الصمة بنى حنظلةَ مرة أخرى ، فهزمه بنو حنظلة ، وأسره الحارثُ بن بَيْبَة المجاشعى . واستطاع رجل من بنى يربوع – وهو أبو مَرْحَبٍ ثعلبةُ بن الحارِث من بنى حَنْظلة – أن يثأر للجَعْد ، إذ أخذ سيفه وقتل الصِّمَّة الذى كان قد أجاره الحارث بن بَيْبَةَ – من بنى مالك من تميم – حين أسره . وكادت الحرب أن تشتعل بين بنى تميم لولا أن تدخل مُصْعَبُ بن أبى الخير التميمى ، فأصلح بينهما عارضا أن يَغْرَمَ فِداءَ حق الإجارة الذى أهدره أبو مرحب .

---

(١) انظر ، النقائض . طبع ليدن . ص ١٠١٩ .
محمد جاد المولى وآخرين . أيام العرب فى الجاهلية ص ٢١٥ .

(٢) عاقل : واد بنجد .

(٦) **يوم الغبيط** (١) : وكان يوم الغَبِيطِ (٢) بين بنى شيبان من بكر ، وبين بنى يربوع من تميم . ومن خَبَرِه أنّ بِسطام بن قيس ، والحَوْفَزان ، ومفروق بن عمرو – وقيل بِسطام والحوفزان وأخوه الأسود بن شَرِيك – خرجوا فى جمع من بنى شيبان ، لغزو أرض تميم ضمن سلسلة غزواتهم المتتالية ، فأغاروا على عشائر من تميم كانوا متجاورين فى صحراء فَلَج ، واكتسحوا إبلهم . فبلغ الخبر رؤساء بنى يربوع ، فركب فرسانُهم صهواتِ الجِيَاد ، وأحاطوا ببنى شيبان عند غَبِيطِ الْمَدَرَةِ ، وقاتلوهم ، وهزموهم ، واستردُّوا ما استاقه الشيبانيون من الإبل .

ويروى أنّ بِسطام بن قيس الشيبانى أُسِرَ فى هذا اليوم ، أسره عُتَيْبَة ابن الحارث اليربوعى . وحاول بعض فرسان يربوع حمل عُتَيْبَةَ على قتل بِسطام وفاءً بدم أبى مَرْحَبٍ ثعلبةَ بن الحارث فى هذا اليوم ، ودَمِ مُلَيْلٍ وبُجَيْرٍ ابنى أبى مُلَيْلٍ اللذين قتلهما بِسطام يوم قُشَارة . ويبدو أن عُتَيْبَةَ قد آثر الفداء ، فأطلق سراحه بعد أن أخذ منه ثلاثمائة بعير وحِدْج (٣) أمِّ بِسطام ، وبعد أن جَزَّ ناصيته وعاهده على ألّا يَغْزُوَ بنى شِهاب

---

(١) انظر ، النقائض . طبع ليدن ص ٣١٣ ، ١٠٦٨ .

ابن عبد ربه : العقد الفريد ١٩٦/٥ وما بعدها .

ابن الأثير : الكامل فى التاريخ ٣٦٤/١ وما بعدها .

جورجى زيدان : العرب قبل الإسلام ص ٢٣٤ .

محمد جاد المولى وآخرين : أيام العرب فى الجاهلية ص ١٩٧ وما بعدها .

(٢) ويسمى غَبِيط المَدَرَة .

(٣) الحدج : مركب من مراكب النساء .

وهم قوم عُتَيْبَة . ويروى أن بِسطاما لم يفِ بهذا الوعد ، إذ أرسل عيونه بعد ذلك على عُتَيْبَة فأخبروه أنهم على إرَاب (١) ، فأغار عليهم ، وأخذ إبلهم ومالهم .

ويبدو أن هذه الوقعة كانت وقعة عظيمة ، حققت فيها يَرْبُوع بمفردها نصرا كبيرا ، فهذا جرير يفخر بأنها كانت لقومه دون مُجاشِع رَهْطِ الفرزدق ، فيقول (٢) :

ولاشَهِدَتْ يَوْمَ الغَبِيطِ مُجَاشِعٌ ولا نقلا منَ الخيلِ مِنْ قلتى نسر

(٧) أيام أُخر :

على أنّ هناك أياما أُخَرَ بين القبيلتين لم تتوسع المصادر فى سَرْدِ أحداثها ، ومنها هذه الأيام التى انتصرت فيها تميم على بكر : يوم الحائِر (٣) ، ويوم القُحْقُح (٤) ، ويوم رأسِ العَيْن (٥) ، ويوم مُخَطَّط (٦) – وكلها لبنى يربوع على بكر – ويوم الشقيقة (٧) وهو يوم نَقا الحسن (٨)

---

(١) إراب : من مياه البادية (معجم البلدان ١/١٨٠) .

(٢) الميدانى : مجمع الأمثال ٢/٤٠٢ .

(٣) النويرى : نهاية الأرب فى فنون الأدب ص ٣٨٥ .
والعقد الفريد ٥/١٩٠ .

(٤) نهاية الأرب ص ٣٨٥ والعقد الفريد ٥/١٩١ .

(٥) نفسه ص ٣٨٦ نفسه ٥/١٩١ .

(٦) نهاية الأرب ص ٣٨٩ .

(٧) المصدر نفسه ص ٣٩١ .

(٨) المصدر نفسه .

وكان لبنى ضَبَّةَ من تميم على بنى شيبان ، ويوم قَرَاقِر [١] لمجاشع على بكر ، ويوم سَفَوان لبنى مازن على بنى شَيْبَان [٢] .

أيام بكر والفرس :

لا نريد أن ينصرف إلى الأذهان أن معارك بكر فى الجاهلية — سواء ضد تغلب أو تميم أو الفرس — كانت معارك شاملة ، بمعنى أن تشترك كل بطون القبيلة فى كل وقعة من الوقَعات . وإنما نريد أن نشير إلى أننا لا نكاد نشك فى أن كل يوم من هذه الأيام كان لبطن أو أكثر دون بقية بطون القبيلة . وهذا ، لأن أيام العرب — فى أكثرها — كانت حروبا خاطفة — إن صح القول — يحرصُون فيها على توفر عُنْصُرِ المفاجأة .. وهذا يوم ذى قار — أهم أيام بكر فى الجاهلية — لم تشارك فيه كل البطون والعشائر البكرية ، وإنما كان هذا اليوم فى حقيقة أمره بين بنى شيبان والفرس [٣] . وهذا لا يمنع من مساعدة بطون أخرى من بكر لإخوانهم الشيبانيين . ولكننا لا نستطيع أن نزعم مشاركة البطون كلها فى هذا اليوم ، ذلك أن قبيلة بكر كانت منتشرة انتشارا عظيما فى رقعة كبيرة من اليمامة والبحرين إلى سواد العراق ، هذا الانتشار الذى استتبعه عدم وجود وحدة تَجْمَعُ القبيلة .. ومن هنا وجدنا بعض بطون بكر تعتنق المسيحية ، وبطونا أخرى تبقى على وثنيتها ... ومن هنا أيضا وجدنا بعض بطونها — بعد الإسلام — تحارب فى صفوف المثَنَّى بن حارِثَةَ

---

(١) القلقشندى : نهاية الأرب فى معرفة أنساب العرب ص ٤٥٨ .

(٢) النويرى : نهاية الأرب ص ٣٩٠ .

(٣) انظر ، مجمع الأمثال للميدانى ٣٩٨/٢ ونهاية الأرب للقلقشندى ص ٤٥٧ والكامل لابن الأثير ٤٨٩/١ .

الشيبانى ، والبعض الآخر يحارب فى صفوف الفُرس [١] ضد إخوانهم الذين حاربوا تحت لواء المثنى بنِ حارثةَ وخالدِ بن الوليد .

وبعد ، فهذه أيامَ بكر والفرس ومن والاهم من العرب :

(١) يوم أُوراة الأول [٢] : وهو للمنذر بن ماء السماء على بكر .

(٢) يوم زَرُود الأول [٣] .

(٣) يوم الجُبايات [٤] .

(٤) يوم غَوْل الثانى [٥] .

(٥) يوم ذِى قار [٦] .

---

(١) محمد حسين هيكل : الصديق أبو بكر . القاهرة ، دار المعارف ، الطبعة السابعة ص ٢٠٩ وما بعدها .

(٢) انظر ، ابن الأثير : الكامل فى التاريخ ١/٣٣٤ .
جورجى زيدان : العرب قبل الإسلام ص ٢٢٠ ، ٢٢١ .
محمد جاد المولى وآخرين : أيام العرب فى الجاهلية ص ٩٩ .

(٣) النويرى : نهاية الأرب ص ٤١٥ .

(٤) المصدر نفسه ص ٤١٧ .

(٥) المصدر نفسه ص ٤١٨ .

(٦) انظر ، ابن عبد ربه : العقد الفريد ٥ .
ابن الأثير : الكامل فى التاريخ ١/٢٨٥ وما بعدها .
القلقشندى : نهاية الأرب فى معرفة أنساب العرب ص ٤٥٧ .
الميدانى : مجمع الأمثال ٢/٣٩٨ .

على أننا سنقف عند أهم هذه الأيام ، وهو آخر أيام بكر فى جاهليتها ضد الفرس ، ونعنى به يوم ذى قار .

يوم ذى قار :

يذكر الرواة أن النبى ﷺ – وكان فى الأربعين من عمره (١) – قال حين بلغه ما كان من انتصار البكريين على جيش كسرى ملك الفرس (٢) : « هذا أول يوم انتصف العرب فيه من العجم وبى نصروا » .

فما قصة هذا اليوم الخالد فى تاريخ العرب ، والذى كان إرهاصا بارتفاع شأن العرب واكتساحهم دولتى الفرس والروم ؟ .

يزعم الرواة أن كسرى ملك الفرس ، كان قد رغب فى أن يزوج أحد أبنائه بإحدى بنات النُّعمان بنِ المُنْذِر . ولما كان عرب الجاهلية يأنفُون من تزويج بناتهم بالأعاجم ولو كانوا ملوكا ، فقد رفض النعمان . وكان هذا سببا فى غضب كسرى ، فأرسل فى استدعائه ، وأحس النعمان أن ملك الفرس لابد منتقم منه . فجمع أهله ، وماله ، وسلاحه ثم لَحِقَ بِجَبَل طيئ ، وكان متزوجا منهم ، فطلب أن يمنعوه وأهله ، فرفضوا ، خوفا من كسرى ومازال النعمان يمر على القبائل العربية ، فما قبله أحد ومازال حتى نزل ذى قار فى بنى شيبان بن بكر سرا ، فلقى هانئ بن مسعود الشيبانى – وكان سيِّدًا منيعا – فأودع عنده أهله ، وماله ، وأربعمائة دِرْع ، وقيل ثمانمائة .

---

(١) وقيل فى عام بدر . انظر ، نهاية الأرب للقلقشندى ص ٤٥٧ .
(٢) ابن الأثير : الكامل فى التاريخ ١ : ٢٨٥ .

وتوجه النعمان إلى كسرى الذى حبسه إلى أن مات . وولى الحيرة مكانه إياسُ بن قَبيصَة الطائى ، وطلب منه أن يجمع ما خلفه النعمان من مال وسلاح ، ويرسله إليه . فبعث إياس إلى هانئ بن مسعود الشيبانى يأمره بإرسال ما استودعه النعمان . فلما أبى هانئ ، غضب كسرى غضبا شديدا ... وكان عنده النعمان بن زُرْعَةَ التغلبى ، وهو يحب هلاك بكر بن وائل ، لِمَا كان بين القبيلتين من حروب . فقال لكسرى : أمهلهم حتى يَقِيظُوا ويتساقطوا على ماء ذى قار تساقط الفَراش فى النار ، فتأخذهم كيف شئت .

فَصَبَرَ كسرى حتى وَرَدَتْ بكرُ ماء ذى قار ... ثم أرسل إليهم النعمان بن زُرْعَةَ يُخَيِّرُهُمْ واحدة من ثلاث :

إما أن يُعْطُوا بأيديهم !

وإما أن يتركوا ديارهم .

وإما أن يُحاربوا ..

ونظر بنو بكر – شيبان وعِجْل – فى الأمر مَلِيًّا ، وقد وَلَّوْا أمرهم هانئ بن مسعود الشيبانى وحَنْظَلَةَ بنَ ثعلبةَ العِجْلِىّ . وسرعان ما استقر رأى القوم على الحرب . فَسَيَّرَ إليهم كسرى جيشا كبيرا على رأسه إياس ابن قبيصة أمير الحيرة الذى انضم تحت لوائه مَرازِبَةُ الفُرس ، وفرسانهم ، وغيرهم من قبائل العرب من مثل : تَغْلِب ، وإياد ، وقيس بن مسعود بن قيس ذى الجَدَّيْن :

وقسَّم هانئ بن مسعود الشيبانى دروع النعمان وسلاحه على

قومه من بنى بكر . واشتعلت الحرب بين الفريقين يوما . ثم أرسلت قبيلة إياد يعرضون على بكر أن يَنْفَضُّوا من حول إياس والفرس . وقالوا لبنى بكر : إن شئتم هربنا الليلة ، وإن شئتم أَقَمْنَا ، ونَفِرُّ حينَ تُلاقُون الناس .

وكان طبيعيا أن تختار بكر الثانية ، وهى أن تُقِيمَ إياد حتى يلتقىَ الجمعان ، ثم تبدأ فى الفرار ، فيكون ذلك أشد وَقْعا فى قلوب الفرس ومَنْ معهم من العرب .

ونفذت إياد ما اتفقت عليه مع بكر . فما إنِ اشتبك الفريقان ، وما إنْ حملت بكر على قلب الجيش وفيه إياس بن قبيصة الطائى حتى ولت إياد منهزمة – كما وعدتهم – فانهزمت الفرس .. وأتبعتهم بكر ، تقتل ولا تلتفت إلى سلب وغنيمة . فتحقق لها ذلك الانتصار الحاسم الذى يعد أول انتصار للعرب على العجم كما روى عن رسول الله ﷺ .

(٤)

حياتهم الاقتصادية

المجتمع البكرى – شأنه شأن المجتمع العربى فى الجاهلية – بَدْوٌ وحَضَر ، فكثيرا ما نجد قبيلة واحدة تحيا الحياتين معا (١) : بطونٌ يَطِيبُ لها المقام فى أرض ذات ماء وزروع وخيرات ، وبطون أخرى من القبيلة نفسها لا يهدأ لها قرار ، انتجاعا لمواطن الكلإ ، ووسائل العيش للحيوان والإنسان معا .

---

(١) انظر ، عرام بن الأصبغ السلمى : كتاب أسماء جبال تهامة وسكانها . تحقيق عبد السلام هارون سنة ١٣٧٣ هـ . والنقائض (ليدن) ص ٧٢٨ .

ولا نكاد نطمئن إلى استقرار بطن بكاملها من بطون بكر ، إلا ما كان من أمر بنى حنيفة واستقرارهم فى اليمامة ، فهذا ما تُجمع عليه المصادر المختلفة . أما بنو عِجْل ، فكان منهم المُتَبَدِّى والمتحضِّر . وكذلك بنو شيبان ، من مثل : ذُهْل بن شيبان ، وبنى هَمَّام بن مُرَّةَ ، وقيس بن ثعلبة بن عُكَابة .

ويذكر ابن حبيب فى « المُحَبَّر » عددًا من أبناء وائل أسماهم بذوِى الآكال ، « وهم أشراف كانت الملوك تُقْطِعُهم القَطائِع » (١) ، ومنهم : قيس بن مسعود بن قيس من بنى هَمَّام بن مُرَّة الشيبانى ، ويُروى أن كسرى أطْعَمَهُ الأُبُلَّة وثمانين قرية من قراها (٢) . ويزيد بن مُسَهِّرِ بن أصْرَم بن ثعلبة بن سعد بن هَمَّام ، والحارث بن وَعْلَةَ بن المُجالِد من بنى ذُهل بن ثعلبة بن عُكابة (٣) .

أما بنو ضُبَيْعَةَ ، فيذكرون من مواضعها باليمامة « مَنْفُوحَة » وهى قرية مشهورة كان يسكنها الأعشى ، وكانت لبنى قَيْس بن ثعلبة بن عُكَابَةَ (٤) .

وأما بنو عِجْل ، فكان منهم حَضَرٌ استقروا فى أرض السَّوَاد ، ومنهم من كان مُتَبَدِّياً مُنْتَجِعًا مواطِنَ الكَلإِ ، ومُغِيرًا على أطراف مملكة

---

(١) المُحَبَّر . بيروت . المكتب التجارى ص ٢٥٣ .

(٢) المصدر نفسه .

(٣) المصدر نفسه .

(٤) جواد على : المُفَصَّل فى تاريخ العرب قبل الإسلام ٤ : ٢١٣ .

فارس طلبا للعيش مع إخوانهم المُتَبَدِّين من بنى شَيْبان ، إذ يُروى أن سُوَيْدَ بْنَ قُطْبَةَ العِجْلى ، والمثنى بنَ حارثةَ الشيبانى « كانا يُغيران على الدَّهَاقِين فيأْخُذَان ما قَدِرَا عليه ، فإذا أمعنا فى البَرِّ فلا يتبعهما أحد ، وكان المثنى يغير من ناحية الحِيرة ، وسُوَيْدٌ من ناحية الأُبُلَّة » (١) .

وكان أهل البادية — أو أهل الْوَبَرِ (٢) — يعيشون حياتهم فى حِلٍّ وتَرْحَال لا يهدأ لهم قرار ، وكيف يكون الاستقرار فى أرض قاحلة لا نبت فيها إلا فى مواقع الغيث التى سريعا ما تَسْتَحِيلُ بفعل الرعاة ، لانْتِجَاعِهِم الدّائب هذه المواطن ، يَذْرَعُونَ مُحِيطا هائلا من الصحارى والفَلَوَات ، لا ينقذهم فيها من الهلاك إلا سقوطُ المطر ، ومن هنا سَمَّوه غَيْثًا وحَيًا ، فهو الذى يُغِيثُهم من الموت ، وهو الذى يَهَبُ لهم الحياة بأمر الله . فإذا عَزّ المطر ونَدَر ، هلك الزَّرْعُ والضَّرْعُ وأمسك الفناء بِتَلابِيبِهم .

هذا النوع من البيئة هو الذى حدَّدَ نوع معيشتهم ، فهم دائما راحلون ، لا حُبًّا فى الرحلة ، ولكن بحثًا عن الاستقرار . فمن عثر عليه سَكَنَ واستقر ، وعَضَّ على موقعه الجديد دفاعا عن حياته وبقائه . ومن لم يَعْثُر عليه ذَرَعَ الصَّحْراء ما شاءت له أنْ يَذْرَع ، يتهدده الفقر مُكَشِّرًا عن أنيابه أنَّى حَلَّ أو رَحَل .

وليس صَعْبًا أن نتصور طعام أهل البادية ، فماذا فى الصحْراء سوى الأَسْوَدَيْن — الماء والتَّمْر — وهما مُنَى كُلّ بَدَوِىّ (٣) — هذا إذا

---

(١) المرجع السابق ٤ : ٢٢٣ .

(٢) لأن لهم أَخْبِيَةً من الْوَبَر ، تمييزا لهم عن أهل الحَضَر أو أهل الْمَدَرِ الذين لهم أبنية من المَدَر أى من الطين اليابس .

(٣) انظر فِيليب حِتّى وآخرين : تاريخ العرب مُطَوَّل ١ : ٢٣ .

استثنينا لحم الإبل وألبانَها – وقد يَعَضَّهُ الجوع بنابِهِ ، فيأكل الجَراد [١] والضَّبّ واليَرْبُوع والوبر [٢] .

وهذا النوع من البيئة أيضا ، هو الذى حدد نوع حيوانيهم ... فالجمل دون رَيْبٍ هو بالنسبة لهؤلاء البدوِ أعظم الحيوانات نَفْعًا [٣] ، ولولاه لما كانت البادية صالحة للسكنى ، ومن هنا نُسِبوا إليه ، فهم أهل الوبر . فالخَيْمَةُ والْكِسَاءُ من وَبَرِه ، وهو الرفيقُ الصبورُ على المشقَّةِ والعطش حين يَدْرَعُون لهيب الصحارَى . ومن هنا أيضا كان الجمل مقياسا لِقِيَمِ الأشياء عندهم ، فهو النَّقْدُ الذى يتبادلون به السِّلَع ، وهو مَهْرُ العروس ، ودِيَةُ القتيل ، وهو غِنَى الشَّيْخ . فلا عجب إذًا أَنْ عَشِقُوا هذا الحيوانَ وتغنى به شعراؤهم ، فنعتُوه نَعْتا دقيقا [٤] ، وكأنهم يُمَتِّعون أبصارَهم بالنظر إليه مَلِيًّا ، كما تبحث عين العاشق عن مفاتن الحبيبة .

ولم يكن فيما يملكونه من حيوان أو نبات يكَافِيهِمْ – دائما – مُؤُونَةَ الحياة ، ومن هنا سَلَكُوا سبيلا آخر من سُبُل العيش : وهو الإغارةُ للسَّلْب والنَّهْب ، فأغاروا على أعدائهم ، ابتغاء الرزق والثأر معا – وما أكثر العداء فى هذا المجتمع – فإذا عَزَّ العَدُوُّ واشتد ، نهبوا من يَلْقَوْنَهُ فى الصَّحْراء منفردا ، وسلبوه ماله ومتاعه وزَوْجه . على أننا ينبغى أن

---

(١) المرجع نفسه ١ : ٢٤ .

(٢) أحمد أمين : فجر الإسلام . ط ١١ سنة ١٩٧٥ . ص ٩ .

(٣) تاريخ العرب مطول ١ : ٢٦ .

(٤) انظر نعت طرفة بن العبد لناقته ، فى معلقته .

نقيد هذا الحديث بعض الشيء ، فنعترف لهؤلاء الناس أنهم لم يكونوا يَسْلُبُون العابِرَ وهو فى حِماهُم ، وكيف يسلبون الضيف أو الجار ؟ وقد أنبتت هذه البيئة فى خلقهم فضيلة الكرم ، وحُسْنَ الجِوار .

كما سلك القوم سبيلا ثالثا للبحث عن الرزق ، فاتصلوا بأهل الشام ، وأهل العراق ، يستعينون بما يكتسبون على جَدْبِ أرضهم وقسوة إقليمهم [١] .

أما أهل الْمَدَرِ – أو الحَضَر – البكريون ، وحضر الجزيرة العربية عامة ، فلا شك أنهم كانوا أرق من أهل الوبر كثيرا . وإذا كان الحَدُّ الفاصلُ بين الحضارة والبداوة – فى هذه البيئة – رقيق دقيق ، فقد اختلف – داخل هذه الدائرة – نمط الحياة بين بادِى البكريين وحاضرهم ... وإذا كان من طبيعة أهل الحضر الاستقرار فى أرض تكون وطنا ثابتا ، ومُقَاما يُقِيمُون فيه ، ويحبونه ، ويموتون فى سبيل الدفاع عنه .. فقد استقرت بطون وعشائر من بكر فى اليمامة وسَواد العراق [٢] ، ولعل سكانَ اليمامة أوضحُ صورة من سِواهم ، فاليمامة من الأماكن الخصبة فى جزيرة العرب ، وبها وادى حَنِيفَةَ الذى اشْتُهِرَ بكثرة مياهِهِ [٣] ، ويذكر أهل الأخبار أن اليمامة كانت من « أحسن بلاد الله أرضا وأكثرها خيرا وشجرا ونخلا » [٤] ... ومن هنا طاب لبنى حَنِيفَةَ – ومن جاورهم من

---

(١) أحمد أمين : فجر الإسلام . ص ١٠ .

(٢) انظر ، النقائض (ليدن) ص ٧٢٨ .

وفجر الإسلام ص ١٨٠ .

ومصادر الشعر الجاهلى وقيمتها التاريخية ص ٦ .

(٣) تاج العروس مادة يمم . وجواد على : تاريخ العرب قبل الإسلام ٢١٦/٤ .

(٤) تاج العروس مادة يمم .

البُطُونِ والعَشَائِر البكرية الأخرى (١) – المُقام فيها ، ودافعوا عنها الدفاع الشديد ، ضد حسد الحاسدين ، حتى اشتُهِروا بالقوة والْمَنْعَةِ ، وقيل إنهم يَعْدِلُون بَكْرا كلَّها (٢) . ويبدو أنهم حَرَصُوا على عَلاقة حسن الجوار مع الفُرْس ... وكيف لا يحرِصُون على ذلك ، وهم مستقرون على حدودهم ، وهم أحوج ما يكونون إلى أرض اليمامة ؟ وقد رُوِىَ أنَّ كِسْرَى أَقْطَعَ هَوْذَةَ بْنَ علىٍّ الحَنَفِىّ – ممدوح الأعشى – أموالاً بِهَجَر ، وأنه قلَّده تاجًا من تيجانه ، وذلك لأن هَوْذَةَ كان يحمى العِيرَ المحمَّلة بهدَايا كِسْرَى وأمواله المرسلة إليه من اليمن (٣) . ومثل هذا المجتمع المتحضر والمترف – بمقياس عصره وبيئته – والمستقر ، لابد أن يُؤْثِرَ السلامة فى علاقته بالآخرين . فهو لا يطمع فيما بين أيديهم ، فقد كَفَتْهُ بيئتُه مُؤُونَةَ الإغارة وسيلةً للعيش ، كما أنه لا يطمح فى إثارة العداوة والبغضاء مع القبائل المتبدية الأخرى فى الجزيرة العربية ، ومن هنا لا نجد لبنى حنيفة تاريخا حربيا يضارع تاريخ إخوانهم بنى شيبان .

* * *

---

(١) من مثل : ذهل بن ثعلبة (جواد على ٤ : ٢٢٤) .

(٢) الجاحظ : الحيوان ٤/٣٨٠ وما بعدها .

(٣) جواد على : تاريخ العرب قبل الإسلام ٤ : ٢١٤ .

الفصل الثانى

مصـــادر شعر بنى بكـــر

(١)

توثيق الشعر الجاهلى

لا يكاد الباحثون يختلفون على أنه قد دخل فى الشعر الجاهلى موضوع أو منتحل كثير . وقد أشار القدماء إلى هذه القضية — قضية الانتحال (١) — كما لفتت أنظار الدارسين المحدثين من المستشرقين والعرب . وكانت آراء محمد بن سَلَّام الجُمَحِيّ (المتوفَّى ٢٣١ هـ) المعالمَ الهاديةَ لكل هؤلاء .

بدأ ابن سَلَّام (٢) فأشار إلى أسباب ما تعرض له الشعر من فساد ، فبيَّن أسباب وضْع الشعر أو نَحْلِهِ ، ثم أسبابَ تداول هذا الشعرِ الموضوع أو المنحول من كتاب إلى كتاب ، فرد أسباب هذا الوضع إلى عوامل ثلاثة :

---

(١) تتردد فى هذا المجال كلمات ثلاث : النَّحْل ، والانتحال ، والوضْع . النحل : أن يَنْحِلَ الرجلُ شعر شاعر بعينه إلى رجل أو شاعر آخر ، أى ينسب إلى الشاعر أو الرجل شعرا لم يقله وإنما نظمه غيره . والانتحال : أن ينسب الشاعر أو الرجل إلى نفسه شعر غيره . أما الوضع : فهو أن ينظم الرجل الشعر ثم ينسبه إلى غيره .

(٢) انظر مقدمة كتابه : « طبقات فُحُول الشعراء » .

(١) قِدَم العهد بالشاعر وفُحُولَتِه ، إذ تتساقط قصائده مع مرور الأيام ، ولا يبقى لمدة أطول إلا أجودُها ... فإذا كان الشاعر فَحْلاً أَغْرَى ذلك الوَضَّاعِين ، فَيَزِيدُون فى أشعاره ، جَرْياً وراء شهرته وقُرْبها من آذان السامعين وقلوبهم .

(٢) تَزَيُّد القبائل فى شعر شعرائها ، ليفخروا بذلك ، نظرا لمكانة الشعر والشعراء فى العصر القديم .

(٣) عامل الرواة الوضاعين الذين كانوا يتعمدون الوضع والكذب اجتلابا للمنفعة .

ثم رد ابن سلام أسباب انتشار هذا الشعر الموضوع ، وانتقاله من جيل إلى جيل ومن كتاب إلى كتاب – حتى اختلط الأمر على جمهور المتعلمين ، وعلى العلماء أحيانا ، فلا يكادون يقفون على وجه الصحة والخطأ فيه . رد ابن سلام ذلك إلى اقتحام غير المتخصصين – من أهل التاريخ – ميدانَ الشعر وروايته . ويضرب لذلك مثلا بمحمد بن إسحاق الذى كان أكثرُ عِلْمِهِ بالمَغَازِى والسِّيَرِ ، فَضَمَّنَ مَغازِيه وسِيَرِهِ أشعارا موضوعة . وحين لاحظ العلماء ذلك نبهوه إليه ، فاعتذر بقوله : « لا عِلْمَ لى بالشعر أُوتَى به فأحملُه » .

وابن سلام يدرك خطورة ما صنعه ابن إسحاق ، وهى خطورة لا يجدى معها الاعتذار نفعا ، إذ هو اعتذار مصطَنَع ، لأنه أورد أشعارا لا يَحْتاج الوقوفُ على وجه الصحةِ فيها إلى علْمٍ بالشعر ، وإنما يحتاج الأمر إعمال العقل ، ومن هنا عاب ابن سلّام على ابن إسحاق أنه « كتب فى السِّيَرِ أشعار الرجال الذين لم يقولوا شعرا قط ، ثم جاوز ذلك

إلى عاد وثمود ، فكتب لهم أشعارا كثيرة ، وليس بشعر ، وإنما هو كلام مُؤَلَّف مَعْقودٌ بقوافٍ » (١) ومن هنا قال ابن سلام : « ولم يكن ذلك له عذرا » .

كما ينبه ابن سلَّام إلى أن الكثيرين من مصنفى الكتب قد وقعوا فيما وقع فيه ابن إسحاق ، حين تداولوا هذا الشعر الموضوع من كتاب إلى كتاب دون تَدَبُّرٍ لوجه الصحة فيه ، وكأنما كان هدفُهم حَشْوَ مُصَنَّفاتِهم حشوا بما يصل إليهم من أخبار أو أشعار تتصل بما يتحدثون عنه .

أما مرجليوث – أكثر المستشرقين إثارة (٢) – فقد كتب مقالا مفصلا نشره فى مجلة الجمعية الملكية الأسيوية سنة ١٩٢٥ م جعل عنوانه « أصول الشعر العربى » (٣) . وقد انتهى إلى اعتبار القرآن بداية الفن الأدبى عند العرب ، وأن الشعر العربى أسلوب متطور من الأسلوب القرآنى ، وبالتالى فقد ذهب إلى إنكار الشعر الجاهلى كله .

---

(١) المصدر نفسه ص ٥ .

(٢) انظر فى العرض التاريخى لقضية الانتحال المصنفات التالية على سبيل المثال :

شوقى ضيف : العصر الجاهلى . القاهرة . دار المعارف . ط ٦ ص ١٦٤ وما بعدها .

بلاشير : تاريخ الأدب العربى . بيروت ، دار الفكر . تعريب الدكتور إبراهيم كيلانى سنة ١٩٥٦ . ص ١٧٥ وما بعدها .

ناصر الدين الأسد : مصادر الشعر الجاهلى وقيمتها التاريخية . القاهرة . دار المعارف . ط ٤ ص ٣٥٢ وما بعدها .

(٣) انظر ، مصادر الشعر الجاهلى ص ٣٥٨ وما بعدها وفيه ترجمة لمقال مرجليوث وعليه اعتمدت .

وحينما نظر مرجليوث فيما وصل إلينا من الشعر الجاهلى ، كانت له عدة ملاحظات أهمها :

(١) الشك فى وسائل حِفْظِ الشعر فى الجاهلية ، سواء كانت الرواية الشفوية أو الكتابة ، ورفض القول بوجود رواة احترفوا رواية هذا الشعر وحفظه عن طريق الذاكرة .

وقد رد كثير من الباحثين على هذا الزَّعْم ، منتهين إلى أن ذيوع شعر الشاعر إنما يقوم فى المقام الأول على الرواية الشفوية (١) ، وأن رواية هذا الشعر الجاهلى استمرت حَيَّةً نَشِطة من الجاهلية إلى أن دُوِّنَ نهائيا فى العصر العباسى (٢) .

(٢) ما يلاحظه من أن لغةَ الشعر الجاهلى ذاتُ وَحْدَةٍ ظاهِرة ، وهى نفس لغة القرآن الكريم التى أشاعها فى العرب ، وما يلاحظه من عدم وجود أثَرٍ لاختلافات اللهجات بين القبائل ، أو اختلافات لغة القبائل الشمالية العدنانية واللغة الحميرية فى الجنوب ، وهو الأمر الذى دَحَضَهُ كثير من الباحثين الذين رأَوْا : « أن اللغة الفصحى – لغة القرآن – كانت سائدة فى الجاهلية وأن الشعراء منذ فاتحة هذا العصر الجاهلى كانوا ينظمون بها ، وأنها كانت لهجة قريش وسادت لأسباب دينية واقتصادية وسياسية (٣) .

---

(١) انظر ، المرجع السابق . الباب الثالث ص ١٨٨ – ٢٨٣ .

(٢) انظر ، شوقى ضيف : العصر الجاهلى ص ١٦٨ .

(٣) المرجع السابق .

(٣) أن هذا الشعر الجاهلى – الذى قرأه – لا يمثل حياة الوثنيين أو النصارى ، وإنما يمثل المسلمين والإسلام . وقد دفع المستشرق بروكلمان عن الشعر الجاهلى هذه الفِرْيَة حين أشار إلى أن هناك أشعارا للجاهليين تشتمل على أسماء الأصنام وعبادتها (١) . على نحو ما نجده من أشعار فى كتاب الأصنام لابن الكلبى .

وكان طه حسين أبرز العرب المُحْدَثين وأكثرهم إثارة فى تناوله هذه القضية – قضية الانتحال – فقد استطاع عرض آراء مرجُليوث بأسلوب أخّاذ ، وإن اختلف عنه فى أمر مهم : إذ ينفى مرجليوث وجود شعر جاهلى فى حين أن طه حسين يعترف بوجود شعر جاهلى ، ولكنه قليل بالنسبة إلى ما وضعه الرواة على ألْسِنَة الشعراء الجاهليين . يقول (٢) :

« إنَّ الكثرة المطلقة مما نسميه أدبا جاهليا ليست من الجاهلية فى شيء وإنما هى مَنْحُولةٌ بعد ظهور الإسلام ، فهى إسلاميةٌ تمثل حياة المسلمين وميولهم وأهواءهم أكثر مما تمثل حياة الجاهليين » .

والحق أن بحث كل من مرجليوث وطه حسين قد غلب عليه الطابع الذاتى (٣) مما أدّى إلى تجسيم القضية ، وإظهارها فى غير حجمها . أما الباحثون الذين تولوا الرد على المتشككين فى صحة الشعر الجاهلى ، فقد اتسمت أكثر ردودهم بالموضوعية إلى حد كبير ، فقد

---

(١) تاريخ الأدب العربى ٦٦/١ .

(٢) فى الأدب الجاهلى ص ٦٥ .

(٣) بلاشير : تاريخ الأدب العربى ص ٢٢ .

سَلَّمُوا بوجود موضوعٍ كثيرٍ فى هذا الشعر [١] ، وأشاروا إلى أن القدماء هم أول من نَبَّهَ إلى ذلك وأن هذا الشعر الموضوع لم يكن غائبا عنهم ، فقد عرضوه على نقدٍ شديدٍ وأحاطوه بِسِياجٍ مُحْكَم من النقد الداخلى والخارجى .

(٢)

مقاييس توثيق الشعر الجاهلى

مقياس القدماء

إذا جعلنا ابن سلام [٢] مثالا للقدماء ، فإننا نلاحظ أنه يُخْرِجُ من دائرة البحث لونين من الشعر :

أولهما : مقبول ، لا شك فيه ، وهو ما أجمع العلماءُ الرواةُ على صحته ، وهو كثير فى الشعر الجاهلى – كما يقول ابن سلام – ويدخل فى هذا الإطار ما وُجِدَ من الشعر فى ديوان الشاعر أو دواوين القبائل ، حيث دون هذه الدواوين الثقاتُ من العلماء الرواة .

وثانيهما : مرفوض ، لا شك فى رفضه ، وهو تلك الأشعار الموضوعة والمنسوبة إلى من يُسَمَّوْنَ بالعرب البائِدَةِ ، مثل : عادٍ وثَمُودَ ، ومثلها تلك الأشعار التى تنسب إلى آدم وإبليس والملائكة والجن .

أما ما يخضعه ابن سلام لدائرة البحث فهو ذلك القدر القليل من الشعر الجاهلى الذى لم يُجْمِعْ عليه العلماء وإنما اختلفوا فيه . وهنا

---

(١) انظر ، شوق ضيف : العصر الجاهلى ص ١٧٥ .

(٢) انظر مقدمة « طبقات فحول الشعراء » .

لا يُجْدِى غيرُ سِلاحٍ واحد ينبغى أن يتسلح به كلُّ من يتعرض لتوثيق هذا القدر المطروح للبحث ، ألا وهو الذَّوْق الشعرى المُكتسَبُ عن عِلْمٍ ودِراية بعد معايَشَةِ هذا الشعر مدةً طويلة . ومن أجل ذلك لم يُشْكِل على أهل العلم والذوق الشعرى أن يتبينوا الصحيح من المنحول ، واستثنى ابن سلّام من ذلك قدرا قليلا أو حالة واحدة : حين يُقَلِّدُ رَجُلٌ من بيئة الشاعرِ البدوية (أو من ولده) أسلوبَ الشاعر ، فيبدو كأنه هو . هنا يُشْكِلُ ذلك بعضَ الإشْكَال . وهذا ما أَيَّدَهُ فيه المُفَضَّلُ الضَّبِّىّ عند حديثه عن عِلْم حَمَّاد الرَّاوية الذى يُمَكِّنُ له من التقليد المُحْكَم ، فلا يتبينُ العلماءُ وجه الصحة أو الفَساد فى الشعر .

مقاييس المحدثين

(١) مقياس طه حسين :

عرض طه حسين فى كتابه « فى الأدب الجاهلى » (١) مقياسا أطلق عليه « المقياسُ المُرَكَّبُ » ذلك أنه يتكون من أمرين :

أ – ملاءمة اللفظ والمعنى ملاءمة ظاهرة للحياة البدوية آخر العصر الجاهلى .

ب – الخصائص الفنية : وهى أن يَثْبُتَ لنا وجودُ عِدَّةِ خصائصَ فنيةٍ مشتركة بين طائفة من الشعراء .

وقدم طه حسين نَمُوذَجًا لتطبيق هذا المقياس حين عرض لشعر مدرسة أَوْسِ بن حَجَر . بادئا باعتناق فكرة الشك الدِّيكارتى .

---

(١) ص ٢٦٥ وما بعدها .

(٢) مقياس الدكتور ناصر الدين الأسد :

اعتمد ناصر الدين الأسد [١] فى مقياسه على آراء القدماء ، إذ يسلم بصحة ما اتفق عليه العلماء الرواة جميعهم - البصريون والكوفيون - ثم يتخذ من هذا القدر المشترك المتفق عليه أصلا لديوان الشاعر ، ونَبَّه إلى أنه ينبغى أنْ نَدْرُسَ هذا الأصل دراسة دقيقة ، نستَشِفُّ من خلالها رُوحَ الشاعر وخَصائِصَهُ الفنية ، ثم نتخذَ هذا المقياس الفنى الذى نستخرجه مَحَكًّا نَعْرِضُ عليه القصائد المتفرقة التى انفرد بروايتها كل راوية عالم ، فما استقام منها مع مقياسنا رَجَّحْنا صحته ، وما لم يستقم رجحنا أنه مما اختلطت نسبته على ذلك الرَّاويةِ العالم .

(٣) مقياس الدكتور أحمد الحوفى :

يعتمد مقياس الدكتور الحوفى [٢] على أمرين :

أ - **النقد الداخلى** : حيث يرى أن نرفض من النصوص الجاهلية ما اشتمل على :

- ألفاظٍ إسلامية لم يَعْهَدْها العربُ فى الجاهلية .
- أفكارٍ إسلامية لم تكن مألوفةً من قبل .
- أماكنَ لم يعهدها الشاعر .
- حوادثَ وقعت بعد وفاته .
- تكَهُّنٍ بالغيب .

---

(١) مصادر الشعر الجاهلى ص ٥١٤ .

(٢) توثيق الشعر الجاهلى ص ٣٦ وما بعدها .

ب – **النقد الخارجى** : وذلك بأن نتحقق من الرِّواية ومن نزاهة الراوى ، ونتعرف الجو الذى قيل فيه النص ، والبواعث التى دفعت إليه ، ثم نحتاط مع ذلك من أمور ثلاثة :

– إذا تبين لنا أن راوية النص وحيد ، ورجحنا أنّ له وراء القصيدة غاية .. كان لنا أن نرتاب فيها .

– أن نحتاط فى تصديق الشعر المتصل بالشعراء الذين صاروا شخصيات قصصية كحاتم الطائى ، وعنترة ، ومُهَلهِل .

– الشعر المُوغِل فى القِدَم ، كالذى ينسب إلى عاد وثمود وغيرهما ، وكالذى يروى عن آدمَ والجن والملائكة .. كل هذا نرفضه .

مقياسى :

من جُماع المقاييس السابقة أستخلصُ هذا المقياس الذى أرتضيه والذى يقوم هو الآخر على دِعامتين :

الأولى – نقد خارجى : يتصل بالرُّواة من ناحيةِ التجريح والتعدِيل ، بمعنى أننى سأجِدُ فى إجماع الرواة الثقات مَقْنَعًا ، وكذلك فى انفراد أحِدِهم دون أن يخالفه أحَدٌ ، فإن خالفه أحدُ العلماءِ ونسب النص لغير مَنْ نَسَبَهُ إليه ، شككنا فى النص ، وأخضعناه للنقد الداخلى عَلَّهُ يساعدنا على ترجيح نِسْبَتِهِ إلى أى منهما . أما لماذا أُعَوِّل على الرواة ، فذلك لأننا على بعد زمنى من موقع الأحداث بحيث يبدو الأمر عبثا حين نطرح جهودهم جانبا دون سبب معقول .

والثانية : نقد داخلى : وأعنى به الذوق الشعرى الذى أشار إليه

القدماء من مثل ابن سَلَّام . وهو الذوق الذى يكتسبه المرءُ من معايشته لشعر الشاعر فى القَدْرِ الذى رَوَاهُ العلماء الثقات ، من أمثال المُفَضَّل الضَّبِّى والأصمعى وأضرابهما . فمن خلال هذه المُعايشة يخرُجُ الدارسُ بانطباعٍ عام لأسلوب الشاعر وروحِه . وعلى هذا الذوق المكتسب ، أو الانطباع ، يمكن عرض القصائدِ المشكوكِ فيها . على أن يستفيدَ الباحث بالطبع من محاولات الباحثين السابقين الذين حاولوا تحقيق بعض دواوين بكر .

وأعتقد أن هذا المقياس مقياسٌ علمى وعملى فى آن واحد ، ذلك أننا نؤمن بالمبدأ القانونى الذى يجعل المتهم بريئا حتى تثبت إدانته ، ولا نؤمن بالتالى بما ذهب إليه طه حسين وكثير من المستشرقين حين وضعوا الشعر الجاهلى فى قفص الاتهام حتى تثبت براءته ، وكيف يتأتى ذلك ، وكثير من أدلة الإثبات أو البراءة أتَتْ عليها مئات من السنين خَلَتْ ؟

ولا يمكن الزعم – بداهة – أن هذا المقياس ، أو غيره من المقاييس ، يملك عَصًا سحرية ، تضع حدًّا فاصلا بين الصحيح والمنحول . وجُلُّ ما يُسْتَطاع هو الوقوف على ما يمكن الاطمئنان إليه من أشعار البكريين فى الجاهلية . ولا بأس أن تدخل – عن غير قصد – أشعار تتفق وروحها العام مع شعر الشاعر ... فماذا يضيرنا إن كانت كذلك ، وأنه قد تهيأ لها رجل عبقرى استطاع أن يتمثل شعر الشاعر تمثلا صادقا ، وأن يتمثل عصره وظروفه الخاصة ، ومَلَكَ فوق ذلك قدرة النَّسْج على منوال الشاعر ؟ وإن كنا نشك كثيرا فى وجود مثل هذا الرجل

الفذ ! وإلَّا فما باله لم يَنْسِبْها إلى نفسه ، ولم يُخرجْ هذه الأعمال فى ديوان خاص به ، وهو يعلم يقينا مكانة الشعر والشعراء فى نفوس القوم ؟ .

وطبيعى بعد ذلك أن تَنْصَبَّ محاولات التوثيق على الشعراء الذين لهم نِتاجٌ أدبى كبير ، أما بعض الرجال أو النساء الذين تروى لهم المصادر المختلفة البيت أو البيتين أو الأكثر قليلا ، فلا نظن أننا بحاجة إلى محاولة توثيق ما ينسب إليهم ، وقَلَّ أن يكون البحثُ – فى هذه الحالة – مُجْدِيًا .

(٣)

الدواوين المفقودة من الشعر البكرى

قال ابن قُتَيْبَة (تُوفى سنة ٢٧٦ هـ) : « والشعراء المعروفون بالشعر عند عشائرهم وقبائلهم فى الجاهلية والإسلام ، أكثرُ من أن يُحيط بهم مُحِيط ، أو يقف وراء عددهم واقف ، ولو أَنْفَدَ عمره فى التنقِيرِ عنهم ، واستفرغ مجهوده فى البحث والسؤال . ولا أحسِبُ أحدا من علمائنا استغرق شعر قبيلة حتى لم يَفُتْهُ من تلك القبيلة شاعرٌ إلا عرفه ولا قصيدة إلا رواها » (١) . ويأتى الآمِدِىّ (تُوفى سنة ٣٧٠ هـ) بعد ابن قتيبة بنحو قرن من الزمان ، فيذكر فى : « المؤتلف والمختلف » ستين ديوانا من دواوين القبائل والعشائر (٢) من بينها تسعةُ دواوين لبكر بن وائل وحدها .. وهى :

---

(١) الشعر والشعراء . القاهرة . دار المعارف سنة ١٩٦٦ ـــ ١/٤ .

(٢) انظر ، المؤتلف والمختلف . مواضع متفرقة .

وانظر مصادر الشعر الجاهلى وقيمتها التاريخية ص ٥٤٣ ، ٥٤٤ .

(١) كتابُ بنى رَبِيعةَ بن ذُهْل .
(٢) كتاب بنى شَيْبان .
(٣) كتاب بنى عَوْفِ بن هَمَّامٍ .
(٤) كتاب بنى ذُهْلِ بنِ ثَعْلَبة .
(٥) كتاب بنى عِجْل .
(٦) كتاب بنى حَنِيفة .
(٧) كتاب بنى يَشْكُر .
(٨) كتاب بنى ضُبَيْعَة .
(٩) كتاب بنى قَيْسِ بن ثَعْلَبة .

هذا ، ولم يذكر الآمدى اسم جامع هذه الدواوين أو صانعها . وإن كنا نلاحظ من أسمائها أن الثلاثة الأولى منها لبنى شيبان : فبنو ربيعة — ورئيسهم قبيل الإسلام هانئ بن مسعود — هم بنو ذُهْل بن شيبان . وبنو عَوْف هم بنو هَمَّام بن مُرَّةَ بن ذُهْلِ بن شَيْبان . كما نلاحظ أن الديوانين الأخيرين هما لبنى قَيْسِ بن ثَعلبة : فبنو ضبيعة هم بنو قيس بن ثعلبة ، وإليه انتسب شعراء بني ضُبيعة فى الجاهلية ... يقول سَعْدُ بنُ مالك بن ضبيعة [1] :

صبرًا بَنِى قيسٍ لها حتى تُرِيحُوا أو تُراحُوا
من صَدَّ عن نِيرانِها فأنا ابنُ قَيْسٍ لابَرَاحُ

---

(١) كتاب بكر وتغلب ص ٥٧ ، وديوان الحماسة ٧٣/٢ .

ويقول طرفة بن العبد [١] :

فَفِدَاءٌ لبنى قيسٍ على ما أصابَ الناسَ من سُرٍّ وضُرٌّ

وكذلك فعل الأعشى فهو ينتسب إلى قيس ... إذ يقول [٢] :

إنى امرؤٌ من عُصْبَةٍ قَيْسِيَّةٍ شُمِّ الأُنوفِ ، غَرانِقٍ أَحْشَادِ

وواضح أن بنى ضبيعة قد انتسبوا فى الجاهلية إلى جدهم الأعلى قيس ، ومن هنا نظن أن « ضُبَيْعَة » غلب على القوم بعد الإسلام ، حين ازدادت العصبيات تَشَعُّبًا ، وأن يكون كتاب بنى ضبيعة فى أكثره أشعارا إسلامية .. وإلا فما بال الآمدى يذكر لنا ديوانين : أحدهما لقيس ، والثانى لبنى ضبيعة ؟ . كما يذكر ابن النديم (المتوفَّى سنة ٣٨٥ هـ) ستةً وعشرين ديوانا للقبائل المختلفة [٣] ، منها ستةُ دواوينَ لبنى بكرٍ وحدهم ، وكُلُّها مما جمعه السُّكَّرِىّ من أشعار القبائل والشعراء ، وهى :

(١) أشعار بنى ذُهل .

(٢) أشعار بنى رَبيعة .

(٣) أشعار بنى حَنِيفة .

(٤) أشعار الفِنْد .

---

(١) ديوان طرفة بن العبد ص ٨٥ .

(٢) ديوان الأعشى الكبير ص ١٣١ .

(٣) الفهرست . القاهرة . المكتبة التجارية سنة ١٣٤٨ هـ . ص ٢٢٦ .
وانظر ، ناصر الدين الأسد : مصادر الشعر الجاهلى ص ٥٤٣ وما بعدها .

(٥) أشعار بنى يَشْكُر .

(٦) أشعار بنى شيبان ، وجمعها السُّكَّرِيّ ومحمد بن حبيب .

وهذه الدواوين – فى حقيقة الأمر – أربعةُ دواوين ، لأربعةِ بطونٍ بكرية ، فالأول والثانى لبنى شيبان : ذُهْلِ بن شيبان ، وربيعةُ بن مُحَلِّم ابن ذُهْل بن شيبان .

فليت شعرى ماذا بقى من الشعر الجاهلى فى هذه الدواوين ؟ بالرغم من أننا نعتقد أنها كانت تجمع بين صفحاتها بين الجاهلى والإسلامى ، ولكن ماذا بقى من الجاهلى منها ؟ .

الحق أنه بقي الكثير ، الذى يتمثل فى ستةِ دواوينَ لستة شعراء هم : الحارث بن حِلِّزة ، وطرفة بن العبد ، والخِرْنِق ، وعمرو بن قَمِيئة ، والمُسَيَّبُ بنُ عَلَسٍ ، والأعشى ، فضلا عن مجموعة كبيرة من الأشعار التى وجدناها متناثرة فى المصادر المختلفة – شعرية وإخبارية – لنحو ثمانين شاعرا جاهليا .. وربما أطلقنا على كثير منهم لفظ « شاعر » تَجَوُّزا ، نظرا لقلة أشعارهم التى لا تتجاوز أحيانا البيتين ، أو المقطوعة ، أو القصيدة الواحدة ... ولكننا مضطرون لذلك ما دام الرجل قد أنتج شعرا ، وما دام شعره بين أيدينا ، قَلَّ أو كثر ، ناهيك عما فُقِدَ من أشعار القبيلة ، وما نستخلصه من ذلك ، إذ لا يبعُدُ أن تكون جُلُّ أشعار الشاعر قد فُقِدَتْ ولم يبقَ منها إلا هذا القليل النادر .

فلنبدأ إذًا بِتَعَرُّفِ الدواوين ، والمصادر المختلفة التى حملت إلينا هذا التراث ، ثم ننظر بعدها إلى تلك الأشعار كلها فى ضوء قضية الانتحال .

(٤)

الدواوين الباقيــة

ديوان عمرو بن قَمِيئَةَ :

كانت محاولةُ المستشرق تشارلس لَيَال أولى محاولات طبع ديوان عمرو بن قميئة (١) . ويتكون الديوان من سِتَّ عَشْرَةَ قصيدةً ومقطوعة ، ألحق بها ليال ما وجده للشاعر فى المصادر المختلفة من مقطوعات وأبيات مفردة . فكان مجموع أبيات الديوان ٢٣٥ بيتا : منها ٢١٨ بيتا هى الديوان الأصلى للشاعر وسبعةَ عشرَ بيتا هى كل ما ألحقه ليال بالديوان . وقد مَيَّزَ بين القسمين ، فأعطى لكل قسم منها أرقاما مسلسلة خاصة بقطعه وقصائده .

وإذا نظرنا إلى هذا الديوان فى ضوء قضية الانتحال ، لقلنا (٢) إن أول ما يُلفت نظر الباحث هو القطعتين ١٢ ، ١٦ : أما القطعة ١٢ وهى ستة أبيات وأولها (٣) :

يارُبَّ مَنْ أَسْفاهُ أَحْلَامُهُ   إنْ قِيلَ يوما إنَّ عَمْرًا سَكُورْ
إنْ أَكُ مسكيرا فلا أشْرَبُ   وَغْلًا ولا يَسْلَمُ منى البعير

---

(١) طبع فى كمبردج سنة ١٩١٩ . كما طبع الديوان بعد ذلك فى بيروت ، ثم فى القاهرة بتحقيق حسن كامل الصيرفى سنة ١٩٦٥ (منشورات معهد المخطوطات) .

(٢) تأتى اللام فى جواب « إذا » عند القدماء . راجع المفضليات ، القصيدة ١٦/٨٨ ، ٨٩ .

(٣) ص ٤٧ .

فنرجِّح وضع هذين البيتين ؛ لما يبدو فيهما من تَكَلُّفٍ وركاكة موازنة بأشعار الديوان ، أما بقية القطعة فهى من الأصمعية ٥٢ التى رواها الأصمعى للمُرَقِّشِ الأصغر ؛ ومن هنا ننفى نسبتها إلى عَمْرِو بن قَمِيئَةَ ونُخْرِجُها من ديوانه .

كما نقف موقف الشك من القطعة ١٦ – وهى ثلاثة أبيات (١) – لما يبدو فى بعض ألفاظها من ملامح إسلامية تتمثل فى قوله : « اسْتَعْبَرْتُ لله » وهو تعبير لا نجده عند شعراء بكر أو فى الشعر الجاهلى عامة (٢) .

أما ما ألحقه ليال بالديوان ، ففضلا عن أنّ به كثيرا من الأبيات المفردة (٣) التى لا يتيسَّر القَطْعُ بصحتها أو نحلها ، فإن به بعض القِطَع التى تثير فى نفوسنا الشك تجاهها ، من مثل القطعة ١ – وهى بيتان – يقول فيهما (٤) :

وما عَيْشُ الفتى فى الناسِ إلَّا ... كما أشْعَلْتَ فى ريحٍ شِهابَا
فَيَسْطَعُ تارةً حُسْنًا سَنَاهُ ... ذَكِيَّ اللونِ ثم يَصيرُ هَابا

وذلك لما يبدو فيها من أثر للجهد العقلى فى التصوير ، على نحو لم يألفه الشعر العربى قبل الإسلام . ومن مثل القطعة ٣ التى ورد فيها ذكر تُبَّعٍ وعادٍ وإرم ، وهى أسماء لم ترد فيما أثر من الشعر البكرى . ومن

---

(١) الديوان (كمبردج) ص ٦٢ .
(٢) على أقل تقدير لا نجده فى المعلقات أو المفضليات أو الأصمعيات وهى المجموعات التى تحظى بثقة العلماء بشكل عام .
(٣) انظر ، المصدر نفسه . القطع ٤ ، ٥ ، ٦ ، ٩ .
(٤) ص ٦٣ .

هنا نرجح وضع هذه القطعة بعد الإسلام تمثلا لقوله تعالى : ﴿ أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِعادٍ ۞ إِرَمَ ذاتِ الْعِمَادِ ﴾ يقول عمرو فيما يزعمه الرواة (١) :

لا تحسِبَنَّ الدهْرَ يُخْلِدُكُمْ   أَوْ دائما لكُمُ وَلَمْ يَدُمِ
لَوْ دَامَ لتبع وذوى الـ   أَصْنَاعِ مِنْ عادٍ ومن إِرَمِ

هذا كل ما نلاحظه على الديوان ، وما عداه فنرجح صحته ونسبته إلى عمرو بن قميئة .

ديوان الحارث بن حِلِّزَة :

لم ينشر ديوان الحارث بن حلزة نشرا مستقلا — فيما أعلم — ، ونشر مرة واحدة فى مجلة المشرق سنة ١٩٢٢ م — لصاحب امتيازها الأب لويس شيخُو اليَسُوعى (٢) — عن نسخة خطية عثر عليها المستشرق فريتس كرِنْكو فى جامع الآستانة المعروف بجامع السلطان الفاتح « مخطوطات عربية ، تحت رقم ٥٣٣ » وهى نسخة خطية حَسنة — كما وصفها كرنكو — من ديوانى الشاعرين الجاهليين عَمْرِو بن كُلثوم التَّغْلبِىّ والحارِثِ بن حِلِّزة اليَشْكُرِىّ . هذا ولم ينشر كرنكو الديوان كاملا ، إذ آثر عدم نَشْرِ المعلقة مُعَلِّلاً ذلك بشيوعها . ثم ألحق بالديوان ما وجده من أبيات مفردة متفرقة فى المصادر المختلفة مَنْسُوبة إلى الشاعر .

---

(١) ص ٦٤ . وفى الشطر الأول من البيت الثانى خلل عروضى .

(٢) مجلة المشرق . السنة العشرون . سنة ١٩٢٢ م . ص ٦٩٣ — ٧٠٨ وهى مقيدة فى فهارس دوريات دار الكتب المصرية تحت هذه الأرقام : ٢٠ مجلات تيمور ، ٤٤٥٦ ، ٤٤٧٠ ، ٧٦٣٤ ، ٧٦٣٩ زكية .

وقد عَلَّق كرنكو على ديوان الحارث ببعض الملحوظات فى ذيله ، مع عدة حَوَاشٍ فى آخره ، تتمثل فى التخْرِيج ، والإشارة إلى اختلاف الرواية فى المصادر ، والتعريف ببعض الأعلام والمواضع ، وشرح لقليل من المفردات . أما الشروح الواردة فى الأصل المخطوط فقد أثبتها فى موضعها .

وديوان الحارث بن حِلِّزة ـــ كما وصل إلينا — صغير الحجم ، إذ يتكون من عَشْرِ قِطَعٍ وقصائدَ ، أطولها أربعةَ عَشَرَ بيتا ، وأقلُّها أربعةُ أبيات ، وكلها فى خمسةٍ وثمانين بيتا . أما ما ألحقه كرنكو بالديوان فثمانيةُ أبياتٍ ، كلها أبيات مفردة ، عدا القطعة ١١ فهى بيتان . وقد حاول كرنكو إلى جانب هذا توثيق شعر الحارث حيث أشار إلى القطع التى يرى أنها مَنْحُولة ، من مثل القطعة رقم ٤ — وهى من وزن المُنْسَرِح — وأولها (١) :

نَحْنُ مِن عامرِ بْنِ ذُبيانَ وَالنّا ... سُ كَهَامٍ مَحَارُهُمْ للقُبُورِ
إنَّما العَجْزُ أَنْ تَهُمَّ ولَا تَفْـ ... ـعَلَ وَالْهَمُّ ناشِبٌ فى الضميرِ

ومثلها القطعة رقم ٥ — وهى من وزن البسيط — وأولها (٢) :

لَمَّا جَفانِى أخِلَّائِى وأَسْلَمَنِى ... دَهْرِى ولَحْمُ عِظامِى اليومَ يُعْتَرَقُ
أَقْبَلْتُ نحو أَبِى قابُوسَ أمدَحُهُ ... إنَّ الثناءَ له والحَمْدُ يَتَّفِقُ

---

(١) مجلة المشرق . السنة العشرون . سنة ١٩٢٢ م ص ٦٩٥ .

(٢) المصدر نفسه .

والحق أن هاتين القطعتين تفصحان عن وضعهما ونحلهما للحارث ، لما يبدو فى الأولى من ركاكة لا نعهدها فى صحيح الشعر الجاهلى أو شعر الحارث الذى تتجلى رصانته فى معلقته ، فضلا عما يُثيره بحر المنسرح النادر الاستعمال فى الشعر الجاهلى ، والذى لم ينظم فيه شاعر مثل الأعشى – على غزارة إنتاجه – سوى قطعة واحدة يَشُكُّ فيها كثيرٌ من الباحثين كما سنذكر عند حديثنا عن ديوان الأعشى ، وكذلك القطعة الثانية ، حيث يبدو فى بعض أبياتها تعبير لا نعهده فى الشعر الجاهلى عامة ، ونعنى بذلك قوله (١) :

أنتَ الضِّياءُ الذى يُجْلَى به الأُفُقُ ... لِلْمُنْذِرِينَ ولِلمعصُوبِ لِمَّتُهُ

فلا نظن أن التعبير : « أنت الضياء الذى يُجْلى به الأفق » تعبيرٌ جاهلى ، بل نظن أنه وليدُ مرحلةٍ تالية لرقى العقل العربى الذى جَهِدَ فى ابتكار صور وأخيلة لم يعهدها الشعر العربى من قبل .

كما نشك إلى جانب ذلك فى القطعة رقم ٧ التى أولها (٢) :

لايَثْنِكَ الحازِى ولا الشَّاحِجُ ... يأيها المُزْمِعُ ثُمَّ انْثَنِى

لأنها تروى أيضا لصُرَيْم بن مَعْشَرٍ التغلبى – وهو أُفْنُون (٣) – ومن هنا لا يمكننا ترجيح نسبتها إلى الحارث إلا إذا ملكنا أدلة نفيها عن أفنون التغلبى .

---

(١) مجلة المشرق . السنة العشرون . سنة ١٩٢٢ م ص ٦٩٦

(٢) المصدر نفسه ص ٦٩٦ ، ٦٩٧ .

(٣) المصدر نفسه ص ٦٩٦ .

أما ما ألحقه كرنكو بالديوان ، فقد ذكر فى مقدمة القطعة الأولى (١) – وهى بيتان – أنها : « من منحول الشعر إلى الحارث بن حلزة وهى مما رواه الجاحظ فى كتاب البيان والتبيين ١/١٨٩ ونسبه ابن الشَّجَرِىّ فى حماسته إلى الحارث بن كَلَدة » . أما الأبيات المفردة الباقية من ملحق الديوان فلا يتيسر القَطْعُ فيها برأى ، وإن كنا لا نجِدُ غَضَاضة فى نِسْبَتِها إلى الحارث ، إذ لا ينازعه فيها شاعر آخر ، وربما كانت أجزاءً من قصائدَ مفقودة ، فما نظن أن يكون ديوان الحارث – وهو من شعراء المعلقات – فى هذا الحجم الصغير .

ديوان طَرَفَةَ بنِ العَبْدِ :

لعل أحدث محاولات إخراج ديوان طَرَفة بن العبد (٢) فى صورة علمية ، تلك المحاولة التى قام بها الدكتور على الجندى سنة ١٩٥٨ م . بعنوان : « ديوان طرفة بن العبد ، تحقيق ، وتحليل ونقد » (٣) ، معتمدا على سِتِّ نُسخ تيسَّرت له فى مصر (٤) . ثلاث منها مطبوعة وثلاث مخطوطة .

---

(١) مجلة المشرق . السنة العشرون . سنة ١٩٢٢ م ص ٧٠٠ ورقمها ١١ .

(٢) من الطبعات السابقة لديوان طرفة :

– ديوان طرفة ، من كتاب « العقد الثمين فى دواوين الشعراء الجاهليين . نشر وليم آلورد . لندن سنة ١٨٧٠ م .

– ديوان طرفة بن العبد . طبعة ضياء الدين الخالدى . فيِنّا سنة ١٨٨٠ م .

– ديوان طرفة . طبعة سيلجزون سنة ١٩٠١ م .

– ديوان طرفة . شرح الشنقيطى . طبع فى قازان بروسيا سنة ١٩٠٩ م .

– ديوان طرفة بن العبد . طبعة دار صادر . بيروت سنة ١٩٥٣ م .

(٣) نشر مكتبة الأنجلو المصرية .

(٤) انظر مقدمة المحقق للديوان ص ٥ وما بعدها .

والنسخ المطبوعة التى اعتمد عليها هى :

نسخة (أ) : وهى بشرح الإمام أبى الحجاج يوسف بن سليمان بن عيسى النحوى الشَّنْتَمَرِى ، المعروف بالأعْلَم (٤١٠ - ٤٧٦ هـ) . نشرها وحققها المستشرق سيلجزون Seligsohn . وطبعت بمدينة شالون سنة ١٩٠١ م . وقد أخذت عن كتب مخطوطة بباريس ولندن وفينا ، وبها ملحق يحتوى على أشعار لطرفة لم يسبق طبعها مأخوذة من نسخ موجودة بالجزائر وبرلين .

نسخة (ب) : وهى رواية أبى يوسف يعقوب بن إسحاق المعروف بابن السِّكِّيت المتوفَّى سنة ٢٤٤ هـ ، شرح المرحوم أحمد بك الأمين الشِّنْقِيطِى المتوفَّى سنة ١٣٣١ هـ وفيها تنبيهات على ما لم يروه الشَّنْتَمَرِى فى شرح الدواوين الستة ، وهى مطبوعة بمطبعة أرنك بمدينة قازان بروسيا سنة ١٩٠٩ م .

نسخة (جـ) : وهى ديوان طرفة من كتاب : « العقد الثمين فى دواوين الشعراء الستة الجاهليين » ، نشر وليم آلورد ، طبع لندن سنة ١٨٧٠ م ، وأشعار طرفة فى هذه النسخة من جمع الأعلم الشَّنْتَمَرِى . وقد لاحظ المحقق - الدكتور على الجندى - أن المطبوعتين أ ، جـ قد أُخِذتا عن أصل واحد .

أما النسخ المخطوطة التى اعتمد عليها المحقق فهى :

نسخة (د ، هـ) : وهما رواية أبى يوسف يعقوب بن السِّكِّيت [1] ،

---

(١) أخذ ابن السكيت عن الفَرَّاء وأبى عمرو الشيبانى وغيرهما من الكوفيين ، كما أخذ عن الأصمعى وأبى عبيدة من البصريين ، وتعلم اللغة أيضا عند الأعراب . (بروكلمان ٢/٢٠٥ ط ١٩٦١) .

وبهما نقص من الآخِر ، وعليهما تقييدات كالشرح . وقد رجَّح المحقق أنهما مأخوذتان عن أصل واحد .

نسخة (و) : وهى رواية الوزير أبى بكر عاصم بن أيوب البَطْلَيوسى المتوفَّى سنة ٤٩٤ هـ .

وقد صرح المحقق بأنه لم يلتزم رواية معينة بالذات يجعلها أصلا عند التحقيق ، وقال : « كنت أفضل الروايةَ الأكملَ فى عدد أبيات القصيدة الواحدة ، والأقربَ إلى التسلسل المنطقى فى ترتيب الأبيات » .

كما قسم الأشعار قسمين :

القسم الأول : وهو الديوان ، ويشمل القصائدَ والقِطَع التى وُجِدت كلها أو بعضها ، فى جميع النسخ السابقة .

والقسم الثانى : وهو القصائد والأبيات التى وجدت منسوبة إلى طرفة بن العبد فى ثنايا التقييدات والشروح .

شعر طرفة فى ضوء قضية الانتحال :

يشتمل القسم الأول من الديوان – كما أخرجه الدكتور على الجندى – على ديوان الشاعر كما تواتر عند الرواة فى النسخ المختلفة ، وهذا ما يدعونا إلى قبوله وعدم الشك فى نص من نصوصه ، فضلا عن أنه لم يتيسر لنا من الأدلة الداخلية ما يبيح لنا هذا الشك .

أما القسم الثانى الذى جمع فيه المحقق ما نُسب إلى طرفة من أشعار (من القطعة ١٩ – ٥٩) ، فإننا نتردد فى قبول كثير من نصوصه ، من مثل القصائد أو القِطَع ، أو الأبيات [١] ، ذوات الأرقام ١٩

(١) بعض قطع هذا القسم أبيات مفردة وهى القطع ذوات الأرقام ٢٠ ، ٢٧ – ٢٩ ، ٤٨ ، ٤٩ ، ٥١ ، ٥٢ ، ٥٤ ، ٥٧ . وبعضها بيتان وهى القطع ٢٤ ، ٣٨ ، ٤٣ ، ٤٤ ، ٥٠ ، ٥٣ وبعضها ثلاثة أبيات وهى القطع ٢٢ ، ٤١ ، ٤٢ ، ٤٧ ، ٥٩ .

— ٢٤ ، ٢٨ — ٣٠ ، ٣٥ — ٤٠ ، ٤٢ — ٤٤ ، ٤٦ ، ٤٨ — ٥٥ ، ٥٧ — ٥٩ . حيث انفرد الشَّنْتَمَرِي بروايتها ، هذا فضلا عما نجده من إشارات حول بعض النصوص تدعم الشك ، حيث وردت القطعة ٢١ فى النسخة (أ) — للشَّنْتَمَرِي — ضمن المنسوب لطرفة . والقطعة ٣٥ التى تروى أيضا لكليب التغلبى . والقطعة ٣٩ التى وردت فى حماسة أبى تمام لبعض بنى أسد ، وورد فى النسخة (د) — لابن السكيت — أن المفضل كان ينكرها ، ولم يثبتها الأصمعى ، هذا ويبدو أن ذكر اسم « خَوْلَة » فى البيت الأول قد غرر ببعض الرواة ، فظنوا أنها لطرفة . ومن مثل القطعة ٥٧ وهى بيت واحد ورد مع ثلاثةِ أبياتٍ أخرى فى حماسة أبى تمام منسوبة إلى شاعر مجهول . وكذلك نشك فى القطعة رقم ٢٦ رغم أنها وردت فى كل النسخ عدا النسخة (و) فقد ذكر ابن السِّكِّيت أن ابن الكَلْبِي قال إنها منحولة — مع أننا لا نوثق روايات ابن الكلبى — إلا أن قافية القطعة وهى الخاء ، الثقيلة على الأذن ، تشعر الباحث بغربتها عن شعر طرفة ، ويبدو أن ابن السكيت قد شعر بهذا فأورد رأى ابن الكلبى .

أما الأشعار التى نُرَجِّح صحتها من هذا القسم فهى ما أجمع على روايتها ابن السكيت والشَّنْتَمَرِي فى جميع النسخ السابقة . وهى القطع ٢٥ ، ٢٧ وهى بيت واحد مكرر ورد فى القسم الأول برقم ٣١٥ ، والقطع ٣١ ، ٣٢ التى نُرجح أنها أبيات من القصيدة رقم ٥ والتى أولها :

أَصَحَوْتَ اليومَ أَمْ شاقَتْكَ هِرّْ ومِنَ الحُبِّ جُنُونٌ مُسْتَعِرْ

وكذلك القطع ذوات الأرقام ٣٣ ، ٣٤ ، ٤١ ، ٤٥ ، ٤٧ ،

٥٦ . وإن كنا لا نطمئن تماما إلى القطعة ٤٧ وهى ثلاثة أبيات ، حيث ورد فيها هذا البيت :

فريقان مِنْهُمْ كَعْبَةُ اللهِ زَائِرٌ   وآخَرُ لَمْ يَقْطَعِ البَحْرَ آتيكَا

ونعنى بذلك قوله « كعبة الله » ، فهذا التعبير فى رأينا بعيد عن روح الجاهليين سواء من كان منهم وثنيا أو نصرانيا .

ديوان الخِرْنِق :

بقى لنا من ديوان الخِرْنِق (١) نسخةٌ خطية واحدة ، محفوظة فى مكتبة آيا صوفيا ، وهو رواية أبى عمرو بن العلاء المتوفَّى سنة ١٥٤ هـ . وكاتب هذه النسخة هو عبد الغنى بن محمد الكاتب ، الذى يرجح الدكتور حسين نصار (٢) أنه تركى الأصل .

وكانت هذه النسخة الأصل الذى اعتمد عليه الشّنقيطى (٣) فى محاولته إخراج الديوان ، وإن كان قد منح نفسه حرية التصرف فى النسخة ، بالتصحيح ، وزيادة بعض الشعر ، وتغيير ما لا يجب تغييره من ألفاظ .

---

(١) من الطبعات السابقة للديوان :
- ديوان الخرنق أخت طرفة بن العبد . بيروت سنة ١٨٨٩ م .
- ديوان الشاعرات الثلاث : الخرنق أخت طرفة ، وعمرة بنت الخنساء ، وليلى الأخيلية . بيروت سنة ١٨٩٧ م .
- ديوان الخرنق . طبع وولرز فى ليبزج بألمانيا . سنة ١٩٠٣ م .
- ديوان شعر الخرنق بنت بدر بن هفان . تحقيق الدكتور حسين نصار . سنة ١٩٦٩ .

(٢) انظر مقدمة ديوان الخرنق للدكتور حسين نصار .

(٣) المرجع السابق .

وقد اعتمد مخطوطة الشنقيطى كل من بشير يَمُّوت فى إخراج كتابه : « شواعر العرب » ، ولويس شيخو فى طبع شعر الخرنق مع غيره ، فى كتابه : « شعراء النصرانية » ، وفى كتابه : « رياض الأدب فى مراثى شَواعر العرب » ، وفى طبعه مفردا فى طبعة خاصة .

وكانت أحدث طبعة علمية للديوان ، تلك التى نشرها : « مركز تحقيق التراث » ونشره فى مصر ، بتحقيق الدكتور حسين نصار . وقد جمع فيها بين التحقيق والتوثيق ، حيث عالج فى تقديمه للديوان مشكلة نِسْبة بعض القصائد إلى خَرانِقَ أُخَر . ونعنى القصيدتين ٤ ، ١٤ ، حيث نسبت الأولى فى الحماسة البصرية إلى الخِرْنِق بنت قُحافة ، ونُسِبت الثانية فى لسان العرب إلى الخِرْنِق بنت عَبْعَبة . وقد رجح الدكتور نصار وقوع تحريف فى اسم أحد آباء الشاعرة ، وخاصة هِفَّان ، فظن الرواة أن هناك أكثر من شاعرة تحمل اسم الخِرْنق . ويرجح هذا الظن ما ذكره ابن منظور حين نسب هذه القطعة إلى الخِرْنق بنت عَبْعَبة ، إذ أردف بعدها قائلا : « تهجو عبد عمرو بن بشر » ، وهو ابن عم أخيها طرفة الذى كاد له عند الملك عمرو بن هند .

ولم يفت الدكتور نصار أن يشير إلى أن هذا الديوان من صنع أشهر العلماء القدماء وأوثقهم ، وهو أبو عمرو بن العلاء .

وقد اهتدى الدكتور نصار إلى النسخة الأصلية للديوان ، وهو القطعة الباقية من : « أشعار النساء » للمَرْزُبانى المتوفَّى سنة ٣٨٤ هـ . وقال إن هذا الأصل : « من حيث القدم والصحة ونسبة الرواية فى كل قطعة يفوق الأصول جميعا . ولولا أنه لا يضم كل شعر الخِرْنِق لاتَّخذناه الأصل » .

وديوان الخرنق كما أخرجه الدكتور نصار يحتوى على اثنتى عشرة قصيدة ومقطوعة أطولها عشرة أبيات وأقلها بيتان ، ومجموع أبيات الديوان الأصلى خمسة وخمسون بيتا . ثم أضاف الدكتور نصار للديوان قطعتين وجدهما فى بعض النسخ وهما : القطعة ١٣ التى أولها (١) :

أَلا ثَكِلَتْكَ أُمُّكَ عَبْدَ عَمْرٍو أَبا الْخَرِبات آخَيْتَ الْمُلُوكَا

وقد وردت فى شرح القصائد السبع الطوال لابن الأنبارى . وجمهرة أشعار العرب للقرشى . وكذلك القطعة ١٤ (٢) التى ذكرها الهمدانى فى صفة جزيرة العرب ، منسوبة إلى « الخرنق أو طرفة » . وتكاد تكون هذه القطعة هى كل ما نشك فيه من شعر الخِرْنِق لعدة أسباب :

أولها : عدم تواترها فى الروايات المختلفة ، وخاصة المصادر الشعرية .

وثانيها : نسبتها إلى الشاعرة وإلى أخيها طرفة بن العبد .

وثالثها : لمقدمتها الطللية التى لم نر غيرها فى ديوان الشاعرة .

ورابعها : إن المقطوعة من بحر الهزج وهو ما لم تنظم فيه الشاعرة ، كما لم ينظم فيه أخوها طرفة .

ومن هنا فنحن نشك فى نسبة هذه القطعة إلى الخرنق كما شككنا فى نسبتها إلى أخيها .

---

(١) وهى أربعة أبيات .

(٢) وهى خمسة أبيات .

مجموعة ما أُنْشِدَ للمُسَيَّبِ بن عَلَس :

ديوان المُسَيَّب بن عَلَس لم يصل إلينا ، وإنما سلكناه بين أصحاب الدواوين لأن المستشرق جايِر جمع أشعاره ونشرها مع أشعار الأعشى الكبير وغيره من الأعشَيْن سنة ١٩٢٧ م ، فى ذيل : « كتاب الصُّبْح المُنير فى شعر أبى بَصِير ميمون بن قيس بن جَنْدَل الأعشى والأعشَيْن الآخرين » ونشرها فى سلسلة نشريات جب رقم ٦ فى لندن عام ١٩٢٨ م .

وما وصل إلينا من شعر المُسَيَّب قدر ضئيل ، يشغل عشر صفحات من كتاب الصبح المنير (من ص ٣٤٩ — ٣٥٩) . وهو خمس وعشرون قطعة وقصيدة : منها تسع قِطَع (١) أبيات مفردة ، وأربع قطع كل منها بيتان فحسب (٢) ، وست قطع كل منها ثلاثة أبيات (٣) ، وقطعة واحدة فى ستة أبيات (٤) ، وخمس قصائد (٥) أقلها ستةَ عشرَ بيتا (٦) وأطولها أربعون تنقص صدرَيِ البيتين الأخيرين منها . ولاشك أنه ضاع الكثير من شعر المسيب ، وليس أدل على هذا من تعدد الأبيات المفردة والبيتين فيما نسب إليه ، والتى قد تكون أجزاء من قصائد ضاعت واندثرت فيما ضاع واندثر من التراث .

---

(١) انظر كتاب الصبح المنير ص ٣٤٩ وما بعدها القطع ١ ، ٤ — ٧ ، ١٥ ، ٢٠ ، ٢٢ ، ٢٥ .

(٢) القطع ٢ ، ٨ ، ١٧ ، ١٨ .

(٣) القطع ١٠ ، ١٢ ، ١٣ ، ١٩ ، ٢٣ ، ٢٤ .

(٤) القطعة ٢١ .

(٥) القصائد ٣ ، ٩ ، ١١ ، ١٤ ، ١٦ .

(٦) القصيدة رقم ٩ .

ولا نكاد نلحظ شيئا يتصل بقضية الانتحال فى شعره ، إلا ما كان من أمر القطعتين ٥ ، ١٥ وهما بيتان مفردان متشابهان ، لا يتغير فيهما غير كلمتى العروض والضرب ، حيث نعتقد أنهما بيت واحد عبثت به أفواه الرواة ... ونعنى قوله (١) :

إذا سَرَّكُمْ أَلَّا تَؤُوبَ إليكُمُ غِزارا فقولوا للمُسَيَّبِ يَسْرَحُ

وقوله (٢) :

فإن سركمْ أَلَّا تَؤُوبَ لِقاحُكُمْ غِزارا فقولوا للمسيب يلحقُ

ديوان الأعشى :

نشر المستشرق الألمانى رودلف جاير Rudolf Gayer هذا الديوان للمرة الأولى سنة ١٩٢٧ ، معتمدًا على ست نسخ مخطوطة لهذا الديوان – وإن كان بعضُها منقولا عن بعض – واستعان بعد ذلك بعدد ضخم من الكتب العربية بلغ فى مجموعهِ خمسَمائة وتسعةً وستين مؤلفا ، أخرج منها جميعا كل ما نُسِب إلى الأعشى من شعر ، وأثبت فى الملحقات روايةَ كلِّ بيتٍ جاء ذكره فى واحد من هذه الكتب ، مع قراءات النسخ المختلفة (٣) . وقد اتصل جاير بهذا العمل الضخم ما يقرب من أربعين سنة ، ولم يُثْنِهِ عن إخراجه ما أصيب به من شَلَلٍ فى جانب جسمه الأيمن .

---

(١) القطعة ٥ .

(٢) القطعة ١٥ .

(٣) انظر ، ديوان الأعشى الكبير ميمون بن قيس . شرح وتعليق . د . محمد حسين سنة ١٩٥٠ . المقدمة . أول صفحة .

وكانت الصورة الشمسية للمخطوط الأسكوريالى [١] هى أساس الجزء الأكبر من الديوان : ويحتوى هذا المخطوط على ١٣٤ ورقة مكتوبة على وجهيها ، يحتوى الوجه الأول والثانى على ١٩ سطرا ، أما بقية الصفحات فتحتوى على ١٨ سطرا فى كل منها . ويبدأ المخطوط من ص ٥ ؛ إذ فقدت الصفحات الأربع الأولى منه . وقد كتب بخط قديم جدا أرجعه الخبير جروهمان Grohmann إلى القرن الرابع أو الثالث الهجرى . ويحتوى المخطوط على ٧٣ قصيدة بالخط الكبير ، هى القصائد : من ١ – ٤٢ ، ومن ٤٧ – ٧٦ ، ثم القصيدة ٧٧ إلى البيت ٢٦ منها .

كما لاحظ جاير تكرار بعض الأبيات فى بعض القصائد كالذى نجده بين القصيدتين ٥١ ، ٦١ ، والقصيدتين ٦٠ ، ٧٢ .

وقد ذكر كاتب المخطوطة وجامع الأشعار فى مقدمة بعض القصائد أسماء الرواة الذين اعتمد عليهم فى نقل هذه القصائد ، أمثال أبى عمرو بن العلاء فى القصائد ٦ ، ١١ [٢] ، ٢٨ ، ٢٩ ، ٣٠ ، ٥٧ ، ٦٥ ، ٦٦ . وأبى عبيدة فى القصائد ١ ، ٢٩ ، ٣٤ ، ٥٥ ، ٥٨ ، ٦٠ . وأبى عمرو الشيبانى فى القصيدة ٥٦ .

وقد ذكر فى عنوان المخطوطة أن أشعار ميمون الأعشى من صنعة ثعلب . ولاحظ جاير أن الشرح فى المخطوطة لم يكن يرافق النص الشعرى لثعلب . وكانت الأسباب التى دفعته إلى هذا الرأى ما يلى :

---

(١) المرجع السابق . مقدمة جاير .

(٢) يرى الدكتور شوقى ضيف أن راوى هذه القصيدة هو أبو عمرو الشيبانى ، فهو الذى كانت تروى عنه الدواوين وهو راوية كوفى ينقل عنه السكرى وثعلب وأضرابهما من رواة الدواوين . وأن جاير قد ظن أنه أبو عمرو بن العلاء ، وليس بصحيح ، إنما هو أبو عمرو الشيبانى . العصر الجاهلى ص ٣٤٠ .

(١) كثيرا ما يتناول التفسير البيت بقراءة مخالفة لنص ثعلب الشعرى .

(٢) كثيرا ما يسير الشرح فى سياق القصائد على نظام مخالف لترتيب نص ثعلب .

(٣) أكثر الرواة وعلماء اللغة الذين ذُكروا فى الشرح من البصريين ، مع أن المعروف أن ثعلبا عَلَمٌ من أعلام الكوفيين . وحتى إذا فرضنا أن هذا العالم الكبير لا يتعصب لمذهبه ، فيذكر أسماء رجال لهم منزلتهم فى البصرة مثل أبى عمرو بن العلاء والأصمعى وأبى عبيدة ، تلك الأسماء التى ذكرت مرارا فى الشرح ، فإنه ليس من المعقول أن يهمل الإشارة إلى أعلام الكوفة أمثال الفراء والكِسائى إهمالا تاما . هذا وليس من السائغ ولا المقبول أن يذكر رئيس المذهب المخالف لمذهبه بمثل هذه الكثرة ، وخصوصا أن هذا الرئيس (وهو ابن دُرَيْد) يصغره بعشرين عاما . مع أن اسم ثعلب لم يظهر فى الشرح كله إلا ثلاث مرات فقط ، وقد ذُكِرَ فى هذه المواضع ذِكرا عابرا .... ومن الجائز أن يكون صاحبه (الشرح) أحد اللغويين الأندلسيين الذين ارتقَوا بعلم اللغة فى الغرب الأسبانى الذى كان يميل إلى جمع المعلومات وتهذيبها .. أما عن النص الشعرى فهو لثعلب ولاشك فى ذلك . وكل ما عداه فهو من عمل الشارح [١] .

وقد ذكر جاير خمسَ مخطوطات فى مقدمة الديوان ، بالإضافة إلى مخطوطة الأسكوريال ، وهى :

---

(١) انظر ، مقدمة جاير .

(١) مخطوطة دار الكتب المصرية فى القاهرة – وأخذت عنها نسختان قام بنقلهما مصريون :

أ – الأولى فى مكتبة ستراسبورج .

ب – والثانية فى ساخو .

(٢) مخطوطة جامعة لَيْدِن : وهى لا تختلف عن مخطوطة القاهرة ، عدا بعض الأخطاء الناتجة عن النقل ، وقد نقلت عن الأصل سنة ١٢٩٦ هـ بالمدينة . ولم يُذكر شيء آخر عن الأصل الذى نُقلت عنه .

(٣) مخطوطة مكتبة باريس : وتتفق مع المخطوطات السابقة – دار الكتب المصرية ، وستراسبورج ، وساخو ، وليدن – ولذا أطلق جاير على هذه المخطوطات التى يبدو أن أصلها واحد اسم : « الديوان الصغير » ، ذلك أنها تشتمل على خمسَ عشرةَ قصيدة . وقد رجح جاير أن يكون الأصمعى هو جامع هذا « الديوان الصغير » .

والقصائد التى أوردها جامع « الديوان الصغير » هى ذوات الأرقام : ٦ ، ١٥ ، ٥٥ ، ١٢ ، ٧٨ ، ١٧ ، ٣ ، ٤١ ، ٧٩ ، ٢٨ ، ٢٩ ، ٧٧ ، ٨٠ ، ٨١ ، ٨ . منها عشر قصائد وردت فى مخطوطة الأسكوريال ، وخمس قصائد لم ترد فيه . ومن هنا فقد اشتمل ديوان الأعشى كما نشره جاير على ٨٢ قصيدة . منها ٧٧ قصيدة فى نسخة الأسكوريال ، وخمس قصائد انفرد بها « الديوان الصغير » وعلى التحديد من نسخة ستراسبورج التى صرح جاير بأنها وضعت تحت تصرفه .

ومن هنا – أيضا – نلاحظ أن مخطوطات الديوان التى عُثِر عليها حتى الآن هى :

(١) مخطوطة الأسكوريال . المصورة من نسخة تركة توربكه Thorbecke فى مكتبة الجمعية الشرقية الألمانية [١] .

(٢) مخطوطة دار الكتب المصرية التى أخذت عنها نسختا ستراسبورج وساخو ، وتتفق معها مخطوطتا جامعة ليدن ، ومكتبة باريس .

(٣) صورة لمخطوطة محفوظة فى المكتبة المتوكلية اليمنية ، صوَّرتها دار الكتب المصرية ، وبها سِتٌّ وأربعون قصيدة ومقطوعة للأعشى ، ويقول كاتبها فى فاتحتها إن هذا الكتاب فيه من شعر الأعشى ، فهى إذن لا تتضمن ديوانه ، وإنما تتضمن مختارات منه [١] . ولم يُشِرْ كُلٌّ من جاير والدكتور محمد حسين – فى شرحه وتعليقه على الديوان – إلى هذا المخطوط الأخير .

وبعد ، فما موقفنا من هذا الديوان فى ضوء قضية الانتحال ؟

حاول الدكتور شوقى ضيف ، فى مصنفه : « العصر الجاهلى » [٢] توثيق ديوان الأعشى ، معتمدا على النقد الخارجى – الرواة – والنقد الداخلى ، وانتهى إلى توثيق خمسٍ وعشرين قصيدةً من مجموع قصائدِ الديوان ، وعددها اثنان وثمانون قصيدة ، وشك فى بقية القصائد السبع

---

(١) شوقى ضيف : العصر الجاهلى ص ٣٤٠ .

(٢) ص ٣٤٤ وما بعدها .

والخمسين ، مع اختلاف فى أسباب شكه . وكانت القصائد التى وثقها هى القصائد ذوات الأرقام : ١ ، ٣ ، ٦ ، ٧ ، ٨ ، ٩ ، ١٠ ، ١١ ، ١٦ ، ١٨ ، ١٩ ، ٢١ ، ٢٢ ، ٢٦ ، ٢٧ ، ٢٨ ، ٢٩ ، ٣٠ ، ٣٢ ، ٣٤ ، ٣٨ ، ٤٠ ، ٦٨ ، ٧٠ ، ٧٣ . أما القصائد التى شك فى صحة نسبتها إلى الأعشى فهى القصائد ذوات الأرقام التالية : ٢ ، ٤ ، ٥ ، ١٢ – ١٥ ، ١٧ ، ٢٠ ، ٢٣ – ٢٥ ، ٣١ ، ٣٣ ، ٣٥ – ٣٧ ، ٣٩ ، ٤١ – ٦٧ ، ٦٩ ، ٧١ ، ٧٢ ، ٧٤ – ٨٢ .

ووفقا لما ارتضيناه من مقياس ، فقد توسع الدكتور شوقى ضيف فى شكه ، من مثل ما نجده فى القصيدة ١٢ ، إذ كانت أسبابُ شكِّهِ [١] أنّ الأعشى يصور فيها قصة عماه وقائدَه ، فى حين أنّ رِحْلاتِهِ الكثيرةَ تدل على أنه كان ضعيفَ البصر ولم يكن مكفوفا . ونود هنا ألّا نُحَكِّم بعض الأخبار فى الشعر ، لنستدل بها على صدقه أو كَذِبه ، إذ الأخبار والروايات أكثر عرضة للوضع وأيسر ، وليس بعيدا أن ينتهى الأمر بالأعشى – فى أخريات أيامه – إلى العمى [٢] ، وما أقرب هذا إلى من كان ضعيف البصر منذ شبابه . ومن مثل شكه فى القصيدة ١٣ لأن فيها إشارةً إلى زرقاء اليمامة ، ولأن المَرْزُبانى قد أنكرها .. وهذا لا يكفى فى رأينا للشك فى القصيدة ، أو نفى نسبتها إلى الشاعر ؛ إذ لا غرابة أن يرد فيها ذكر زرقاء اليمامة – فمعارف الجاهليين لم تحسم كاملة بعد ولو فرضنا – جدلا – وضع هذه الأبيات

(١) ص ٣٤٥ ، ٣٤٦ .

(٢) ص ٣٤٦ .

فلماذا نغلّف بالشك كُلَّ القصيدة ؟ هذا فضلا عن أن الْمَرْزُبانى – شأن كثير من المُصَنِّفِين القدماء – ليس بمنأًى عن الزلل ، أما القصيدة ٢٠ فقد اتهمها الدكتور شوقى ضيف للينِ أسلوبها الذى يشبه – كما يقول – أساليب العباسيين (١) ، وإن كان قد رأى فى موضع آخر من مصنفه أن الأعشى يقترب من ذوق جماعة المُجّان فى العصر العباسى ، وأن هذا جاءه من أثر الحضارات التى ألم بها فى الحيرة وغير الحيرة .

كما شك الدكتور شوقى فى كثير من قصائد الديوان ، لا لشيء إلا لأنها مقطوعاتٌ صغيرة لا يستطيع الباحثُ أن يُقيم عليها مراصِدَ يمتحنها بها ، من مثل القصائد ٣١ ، ٣٧ ، ٤١ – ٥١ ، ٥٧ ، ٥٨ ، ٥٩ ، ٦١ ، ٦٧ ، ٦٩ ، ٧١ ، ٧٤ ، ٧٥ . وهذا فى رأينا لا يكفى لإثارة الشك حول هذه القصائد ، انطلاقا من موقفنا تجاه الشعر الجاهلى ، الذى يستند إلى عدم نفى نص منه أو تجريحه وإبعاده ، إلا بعد أن تتوفر لدينا الأدلةُ الكافيةُ والجازمة ، وحتى إذا توفرت لدينا أدلة الشك فى بيت أو أبيات من القصيدة ، فإن أحكامنا ينبغى أن تنصب عليها دون سائر أبيات القصيدة ، إذ لا يبعُدُ أن تكون تلك الأبيات قد حُشِرَتْ فى القصيدة ، فالمقبول أن يضع واضع بيتا أو أكثر لينحله شاعرا بعينه بعد إضافته إلى إحدى قصائده ، أما أن يضع الْوَضَّاع قصائد كاملة يحاكى بها شعر الشاعر فهو أمر لا نعتقد شيوعه .

---

(١) ص ٣٥٧ .

وعلى ضوء هذا المذهب الذى ارتضيته لتوثيق الشعر الجاهلى ، فإننى لا أشك إلا فى صحة الأبيات والقصائد التالية :

القسم الثانى من القصيدة ١٧ ، تلك القصيدة التى قيل إنها أعدت فى مدح الرسول ﷺ ، ونعنى القسم الذى يبدو فيه التأثر واضحا ببعض آيات القرآن الكريم – معنى ولفظا – وإن كنا لا نستبعد أن يكون الأعشى قد سأل بعض المسلمين عن تعاليم الدين الجديد ، ثم ضمن قصيدته بعضا من معانيه ، ومن هنا يبدو نظمه لهذه المعانى خاليا من العاطفة النابعة من تجربة شعورية صادقة . أما القصة (١) التى تزعم أن قريشا ردت الأعشى – حين قصد النبى – بمائة من الإبل الحمراء ، وإخباره أن الإسلام يحرم الخمر فهى قصة يُغلِّفها الشك ، إذ لم تكن آيات الخمر قد نزلت بعدُ والرسول فى مكة ، فأول الآيات التى قَدَّمَتْ لتحريمها مَدَنِيَّة ، وهى قوله تعالى (٢) : ﴿ يَسْأَلُونَكَ عَنِ الخَمْرِ والمَيْسِرِ قُلْ فيهما إثْمٌ كبيرٌ ومنافعُ للناسِ ، وإثْمُهُما أَكْبَرُ مِنْ نَفْعِهِمَا ﴾ . ويروى الطبرى (٣) أن رسول الله ﷺ قال لصحابته حين نزلت هذه الآية : « إنَّ ربكم يُقَدِّمُ فى تحريم الخمر » . وربما كانت هذه القصة صادقة ، وأن أبا سفيان قد تعمد الكذِبَ على الأعشى لعلمه بمدى حبه لها .

وثالث ما نشك فيه من الأشعار المنسوبة إلى الأعشى ، الأبيات ٧ – ٢١ من القصيدة ٢٥ ، لتفصيله قِصَّةَ السموءل مع دروع امرئ

---

(١) ابن قتيبة : الشعر والشعراء ٢٥٧/١ .

(٢) سورة البقرة . آية ٢١٩ .

(٣) جامع البيان فى تفسير القرآن . القاهرة . مطبعة بولاق . ٢١٢/٢ .

القيس وسلاحه ، ولا غرابة فى التفصيل فى حد ذاته ، ولكنه حين يبلغ مدى يتتبع فيه الشاعر كل أطراف القصة تتبعا لا يترك فيه صغيرة ولا كبيرة ، بحيث تبدو القصيدة سَرْدًا مجردا لها ، فإن الباحث لا يسعه إلا أن يشك فى أن ناظم القصيدة قد وضع أمامه القصة ليحيلها نظما . فضلا عن أننا لا نجد هذا النحو من التفصيل فى القص فى شعر الأعشى أو فى شعر غيره من الشعراء الجاهليين (١) .

ورابع ما نشك فيه من أشعار الأعشى ، القصيدة ٥٦ التى أولها :

يَظُنُّ الناسُ بِالَملِكَيْـ ـنِ أَنَّهُمَا قَدِ الْتَأَمَا

وقد شك فى هذه القصيدة الدكتور محمد حسين شارح الديوان ، وقدم لشكه أدلة نراها مقنعة ، حيث يقول (٢):وقد روى ابن إسحاق بعض أبيات هذه القصيدة منسوبا لسيف بن ذى يَزَن الحِمْيَرِىّ فى فتح الفُرس لليمن ، حين استعان بهم على إخراج الْحَبَشِ منها ، وهى الأبيات : ١ ، ٢ ، ٩ ، ١٢ ، ١٣ . وعقّب ابن هشام على الأبيات بقوله : « وأنشدنى خَلَّادُ بنُ قُرَّةَ السَّدُوسىُّ آخرها بيتا — يعنى البيت ١٣ — لأعشى بن قيس بن ثَعلبة فى قصيدة له . وغيره من أهل العلم بالشعر يُنْكِرُها له . وقال ثَعْلَبُ فى ديباجة القصيدة : قال أبو عبيدة : يخلط بها قول سَيْف بن ذِى يَزَن . وغيره يقول : هى لعبدِ كُلَالٍ الحِمْيَرِىّ . ورواها أبو عمرو الشيبانى فى يوم ذى قار » . ثم يناقش الدكتور محمد حسين هذه الأقوال ، مبينا رأيه بما يلى :

---

(١) انظر ، الديوان . مقدمة الشارح للقصيدة .

(٢) المصدر نفسه ص ٢٩٨ .

(١) يرى أبو عُبَيْدَةَ أنّ الرُّواة قد خلطوا بين قصيدة الأعشى هذه ، وبين قصيدة أخرى من هذا البحر والروى لسيف بن ذى يَزَن الحِمْيَرِى ، فأدخلوا فى قصيدة الأعشى بعضَ أبياتٍ من قصيدة سَيْف ابن ذى يزن . أما غيره فهو يروى القصيدة برُمَّتِها لشاعر آخر من حِمْيَرٍ ، هو عَبْدُ كُلالٍ الحِمْيَرِىّ . والرأيان كلاهما يتفقان مع ابن إسحاق فيما ذهب إليه من أن بعض أبيات القصيدة قيل فى حرب الفرس للحَبَش وطَرْدِهِم لهم من اليمن .

(٢) يذهب أهل العلم بالشعر فى القرن الثانى الهجرى إلى أن القصيدة ليست للأعشى فيما يروى عنهم ابن هشام المتوفَّى سنة ٢١٣ هـ . وينفرد أبو عمرو الشَّيْبَانى بإثبات القصيدة للأعشى فى يوم ذى قار .

(٣) إذا تَتَبَّعْنا أصحابَ هذه الروايات لاحظنا أنهم جميعا لا يرتفعون عن مواطن الشبهة : فابن هِشام الذى أثبت القصيدة لسيف ابن ذى يزن الحِمْيَرِىّ من حِمْيَر . وابن إسحاق وأبو عبيدة وأبو عمرو كُلُّهم مَوَالٍ وهم مُتَعاصرون . أما ابن إسحاق فقد كان أجْهَلَ الناس بالشعر ، على علمه بالحديث والْمَغَازِى . وأما أبو عُبَيْدَةَ فقد عرف بكرهه للعرب وتحامله عليهم ، فهو يكره أن يُروى هذا الشعر فى انتصار العرب على الفُرس . وأما أبو عمرٍو فقد جاور بنى شيبان حتى نُسِبَ إليهم ، فغير بعيد أن يُجامل بنى شيبان برواية هذا الشعر ، وخصوصا إذا لاحظنا أن القصيدة تَنْسِبُ إلى شيبان وحدَها شَرَفَ هذا اليوم ولا تشير إلى أى فرع آخر من فروع بكر التى اشتركت فى القتال ، بل إنها تخلو

من الإشارة إلى فرع الأعشى نفسه (قَيْسِ بن ثَعْلبة) . ويَرْوُون عن أبي عمرٍو أنه كان كلما جمع شعر قبيلة فأخرجه للناس ، كتب بيده مُصْحَفا وجعله بمسجد الكوفة ، حتى كتب نيفا وثمانين مصحفا . أتراه كان يُكَفِّرُ بذلك عن كَذِبٍ كبير ؟

(٤) القصيدة من مجزوء الوافر ، وهو بحر غريب على شعر الأعشى ، لم يُرْوَ له فيه غير هذه القصيدة .

(٥) البيتان ١ ، ٢ ، غامِضَان ، فلسنا نعرف من يعنى بالْمَلِكَيْنِ اللذين قد الْتَأَما . وصلة البيتين ببقية القصيدة غيرُ واضحةٍ وغيرِ مفهومة .

(٦) البيت ٢٢ من هذه القصيدة يناقض البيت ١٩ من القصيدة ٦٢ . فهو يقول هنا :

صَبَحْنَاهُـــمْ بِنُشَّابٍ كَفِيتٍ قَعْقَعَ الْأَدَما (١)

فقوم الأعشى هنا يقاتلون بالنُّشَّاب بينما يقول فى القصيدة ٦٢ :

إذَا أَمَالُوا إلى النُّشَّاب أَيْدِيَهُمْ مِلْنَا بِبِيضٍ فَظَلَّ الْهَامُ يُخْتَطَفُ

فالفرس هنا هم الذين يقاتلون بالنُّشَّاب فيجيبهم قوم الأعشى بالسيوف . ثم إن تلقيبَ (الهامرز) بـ (القَيْل) فى البيتين ١٢ ، ١٩ غريب . فالذين كانوا يلقبون بهذا اللقب هم ملوك اليمن . ثم ينتهى الدكتور محمد حسين قائلا : « إن من حق الباحث أن يتردد فى نسبة

---

(١) صبَّح القوم : أغار عليهم صباحا . النُّشَّاب : السهام . كفيت : سريع . الأدَم : البشرة . قَعْقَعها : كان له صوت حين أصابها .

هذه القصيدة إلى الأعشى ، بل إن من واجبه أن يستبعدها حين يدرس هذا الشعر ليستنتج منه شيئا يتعلق بفن الأعشى أو تاريخ عصره » .
ولا يمكننا بعد كل ذلك أن نجزم بنسبة هذه القصيدة كلها إلى الأعشى ، فقد تكون بعض أبياتها له ، وتكون الأخرى لغيره ، وربما يكون قد حُذِفَ منها أبيات فى الفخر بقومه يوم ذى قار ، فلا نَظُنُّ أن ينسِبَ الأعشى فضل هذا اليوم إلى بنى شيبان وحدَهم دون قومه ، وخاصة أن الخلافات بين البَطْنَيْنِ كانت تطفو من حين إلى حين . وحقا لا يستطيع الأعشى أنْ يُغْفِل بنى شَيْبَان حين يَذْكُر هذا اليوم ، فقد كان قائدُ العرب شَيْبَانِيًّا – وهو المُثَنَّى بنُ حارِثَةَ – ولكن الأعشى فى الوقت نفسه لا يمكن أن يُغْفِلَ ذِكْرَ قومه ، إن لم يكن بدافع العصبية والوفاء ، فمن باب خلافهم مع الشيبانيين . ونرجح أنه فعل ذلك ، وأنَّ شِعْرَهُ فى الفخر بقومه قد أسقط من القصيدة إسقاطا لسبب من الأسباب .

يبقى بعد هذا ملحوظات على بعض قصائد الديوان : من مثل القصيدة ٥٤ والتى يزعم أبو عبيدة (١) أن هناك خَلْطا بينها وبين شعر المُخَارِقِ بْنِ شِهَابٍ المازِنىّ وكذلك القصيدة ٦٢ التى يرى أنها قد اختلطت بقصيدة نابِغَةَ بنى شَيْبَان ، ويرجح شارح الديوان (٢) أن أبا عُبَيْدَةَ ربما كان يعنى بذلك الأبيات من ١٧ – ٢٥ التى يفتخر فيها بيوم ذِى قَار حيث أطال فيها الشاعر وفَصَّل . ولكنَّ ذلك كُلَّه لا يرقى فى رأينا إلى مرتبة الشك فى هاتين القصيدتين ، مادام شعر المخارِق لم يُوثَّق وكذلك شعر نابغة بنى شيبان .

---

(١) انظر الديوان . مقدمة الشارح للقصيدة .
(٢) المصدر نفسه .

وثانى ما نلاحظه ذلك الاختلاط الذى نجده بين القصيدتين ٥١ ، ٦١ فكثير من أبياتهما مكررة . وكذلك القصيدتين ٦٠ ، ٧٢ . وهذا لا يعنى أننا ننفى هذه الأشعار عن الأعشى ، وإنما نرجح أن هذا الخلط بين قصائد الرجل كان سببه جَهْلَ الرواة وعدم دِقَّتهم . ونرجح أن تكون القصائدُ الأربعُ قصيدتين فى الأصل .

(٥)

مصـــادِرُ أخـــرى

المصادر الشعرية :

ونعنى بها كتب المختارات الشعرية ، من مثل : المُفَضَّلِيَّات ، والأَصْمَعِيَّات ، وديوان الحَماسة ، وكتاب الْوَحْشِيَّات لأبى تمام ، وحماسة البحترى ، ثم ما أورده التبريزى من أشعار خلال شرحه لحماسة أبى تمام .

المُفَضَّليات :

وهى أقدم مجموعة من مختارات الشعر العربى – باستثناء المعلقات – وقد اختارها المُفَضَّل الضَّبِّىّ رأسُ علماءِ الكُوفَة فى عصره (تُوفى سنة ١٦٨ هـ) . وهى تحتوى على مائةٍ وسِتٍّ وعشرين قصيدة ومقطوعة ، أضيفت إليها أربعُ قصائدَ وُجِدتْ فى بعض النُّسَخ الخَطِّيَّة .

وقد اخْتُلِفَ فى عدد قصائد المفضليات ومُقَطَّعاتِها كما أخرجها المفضل الضبى ، ومن هنا قال ابن النَّدِيم فى الفِهْرِسْت [1] : هى ثمانٍ وعشرون قصيدة ، وقد تزيد وتَنْقُصُ ، وتتقدَّمُ القصائدُ وتتأخرُ بِحَسَبِ الرواية عن المفضَّل ، والصحيحة التى رواها عنه ابن الأعرابى .

---

(١) ص ١٠٢ .

وقد نشر هذه المجموعة المستشرق لَيال بشرح ابن الأنبارى (المتوفَّى سنة ٣٠٤ هـ) ، وفى مقدمة الشرح سَنَدٌ كاملٌ يرفَعُهُ ابن الأنبارى إلى ابن الأعرابى (المتوفَّى سنة ٢٣٢ هـ) تلميذ المفضل ، وهى عنده ١٢٦ قصيدة ومقطوعة لسبعةٍ وستين شاعرا ، منهم سبعةٌ وأربعون شاعرا جاهليا ، وستةُ شعراء إسلاميين ، وأربعةَ عشرَ شاعرا مُخَضْرَما .

ويزعم البعض أن عدد المفضليات كان ثمانين قصيدة ومقطوعة ، اختارها المفضل حين عَهِدَ إليه أبو جعفر المنصور تثقيف ابنه المهدى بالشعر القديم ، واختَلَف الباحثون فى مَصْدَرِ الزيادة ، وهل هى من اختيار المفضل الضبى نفسِه بعد ذلك ، أم أنها من اختيار الأصمعى . وسواء أكانت الزيادة من عمل المفضل أم الأصمعى — وهو ما لا نرجِّحُه ، فله مجموعته المسماة باسمه وهى الأصمعيات — فلا شك أن المفضليات من أعلا كتب الاختيارات الشعرية ثِقَة ، ذلك أن المفضل من الرواة الثقات ، سواء لدى القدماء (١) أو المحدثين (٢) . وبالتالى فنحن نُوَثِّقُ كلَّ ما رواه المفضل الضبى من أشعار البكريين .

الأصمعيات :

واختارها الأصمعى رأس علماء البصرة فى عصره (ت ٢١٦ هـ) ، على غرار اختيار المفضل الضبى لمجموعته الموسومة بالمفضليات ، والأصمعيات ٩٢ قصيدةً ومُقَطَّعَةً ، كما وردت فى النسخة

---

(١) انظر ، إنباه الرواة ٢٩٨/٣ ، ٢٩٩ ومعجم الأدباء ١٦٤/١٩ وتاريخ بغداد ١٢١/١٣ وميزان الاعتدال ١٧٠/٤ .

(٢) انظر ، شوقى ضيف : العصر الجاهلى ص ١٧٧ .

التى نشرتها دار المعارف بمصر بتحقيق الأستاذين أحمد محمد شاكر وعبد السلام هارون ، أما الطبعة الأوروبية التى نشرها وليم آلورد ، فهى ٧٧ قصيدة ومقطوعة لواحد وسبعين شاعرا ، منهم أربعون شاعرا جاهليا . هذا ، وتشترك الأصمعيات والمفضليات فى تِسْعَ عَشْرَةَ قصيدة . وهى لا تقل عن المفضليات ثقة ، ذلك أن جامعها عالم موثوق الرواية كثيرها [1] ومن هنا فنحن نقبل كل ما رواه من شعر ، ولا نشك فى صحة شىءٍ منه .

ديوان الحماسة لأبى تَمَّام (ت ٢٣١ هـ) :

ديوان الحماسة مجموعة من مقطوعات الشعر القديم وقصائده ، وهى مُرَتَّبَةٌ على معانى الشعر ، وأوَّل أبوابه الحماسة ، وبه سُمِّىَ الكتاب .

ويلفت النظر فى « الحماسة » أمران :

أولهما : ما صنعه أبو تمام فى بعض ما اختاره من أشعار ، حيث كان يعمد إلى إبدال بعض الكلمات بأخرى تحقيقا للجمال الفنى كما يراه .. وهذا — وإن كان يتعارض مع الأمانة العلمية المُثْلَى — لا يَقْدَحُ فى نظرنا فى مختاراته ، إذ لم يَتَعَدَّ الأمر إلى ما هو أخطر وهو نسبة شعر ما إلى غير قائله ، وهو ما لم يتهم به أَحَدٌ أبا تمام .

وثانيهما : أن أبا تمام استقى مادته من الكتب ، وليس من أفواه العلماء .. وإذا علمنا مدى ما وصلت إليه حماسته من الشهرة والمنزلة

---

(١) انظر ، السيوطى : بغية الوعاة ١١٢/٢ وتاريخ بغداد ٤١٤/١٠ والمزهر ٢٠٤/٢ .

لدى العلماء والنقاد [١] ، فإننا نطمئن إلى صدق روايته ، وإلى صحة المصادر التى استقى منها ما رواه من أشعار ، سواء فى الحماسة أو فى الوحشيات .

حماسة البحترى :

البحترى (ت ٢٨٤) معاصر أبى تمام ومنافسه ، ومع هذا فقد كان كل منهما يعجب بالآخر ويقدره [٢] . وجَمَعَ البحترى هو الآخر مختارات أسماها « الحماسة » ، وهى مقسمة ١٧٤ بابا فى مختلف معانى الشعر ، وتشمل على قطع وأبيات مفردة .

وحماسة البحترى وإن لم تَنَلْ من الذيوع ما نالته حماسة أبى تمام ؛ إلا أن الشهرة هنا لا تعنينا كثيرا بالقدر الذى تعنيه مكانةُ البحترى فى عالم الرواية ، وهذا ما يشهد له معاصروه به ، ومن جاءوا بعده ، إذ لم يقدحْ أحدٌ فى صدق روايته وتَثَبُّتِه مما يرويه من أشعار ، وهذا ما يجعلنا نطمئن إلى صحة ما رواه .

شرح ديوان الحماسة للتِّبْرِيزِى (ت ٥٠٢ هـ) :

ونعنى ما أضافه التبريزى ، من أشعار ، فى ثنايا شرحه للحماسة . والتبريزى شيخ علماء بغداد فى عصره [٣] ، قرأ على أبى العلاء المعرى

---

(١) انظر ، ابن خَلِّكَان : وفَيات الأعيان ١/٣٣٥ .
وشرح ديوان الحماسة للمَرْزُوقى . مقدمة الشارح ص ٣ ، ٤ ، ١٤ .
(٢) معجم الأدباء ١٩/٢٤٩ .
(٣) شذرات الذهب ٤/٥ .

وأخذ عنه [١] . ويبدو من تراجم القدماء أنه كان موضع ثقة العلماء فيما يرويه ، ولذا يقول عنه ياقوت الحَمَوِيّ : كان « حُجَّةً صَدُوقا ثَبْتًا » [٢] ، ولمَّا كنا لم نلحظ على ما رواه من أشعار ما يبعثُ فى نفوسنا الشك تِجاهَها ، أو ما ينفى نِسْبَتَها إلى قائلها ، فإننا نقبل فى بحثنا هذا كلَّ ما رواه التِّبريزى من أشعار بنى بكر .

المصادر الإخبارية :

المصادر الإخبارية التى تَعْنِينا فى هذا البحث كثيرةٌ ومتنوعة ، إذ نَعْنِى بها كلَّ ما عدا الدواوين وكُتبِ الاختيارات الشعرية ، من كتب للأدب العام ، وكتب التاريخ أو القصص ، وتراجم الشعراء .. وطبيعى أن تتفاوت هذه المصادر الإخبارية كلها فى مقدار ما تُورِدُه من قصائد الشعر البكرى ومقطعاته ، ولذا نكتفى بأهم هذه المصادر وأكثرها رواية له .

كتاب بَكْر وتَغْلِب :

يَحْكِى هذا الكتابُ قصةَ حرب الْبَسُوس التى دامت أربعين عاما بين قبيلتى بكر وتَغْلِب . وهو كتابٌ مجهولُ المؤلف ، ولم أعثر على الأصل الذى استقى منه المُصَنِّف المجهول مادَّته . والكتاب فى مجمله يروى عن محمدِ بنِ إسْحاق (ت ١٥٢ هـ) باستثناء صفحاتٍ قليلةٍ رُوِيَتْ عن أبى المُنْذِرِ هشام بن محمد السَّائِبِ الكَلْبِىّ (ت ٢٠٤ هـ) ، وصفحاتٍ أقل لرواة لم يُسَمِّهِم المُصَنِّف [٣] .

---

(١) معجم المؤلفين ٢١٤/٣ .
(٢) معجم الأدباء ٢٥/٢٠ .
(٣) انظر ص ١٠٣ ، ١١٥ .

وكتاب بَكْر وتغلب غَنِيٌّ بمادته الشعرية ، إذ نَسَبَ إلى شعراء بكر الذين عاصروا حرب البسوس ٥٦٣ بيتا من الشعر .

هذا ، وتكاد آراء القدماء والمحدثين تجمع على عدم الثقة بما يرويه ابن إسحاق من أشعار (١) ، بل هو نفسه يقر بأن لا عِلْمَ له بالشعر يُؤْتَى به فَيَحْمِلُه .

ولذا ، فنحن نقف تجاه ما يرويه ابن إسحاق موقف الشك والحذر ، فلا نقبل مما يرويه إلا ما رواه غَيْرُهُ من الرواة الثقات .

الأغانى للأصفهانى (ت ٣٥٦ هـ) :

يُعَدُّ كتاب الأغانى بحق أضخم موسوعة خَبَرِيَّةٍ فى تراثنا العربى ، إذ رَوَى فيه المُصَنِّفُ ما لا يدخل تحت حَصْرٍ من أخبارِ العرب القدماء وفنونهم وعلومهم وأشعارِهم ، نظرا لما اتسمت به أساليب المُصَنِّفين القدامى من استطرادات كثيرة .

وكان غرض الأصفهانى من تأليف الكتاب نِسْبَةَ ما ذَكره من الأغانى التى اختارها إلى مؤلفيها ، ثم يُتْبِعُ ذلك بذكر صانع اللحن ، وطريقته فى الأداء ، ثم يمتد به القول مستطردا إلى السبب الذى من أجله قِيل الشعر أو صنع اللحن ، وما يتصل بالموضوع — بسبب من الأسباب — من أخبارٍ أو أشعارٍ أو رسائلَ أو خطبٍ أو قصص ونوادرَ ، وقد اشتمل الكتاب نتيجة لهذا الاستطراد — الذى اتسم به — على مجموعة كبيرة من الأشعار . فما موقفنا مما رواه للشعراء البكريين ؟ .

---

(١) انظر ، ابن سلام : طبقات فحول الشعراء ص ٨ ، ٩ .
والذهبى : ميزان الاعتدال (تحقيق على محمد البجاوى) القسم الثالث ص ٤٧١ .
وعبد العزيز الدورى : نشأة علم التاريخ عند العرب ص ٢٩ .

يرتبط هذا – فى رأينا – بمكانة أبى الفرج ، وما استخلصه المصنفون القدماء ، والباحثون المحدثون من آراء تتصل بروايته للأشعار ، ومدى تَحَرِّيهِ الدقة والنقد والتمحيص .

أما القدماء فيشهدون له بعلو الرِّواية وحسن الدِّرَاية (١) ، وأنه لم يكن أحد أوثق منه (٢) . وأما المُحْدَثُون فكثيرون يُوَثِّقُونه ؛ لاحتياطه إزاء رُواته ، وتنبيهه على مَنْ عُرِفَ بكَذِبِه ، وحتى مَنْ عُرِف بصدقه كان يُراجع روايته (٣) .

وإذا كنا قد التزمنا قبول رواية المشهود لهم بالدقة والتحرى والصدق من القدماء ، حتى يثبت ما ينقضه ، فإننا نقبل إذن ما رواه أبو الفرج الأصفهانى من الشعر البكرى .

(٦)

توثيق أشعار من لا ديوان له

لا بأس من إعادة القول إن موقفنا تجاه الشعر الجاهلى يتجلى فى أمر أساسى ، وهو عدم رفضنا لنص من نصوصه إلا إذا قدمنا بين يدى شكنا أدلة نراها كافية لإخراجه من دائرة الشعر الجاهلى عامة أو شعر الشاعر خاصة .

---

(١) معجم الأدباء ١٠١/١٣ .

(٢) تاريخ بغداد ٣٩٩/١١ ، ٤٠٠ .

وميزان الاعتدال . القسم الثالث ص ١٢٤ .

وإنباه الرواة ٢٥١/٢ .

(٣) انظر ، شوقى ضيف : العصر الجاهلى ط ٣ ص ١٦٣ .

ومحمد أحمد خلف الله : صاحب الأغانى ص ٢٥٠ .

وشفيق جبرى : أبو الفرج الأصفهانى . سلسلة نوابغ العرب ص ٢٠ .

نحن إذًا لن نسلك ذلك المذهب الذى أذاعه كتاب فى « الشعر الجاهلى » – أو فى الأدب الجاهلى – لطه حسين . ذلك المذهب الذى يرفض كُلَّ نَصٍّ لا يحمل معه أدلةَ نِسْبَتِهِ إلى صاحبه . ونحن نؤمن عن يقين أن كثيرا من أدلة الإثبات أتَتْ عليها مئات من السنين خَلَتْ ، وهو – من قبل ومن بعد – تراث عربى ، متشابه فى كثير من موضوعاته وسماته الفنية .

وأول ما نبدأ به (فى شعر من لا ديوان له) ، شعر بنى تَيْم اللات وبنى ضبيعة .. وهو مقبول كله فى رأينا ، وإن كنا نلاحظ أن القطعة التى نُسِبَتْ إلى أبى كَلْبَةَ التَّيْمِىِّ ، والتى أولها (١) :

لَوْلَا فَوارِسُ لا مِيلٌ ولا عُزُلٌ   مِنَ اللَّهازِمِ ما فِظْتُمْ بِذِى قَارِ (٢)

والتى يتغنى فيها ببطولة اللَّهازِمِ – وقومه منهم – نجده يخص بالذكر بنى عِجْلٍ ، وبنى شيبان دون الإشارة إلى عشيرته بنى تَيْم ، ونحن نميل إلى تعليل ذلك بضياع جزء من القصيدة ، فروايتها تختلف من مصدر إلى آخر زيادة ونقصا .

أما شعر بنى زِمَّان ، فنشك فى القصيدة المنسوبة إلى الفِنْدِ الزِّمَّانىّ ، والتى أولها (٣) :

---

(١) رقم ٨ بالملحق .

(٢) فاظ الرجل : مات ، وفى لسان العرب – عن الفراء – أن أهل الحجاز وطيئ يقولون فاظت نفسه ، وقُضاعة وتميم وقيس يقولون فاضت نفسه مثل فاضت دمعته (مادة فيظ) .

(٣) رقم ٢٣ بالملحق .

عَجِّلَا اليوم صاحِبَيَّ الرَّوَاحَا   واسْقِيانى قَبْلَ التَّرَوُّح راحا (١)

فهى فى رأينا موضوعة متأخرة الوضع ، ويتجلى ذلك فى عدة أمور ، منها :

(١) انفرد بروايتها كتاب بكر وتغلب .

(٢) الركاكة البادية فى القصيدة ، والتَّكرار الذى يدل على عَجْزِ ناظمها . ونظنه أحد من تخصصوا فى إنشاد قصة الزير سالم فى مجالس السمر . من مثل قوله :

أَيْنَ لَيْلَى وأين ليلى وليلى   أَمْرَضَتْ غَيْرَنا رِجَالًا صِحَاحَا

(٣) إشارة القصيدة إلى أن لتغلب نَبِيًّا يخالف بنى بكر ، وكذلك تشبيهها بِعُصْبَةِ عادٍ ، وهذا يُوحى أن القصيدة وُضِعَتْ بعد الإسلام :

لَقِيَتْ تغلبٌ كَعُصْبَةِ عادٍ   إذْ أتاهُمْ هَوْلُ العذاب صَبَاحَا

وَنهاهُمْ نَبِيُّهُمْ يوم ذاكُمْ   ودَعاهُمْ إلى الإله صُرَاحَا

(٤) عجز الشاعر عن مجاراة القافية ، إذ يلجأ إلى الترادف مظهرا إياه وكأنه أمرٌ آخر يُضيفه إلى المعنى . مثل قوله :

قَدْ تَرَكْنَا نِساءَهُمْ مُعْوِلَاتٍ   مُعْلِناتٍ مع البُكَاءِ النُّوَاحَا

ومن أشعار الفِنْدِ الزِّمَّانى أيضا ، نشك فى القصيدة التى أولها (٢) :

---

(١) فى كتاب بكر وتغلب « عجل اليوم صاحبى بالرواح » والتصريع يقتضى ما أثبتناه .

(٢) رقم ٢٤ بالملحق .

ليس يُغْنِى القَوْلُ إلا لامرِئ   صادِقٍ بالقولِ يوما أو مُطِيقْ

لما يبدو فيها من ركاكة وضعف . من مثل قوله :

قَدْ رأيتُمْ أَثَرًا مِنْ طَعْنِنَا   فَخُذُوهُ أو ذَرُوهُ فى الطَّرِيقْ

فأسلوبها يبعد عن روح الأسلوب الجاهلى كما يتمثل فى ذهن الباحث على نحو ما . فضلا عن هذا الطعن الذى يؤخذ أثره أو يُطرح فى الطريق ؟! ومثله كذلك قوله : « نحن لا أمثالكم » .. كل هذا يرجِّح وضع القصيدة فى زمن متأخر حين ابتعدت لغة الحديث اليومى عن لغة الأدب .

أما قصيدةُ الفِنْد التى يقول فى مطلعها (١) :

كَفَفْنَا عَنْ بَنى ذُهْلٍ   وقُلْنَا : القومُ إخْوانُ

عسى الأيامُ أنْ يُرْجِعْـ   ـنَ قَوما كالذى كانوا

فنرجح صحة أبياتها التسعة الأولى ، وإن كان الجاحظ فى حيوانه يستدرك – بعد أن أورد أبياتا منها – قائلا : « لا أظنها له » . أما ما بقى من أبياتها (١٠ – ١٥) فنشك فى صحة نسبتها إليه ، نظرا لما يبدو من اختلاف بين أسلوب القسمين ، وربما تجلى ذلك إذا قارنا بين البيتين السابقين وبين قوله :

لَهُ بَادَرْتُ مِنْ أحْـ   ـمَرِ الْجَوفِ وثُعْبان

قَبَسْنَا منهمُ نارًا   ولِلنِّيران نِيرانُ

وَوَلَّوْا إذْ تفكَّرْنَا   لهم والموتُ عَجْلانُ

---

(١) القطعة ٢٦ بالملحق .

جِذَارَ الموتِ إن الْمَوْ ... تَ للأعداء مِحْسَانُ

هذا فضلا عما يحمله التعبير « قَبَسْنا منهُمُ نارا » من ظلال قرآنية مستمدة من قوله تعالى : ﴿ لَعَلِّى آتِيكُمْ منها بِقَبَسٍ أوْ أَجِدُ على النَّارِ هُدًى ﴾ (١) .

أما شعر بنى شيبان فنشك فى كثير منه . وأول ما نشك فيه قصيدتان نُسِبَتا إلى بِسْطامِ بْنِ قَيْسٍ ، وقيل إنهما فى مدح عَنْتَرَةَ بنِ شَدَّاد ، بمناسبة زواجه ! ويبدو فى القصيدتين ألوان من البديع توحى بأنهما وضعتا فى مرحلة متأخرة من مراحل الشعر العربى ، ونعنى مرحلة الزينة والزخرف اللفظى . من مثل قوله (٢) :

بِدَوامِ سَعْدِكَ تَسْعَدُ الأَمْدَادُ ... وبفَضْلِ مَجْدِكَ تَشْهَدُ الأمجادُ
عَشْرٌ لعَشْرِ أنامِلٍ لكَ فى النَّدَى ... للخَلْق من بَرَكاتِها إمْدادُ
كَفٌّ بمعروفٍ لها معروفةٌ ... ويَدٌ لبَذْلٍ ، بَذْلُها معتاد

كما يبدو فى القصيدة التالية أثر الجهد العقلى الذى شاع منذ العصر العباسى الأول فى الشعر العربى ، أضف إلى ذلك أنَّ قَسَم الشاعر فى أول البيت الثانى يوحى بأن مؤلفها يَدِين بالإسلام . يقول (٣) :

ما للفضائلِ عن مَدِيحِكَ مَعْزِلٌ ... أمْ غَيْرُ بَابِكَ للأنامِ مُؤَمَّلُ
واللهِ لَوْ صِيغَ الكلامُ جميعُهُ ... شِعْرًا ، لقَصَّرَ عن مدَى ما تَفْعَلُ
كَرَمٌ ، وإقْدامٌ ، ورَأْىٌ نافِذٌ ... ما الغَيْثُ ؟ ما أُسْدُ الشَّرَى ؟ ما الْمَنْهَلُ ؟

---

(١) سورة طه . آية ١٠ .

(٢) القطعة ٣٠ بالملحق .

(٣) القطعة ٣١ بالملحق .

أما جَسَّاسُ بنُ مُرَّةَ ، فنشك فى عدة قصائد مما نُسِبَ إليه ، نظرا لما يبدو فيها من ركاكة ، فضلا عن انفراد كتاب بكر وتغلب بروايتها ، أضف إلى ذلك شكلها الفنى حيث تبدو وكأنها نقائض تدور بين جساس ومهلهل ! .. ونعنى بذلك قصيدة جساس التى أولها [١] :

أَلَا أَبْلِغْ مُهَلْهِلُ مالَدَيْنَا   فأَدْمُعُنا كأَدْمُعِهِ غِزَارُ
بَكَيْنا وائِلَ الباغى علينا   وكُلٌّ ليس منه بِهِ اصْطِبارُ

ناهيك عن التركيب « ليس منه به » الذى تبدو فيه ركاكة أساليب المتأخرين . وكذلك قصيدته التى يقول فى مطلعها [٢] :

فإنْ تَكُ قَدْ قَتَلْتَ بِهِ بُجَيْرًا   فكُفْءٌ من أخِيك لدى الأمورِ

ونضم إلى القسم المشكوك فيه ، الرَّجَزَ الركيك المنسوب إليه والذى يقول فيه [٣] :

بِنَا حَمَيْتَ جانِبَىْ إقْسَاسِ   إلى أبانين إلى أَوْطَاسِ
بِحَيِّ بَكْرٍ دُونَ باقِى الناسِ   فإن تَعُدْ بنا إلى المِراسِ
عَلِمْتَ أنَّ العِزَّ فَوْقَ الرَّاسِ !

ومثلها قصيدته التى مطلعها [٤] :

إنَّا على ما كانَ مِنْ حادِثٍ   لَمْ نَبْدَإِ الْقَوْمَ بِذَاتِ الحُقُوقْ

---

(١) القطعة ٣٦ بالملحق .
(٢) القطعة ٣٨ بالملحق .
(٣) القطعة ٣٩ بالملحق .
(٤) القطعة ٤٢ بالملحق .

وكذلك قصيدته (١) :

أيا حُمُرَ الرُّبْدِ التى بَيْنَ أرْبَدْ وبين جِمالِ الْعَفْرِ ذَات الأبارِقْ

وكأن ناظمها قد تخصص – إلى جانب الركاكة – فى روى القاف !

وليس هذا هو كل ما نشك فيه مما نُسِبَ إلى جساس بن مُرَّةَ ، وإنما نَشُكُ أيضا فى رَجَزِهِ الْمَنْهُوك الذى يقول فيه (٢) :

قَدْ كانَ ما قَدْ كانا وَرُمْتُمُ الْعُدْوَانَا
والْبَغْيَ والْبُهْتَانَا قَدْ ذُقْتُمُ لِقَانَا
وذُقْتُمُ الْهَوَانَا وعادَنا أخْزَانا

أما صَفِيَّةُ بنتُ ثَعْلَبَة – الحُجَيْجَةُ – فنشك فى أشعارها التى تخاطب فيها منصور قائد جيش كسرى ، إذ لم يذكر هذا القائدَ من شعراء بكر سواها بينما تلح هى على ذِكره إلحاحا يثير فى نفوسنا الشك ، فضلا عن بعض الألفاظ الإسلامية التى وردت فى هذه الأشعار من مثل « الْمُهَيْمِن » ، و « الْمَنَّان » ، و « الله يجزيك » . فضلا عن الركاكة البادية فى مثل قولها : « والنصح رأيك أيها الإنسان » و « لدى السّلامة إنه إنسان » ... ونعنى بذلك قصيدتها التى أولها (٣) :

قُولَا لمنصورَ لادَرَّتْ خَلائِفُهُ ماصَاحَ فيهمْ غُرابُ البَيْنِ أوْ نَعَقَا

---

(١) القطعة ٤٣ بالملحق .

(٢) القطعة ٤٥ بالملحق .

(٣) القطعة ٥٧ بالملحق .

مَنْ زَوَّجَ الفُرْسَ يامَتْبُولُ قَبْلَكُمُ ... مِنَ الأعارِبِ يامَخْذُولُ–أوْ سَبَقَا؟

وربما لمحنا إلى جانب ذلك أثر الشعوبية ، وتعالي العرب على الموالى .

والقصيدة التى تقول فى مطلعها [١] :

لله دَرُّكَ مِنْ نَصِيحٍ صادِقٍ ... والنصحُ رأيُكَ أيها الإنسانُ
والله يَجْزِيكَ الذى أرسلتَهُ ... إن المُهَيْمِنَ واصلٌ مَنَّانُ

ولولا أننا نلتزم ما آمنا به من مقياس لتوثيق الشعر البكرى لأعلنا ما تثيره فى نفوسنا أشعار الحُجَيْجَة .. إذ يبدو أنها من نظم شاعر متأخر ، فى لغته وأسلوبه ، إلا أننا لا نجد فى قصائدها الأخرى مآخذ تدعم شكَّنا فيها .

وآخر ما نشك فيه من أشعار بنى شيبان ، تلك القصيدة المنسوبة إلى مُرَّةَ بنِ ذُهْل ، والتى يبدو فى مطلعها روح إسلامى لا يخفى ، وهو قوله [٢] :

والبَغْيُ فيه للمنيةِ هادٍ ... واللهُ للباغين بالمِرْصَادِ

أما أشعار بنى قيس بن ثعلبة ، فأول ما نشك فيه ، كثير من أشعار الحارث بن عُبَاد – وهى الأشعار التى انفرد بروايتها كتاب بكر وتغلب ، والتى تبدو كنقائض بينه وبين المهلهل بن ربيعة . ونعنى بذلك قصيدته التى أولها [٣] :

---

(١) القطعة ٦١ بالملحق .

(٢) القطعة ٧٦ بالملحق .

(٣) القطعة ١١٥ بالملحق .

كأنّا غُدْوَةً وبنى أبِينَا غَدَاةَ الْخَيْلِ تُقْرَعُ بالذُّكُورِ

ويقول فيها :

فَلَوْ نُشِرَ المقابرُ عَنْ كُلَيْبٍ لَخَبَّرَ فى الحِفَاظِ بِشَرِّ زِيرِ (١)

وقد أورد هذه القصيدة كتاب بكر وتغلب ، ردا على قصيدة المهلهل التى أولها (٢) :

أليلتنا بِذِى حُسُمٍ أَنِيرِى إذَا أنْتِ انْقَضَيْتِ فلا تَحُورِى

وهى التى يقول فيها :

فَلَوْ نُشِرَ المقابرُ عَنْ كُلَيْبٍ لَخَبَّرَ بالذَّنَائِبِ أَىُّ زِيرِ

فإما أن فن النقائض قد ظهر مبكرا قبل شعراء المعلقات ، ولكنهم انصرفوا عنه ، وإما أن هذه القصائد التى تُنْسَبُ إلى الحارث بن عُبَاد قد وضعها أناس كانوا على بَصَرٍ بسِماتِ هذا الفن الذى نما وتطور (٣) على أيدى جرير والفرزدق والأخطل فى العصر الأموى ، وهو ما نرجحه . وربما دَعَّمَ رأينا فَخْرُ الشاعر ببنى حَنِيفَة الذين لم يدخلوا فى حِلْف مع إخوانهم البكريين فى الجاهلية (٤) ، ولم يشاركوا كثيرا فى حروبهم ، لأن بنى حنيفة كانوا أهل مَدَرٍ . وإنما كان الحِلْفُ بين يَشْكُر وشيبان

(١) ورد هذا البيت فى قصيدة أخرى للحارث أولها : « علت أطلال مية من جفير » .

(٢) كتاب بكر وتغلب ص ٧٠ وما بعدها .

(٣) ونحن لا ننكر قصائد الهجاء التى أخذت شكل النقائض بين شعراء المسلمين وشعراء المشركين فى صدر الإسلام من مثل ما تبادله حسان بن ثابت وعبد الله بن الزِّبَعْرَى ولكنها لم تبلغ ما بلغته من النمو والازدهار فى عصر بنى أمية .

(٤) كتاب النقائض (ليدن) ٢/٧٢٨ .

وضُبَيْعَةَ بنِ قَيْس ، كما كان بين اللَّهَازِمِ وهم قيس وتَيْمُ اللات ابنا ثَعْلَبة ، وعِجْل ، ومعهم عَنَزَةُ من رَبيعَةَ (١) ، وكانوا جميعا أهْلَ وَبَرٍ .

ونشك إلى جانب ذلك فى أجزاء من قصيدة الحارث التى مطلعها (٢) :

عَفَا منزِلٌ بين اللِّوَا والْحَوابِسِ ... لِمَرِّ الليالى والرِّياح اللَّوابِس

وبخاصة البيت ١٣ منها ، لأن فيه ذِكْرا لِعادٍ ، وأنّ مساكنهم أصبحت قفرا بَسَابِسا ، إذ يقول فيه :

كأيام عادٍ إذ بَغَــوْا وتَكَبَّــرُوا ... فأضْحَتْ قُراهُم كالقِفَارِ الْبَسابِسِ

ونشك كذلك فى كثير من أبيات قصيدة الحارث التى أولها (٣) :

كلُّ شيءٍ مصيرُهُ لِزوالِ ... غَيْرُ ربى وصالح الأعمالِ

ففضلا عن المطلع الْمُصَرَّعِ المتمثل لقوله تعالى : ﴿ كُلُّ مَنْ عليها فانٍ ۔ ويَبْقَى وَجْهُ رَبِّكَ ذُو الجَلالِ والإكْرام ﴾ ، ففيها تَكْرارٌ لصدر بيت واحد على امتداد خمسين بيتا ، وهو قوله :

* قَرِّبا مَرْبِطَ النَّعامَةِ مِنِّى *

وهو أمرٌ لم نشهدْهُ فى الشعر الجاهلى ، ولا نكاد نجده فى الشعر العربى كله ، هذا إلى جانب بعض الأخطاء النحوية التى جرت مجرى

---

(١) كتاب النقائض (ليدن) ، ٢/٧٢٨ .

(٢) القطعة ١١٨ بالملحق .

(٣) القطعة ١١٩ بالملحق .

الإقواء ، والمقترنة بركاكة تدل على عدم امتلاك الناظم لناصية لغته وأداة تعبيره ... من مثل قوله :

أو نِزالًا لَقِيتُهُمْ فنِزَالًا مُصْلَتَ السيفِ لابِسًا سربالِ

وصحة « سربال » بالنصب لا الجر ، إلا أن تكون مضافة إلى ياء المتكلم .

والحق أن كثيرا من أشعار الحارث يُغَلِّفُها الشك والاتهام ، نظرا لطولها المسرف ، الأمر الذى لا نعهده عند شعراء المرحلة الأولى من الشعر البكرى . فإن صحت هذه القصائد – وهو ما لا نرجحه – فهو حقا مقصد القصيد ومهلهل الشعر العربى قبل المرقش الأكبر !

أما الأشعار التى تُنْسَبُ إلى سعد بن مالك ، فإننا نشك فى بعض أبيات قصيدته التى أولها (١) :

يابُؤْسَ حَرْبُكُمُ التى وَضَعَتْ أراهِطَ فاستراحُوا

وبخاصة فى مثل هذا البيت الذى يذكر فيه ثمود :

إنــا وإخْوتُنــا غدًا كَثَمُودِ حجر يوم طاحوا

وهذا من شأنه أن يوحى لنا بأن يدًا عبثَتْ بالقصيدة .

كما نشك إلى جانب ذلك فى الأبيات الثلاثة التى تنسب إلى قيس ابن ثعلبة بن عُكابة ، فقيسٌ هذا هو الجد الأكبر لبنى قيس ، وهو الجد

---

(١) القطعة ١٢٦ بالملحق .

الثانى للحارث بن عُبَاد ، ونظرا لِقِدَمِهِ ، فإننا نشك فيما نُسب إليه ، وبخاصة أنها قطعة واحدة من ثلاثة أبيات أولها (١) :

دَعَوْتُ بنى قَيْسٍ إلىَّ فَشَمَّرَتْ   خَنَاذِيذُ من سَعْدٍ طِوالُ السَّوَاعِدِ

أما أشعار بنى يَشْكُر ، فأول ما نشك فيه تلك الأبيات التى يفضل فيها أبو جِلْدَةَ اليَشْكُرِىّ أهل الشام على أهل العراق ، إذ يبدو فيها أثر العصبية التى استقرت بين الإقليمين خلال العصر الأموى ، يقول أبو جِلْدَةَ :

لَعَمْرِى لأهلِ الشام أطعنُ للقنا   وأحْمَى لِماَ يُخْشَى عليهِ الفَضَائِحُ

كما نشك إلى جانب ذلك فى الرجز الفاحش الذى ينسب إلى سُوَيْدِ بْنِ أبى كاهِل فى هجاء نِساءِ غُبَّرَ ... ولما كانت أمُّ سُوَيْدٍ منهم ، فلا يُعْقَل أن يَنْظِمَ الشاعرُ مثلَ هذا القول المُقْذِع فى خالاته ، وإلا فهو يُلْحِقُ بنفسه عارا لا يمَّحِى فى هذا المجتمع الجاهلى ، بل ويطعن فى الوقت نفسه فى صحة نَسَبِه .

هذا هو كل ما نشك فى صحته ، ونكاد ننفيه نفيا عن الشعر البكرى ، وما عدا ذلك فإننا نرجح صحته ، ودخوله فى التراث الشعرى الجاهلى لبنى بكر .

* * *

---

(١) القطعة ١٣٤ بالملحق .

الفصل الثالث

موضوعات شعر بنى بكر

(١)

موضوعات مشتركة بين شعراء بكر وسائر شعراء العصر

تعارف جمهور النقاد على تقسيم الشعر القديم إلى موضوعات مختلفة ، من مثل : الغزل ، والوصف ، والفخر والحماسة ، والمديح ، والهجاء ، والرثاء ، والحكم ، وما إلى ذلك ... وهى رؤية يرفضها بعض الباحثين المحدثين ؛ نظرا لما يثيره هذا التقسيم من شكوك حول الوحدة الفنية للقصيدة الجاهلية التى تجمع فى معظم أحوالها بين أغراض شتى ، أو نظرا لتأثرهم بالمذهب الرمزى فى فهم العمل الأدبى ، هذا الفهم الذى لم يقف حائلا دون تسرب مصطلح « الغرض » أو « الموضوع » فى دراساتهم ، وكأنهم يصدرون عن قبول مُضْمَرٍ لهذه التجزئة . وفى رأينا أن تقسيم الشعر إلى أغراض أو موضوعات أمر تفرضه طبيعة الدراسات الموضوعية للشعر ؛ إذ لكل عمل مضمونه الذى يتمثل فى الفكرة أو الأفكار التى يدور حولها . أما إذا انتقلت الدراسة إلى المجال الفنى ، وما قد تُعرض فيه من مناقشات حول وحدة الجو النفسى أو الوحدة العضوية أو الموضوعية وما إلى ذلك ، مما يتصل بالمنهج البنائى أو الأسطورى فى فهم الأدب ، فإن المجال فسيح لاختلاف الرأى ، أو قل لعرض ما يمكن أن يستخلصه القارئ أو الناقد من العمل الأدبى . والأمر حينئذ لا يقبل الحكم بالخطإ أو الصواب ؛ مادام العمل الفنى – وفقا لمثل هذا المذهب – قد أصبح ملكا للقارئ بعد خروجه من تحت يد صاحبه .

وانطلاقا من هذا الفهم ، لم نجد غضاضة فى الإبقاء على فكرة تقسيم الشعر الجاهلى أو القصيدة الجاهلية إلى موضوعات .

الغـــزل :

ونقصد بالغزل : كل حديث يديره الشاعر حول محبوبته ، من وقوف بأطلالها أو رسوم ديارها ، أو تصويرٍ لمفاتنها ، وما تثيره ذكراها فى نفسه من مشاعر وأحاسيس . وهذا كله نجده فى أشعار البكريين ، الذين وقفوا طويلا عند المرأة ، ناعتين أعضاءها ، وكل ما يتصل بها ، فقد شبهوا وجهها بالدِّينار ، ونعتوه حينا بالبياض . كما شبهوا ريحها بالمِسْك . وأصابعها بالْعَنَم ، وشعرها الفاحم الطويل بالحِبال ، من مثل ما نجد فى قول المُرَقِّش الأكبر (١) :

النَّشْرُ مِسْكٌ ، والوُجُوهُ دَنَا نِيرُ ، وَأَطْرافُ الْبَنَانِ عَنَمْ (٢)

وقول المرقش الأصغر (٣) :

أَلا حَبَّذا وَجْهٌ تُرِينَا بَيَاضَهُ وَمُنْسَدِلَاتٍ كالْمَثانى فَوَاحِمَا (٤)

ونعتوا امتلاء جسدها ، ونعومة عنقها ولينه (٥) ، ووصفوا فمها ، وشبهوا ريقها بالخمر المعتقة (٦) ، وبماء السحاب (٧) ، كما تحدثوا عن

---

(١) المفضليات . المفضلية ٥٤ ، البيت السادس .
(٢) النشر : الريح . الْعَنَم : شجر أحمر ، شبه به حمرة أطراف الأصابع .
(٣) المفضلية ٥٦ ، البيت ١١ .
(٤) المنسدلات : النوائب المسترخية . المثانى : الحبال . الفواحم : السود .
(٥) المفضلية ٥٠ ، البيت الرابع .
(٦) المفضلية ٥٥ ، الأبيات ٨ – ١١ .
(٧) المفضلية ٥٦ ، البيت الرابع .

نعومة خَدِّها [١] ، وزينتها وحُليها من قُرْط ونحوه . من مثل قول المرقِّش الأصغر [٢] :

تَحَلَّيْنَ ياقُوتًا وشَذْرًا وَصِيغَةً وَجَزْعاً ظَفارِيًّا وَدُرًّا تَوائِمَا [٣]

وقول الأكبر [٤] :

يُهَدِّلْنَ فى الآذانِ مِنْ كُلِّ مُذْهَبٍ لَهُ رَبَذٌ يَعْيَا به كُلُّ واصِفِ [٥]

ونعتوا إلى جانب ذلك مِجْمَرَتَها [٦] ، وحديثها اللَّيِّن الخَفِيض [٧] :

نَشَرْنَ حَديثًا آنِسًا فَوَضَعْنَهُ خَفِيضًا فلا يَلْغَى بِهِ كلُّ طائِفِ [٨]

وتحدثوا عن عِفَّتِها وما هى فيه من نِعمة [٩] ، يقول المرقش الأكبر [١٠] :

---

(١) المفضلية ٤٦ ، البيت التاسع .

(٢) المفضلية ٥٦ ، البيت التاسع .

(٣) الشَّذْر : اللؤلؤ . صيغة : ما صِيغ من الذهب . الجَزْع : الخَرَزُ اليمانى ، وهو من أنفس الجواهر . ظِفار : بلد باليمن . توائما : اثنتين اثنتين .

(٤) المفضلية ٥٠ ، البيت الخامس .

(٥) يهلن : يسدلن ، ويرسلن . المذهب : المصوغ من الذهب ، يعنى قرطا . الربذ : الاضطراب .

(٦) المفضلية ٥٧ . البيت التاسع . والمجمرة هى التى يوضع فيها الجَمْرُ مع الدُّخْنَة ، لتدخن بها الثياب أى تُبَخَّر .

(٧) المفضلية ٥٠ ، البيت الثامن . للمرقش الأكبر .

(٨) وضعنه خفيضا : خفضن به أصواتهن . لا يلغى به : لا يخوض فيه . كل طائف : كل من طاف بهن . يريد أن حديثهن لا يكون إلا عند من يصونه .

(٩) المفضلية ٥٧ ، البيتان ٩ ، ١٠ . للمرقش الأصغر .

(١٠) المفضلية ٤٦ ، البيتان ٥ ، ٦ .

نَواعِمُ لا تُعالِجُ بُؤْسَ عَيْشٍ أَوانِسُ لا تَروحُ ولا تَرُودُ
يُرُحْنَ مَعًا بِطَاءَ الْمَشْيِ بُدًّا عَلَيْهِنَّ المَجاسِدُ والبُرودُ (١)

ونعتوا إلى جانب ذلك الحب وتباريحه (٢) ، ودَعَوا للحبيبة بالسلامة فى الحل والتَّرْحَال (٣) ، ووقفوا عند أطلالها ورسومها (٤) ، وشبهوا هذه الرسوم بالكتابة ، من مثل قول المرقِّش الأكبر (٥) :

الدّارُ قَفْرٌ والرُّسُومُ كَمَا رَقَّشَ فى ظَهْرِ الأَدِيمِ قَلَمْ

كما صوروا موقف الوداع ورحيل المحبوبة (٦) :

وَدِّعْ هُرَيْرَةَ إِنَّ الركْبَ مُرْتَحِلُ وهل تُطِيقُ وَدَاعا أيها الرَّجُلُ

وأكثروا من ذكر طيف المحبوبة وخيالها ، وما يعانيه المحب من السُّهْد والأَرَق (٧) :

سَرَى ليلا خَيالٌ من سُلَيْمَى فَأَرَّقَنى وأصحابى هُجُودُ
فَبِتُّ أُدِيرُ أَمْرِى كُلَّ حالٍ وأَرْقُبُ أَهْلَها وَهُمْ بَعِيدُ

---

(١) بُدًّا : جمع بَدَّاء ، وهى الكثيرة لحم الفخذين حتى تَصْطَكَّا . المَجاسِد : جمع مِجْسَد ، وهو الثوب المصبغ بالجِسَاد وهو الزعفران ، أو هو الثوب الذى يلى الجسد .

(٢) المفضلية ٥٥ البيت السابع ، والمفضلية ٥٦ البيتان ٦ ، ١٥ .

(٣) المفضلية ٥٦ البيت ١٧ .

(٤) المفضليات ١/٤٧ ، ١/٤٩ – ٥ ، ١/٥٤ – ٤ ، ١/٥٥ – ٢ ، ١/٥٧ – ٤ .

(٥) المفضلية ٢/٥٤ .

(٦) ديوان الأعشى الكبير ص ٥٥ .

(٧) المفضيلة ٤٦ للمرقش الأكبر .

ويقول الحارث بن حِلِّزة (١) :

طَرَقَ الخَيَالُ ولا كَلَيْلَةِ مُدْلِجِ ... سَدِكًا بِأَرْحُلِنَا وَلَمْ يَتَعَرَّجِ (٢)

أَنَّى اهْتَدَيْتُ وكنتِ غيرَ رَجِيلَةٍ ... والقومُ قد قَطَعُوا مِتانَ السَّجْسَجِ (٣)

الفخر والحماسة :

أخذ شعر بنى بكر منذ أقدم نصوصه بنصيبه من هذا الفن — شأنه فى ذلك شأن الشعر الجاهلى عامة — ومعلوم أن هذا الفن ينقسم قسمين :

أولهما : يتصل بوجدان الفرد وفضائله النفسية والجسمية .

وثانيهما : يتصل بوجدان القبيلة أو بالوجدان الجَمْعِىّ .

وإن شئنا فهو ينقسم أقسامًا ثلاثة : الوجدان الفردى ، والوجدان الجَمْعِىُّ الضيق الذى يقتصر على بطن أو بطون من القبيلة دون غيرها ، والوِجْدَان الجَمْعِىّ بمعناه القبلى الذى يَشْمَل كلَّ بُطون القبيلة ، ويتحدث باسمها جميعا ، فهو لسان حال القبيلة الأم ، لا تلمح فيه انحيازا لفرع دون الفروع ، أو لعشيرة دون غيرها من العشائر ، ولابد أنه كان لكل قسم منها أسبابه ودوافعه التى دفعت الشاعر فى هذا الاتجاه دون غيره .

---

(١) المفضلية ٦٢ .

(٢) المُدْلِج : الذى سار الليل كله . السَّدِك : الملازم . لم يتعرَّج : لم يقم .

(٣) الرَّجيلة : القوية على المشى . المِتَان : كالمُتُون ، جمع مَتْن ، وهو ماغلظ من الأرض . السَّجْسَج : المكان الواسع الصُّلْب المستوى .

ولعل أكثر ما نجده فى شعر بنى بكر ، القسمين الأولين — الفَرْدِىّ ، والْقَبَلِىّ الضيق — وهذا ما يجعلنا نظن أحيانا أن الفخر بمعناه الواسع — الذى يعبر عن روح الحياة فى العصر الجاهلى — إنما يستمد وجوده من رافدين :

أحدهما : استعباد التراث الشعرى للشعراء فى بعض أحوالهم .

وثانيهما : المواقف الصعبة التى صادفت القبيلة أو الشاعر ، إذ يضطر خلالها وأمام تحدى القبيلة المعادية أو الشاعر الآخر إلى توسيع مدى عصبيته بالفخر بالقبيلة كلها وبأيامها الخالية .

وأما الفخر الفردى ، فنجده عند طَرَفَةَ بنِ الْعَبْدِ ، فى مثل قوله (١) :

وَإِنْ أُدْعَ لِلْجُلَّى أَكُنْ من حُماتِهَا وَإِنْ يَأْتِكَ الأَعْدَاءُ بالجَهْدِ أَجْهَدِ (٢)
وَإِنْ يقذِفُوا بالقَـذْعِ عِرْضَكَ أَسْقِهِـمْ بِشُرْبِ حِياضِ الْمَوْتِ قَبْلَ التَّهَدُّدِ (٣)

وقوله (٤) :

أنا الرَّجُلُ الضَّرْبُ الذى تَعْرِفُونَهُ خِـشَاشٌ كَرَأْسِ الحَيَّةِ الْمُتَوَقِّدِ (٥)

---

(١) ديوان طرفة بن العبد . تحقيق على الجندى ص ٥٦ .

(٢) الجُلَّى : مؤنث الأجل ، وهو الأمور العظيمة . الجَهْد : المشقة والشدة .

(٣) يقذفوا : يرموا وينسبوا أقبح الصفات . القذع : القبيح والفحش . العِرْض : موضع المدح والذم من الإنسان .

(٤) الديوان ص ٥٩ .

(٥) الضرب : الخفيف من الرجال ، الظريف . الخَشَاش : الرجل الماضى فى الأمور . المتوقد : الذكى الكثير الحركة .

وآلَيْتُ لايَنْفَكُّ كَشْحِى بِطانَةً ... لِعَضْبٍ رَقِيقِ الشَّفْرتين مُهَنَّدِ (١)
أَخِى ثِقَةٍ لا يَنْثَنِي عن ضَرِيبَةٍ ... إذَا قِيلَ مَهْلاً قالَ حاجِزُهُ قَدِى (٢)
حُسامٍ إذَا مَا قُمْتُ مُنْتَصِرًا بِهِ ... كفى العَوْدُ مِنْهُ البَدْءُ ليس بِمِعْضَدِ (٣)
إذَا آبْتَدَرَ القَوْمُ السِّلاحَ وَجَدْتَنِى ... مَنِيعًا إذا بَلَّتْ بِقائِمِهِ يَدِى (٤)

وشعر الفخر الذى ينبع من وِجدان فردى ، ويتغنى بتمجيد الذات لا يكون بالضرورة وفى كل الأحوال على حساب الفخر القبلى ، فقد لا يتعارض الأمران فى بعض الأحيان . وقد يأخذ الشاعر بحظه من هذا وذاك . ولكن حينما يَنْفَرِط العَقْدُ بين الشاعر وقبيلته لأمر ما كما حدث لطرفة – مثلا – فإن الفخر الفردى يكون فى هذه الحالة مقابلا للفخر الجَمْعِيّ .

وأما الفخر القبلى الضيق الذى ينحصر فى بطن من بطون القبيلة ويتحمس لها ، ويدافع عنها ولَوْ على حساب البطون الأخرى ، فنجده

---

(١) آليت : حلفت . لا ينفك : لا يزال ملازما . الكشح : ما بين الخاصرة إلى الضلع الخلفى ، والمقصود الجنب . بطانة الثوب : ضد ظهارته . عَضْب : قاطع . الشفرتان : حَدَّا السَّيف .

(٢) أخى ثقة : أى هذا السيف أهل للثقة به لمضائه وحدته . لا ينثنى : لا يرجع . الضريبة : المضروبة . مَهْلا : تأن وتمهل . حاجِزُه : حَدُّه . قَدِى : حَسْبِى ، أى فرغ من القطع وانتهى .

(٣) العَوْد : الضربة الثانية . البدء : الضربة الأولى . المِعْضَد : الردىء من السيوف الذى يُمْتَهَنُ فى قَطع الشجر ، وهو السيف الكليل .

(٤) ابتدر القوم السلاح : تبادروا الأسلحة ، وتسابقوا عليها لأمر دَهَمَهُم . بَلَّتْ : ظَفِرَتْ .

عند شعراء بنى يَشْكُر وخاصةً لدى الحارث بن حِلِّزَة – فى معلقته المشهورة – فلا نحسبه حين يتحدث فيها بضمير الجماعة – متهكما على بنى تَغْلب – يتعدى حدود عشيرته اليشكريين فى مثل قوله [١] :

أَنَّ إِخْوانَنَا الأَراقِمِ يَغْلُـو نَ علينا ، فى قِيلِهِمْ إِحْفَاءُ [٢]
يَخلِطُونَ البَرِىءَ مِنَّا بِذِى الذَّنْـ ـبِ ولا ينفَعُ الخَلِىَّ الخَلَاءُ [٣]
زَعَمُوا أَنَّ كُلَّ مَنْ ضَرَبَ الْعَيْـ ـرَ مَوالٍ لَنَا وأَنَّا الوَلَاءُ

انظر إليه يتحدث عن بنى حنيفة البكريين ويساوى بينهم – فى علم تحمل بنى يَشْكُر جَرِيرَتَهم – وبين كِنْدَةَ ، وإيادٍ ، وتميم ، وغيرهم من القبائل ، فى هذا التهكم المُرِّ ببنى تغلب :

عَنَنًا باطِلًا وظُلْمًا كما تُعْـ ـتَرُ عن حُجْرَةِ الرَّبِيضِ الظِّبَاءُ [٤]
أَعَلَيْنَا جُناحُ كِنْدَةَ أَنْ يَغْـ ـنَمَ غَازِيهِمْ وَمِنَّا الجَزَاءُ

....

أَمْ علينا جَرَّى حَنِيفَةَ أَمْ مَا جَمَّعَتْ مِنْ مُحَارِبٍ غَبْرَاءُ

---

(١) شرح المعلقات السبع للزوزنى . القاهرة ، مكتبة صبيح سنة ١٩٦١ م ص ١٩٨ وما بعدها .

(٢) الغلو : مجاوزة الحد . الإحفاء : الإلحاح . ثم فسر ذلك فقال غلوهم فى عدوانهم علينا فى مقالهم .

(٣) يريد بالخَلِىّ البرىء الخالى من الذنب .

(٤) العنن : الاعتراض. العتيرة : ذبيحة كانت تُذبح للأصنام فى رجب . الحجرة : الناحية ، والجمع حجرات ، وكان الرجل ينذر إن بلغ الله غنمه مائة ذبح منها واحدة للأصنام ، ثم ربما ضنت نفسه بها فأخذ ظبيا وذبحه مكان الشاة الواجبة .

وقد نلتمس للشاعر بعض العُذر فى مثل هذه الأحوال ، فهو يصور الواقع تصويرا أمينا (١) ، فبنو يَشْكُرَ من البطون البكرية التى يشهد تاريخها بالتخاذل عن نُصْرة البطون الأخرى ، ففى حرب البسوس تخاذَلت ، حتى عَيَّرَهَا سَعْدُ بنُ مالك بهذا التخاذل ، فقال (٢) :

وَيَشْكُرُ أُضْحَتْ على نَأْيِهَا لَمْ تَسْمَعِ الآنَ لها حَامِدَا

كما نجد شكا واضحا فى اشتراكها مع القبيلة فى يوم ذى قار (٣) . ويبدو أن خلافَهم مع إخوانهم الشيبانيين هو سبب هذا الفتور . ونحن نلمح أطرافا من هذا الخلاف عند الشاعر راشِد بن شِهاب اليشكرى ، فى مثل قوله (٤) :

مَنْ مُبْلِغٌ فِتيانَ يَشْكُرَ أننى
أرَى حِقْبَةً تُبْدِى أمَاكِنَ لِلصَّبْرِ (٥)
فأُوصيكُمُ بالحَىِّ شَيْبَانَ إنَّهُمْ
هُمُ أَهْلُ أبناءِ العَظَائِمِ والْفَخْرِ

على أنَّ قَيْسًا قَالَ قَيْسُ بْنُ خالدٍ :

لَيَشْكُرُ أحْلَى إنْ لَقِينَا من التَّمْرِ (٦)
رأيتُكَ لما أن عرفْتَ وُجُوهَنَا
صَدَدْتَ وَطِبْتَ النفسَ ياقيسُ عَنْ عمرِو (٧)

---

(١) هذا إذا لم يكن الغرض من الاستفهام هو التذكير . بمخازى تغلب والتهكم عليهما .

(٢) أغانى (ساسى) ٤ : ١٤٦ .

(٣) أيام العرب فى الجاهلية ص ٣٦ .

(٤) المفضلية ٨٧ .

(٥) الحقبة من الدهر : مدة لا وقت لها . أماكن للصبر : أراد أحداثا كثيرة شديدة يستقبلونها تستدعى منهم الصبر .

(٦) أى هم بمنزلة الغنيمة ، لا نبالى ألَقِينَاهُم أم لَقِينا تمْرًا نأكله .

(٧) أى لما عرفت وجوهنا فررت ، وطابت نفسك عن حميمك عمرو الذى قتلناه .

رأيتَ دمـــاءً أسْهَلَتْهارِماحُنَـــا
شآبِيبَ مِثْلَ الأُرْجُوانِ على النَّحْرِ (١)

أما الفخر الذى يتغنى بمفاخر القبيلة ومناقِبها ، والذى يعبر عن الوجدان الجَمْعِىّ لبنى بكر ، ففى مثل قول المرقِّش الأكبر (٢) :

هَلَّا سَأَلْتِ بِنا فوارِسَ وائِلٍ   فَلَنَحْنُ أَسْرَعُها إلى أعدائِهَا
ولنحنُ أكثرُها إذَا عُدَّ الحَصَى   ولنا فَواضِلُهَا ومَجْدُ لِوائِهَا

كما نجد هذا اللون من الفخر عند عبد المسيح بنِ عَسَلَةَ الشَّيْبَانِىّ حين يذكر ما كان بين قومه البكريين وبين بنى تغلب يوم عُنَيْزَةَ – أحد أيام حرب البسوس – فيقول (٣) :

غَدَوْنَا إليهِمْ والسيوفُ عِصِيُّنَا
بأَيْمانِنا نَفْلِى بِهِنَّ الجَماجِمَا (٤)
لَعَمْرِى لأشْبَعْنَا ضِباعَ عُنَيْزَةٍ
إلى الحَوْلِ مِنْها والنُّسُورَ القَشَاعِمَا (٥)
تَمَكَّكُ أطْرافَ العِظامِ غُدَيَّةً
ونَجْعَلُهُنَّ لِلأُنُوفِ خَوَاطِمَا (٦)

---

(١) أسهلتها : أسالتها . والشآبيب : جمع شؤبوب ، وهو الدفعة . الأرجوان : صبغ أحمر ، شبه به الدم .

(٢) المفضلية ٥١ .

(٣) المفضلية ٨٣ .

(٤) فلى رأسه بالسيف : ضربه وقطعه .

(٥) عنيزة : موضع دارت عنده موقعة من مواقع حرب البسوس وسميت به . القَشاعِم : جمع قَشْعَم ، وهو المُسِنُّ من النسور ، الكبير منها .

(٦) تَمَكَّكُ : تتمكَّك ، والتمكُّك : إخراج المخِّ من العظم بالشفتين ، أو مَصُّ جميع ما فى الضَّرْع ، وقيل التمكك شدة الاستقصاء على العظم بالضرس ، وهذا المعنى=

كما نجده عند الأعشى فى مثل قوله (١) :

أبا مِسْمَعٍ : إنى امرؤٌ من قبيلةٍ   بَنَى لِىَ مَجْدًا مَوْتُها وَحَيَاتُها (٢)

ويزخر الشعر البكرى بهذه الألوان الثلاثة من الفخر ، التى تُعَدِّدُ المناقِب والمُثُلَ العليا فى هذا المجتمع ، شأنه فى ذلك شأن الشعر الجاهلى عامة .

الوصـــف (٣) :

ومن موضوعات شعر بنى بكر التى اشتركوا فيها مع شعراء البادية فى العصر الجاهلى الوصف ، فقد وصفوا رحلتهم فى الصحراء ، فى صور تنبض بالحياة ، كأنها لوحة تتحرك على الكلمات ، على نحو ما نجد عند المرقش الأكبر - رائد الشعر البكرى - حين ينعت رحلته ليلا فى صحراء قاحلة قاسية ، قليلها معلوم وأكثرها مجهول ، وسْط ظلام دامِس ، لا يَسْمَعُ فيه إلا صَوْتَ البُومِ ، ينعق متقطعا كجَرْسِ النَّواقيس . يقول (٤) :

= ليس فى المعاجم (شارحا المفضليات) والضمير فى الفعل للسيوف . غُدَيَّة : تصغير غداة . خواطما : أى خطمنا أنوفهم بهذه الوقعة ، أى صيرنا بها عارا عليهم كالعلامة على أنوفهم .

(١) الديوان ص ٨٥ .

(٢) أبو مسمع : جد المسامعة وهو شيبان بن شهاب .

(٣) لم نجد مناصا من استعمال كلمة « الوصف » رغم أننا ندرك اتساع مدلولها ليشمل كثيرا من أغراض الشعر ، إذ يمكن القول إن الهجاء وصف لمساوئ المهجو ، والمديح وصف للخصال الحميدة التى يتحلى بها الممدوح ، والغزل وصف لمفاتن المرأة ، كما يمكنه أن يشمل وصف المشاعر أو العواطف على اختلافها . ومعلوم أن الاضطراب فى تحديد هذه الأغراض أمر قديم من مثل ما نعرف عن باب مذمة النساء فى الحماسة وهو ما يمكن أن ندخله فى باب الهجاء ... وهكذا وعلى هذا . ونظرا لقبولنا التقسيم التقليدى لأغراض الشعر ، فنحن نعنى بالوصف : ما قيل فى وصف الطبيعة وما بها من صحراء وحيوان ودواب ، وما قيل فى وصف الرحلة وما قيل فى نعت الخمر وأوانيها ومجالسها ، وإن كنا قد أفردنا للخمريات عنوانا مستقلا إثر حديثنا عن الوصف .

(٤) المفضلية رقم ٤٧ .

وَدَوِّيَّةٍ غَبْرَاءَ قد طالَ عَهْدُها ... تَهالَكَ فيها الوِرْدُ والمرءُ نَاعِسُ (١)
قطعتُ إلى مَعْرُوفِها مُنْكَراتِها ... بِعَيْهامَةٍ تَنْسَلُّ والليلُ دَامِسُ (٢)
تركتُ بها ليلًا طويلا ومَنْزِلًا ... وَمُوقَدَ نارٍ لم تَرُمْهُ القَوابِسُ (٣)
وَتَسْمَعُ تَزْقاءً من البُومِ حَوْلَنا ... كما ضُرِبَتْ بَعْدَ الهُدُوءِ النَّواقِسُ (٤)

ويجلس الشاعر وسط السكون الهائل ليستريح ، ويتناول شيئا من الطعام ، فيشعل النار فى مكان غير آهل بالبشر ، ويشرع فى شِوَاءِ ما نَحَرَهُ من حيوان ، ويأتى ذئب على رائحة الشِّواء يلتمس فضلا منه ، فيلقى إليه المرقش قطعة من شِوائه ، فيعود بها الذئب جَذْلَانَ فَرِحا ، كأنه فارس عاد بغنيمته (٥) :

ولما أضأْنا النارَ عند شِوَائِنَا
عَرَانا عليها أطْلَسُ اللونِ بائسُ (٦)
نَبَذْتُ إليه حُزَّةً من شِوائِنَا
حياءً، وما فُحْشِى على من أُجالس (٧)
فآضَ بها جَذْلَانَ ينفُضُ رأسَهُ
كما آبَ بالنَّهْبِ الكَمِيُّ المُحالِسُ (٨)

---

(١) الدوِّية : القفر . تهالك : تسرع السير . وأراد بالوِرْد ههنا الإبل .
(٢) العَيْهامة : القوية الجريئة ، أراد ناقته . الدامس : الشديد السواد .
(٣) أى قطعتها وقد بقى من الليل بقية . موقد النار : مكان إيقادها . لم تَرُمْهُ القَوابِس : لم يكن فيه أحد يقتبس نارا لأنه كان وحده . والقابس : طالب النار .
(٤) التزقاء : الصياح : النَّواقِس : جمع ناقوس ، كالنواقيس .
(٥) المفضلية رقم ٤٧ .
(٦) عرانا : أتانا طالبا معروفنا . أطلس اللون : عنى به الذئب ، والطُّلْسَة : لون الخِرْقَة الوَسِخَة ، وأراد أنه أغبرُ إلى سواد .
(٧) الحزة ، بضم الحاء : القطعة .
(٨) آض : رجع . الجذلان : الفرح النشيط . النَّهْب : الغنيمة . الكَمِيّ : الشجاع الذى يَكْمِى شجاعته ، أى يسترها لوقت الحاجة . المُحَالِس : الشديد الذى=

ويستأنف الشاعر رحلته وقد طلَع النهار ، يقطع الفيافى التى تبدو فيها الجبال من بعيد يلفُّها السَّراب ، وكلما خَلَّفَ جبلا بَدَا له علمٌ آخر يُغَلِّفه السراب :

وأَعْرَضَ أعلامٌ كأنَّ رُءُوسَهَا ... رءوسَ جبالٍ فى خَليجٍ تَغَامَسُ (١)
إذَا عَلَمٌ خَلَّفْتُهُ يُهْتَدَى بِهِ ... بَدَا عَلَمٌ فى الآلِ أَغْبَرَ طامِسُ (٢)

وربما لمحنا أثر المرقِّش الأكبر فى وصف الفلاة الجرداء ، المجهولة للراحلين ، والتى يسبح فيها السراب — إذا ارتفعت الشمس — حول الجبال ، وعلى البَيْدَاء ، فى قول سُوَيْدِ بن أبى كاهِل (٣) :

وفَــلاةٍ واضِحٍ أقرابُهَــا ... بَالياتٌ مِثْلُ مُرْفَتِّ الْقَزَعْ (٤)
يَسْبَحُ الآلُ على أعلامها ... وعلى البِيدِ إذا اليومُ مَتَعْ (٥)
فَركبناها على مَجْهولِهـا ... بِصِلابِ الأرضِ فِيهِنَّ شَجَعْ (٦)

= لا يبرح مكانه فى الحرب .

(١) أعرض : بدا وظهر . الأعلام : الجبال . الخليج ههنا من السراب ، شبهه بالماء . تغامس : تتغامس ، أى تنغمس .

(٢) الآل : السراب . طامس : دارِسٌ مَمْحُوّ .

(٣) المفضلية رقم ٤٠ .

(٤) الأقراب : الخواصر ، وهى هنا تشبيه ، أراد جوانبها وأطرافها التى هى منها بمنزلة الخواصر من الناس . المُرْفَتّ : المتكسر المتحطم . القزَع : جمع قزعة ، وهى بقايا تبقى من الشعر فى الرأس ، شبه بها علامات الفَلاة .

(٥) الآل : السراب . الأعلام : الجبال . البيد : جمع بيداء ، وهى القفر . متع اليوم : ارتفعت شمسه .

(٦) على مجهولها : سرنا فيها على جهل بمسالكها وأعلامها . بصلاب الأرض : بخيل صلاب الحوافر ، وأرض الفرس : حوافرها . الشَّجَع : جنون النشاط .

وعلى نحو ما وصفوا رحلتهم ، وصفوا حيوانهم ... فنعتوا الناقة ، والفرس ، والبقر والكلاب والثور الوحشى ، وما كان يدور بينها من صراع فى الصحراء . ويَتَسَنَّمُ طَرَفة بن العبد مكانا ساميا بين الشعراء الجاهليين فى وصف الناقة ، فقد وصفها وصفا دقيقا لا يكاد يترك فيه عضوا أو جزءا دون تصوير ، وكأنه كان بها مغرما ، أو قُلْ كأنه وجد عندها الحنان الذى افتقده عند بنى الإنسان .

ولم يكن الشاعر الجاهلى عامة ، أو البكرى خاصة ، يقد عند الناقة إلا فى البيت أو البيتين ، يصفها فيه أو فيهما بالقوة والجرأة والسرعة فى السير ، على نحو ما نجد فى قول المرقش الأكبر (١) :

فَهَلْ تُبلِغَنِّــى دَارَ قَوْمِــىَ جَسْرَةٌ   خَنُوفٌ عَلَنْدَى جَلْعَدٌ غيرُ شارِفِ (٢)
سَدِيسٌ عَلَتْهـا كَبْـرَةٌ أو بُوَيْـزِلٌ   جُمَالِيَّـةٌ فى مَشْيِهـا كَالتَّقَـاذُفِ (٣)

ويأتى طرفة ، فيُفَصِّل القول فى ناقته تفصيل العاشق الوالِه ، لا يكاد يدع عضوا إلا تناوله : الذيل الذى يشبه جناحَىْ نِسْرْ ، والفَخِذان المملوءتان باللحم ، والظهر وفقاره المتراصّة ، والعُنُق إلى النَّحْر ، والمِرْفَقان اللذان يشبهان فى ارتفاعهما قنطرة شَيَّدَها رومىّ فأحسن

---

(١) المفضلية رقم ٥٠ .

(٢) الجَسْرة : الناقة الطويلة على الأرض . الخَنُوف : التى إذا سارت قلبت خُفَّ يدها ، أو هى اللينة اليدين فى السير . العلنْدَى : الوثيقة المجتمعة . الجلعد : القوية الشديدة . الشارف : الهَرِمة .

(٣) السَّدِيس : التى استوفت سبع سنين ، يقال للذكر والأنثى . علتها كَبْرة : أى من رآها ظن أن لها من السنين أكثر ما لها . بُوَيْزِل : مصغر بازل ، وهى التى طلع نابها . الجُمالية : المشبهة بِخَلق الجَمل . التقاذف : التدافع فكأنها ترج بنفسها زَجًّا .

بناءها ، كما نعت اتساعها فى السير ، ويديها ، ورأسَها العظيمةَ ، وآثارَ الأنساع فى ظهرها ، وعنقَها الطويل الذى يشبه سكان السفينة ، والجمجمة التى تشبه السِّنْدَان فى قوتها وصلابتها ، وعينيها اللتين تشبه المرآة فى صفائها وعين البقرة الوحشية فى سَعتهما ، وخَدَّها الذى يشبه صحيفة الشامى فى البياض والنعومة وهو دليل على الأصالة وعدم الهُجْنَة ، والمِشْفَرَ ، والأذنين المحددتين مُرْهَفَتى السمع ، والقلبَ الذى يرتاع لأدنى شيء من فرط الذكاء . كما نعت طرفة إلى جانب ذلك كله سرعتها التى تشبه سرعة ذَكَرِ النَّعام ، ووصفها بأنها مذللةٌ سهلةُ الانقياد ، جريئةٌ على الأهوال ، تتكسر الحجارة من شدة وقْع أقدامها . يفصل طرفة ذلك كله على امتداد تسعةٍ وعشرين بيتا من معلقته . يقول (١) :

وَإِنِّى لَأُمْضِى الهَمَّ عند آحتضارِهِ   بِعَوْجَاءَ مِرْقالٍ تَروحُ وتَغْتَدِى (٢)
أَمونٍ كألواحِ الإرانِ نَسَأْتُها   على لاحِبٍ كأَنَّهُ ظَهْرُ بُرْجُدِ (٣)
جُمالِيَّةٍ وَجْناءَ تَرْدِى كأنَّها   سَفَنَّجَةٌ تَبْرى لأَزْعَرَ أَرْبَدِ (٤)

---

(١) الديوان ص ٣٤ وما بعدها .

(٢) احتضاره : حضوره . عوجاء : ضامرة ، أو لا تستقيم فى سيرها لفرط نشاطها . مرقال : يسرع وينفض رأسه .

(٣) أمون : يؤمن عثارها . الإران : تابوت الموتى . نَسَأْتُها : ضربتها بالمِنْسَأة وهى العصا . لاحب : طريق واضح . برجد : كساء مخطط .

(٤) جمالية : تشبه الجمل فى تكوين جسمه . الوجناء : المُكتَنِزة اللحم والعظيمة الوَجَنات . الرديان : العدو ، تَرْدِى : تعدو وتسرع . سَفَنَّجة : نعامة . تبرى : تعرض . الأزعر : ذكر النعام القليل الشعر . أَرْبد : يميل لونه إلى لون الرماد .

تُبارِي عِتاقًا نَاجِياتٍ وأَتْبَعَتْ ... وَظِيفًا وظِيفًا فَوْقَ مَوْرٍ مُعَبَّدِ (١)
تَرَبَّعَتِ القُفَّيْنِ فى الشَّوْلِ تَرْتَعِى ... حَدَائِقَ مَوْلِيِّ الأَسِرَّةِ أَغْيَدِ (٢)
تَرِيعُ إلى صَوْتِ المُهِيبِ وَتَتَّقِى ... بِذِى خُصَلٍ رَوْعَاتِ أَكْلَفَ مُلْبِدِ (٣)
كأَنَّ جَناحَىْ مَضْرَحِيٍّ تَكَنَّفَا ... حِفافَيْه شُكَّا فِي العَسِيبِ بِمِسْرَدِ (٤)
فَطَوْرًا به خَلْفَ الزمِيلِ وتارةً ... عَلَى حَشَفٍ كالشَّنِّ ذاوٍ مُجَدَّدِ (٥)
لها فَخِذَانِ أُكْمِلَ النَّحْضُ فيهما ... كأنهما بَابَا مُنِيفٍ مُمَرَّدِ (٦)
وَطَىٌّ مَحَالٍ كَالْحَنِىِّ خُلُوفُهُ ... وَأَجْرِنَةٌ لُزَّتْ بِدَأْيٍ مُنَضَّدِ (٧)

---

(١) تبارى : تسابق وتغالب . عتاقا : إبلا كراما . ناجيات : مسرعات فى السير . والوظيف ، فى اليد من الرُّسْغ إلى الركبة ، وفى الرِّجْل من الرُّسْغ إلى العرقوب . مَوْر : طريق . مُعَبَّد : مذلل .

(٢) التَّربُّع : رعى الربيع . القفين : اسم لموضع معين . الشَّول : جمع شائلة وهى الناقة خف ضرعها . المولى : الذى أصابه الولى وهو مطر يلى مطر . الأسِرَّة : بطون الأودية وغيرها . أغيد : ناعم ، يتثنى من النعمة .

(٣) تَرِيعُ : ترجع . المهيب : الداعى . ذى خُصَل من الشَّعر . رَوعات : جمع روعة ، وهى الفزع . الأكلَف : لونه بين السواد والحمرة . مُلبد : ذو وبر متلبد .

(٤) مضرحى : نسر أبيض . تكنَّفا : صارا عن يمين الذنب وشماله . حِفافَيه : جانبيه . شُكا : غرزا . العسيب : عظم الذنب . مِسْرَد : إبرة يخرز بها .

(٥) الزميل : الرديف . حَشَف : ضرع لا لبن فيه . الشَّنّ : القِربة البالية الجافة . ذاوٍ : ذابل . مُجَدد : ذاهب لبنه .

(٦) النحض : اللحم . منيف : مرتفع . ممرد : مشرف .

(٧) المَحَال : فِقار الظهر . الحَنى : جمع حَنِيَّة وهى القوس . الخَلوف : الأضلاع . أجْرِنَة : جمع جِران ، وهو من البعير مقدم عنقه من مذبحه إلى منحره . لُزَّت : شُدت وضُمت . الدَّأْىُ : فِقار العنق . منضد : من التنضيد ، وهو وضع الشىء على الشىء ، أى ملصق بعضه ببعض .

كَأَنَّ كِنَاسَىْ ضَالَةٍ يَكْنُفَانِهَا ... وَأَطْرَ قِسِيٍّ تَحْتَ صُلْبٍ مُؤَيَّدِ (١)
لَها مِرْفَقانِ أَفْتَلانِ كَأَنَّمَا ... تَمُرُّ بِسَلْمَىْ دالِجٍ مُتَشَدِّدِ (٢)
كقنطرةِ الرُّومِيِّ أقسَمَ رَبُّهَا ... لَتُكْتَنَفَنْ حَتى تُشادَ بِقَرْمَدِ (٣)
صُهابِيَّةُ العُثْنُونِ مُؤْجَدَةُ القَرَا ... بَعِيدَةُ وَخْدِ الرِّجْلِ مَوَّارَةُ اليَدِ (٤)
أُمِرَّتْ يَدَاها فَتْلَ شَزْرٍ وأُجْنِحَتْ ... لَها عَضُدَاها فى سَقِيفٍ مُسَنَّدِ (٥)
جَنُوحٌ دِفَاقٌ عَنْدَلٌ ثم أُفْرِعَتْ ... لَهَا كَتِفاهَا فى مُعالًى مُصَعَّدِ (٦)
كَأَنَّ عُلُوبَ النِّسْعِ فى دَأَيَاتِها ... مَوارِدُ من خَلْقَاءَ فى ظَهْرِ قَرْدَدِ (٧)

---

(١) الكِنَاس : بيت يحفره الوحش فى أصل الشجرة ليستكنّ فيه من الحر والبرد . الضالّة : شجر السِّدر البرى . أطر القِسِيّ : انحناؤها . صُلْب : ظهر . مؤيد : قوى .

(٢) أفْتَلان : شديدا الفَتْل . سَلْمَىْ : مثنى سَلْم وهو دَلْوٌ بعُرْوَة واحدة . دالج : سَقَّاء يأخذ الدَّلو من البئر فيفرغها فى الحوض . متشدد : قوى .

(٣) القنطرة : الجسر . لتكتنفن : ليحاطن بها من جميع نواحيها . تشاد : ترفع . القرمد : الآجر .

(٤) صهابية : فى لونها صهبة ، وهى حمرة أو شقرة فى الشعر . العُثنون : ما تحت لحييها . مُؤْجدة : موثقة شديدة . القرا : الظهر . الوَخْد : أن ترج بقوائمها وتسرع . موَّارة اليد : يداها تتحركان بسرعة وسهولة .

(٥) أُمِرَّت يداها : فُتِلَتْ فتلا شديدا . الفتل الشزر : الفتل عن يسار ، وهو أشد الفتل . أجنحت : أميلت حتى كأنها منكبة . السقيف : صفائح حجارة والمقصود به هنا الزَّور ، وهو وسَط الصدر وما ارتفع منه إلى الكتفين . مسند : أسند بعضه إلى بعض .

(٦) جنوح : تجنح فى سيرها ، أى تميل نشاطا وسرعة . دفاق : متدفقة فى سيرها أى مسرعة غاية الإسراع . عَنْدَل : ضخمة الرأس . أُفرعت : عوليت وأشرفت . معالى : عالٍ . مصعد : مرتفع .

(٧) عُلوب : جمع عَلْب ، وهى الآثار . النِّسْع : حبل مضفور تشد به الرحال . الدأيات : فِقَر الظهر أو الضلوع . الموارد : طرق الوراد إلى الماء . خلقاء : صخرة ملساء . قردد : أرض مرتفعة صلبة .

تَلاقَى وأحيانا تَبِينُ كأنَّها بَنائِقُ غُرٌّ فى قَمِيصٍ مُقَدَّد (١)
وَأَتْلَعُ نَهَّاضٌ إذَا صَعِدَتْ به كَسُكَّانِ بُوصىٍّ بِدِجْلَة مُصْعَد (٢)
وجُمْجُمَــةٌ مثــلُ العَــلاةِ كأنما وَعَى المُلتقَى منها إلى حَرْفِ مِبْرَد (٣)
وَعَيْنــانِ كَالماوِيَّتَيْــنِ اسْتَكَنَّتَــا بِكَهْفَىْ حِجَاجَىْ صَخْرَةٍ قَلْتِ مَوْرِدِ (٤)
طَحُورانِ عُوَّارَ القَذَى فَتَراهُما كَمَكْحُولَتَىْ مَذْعُورَةٍ أُمِّ فَرْقَدِ (٥)
وَخَدٌّ كَقِرْطاسِ الشآمِى وَمِشْفَرٌ كَسِبْتِ الْيَماني قَدُّهُ لم يُجَرَّد (٦)
وصَادِقَتَا سَمْعِ التَّوَجُّسِ فى السُّرَى لِجَرْسٍ خَفِىٍّ أَوْ لِصَوْتٍ مُنَدَّدِ (٧)

---

(١) بنائق : جمع بنيقة ، وهى الرُّقع يُخاط فى أعلى القميص لتثبت فيه الأزرار . غر : بيض . مقدد : قديم .

(٢) أتلع : عنق طويل . نَهّاض : كثير النهوض . البوصى : نوع من السفن . السُّكّان : دَفَّة السفينة . مصعد : مرتفع .

(٣) العلاة : السَّندان . وعَى : انضم واجتمع وتماسك . حرف المِبْرَد : طرفه

(٤) الماويتان : مثنى ماوِيَّة ، وهى المرآة . استكنتا : استترنا ، يريد أنهما غائرتان . كهفى : مثنى كهف ، والمقصود الغار الذى فيه العين . حجاجىْ : مثنى حِجاج وهو العظم المشرف على العين الذى ينبت عليه الحاجب . القلت : نقرة فى الصخر تمسك الماء . مورد : مكان يورد إليه لأخذ الماء منه ، يشبه العين وهى صافية غائرة وسط العظم ، بنقرة ماء عميقة فى وسَط صخرة .

(٥) طحوران : أى يدفعان ويطردان . عوار القذى : قطعة من الرمد . القذى : وسَخ العين وما يسقط فيها . مذعورة : بقرة وحشية خائفة . الفرقد : ولد البقرة .

(٦) المشفر : كالشفة عند الإنسان . السِّبْت : جلود البقر المدبوغة . لم يُجَرَّدْ : لم يضطرب قطعه .

(٧) صادقتا سمع : يعنى أن أذنها لا تكذبها إذا سمعت شيئا . التوجس : الخوف والحذر من شىء يسمع . للسرى : أى فى السرى ، وهو السير ليلا . الجرس : الصوت الخفى . المندد : الصوت المرتفع البين .

مُؤَلَّلتانِ تَعْرِفُ العِتْقَ فيهما كَسَامِعَتَىْ شَاةٍ بِحَوْمَلَ مُفْرَدِ (١)
وَأَرْوَعُ نَبَّـاضٌ أحَـذُّ مُلَمْلَـمٌ كَمِرْدَاةِ صَخْرٍ مِنْ صَفِيحٍ مُصَمَّدِ (٢)
وَأَعْلَمُ مَخْـرُوتٌ مِنَ الأَنْفِ مَارِنٌ عَتِيقٌ متى تَرْجُمْ بِهِ الأرْضَ تَزْدَدِ (٣)
وَإِنْ شئتُ سَامَى واسِطَ الكُورِ رَأْسُها وَعَامَتْ بِضَبْعَيْها نَجاءَ الْخَفَيْدَدِ (٤)
وَإِنْ شِئْتُ لم تُرْقِلْ وَإن شِئْتُ أَرْقَلَتْ مَخافَةَ مَلْوِيٌّ مِنَ الْقِدِّ مُحْصَدِ (٥)

وبعد هذا الوصف الدقيق لناقة طرفة ، لا يكاد لاحقوه يضيفون شيئا ، إلا ما نجده عند سُوَيْد بن أبى كاهل حين يشبه ناقته بالثور

---

(١) مؤللتان : مثنى مؤلل ، أى محدد ، والدقة والحدة تحمدان فى آذان الإبل . العتق : الكرم والنجابة . سامعتى : أُذُنَىْ . شاة : ثور وحشى . حومل : اسم موضع معين . مفرد : منفرد وحيد .

(٢) أروع : قلب حديد ، سريع الارتياع لفرط ذكائه وحدته . نباض : كثير الحركة والضرب . أحذ : أملس ، أو خفيف ذكى . ململم : شديد ، صلب . مرداة : صخرة تدق بها الحجارة . صفيح : صخر عريض . مصمد : محكم موثق .

(٣) أعلم : مشفر مشقوق . مخروت : مثقوب . المارن : ما لان من قصبة الأنف . عتيق : كريم ، جميل . ترجم : ترمى ، ورجم الناقة الأرض : أن تدنى رأسها من الأرض . تزدد : تزيد فى سرعتها .

(٤) سامَى : بارى فى السمو وهو العلو . الكور : الرحل . وواسط الكور : وسَطه وهو العود بين مورك الرحل ومؤخرته ، وهو كالقربوس للسرج . عامت : سبحت . بضبعيها : بعضديها . النجاء : السرعة . الخفيدد : ذكر النعام ، شبه به الناقة فى السرعة .

(٥) الإرقال : نوع من السير السريع . مَلْوِىّ : سوط مفتول . القِدّ : ما قُدَّ من الجلد . مُحْصَد : مُحْكَم ، شديد الفَتْل .

الوحشى الواثق من نفسه ، ثم يستطرد فيصور صراع هذا الثور الوحشى مع كلاب الصيد ، وكيف يجرى أمامها فى غير إسراع ، وكلاب الصيد تجرى وراءه حذرة ، ولو شاءت لَلَحِقَتْ به ، إلا أنها تعلم أنه لو رَجع إليها لمزقها شر ممزق ... ولهذا لا تريد كلاب الصيد أن تلحق به . يقول سُوَيْد (١) :

فكأنّى إذْ جَرَى الآلُ ضُحًى ... فوقَ ذَيَّالٍ بِخَدَّيْهِ سَفَعْ (٢)
كُفَّ خَدَّاهُ على دِيباجَةٍ ... وعلى المَتْنَيْنِ لونٌ قد سَطَعْ (٣)
يَبْسُطُ المشْىَ إذَا هَيَّجْتَهُ ... مثل ما يبسُطُ فى الخَطْوِ الذَّرَع (٤)
رَاعَهُ من طَيِّئٍ ذُو أَسْهُمٍ ... وَضِرَاءٌ كُنَّ يُبْلِينَ الشِّرَعْ (٥)
فرآهُنَّ ولَمَّا يَسْتَبِنْ ... وكلابُ الصيدِ فيهنَّ جَشَعْ (٦)
ثم وَلَّى وَجَنابانِ لهُ ... من غُبَارٍ أَكْدَرِيٍّ وَاتَّدَعْ (٧)
فَتَرَاهُنَّ عَلَى مُهْلَتِهِ ... يخْتَلِينَ الأَرْضَ والشاةُ يَلَعْ (٨)

---

(١) فى المفضلية ٤٠/٥١ - ٦٠ .

(٢) الذيال : الثور الطويل الذنب . السفع : جمع سفعة ، وهى سواد يضرب إلى حمرة . شبه ناقته بالثور الوحشى .

(٣) كُفَّ : ضم . المتنان : مكتنفا الصلب . سطع : علا .

(٤) الذرع ، بفتحتين : الصغير من ولد البقر .

(٥) ذو سهم : أراد به الصائد . الضراء : الكلاب التى ضريت للصيد ، الواحد ضِروة . الشِّرَع : الأوتار .

(٦) أى رأى الثور الكلاب ولم يستبنهن . الجشع : أسوأ الحرص .

(٧) الجنابان : الجانبان . أكدرى : فيه كدرة . اتدع : لم يجتهد فى عدوه ، لثقته بأنه سيفوتهن .

(٨) يختلين : يقطعن . الشاة : الثور ، وذكر ضمير الفعل على المعنى لا على اللفظ . يلع : يكذب فى عدوه ولا يُجد .

دَانِياتٍ ما تَلَبَّسْنَ بِهِ   واثقاتٍ بدماءٍ إنْ رَجَعْ (١)
يُرْهِبُ الشَّدَّ إذَا أَرْهَقْنَهُ   وإذا بَرَّزَ منهنَّ رَبَعْ (٢)
ساكِنُ القفْرِ أخُو دَوِّيَّةٍ   فَإذا ما آنَسَ الصَّوْتَ امَّصَعْ (٣)

وكما نعتوا الناقة ، والثور الوحشى ، وصفوا الفرس ... وصفوه بالسرعة عند الجرى ، والقوة والنشاط . وفرس المرقش الأكبر – فوق ذلك – لها أجفان قوية تقتل بها الذباب إذا دنا من عينيها . يقول (٤) :

وَمُغِيرَةٍ نَسْجَ الجَنُوبِ شَهِدْتُها   تَمْضِى سَوَابِقُها على غُلَوائِهَا (٥)
بِمُحالَةٍ تَقِصُ الذبابَ بِطَرْفِها   خُلِقَتْ مَعاقِمُها على مُطَوائِها (٦)
كَسَبِيبَةِ السِّيَراءِ ذَاتِ عُلَالَةٍ   تَهْدِى الجِيادِ غَدَاةَ غِبِّ لِقائها (٧)

---

(١) ما تلبسن به : لم يخالطنه ، بل قاربنه . يقول : مع دنوهن منه لم يخالطنه خوفا ، عالمات أنه إذا رجع عليهن جرحهن بقرنه .

(٢) الشد : السير السريع . يرهبه : من الإرهاب ... ويفسر بأنه يسير سيرا فيه إرهاب . أرهقنه : أعجلنه . برز منهن : بعد . رَبَع : حبس وكف عن العدو .

(٣) الدوية : الفلاة البعيدة الأطراف . آنس : أحس وسمع . امصع : ذهب فى الأرض .

(٤) المفضلية رقم ٥١ .

(٥) المغيرة : القوم يغيرون . الجنوب : الريح التى تقابل الشمال . يريد أن هذه المغيرة تمر مر الريح . السوابق : الخيل السابقة . غلواؤها : ارتفاعها أى أن سوابقها تمضى على ارتفاعها فى السير .

(٦) المحالة ، بضم الميم : الشديدة المحال ، بفتحها . وهى فقار الصلب . تَقِصُ الذباب : تقتله بطرفها ، إذا دنا من عينها ضربته بجفنها فقتلته . المعاقم : الفصوص ، وهى المفاصل . على مطوائها : أى كانت تمطت فخلقت على ذلك ، كناية عن شدتها وطولها .

(٧) السبيبة : الشقة . السيراء : من ثياب اليمن ، شبهها بالسِّيَراء للطافتها فى خلقها ولينها . العلالة : البقية ، أراد بقية الجرى . تهدى الجياد : تتقدمها . غب لقائها : بعد لقائها .

أما المرقش الأصغر فيضيف أن فرسه : صافى اللون ، ضامرُ الجسم ، عليه الجَلّ ، أملسُ مستوٍ ، كميت ، محجل بثلاث قوائم مطلق بواحدة . ثم يشبه حدة فرسه ونشاطه بحدة الشاب من الظباء . يقول [(١)] :

غَدَوْنَا بِصافٍ كالعَسيبِ مُجَلَّلٍ   طَوَيناهُ حِينًا فَهْوَ شِزْبٌ مُلَوَّحُ [(٢)]
أُسِيلٌ نبيلٌ ليس فيه معابَةٌ   كُميْتٌ كلونِ الصِّرْفِ أَرْجَلُ أَقْرَحُ [(٣)]
على مِثْلِهِ آتى النَّدِيَّ مُخَايِلًا   وأَغْمِزُ سِرًّا : أَىُّ أَمْرَىَّ أَرْبَحُ [(٤)]
ويسبِقُ مطرودًا ويلحَقُ طارِدًا   ويَخْرُجُ من غَمِّ المضيقِ ويَجْرَحُ [(٥)]
تَراهُ بِشِكَّاتِ المُدَجَّجِ بَعْدَ مَا   تَقَطَّعُ أقرانُ المُغيرَةِ يَجْمَحُ [(٦)]
شهدتُ به فى غارةٍ مُسْبَطِرَّةٍ   يطاعِنُ أُولَاها فِئَامٌ مُصَبَّحُ [(٧)]

---

(١) المفضلية رقم ٥٥ .

(٢) أى غدونا للصيد بفرس صافى اللون . العسيب : طرف السعفة ، شبهه به فى ضموره وشدته . مجلل : أى عليه الجَل ، وهو ما يلبسه الدابة لتصان به . طويناه : ضمَّرْناه . الشزب : الضامر . الملوَّح : الشديد الضمور .

(٣) الأسيل : الأملس المستوى : الصرف : صبغ أحمر يصبغ به الجلود . أرجل : محجل . أقرح : ذو قُرْحَة ، وهى بياض فى الوجه .

(٤) الندى والنادى : المجلس . المخايل : المفاعل من الخيلاء . أى أمرىّ : يريد النجاء أو الطلب .

(٥) من غم المضيق : إذا ضاق عليه الأمر فى السبق خرج منه . يجرح : يكسب ويصيد .

(٦) الشكات : جمع شِكة ، وهى السلاح . المدجج ، بكسر الجيم ، ويجوز فتحها : اللابس السلاح كله .

(٧) المسبطرة : الممتدة الطويلة . الفئام : الجماعة ، لا واحد لها من لفظه . المصبح : المغار عليه فى الصبح .

كما ٱنْتَفَجَتْ من الظباءِ جِدايَةٌ ... أَشَمُّ ، إذا ذَكَّرْتَهُ الشَّدَّ أَفْيَحُ (١)
يَجُمُّ جُمُومَ الحِسْيِ جَاشَ مَضِيقُهُ ... وَجَرَّدَهُ من تَحْتُ غَيْلٌ وَأَبْطَحُ (٢)

وخيل بنى بكر كما صورها طرفة — فوق أنها خيل قوية نشيطة ضامرة — سريعة الحركة ، وفى حركتها سهولة ويسر — كما رأينا وصفه للناقة بأنها « موارة اليد » — فهى لا تشعر بالتعب مهما أجهدت فى السير والجرى ، وإذا حركها الفارس لمزيد من السرعة ، حميت ، وعَدَتْ بسرعة فائقة حتى ليتطاير كل ما عليها من الأزر والثياب ، فهى تلوى بأثواب العنيف المثقل . وهى إلى جانب ذلك كله حسنة الهيئة فى التعب ، تسرع بفرسانها إلى الغارات ، وإغاثة الملهوف ، وتدك بحوافرها الصلبة أبطال الأعداء فتقتلهم . ولا عجب فهى خيل عتيقة أصيلة ، تُنسب إلى أحسَن السلالات ، إلى « أعوج » ذلك الفرس المشهور ، ومن أجل ذلك فهى أحق بكل رعاية واهتمام . يقول طرفة (٣) :

أَعْوَجِيَّـاتٍ طِوالًا شُزَّبًـا ... دُوخِلَ الصَّنْعَةُ فيها والضُّمُرْ (٤)

---

(١) انتفجت : خرجت ثائرة . الجداية : الشاب من الظباء . يقول : نشاط هذا الفرس وحدته كحدة جداية . أشم : طويل . أفيح : بعيد ما بين الخطوتين .

(٢) يجم : يجتمع شدة . الحسى : رمل يستقر الماء فى أسفله ، فإذا حفر نبع فيه الماء . جاش : غلى . الغيل : الماء الكثير . الأبطح : الحصى . جرده : كشفه وعراه من الشجر .

(٣) الديوان ص ٨٢ وما بعدها .

(٤) أعوجيات : منسوبة إلى « أعوج » وهو فرس مشهور تنسب إليه الخيل العتاق . طوال : جمع طويل . شزب : جمع شازب وهو الضامر . الصنعة : حسن القيام عليها ، ورعايتها . دوخل الصنعة : أى لزمت الصنعة إياها ، وأكثر القيام عليها ، ولم تهمل . الضمر : لحاق البطن . والتضمير : أن تجرى لتدريب وتخف حتى تضمر .

مِنْ يَعابِيبَ ذُكورٍ وُقُـحٍ ... وهِضَبَّاتٍ إذَا ابْتَلَّ الْعُذُرْ (١)
جَافِلَاتٍ فَوْقَ عُوجٍ عُجُلٍ ... رُكِّبَتْ فيها مَلَاطِيسُ سُمُرْ (٢)
وأَنَـافَتْ بِهَـوَادٍ تُلُـعٍ ... كَجُذُوعٍ شُذِّبَتْ عنها القُشُرْ (٣)
عَلَتِ الأَيدِى بأَجْوازٍ لها ... رُحُبِ الأَجْوافِ ما إنْ تَنْبَهِرْ (٤)
فَهْىَ تَرْدِى فَإذا ما أُلْهِبَتْ ... طارَ من إحْمائِها شَدُّ الأُزُرْ (٥)
كائِراتٍ وَتَراهَـا تَنْتَحِـى ... مُسْلَحِبَّاتٍ إذَا جَدَّ الْحُضُرْ (٦)
دُلُقُ الْغَارَةِ فِي إفْزَاعِهِـمْ ... كَرِعالِ الطَّيْرِ أَسْرابًا تَمُرّ (٧)

---

(١) يعابيب : جمع يعبوب ، وهو الفرس الطويل السريع ، أو الجواد السهل فى عدوه . وقح : جمع وقاح ، وهو الصلب الحافر . هضبات : جمع هِضَبٍّ ، وهو الفرس الكثير العرق ، أو الشديد الصلب ، أو الضخم كالهضاب . العذر : جمع عذار ، وهو من اللجام ما سال على خد الفرس .

(٢) جافلات : ماضيات ، سراع . عوج : أى قوائمها ليست مستقيمة ، وذلك مما تمدح به الخيل لأنه أسرع لها . عجل : جمع عجول ، وهى السريع الحركة . ملاطيس : جمع ملطاس ، وهو معول يكسر به الصخر ، شبه الحوافر بها فى صلابتها .

(٣) أنافت : أشرفت . هواد : جمع هادٍ ، وهو العنق ، وهادى كل شيء مقدمه . تلع : طوال ، من التلع ، وهو طول العنق . شذبت : قشرت .

(٤) علت : ارتفعت . أجواز : أوساط . رحب : واسعة ، أى أجوافها واسعة وذلك ممدوح فى الخيل . الانبهار : انقطاع النفس من الإعياء .

(٥) الرديان : سير سريع . ألهبت : أسرعت . حمى الفرس : زاد فى الجرى والسرعة ، حتى سخن وعرق . إحمائها : أى إحماء الفوارس لها . الأزر : جمع إزار ، وهو ما يؤتزر به .

(٦) كائرات : رافعات أذنابها ، شائلات بها . تنتحى : تنحرف فى عدوها وتميل على أحد شقيها ، وقيل معناه : تعض على لجمها فى جريها . مسلحبات : ممتدات ، منبسطات فى العدو . جد : اجتهد واشتد . الحضر : ارتفاع الفرس فى عدوه .

(٧) دلق : جمع دلوق ، وهو المتقدم المسرع إلى الغارة . إفزاعهم : إسراعهم للمستغيث بهم . رِعال الطير : جماعاتها .

تَذَرُ الأبطالَ صَرْعَى بينها ... مَايَنِى مِنْهُمْ كَمِىٌّ مُنْعَفِرْ (١)

كما وصفوا من الحيوانات : البقر ، على نحو ما نجد عند المرقش الأكبر حين يشبهها بالفُرْس يختالون فى قلانسهم (٢) :

إلَّا من العِينِ تَرْعَى بها ... كَالفارِسِيِّينَ مَشَوْا فى الكُمَمْ (٣)

كما وصفوا أسلحتهم : فنعتوا سيوفهم الأشرفية ، وقِسِيَّهُم التى أخذت من أعلى أغصان شجر قوى صلب يسقى بماء المطر . كما نعتوا دروعهم الصُّلبة المستوية ، التى نُسِجَتْ حلقتين حلقتين ، فهى لذلك محكمة الصنع ، تتحطم عليها السيوف ، ولا غرو فهى دروع عتيقة أُحكم صنعها ، دروع عادية ، تشبه دروع عاد فى الزمن القديم ، أو هى دروع عاد . يقول راشد بن شهاب اليشكرى (٤) :

وَلَا تُوعِدَنِّى إننى إن تُلاقِنِى ... معى مَشْرَفِىٌّ فى مَضارِبِهِ قَضَمْ (٥)
وَنَبْلٌ قِرانٌ كالسُّيورِ سَلاجِمٌ ... وَفَرْعٌ هَتُوفٌ لاسَقِىٌّ ولانَشَمْ (٦)

---

(١) تذر : تترك . ما ينى : ما يزال ، ومعناها فى الأصل : ما يتعب . كمى : شجاع . منعفر : ملتصق بالعفر ، وهو التراب .

(٢) المفضلية رقم ٤٩ .

(٣) العِين : البقر . الكمم : القلانس ، شبه البقر بالفُرس إذا تبخترت فى قلانسها .

(٤) المفضلية رقم ٨٦ .

(٥) المشرفى : السيف المنسوب إلى المشارف ، وهى قرى . قَضَم : تكسر من كثرة ما ضرب به .

(٦) القران : المتشابهة . السلاجم : الطوال ، الواحد سَلْجَم . الفرع : القوس أخذت من أعلى الغصن . الهتوف : المصوتة . السقى : ما شرب الماء على الأنهار من الشجر . النشم : شجر ضعيف .

وَمُطَّرِدُ الكَعْبَيْنِ أَسْمَرُ عاتِرٌ ... وَذَاتُ قَتِيرٍ فى مَوَاصِلِها دَرَمْ (١)
مُضاعَفَةٌ جَدْلاءُ أَوْ حُطَمِيَّةٌ ... تُغَشِّى بَنانَ الْمَرْءِ والكَفَّ والْقَدَمْ (٢)
لِعَادِيَّةٍ من السِّلاحِ استَعَرْتُها ... وكانَ بِكُمْ فَقْرٌ إلى الغَدْرِ أَوْ عَدَمْ (٣)

الخمريات :

نعت الشعراء البكريون الخمر ، شأنهم فى ذلك شأن الشعراء الجاهليين الذين عشقوا الخمر عشقا ، وهاموا بها هياما ، فسكب الشعراء من كئوسهم ومن أفئدتهم ما ضمنوه أشعارهم ، تماما كما يصدر العاشق الوالهُ عن شِغاف قلبه ووجدانه .

وأول ملمح نلحظه عند الشعراء البكريين هو المزج بين الخمر والنساء والفروسية ، وقَلَّ أن تذكر الخمر إلا وخيال المرأة يتراقص على جدار الكأس وبداخله ، أو تكون المرأة مشبها والخمر مشبها به ، فالخمر تُعَرِّفُ لذة رُضاب الحبيبة ، وتوضح حلاوة ريقها . ثم لا يلبث الشاعر أن يردف بوصف شجاعته ، وكأنه اعتذار ضمنى عن غرقه فى بَحْرَيِ اللذة — الخمر والنساء — أو هو استدراك يدفع به ما قد يتوهمه السامعون من انصرافه عن مُثُلِ القوم فى الشجاعة ونجدة الملهوف . وليس ببعيد عن

---

(١) المطرد : يعنى رمحا إذا هز اضطرب كله واطرد فى اضطرابه ، كاطراد الماء فى جريه . العاتر : الصلب . ذات قتير : يعنى درعا ، والقتير رءوس مسامير الدرع . الدرم : الاستواء . وأراد بمواصلها ما يتصل بالحلقتين .

(٢) المضاعفة : التى نسجت حلقتين حلقتين . الجدلاء : المحكمة . الحطمية منسوبة إلى حطمة بن محارب بن عبد القيس ، وكان صانع دروع ، ويقال إنها التى تحطم السيوف .

(٣) عادية : أى درع قديمة كانت فى زمن عاد ، وذلك أجود لها .

الأذهان فى هذا المجتمع حديث كليب بن ربيعة لأخيه المهلهل ، حين رأى انغماسه فى اللهو بالنساء وشرب الخمر : ما أنت إلا زير نساء ، فإن قتلت ، لن تأخذ بثأرى .

كان المزج بين الخمر والنساء والشجاعة – إذًا – أمرا طبيعيا ، وهو ما نلمحه عند المرقش الأكبر رائد الشعر البكرى ، كما نجده عند طرفة بن العبد (١) . يقول المرقش (٢) :

واحْتَلَّ أهلِى بِالكَثِيبِ ، وأهلُها فى دارِ كلبٍ أرضِها وسمائِها (٣)
يَاخَوْلَ مايُدْرِيكِ رُبَّتَ حُرَّةٍ خُودٍ كريمةٍ حَيِّها ونسائِها (٤)
قَدْ بِتُّ مالِكَها وشارِبَ رَبَّةٍ قَبْلَ الصَّباحِ كريمةٍ بِسبَائِهَا (٥)
وَمُغيرَةٍ نَسْجَ الْجَنُوبِ شَهِدْتُها تَمْضى سَوابِقُها على غُلَوَائِهَا (٦)

فالمرقش فى هذه الأبيات يذكر حبيبته خويلة بعد أن رحل قومُها ، وبَعُدَ مكانها .. يذكر خويلة ، ويفخر بنفسه حين يستطيع الوصول إلى أية فتاة حرة كريمة ، فيبيت معها الليل وثالثهما خمر اشتراها من ماله ... مستمتعا بالكأسين معا : كأس من خمر وكأس من رُضاب حتى يطلع الصباح . ويبدو أن المرقش الأكبر حين يقدم بين يدى حبيبته مغامراته ولهوه مع النسوة الأخريات كان أستاذا لشاعر آخر من غير بكر ، وهو امرؤ القيس الذى يقول (٧) :

---

(١) الديوان ص ٥٠ ، ٥١ الأبيات ٧٩ – ٨٢ .
(٢) المفضلية رقم ٥١ .
(٣) الكثيب : قرية لبنى محارب بالبحرين .
(٤) الخود : الفتاة الجميلة .
(٥) أراد بالربة الخمر . السباء : اشتراء الخمر .
(٦) السوابق : الخيل السابقة . غلوائها : ارتفاعها .
(٧) ديوان امرئ القيس . الجزائر . الشركة الوطنية للنشر والتوزيع سنة ١٩٧٤ ص ٧٦ .

فمثلك حُبْلَى قَدْ طَرَقْتُ وَمُرْضِعٍ   فَأَلْهَيْتُهَا عن ذِى تَمائِمَ مِحْوَلِ (١)

ثم يبدأ المرقش بعد ذلك فى نعت فرسه وجِدِّهِ فى الحرب ، حتى تأتلف عنده الخمر والنساء والفروسية فى مشهد واحد .

ويأتى المرقش الأصغر ، فيسير على درب عمه الأكبر – ولعله تتلمذ على يديه – فنراه حين يتحدث عن حبه لفاطمة بنت المنذر ، يصور ما ألم به من تباريح الهوى ، وما تحدر من دمعه لشدة ما به من هيام ووجد ، ثم يطيل فى وصف الخمر الشقراء أو الحمراء المصفاة التى ثَوَتْ فى الدَّنِّ عشرين حِجَّة ، لتكون مقدمة لقوله إنها ليست بأطيبَ من ريق حبيبته . فهو يمهد لوصف جمال الحبيبة بنعت الخمر ، ليجعلهما أمرين ممتزجين ، لا يفترقان . يقول (٢) :

فَوَلَّتْ وقد بَثَّتْ تباريحَ ما تَرَى   ووجْدِى بها إِذْ تَحْدُرُ الدمعَ أَبْرَحُ (٣)
وما قهوةٌ صهباءُ كالمسكِ ريحُها   تُعَلَّى على الناجُودِ طَوْرًا وَتُقْدَحُ (٤)
ثَوَتْ فى سِبَاءِ الدَّنِّ عشرين حِجَّةٍ   يُطَانُ عليها قَرْمَدٌ وَتُرَوَّحُ (٥)

---

(١) التمائم : جمع تميمة ، وهى العُوذَةُ التى تُعَلَّقُ على الصبى .

(٢) المفضلية رقم ٥٥/٧ – ١٩ .

(٣) بث : فرقت . التباريح : الشدة . أبرح : أفعل تفضيل ، من البرح ، وهو الشدة .

(٤) القهوة : الخمر . الصهباء : الشقراء أو الحمراء . تعلى : ترفع . الناجود : المصفاة . تقدح : تغرف بالقدح .

(٥) ثوت : أقامت . فى سباء الدن : فى أسره وحصاره ، احتواها كأنها سبى . يُطان : يجعل عليها الطين . القرمد : طين يطلى على رأس الدن . تروح : تخرج إلى الريح وتبرد .

سَباهَا رِجَالٌ مِنْ يهودَ تباعدُوا لِجِيلانَ يُدْنِيهَا من السوقِ مُرْبِحُ (١)
بِأطيبَ مِن فيها إذا جئتُ طارِقًا مِنَ الليلِ ، بل فُوها أَلَذُّ وَأَنْصَحُ (٢)

ولا يفوت المرقش الأصغر أن يُكمِل الصورة – أو قُلْ – لا يفوته جزء من الأجزاء التى اعتمد عليها عَمُّه المرقش الأكبر وحدد ملامحها ؛ إذ يبدأ هذه الأبيات بتصوير شجاعته ، وخفته فى الصيد والحرب ، لتأتلف عنده هو الآخر : الخمر والنساء والفروسية ... يقول بعد نعت فرسه (٣) :

شَهِدْتُ بِهِ فى غَارَةٍ مُسْبَطِرَّةٍ يُطاعِنُ أُولَاها فِئامٌ مُصَبَّحُ (٤)

والشاعر حين يجمع فى شعره بين الخمر والمرأة ، لا نحسبه يسعى إلى تشبيه رضاب الحبيبة بها فحسب ، وإنما ليثير فى الأذهان صورة لكل مظاهر الجمال واللذة ، التى سريعا ما تتداعى عند ذكرهما .

ولا نظننا مغالين إذا قلنا إن القوم قد تعارفوا جميعا فيما بينهم – حتى من امتنع عن الشراب – على أنه لا شيءَ فى الكون ألذُّ ولا أطيبُ من طعم الخمر ؛ ولذا غدتِ الخمرُ وسيلةً للتشبيه . فالمشبه به لابد أن يكون أوضحَ دلالةً من المشبه « ليَجْلُوَهُ ويُقرِّبَهُ إلى الذهن ، ويكسبه تحديدا وتوضيحا ، فإذا صح ذلك بالنسبة إلى التشبيه عامة ، فهو أصح

---

(١) السباء : اشتراء الخمر . جيلان ، بالكسر : بلد من بلاد العجم .
(٢) أى ما هذه القهوة بأطيب من فيها . أنصح : أخلص وأطيب .
(٣) نفس المفضلية .
(٤) المسبطرة : الممتدة الطويلة . الفئام : الجماعة . المصبح : المغار عليه فى الصبح .

بالنسبة إلى الجاهليين ، لما فى فطرتهم من عفوية جعلت تشابيههم صادقة التعبير عن واقعهم النفسى والاجتماعى » (١) .

وهذا المُسَيَّبُ بنُ عَلَسٍ يتحدث عن نعومة خد حبيبته ثم ينحدر إلى ثغرها الذى يشبه البَلُّور فى صفائه ، حتى ليكاد يقطر من شدة هذا الصفاء . وكأنى به يشبهه بالبَلُّور ، ليوحِىَ لنا أنه كأس لابد أن يشربه ، أو ليكون هذا التشبيه مقدمة لوصف ما بداخله من نشوة هى ألذ من نشوة الراح . يقول (٢) :

إذْ تَستَبِيكَ بِأَصْلَتِيٍّ نَاعِمٍ　　قَامَتْ لِتَفْتِنَهُ بِغَيْرِ قِنَاعِ (٣)
وَمَهًا يَرِفُّ كأنه إذْ ذُقْتَهُ　　عَانِيَّةٌ شُجَّتْ بماءِ يَرَاعِ (٤)

أما المَلْمَحُ الثانى فى شعر الخمر عند الشعراء البكريين ، فهو تصويرُ أثرِ الخمر من تخييل كاذب ، حين تُزَيِّنُ لشاربها كلَّ قبيح ، وهو مع ذلك لا يصبر عنها ، ولا يستطيع منها فكاكا ، أو هو لا يريد أن يَسْلُوَها ، وكيف يَسْلُو عنها ، وهى التى تنتزعه انتزاعا من واقعه المؤلم

(١) إيليا حاوى : فن الشعر الخمرى وتطوره عند العرب . بيروت ، دار الثقافة ص ١٣ .
(٢) المفضلية رقم ١١ .
(٣) تستبيك : من السبى ، تجعلك سبيا لها . بأصلتىّ : بخدٍّ ناعم حسن .
(٤) المها : البلور ، شبه ثغرها به لصفائه . يرف : يتلألأ ، يكاد يقطر من شدة صفائه . عانية : خمر نُسبت إلى عانة ، بلد بجزيرة العراق على الفرات . شجت : كسرت ومزجت . اليراع : القصب ، أى بماء جدول فى حافتيه القصب .

الحزين ، الذى يغلفه بستارين : ستار من دم يتجلى فى الحرب والثأر ، وستار من بؤس يتجلى فى الفقر والحرمان . ففى الخمر يُودِع الشاعر أحزانَه ، ويعيش لحظاتٍ – طالت أو قصرت – فى رُؤًى وأحلام سعيدة ، وكأنه ملك متوج .

وتأتلف – كما قلنا – عند هؤلاء الشعراء صور المرأة والفروسية والخمر ، سواء نعت الشاعر طعم الخمر ، أو حدثنا عما تثيره فى نفسه من خيالات وأوهام .

وهذا هو المُنَخَّلُ اليَشْكُرِيُّ حين يوجه حديثه إلى عاذلته يطلب منها فى البداية ألّا تسأل عن ماله وكثرته – ويبدو أنه كان فقيرا بائسا ، كما سيذكر فى شعره حين يصور نفسه حال صحوه من نشوة الخمر – وإنما يطلب منها أن تسأل عن حَسَبِه ، وكرمه ، فَهُما خيرٌ من المال الذى جردته الحياة منه . يقول (١) :

إنْ كنتِ عاذِلَتِى فَسِيرِى نحو العراقِ ولا تَحُورِى (٢)
لا تسألى عن جُلِّ مَا لِى وآنْظُرِى حَسَبِى وَخِيرِى (٣)

ثم يفخر بجانب الحسب والكرم بفروسيته ، لينتقل بعد ذلك إلى الحديث عن فتاته ، مصورا دخوله عليها الخِدْر ، وما كان بينهما من حوار . ثم لا يلبث أن ينتقل من الحديث عن محبوبته إلى الحديث عن

---

(١) الأصمعية رقم ١٤ .
(٢) لا تحورى : لا ترجعى .
(٣) الخِير ، بكسر الخاء : الكرم .

الخمر ، فيصور أثرها فى نفسه ، وكيف تنقله من واقعه المغلف بالبؤس إلى عالم يبدو فيه وكأنه ملك من الملوك . يقول (١) :

يَارُبَّ يومٍ للمُنَخَّـ ـلِ قَدْ لَهَا فيه قَصِيرِ
فَإِذَا انتشَيْتُ فإِنَّنى رَبُّ الْخَوَرْنَقِ والسَّدِيرِ
وَإِذَا صَحَوْتُ فَإِننى رَبُّ الشُّوَيْهَةِ والبعيرِ
ولقد شربتُ من الْمُدَا مَةِ بالقَلِيلِ وَبالكَثِيرِ

ولم يكنِ المُنَخَّلُ اليَشْكُرِيُّ وحدَه هو الذى نعت خِداع الخمر وأثرها فى نفسه ، فقد سبقه المرقِّشُ الأصغر حين جلا لنا عن أثر الخمر ، وفعلها بشاربها ، وكيف تجعله يتخيل تَخَيُّلاً كاذبا يبدو فيه – وهو المنتشى – ليثا من الليوث . ثم يرسم لنا صورة ساخرة له آخر الليل حين يهم بالانصراف ، لا يكاد يستوى قائما ، ولا يستطيع أن يسير سيرا معتدلا ، فهو يمشى كالضَّبُع عَرَجا . يقول (٢) :

الزِّقُّ مُلْكٌ لِمَنْ كَانَ لَهُ وَالمُلْكُ مِنْهُ طَوِيلٌ وَقَصِيرْ (٣)
منها الصَّبُوحُ الذى يَتْرُكُنى لَيْثَ عِفِرِّينَ والمالُ كَثِيرْ (٤)
فَأَوَّلُ الليلِ ليثٌ خَادِرٌ وَآخِرُ الليلِ ضِبْعَانٌ عَثُورْ (٥)

---

(١) من الأصمعية رقم ١٤ .
(٢) الأصمعية ٥٢ .
(٣) يريد أن الخمر لشاربها بمثابة المُلْكِ الذى تتفاوت آماده .
(٤) عفرين : بتشديد الراء : اسم بلد .
(٥) الخادر : الذى لزم خدره ، وهو العرين . الضبعان ، بكسر الضاد : ذكر الضباع ، لا يكون بالألف والنون إلا للمذكر . عثور : يريد أنه فى آخر الليل يكثر عِثاره فى سيره مما لعبت به الخمر ، والضباع تعرج كلها .

ثم يختم المرقش الأصغر مقطوعته ببيت رائع يدعو فيه على الخمر أن يقاتلها الله – وكأنما استجاب الله لدعائه فحرمها الإسلام – لأنه لا يقدر على مقاومة إغرائها ، ولا يستطيع عنها صبرا . فقد ملكت عليه نفسه ، وهو لا يملك من أمره شيئا ــ هو أو غيره من الأقوياء الذين خبروها وذاقوا حلاوتها . يقول :

قاتلكِ اللهُ مِنْ مَشْرُوبَةٍ   لَوْ أَنَّ ذَا مِرَّةٍ عَنْكِ صَبُورْ ؟! (١)

وهذه الخمر – التى تُزَيِّنُ كل قبيح – لا تُحابى أحدا ممن ينهلون منها ، وإنما تأسِرُ من يقع فى حِبالها . يقول (٢) :

وَالْخَمْرُ ليستْ من أخِيكَ وَلَـ   ـكِنْ قَدْ تَخُونُ بِآمِنِ الحِلْمِ (٣)
وَتُبَيِّنُ الرأىَ السَّفِيهَ إذَا   جَعَلَتْ رِياحُ شَمُولِها تَنْمِى (٤)

نستطيع إذاً أن نتبين الصورة العامة لوصف الخمر فى شعر البكريين . فالخمر عندهم – وعند سائر الشعراء الجاهليين – قرين للمرأة والفروسية ، سواء كان تناولهم للخمر تناولا حسيا لا يتعدى نعت طعمها ، وتشبيه رضاب الحبيبة به ، أو كان تناولا شعوريا ، يصف أثر الخمر فى نفس شاربها ، وتبديلها لإحساسه من حال إلى حال .

---

(١) المرة ، بكسر الميم : القوة وشدة العقل .
(٢) المفضلية رقم ٧٢ .
(٣) ليست من أخيك : أى ليست تحابى ، من شربها ذهبت بحلمه . الآمن : الشديد .
(٤) يقول : إذا طابت لهم زينت لهم القبيح . الشمول : الخمر . تنمى : تزيد .

واقتران الفروسية بالخمر ، لا يجب تفسيره على أساسٍ من تعدد الأغراض داخل القصيدة الجاهلية منذ أقدم صورها فحسب ، وإنما هو لون من تداعى المعانى ، أو هو استدراك لابد منه ، نبه إليه هؤلاء الشعراء ، حتى لا ينصرف إلى الأذهان – عند نعتهم لتهالكهم على الخمر – أنهم قد انصرفوا عن كل قيمة أو مثال من مُثُل الجاهليين وقِيَمِهم . وإن كانوا مع ذلك قد تعرضوا لكثير من اللوم حين تهالك بعضهم عليها تهالكا يهدد عِرضه وماله .

ونحن نذكر تماما أننا لم نتحدث عن نعت الخمر عند كل من طرفة ابن العبد والأعشى ؛ فقد أغفلنا ذلك عامدين ، لأننا سنتحدث عن الخمر عند الشاعرين حديثا مستقلا .

الخمر عند طرفة :

يبدو أن طرفة قد قُضِيَ عليه بالظلم حيا وميتا ، ذلك أن كثيرا من النقاد (١) يصورونه رمزا للشاب الجاهلى السكير الفاسق ، الذى ينشد اللذة واللهو ، وطالما ردَّدا أبياته التى يقول فيها (٢) :

وما زالَ تَشْرابى الخُمورَ ولذَّتى
وبيعى وإنفاقى طَرِيفى ومُتْلَدِى

---

(١) انظر ، شوقى ضيف : العصر الجاهلى ص ٧٠ .

(٢) ديوان طرفة بن العبد ص ٤٩ وما بعدها .

إلى أن تحامتنى العشيرةُ كلُّها
وأُفْرِدْتُ إفْرادَ البعيرِ المُعَبَّدِ
ولولا ثلاثٌ هُنَّ من عيشةِ الفتى
وَجَدِّكَ لمْ أحفَلْ متى قام عُوَّدِى
فمنهن سَبْقُ العاذِلاتِ بشَرْبَةٍ
كُمَيْتٍ متى ماتُعْلَ بالماءِ تُزْبِدِ
وكَرِّى إذا نادَى المُضَافُ مُجَنَّبًا
كَسِيدِ الغضَا نَبَّهْتَهُ المُتَوَرِّدِ
وتقصيرُ يومِ الدَّجْنِ والدجنُ مُعْجِبٌ
بِبَهْكَنَةٍ تحتَ الطِّرَافِ المُعَمَّدِ

وإذا وقفنا وقفة قصيرة عند هذه الأبيات ، ربما أنصفنا طرفة ، وأرْوَيْنا ظمأه إلى العدل الذى أرقه الشوق إليه ، والذى ما فَتِئَتْ هامته بعد موته تتحرق عطشا إلى كلمة إنصاف . ولو نثرنا أبياته السابقة ، وكثفناها فى عبارة موجزة ، لكان معناها : لقد داومت على شرب الخمر والاشتغال باللذات وبيع ما أملك حتى تجنبنى أهلى ... ولولا حرصى على أمور ثلاثة يتعلق بها قلب كل فتى ، هى : الخمر ونجدة الملهوف والحب ، لما باليت بالموت ، ولا اهتممت بوقت نزوله بى . وطرفة فى هذه المعانى لا يعبر عن نفسه فحسب ، وإنما يصدر عن وجدان جمعى يرى لذة الحياة فى تلك الأمور الثلاثة . وهو أمر نلمحه عند كثير من شعراء العصر ، بل عند عامتهم – كما سبق أن عرضنا – فلدى كل منهم حديث عن الحب وحديث عن الخمر ، وحديث عن الفروسية . وكل ما يُتَّهَمُ به طرفة هو الإسراف بعض الشيء ، لأنه كان فقيرا ، ولذا لامه

قومه أملا فى أن يوازن بين موارده القليلة وإنفاقه فى سبيل الشراب ، حتى لا تمتد يده إلى أموالهم . ويبدو من ظاهر الأمر وشكله أننا قد وضعنا طرفة – من حيث لا ندرى – فيما سلكه فيه بعض النقاد ... ولكننا نهدف إلى كشف باطنه ودوافعه ... فظاهر الأمر أنه شاب عابث ... أما باطنه ومضمونه ، فيكمن فيما وراء الشكل من دوافع ، ومن هنا جاز لنا أن نتساءل : لماذا تهالك الشاعر على الشراب والملذات ، وأنفق عليها طريفه ومتلده ؟ يجيب شاعرنا قائلا :

فإنْ كُنتَ لا تسْطِيعُ دفْعَ منيتى   فَذَرْنى أُبادِرْها بما مَلَكَتْ يَدِى

وإذا كانت الحياة إلى فناء ، أيصير المال إلى خلود ؟

أرَى قبر نَحَّامٍ بخيلٍ بمالِهِ   كقبرِ غَوِىٍّ فى البَطالَةِ مُفْسِدِ (١)

الفهم الصحيح – فى رأينا – لخمريات طرفة ينبغى أن يُبْحَثَ عنه فى قصة صراعه مع قومه وعشيرته ، وما لازمها من إحباط وإحساس بالألم ، ثم عجزه عن حسم هذا الصراع . فلم يجد الشاعر بُدًّا من تحويل هذا الصراع إلى صراع تجاه الوجود والعدم والموت ، ثم انطلق فى تصرفاته وفهمه للحياة مُصْدِرًا عن هذا الصراع ، ومعبرا عن فظاعة المصير . وربما تجلت عبقرية طرفة فى تحويله لموضوعه الصراعى إلى هذا الاتجاه ؛ لأن الصراع مع البشر يؤلمه إذا انكسر – وهو صاحب النفس الأبية – أما انهزامه أمام القدر ففيه عزاء وسلوى :

---

(١) ديوان طرفة بن العبد ص ٥٢ .

لَعمـرُك إنَّ الموتَ ما أخطـأ الفتـى ... لَكَالطِّوَلِ المُرخَى وثِنْياهُ في اليدِ (١)

وإذا كان السلاح الباتر فى يد القدر هو الموت ، الذى يضع حدا بين الإنسان ورغباته ، فإن طرفة لا يبالى بشىء من هذا ، بل يسعى إليه وفى يده كأس من الشراب ، ليروى ظمأه فى الحياة وبعد الممات :

فَذَرْنى أُرَوِّى هامَتى فى حَياتِها ... مخافةَ شُرْبٍ فى الممات مُصَرَّد (٢)

كريمٌ يُرَوِّى نفسَه فى حياتِهِ ... ستعلَمُ إنْ مِتْنا غدا أيُّنا الصَّدِى

وربما شاء طرفة أن يُخَدِّر إحساسه ، فتهالك على الخمر ، حتى تُخَفِّفَ عن كاهله وطأة الوعى والإدراك ، فيظل فى غيبوبة عن ذلك العمر الذى لا جدوى منه ، فهو لحظة تطول أو تقصر ، ثم يليها العدم والمجهول .

لم تكن الخمر عند طرفة إذًا لذة عابثة ، ولم تكن تهتكا وفجورا ، بقدر ما كانت فجيعة وبؤسا ينحدر إلى أعماق الكأس . إنها خمر يقتحم من خلالها الموت فى غير خوف ولا تردد ، وهو فى غمرة العبث والمجون .

ولما كانت جذور مشكلة طرفة فى خلافه مع أهله وعشيرته ، ثم مع مجتمعه الذى عاش فيه غريبا ، مُعَبِّرًا بغربته ، وكأنه لا يساوى شيئا بدون عُصْبَته ، لذا نراه يُصَعِّدُ مأساته ، ويجعلها مأساة الإنسان ، ثم ينعم النظر فى أحوال الجاهليين – وكان منهم إلى عهد قريب – فيسخر من تلك العقيدة التى جعلتهم يتخيلون أن روح الإنسان تتحول إلى طائر ، يسمونه الهَامة أو الصدَى :

---

(١) ديوان طرفة بن العبد ص ٥٣ .

(٢) المصدر نفسه ص ٥٢ .

فذَرْنى أُرَوِّى هامتى فى حياتها　　مخافةَ شُرْبٍ فى المَمات مُصَرَّدِ

ثم يسخر من حرصهم على المال ، فقبر البخيل كقبر الغوىّ ... ففيمَ اللوم إذًا على إنفاق ما يملكه فى الشراب والملذات ؟ ومن هنا جاز لبعض الباحثين أن يسلكوا شعر طرفة فى عداد الشعر الوجودى الذى « يعلن سأم النفس وانخذالها أو حيرتها بالمصير والحياة » (١) .

ولكننا نود أن نقيد هذا الكلام قليلا ، ذلك أن الشعر الخمرى عند طرفة ليس كله فِكَاكا من التراث الخمرى السابق عليه ، حقا إنه قد تخلص إلى حد كبير من سيطرة هذا التراث ، ولكنه لم ينفصل عنه تماما ؛ إذ نلمح فى خمرياته ما نلمحه عند غيره من شعراء الجاهلية وشعراء بنى بكر ، من فخر بتقديم الخمر للنَّدامى ، ثم الشروع فى نعتهم ، فهم حسنو الوجوه ، أو أحرار كرام ، ثم نراه يكمل صورة مجلس الشراب بوصف القينة التى تروح وتغدو بينهم ، لابسة الثياب الموشاة المصبوغة بأجمل الألوان ، وقد جعلت جيبها متسعا يسمح للندامى بمداعبة جسدها الناعم الرقيق ، وهى تستجيب حين يطلب منها الغناء ، فتغنى بصوت فيه حنين وحزن ، كصوت النُّوق عندما تصيح على ولد جُزِر ، أو نُواح النَّوادب على صبى هالك . وكأنما يريد طرفة أن يجاوب فنَّه أعماقَ قلبه الدّامى ، وسْط مظاهر لهوه ومجونه . يقول (٢) :

متى تأتنى أُصْبِحْكَ كأسًا رَوِيَّةً　　وَإِنْ كنتَ عنها ذا غِنًى فَاغْنَ وَازْدَدِ
وَإن يلتقِ الحىُّ الجميعُ تُلاقِنِى　　إلى ذِرْوَةِ البيتِ الرفيعِ المُصَمَّدِ

---

(١) إيليا حاوى : فن الشعر الخمرى ص ٧١ .

(٢) ديوان طرفة بن العبد ص ٤٧ ، ٤٨ .

نَدامايَ بِيضٌ كالنجومِ وقينةٌ ... تروحُ علينا بين بُردٍ ومُجْسَدِ
رَحيبٌ قِطابِ الجَيْبِ منها رفيقةٌ ... بِجَسِّ النَّدامى بَضَّةُ المُتَجَرَّدِ
إذا نحن قلنا أَسْمِعِينا انْبَرَتْ لنا ... على رِسْلِها مَطْرُوفَةً لم تَشَدَّدِ
إذا رَجَّعَتْ فى صوتها خِلْتَ صوتَها ... تَجاوُبَ أَظْآرٍ على رُبَعٍ رَدِى

وهنا تبدو أكثر اللحظات التى ارتبط خلالها طرفة بالتراث فى مدائحه ، فممدوحوه إن أرادوا الخمر لم تَفُتْهُم ، وإن كان ثمنُها الشَّوْلَ والكُومَ البكار من الإبل ، وممدوحوه إن شربوا الخمر وسكروا وهَبُوا كرام الإبل والخيل ، ولم يبخلوا بشىء وإن عَظُم . يقول (١) :

لَاتَعِزُّ الخمرُ إنْ طافُوا بها ... بِسِباءِ الشَّوْلِ والكُومِ البُكُرْ
فإذا ما شَرِبُوها وانْتَشَوْا ... وَهَبُوا كُلَّ أَمُونٍ وَطِمِرّْ

ويبدو طريفا من طرفة بن العبد الذى أسرف فى الشراب ، أن يعير مهجوه عبد عمرو – ابن عمه – بكثرة شربه الخمر فى الليل والنهار ... حيث يقول (٢) :

لَهُ شَرْبتانِ بالنهارِ وأَرْبَعٌ ... من الليلِ حتى آضَ سُخْدًا مُوَرَّما

والحق أن هذا الهجاء كالمديح السابق ، يسير فى فلك التراث الشعرى الذى نهل منه طرفة ، ثم حاول الانسلاخ عنه حين تحددت نظرته فى الحياة والناس والوجود والعدم . وقد تكون هذه الأشعار التى بدا فيها ارتباطه بالتراث ، من نتاج فترة سابقة على نضجه الفكرى ، وتبلور منهجه فى أخريات أيامه .

---

(١) ديوان طرفة بن العبد ص ٧٩ .

(٢) المصدر نفسه ص ١٤٢ .

الخمر عند الأعشى :

على الرَّغم من شهرة الأعشى فى وصف الخمر ، وعشقه لها ، إلا أنه لم يتصدَّ للحديث عنها فى قصيدة مستقلة ، كما لم يبدأ قصيدةً من قصائده بمقدمة خمرية كما فعل عمرو بن كلثوم الذى لم يبلغ مكانةَ الأعشى فى حبه للخمر ، وحديثه عنها ، وشهرته بها . وإنما يَرِدُ حديثُ الأعشى عن الخمر خلال قصائده ، وكثيرا ما يكون تاليا لغزله [١] ، وكأنه يريد أن يعقد إكليلين من الريحان على قمة قصائده .

ويمكننا أن نقسم خمريات الأعشى قسمين رئيسين :

القسم الأول : يتصل بوجدانه وهمومه فى الحياة ، وموقفه تجاه الوجود ، وهو هنا ربيب طرفة بن العبد [٢] فى سخطه على أهله وزمانه ، واحتقار الناس الذين يحرصون على اكتناز المال حرصَهم على الحياة . ومن هنا كثُر عند الأعشى فَخْرُهُ بندمائه الذين لا يبخلون بالمال فى سبيل ملذّاتهم ، يقول [٣] :

فى شبابٍ كمصابيحِ الدُّجَى ظاهِرُ النِّعمة فِيهِمْ والفَرَحْ
رُجُحُ الأحلامِ فى مَجْلِسِهِمْ كلما كَلْبٌ من الناسِ نَبَحْ
لا يشحُّونَ على المالِ وما عُوِّدُوا فى الحَيِّ تَصْرَارَ اللِّقَحْ [٤]

---

(١) شوقى ضيف : العصر الجاهلى ص ٣٥٥ .
(٢) إيليا حاوى : فن الشعر الخمرى ص ٣٦ .
(٣) ديوان الأعشى الكبير ٢٤٣ .
(٤) اللقح : جمع لقحة – بفتح فسكون – وهى الناقة الحلوب .

فندماؤه لا يبخلون بأموالهم فى سبيل الخمر ، لأنهم يعلمون أن الحياة فانية ، ولذا فهم بين لهو وشراب لا يفيقون ، يقول [١] :

وَلَقد غَدَوتُ إلى الحانوتِ يَتبعُنِى ... شاوٍ مِشَلٌ شَلُولٌ شُلْشُلٌ شَوِلُ
فى فتيةٍ كسيوف الهندِ قد عَلِمُوا ... أنْ ليس يدفعُ عن ذِى الحِيلةِ الحِيَلُ

ويصور الأعشى فى البيتين السابقين ذهابه إلى مجلس الخمر مع ندمائه رفقاء اللذة ، يتبعه غلامه الخفيف الذى يتولى شَىَّ اللحم أحيانا ، ثم ينعت الشاعر فى البيت الثانى رفاقه الأقوياء الضامرين ، الذين يشبهون سيوف الهند اللامعة ، وقد أرسلوا أنفسهم على ما تَهْوَى من اللذات ، لأنهم يعلمون أن كل شيء هالك وفانٍ ، وأنّ الإنسان عاجز لا محالة عن ردِّ القضاء .

أما القسم الثانى من خمريات الأعشى ، وهو أكثرها حظا ، فهو ما يتصل بالجانب الوصفى للخمر ، ومجالسها ، وإشاعةِ روح المَرح بين السامعين . وهو فى أكثر هذا القسم يدور فى فلك المعانى العامة التى صاغها السابقون من الشعراء الجاهليين ، وإن كان له فضل « التخصص والإطالة والتفصيل فى القصيدة الخمرية » [٢] ، حيث لم يتناولها بكثير من التجديد تناولا يُشعرنا بالفرق البعيد بينه وبين سائر شعراء الخمر فى الجاهلية [٣] ... إلا ما كان من أمر مباكرته لها ، وحِرصه عليها قبل أن يقوم الناس من نومهم ، وقبل صِياح الديَكَة . ولنعرِض إحدى خمرياته ، لندير حولها القول ، يقول الأعشى [٤] :

---

(١) الديوان ص ٣٧ ، ٣٨ .
(٢) إيليا حاوى : فن الشعر الخمرى ص ٣٧ .
(٣) المرجع السابق .
(٤) الديوان . القصيدة ٨ الأبيات ٩ – ٢٤ .

أتانى يُؤَامِرُنى فى الشَّمُو ... لِ ليلًا فقلتُ له غادِها
أَرِحْنا نُباكِرُ جِدَّ الصَّبُو ... حِ قَبْلَ النُّفُوسِ وحُسَّادِها (١)
فَقُمْنَا ولَمَّا يَصِحْ دِيكُنَا ... إلى جَوْنَةٍ عند حَدَّادِها (٢)
تَنخَّلَها من بِكَارِ القِطَافْ ... أُزَيْرِقُ آمِنُ إكْسادِها (٣)
فقلنا له هذه هاتِها ... بِأَدْماءَ فى حَبْلِ مُقْتادِها (٤)
فقال تُزِيدُونَنى تِسْعَةً ... وليستْ بِعَدْلٍ لأَنْدادِها
فقلتُ لِمِنْصَفِنا أعْطِهِ ... فلما رأى حَضَرَ شُهَّادِها (٥)
أضاءَ مِظَلَّتَهُ بالسِّرا ... جِ والليلُ غامِرُ جُدَّادِها (٦)
دَراهِمُنا كُلُّها جَيِّدٌ ... فَلا تَحْبِسَنَّا بِتَنْقادِها (٧)
فقامَ فَصَبَّ لنا قَهْوَةً ... تُسَكِّنُنَا بعدَ إرْعادِها
كُمَيْتًا تَكَشَّفُ عن حُمْرَةٍ ... إذَا صَرَّحَتْ بعد إزْبادِها (٨)

---

(١) أرحنا ، أراح الرجل : رجعت إليه نفسه بعد الإعياء ، وصار مستريحا . جِدُّ الصبوح : الجد العجلة ، الصبوح خمر الصباح .

(٢) جونة : إناء كبير للخمر . حدادها : الذى يحدّ الناس عنها أى يذودهم لنفاستها .

(٣) تنخّلها : تخيرها . بكار القطوف : أول ما يقطف . أزيرق : هو الخمار جعله أزرق لأنه ليس عربيا ، وتسميهم العرب كذلك لزرقة عيونهم . آمن إكسادها ، لجودتها .

(٤) أدماء : ناقة صادقة البياض سوداء الأشفار .

(٥) المنصف والناصف : الخادم والوصيف . شهادها أى الدراهم .

(٦) مظلته : خباؤه . الجداد : الهدب الذى يبقى فى أسفل النسج .

(٧) نقد الدراهم : ميزها ونظرها ليعرف رديئها وجيدها .

(٨) صرحت : ذهب زبدها .

كَحَوْصَلَةِ الرَّأْلِ فى دَنِّها ... إذا صُوِّبَتْ بعد إقْعادِها (١)
فَجَالَ علينا بإبْرِيقِهِ ... مُخَضَّبُ كَفٍّ بفِرْصادِها (٢)
فبـاتَتْ رِكابٌ بأكْوارِها ... لدينا وخيلٌ بألْبادِها (٣)
لقومٍ فكانوا هُمُ المُنْفِدِينَ ... شَرابَهُـمُ قبـلَ إنْفادِهـا
فَرُحْنَـا تُنَعِّمُنَـــا نَشْوَةٌ ... تَجُورُ بنا بعد إقْصادِها

يذكر الأعشى فى هذه الأبيات أن أحد ندمائه طرقه ليلا ، قبل أن يسفر الصباح ، يدعوه إلى الذهاب معا لتناول الخمر ، فذهبا فى هزيع الليل الأخير – قبل أن تصيح الديكة ، وقبل أن يسبقهما كاشح حسود – إلى حانوت خمار أعجمى ، كنى عنه بزرقة العينين ، وهو خمار حاذق لصنعته ، استخلص خمره من بِكار القِطَاف ، وهى خمر مُعَتَّقَة ، ومثلها لا يكْسَد ولا يبور . وطلب إليه الأعشى أن يسقيهما بناقة قاداها إليه ، وهى واقفة ببابه مزمومة بحبل غلامها ، فلم تَكْفِ الناقة الخمار ، فطلب فوقها تسعة دراهم ، مُشِيدًا بخمره ، وأن هذا الثمن ليس كُفُئًا لها ، فأمر الأعشى صاحبه أن يعطيه ما يريد ... فأضاء الخمار خباءه أو حانوته ، وعد الدراهم ، وتبينها خشية زيفها . حتى إذا اطمأن لها وللأعشى ورفيقه – أو رفاقه – قام فناولهم خمرا تمشت فى أجسادهم ، فسكنوا إليها ... وهى خمر حمراء فاقعة ، كأنها الفُرصاد أو التوت الأحمر . وما زال

---

(١) الرأل : ولد النعام ، أى أنها تناقصت لطول مكثها فى الدَّنّ حتى صارت فى أسفله كحوصلة الرأل . صوبت : أميلت وصبت . إقعادها : طول بقائها فى الدَّن .

(٢) الفرصاد : التوت الأحمر .

(٣) الأكوار : جمع كور وهو الرَّحْل .

صاحبها يسقيهم ، وهم بها مشغوفون ، حتى انبعثت أضواء الصباح ، فنهضوا بركابهم وخيلهم تستخفهم النشوة استخفافا أخرجهم عن أطوارهم ، وما تعودوه فى صحوهم من قصد واعتدال .

وهكذا رأينا كيف وصف الأعشى الخمر ، ودَنَّها ولونها وخمارها وحانوتها ، كما صور أثرها فى النفس ، وما تصيب به شاربها من انتشاء يتمشى فى المفاصل .

وتدور هذه المعانى كلها فى عامة خمريات الأعشى ، حتى اتسمت معانيه فى كثير من المواضع بالتَّكْرار ، يقول (١) :

وكَأْسٍ كَماءِ النَّىِّ باكَرْتُ حَدَّها   بِغِرَّتِها إِذْ غابَ عَنِّى بُغاتُهَا

ويقول (٢) :

وكأسٍ كَعَيْنِ الديكِ باكرتُ حَدَّها   بِفتْيانِ صِدْقٍ والنَّواقِيسُ (٣) تُضْرَبُ

كما يتكرر فى شعره نعته لمجلس الخمر ، والمغنين وآلات الطرب ، والشِّواء ، من مثل قوله (٤) :

وشاهِدُنا الورْدُ والياسَمِيـ   ـنُ والمُسْمِعاتُ بِقُصَّابِهَا
ومِزْهَرُنـا مُعْمَـلٌ دائـمٌ   فَأَىُّ الثلاثةِ أَزْرَى بِها
تَرى الصَّنْجَ يَبكى له شَجْوُهُ   مَخافَةَ أَنْ سوف يُدْعَى بِها

---

(١) الديوان . القصيدة ١٠ البيت العاشر .

(٢) المصدر نفسه . القصيدة ٣٠ . البيت ١٣ .

(٣) فى الأصل « النواقيص » .

(٤) المصدر نفسه . القصيدة ٢٢ الأبيات ٢٠ – ٢٣ .

مَضَى لِى ثمانونَ مِن مَوْلِدِى كذلك تَفْصِيلُ حُسَّابِها

وقوله (١) :

ورادِعةٍ بالمسْكِ صفراءَ عندنا لِجَسِّ النَّدَامَى فى يَدِ الدِّرْعِ مَفْتَقُ
إذا قُلتُ غَنِّى الشَّرْبَ قامت بِمِزْهَرٍ يكاد إذا دَارتْ له الكَفُّ يَنْطِقُ
وشاوٍ إذا شئنا كَمِيشٌ بمِسْعَرٍ وصَهْبَاءُ مِزْبادٌ إذا ماتُصَفَّقُ

ويبدو من حديث الأعشى عن الخمر ، أنها أصبحت كل شيء فى حياته ، فقد هام بها هُيَاما عظيما ، ونعتها ، ونعت كل ما يتصل بها وبمجالسها نعتا دقيقا محكما .. فهى صافية تكشف القَذَى (٢) ، وهى كحدقة العين أو عين الديك (٣) ، وهَّاجَةٌ كأشعة الشمس (٤) ، وهى حمراءُ داكنة (٥) ، كلَون الدم (٦) ، أو عصارة نبت البَقَّم الأحمر (٧) ، أو صبغ الزعفران المخلوط بالعَنْدَم (٨) ، كما يشبهها أحيانا بالفضة أو الذهب ، من مثل قوله (٩) :

---

(١) الديوان . القصيدة ٣٣ الأبيات ٢٠ – ٢٢ ويبدو تأثره فى معانيها بطرفة (ديوان طرفة ص ٤٧ ، ٤٨) .

(٢) انظر القصائد ١٢/٥ ، ١٠/٢١ ، ١٩/٢٢ ، ٢٣/٣٣ .

(٣) انظر القصائد ١٢/٥ ، ٩/٢١ ، ١٣/٣٠ ، ١٣/٦٤ .

(٤) انظر القصيدة ٢٢/٢٩ .

(٥) انظر القصائد ١٩/٨ ، ١١/١٠ ، ١٩/٢٢ .

(٦) انظر القصائد ٩/٣ ، ١٠/١٠ ، ٦/٧٦ .

(٧) انظر القصيدة ٧/٥٥ .

(٨) انظر القصيدة ١٤/٣٠ .

(٩) القصيدة ١٦/٥ .

إذا انكبَّ أَزْهَرُ بين السُّقَاةِ تَرامَوْا به غَرَباً أو نُضَارا [١]

وإذا تحدث عن رائحتها ، فهى فَوَّاحة كالمسك والعنبر ، تَستَكّ الزُّكام [٢] ، وتُسْكِرُ قبل أن تُذاق ، يقول [٣] :

من اللاتى حُملْنَ على الرَّوَايا كَرِيحِ المِسْكِ تَستَلُّ الزُّكَامَا

فخمره من نادر الخمر التى جُلبت من مواطنها محمولة فوق النوق أو الدواب ، تنفذ رائحتها القوية إلى الأنف ، وكأنها ريح المسك ، فتستل الزكام . وهو تشبيه طريف ، وتوليد للمعانى ابتكره الأعشى .

فإذا تحدث بعد ذلك عن طعمها وقوة لذعها ، فهى لذيذة الطعم ، وإذا ذاقها الشارب ظل يتلمَّظُ متلذذا مستعذبا :

تُرِيكَ القَذَى من دُونِها وهْىَ دُونَهُ إذا ذَاقَها مَنْ ذاقَها يَتَمَطَّقُ [٤]

وهى خمر شديدة الحرارة ، تكاد تفرى جلد الزق الذى يحتويها :

كُمَيْتٌ عليها حُمْرَةٌ فوقَ كُمْتَةٍ يكادُ يُفَرِّى المَسْكَ منها حَمَاتُها [٥]

أما أثرها فى الشاربين ، فقد صوره الأعشى بفتور فى المفاصل ، يتبعه انشراح ودُوَار فى الرأس ، وهى إلى جانب ذلك تستخف الوقور

---

(١) تراموا به : تداولوه . غَرَبا : فضة . نُضارا : ذهبا .
(٢) انظر القصائد ١١/٢١ ، ١٧/٢٩ ، ١٥/٣٠ ، ٣٤/٣٦ ، ٣/٥٥ — ٥ .
(٣) انظر القصيدة ١٥/٦٤ .
(٤) انظر القصيدة ٢٣/٣٣ يتمطق : يتلمظ .
(٥) انظر القصيدة ١١/١٠ يُفَرِّى : يشق .

وتُسْكِنُهُ بعد إرْعَادِها له (١) . وهى تُمِيل رءوس الشاربين ، فيبدون من نشوتها كالنائمين :

غُدْوَةً حتى يَمِيلُوا أُصُلًا مِثْلَ ما مِيلَ بأَصْحَابِ الوَسَنْ (٢)

ومن طريف صور الأعشى ، تصويره حال الشاربين وكأنهم حبال صيادين ألقيت على الأرض ، يقول (٣) :

فترى الشَّرْبَ نشاوَى كُلَّهُمْ مثلَ ما مُدَّتْ نُصاحاتُ الرُّبَحْ
بين مَغْلوبٍ تَلِيلٍ خَدُّهُ وخَذُولِ الرِّجْلِ من غير كَسَحْ

ولم يفت الأعشى أن يرسم لنا صورة لبائع الخمر ، فهو يهودى (٤) ، عِلْجٌ أزرق (٥) ، يقدم لرواد حانته أجود الخمور ، وهو يعشق خمره عشقا ، حتى ليصلى على دَنِّها مكبرا (٦) :

وقابلها الريحُ فى دَنِّها وَصَلَّى على دَنِّها وَارْتَسَمْ

كما تحدث الأعشى عن ساق الخمر ، وصوَّره بأنه يحلى أذنيه باللؤلؤ ، يشد على فمه خرقة بيضاء ، وقد قَلَّصَ سِرْبَالَه (٧) :

---

(١) انظر القصيدة ١٨/٨ .

(٢) القصيدة ٢١/٧٨ . الوسن : النوم .

(٣) القصيدة ٤٩/٣٦ ، ٥٠ .

(٤) انظر القصيدة ١٠/٤ .

(٥) انظر القصيدة ١٢/٨ .

(٦) القصيدة ١١/٤ وانظر أيضا فى هذا المعنى القصيدة ٤/٥٥ .

(٧) القصيدة ٤١/٦ وانظر فى وصف الساق القصائد ٢١/٨ ، ٣٤/٣٩ ، ٣٥ ، ٦/٥٥ ، ٢٤/٦٤ .

يَسْعى بها ذُو زُجاجاتٍ له نُطَفٌ مُقَلَّصٌ أَسْفَلَ السِّرْبَالِ مُعْتَمِلُ (١)

وتكثر قصائد الأعشى التى يتحدث فيها عن الخمر (٢) ، وما تفعله بالألباب ، حتى أصبحت له شخصية خمرية تميزه عن سائر شعراء الجاهلية (٣) .

وهكذا رأينا فى خمريات الأعشى لونين من الحديث : أحدهما وِجدانى ، نلمح فيه صدَى آلامه وأحزانه ، وموقفه من بعض أهل زمانه . والآخر وصفى ، لا يكاد يترك فيه منظرا من مناظر مجالس الخمر إلا عرض له ، وصوَّره تصويرا دقيقا .

المـدح :

يكاد شعر المرحلة الأولى من الشعر البكرى – المعاصر لحرب البسوس – أن يخلوَ خلوا تاما من شعر المديح ، بينما نجده لدى شعراء المرحلة الثانية من مثل : الحارث بن حِلِّزة ، وطَرَفة ، والأعشى ، ومن عاصرهم من الشعراء .

والشعراء البكريون حين يمدحون ، يخلعون على ممدوحيهم تلك الصفات المحببة لدى أهل البادية والحضر من عرب الجزيرة وما والاها . فالممدوح عندهم ليس كمثله أحد ، فى كرمه وحسن جِواره ، وشجاعته وإقدامه . من مثل قول الحارث بن حِلِّزة فى مدح قَيْسِ بنِ شَرَاحِيل بن

---

(١) النطف : جمع نُطفة ، وهى اللؤلؤة العظيمة . معتمل : يخدم ويعمل دائما .
(٢) بلغت ٢٣ قصيدة من مجموع قصائد الديوان وعددها ٨٢ قصيدة .
(٣) فؤاد أفرم البستانى : الأعشى الكبير . بيروت ، دار المشرق ط ٤ ص ٢٣ .

هَمَّام بن مُرَّة البكرى ، حين وصفه بأنه ممتنع صارم ، صعبُ الانقياد ، معتز بنفسه وبقومه ، وأنه إنسان لايدانيه فى شِيَمه أحد من الإنس ، يُعْطِى فيجزل العطاء ، لا يخشى أن ينفد ماله . يقول (١) :

أَفَلَا تُعَدِّيها إلى مَلِكٍ شَهْمِ المَقَادَةِ ماجِدِ النفْسِ (٢)
وَإلى ابنِ ماريَةَ الجَوادِ وَهَلْ شَرْوَى أَبِى حَسَّانَ فى الإنْسِ (٣)
يَحْبُوكَ بالزَّغْف الفُيُوضِ عَلَى هِمْيَانِها ، والدُّهْمِ كالغَرْسِ (٤)
وبالسَّبِيكِ الصُّفْرِ يُضْعِفُها وَبالبَغايا البِيضِ واللُّعْسِ (٥)
لا يَرْتَجِى للمالِ يُهْلِكُهُ سَعْدُ النجومِ إليهِ كالنَّحْسِ (٦)
فلهُ هنالكَ لا عليهِ إذَا دَنِعَتْ أُنُوفُ القومِ للتَّعْسِ (٧)

---

(١) المفضلية رقم ٢٥ .

(٢) تعديها : تصرفها (أى الناقة التى تحمله) . ملك : أراد به ممدوحه . الشهم : الممتنع الصارم .

(٣) مارية : أم قيس ممدوحه ، مارية بنت سيار . الشروى : المثل . والمعنى : وهل مثله أحد ؟ .

(٤) يحبوك : يعطيك . الزغف ، بفتح الزاى : الدرع المحكمة اللينة ، كالزغفة ، والجمع الزغف على لفظ واحد . الفيوض : السابغة الفائضة . الهميان : المنطقة أو شىء يشد به الدرع . الدهم : الخيل ، معطوف على « الزغف » الغرس : النخل ، شبهها بالنخل لطولها .

(٥) السبيكة : القطعة من الذهب أو الفضة ، والمراد هنا الذهب ، لقوله « الصفر » . البغايا : الإماء . اللعس : جمع لعساء ، واللعس ، بفتحتين : سواد فى الشفتين يضرب إلى حمرة ، وذلك يستملح .

(٦) لا يرتجى : لا يخاف ، والرجاء بمعنى الخوف لا يكون إلا مع النفى . أى لا يخاف للنفقة من العدم .

(٧) فله هنالك : فله الفضل فى ذلك الوقت . دنعت : ذلت وخضعت ، أو لؤمت . التعس : السقوط والعجز عن النهوض .

والحارث بن حِلِّزَة حينما يمدح الملك عَمْرَو بنَ هِنْد ينعته هو الآخر بأنه فريد بين أقرانه ، ليس له كِفاء ... فيقول (١) :

مَلِكٌ أَضْلَعُ البَرِيَّة لا يُو   جَدُ فيها لِما لديه كِفاءُ (٢)

وحين أصابت بنى ضبيعة – عشيرة طرفة – سَنَةٌ مُجْدِبَة ، فَتَح لهم قَتَادَةُ الحَنَفِيّ البكرى أبوابه ، وكانوا جميعا نساءً ورجالا فى حالة سيئة من الفقر والهُزَال ، وأَغْدَق عليهم العطاء فى وقت عصيب شديد على الناس أجمعين . فمدحه طرفة وجعله من بُناة المَجْد ، المحبين للخير وفعل الجميل مع جميع الناس . ولم يَفُتْ طرفة أن يدعو لممدوحه أن تظل دياره خصبة كثيرة الخير والنِّعم ، ليقصدَها كلُّ محتاج . يقول طرفة (٣) :

أَبلِغْ قَتادَةَ غيرَ سائِلِهِ   منه الثَّوابَ وعاجِلَ الشُّكْمِ (٤)
أَنِّى حَمِدتُكَ للعشيرةِ إذْ   جاءت إليكَ مُرِقَّةَ العَظْمِ (٥)
أَلْقَوا إليكَ بِكُلِّ أَرمَلَةٍ   شَعْثاءَ تَحْمِلُ مُنْقَعَ البرم (٦)

---

(١) المعلقة ، البيت ٣٩ .

(٢) أضلع : أى ليس أحدٌ يضطلع من الأمور بمثل ما يضطلع . الكفاء : المكافؤ . أى لا يوجد من يساويه فى معاليه .

(٣) الديوان ص ١٤٥ ، ١٤٦ .

(٤) قتادة : هو قتادة بن سَلَمة الحَنَفى ، وكان من أسخياء العرب . الشكم : العوض والجزاء .

(٥) الحمد : الاعتراف بالفضل . عشيرة الرجل : رهطه المعاشرون له . مرقة العظم : أى مهازيل .

(٦) ألقوا : رموا . الأرملة : المحتاجة أو المسكينة . شعثاء : مغبرة الرأس متغيرة بسبب الهُزال وسوء الحال . البرم : جمع بُرمة ، وهى قِدْرٌ من الحجارة كانت المرأة تحملها معها .

ففتحْتَ بابَكَ للمكارِمِ حِـ ـينَ تَواصَتِ الأبوابُ بالأزَمْ (١)
وَأَهَنْتَ إذْ قَدِمُوا التِّلادَ لَهُمْ وكذاكَ يَفْعَلُ مُبْتَنِى النِّعَمِ (٢)
فَسَقَى بِلادَكَ غيرَ مُفْسِدِهَا صَوْبُ الغَمَامِ وَدِيمَةٌ تَهْمِى (٣)

وإذا كان الحارث بن حِلِّزة وطرفة قد وجَّها مدحهما لصالح القبيلة ، على نحو ما كان من الحارث فى مدح عمرو بن هند ، وما كان من مدح طرفة لقتادة الحنفى الذى أجار عشيرته من الجوع والحرمان ؛ فإننا نجد الأعشى يضيف إلى هذا الجانب جانبا آخر هو التكسُّب الشخصى بشعره . فهو يمدح السادة والأشراف طلبا للنوال . ويبدو أن بنى حَنِيفَةَ البكريين الذين سكنوا اليمامة – أخصب بقاع الجزيرة – كانوا دائما يعطفون على إخوانهم البكريين ويمنحونهم فضل ثرائهم . ومعلوم أن أشهر ممدوحى الأعشى هو هَوْذَةُ بنُ علىٍّ سيدُ بنى حنيفة . يقول الأعشى (٤) :

إِلَى هَوْذَةَ الوهّابِ أَهدَيْتُ مِدْحَتِى
أُرَجِّى نَوالًا فاضِلًا مِن عَطائِكَا

---

(١) المكارم : جمع مكرمة ، وهى فعل المعروف . تواصت : وصى بعضهم بعضا . الأزم : الإغلاق .

(٢) أهنت : حقرت وصغرت . التلاد : المال القديم . النِّعْم : أصلها النِّعَم جمع نِعمة .

(٣) غير مفسدها : أى بالقدر المحتاج إليه ، لا هو ناقص عن الحاجة ولا زائد عن المطلوب ، وهذا تتميم للمعنى ، واحتراس للديار من الفساد بكثرة المطر أو القحط بقلته . صوب الربيع : انصباب المطر . ديمة : مطر دائم فى لين .

(٤) الديوان القصيدة ١١ .

سَمِعْتُ بِرَحْبِ الباعِ والجُودِ والنَّدَى
فَأَدْلَيْتُ دَلْوِى ، فَاسْتَقَتْ بِرِشائِكَا (١)

....

فَتًى يَحْمِلِ الأعباءَ لَوْ كانَ غَيْرُهُ
مِنَ الناسِ لم ينهضْ بها مُتَماسِكا
وأنتَ الذى عَوَّدْتَنِى أن تَرِيشَنِى
وأنتَ الذى آويْتَنى فى ظِلالِكَا (٢)
فَإنكَ فيما بَيْنَنَا فِىَّ مُوزَعٌ
بخيرٍ ، وَإِنِّى مُولعٌ بِثَنائِكَا (٣)
وَجَدْتَ عَلِيًّا بَانِيًا فَوَرِثْتَهُ
وَطَلْقًا ، وشَيْبانَ الجَوادَ ، ومَالِكَا (٤)
بُحُورٌ تَقُوتُ الناسَ فى كل لَزْبَةٍ
أَبُوكَ وأعمامٌ هُمُ هَؤلائِكَا (٥)
وما ذاكَ إلا أنَّ كَفَّيْكَ بِالنَّدَى
تَجُودانِ بالإعْطاءِ قبلَ سُؤَالِكَا
يقولون فى الإكْفاءِ أَكْبَرُ هَمِّهِ
ألا رُبَّ منهمْ مَنْ يعيشُ بمالِكا (٦)

---

(١) الباع : الكرم وكذلك الندى . الرشاء : حبل الدَّلْو .
(٢) تريشنى : تعيننى وتغنينى .
(٣) موزع : مولع .
(٤) واضح من النص أن مالكا وشيبان وطلقا أعمام هوذة .
(٥) لزبة : شدة وأزمة .
(٦) يريد الشطر الأول أن ممدوحه يتهم بأنه يظلم أكفاءه .

وَجَدْتَ انهِدَامَ ثُلْمَةٍ فَبَنَيْتَها
فأَنْعَمْتَ إذ أَلحَقْتَها بِبِنَائِكا (١)
وَرَبَّيْتَ أيتاما وأَلحَقْتَ صِبْيَةً
وأَدْرَكْتَ جَهْدَ السَّعْيِ قبل عَنائِكا (٢)
ولم يَسْعَ فى العَلْياءِ سَعْيَكَ ماجِدٌ
ولا ذُو إِنًى فى الحىِّ مثلَ قِرائِكا (٣)

ويكثر فن المديح فى شعر الأعشى ، فقد اتخذه مطية للارتزاق ، ومن هنا كثر ممدوحوه . يقول فى مدح قيس بن مَعْدِيكَرِب (٤) :

يا حَبَّذَا وادِى النُّجَيْـ ـرِ ، وحَبَّذَا قَيْسُ الفَعَالِ (٥)
القائدُ الخَيْلَ الجيا دَ ضَوامِرًا مثلَ ٱلْمَغَالِى (٦)
التارِكُ الكَسْبَ الخَبِيـ ـثَ ، إذَا تَهَيَّأَ للقِتَالِ

وإذا كنا نلمح عند الأعشى مبالغة واضحة فى مديحه ، وتبذلا فى السؤال لم يعرف فى عصره (٧) ، فربما كان لهذه المبالغة وهذا التبذل أسباب ، هذه الأسباب التى يمكن ردها إلى المؤثرات الخاصة بالبيئة والشاعر ، على نحو ما سنرى بعد قليل .

---

(١) الثلمة : فرجة أو فتحة أو شق بين الشيئين .
(٢) أى ربيت أيتاما ، وضممت إليك صبية ، وبلغت فى ذلك أقصى السعى ، ثم لم يستنفد كل هذا من همتك الكبيرة إلا أيسرها .
(٣) إنًى : مقصور إناء .
(٤) الديوان، القصيدة ٧١ .
(٥) وادى النجير : أحد حصون بنى معدِيكَرب ، فى حضرموت .
(٦) ضوامر : ضعاف . المغالى : السهام .
(٧) انظر ، شوقى ضيف : العصر الجاهلى ص ٣٥٠ .

الهجـــاء :

وكما اتسم الشعر البكرى بسمات الشعر الجاهلى فيما سلف من موضوعات فقد أخذ بحظه من فن الهجاء . فهذا طرفة بن العبد يرسم صورة ساخرة لابن عمه عبد عمرو ، يجرده فيها من خصال الرجال المحمودة ، ولا يُبْقِى من شىء إلا الغنى ، وذلك الخَصْرُ الضامر ، الذى تتبين لطافته عند قيامه . ثم ينعته طرفة بأنه زير نساء سِكِّير ، ذو جسم متورم ، منتفخ ، مترهل . وتبلغ سخرية طرفة من غريمه مداها حين يصوره وقد لبس سلاحه ، ومشى متثنيا كغصن البان . ثم لا يريد طرفة أن يحتفظ له بهذه الصورة الرقيقة — رغم تجريدها له من كل مظاهر الرجولة — فيقول إنه يسرف فى التضمُّخ بالطيب والزعفران ، حتى صُبِغَتْ ثَنِيَّاتُ بطنه وأصبحت سمراء كالحة :

فياعجبًا مِنْ عبدِ عمرٍو وبَغْيِهِ ... لقد رامَ ظُلْمِى عَبْدُ عمرٍو فَأَنْعَمَا (١)
ولا خَيْرَ فيه غير أنَّ له غِنًى ... وأنَّ له كَشْحًا إذا قام أهْضَمَا (٢)
يظلُّ نساءُ الحَىِّ يَعْكُفْنَ حولهُ ... يَقُلْنَ عَسِيبٌ مِن سَرارَةِ مَلْهَمَا (٣)
له شَرْبتانِ بالنهارِ وأربعٌ ... من الليلِ حتى آضَ سُخْدًا مُوَرَّمَا (٤)

---

(١) الديوان ص ١٤١ ، ١٤٢ . عبد عمرو : ابن عم لطرفة . أنعم : بالغ وزاد .

(٢) الكشح : الخصر . أهضم : ضامر لطيف ، وأصل الهضم : النقصان . وإذا قام ، أى يتبين ضمر خصره عند القيام .

(٣) يعكفن : يقمن . العسيب : جريدة من النخل مستقيمة دقيقة يكشط خوصها . سرارة كل شىء : وسطه وأفضله . مَلْهَم : موضع باليمامة كثير النخل . وعسيب .. إلخ : أى يقلن إنه كالعسيب من النخل وسط هذا الموضع .

(٤) آض : صار . السُّخْد : ماء الرحم الذى يخرج مع الولد ، وهو ماء أصفر غليظ ، شبه به جسده فى نعومته وترجرجه به . مورما : منتفخا .

ويشربُ حتى يعمُرَ المَحْضُ قلبَهُ ... وإنْ أُعْطَهُ أجعلْ لقلبِيَ مَجْثَمَا (١)
كأنَّ السلاحَ فوق شُعْبَةِ بانَةٍ ... تَرى نُفُجًا وَرْدَ الأسِرَّةِ أسْحَمَا (٢)

وقد أكثر الشعراء البكريون من التهكم على مهجويهم ، ورسموا لهم صورا ساخرة تجعلهم موضع السخرية بين الناس ، من مثل قول طرفة فى هجاء الملك عمرو بن هند (٣) :

فليتَ لنا مكانَ المَلْكِ عَمْرٍو ... رَغُوثًا حولَ قُبَّتِنا تَخُورُ (٤)
من الزَّمِرَاتِ أَسْبَلَ قادِماها ... وضَرَّتُها مُرَكَّنَةٌ دَرُورُ (٥)
يشاركنا لنا رَخِلانِ فيها ... وتعلوها الكِباشُ فما تَنُورُ (٦)

وفعلوا ذلك حين هَجَوْا بالبخل ، فجعلوا مَهْجُوَّهُم يرتعد من زيارة الصديق ، وكأنه لم يعد صديقا حين أتى زائرا ، بل تحول إلى أسد كاسر ، أو حية من الحيات فهو لن يتناول طعاما ، بل سيلتهم قطعة من جسد صاحبه :

---

(١) المحض : اللبن الخالص . مجثم : موضع يكون فيه .
(٢) الشعبة : طرف الغصن . البانة : شجرة ضعيفة لينة . نفجا : ضخم الأرداف . ورد : أحمر . الأسرة : أسرة البطن ، ولونها أحمر من الطيب . الأسحم : الأسود .
(٣) الديوان ص ٩٢ . .
(٤) الرغوث : النعجة المرضع . تخور : تصوت .
(٥) الزمرات : القليلات الصوف ، وخصها لأنها أغزر لبنا . أسبل : طال . قادماها : خلفاها .
(٦) رخلان : مثنى رَخل ، وهى الأنثى من أولاد الضأن . تنور : تنفر .

إذا زاره يوما صَدِيقٌ كأنَّما يرى أَسَدًا في بيته وأَسَاوِدَا (١)

وهم إلى جانب ذلك عيروا أعداءهم بالقعود فى كنف الملوك ، يتمتعون بخيراتهم ويلبَسُون الحُلل ، ويقبضون الدراهم ، حتى ركنوا إلى الراحة والدَّعَة ، فأصبحوا منعمين لا يصلحون لحرب أو نزال ، من مثل قول الأعشى ليزيدَ بنِ مُسَهِّرٍ الشيبانى (٢) :

أَبا ثابِتٍ لا تَعْلَقَنْكَ رِماحُنا أَبا ثابِتٍ : أَقصِرْ وعِرْضُكَ سالِمُ
وَذَرْنا وقومًا إنْ هُمُ عَمَدُوا لنا أَبا ثابتٍ وَاجْلِسْ فإنك ناعِمُ (٣)
طَعَامُ العراقِ المُسْتَفِيضِ الذى تَرَى وفى كل عامٍ حُلَّةٌ وَدَراهِمُ

كما هَجَوْا المنافق ، الذى يظهر مودته ويضمر بغضه وعداءه ، والذى يتعاظم فى غياب عدوه ، ويتضاءل وينقمع حين يراه . يقول سويد ابن أبى كاهل اليشكرى (٤) :

رُبَّ من أَنْضَجْتُ غيظاً قلبَهُ قد تمنَّى لِىَ موْتًا لم يُطَعْ
ويرانى كالشَّجا فى حَلْقِهِ عَسِرًا مخرجُهُ ما يُنْتَزَعْ (٥)
مُزْبِدٌ يَخْطِرُ مالَمْ يَرَنِى فإذا أَسْمَعْتُهُ صَوْتِى انقمَعْ (٦)

---

(١) ديوان الأعشى الكبير ص ٦٥ .

(٢) المصدر نفسه ص ٧٩ .

(٣) عمدوا : قصدوا . ناعم : مترف لا تحتمل الحرب .

(٤) المفضلية ٤٠ .

(٥) الشجا : ما يعترض فى الحلق من عظم ونحوه .

(٦) مزبد : كالجمل الهائج إذا ظهر الزبد على مشافره . يخطر : من الخطر ، بسكون الطاء ، وهو ضرب الفحل بذنبه إذا هاج . انقمع : دخل بعضه فى بعض .

وَيُحَيِّينــــى إذا لاقَيْتُـــهُ ... وَإذا يخلو له لَحْمِى رَتَعْ (١)
مُسْتَسِرُّ الشَّنِّ لو يَفْقِدُنى ... لَبَدا مِنهُ ذُبابٌ فَنَبَعْ (٢)
وَرِثَ البِغْضَةَ عن آبائِهِ ... حَافِظُ العقْلِ لِما كانَ اسْتَمَع

والأمر الملاحظ فى هجاء الشعراء البكريين ، أن أكثره هجاء داخلى ، يوجه إلى أفراد من داخل القبيلة ، كما رأينا فى هجاء طرفة بن العبد لابن عمه عبد عمرو ، وكما نجد فى هجاء الأعشى للحارث بن وَعْلَة (٣) ، ويزيد بن مُسْهِر (٤) ، وقيس بن مسعود (٥) . وهو ما يظهر لنا بجلاء روح التفكك الذى أصاب القبيلة ، حتى بدا كل بطن من بطونها وكأنه قبيلة قائمة بذاتها ، تناصب أخواتها العداء والكراهية ... وهذا ماوَسَم أشعار شعرائها بالروح الفردى أو القَبَلِىّ الضيق ، الذى لا يتعدى حدود البطن أو العشيرة فى كثير من الأحيان .

شعر الحكمة :

يزخر الشعر البكرى بمجموعة من الأشعار التى ضمنها الشعراء حصيلة تأملاتهم فى الحياة والناس ، فتحدثوا عن سطوة الدهر على ذوى الغنى ، وتبدل أحوال الناس . من مثل قول المرقش الأصغر (٦) :

---

(١) رتع : رتع فلان فى لحم فلان إذا اغتابه .
(٢) الشن : البغض . الذباب : الشر والأذى . نبع : ظهر .
(٣) انظر ، ديوان الأعشى الكبير ص ٦٥ وما بعدها .
(٤) المصدر نفسه ص ٧٦ وما بعدها .
(٥) المصدر نفسه ص ١٨٣ .
(٦) المفضلية ٥٧ .

كَم مِنْ أَخِى ثروةٍ رأيتُهُ   حَلَّ علَى مالِهِ دَهْرٌ غَشُومْ
وَمِن عزيزِ الحِمَى ذِى مَنْعَةٍ   أضحى وقَدْ أَثَّرتْ فيهِ الكُلُومْ (١)
بَيْنَا أَخُو نِعْمَةٍ إذْ ذَهَبَتْ   وَحُوِّلَتْ شِقْوَةٌ إلى نَعِيمْ
وَبينا ظاعِنٌ ذو شُقَّةٍ   إذْ حَلَّ رَحْلاً وإذْ خَفَّ المُقِيمْ (٢)

وتأمل هؤلاء الشعراء أحوال الدنيا ، فوجدوا أن الموتَ غايةُ كل حى ، وأن كلَّ شيء هالك فى هذه الحياة :

ولِلْفَتَــى غائِــلٌ يَغُولُــهُ   يابنةَ عَجْلَانَ مِنْ وقْعِ الحُتُومْ (٣)

وما دام الموت غاية كل حى ، ففيم إكتناز المال ، والتصارع عليه ؟ فالرزق قدر وتقدير ، لا اجتهاد وتشمير :

عجبًا ما عَجِبْتُ للعاقِدِ المَا   لَ ورَيْبُ الزمانِ جَمُّ الخُبولِ (٤)
وَيُضِيعُ الذى يصيرُ إليهِ   مِنْ شَقاءٍ أو مُلْكِ خُلْدٍ بَجِيلِ (٥)
أَجْمِلِ العيشَ إنَّ رِزقَكَ آتٍ   لا يَرُدُّ الترقيحُ شَرْوَى فَتِيلِ (٦)

---

(١) الحمى : ما منع وحفظ . ذى منعة : أى معه من يحفظه ويمنعه . الكلوم : الجراحات . أى أثر فيه الدهر .

(٢) الشقة : السفر البعيد . والمعنى : بينما الرجل مسافر إذ حل رحله وأقام ، وبينما الرجل مقيم إذ سافر ، أى ليس الناس على حالة .

(٣) نفس المفضلية . يغوله : يذهب به . الحُتُوم : جمع حَتْم ، وهو القضاء .

(٤) المرقش الأصغر : المفضلية ٥٩ ما عجبت : « ما » زائدة . العاقد المال : الذى يجمع المال ويعتقده . الخبول : جمع خَبَل ، وهو الفساد .

(٥) بجيل : عظيم . يريد ما يصير إليه من بؤسى ونعمى .

(٦) أجمل العيش : أجمل فى طلبه ، أى اطلبه بتؤدة واعتدال وبعد عن الإفراط . الترقيح : إصلاح المال والقيام عليه . الشَرْوَى : المِثْل . الفتيل . الخيط الذى فى شق النَّواة .

ومادام الرزق قدرا وتقديرا ، فَقَمِينٌ بنا أن نترك الأمر للمقادير ، وألا يبلغ حرصُنا على المال قدرا نبخل معه على المحتاجين ، فإنّ أحدا لا يدرى ماسيحدث فيما عنده من مال فى حياته وبعد مماته ، فربما كان ماله بعد وفاته نَهْبًا لمن يعيثون فيه فسادا . يقول الحارث بن حِلِّزَة يوصى ابنه بتقديم اللبن للأضياف (١) :

واحْلُبْ لأضيافِكَ أَلْبَانَها   فإنَّ شر اللَّبَنِ الوَالِجُ (٢)
رُبَّ عِشارٍ سوف يَغْتالُها   لا مُبطِئُ الشَّدِّ ولا عائِجُ (٣)
يسوقُها شَلًّا إلى أهلِهِ   كما يسوقُ الْبَكْرَةَ الفالِجُ (٤)
قد كُنْتَ يوما تَرْتَجِى رِسْلَها   فَأَطْرَدَ الحائِلُ والدَّالِجُ (٥)
بَيْنَا الفتى يَسْعَى ويُسْعَى لَهُ   تاحَ له مِنْ أمرِهِ خالِجُ (٦)
يَتْرُكُ ما رَقَّحَ من عَيْشِهِ   يَعِيثُ فيهِ هَمَجٌ هامِجُ (٧)

ويكثر الحديث عن الحياة والموت فى شعر طرفة بن العبد ، وكأنما أراد أن يضمن أشعاره إحدى مراثيه . يقول (٨) :

---

(١) المفضلية ١٢٧ .

(٢) الوالج : بقية اللبن التى تترك فى ضَرْع الناقة لتغزير لبنها .

(٣) العائج : الواقف . يقول ، رب نوق عشار . يغتالُها : سائق يَنْهَبُهَا من أهلها .

(٤) الشل : الطرد . البكرة : الناقة الصغيرة لا تحمل . الفالج : الفحل الضخم .

(٥) الرسل : اللبن . الحائل : التى لا تحمل . الدالج : التى تمشى بحملها مثقلة .

(٦) تاح : عرض . خالج : موت يخلجه . أى يجذبه إليه فيذهب به .

(٧) الترقيح : إصلاح المال . يعيث : يفسد . الهمج : البعوض ، شبه الوارث بها لضعفه .

(٨) الديوان ص ٥٠ .

ألا أيُّهَذا الزاجِرِى أحضُرَ الوغَى
وأنْ أشْهَدَ اللذَّاتِ هَلْ أنتَ مُخْلِدِى (١)

فإن كنتَ لا تَسْطِيعُ دَفْعَ منيَّتِى
فَذَرْنى أُبادِرْها بما مَلَكَتْ يدِى (٢)

يقول (٣) :

أرَى الموتَ يَعْتامُ الكرامَ ويَصْطَفِى عَقِيلةَ مالِ الفاحِشِ المتشدِّدِ (٤)
لَعَمْرُكَ إنَّ الموتَ ما أخطأ الفتى لكالطِّوَلِ المُرْخَى وَثِنْياهُ بِاليَدِ
متى مايشأْ يومًا يَقُدْهُ لِحَتْفِهِ ومَنْ يَكُ فى حَبْلِ المنيةِ يَنْقَدِ
أرَى العيشَ كَنْزا ناقِصا كلَّ ليلةٍ وما تنقُصُ الأيامُ والدهرُ ينفَدِ

(٢)

القرب من البحر وفارس وأثره فى موضوعاتهم

أقام البكريون – كما أوضحنا (٥) – فى اليمامة والبحرين حتى

---

(١) الوغى : الحرب ، ومعناه فى الأصل الصوت فى الحرب . الزاجرى : الذى يزجرنى وينهانى .

(٢) ومادمت لا تستطيع أن تدفع المنية عنى فلا تلمنى على اتباع هواى ، ودعنى أسبق الموت بالتمتع بإنفاق ما ملكت يدى قبل أن أموت .

(٣) الديوان ص ٥٣ ، ٥٤ .

(٤) يعتام : يختار . ويصطفى : يختار كذلك . عقيلة كل شىء : خياره وأنفسه . الفاحش : السيئ الخلق ، والمقصود هنا البخيل . المتشدد : المبالغ فى الشح والحرص على المال .

(٥) انظر الفصل الأول .

مشارف العراق ، ومعنى هذا أنهم جاوروا البحر ، أو هُمْ أهلُ ساحل . كما جاوروا الفرس ، وتعاملوا معهم (١) ، واشتبكوا معهم أيضا فى معاركَ عديدة بسبب إقامتهم فى هذه المواطن ، على حدودهم وفى طريق قوافلهم .

وطبيعى أن يكون لمثل هذه البيئة أثرها فى القوم ومن جاورهم (٢) . وربما كان الشعراء البكريون أظهر من تأثر بهذه البيئة وبعلاقة الجوار مع الفرس ، وكثيرا ما يرد اسم الأعشى عند تعرض أى باحث لجلاء لهذه القضية (٣) .

ويمكننا أن نرد وضوح هذا التأثر فى أشعار البكريين إلى أمور أربعة :

أولها : علاقة الجوار والمخالطة أحيانا .

ثانيها : كثرة الشعراء البكريين ، وعن طريقهم وصل إلينا تراث كبير .

ثالثها : كثرة ترحال هؤلاء الشعراء – سابقهم ولاحقهم – ويبدو أن العراق التابع للفرس فى ذلك العهد ، كان مثار اهتمامهم ، إليه يسيرون ، ومنه يرحلون .

---

(١) جواد على : المفصل فى تاريخ العرب قبل الإسلام ص ٢١٣ .

(٢) انظر ، أحمد محمد الحوفى : تيارات ثقافية بين العرب والفرس . القاهرة ، دار نهضة مصر ، سنة ١٩٦٨ ، الفصل الثانى .

(٣) انظر ، إبراهيم أنيس : من أسرار اللغة . القاهرة ص ١٠٩ .

بروكلمان : تاريخ الأدب العربى ١ : ١٤٩ .

يقول طرفة بن العبد حين يذكر قصة حب المرقش الأكبر لأسماء [(١)] :

تَرَحَّلَ من أرضِ العراقِ مُرَقِّشٌ   على طَرَبٍ تَهْوِى سِراعا رَواحِلُهْ
إلى السَّرْوِ أرضٌ ساقَهُ نحوها الهوى   ولم يَدْرِ أنَّ الموتَ بالسَّرْوِ غَائِلُهْ

وليس بعيدا عن الأذهان أمر طرفة ، الذى عاش حياته القصيرة غريبا ، متنقلا بين الأحياء والقبائل وملك الحيرة ، يقول طرفة — وقد آلمه أنْ تُعَيِّرُهُ إحدى النساء بغربته وجَوْبِهِ البلاد [(٢)] :

ولا غرو إلا جارتى وَسُؤَالُهَا   أَلَا هل لنا أهلٌ ، سُئِلْتِ كذلِكِ
تُعَيِّرُنى جَوْبَ البلادِ وَرِحلتى   ألا رُبَّ دارٍ لى سوى حُرِّ دَارِكِ

وتقول الخِرْنِقُ فى رثاء عبد عمرو بن بشر أحد سادات بكر وكان نديم عمرو بن هند [(٣)] :

ألا هَلَكَ الملوكُ وعَبْدُ عمرٍو   وَخُلِّيتِ العراقُ لمن بَغاها

ناهيك عن رحلات الأعشى إلى العراق وغيره ، وطوافه للشعر آفاقه [(٤)] .

---

(١) ديوان طرفة بن العبد ص ١٢٨ .

(٢) المصدر نفسه ص ١٠٩ ، ١١٠ .

(٣) ديوان شعر الخرنق . تحقيق الدكتور حسين نصار القاهرة . مطبعة دار الكتب سنة ١٩٦٩ ص ٣٩ .

(٤) ديوان الأعشى الكبير ص ٤١ الأبيات ٥٥ — ٥٩ . وص ٢٥ البيت ٧٧ ، ٧٨ وص ٢١٥ البيت ٤٨ .

وأما رابع هذه الأمور – فعلاقة القربى القوية بين كثير من الشعراء البكريين وهذا بدوره فتح مجالا فسيحا لانتقال التأثر فى لغة الشعراء وموضوعاتهم .

وكان من نتاج كل ذلك ثراء ثقافى ، وضح فى أشعار البكريين ، سواء فى موضوعاتهم أو فى تشبيهاتهم . وطبيعى ألّا ينفردوا بذلك تماما – وإن تفوقوا – فلم تكن بكر وحدها هى التى أقامت فى هذا المكان وجاورت الفرس ، كما أن كثيرا من الشعراء الجاهليين وفدوا على ملوك الحيرة .

القرب من البحر وأثره (١) :

يبدو أثر القرب من البحر – الخليج أو رافدى العراق – فى حديث البكريين منذ أقدم أشعارهم . فقد اتخذوا البحر وما فيه من سفن وملاحين ودُرّ وسيلة لجلاء معانيهم ، وإن شئنا فقد اتخذوه مشبها به ، وإن لم يتعمقوه أو يخصوه بالحديث مستقل إلا نادرا ، فقد اتخذوه كما اتخذوا الشمس والقمر وسيلة للجلاء والبيان . يقول المُرَقِّش الأكبر (٢) :

لِمَنِ الظُّعْنُ بالضّحى طافِياتٍ شِبْهُهَا الدَّوْمُ أو خَلايا سَفِينْ

ويقول طرفة بن العبد متأثرا بقول جَدِّهِ (٣) المرقِّش الأكبر ، ومستطردا فى الحديث عن السفن (٤) :

---

(١) لعلنا بذلك نرد على من توهم أن الشعر الجاهلى ليس فيه ذكر للبحر متخذا من هذا دليلا على عدم صحته .

(٢) المفضليات . المفضلية رقم ٤٨ البيت الأول .

(٣) المرقش الأكبر أخٌ لسفيان بن سعد بن مالك جد طرفة .

(٤) ديوان طرفة بن العبد ص ٣٠ ، ٣١ الأبيات ٢٥ – ٢٧ .

كأنَّ حُدُوجَ المالِكيَّةِ غُدْوَةً خَلايا سَفِينٍ بالنَّواصِفِ من دَدِ
عَدَوْلِيَّةٌ أوْ مِنْ سَفِينِ ابْنِ يامِنٍ يَجُورُ بها المَلَّاحُ طَورًا ويَهْتَدِى
يَشُقُّ حَبَابَ الماءِ حَيْزُومُها بِها كما قَسَمَ التُّربَ المُفايِلُ بِاليَدِ

وإذا كان القوم قد عرفوا السفن ، فقد عرفوا المِجْدَاف ، وكَنُّوا به عن السَّوط حتى صار اسما من أسمائه ، وهذا دليلٌ على وضوح المجداف وأثره فى توجيه السفينة ، سواء فى أذهان الشعراء أو السامعين . يقول المرقِّشُ الأكبر (١) :

تَعْدُو إذا حُرِّكَ مِجْدَافُها عَدْوَ رَبَاعٍ مُفْرَدٍ كالزُّلَمْ

كما عرفوا إلى جانب ذلك سُكَّانَ السفينة ، وشبهوا به أعناق نُوقهم الطوال وعرفوا أن للسفن أنواعا مختلفة ... فى مثل قول طرفة (٢) :

وأَتْلَعُ نَهَّاضٌ إذا صَعِدَتْ بهِ كَسُكَّانِ بُوصِىٍّ بِدِجْلَةَ مُصْعِدِ

وعرفوا أن البحر فياض فى عطائه ، لا يعدم قاصده رزقا ، ومن هنا جعلوه مثلا أعلى للجُودِ والسَّخاء ، فشبهوا به ممدوحيهم . يقول طرفة (٣) :

فأمَّا التى خَيْرُها يُرْتَجى فَأَجْوَدُ جُودًا مِنَ اللافِظَهْ (٤)

كما نظر القوم إلى البحر نظرة إعجاب ، وإلى أمواجه المتلاطمة

(١) المفضليات . المفضلية رقم ٤٩ البيت العاشر .
(٢) ديوان طرفة بن العبد . ص ٤١ البيت رقم ٥١ .
(٣) المصدر نفسه ص ٢١٣ البيت رقم ٦٣٩ .
(٤) اللافظة : البحر .

التى تعلو وتهبط نظرة رهبة ، من مثل قول المُسَيَّبِ بْنِ عَلَسٍ (١) :

لقد نَظرَتْ عَنْزٌ إلى الجَزْعِ نَظْرَةً إلى مِثْلِ مَوجِ المُفْعَمِ المُتَلاطِمِ

وقوله (٢) :

مُتَبَعِّجُ التَّيَّارِ ذُو حَدَبٍ مُغْرَوْرِبٍ تَيَّارُهُ يَعْلُو

ومادام القوم قريبين من البحر ، فقد عرفوا الدُّرَّ ، وكل ما يستخرجه الغواصون من كنوزه ، وما يلاقونه من عناء وكان هذا حافزا للشعراء حين يتحدثون عن المرأة أن يشبهوها بالدُّرَّةِ فى جمالها ، وفى قيمتها ، وفى مشقة الوصول إليها والفوز بها . يقول الأعشى (٣) :

كأنها دُرَّةٌ زَهْرَاءُ أُخرجَها
غَواصُ دَارِينَ يخشى دونها الغَرقَا (٤)
قد رامَها حِجَجًا مُذْ طَرَّ شارِبُهُ
حتى تَسَعْسَعَ يرجُوها وقد خَفَقا (٥)
لا النَّفْسُ تُوئِسُه منها فيتركُها
وقد رأى الرَّغْبَ رَأْىَ العَيْنِ فَاحْتَرَقا (٦)

---

(١) كتاب الصبح المنير فى شعر أبى بصير . مجموعة ما أنشد للمسيب بن علس ، طبع مطبعة آدولف هلز هوسن سنة ١٩٢٧ ص ٣٥٩ ، وانظر شعر المسيب فى القسم الثانى من هذا الكتاب .

(٢) المصدر نفسه ص ٣٥٨ .

(٣) ديوان الأعشى الكبير ٩/٨ - ١٧ .

(٤) زهراء : بيضاء مشرقة . دارين : ثغر بالبحرين .

(٥) طر شاربه : نبت وظهر . تسعسع : هرم واضطرب وهدج فى مشيه . خفق : اضطرب .

(٦) الرغب ، بفتح فسكون : مصدر رغب فى الشىء أى أراده . احترق : أى شوقا وطمعا وحرصا على الدرة .

ومارِدٌ من غُواةِ الجنِّ يَحْرُسُها
ذُو نِيقَةٍ مُسْتَعِدٌّ دُونَها تَرَقَا (١)
ليستْ له غَفْلَةٌ عنها يُطِيفُ بها
يخشى عليها سُرَى السارين والسَّرَقَا (٢)
حِرْصًا عليها لو آنَّ النفسَ طاوعها
منه الضميرُ لَبالَى الْيَمَّ أو غَرِقَا (٣)
فى حَوْمِ لُجَّةِ آذِيٍّ له حَدَبٌ
مَنْ رامَها فارقَتْهُ النفسُ فاعْتَلَقَا (٤)
من نالها نالَ خُلْدًا لا انقطاعَ لَهُ
وما تمَنَّى فأَضْحَى ناعِمًا أَنِقَا (٥)
تلكَ التى كَلَّفَتْكَ النفسُ تَأْمُلُها
وما تَعَلَّقْتَ إلا الحَيْنَ وَالحَرَقَا (٦)

وأحسب الأعشى متأثرا فى هذه الأبيات بقول أستاذه المسيب بن علس — وكان راوية له — حين قال (٧) :

---

(١) النيقة : اسم من التنوق ، من تنوق فى الأمر أى بالغ فيه وجَوَّده . الترق : شبيه بالدرج ، فيكون المعنى أن هذا المارد من الجن يحرس هذه الدرة مستعدا لذلك بدرج يخفيها فيه .

(٢) يطيف بها : يدور حولها ، أى حول الدُّرَّة . السَّرَق والسَّرِقة واحد .

(٣) بالى اليم : ناقضه وتحداه ، واليم : البحر .

(٤) الآذِيّ : موج البحر . الحدب : الموج وتراكب الماء فى جريه . حومة الماء : معظمه . اعتلقا : أى علقته المنية فمات .

(٥) نالها : أى الدرة . أنقا : مسرورا .

(٦) الحين : الهلاك . الحرق : النار .

(٧) كتاب الصبح المنير ، مجموعة ما أنشد للمسيب بن علس ص ٣٥٢ .

نَظَرَتْ إليك بعينِ جازئةٍ ... فى ظِل بارِدَةٍ مِنَ السِّدْرِ
كَجُمانَةِ البَحْرِيِّ جاء بها ... غَواصُها من لُجَّةِ البحرِ
صَلِبُ الفُؤادِ رئيسَ أربعةٍ ... مُتَخالِفِى الألوانِ والنَّجْرِ (١)
فتنازَعوا حتى إذا اجتمعوا ... أَلْقَوا إليه مقالِدَ الأمْرِ
وَعَلَتْ بِهِمْ سَجْحَاءُ خادِمَةٌ ... تهوى بهم فى لُجةِ البحرِ (٢)
حتى إذا ماساء ظَنُّهُمُ ... ومضى بهم شهرٌ إلى شَهْرِ
ألقى مَراسِيَهُ بتهلُكَةٍ ... ثَبَتَتْ مَراسِيها فما تَجْرِى
فَانْصَبَّ أَسْقَفُ رأسُهُ لَبِدٌ ... نُزِعَتْ رَباعِيَتاهُ لِلصَّبْرِ (٣)
أَشْفَى يَمُجُّ الزَّيْتَ مُلْتَمِسٌ ... ظمآنُ ملتهبٌ من الفَقْرِ (٤)
نِصفَ النهارِ الماءُ غامِرُهُ ... ورفيقُهُ بالغَيْبِ لا يَدْرِى
فأصابَ منيتَهُ فجاءَ بها ... صَدَفِيةً كمُضيئةِ الجَمْرِ
يُعطى بها ثمنا ويمنعُها ... ويقولُ صاحِبُهُ أَلاَ تَشْرِى
وترى الصَّوارِى يَسجُدُونَ لها ... وَيضُمُّها بيدَيْهِ للنَّحْرِ (٥)
فتلكَ شِبهُ المالكيَّةِ إذْ ... طَلَعَتْ بِبَهْجَتِها مِنَ الخِدْرِ

وبشرة الحبيبة – فى خيال الشعراء البكريين – كأنها أشربت بمثل ماء الدر إشرابا أَضْفَى عليها رونقا وبريقا وجمالا . يقول الأعشى (٦) :

(١) النجر : الطبع والمنبت .
(٢) سجحاء : سهلة مستقيمة فى سيرها .
(٣) أسقف : رجل أسقف أى طويل فى انحناء . رباعيتاه : يقال ما فى بنى فلان من يضبط رباعته إلا فلان أى أمره وشأنه .
(٤) أشفى : أى أشفى على الهلاك .
(٥) الصوارى : جمع أصور ، أى متجه إليها ببصره .
(٦) ديوان الأعشى الكبير ٨/٧٩ .

رُعْبُوبَةٌ فُنُقٌ خُمْصَانَةٌ رَدَحٌ　　قد أُشْرِبَتْ مثلَ ماءِ الدُّرِّ إشْرابا

عرف القوم إذًا الدر معرفة ملكت زمام تعبيرهم أحيانا كثيرة . وكان طبيعيا أن يوجد فى مثل هذه البيئة تجار يحترفون صيانته والترغيب فيه ، حتى غدا منظر الدرة البيضاء وقد جلا عنها التاجر غبارها وأظهرها منظرا تتوق النفس إلى مَرْآه ، وغدا هذا المنظر البديع مُوجبًا للشعراء أن يشبهوا حبيباتهم به . يقول الأعشى (١) :

أو بيضةٍ فى الدِّعْصِ مَكْنُونَةٍ　　أو دُرَّةٍ شِيفَتْ لَدَى التاجِرِ (٢)
يَشْفِى غليلَ النفسِ لاهٍ بها　　حَوراءُ تُصْبِى نَظَرَ الناظِرِ (٣)

وما دامت هناك تجارة للدر والأحجار الكريمة ، فقد كان هناك بيع وشراء ، والنسوة خير من يساعد على رواج هذه التجارة ، وأن يسبين عقول الرجال (٤) :

إذا قَلَّدَتْ مِعْصَما يارَقَيْـ　　ـنِ فُصِّلَ بالدُّرِّ فَصْلًا نَضِيرًا (٥)
وَجَلَّ زَبَرْجَدَةٍ فوقَـهُ　　وياقوتَةٌ جِلْتَ شيئًا نَكِيرًا (٦)

---

(١) المصدر نفسه ١٨/ ٦ ، ٧ .

(٢) شيفت : جليت .

(٣) الغليل : حرارة العطش . تصبى : من أصباه الشيء أى شاقه فحن إليه حوراء : بيضاء .

(٤) المصدر نفسه ٢١/١٢ ، ٢٢ .

(٥) اليارق : الجبارة وهو سوار عريض من حلى اليدين (فارسى معرب) . فصل بالدر : أى رصع به . نضيرا : حسنا .

(٦) جل الشيء أى عظم قدره . أمر نكير : شديد صعب .

والمتأمل فى أشعار البكريين يجد فى سهولة ويسر أثر قرب القوم من البحر ، وإلا فما بال الأعشى حين يتحدث عن بقايا ثياب الضحايا حول عرين الأسد ، يشبهها بسراويل الملاحين القصيرة ؟ لقد كان منظر الملاحين بسراويلهم أمرا مألوفا وحاضرا فى أذهان القوم جميعهم ، بين شاعر ومستمع . يقول الأعشى (١) :

كأنَّ ثِيابَ القومِ حَوْلَ عَرِينِهِ   تَبابِينُ أَنْباطٍ إلى جَنْبِ مُخْصَدِ

....

القرب من فارس وأثره :

إذا كان عامة شعراء الجاهلية فى نجد والحجاز وغيرهما ، قد وقفوا ونعتوا داثر البنيان والأثافىّ ، والخيمة والطراف المُعَمَّد ، فإن شعراء بكر قد وقفوا عند ذلك أيضا ووصفوه ، كما وصفوا إلى جانب ذلك القصور ومشيد البنيان ، وأعجبوا بمنظر الحمام يعانق الشرفات ، كما شُدِهُوا بضخامتها وارتفاعها ، فقد بدت كالجبل الذى يقصر الطير عن بلوغ قمته . وما نحسب ذلك إلا أثرا من آثار مشاهدتهم للقصور الفارسية . وربما حاولت القبائل أو البطون المستقرة فى البحرين ومشارف العراق أن تقيم بيوتا على غرار قصور الفرس ، وربما وصف الشعراء هذه الأبنية وسموها قصورًا ، ولكن لا يخفى بين ذلك كله أثر الجوار لفارس ، وإعجاب القوم بقصورهم وما اتسمت به من حصانة ومَنْعَة . يقول الأعشى (٢) :

---

(١) المصدر نفسه ٢٨/٢٣ .

(٢) المصدر نفسه ١٨/٥٨ - ٦٠ .

فى مِجْدَلٍ شُيِّدَ بُنيانُهُ   يَزِلُّ عنه ظُفُرُ الطائِرِ
يَجْمَعُ خَضراءَ لها سَوْرَةٌ   تَعْصِفُ بالدَّارِعِ والحَاسِرِ (١)
باسِلَةَ الوَقْعِ سَرابِيلُها   بِيضٌ إلى جَانِبِهِ الظاهِرِ (٢)

كما يقول الأعشى حين يتحدث عن أحد القصور ، وقد عَشَّشَ الحمام فى شرفاته (٣) :

وذَا شُرُفَاتٍ يُقْصِرُ الطيرُ دُونَهُ   ترى لِلحَمامِ الوُرْقِ فيه قَرامِصَا (٤)

ونحو ذلك قوله (٥) :

* وترى الحَمامَ مُعانِقًا شُرُفاتِهِ *

وإذ كان الشعراء البكريون قد وقفوا معجبين أمام القصور ومشيد البنيان ، متحدثين عن حصانتها ، وحجارتها الصماء الملساء ، وعلو شرفاتها ، وتعشيش الحمام فيها ، فقد ذكروا كذلك أبوابها المنيفة ، فشبهوا بها إبلهم ، على نحو ما نجده عند طرفة بن العبد حين شبه فَخِذَيْ ناقته المملوءتين باللحم ، بباب قصر منيف طويل أملس . يقول طرفة (٦) :

---

(١) خضراء : كتيبة يعلوها الحديد فهى خضراء ، والعرب تسمى الأسود أخضر أحيانا . سورة : حدة وسطوة .

(٢) السربال : القميص والدرع . إلى جانبه : أى إلى جانب القصر . الظاهر : المرتفع .

(٣) المصدر نفسه ١٥/١٩ .

(٤) الورقاء : الحمامة التى يضرب لونها إلى الخضرة . القرموص : الوكر والعش .

(٥) المصدر نفسه ١٨/١٦ .

(٦) ديوان طرفة بن العبد ص ٣٧ البيت رقم ٤١ .

لَها فَخِذَانِ أُكمِلَ النَّحْضُ فيهما كأنهما باب مُنِيف مُمَرَّدِ (١)

وكما ذكرنا ، فقد وقف الشعراء البكريون كما وقف معاصروهم الجاهليون على الأطلال وداثر البنيان ، ولكننا نلحظ أحيانا أثر اختلاطهم بالفرس ، واتصالهم بحضارتها ، ولكنه أثر باهت ، لا يتعدى التشبيه بطرفيه ، من مثل ما نجده عند المرقش الأكبر حين شبه البُقُر الوحشية التي ترعى في الأطلال متمهلة مطمئنة برجال من الفُرْس يمشون مختالين في قلانِسِهِمْ ؛ إذ يقول (٢) :

أَمْسَتْ خَلاءً بعد سُكانها مُقْفِرةً ما إنْ بها من إرَم (٣)
إلا مِنَ العِينِ تَرْعَى بها كالفارِسِيِّين مَشَوْا في الكُمَمْ (٤)

وأما الحارث بن حِلِّزة فيشبه آثار الديار بمَهارِق الفرس وصُحُفِها التي يكتبون عليها فيقول (٥) :

لِمَنِ الدِّيَارُ عَفَوْنَ بِالحُبْسِ آياتُها كَمَهَارِقِ الفُـرْسِ

وتتردد كلمة « المهارق » في أشعار البكريين ، فيقول الحارث أيضا (٦) :

---

(١) النحض : اللحم . منيف : عال مرتفع . ممرد : قيل مطول أو أملس ، وتروى أيضا ممدد .
(٢) المفضلية رقم ٤٩ .
(٣) من إرم : من أحد .
(٤) العين : البقر . الكم : القلانس .
(٥) المفضلية رقم ٢٥ .
(٦) معلقته .

وَاذكروا حِلْفَ ذى المَجازِ وما   قُدِّمَ فيه ، العُهودُ والكُفَلاءُ
حَذَرَ الجَوْرِ والتَّعدِّى ، وهلْ   ينقُضُ ما فى المَهارِقِ الأهْوَاء (١)

ويقول الأعشى فى قصيدة له مخاطبا كسرى ملك الفرس ، حين أراد أن يأخذ من بنى بكر رهائنَ عقاباً لهم حين أغاروا على أرض السواد (٢) :

رَبِّى كريمٌ لا يُكَدِّرُ نِعْمَةً   وإذا يُناشَدُ بِالمَهارِقِ أنْشَدَا

وإذا كانت تربية النحل تحتاج إلى بيئة مستقرة تماما ، يكون من بين أهلها من يعرفون بناء خلاياه ، وطريقة جمع العسل ، وإذا كانت بلاد نجد والحجاز بصفة عامة لم تشتهر بتربية النحل ، لأن حياة عامة القوم فيها قامت على الحل والترحال وانتجاع مواطن الكلإ . ولما كانت قبيلة بكر قد عاشت واستقرت طويلا مجاورة لفارس ، فغالب الظن أنهم قد عرفوا تربية النحل ، ولا نزعم أنهم احترفوا هذا العمل ، ولكننا نذهب إلى أنهم شاهدوا خلاياه ، وتأملوا أحوال النحل فيها . وهل يقول مثل هذه الأبيات ، أو يتجاوب معها ، إلا من تأمل حياة النحل طويلا ؟ يقول الأعشى (٣) :

كَأَنَّ طَعْمَ الزَّنْجَبِيلِ وَتُفْـ   ـاحًا على أَرْيِ الدَّبُورِ نَزَلْ (٤)

---

(١) قال الزوزنى « المهارق جمع المهرق وهو فارسى معرب يأخذون الخرقة ويطلونها بشيء ثم يصقلونها ثم يكتبون عليها شيئا » .

(٢) ديوان الأعشى الكبير ص ٢٢٩ .

(٣) المصدر نفسه ص ٢٧٧ .

(٤) الأرى : عسل النحل . الدبور : جمع دبر وهو جماعة النحل .

يَزْفِي لِقيدٍ .... وَقَلٍ (١)
ظل يلوذُ عن مَرِيرَتِهِ أَهْوَى له مِنَ الفُؤادِ وَجَلٍ (٢)
نَحْلاً كَدَرْدَاقِ الحَفِيضَةِ مَرْ هُوبًا له حول الوَقُودِ زَجَلْ (٣)
فى يافِعٍ جَوْنٍ يُلَفَّعُ بِالـ صَّخْرَى إذَا ما تَجْتَنِيهِ أَهَل (٤)
يُعَلُّ مِنْهُ فُو قُتَيلَةَ بالـ إِسْفِنْطِ قَدْ بَاتَ عليهِ وَظَل (٥)

وإذا كان الأعشى قد تناول هذا الموضوع الطريف ، فإننا نلاحظ أنه سلك فيه طريقته المعهودة ، إذ شَبَّه مذاق ريق الحبيبة بطعم الزنجبيل والتفاح وقد مُزجا بعسل النحل ، ثم استطرد فى وصف النحل وطريقة جمع عَسَلِه ، على نحو ما رأيناه عندما شبه الحبيبة بالدُّرَّة ثم استطرد إلى وصف الغواصين وهم يجاهدون فى سبيل الحصول عليها .

وإذا كان القوم قد جاوروا الفرس ، وتأثروا بهذا الجوار ، فلا عجب أن يعمد الأعشى – شاعر الخمر والمرح – إلى استعمال

---

(١) كذا بالأصل . يزفى : يطرد . وقل : قل فى الجبل صعد فيه .

(٢) المريرة : الحبل الشديد الفتل . أهوى الشيء : سقط ، وأهوت يده له امتدت وارتفعت . الوجل : الخوف .

(٣) نحلا : مفعول يلوذ فى البيت السابق . الدردق : الصغار من كل شيء . الحفيضة : خلية النحل . زجل : صوت مرتفع حاد . حول الوقود : لأن الذى يجمع العسل يدخن عند الخلية ، فإذا دخل الدخان فيها فر منها النحل ، فيتمكن من جمع العسل .

(٤) يافع : مرتفع . الجون : يطلق على الأسود وعلى الأبيض . يلفع بالصَّخْرَى : كأنه قد اشتمل بها كما يتلفع الرجل بالشَّمْلة . أهل : رفع صوته .

(٥) علّه : سقاه مرة بعد أخرى . الإسْفنط : نوع من الخمر (معرب) .

بعض الألفاظ الفارسية فى شعره ، وخاصة أنه يخاطب بها من يعرفون دلالتها ، من مثل قوله يمدح إياس بن قبيصة الطائى الذى كان واليا للفرس على العراق (١) :

لَنا جُلَّسانٌ عندها وبَنَفسَجٌ وَسِيسَنْبَرٌ والْمَرْزَجُوشُ مُنَمْنَمَا (٢)
وَآسٌ وَخِيرِيٌّ وَمَرْوٌ وسَوْسَنٌ إذا كان هِنْزَمْنٌ وَرُحْتُ مُخَشَّماَ (٣)
وَشَاهَسْفِرَمْ والياسَمِينُ وَنَرْجِسٌ يُصَبِّحُنا فى كل دَجْنٍ تَغَيُّما (٤)
وَمُسْتُقُ سِينِينٍ وَوَنٌّ وبَرْبَطٌ يُجَاوِبُهُ صَنْجٌ إذا ما تَرَنَّما (٥)

* * *

(١) المصدر نفسه ٥٥/٨ - ١١ .

(٢) الجلسان والبنفسج والسينبر والمرزجوش : أنواع من الورود والرياحين . منمنا : مزخرفا .

(٣) الآس والخيرى والمرو والسوسن : أنواع من الرياحين . الهِنْزَمْن : عيد من أعياد النصارى . مخشم : سكران شديد السكر ، وخشمه الشراب أى تثورت رائحته فى خيشومه فأسكرته .

(٤) الشاهَسْفَرم والياسمين والنرجس : أنواع من الرياحين . يوم دجن : غائم كثير المطر .

(٥) المستقة : آلة يضرب عليها . الون : ضرب من آلات الطرب الوترية . البربط : هو المِزْهَر أو العود . الصنج : دوائر من نحاس تثبت فى الأصابع ويصفق بها على نغمات موسيقية .

الفصل الرابع

شعراء بنى بكر

الشعراء البكريون فى الجاهلية كثيرون كثرة مفرطة ، وقد أمكننا الوقوف على نيِفٍ وثمانين شاعرا ، بين صاحب ديوان مشهور ، أو صاحب مجموعة أشعار رَوَى منها المفضل الضبى فى المفضليات والأصمعى فى الأصمعيات ، وبين مقل مغمور يتردد الباحث فى أن يطلق عليه اسم شاعر . ولكننا عرضنا له ، لأنه بكرى نُسِبَ إليه شعر . وقد تجلت هذه الكثرة من الشعراء فى المعلقات ، إذ يحتل شعراء بكر ما يقرب من ثُلْثِ المعلقات [1] ، وهو أمر انفرد به الشعراء البكريون دون سائر شعراء القبائل .

وإذا كان التاريخ الأدبى لقبيلة بكر يبدأ – فيما نعلم – ببداية حرب البسوس ، فقد كان يسيرا علينا – تيسيرا للبحث وتلمُّسًا لمواطن التطور الفنى – أن نقسم شعر القبيلة مرحلتين :

المرحلة الأولى : تعاصر حرب البسوس التى نرجح نُشوبها فى النصف الثانى من القرن الخامس الميلادى ، واستمرارها حتى مطلع القرن

---

(١) إن كانت المعلقات سبعا فللبكريين من شعرائها اثنان هما : طرفة بن العبد والحارث بن حلزة ، وإن كانت عشرا فلهم ثلاثة شعراء بإضافة الأعشى الكبير .

السادس ، حين حاول المُنْذِرُ بنُ ماءِ السماء (١) ملكُ الحِيرة إصلاحَ ذاتِ البين بين الحيين بكر وتَغْلِب . ولعل المرقِّشَيْن أشهرُ شعراء هذه المرحلة وأكثرهم إنتاجا مُوَثَّقا . وهى مرحلة سابقة على شعراء المعلقات .

أما المرحلة الثانية : فتشمل شعراء المعلقات البكريين ومن عاصرهم من شعراء القبيلة . وقد اعتمدنا فى إثبات المعاصرة على أخبار هؤلاء الشعراء ، وعلاقاتهم بشعراء العصر من أصحاب المعلقات (٢) ، وترددهم على ملوك الحيرة . ولذا ضممنا إلى شعراء هذه المرحلة الثانية – مثلا – شَمِرَ بنَ عمرٍو الحَنَفِيَّ الذى قتل المنذر بن ماء السماء (٣) ، والخِرْنِق بنت بدر التى عاصرت أخاها طرفة وعاشت بعده ، والمُنَخَّل اليشكرى الذى عاصر عمرو بن هند والنعمان بن المنذر من ملوك الحيرة ، وعِلْباء بن أَرْقَم الذى تردد هو الآخر على الملك النعمان . وقد آثرنا دليل المعاصرة على عمود النسب ، لما وجدناه من اضطراب فى سلاسل الأنساب ، من مثل ما نلحظه عند كل من سُوَيْد بن أبى كاهِل اليَشْكُرِيّ والحارثِ بن حِلِّزَةَ اليشكريِّ ، إذ وجدنا – وفقا لسلسلة نسب كل منهما – أن بين سُوَيْد ويَشْكُر اثنى عشر جيلا ، وبين الحارث ابن حِلِّزة ويشْكُر ثلاثةَ عشرَ جيلا ، وهذا يعنى أن سُوَيْدًا أكبرُ من الحارث ، وهذا خطأ ؛ لأن سُوَيْدًا من الشعراء المخضرمين .

---

(١) تولى حُكم الحيرة من سنة ٥١٤ م – ٥٦٣ م (العرب قبل الإسلام لجورجى زيدان) .

(٢) من مثل ما يروى عن لقاء عمرو بن قميئة وامرئ القيس ورحيلهما إلى القسطنطينية . ونحن نشك فى قصة الرحيل فى حد ذاتها ، إلا أنها دليل على المعاصرة .

(٣) الأغانى (دار الكتب) ٤٦/١١ .

أردنا فى هذا الفصل أن نقدم صورة لشعراء كل مرحلة ، فى شكل تراجم تقربنا ما أمكن إليهم ، محاولين تَعرُّفَ سماتهم الجسمية والنفسية وما صادفهم من أتراح وهموم وأحزان ، أو ما صادفهم من أفراح كان لها صدى كبير فى أشعارهم . وكان أكثر اعتمادنا فى رسم هذه الصور على الشعر الموثق ، ومن هنا اتسم حديثنا بالإيجاز فيما يتصل بالأخبار الكثيرة والمتواترة فى المصادر المختلفة ، والتى رأينا أن كثيرا منها موضوع وضعا ، فلم نَشَأْ أن نثقل بها البحث . كما أننا لم نهدف فى هذا الفصل إلى تقديم دراسة موضوعية وفنية لشعر كل شاعر ، ولو حاولنا هذا لتضاعفت الصفحات وطال بنا الحديث . وإنما رأينا أن نكتفىَ بهذه التراجم لتكون مقدمة لدراسة شعر بنى بكر كله فى الفصل التالى وخاصة عند حديثنا عن الخصائص المعنوية لشعر بنى بكر .

المرحلة الأولى :

إذا كان دور الناقد (١) هو أن يسعى إلى أن يتمثل فى ذهنه نظاما دقيقا للجنس الذى ينتمى إليه الشاعر ، والعصر الذى عاش فيه ، والظروف الاجتماعية التى خاض الأديب غمارها ... فإننا نجد أنفسنا حين نعرض لشعراء هذه المرحلة فى غابة كثيفة ، ضنينة الأضواء .

وإذا كانت حياة القدماء قد غابت عنا – خلافا لحياة كثير من الشعراء المعاصرين – فإن حياتهم مهما جَهِدَ الباحث ، تظل ناقصة ؛ لأنه لا يملك الوسائل الكافية كى يجلوَها ؛ ومن ثم ، فلابد من الاستعانة

---

(١) انظر ، شوقى ضيف : النقد الأدبى . دار المعارف بالقاهرة .

بالخيال فى تصويرهم [١] ، لنستكمل به ما محاه الزمن ، ذلك أن هذه الحياة تبدو لنا كتماثيل مهشمة ، ولا مناص من محاولة إعادة تكوينها ، وتخيل أجزائها المبتورة . وهذه أول عقبة فى سبيل الحديث عن حياة هؤلاء الشعراء .

وأما العقبة الثانية ، فهى ندرة النصوص الموثقة ندرة ظاهرة ... وما بالك بشاعر لا يَرْوِى له عالم كالأصمعى سوى ثلاثةِ أبيات ! ثم يُطلب منك أن تقيم عليها بناء كاملا لحياة هذا الشاعر ... ومثلنا هنا كمثل من يعثر على طلل بال لأحد القصور ، ثم يحاول بعد ذلك استكمال البناء وإقامته مستعينا بالخيال . ولاشك أن هذا القصر الجديد سيكون بعيدا عن الصورة الحقيقية للقصر الضائع ، إلا أن يتمثل الصانع فى ذهنه صورة واضحة لقصور هذا العصر الذى يبحث فيه . وهذا هو ما سنحاوله مع شعراء هذه المرحلة المبكرة من الشعر البكرى .

سعد بن مالك :

هو سعد بن مالك بن ضُبَيْعَةَ ، من بنى قيس بن ثعلبة ، وهو ابن عم الحارث بن عُبَاد ، وأبو المرقِّش الأكبر ، وجد الأصغر . كان فارسا من فرسان بكر – فى الحرب والكَلِم – انضم هو ورهطه بنو قيس إلى جانب إخوانهم الشيبانيين منذ بداية حرب البسوس . وتولى لواء الشعر مُحَرِّضًا ، ومُعَرِّضًا ببطون بكر وعشائرها الذين اعتزلوا الحرب وخذَلوا إخوانهم .

---

(١) المصدر نفسه .

يقول حاضًّا قومه بنى قيس (١) :

فإذا بَدَتْ نِيرانُها فأنا ابنُ قَيْسٍ لابَرَاحُ
صبرًا بنى قيسٍ لها حتى تُرِيحُوا أو تُراحُوا
هيهاتَ حالَ الموتُ دُو نَ الفَوْتِ وانْتُضِيَ السِّلاحُ

كما شرع يُعَرِّض بالبطون المتخاذلة فى هجاء لاذع ، وذلك قبل يوم تَحْلَاق اللِّمَم (٢) من مثل قوله فى بنى يَشْكُر ، وبنى حَنِيفَة (٣) :

بِئْسَ الخَلائِقُ بعدنا أَوْلَادُ يَشْكُرَ واللَّقَاحُ (٤)

ويقول فى مقطوعة أخرى معرضا ببنى لُجَيْم بن صَعْب ، وكذلك بنى يشكر (٥) :

إنَّ لُجَيمًا قد أَبَتْ كُلُّها أن يَرْفِدُونا رَجُلًا واحِدَا
وَيَشْكُرُ أَضْحَتْ عَلَى نَأْيِها لم تَسْمَع الآنَ لها حامِدا

تلك هى صورته العامة ، صورة الرجل الجاهلى المؤمن بقوانين مجتمعه ، فيستجيب لنصرة أخيه — ظالما أو مظلوما — منذ أول نداء ، ويدعو صارخا بقية إخوانه إلى نجدته ، والوقوف بجانبه ، مهما كلفه الأمر ، وينظر إلى المتخلفين والمتخاذلين نظرة استخفاف واحتقار ، راميا إياهم بسهامه الشعرية ، محاولا أن يجردهم من كل ما يرفع منزلتهم فى هذا المجتمع .

---

(١) ديوان الحماسة ٧٣/٢ .

(٢) من آخر أيام حرب البسوس وكان لبكر على تغلب .

(٣) القصيدة نفسها .

(٤) اللقاح هم بنو حنيفة .

(٥) أغانى (ساسى) ١٤٦/٤ .

وإذا استأنسنا بأشعاره المشكوك فى صحتها – والتى وضعها الرواة وفى مخيلتهم صورته التاريخية – فإنها تدور حول هذه الصورة وتحدد ملامحها . من مثل ما ينسب إليه فى « كتاب بكر وتغلب » من شعر يخاطب فيه الحارث بن عباد ، الذى اعتزل الحرب فى أول أمرها – بل فى معظم مراحلها ، إذ لم يشترك إلا فى موقعتها الأخيرة – تاركا إخوانه الشيبانيين قائلا – فيما يزعمون – عبارته المشهورة « لا ناقة لى فيها ولا جمل » فيقول له سعد بن مالك (١) :

فإنْ تَكُ ذُهْلٌ قد أتَتْ بِعظيمةٍ فَإنّى لها جارٌ ولستُ بِتَارِكِ (٢)

ويقول (٣) :

أَلاَ قُلْ لِمَنْ تَرْدَرِيهِ الحُرو بُ تَنَحَّ وخَلِّ لَهَا دَارَهَا

فَإِنّا نَخالُكَ لا تستطيـ ـعُ مِراسَ الحُرُوبِ وَأَمْرارَهَا

والحق أن شعر سعد بن مالك يعبر تعبيرا صادقا عن حالة التفكك والانهيار التى اعترت كثيرا من البطون البكرية خلال حرب البسوس ، كما استطاع سعد بن مالك بأشعاره أن يجمع شمل كثير من بطون بكر ، استعدادا للموقعة الحاسمة التى تم فيها دحر التغلبيين يوم تَحْلاق اللِّمَمِ .

المُرَقِّشُ الأكبر :

هو عمرو بن سعد بن مالك وقيل بل اسمه عَوْف ، والمرقِّش – فيما يُذْكَر – لقبٌ غَلَبَ عليه لبيت يقول فيه (٤) :

---

(١) كتاب بكر وتغلب ص ٥٩ .

(٢) ذهل : هم بنو ذهل بن شيبان رهط جساس بن مرة .

(٣) كتاب بكر وتغلب ص ٥٩ .

(٤) أغانى (دار الكتب المصرية) ١٢٧/٦ .

الدارُ قَفْرٌ والرُّسومُ كَمَا رَقَّشَ فى ظَهْرِ الأدِيمِ قَلَمْ [١]

ويذكرون أنه كان على بصر بالقراءة والكتابة ، وأنه تعلم على يد نَصرانى من أهل الحيرة [٢] ، ويبدو كما يُنَمِّقُ كتابته ، فسمى من أجل ذلك بالمرقش ، إذ الترقيش معناه التزيين والتنميق .

والمرقش الأكبر من أبطال حرب البسوس الذين أبلوا بلاء حسنا فى صفوف البكريين [٣] ، والعجيب أنه لم يصل إلينا شىء من أشعاره فى هذه الحرب [٤] ، إذ لا شك أنه نظم فى أحداثها أشعارا كثيرة ، ناعتا ومحمسا ، وهو المعروف ببأسه وشجاعته [٥] . وربما جنت عليه قصة حبه لأسماء ابنة عمه ، إذ رواها الرواة ، وتغنوا بها ، على حساب شعره الحماسى ، وإلا فما بالهم يروون أشعارا لمن لم يُعرفوا بنظم الشعر فى تاريخنا الأدبى ، من مثل : جَسَّاسِ بنِ مُرَّةَ ، وهَمَّامِ بن مُرَّةَ ، ومُرَّةَ بنِ ذُهْلٍ ، وجَحْدَرِ بنِ ضُبَيْعَةَ ؟ .

والمرقِّشُ الأكبر أقدم شاعر عربى تُرْوَى له قصيدةٌ طويلة تبلغ خمسةً وثلاثين بيتا ، رواها المُفضَّل الضبِّىّ [٦] ، فهو بحق – إذا حَكَّمْنَا

---

(١) والبيت من المفضلية ٥٤ . رقش : زين أو كتب . الأديم : الجلد .

(٢) أغانى (دار الكتب) ١٣٠/٦ .

(٣) المصدر نفسه ١٢٧/٦ .

(٤) سوى المفضلية ٥٢ وهى ثمانية أبيات إذ يروون أنها قيلت فى موقعة « جمران » ولم نعرف فى هذه الحرب موقعة بهذا الاسم .

(٥) أغانى (دار الكتب) ١٢٧/٦ .

(٦) المفضليات . المفضلية ٥٤ .

النصوصَ المُوَثَّقَة – مُقَصِّدُ القَصِيد (١) ، وليس معاصِرُهُ المهلهِلُ ، الذى لا تصل أطولُ قصائده إلى أكثرَ من سبعةٍ وعشرين بيتا عند أبى على القالى (٢) . فضلا عن أن قصائدَ المرقِّش ذاتُ مقدماتٍ غزلية وطللية ، وهذا ما يرجح القول بأنه اهتدى إلى النموذج الفنى للقصيدة الجاهلية (٣) التى استقرت بعد ذلك وعرفت لدى شعراء المعلقات .

وأكثر أخبار المرقش الأكبر تدور حول قصة حبه لأسماء بنت عمه عَوْفِ بنِ مالك التى زوجها أبوها من رجل من مراد – فى اليمن – والمرقِّش غائب . وتفيض أشعاره حزنا وأسى على حظه العاثر ، الذى فرق بينه وبين من أحب ، فعاش محروما .. غريبا عن دياره ، باحثا عن أسماء فى أرض اليمن ، إلى أن قضى نحبه ، بعيدا عن أهله وعشيرته الذين استقروا فى مشارف العراق بعد انتهاء حرب البسوس .

وقد اشتهرت قصة حب المرقش وذاعت ، حتى غدت مثلا لكل من أحب وحُرِم نعمة الوصْل . فهذا طرفةُ بن العبد يشبه حاله مع حبيبته سَلْمَى بحال المرقش مع أسماء ، فيقول (٤) :

وقد ذَهَبَتْ سَلمى بعقلكَ كُلِّهِ
فهلْ غَيْرُ صَيْدٍ أحْرَزَتْهُ حَبائِلُهْ

---

(١) انظر لكاتب هذه السطور : الشعر فى حرب البسوس (مخطوط) . مكتبة جامعة القاهرة ص ٩٢ .

(٢) الأمالى . القاهرة ١٢٩/٢ – ١٣٤ .

(٣) الشعر فى حرب البسوس ص ٩٢ .

(٤) ديوان طرفة بن العبد . تحقيق الدكتور على الجندى ص ١٢٦ وما بعدها . واعتمدت عليه فى شرح المفردات .

كما أحرزَتْ أسماءُ قلبَ مرقِّشٍ
بحُبٍّ كلَمْعِ البرقِ لاحَتْ مَخايِلُه (١)

وأنكَـحَ أسماءَ المُـرادِيَّ يبتغى
بذلك عوفٌ أن تُصابَ مَقاتِلُهْ (٢)

فلما رأى أن لا قرارَ يُقِرُّهُ
وأنَّ هَوَى أسماءَ لابدَّ قاتِلُه (٣)

تَرَحَّلَ من أرضِ العراقِ مُرَقِّشٌ
على طَرَبٍ تَهْوِي سِراعًا رَواحِلُهْ

إلى السَّرْوِ أَرْضٌ ساقَهُ نحوَها الهوى
ولم يَدْرِ أنَّ الموتَ بِالسَّرْوِ غَائِلُهْ (٤)

فَغُـودِرَ بِالفَرْدَيْـنِ أرضٍ نَطِيَّـةٍ
مَسيرَةِ شَهرٍ دَائِبٍ لا يُواكِلُهْ (٥)

فيالك مِن ذى حاجةٍ حِيل دُونَها
وماكُلُّ ما يَهْوَى امرُؤٌ هُوَ نَائِلُه

---

(١) لاحت : ظهرت . مخايله : جمع مخيلة ، وهى السحابة التى يتوقع مطرها .

(٢) المرادى : رجل من مراد . عوف : هو عوف بن مالك ، عم المرقش ، وأبو أسماء .

(٣) القرار : المكان الذى يستقر فيه الإنسان ويسكن . يقره : يسكن فيه ، ويثبت .

(٤) السرو : أرض فى بلاد حِمْيَرَ باليمن . غائله : قاتله .

(٥) غودر : ترك . الفردين : موضع ، من نجران باليمن . نطية : بعيدة . لا يواكله : لا يتمهل فيه .

لَعَمْرِى لَمَوتٌ لا عُقُوبَةَ بعدَهُ
لِذِى البَثِّ أَشْفَى مِنْ هَوًى لا يُزايِله (١)
فَوجْدِى بسَلْمَى مثلُ وجْدِ مُرَقِّشٍ
بأَسْماءَ إذ لا تَستَفِيقُ عَواذِلُه (٢)
قضَى نَحبَهُ وَجْدًا عليها مرقشٌ
وَعُلِّقْتُ من سَلْمَى خَبالًا أُماطِلُه (٣)

وكان طبيعيا بعد ما صادفه المرقش فى حبه من عذاب وحرمان ، أن يمتد ببصره الكليل الحزين إلى أفق أرْحَبَ ، إلى فكرة الحياة والموت ، وأن يستوى لديه طولُ البقاء وقِصَرُه :

ليس على طُولِ الحياةِ نَدَمْ ومِنْ وراءِ المرءِ ما يعْلَمْ (٤)
يهلكُ وَالِدٌ وَيَخْلُفُ مَوْ لودٌ ، وكُلُّ ذِى أبٍ يَيْتَمْ

وما جدوى الحياة بعيدا عمن نُحب ؟ فالحب هو الحياة ....

أينَما كُنْتِ أو حَلَلْتِ بأرْضٍ أو بِلادٍ أحْيَيْتِ منكِ البِلادا (٥)

---

(١) البث : الحزن ، وحقيقته : ما يبثه الإنسان من وجده إذا لم يستطع أن يكتمه . لا يزايله : لا يفارقه . والمعنى : أن الموت الذى لا يعقبه عذاب ، خير للعاشق من الهوى الذى لا يفارقه .

(٢) الوجد : الحب والعشق . عواذله : لائميه .

(٣) النحب : الموت ، وهو الأجل . الخبال : فساد العقل . أماطله : أطاوله .

(٤) المفضلية ٥٤/١٥ ، ١٦ أراد ليس على فوت طول الحياة ندم . وراء ههنا : بمعنى أمام . ما يعلم : عاقبة عمله ، أو الهرم والكبر والضعف وكثرة العلل .

(٥) المفضلية ١٢٩/ ٢ ، ٧ ، ٨ .

وإذَا ما سَمِعْتِ مِنْ نحوِ أرضٍ   بِمُحبٍّ قدماتَ أو قِيلَ كادَا
فاعْلَمِى غيرَ عِلْمِ شَكٍّ بأنّى   ذاكَ، وابْكِى لِمُصْفَدٍ أنْ يُفادَى (١)

ولسنا ندرى ، هل كانت قصة حب المرقش لأسماء – وما كان من أمر عمه الذى باعد بينه وبينها – هى التى باعدت بين المرقش وبين الروح القبلى ؟ أم هل صَفَّى الحُبّ قلبه فتعالى عن فكرة العصبية ، ولم يتغنَّ بها فى شعره ؟

وسواء صح هذا أم ذاك ، فالأمر الذى نلحظه ، هو غلبة الوجدان الفردى فى شعره ، فهو إذ يفخر ، يعتز بنفسه وحسامه :

بفَتًى ناحِفٍ وأمْرٍ أَحَذٍّ   وَحُسامٍ كالمِلْحِ طَوْعَ اليَمِينْ (٢)

وحقيق يصادفنا فى أشعاره فخر قَبَلى ، ولكنه قليل إذا قسناه ببقية الأغراض ، وخاصة بالنسبة لشاعر كان له دور كبير فى الحرب الطاحنة التى دارت رحاها بين قومه وبين بنى تغلب . فهل نَرُدُّ هذا القدر الضئيل إلى لحظات الصفاء أو الحنين التى كانت تغزو عاطفته فى الغربة بين الحين والحين ؟ أم نَرُدُّه إلى النمط التقليدى للقصيدة الجاهلية وما تشمله من فخر بالأحساب ؟ ربما صح القولان ...

المرقِّشُ الأصغر :

هو رَبيعةُ بن سُفيان بن سعد بن مالك (٣) ، وقيل عمرو بنُ

---

(١) أصفده : قيده . أن يفادى : يريد ألا يُفادَى ، أى لم يُقْبَل فداؤه .

(٢) المفضلية ٤٨ البيت ١١ . الناحف : النحيف . والعرب تمدح بقلة اللحم وتهجو بالسِّمَن . الأحذّ : الخفيف .

(٣) أغانى (دار الكتب) ١٣٦/٦ .

حَرْمَلَةَ بن سعد (١) ولُقِّب بالمرقش الأصغر ، تمييزا له عن عمه المرقش الأكبر ، ولم يعللوا لقبه ، كما حاولوا تعليل لقب عمه ، وربما كان سبب هذا اللقب ، بصره بالكتابة شأنه شأن عمه ، وربما تعلمها على يديه .

وهو عم طرفة بن العبد ، وابن عم عمرو بن قميئة . وكان بطلا من أبطال حرب البسوس (٢) ، وإن لم تصل إلينا أشعاره فيها (٣) .

ويبدو من أخباره (٤) أنه كان رجلا جميل الوجه ، نحيل البدن ، غير أشعر يجيد رعى الإبل ولا يفارقها ، وأنه تعلق هندا بنت عَجْلَان خادمةَ فاطمةَ بنت المنذر – أخت النعمان ملك الحيرة – ويبدو أنهما لم يكونا يبتغيان من وراء هذه العلاقة سوى المتعة واللهو الحسِّيّ ؛ إذ قدمته هند إلى سيدتها فاطمة ، التى أعجبت به ، واستحوذت عليه ، فكان يلتقى معها كل ليلة – كما يزعمون – وتكون علاقته بها كسابق علاقته بهند . إذ يدفع بصديقه – وابن عمه – عمرو بن جَناب ، ليقضىَ معها ليلة من لياليه ، منتحلا شخصه ، مستترا بالظلمة . وما تلبث فاطمة أن تعرف حقيقة عمرو بن جناب ، إذ كان أشعر ... فتطرده ، وتقطع علاقتها بالمرقش الأصغر ، الذى خجل خجلا شديدا ، وأسف عما بدر منه فى حقها . ثم يلعب الحرمان لعبته ، فيحبها حبا شديدا ، وينظم فى هواها أشعارا تفيض باللوعة والأسى . من مثل قوله (٥) :

---

(١) المصدر نفسه ١٢٧/٦ .
(٢) المصدر نفسه ١٢٧/٦ .
(٣) سوى بيتين ، هما المفضلية ٥٨ .
(٤) أغانى (دار الكتب) ١٣٦/٦ وما بعدها .
(٥) المفضلية ١٨/٥٦ .

أفاطِمُ ، لو أنَّ النساءَ ببلدةٍ وأنتِ بأُخْرَى لاتَّبَعْتُكَ هَائِمَا

ويبدو من أشعار المرقش الأصغر التى وردت فى المفضليات ، أنه كان موزع القلب والوجدان بين فاطمة وبين هند ؛ إذ يقول (١) :

أمِن بنْتِ عَجْلانَ الخيالُ المُطَرَّحُ أَلَمَّ ورَحْلي ساقِطٌ مُتَزَحْزِحُ (٢)
فلما انتَبَهْتُ بِالخَيالِ وراعنى إذا هو رَحْلى والبلادُ تَوَضَّحُ (٣)
ولكنه زَوْرٌ يُيَقِّظُ نائِمًا ويُحْدِثُ أَشْجَانًا بقَلبِكَ تَجْرَحُ (٤)

وسواء تشتت قلبه بين الاثنتين ، أو ملكت إحداهما — دون الأخرى — عاطفته ووجدانه ، فالثابت أنه تزوج من غيرهما ... ويبدو من أشعاره أنه لم يكن سعيدا مع زوجته ، إذ كانا دائما يتشاجران ، لإسرافه وكثرة إتلافه المال . ويبدو أن سمة الإسراف قد لازمته بعد حرمانه من هند وفاطمة ، ويرتبط بهذا الأمر ما نلحظه من أنه أول شاعر جاهلى يذكر الخمر فى شعره (٥) ، فربما انكب على دِنانها ، ينشد الراحة فى لذة النسيان ... وفى غمرة نشوته وسكره تَخَرَّقَ فى السخاء ، وهذا كان سببا من أسباب اختلافه وزوجته ، تلك الزوجة التى يئست من إصلاحه ، فآذنته بالفِراق غاضبة ، فاعتذر إليها متعللا بأنه يسير على سنة آبائه فى الجود والكرم . يقول (٦) :

---

(١) المفضلية ٥٥/٣ — ٥ .
(٢) المطرح : الذى يطرح نفسه من مكان بعيد ، أى يلقيها . متزحزح : متباعد .
(٣) إذا هو رحلى : يريد أنه رأى الخيال فى نومه ، فلما انتبه لم يجد إلا رحله . توضح : تظهر ، يريد أنها خالية .
(٤) الزور : الزائر .
(٥) انظر ، المفضلية ٥٥/٨ — ١٠ .
(٦) المفضلية ٥٩ .

آذَنَتْ جارَتى بوَشْكِ رَحيلِ ... باكِرًا جاهَرَتْ بِخَطْبٍ جَلِيلِ (١)
أَزْمَعَتْ بالفِراقِ لَمَّا رَأَتْني ... أُتْلِفُ المَالَ لا يَذُمُّ دَخِيلِي (٢)
ارْبِعِي ، إنَّما يَرِيبُكِ مِنِّيَ ... إرْثُ مَجْدٍ ، وَجَدُّ لُبٍّ أصِيلِ (٣)

ومن هنا ، فقد صقلت الأحزان فكره ، ودفعت به إلى الحديث عن سطوة الدهر وتقلبه ، وتبدل أحوال الناس ، وأن الموتَ غايةُ كل حى ... ففيم الحرص على الحياة أو المال ؟ يقول (٤) :

كَمْ مِن أَخِى ثَرْوَةٍ رأيْتُهُ ... حَلَّ على مالِهِ دَهْرٌ غَشُومْ
وَمِنْ عزيزِ الحِمَى ذِى مَنْعَةٍ ... أَضْحَى وقد أَثَّرَتْ فيهِ الكُلُومْ (٥)
بَيْنَا أخُو نِعْمَةٍ إذْ ذَهَبَتْ ... وحُوِّلَتْ شِقْوَةٌ إلى نَعِيمْ
وبينا ظاعِنٌ ذُو شُقَّةٍ ... إذ حَلَّ رَحْلًا وإذْ خَفَّ المُقِيمْ (٦)
ولِلفَتى غائِلٌ يَغُولُهُ ... ياابنةَ عَجْلانَ مِنْ وَقْعِ الحُتُومْ (٧)

ولسنا ندرى بعد ذلك هل شَجَر خلاف آخر بينه وبين قومه ؟ وإلا فما بال أشعاره تخلو من الفخر القبلى ، وإن لم تَخْلُ من فخره بنفسه وبفَرسه .

---

(١) آذنت : أعلمت . الوشك : السرعة .

(٢) أزمعت : عزمت . دخيلى : من يدخل إلى . يريد أنه يتلف المال لئلا يذمه الضيف ونحوه .

(٣) أربعى : أمسكى واسكنى . الإرث : الأصل . الجد : بفتح الجيم الحظ ، وبكسرها الاجتهاد فى الأمور .

(٤) المفضلية ١٨/٥٨ – ٢٢ .

(٥) الحمى : ما منع وحفظ . ذى منعة : أى منعه من يحفظه ويمنعه . الكلوم : الجراحات ، أى أثر فيه الدهر .

(٦) الشقة : السفر البعيد .

(٧) يغوله : يذهب به . الحتوم : جمع حتم ، وهو القضاء .

الحارث بن عُبَاد :

هو الحارثُ بنُ عُبَادِ بنِ ضُبَيْعَةَ بنِ قَيْسٍ ، عم سعد بن مالك . كان حَكَمُ بكر يوم قِضَة (التَّحالُق) ، وقيل بل كان رئيسها فى هذا اليوم (١) . وهو مِثَال الفارس العربى ، الذى يزِنُ الأمور ، ويَكْمِى شجاعته لوقت الحاجة يوم تضيق السُّبُل ، ولا يبقَى إلا أن يُجَرَّدَ السيف ... لا يتهور فى موقف ، ولا يعتسف أمرا من الأمور ... فارس نبيل ، لا يدخل الحرب إلا دفاعا عن كرامةٍ أو عِرْض ، فإنْ بَدَتْ له فى غير هذين الأمرين تَجَنَّبها . فقد اعتزل حرب بنى وائل – وهو منهم – محاولا أن يُصْلح ذات البين (٢) ولو على حساب نفسه ، فقد أرسل ابنه بُجَيْرًا إلى المهلهِل ليقتله إن شاء وفاء بدم كليب ؛ حتى تهدأ النفوس حين تدرك تغلب إن شاءت ثأرها من ولده ، ولكن يشاء القدر أن تُسَدَّ السبل أمام السلم ، وأنْ تُمَهَّدَ الطريقُ أمام الحرب ، إذ قَتَل المهلهلُ بُجَيْرًا شَرَّ قَتْلَةٍ قائلا – فيما يروون : « بُؤْبِشِسْعِ نَعْلِ كُلَيْبِ » . وهنا غَمَرَ الحارثُ يدَهُ فى الحرب ، قائلا (٣) :

قَرِّبا مَرْبِطَ النَّعامَةِ منى لَقِحَتْ حَرْبُ وائِلٍ عَنْ حِيَالِ (٤)

---

(١) أغانى (دار الكتب) ٤٣/٥ .

(٢) المصدر نفسه . وانظر ، كتاب بكر وتغلب ص ٨٣ وما بعدها .
وابن الأثير : الكامل فى التاريخ . القاهرة ، إدارة الطباعة المنيرية ٣٢٢/١ وما بعدها .
وابن عبد ربه : العِقْدُ الفريد . القاهرة . لجنة التأليف والترجمة والنشر ٢٢٠/٥ – ٢٢١ .

(٣) الأصمعية ١٧ .

(٤) النعامة : اسم فرسه . لقحت : حملت . عن حيال : بعد حيال ، وحالت الناقة أى لم تحمل ، وإذا بقيت الناقة أعواما لم تلقح ثم ألقحت كان أقوى لولدها . وهذا مثل ضربه لشدة الحرب .

لم أكُنْ مِنْ جُناتِها ، عَلِم اللـ ـهُ ، وإنِّى بِحَرِّها اليومَ صَالِ (١)
لا بُجَيْرٌ أغْنَى قَتِيلًا ولا رَهْـ ـطُ كُلَيْبٍ تَزاجَرُوا عَنْ ضَلالِ

وإذا تأملنا أخبار هذه الحرب ، وجدنا أن صورة الحارث بن عباد تكتمل بثلاثة ألوان : الدَّهاء ، والشجاعة ، والأخلاق الحميدة . أما دهاؤه : فهو – على ما يُرْوَى فى أخبار يوم تَحْلاق اللِّمَم من أيام حرب البسوس – أول من أشار بإشراك النساء فى الحرب خلف الرجال ، لتعم بذلك فوائد أربع :

أولاها : أن العدو سينخلع قلبه حين يرى هذه الكثرة الهائلة – التى كان يجهلها عن بكر – فيظُنُّ أن لا قِبَلَ له بها ، فَيَفْتُر حماسُ الأعداء ، وكان الحارث قد أشار كذلك بارتداء النساء ملابسَ الفرسان .

وثانيها : إثارة الحمية فى نفوس فرسان بكر حين يَرَوْن نساءهم من خلفهم ، يُضَيِّقْنَ الخِناق أمام كل هارِب . وهل يفرُّ الفارس ويتركُ النساء ؟ .

وثالثها : تضميد جراح الفرسان .

ورابعها : قتل جرحى الأعداء .

وأما شجاعته : فيكفى أن نعلم ما أجمعت عليه المصادر من أن

---

(١) صال : من قولهم « صلى بالنار » قاسى حرها .

الغلبة كانت لبكر حين دخل الحارث معها الحرب ضد تغلب ، وهو الذى استطاع أن يأسر مهلهلا الذى دوخ البكريين .

وأما أخلاقُه الحميدة : فأبرزها أنه يُضْرَبُ به المثَلُ فى الوفاء بالعهد [١] ، إذ عفا عن المهلِهل وأطلق سراحه ، وفاءً لوعد قطعه على نفسه أن يطلق سراحه إن دَلَّه على مهلهِل – وهو لا يعرف أنه هو – فلما عرف أنه المهلهل ، أبت أخلاقه الحميدة – وهو أمام رأسِ الأعداء ، وقاتِل بُجَيْرٍ ، ومثيرِ الفتنة ، إلا أن يُطْلِقَ سراحه وفاءً لكلمة قالها .

جليلة البكْرِيّة :

هى جليلةُ بنتُ مُرَّةَ بنِ ذُهْلِ بْنِ شَيْبَان ، أختُ جَسَّاسِ بْنِ مُرَّةَ قاتِلِ زوجِها كُلَيْبِ بنِ رِبيعةَ التغلبى ، والذى اشتعلت بسببه حرب البسوس بين بكر وتغلب .

وجليلة الشاعرة ، لا نجد لها أخبارا أو ذكرا إلا بعد مصرع زوجها كليب وترحيلها عن مأتمه . وإذا كان العصر الجاهلى قد ضن علينا بأخبار عدد وفير من الشعراء الرجال ، فلا عجب – إذًا – حين يضن علينا بأخبار شاعرة عاشت فى صدر الجاهلية الثانية ، إذ لا نظن أن مكانة النساء فى ذلك العصر كانت تسمح لهم بما نطمع فيه ، فقد كانت جليلةُ زوجةَ كُلَيْبٍ الذى كان سيدا لقبيلتين معا – بكرٍ وتغلبَ المتحالفتين – وما كانت هذه المكانة الاجتماعية لتسمح بتسرب ما قد

---

(١) انظر ، ابن حبيب : المحبر . بيروت . المكتب التجارى ص ٣٤٨ .

تتغنى به من أشعار فى بيتها إلى مجالس الرجال والرواة والسمار . فلما صُرِعَ زوجُها كليب على يد أخيها جَسَّاس ، كانت صدمة قاسية حطمت الشاعرة ، وحطمت سقف بيتيها جميعا – بيت الزوج ، وبيت الأهل – ويتمثل ذلك فيما يزعمه الرواة أنها قالت : « ثُكْلُ العدَدِ ، وحزنُ الأبَد ، وفَقْدُ خليل ، وقَتْلُ أخٍ عَنْ قليل ، وبين هذين غَرْسُ الأحقاد ، وتَفَتُّتُ الأكباد » (١) . ونحن لا نسلم بصحة هذا النص ، فما كان لحديث كهذا – بين امرأة وأبيها – لِيُحْفَظَ بنَصِّه ، وإنما نظنه تعبيرا عما كابدته الشاعرة من أحزان ، أو هو نثر لما عَبَّرَتْ به أصدق تعبير فى قصيدتها المشهورة التى حملها إلينا التاريخ الأدبى . والتى تقول فيها (٢) :

ياقتيلا قَوَّضَ الدهرُ بِهِ   سَقْفَ بيتَىَّ جميعًا من عَلِ
هَدَم البيتَ الذى استحدثْتُهُ   وانْثَنَى فى هَدْمِ بَيْتِى الأوَّلِ

شعراء آخرون :

كما كان من شعراء هذه المرحلة : الفِنْدُ الزِّمَّانِىُّ . واسمه سَهْل – وقيل شَهْل – ابن شيبان بن زِمَّان بن ربيعة بن مازن بن مالك . شَهِد حرب بكر وتغلب فى آخر موقعه وهى « يوم التَّحالق » . ويروى أنه كان أحد الفرسان المشهورين المعدودين فى ربيعة كلها ، ولذا كان مجالا لخيالات القصاص الذين زعموا أنه شهد هذه الموقعة وهو شيخ كبير يجاوز المائة ، كما يزعمون أنه اصطحب بنتين له « شيطانتين من شياطين

---

(١) ابن الأثير : الكامل فى التاريخ ٣١٦/١ .
(٢) أغانى (دار الكتب) ٦٣/٥ .

الإنس » ، فكشفت إحداهما عنها وتجردت ، وجعلت تصيح ببنى شيبان ومن معهم من بنى بكر ... ثم تجردت الأخرى ، وأقبلت تقول ما تحمس به فرسان قومها . ولم يفت القُصَّاص أن يُنْطِقُوا البنتين ببضعة أبيات من الشعر . وكأنما وعت ذاكرة هؤلاء القُصَّاص مثل هذا الشعر الرَّكيك ، بينما لم تع كثيرا من أشعار فحول شعراء الجاهلية ! والحق أن مثل هذه الأشعار لا ينبغى أن ينظرَ إليها الباحث من الوجهة التاريخية ، وإنما يجب أن ينظر إليها على أنها جزء من تراث قصصى نجهل مؤلفيه .

ولدينا كذلك من شعراء هذه المرحلة : مُرَّةُ بن ذُهلِ بن شيبان ، وابناه جَسَّاس وهَمَّام ... - وجَسَّاسُ هو الذى صَرَّعَ كليبا سَيِّدَ تغلِب ، فكان سببا فى اشتعال حرب البسوس - ومُرَّةُ بنُ هَمَّامِ بنِ مُرَّةَ ، وجَحْدَرُ بنُ ضُبَيْعَةَ الذى شهد يوم التَّحالق ، ويروون له حادثة طريفة ، حين رفض أن يحلق شعره كبقية فرسان قومه ، حتى تتعرف النساء جرحى بكر وجرحى الأعداء ... وكان أن جرح فى هذه الموقعة ، فأجهزت النساء عليه ، ظنا منهن أنه من فرسان تغلب . ومن شعراء هذه المرحلة كذلك عمرو بن ربيعة .

المرحلة الثانية :

من اليسير على الباحث - فى ضوء دليل المعاصرة - أن يرتب أشهر شعراء هذه المرحلة ترتيبا زمنيا . فيجعل بدايتها عمرو بن قَمِيئَة ، يليه شَمِرُ بن عمرٍو الحنفى حيث عاصرا المنذر بن ماء السماء ، ثم يأتى

بعدهما مجموعة أخرى عاصرت الملك عمرو بن هند ، من مثل : الخِرْنِق بنتِ بَدْرٍ ، وأخيها طرفةَ بنِ العبد ، والحارثِ بن حِلِّزَةَ . ثم مجموعة ثالثة عاصرت النعمان بن المنذر من مثل : الأعشى ، وعِلْبَاء بن أَرْقَم ، وسُوَيْد ابن أبى كاهل الذى عاش إلى ما بعد ظهور الإسلام . ولا يضطرب فى هذا الترتيب — بعض الشيء — سوى بِشْرِ بن عمرو بن مَرْثَد الذى كان زوجا للخِرْنِق أخْتِ طرفةَ لأمِّهِ ، والذى يُرْوَى من ناحية أخرى — أنه كان معاصرا للأعشى الذى شبب بجاريته هريرة . وإن كنا نرجح الرأى الأول وهو معاصرته لعمرو بن هند وطرفة بن العبد لسببين :

أولهما : أن زوجته الخِرْنِق قد رَثَتْهُ فى ديوانها ، ونحن نثق فى صحة رواية شعرها أكثر من ثقتنا بالأخبار المنثورة .

وثانيهما : أن مَرْثَدَ — جَدَّ بِشْرٍ هذا — عم عمرو بن قَمِيئَةَ الذى عاصر المنذر بن ماء السماء ، فالأقرب إذًا أن يكون بشر معاصرا لعمرو ابن هند الذى خلف المنذر بن ماء السماء على الحيرة . ومن هنا نظن أن هريرة محبوبة الأعشى كانت جارية لبعض ولد بشر ، فغلب اسمه عليه ، إلا أن يكون قد عمر طويلا .

وجدير بالذكر أن بنى ضبيعة بن قيس هم بيت الشعر فى بكر — فى المرحلتين — فمن شعرائها المرقِّشان ، فى المرحلة الأولى . وعمرو بن قميئة وطرفة بن العبد ، والخِرْنِق ، والأعشى ، فى المرحلة الثانية .

وصلات القرابة أمر ظاهر بين كثير من شعراء بكر ، وإن اختلفت الآراء حول قرابة القليل منهم ، من مثل ما نجده فى صلة القرابة التى تربط بين عمرو بن قَمِيئَةَ ، وطَرَفَةَ ، والخِرْنِق ، والمُتَلَمِّسِ الذى

آثرنا ألا نَضُمَّهُ إلى شعراء بكر [١] . وليس أدل على ذلك مما ذهب إليه بروكلمان [٢] من أن المتلمس خال طرفة بن العبد . وأم طرفة كما نعلم هى وَرْدَةُ ، فهى إذًا على مازعم بروكلمان أخت المُتَلَمِّسِ ، ثم يذكر بروكلمان فى موضع آخر [٣] أن عمرو بن قَمِيئَة جَدُّ طرفةَ لأُمِّهِ ، فالمتلمس إذًا ابن عمرو بن قميئة ! وهذا ما لم يقله أحد من الرواة أو الباحثين . ولو كان المتلمس وودة من بنى ضبيعة لما قال طرفة — حين حرمه أعمامه ميراثه وميراث أمه فى مال أبيه :

ما تنظرون بِحقِّ وردةَ فيكمُ   صَغُرَ البَنُونَ ورهطُ وردةَ غُيَّبُ

أمر آخر نود الإشارة إليه ، وهو تَصَوُّرُنا فى البداية أن تكون صلات القرابة بين شعراء القبيلة سببا فى وجود مدرسة فنية بكرية — أو مدارس — وأن يَرْوِى اللاحِقُ منهم شعر السابق ويتتلمذ عليه ، ولكننا لم نجد فى أخبار هؤلاء الشعراء ما يدعم هذه الفكرة ، سوى ما كان من أمر الأعشى الذى كان راوية للمسيب بن علس . ومن هنا فلم نشأ اعتساف الأمور ، إذ لم نلمح آثار هذه المدارس — أو المدرسة — ظاهرة جلية فى شعر هؤلاء الشعراء ، ويكاد يكون لكل شاعر منهم لون خاص يختلف عن الآخر .

---

(١) هو المتلمس الضبعى ، نسبة إلى ضبيعة بن ربيعة ثم من بنى دَوْفَن ، ولا نعلم بعد اسم ضبيعة البكرى اسم دوفن ، فهو ضبيعة بن قيس بن ثعلبة بن عكابة بن على بن بكر . ولا ندرى على أى أساس ذكره الأب لويس شيخو فى كتابه شعراء النصرانية مع شعراء بكر . (انظر نسب المتلمس فى الشعر والشعراء ١٧٩/١) .

(٢) تاريخ الأدب العربى ٩٣/١ وتاريخ الآداب العربية لنالينو . دار المعارف ط ٢ ص ٨٤ .

(٣) تاريخ الأدب العربى ١١٧/١ (عند حديثه عن عمرو بن قميئة) .

كما أننا لمحنا أن شعراء بكر – على كثرتهم – لم يظهر من بينهم ذلك الشاعر الذى يحمل لواء القبيلة الأم كلها ، متغنيا باسمها ، وبأمجادها ، على نحو ما كان من أمر عمرو بن كلثوم التغلبى .

طرفة بن العبد (١) :

هو عَمْرُو بْنُ العَبْدِ بْنِ سُفْيَانَ بْنِ سَعْدِ بْنِ مالِكٍ ، اشتهر بِطَرَفَةَ . وهو كغيره من شعراء الجاهلية لا نعرف بالتحديد سنة مولده ، ولا سنة وفاته أو مقتله .

أما الصورة العامة التى يمكن أن نخرج بها من بين الأخبار أو القصص الذى حيك حول الشاعر ، فيمكننا القول إن طرفة قد قتل فى عهد عمرو بن هند الذى تولى حكم الحيرة ما بين سنتى ٥٥٤ م و ٥٦٨ م . ولما كان طرفة قد قتل وهو ابن خمس وعشرين سنة ، كما جاء فى قول أخته الخرنق (٢) :

عَدَدْنَا له خَمْسًا وعشرين حِجَّةً ... فلما توفَّاها استَوَى سيدًا ضَخْمَا
فَجِعنا به لما انتظرنا إيابَهُ ... على خَيرِ حينٍ لا وَلِيدًا ولا قَحْما (٣)

---

(١) انظر ، الشعر والشعراء ١/١٨٥ وما بعدها .

ومعجم الشعراء للمرزبانى ص ٥ – ٦ .

وديوان طرفة بن العبد . مقدمة المحقق د . على الجندى . وأشعار طرفة . وخزانة الأدب ٢/٤١٩ وما بعدها .

(٢) ديوان الخرنق ص ١٩ – ٢٠ .

(٣) إيابه : رجوعه ، من البحرين . الوليد : الصغير . القحم : المسن الكبير .

إذا صح هذا كان معناه أنه لم يولد قبل سنة ٥٢٨ م ، ولا بعد سنة ٥٤٢ م ، ولابد أن يكون مولده بين هذين التاريخين [١] .

مات أبوه وهو غلام صغير ، فأبى أعمامه أن يعطوه ماله ، وظلموا أمه وردة حقها ، فكان لذلك أثر شديد فى نفسه ، إذ أحس منذ نعومة أظفاره بالظلم ، فبدأت شاعريته تتحرك على أنغام هذا الإيقاع الحزين ، محذرا قومه من تبعة الظلم ، وظل يذكرهم بأنه كان سببا فى اشتعال حرب البسوس بين بكر وتغلب . يقول [٢] :

ما تنظرون بِحَقِّ وردةَ فيكمُ   صَغُرَ البنون ورهطُ وردةَ غُيَّبُ
قد يَبْعَثُ الأَمْرَ العظيمَ صغيرُهُ   حتى تَظَلَّ له الدماءُ تَصَبَّبُ
والظلمُ فَرَّقَ بين حَيَّيْ وائلٍ   بكرٌ تساقِيها المنايا تَغْلِبُ
أدُّوا الحقوقَ تَفِرْ لكم أعراضُكُمْ   إنَّ الكريمَ إذَا يُحَرَّبُ يَغْضَبُ

ويبدو أن عشيرته قد تضافرت على ظلمه ، فأحس لهذا الظلم غضاضة ، وألما شديدا ، صوره بأنه مرير ، قوى الوطء على النفس ، لأن الإنسان يتوقع عادة العون والمساعدة من ذوى القُرْبَى لا أن يظلموه :

وظُلْمُ ذَوِي القُرْبَى أشَدُّ مَضاضَةً   على المرءِ مِنْ وَقْعِ الحُسَامِ المُهَنَّدِ [٣]

وقد صرح طرفة فى شعره بأن أحد أبناء عمومته ، كان يكرهه ، ويعامله معاملة سيئة ، ويَكيد له . وقد حاول طرفة أن يُحِلّ الود مكان

---

(١) ديوان طرفة بن العبد . تحقيق الدكتور على الجندى . القاهرة . مكتبة الأنجلو المصرية سنة ١٩٥٨ مقدمة المحقق .

(٢) المصدر نفسه ص ٢٣ وما بعدها .

(٣) ديوان طرفة بن العبد . تحقيق الدكتور على الجندى ص ٥٧ .

الجفاء ، ولكنه ما من مرة حاول أن يتقرب فيها إليه ، إلا ازداد ابن عمه مالك بُعْدًا عنه ونفورا ، إلى أن أصبح طرفة فى يأس تام منه ، وكأنَّ مالكا فى عداد الأموات :

فمالِي أراني وابنَ عمِّى مالِكًا   متى أَدْنُ منْهُ يَنْأَ عَنِّى ويَبْعَدِ (١)
يَلومُ وما أدرِي عَلَامَ يَلُومُنِى   كما لامَنِى فى الحيِّ قُرْطُ بْنُ أَعْبَدِ (٢)
وأَيْأَسَنِى مِنْ كُلِّ خيرٍ طلبْتُهُ   كأنَّا وضَعْنَاهُ على رَمْسٍ مُلْحَدِ (٣)
على غَيْرِ شيءٍ قُلْتُهُ غيرَ أننى   نَشَدْتُ فَلَمْ أُغفِلْ حَمُولَةَ مَعْبَدِ (٤)

ويبدو من شعر طرفة أنه كان فقيرا ، ومن أين له الغنى وقد جرده أعمامه من ثروة أبيه ؟ ... يقول (٥) :

فلو شاءَ ربِّى كنتُ قيسَ بنَ خالدٍ   ولو شاءَ ربِّى كنتُ عمرَو بنَ مَرْثَدِ (٦)
فأصبحتُ ذا مالٍ كثيرٍ وعادَنِى   بَنُونَ كِرامٌ سادةٌ لِمُسَوَّدِ (٧)

وقد تردد طرفة على الملك عمرو بن هند ملك الحيرة ، طلبا

---

(١) المصدر نفسه ص ٥٤ واعتمدت عليه فى شرح معانى المفردات . أدن : اقترب . ينأ عنى ويبعد : معناهما واحد ، وقيل معناه : ينأ عنى بالفعل ويبعد منى بالنفس لبغضه إياى .
(٢) قرط بن أعبد : رجل من حى طرفة .
(٣) رمس : قبر . ملحد : وضع فى اللحد ، وهو الشق فى جانب القبر .
(٤) الحمولة : الإبل التى تطيق أن يحمل عليها . معبد : أخو طرفة .
(٥) المصدر نفسه ص ٥٨ – ٥٩ .
(٦) قيس بن خالد : وهو قيس بن خالد بن عبد الله ، من بنى شيبان . وعمرو بن مرثد : ابن عم طرفة . وكان قيس وعمرو من سادات العرب .
(٧) عادنى : أتانى ، وتردد على زيارتى ، مسود : سيد ، اعترف له الناس بالسيادة .

للنوال ، ويبدو أن الشاعر كان على جانب كبير من الاعتداد بالنفس ... ومن هنا جاءه الموت وهو يطلب الحياة . ويبدو أنه لم يلجأ إلى باب عمرو بن هند إلا بعد رحلة طويلة عاشها غريبا عن أهله ودياره ، متنقلا بين الأحياء والقبائل ، حيث تلقى طعنة نفسية قاسية من إحدى النساء ، حين قالت له : أليس لك أهل تنزل معهم وتعيش بينهم ؟ . ويَحْكِي طرفةُ هذا الموقف ، داعيا عليها أن تذوق مرارة الغُرْبَةِ ، وأَلَمَ البُعْدِ عن الأهل ، ثم تُسْأَل هذا السؤال . فيقول (١) :

ولا غَرْوَ إلاّ جارتي وسُؤَالُها ألاَ هَلْ لنا أَهْلٌ ؟ سُئِلْتِ كذلكِ (٢)
تُعَيِّرُنِي جَوْبَ البلادِ ورِحلَتِي ألا رُبَّ دارٍ لى سوى حُرِّ دَارِكِ (٣)

ويضيق طرفة بحياة الغربة وذُلِّها ، وهو صاحب النفس الأبية ، ويتمنى لو عاش حياته بين أهله . وهنا كانت بؤرة الصراع فى حياة الشاعر : يعيش غريبا كالميت الهالك ، ويتمنى لو يعيش كريما بين أهله ، ولكنه لا يستطيع أن يحقق هذا التَّوازُن ؛ فأهله قد اتفقوا على ظلمه واحتقاره ، وقطع حبال الود التى يريد لها أن تقوى وتشتد :

وليس امرؤٌ أَفْنى الشبابَ مُجاوِرًا سِوَى حَيِّهِ إلا كآخَرَ هالِكِ (٤)

تلك هى الصورة العامة لحياة طرفةَ بن العبد وهى صورة باهته

(١) المصدر نفسه ص ١٠٩ – ١١٠ .
(٢) لا غرو : لا عجب . سئلت كذلك : هذا دعاء عليها ، أى صيرك الله غريبة فسألين كما سئلت .
(٣) جوب البلاد : السير فيها . حُرُّ دارك : وسطها وأكرمها .
(٤) المصدر السابق ص ١١٠ .

المعالم وسوف نعتمد على القدر الذى صح لدينا من شعره فى محاولة الاقتراب منه واستكمال ملامح صورته .

يقرر علم النفس [١] أن الإنسان بطبيعته مزود بقابلية لأن تثيره المثيرات ويحاول الإنسان لدى تعرضه لأى مثير أن يخفف أو يبطل أثر المثير ، ليزول توتره ، ويستعيد اتزانه . وحينما يكون المثير من القوة بحيث تعجز الاستجابة عن مجاراة تأثيره ، ولا تستطيع تعطيل التوتر أو صرفه ، يظل التوتر مستمرا ليعطى إحساسا بالألم .

وقد تصادم الشاعر منذ نعومة أظفاره بعدد من المثيرات ، سببت له توترا نفسيا حادا ، ساعد عليه عدم نضج الشاعر ، فوقف عاجزا عن تعطيل هذا التوتر أو صرفه ، فظل توتره قائما مستمرا ، يمزق نفسه ، ويمده بجرعات من الألم لم يستطع معها صبرا ... فَقَدْ فَقَدَ أباه مبكرا ، وهذا أمر يقف أمامه الإنسان عاجزا ، مغلفا باليأس والحسرة . ويشاء أهله أن يُعَمِّقُوا جراحاته ، فمنعوه حقَّه فى مال أبيه ، ثم وجد نفسه عاجزا عن رد الظلم أو قبوله ...

فماذا يصنع فتى فى العاشرة – مثلا – أمام عشيرة بأسرها ، وكأنهم كانوا على موعد معه ؟ .

كان طرفة إذاً على موعد مع الصراع النفسى الحاد منذ صغره ، لما لقيه من ظلم ، وسوء معاملة ، وممن ؟ من أهله وعشيرته الذين يفترض فيهم أن يكونوا عونا له ، وأن ينصروه ظالما أو مظلوما .

---

(١) انظر ، د . أحمد فائق : مدخل إلى علم النفس . القاهرة . مكتبة الأنجلو المصرية سنة ١٩٦٦ الفصل الثالث عشر « الصراع ومجال السلوك الإنسانى » ص ٣١٣ وما بعدها .

رفض طرفة هذا الظلم – لما فُطِر عليه من عِزة وإباء ، وذكاء ، الأمر الذى جعله أكثر حدة فى طباعه ، وأكثر قابلية للاستثارة – فبدأ يعانى فى أعماقه صراعا عنيفا ، عبر عنه بتلك الأبيات التى طالب فيها بحقه فى مال أبيه ، وبحق أمه وردة ، والتى حذر فيها قومه وأعمامه من تَبِعَة الظلم وما يجُرُّهُ من شَرور .

رغبات الشاعر إذًا قد أُحْبِطَتْ .. فَقَدْ ظُلِمَ ، ولم يستطعْ لهذا الظلم رَدًّا ، ولم يقف تأثير هذا الإحباط على ما يسببه من ألم فى بداية الحياة ، وإنما اسْتَتْبَعَهُ فقر غَلَّقَ أمامه أبواب الحياة الكريمة ، فهو مجرد من المال الذى تُقاس به مكانه الإنسان فى هذا المجتمع البدوى ... وكم كان يرجو أن يكون غنيا كريما :

فلو شاءَ ربى كنتُ قيسَ بنَ خالِدٍ ولو شاء ربى كنتُ عمروَ بنَ مَرْثَدِ(١)
فأصبحتُ ذا مالٍ كثيرٍ وعادَنِي بنونَ كرامٌ سادةٌ لِمُسَوَّدِ

ليس هذا فحسب ، وإنما استتبع ذلك رحيله عن دياره ، عَلَّهُ يدفع بما أثاره ظلم الأهل إلى دائرة النسيان .

ويعيش الشاعر غريبا ، محروما من الأهل ، والعصبية ، التى تعد المحرك الأساسى للحياة فى هذا المجتمع ويظل مُعَيَّرًا بغُربته . فيندفع إلى بحار اللذة ، ينسى فيها همومه ومتاعبه ، وما ناء به من أحزان وآلام . ويسرف فى شرب الخمر ، ويغرق فى دِنانِها منفقا فى سبيلها كُلَّ غالٍ ... حتى ناءت مواردُه أمام رغباته ، تلك الرغبات التى خَدَّرت إحساسه ،

---

(١) ديوان طرفة بن العبد ص ٥٨ .

فكان يعود من حين إلى حين ، ليمدَّ يده إلى أقاربه ، فيُعْطُونَه حينا ، ويلومونه أحيانا . إلى أن ضاقوا به فتجنبوه كما يتجنبون البعير الأجرب . فازداد اندفاعا ينشد لذة النسيان فى أمور ثلاثة هى الخمر والمرأة وأحاديث البطولة .

ولم يكن طرفة بن العبد – وهو غارق فى بَحْر لذته – بغافلٍ عن مأساته ، وهى صراعه مع قومه ، وعجزه عن الثأر لنفسه ، ولكنه يستطيع فى النهاية – بعبقريته الفَذَّة – أن يحول الأمر إلى صراع ضد الوجود والعدم ، وهى معركة يخسرها الناس جميعا أمام سطوة الموت . وكانت تلك مأساته فى نهاية أيامه ، يرددها إيقاعا حزينا يائسا ، وكأنه يرثى نفسه فى لَحْنٍ جنائزى حزين وقد شعر بالموت يدنو منه رويدا رويدا :

أرى الموتَ يعتامُ الكِرامَ ويصطفي ... عَقِيلةَ مالِ الفاحِشِ المُتَشَدِّدِ (١)
لَعَمْرُكَ إنَّ الموتَ ما أَخْطأَ الفَتَى ... لَكالطِّوَلِ المُرْخَى وَثِنْياهُ بِاليَدِ (٢)
متى ما يَشَأْ يوما يَقُدْهُ لِحَتْفِهِ ... وَمَنْ يَكُ فى حَبْلِ المنيةِ يَنْقَدِ
أرى العيشَ كَنزا ناقِصًا كلَّ ليلةٍ ... وما تنقُصُ الأيامُ والدهرُ يَنْفَدِ (٣)

---

(١) المصدر نفسه ص ٥٣ – ٥٤ .

يعتام : يختار . ويصطفى : يختار كذلك . عقيلة كل شىء : خياره وأنفسه . الفاحش : السىء الخلق ، والمقصود هنا البخيل . المتشدد : المبالغ فى الشح والحرص على المال .

(٢) لعمرك : اللام لام القسم ، والعمر : الحياة . الطول : الحبل الذى يطول للدابة فترعى فيه . المرخى : الذى أرخى ، ووسع للدابة فيه . ثنياه : مثنى ثنى ، والمراد به هنا طرفه الذى يثنى . وما أخطأ الفتى : ما مصدرية أى فى إخطائه الفتى وذلك حين يطول عمر الإنسان .

(٣) العيش : الحياة . الكنز : الثروة والمال . ينفد : ينتهى ويفنى .

وسكت طرفة إلى الأبد ، وهو ابنُ خمسٍ وعشرين سنة ، بعد أن سجل لنا مأساة بؤسه وهوانه ، ومحنته بأهله وزمانه ، فى لوحات حية نابضة بالصدق والحرارة والإبداع .

الأعشى :

هو مَيْمُونُ بنُ قَيْس ، من بنى ضُبَيْعَةَ البكريين ، وبين قَيْسٍ وسعد بن ضبيعة تضطرب سلسلة نسبه بين إضافة وحذف فى المصادر المختلفة .

كنيته أبو بَصِير [١] ، ولقبه الأعشى ... وبينهما صلة لا تخفى ، وهى سوء البصر ، فقد قيل إنه كنى بذلك تلطفا وتفاؤلا وإعجابا بقوة بصيرته على ضعف بصره ، وقيل إنه لقب بالأعشى لِعَيْنِ العِلَّةِ ، أو لعَماه [٢] ، وقيل بل ببيت شعر قاله كما هو الشأن مع كثير من الشعراء القدامى – ويعنون قوله [٣] :

أَأَنْ رأتْ رجلًا أَعْشَى أَضَرَّ بِهِ ... ريبُ المنونِ ودَهْرٌ مُفْنِدٌ خَبِلُ ؟

تتفق الأقوال كلها إذًا على ضعف بصره ، وقد نعت نفسه بأنه « أعشى » والأعشى فى اللغة هو الذى لا يبصر فى الليل ويبصر فى النهار ، أو هو سوء البصر . ويكاد ابن قتيبة أن ينفرد بخبر عمى الشاعر ، وهو ما لا نرجحه ولا يرجحه كثير من الباحثين [٤] ، هذا

---

(١) الشعر والشعراء ١/٢٥٧ .
(٢) المصدر نفسه .
(٣) الديوان ص ٥٥ .
(٤) انظر ، شوقى ضيف : العصر الجاهلى ص ٣٤٥ .

ولا يبعد أن يكون قد أصيب بالعمى فى آخر أيامه (١) رغم أن آخر أخبار حياة الأعشى – وهى قصة عزمه على الإسلام – تخلو من الإشارة إلى ذلك . هذا ، ولا ينفرد الأعشى بهذا اللقب ، فقد لُقِّب به كثيرون من شعراء العربية (٢) ، ولذا يسمى تمييزا له بأعشى قيس ، أو أعشى ربيعة ، أو أعشى بكر ، أو الأعشى الكبير أو الأكبر . كما يسمى كذلك بصَنَّاجَةِ العرب ، وإن اختلفت التَّعْلِيلات : أهُوَ بيتِ شِعْرٍ قالَهُ ذَكَر فيه الصَّنْج (٣) ؟ أم لِمَا يُحْدِثُه شعره من دَوِيٍّ ورنين حتى لَيُخَيَّل لسامعه أنه ينشد على جَرْسِ الصَّنْج (٤) ؟ .

نشأ الأعشى بقرية من قرى اليمامة تدعى « مَنْفُوحَة » – وبها قبره – وعاش حياته متنقلا بين أرجاء الجزيرة العربية وما والاها ، قاصدا الملوك والأمراء وشيوخ القبائل ومشاهير العرب ، مادحا متكسبا ، يبدو ذلك من كثرة ممدوحيه (٥) واختلاف مواطنهم . ولا شك أن الشاعر قد تعرض لمتاعب جمة خلال رحلاته ، بسبب العداء المستعر بين القبائل ،

---

(١) انظر ، فؤاد أفرام البستانى : الأعشى الأكبر . بيروت . دار المشرق . ط ٤ ص ٤ .

(٢) من مثل أعشى باهلة ، وأعشى تغلب ، وأعشى تميم ، وقد عد منهم الآمدى سبعة عشر شاعرا .

(٣) الشعر والشعراء ١/٢٥٨ .

(٤) مقدمة ديوانه .

(٥) من بين ممدوحيه : المناذرة ، وآل جفنة ، وقيس بن معد يكرب ، وسلامة ذو فائش ، ومسروق بن وائل من اليمن ، ويزيد وعبد المسيح الحارثيان من سادة نجران ، وعروة بن مسعود الثقفى وكان يقيم فى الطائف على سفح جبل غزوان .

ولابد أن يتعرض المداح لأذى الخصم ، فأسر الأعشى كثيرا ، وإن كان يتوسل بشعره لفك إساره . تلك هى الصورة العامة للشاعر كما نجدها فى المصادر الإخبارية المختلفة ، وهى صورة باهتة المعالم – شأن شعراء الجاهلية والشعراء القدامى عامة ، ولا يستطيع الباحث أن يحدد هذه المعالم تحديدا واضحا ، ولو استعان بشعره ، ذلك أنه من العسير علينا أن نتصور حياته الخاصة من ديوانه ، وكل ما نستطيع أن نبلغه من شعره ، أنه يحدثنا عن ابنة له ، صورها حريصة على استبقائه ، وتجنيبه أهوال السفر ، لأنها تخشى فى غيبته غوائل الزمن وجفاء الأهل وذوى القربى – وكان قد طلق أمها – وهو يعزيها قائلا إن الموت يفجؤ الناس فى بيوتهم وهم بين أهليهم آمنين ، ولابد للمسافر أن يعود إن كان فى عمره بقية ... يقول (١) :

تقول بِنْتِى وقَدْ قَرَّبْتُ مُرْتَحِلاً
يَارَبِّ جَنِّبْ أبِي الأَوْصابَ والوَجَعا (٢)
واسْتَشْفَعَتْ مِنْ سَرَاةِ الحَيِّ ذا شَرَفٍ
فَقَدْ عَصاها أَبُوها والذى شَفَعا (٣)
مَهْلاً بُنَيَّ فإنَّ المرءَ يَبْعَثُهُ
هَمٌّ ، إذا خالَطَ الحَيْزُومَ والضِّلَعا (٤)

---

(١) الديوان ١٣/٩ – ١٥ .
(٢) الوصب : نحول الجسم من تعب أو مرض .
(٣) استشفعت : طلبت أن يشفع لها ويعاونها فى طلبها .
(٤) الحيزوم : وسط الصدر . الضلع : الأضلاع ، جمع ضلع .

عليكِ مثلُ الذى صَلَّيْتِ فاغْتَمِضى
يوما فإنَّ لِجَنْبِ المرءِ مُضْطَجَعا (١)
واستخْبِرِى قافِلَ الرُّكْبانِ وانتظِرى
أَوْبَ المسافرِ إنْ رَيْثا وَإنْ سَرَعَا (٢)
كونى كمثلِ التى إذ غابَ وافِدُها
أَهْدَتْ له من بعيدٍ نَظْرَةً جَزِعَا (٣)
ولا تَكُونى كَمَنْ لا يَرْتَجِى أَوْبَةً
لِذِى اغْتِرابٍ ولا يرجو لَهُ رِجَعا (٤)

ونعلم من أشعاره أنه كان يحب امرأته ، ثم شاء أهلُها أن يطلقوها منه ، فتهدَّدُوهُ إنْ لم يطلِّقْها أن يضربوه (٥) ، أو هو الذى رغب فى تطليقها لأنه لم يرضها ، ولم يستحسن خُلُقَها ، ويُرْوَى أنه كان يدخل عليها بعد أن ذهب بصره ، فيجد عندها رجلا غريبا ، فإذا سألها عنه ، زعمت أنه بعض أهلها ، فرابه ذلك فطلقها (٦) .

---

(١) الصلاة : الدعاء .

(٢) قفل الركبان : عاد . الريث : البطء .

(٣) الوافد : الرسول .

(٤) أوبة : عودة . رجع : رجوع . وفى عروض البيت ملحوظة عروضية ، إذ إن « أوبة » على وزن « فاعلن » والبحر هو البسيط ، ومعلوم أن البسيط إذا استعمل تاما أى غير مجزوء لا تبقى عروضه صحيحة بل تتغير من « فاعلن » إلى « فعلن »

(٥) ابن حبيب : المحبر . تصحيح الدكتورة أيلزه ليختن . بيروت . المكتب التجارى . ص ٣٠٩ — ٣١٠ .

(٦) ديوان الأعشى الكبير . مقدمة القصيدة ١٤ .

وثالث ما نعرفه من حياة الأعشى أنه كان كثير التنقل والأسفار البعيدة فى أنحاء الجزيرة ، يمدح ساداتها وأشرافها (١) – كما رأينا فى حديث ابنته – وقد أغرى ذلك الرواة فأجْرَوْا على لسانه شعرا (٢) يتحدث فيه عن هذه الرحلات النائية . من مثل قوله (٣) :

وَقَدْ طُفْتُ للمالِ آفاقَهُ عُمانَ فَحِمْصَ فأورِيشَلِمْ (٤)
أَتَيْتُ النَّجاشِيَّ فى أرضِهِ وأرضَ النَّبِيطِ وأرضَ العجَم (٥)

كما يدل ديوانه فى كثير من مواضعه على أنه كان صاحب لهوٍ ولذةٍ وشَراب (٦) ، ورجل دعابة ومفاكهة (٧) . ولا بأس أن نشير فى النهاية إلى ديانته ، التى اختلف الباحثون حولها ، يجعله بعضهم نصرانيا حقا (٨) ، والبعض ينكر تعمقه فى النصرانية ؛ لأنه « يُشَبِّهُ زَمْزَمَةَ الأحباش فى المِحْراب عند صلاة السَّحَر بعزِيف الجن » (٩) . وأما من

---

(١) شوقى ضيف : العصر الجاهلى ص ٣٣٦ .

(٢) المرجع السابق .

(٣) الديوان ٤/٥٦ ، ٥٧

(٤) عمان : باليمن . حمص : بالشام . أوريشلم : فيها بيت المقدس ، وهو الاسم العبرى .

(٥) النبيط : جيل من الأعاجم كانوا يسكنون العراق ، سموا بذلك لكثرة الماء فى أرضهم . النجاشى : لقب ملك الحبشة .

(٦) طه حسين : فى الأدب الجاهلى ص ٢٣٢ وانظر حديثنا عن خمريات الأعشى فى الفصل الثالث .

(٧) د . محمد النويهى : الشعر الجاهلى ٢ : ٨٢١ وما بعدها .

(٨) بروكلمان : تاريخ الأدب العربى ١/١٤٧ .

(٩) المصدر نفسه ١/١٤٨ العزيف : العزْفُ ، ومنه عزف لحنا على العود فهو عازف .

قال بِوَثَنيته ، فمنهم شوقى ضيف [١] ، الذى يتهم كل الأبيات التى تشير إلى مسيحيته ، ويرجح أنها من وضع راوى ديوانه يحيى بن متى المسيحى . أما المستشرق جاير [٢] – ناشر ديوان الأعشى – فيرى أنه قد أفاد من بعض الثقافات الدينية من أثر تنقله فى البيئات الجاهلية . والذى نرجحه أن الأعشى لم يتعمق النصرانية أو غيرها ، وإن كان يميل إلى الديانة المسيحية بحكم مُقامه فى اليمامة ، وتردده على ممدوحه هَوْذَةَ بنِ علىٍّ الحْنَفِىّ البكرىّ ، الذى كان يعتنق المسيحية هو وعشيرته [٣] ، فضلا عن أن راويه كان مسيحيا ، وهذا يجعلنا نزعم أنه اعتنق المسيحية شكلا ، إذ لا تشيع الروح المسيحية فى شعره . وربما كان لتنقله بين بيئات مختلفة أثر فى عدم تعمقه فى ديانة بعينها ، شأن أكثر شعراء الجاهلية .

بعد هذه الجولة السريعة ، يمكن أن نفهم دوافع سلوك الأعشى – رغم قلة ما نعرفه عنه – ذلك أننا نرجح أنه لَقِىَ هموما وأحزانا كثيرة فى حياته ، منها ما كان من أمر امرأته ، ثم اضطراره إلى أن يجوب الصحراء غريبا ، مادحا فى سبيل المال ، تاركا بنته وراءه – رغم حرصه عليها ، وحرصِها عليه « يارَبِّ جَنِّبْ أبِى الأوْصَاب والوَجَعا » – ولا شك أن أوجاعه النفسية كانت أقسى وأشد من أوجاع جسده ، ولا شك كذلك

---

(١) العصر الجاهلى ص ٣٣٨ وانظر تاريخ الآداب العربية لنالينو ط ٢ حيث سلكه فى الشعراء الوثنيين ص ٨١ ، ٨٦ .

(٢) ديوان الأعشى الكبير . مقدمة جاير ص ت .

(٣) انظر ، شوقى ضيف : العصر الجاهلى ص ٣٣٤ .

أنه كان يكسب كثيرا ثم ينفق كل ذلك فى الخمر والقِمَار والنساء . ويكاد الأعشى هنا أن يلتقىَ بطرفةَ بنِ العَبْد ، حيث دفعت بهما هموم الحياة إلى بِحار اللذة والطرب . إلا أن الأعشى لم يستسلم كطرفة ولم يترك الأحزان قائمة مُلِحَّة فى عقله ووجدانه – وإنما نراه ينجح إلى حد كبير فى تعطيل توتره ، فلا علاج لتقلب الدهر وكوارثه فى نظره إلا « تصنع عدم الاكتراث والتعالى التام ... وليأت الدهر بما يأتى به ، فهو سيُصِرُّ على مرحه وسخريته وتحديه » [١] يقول [٢] :

مِنْ كُلِّ ذلكَ يومٌ قَدْ لَهَوْتُ بِهِ وَفي التجارِبِ طُولُ اللَّهْوِ والغَزَلِ !

الشاعر يلخص فى هذا البيت فلسفته التى تدفعه إلى اللهو والمتعة ، إذ يقول إن من عَرَكَ الحياة ، يدرك أن خير ما يفعله فيها هو أن يُطِيلَ من لهوه ، ومغازلته للنساء إلى أطول مدًى يستطيعه ، وأن يستمتع بكل يوم يستطيع أن ينتهزه . وبهذا يكشف الأعشى عن قناع تشاؤمه الدفين ، الذى يَخْتَفى وراء اندفاعه الحاد إلى اللذات ، تشاؤم نشأ عن إدراك رجل مُفَزَّعٍ لِقِصَرِ الحياة وتَقَلُّبِها [٣] . وقد حاول الشاعر جهده أن يتصنع المرح دفعا لهموم النفس إلى عالم النسيان ، فضلا عن أن حياته أصبحت ملكا للآخرين ، طلاب المدائح والطرب ، ومن هنا أخفى أحزانه تحقيقا لسعادتهم ، وصاغ من ألحانه ما يطرب ويُرْقِصُ . وإن لم ينجح تماما فى إخفاء مشاعره ، ورأيه فى أهله وزمانه .

---

(١) د . محمد النويهى : الشعر الجاهلى ٢ : ٨٥١ .

(٢) القصيدة ٦ البيت ٤٣ .

(٣) د . محمد النويهى : الشعر الجاهلى ٢ : ٨٥٣ .

الحارِثُ بن حِلِّزة :

هو الحارث بن حلزة ، من بنى ذبيان بن كنانة بن يشكر ، لا نجد له أخبارا تذكر سوى ما كان من أمر معلقته وماحيك حولها من أخبار ، بعضها يمكن الاطمئنان إليه ، وبعضها الآخر تبدو عليها لمسات القصاص .

كان الحارثُ أبْرَصَ (١) وقد عَمِّرَ طويلا ، وإن لم نزعم مع الزاعمين أنه أنشد قصيدته أو معلقته وهو ابن مائة وخمس وثلاثين سنة (٢) . كما كان الحارث بن حِلِّزَة شاعرا مُقِلًّا غيرَ ذِى خطر ، وإلا فما بال عمرو بن كلثوم يقول لبنى تغلب – إن صح هذا – بمن تَرَوْنَ بكرا تعصب أمرها اليوم ؟ قالوا : عسى برجُلٍ من أولاد ثَعْلَبة فجاءت بكر بالنُّعْمان بن هَرِمِ أحدِ بنى ثعلبة بن غَنْمِ بن يَشْكر (٣) .

والحق أن كثيرا من الأخبار التى تدور حول معلقة الحارث يبدو عليها الوضع ، إذ تمهد كلها للزعم بارتجاله لها أمام الملك عمرو بن هند . وهو أمر لا يقره باحث حصيف (٤) .

ويبدو أن الحارث بن حِلِّزَة كان ذا شعور قبلى ضيق ، لا يتعدى حدود بنى يشكر ، ولذا وجدناه فى معلقته ينطق بلسان عشيرته

---

(١) ابن حبيب : المحبر ص ٣٠٠ .
(٢) البغدادى : خزانة الأدب ٣٢٥/١ .
(٣) الأغانى (دار الكتب) ٤٢/١١ .
(٤) انظر ، طه حسين : فى الأدب الجاهلى ص ٢٢٤ .

اليشكريين ، لا بلسان بكر كلها على ما يزعمه الرواة . وربما كان الشاعر صادقا مع نفسه ، ومع واقع القبيلة ، التى تحولت بطونُها إلى ما يشبه القبائل المستقلة ، يتبرأ بعضها من جرائر بعض ، ولدينا على ذلك شاهدان : أولهما قوله (١) :

أَمْ علينا جَرَّى حَنِيفَةَ أَمْ مَا جَمَّعَتْ من مُحارِبٍ غَبْرَاءُ (٢)
أم علينا جَرَّى قُضَاعَةَ أم ليـ ـس علينا ممَّا جَنَوا أَنْدَاءُ (٣)

فالشاعر هنا يُسَوِّى بين حنيفة ، وهُمْ بَطْنٌ من بُطُونِ بَكْر ، وبين قُضَاعَة اليمنية ، كما يُسَوِّى بينهم وبين سائر القبائل الأخرى مثل كِنْدَةَ وإياد وتميم . ناهيك عما يذكره الأصفهانى فى تعليقه على البيت الأول ، من أن حنيفة كانت محالفة لتغلب على بكر ! (٤) « فأذْكر الحارثُ عَمْرَو بن هند بهذا البيت قَتْل شَمِرِ بْنِ عَمْرٍو الحَنَفِيِّ أَحَدِ بنى سُحَيْم المنذرَ بْنَ ماءِ السَّماءِ غِيلَة ، لما حارب الحارث بن جَبَلَة الغَسَّانى » (٥) .

وكما تحدث الحارث عن بنى حَنِيفَةَ البكريين ، تحدث عن بنى شيبان أيضا ، وكأنهم قبيلةٌ أخرى لا يتحملون جرائرها . يقول :

---

(١) انظر معلقة الحارث بن حلزة .
(٢) يقول : أم علينا جناية بنى حنيفة أم جناية ما جمعت الأرض من لصوص محارب .
(٣) أى ليس علينا فى جنايتهم شىء .
(٤) الأغانى (دار الكتب) ١١/٤٦ .
(٥) المصدر نفسه .

آيَةٌ : شارِقُ الشَّقيقةِ إذْ جا ءوا جَميعا لكلِّ حَيٍّ لِواءُ (١)
حَولَ قَيسٍ مُستلئِمِينَ بكَبشٍ قَرَظِيٍّ كأنه عَبْلاءُ (٢)
وصَتِيتٍ مِنَ العَواتِكِ لاتَنْـ ـهاهُ إلاّ مُبْيَضَّةٌ رَعْلاءُ (٣)
فَجَبَهْناهُمُ بضَربٍ كما يَخْـ ـرُجُ مِنْ خُرْبَةِ المَزادِ الماءُ (٤)

ويعلق الأصفهانى على هذه الأبيات وما يليها بقوله : « يعنى بهذه أياما كلها لبكر مع المنذر ، فمنها يوم الشَّقِيقَةِ وهم قوم من شيبان جاءوا مع قيس بن معدِيكَرب ومعه جمع عظيم من أهل اليمن ، يغيرون على إبل عمرو بن هند ، فَرَدَّتْهُم بنو يشكر ، وقتلوا فيهم ، ولم يُوصل إلى شيء من إبل عمرو بن هند » (٥) . فلو كان الحارثُ بنُ حِلِّزة مدافعا حقا عن بكر كلها ، وناطقا بلسانها أمام عمرو بن هند لما ذكر هذه الأيام ، حتى لا يُوغِرَ صدر الملك على بعض قومه ... ولكن الحارث كان مدافعا عن بنى يشكر وحسب ، ولابدّ أنَّ عَمْرَو بْنَ هِنْد كان يعلم هذا ، ويعلم أمر بطون بكر ؛ ومن ثَمَّ لم يأخذ اليشكريين بجرائر إخوانهم بنى حنيفة وبنى شيبان .

وبعد ، فإن كان هذا الموقف قد حدث فى حياة طرفة بن العبد ، وكان

---

(١) شارق : من الشروق بمعنى الطلوع ، أو بمعنى التقدم من ناحية الشرق .

(٢) قيس : أراد قيس بن معدِيكرب من ملوك حمير . الاستلئام : لبس اللأمة وهى الدرع . القرظ : شجر يدبغ به الأديم . الكبش : السيد ، مستعار له . العبلاء : هضبة بيضاء .

(٣) الصتيت : الجماعة . العواتك : الحرائر الجميلات من النساء . الرعلاء : الطويلة الممتدة .

(٤) خربة المزاد : ثقبها . المزاد : جمع مزادة وهى زِقُّ الماء خاصة .

(٥) الأغانى (دار الكتب) ١١/٤٨ .

معاصرا لعمرو بن هند ، فلماذا لم يأت ذكره ؟ ولماذا لم ينطق هو بلسان بكر وهو أشعر من ابن حِلِّزة ؟ وإن كان طرفة قد قُتل قبلها — على يد عمرو بن هند — فأين عصبية القبيلة تجاه هذا الملك ؟ وأين شعراء بكر الذين عاشوا خلال هذه الفترة من مثل شَمِرِ بْنِ عمرٍو الحَنَفى ، بل أين عمرو بن قميئة — عم طرفة — الذى عمر طويلا كما يقولون ؟! وأين المُنَخَّلُ اليَشْكُرِى الذى كان يتردد على بلاط عمرو بن هند حتى قيل إنه كان يشبب بهند أخت الملك ؟ . يبدو أن ما يروونه عن المناسبة التى قيلت فيها هذه المعلقة قد غُلِّفَ من جانب القصاص والسُّمَّار بما أخرجه عن حقيقة الأحداث ، وهو ما باعد بيننا وبين شخصية الحارث بن حلزة .

عمرو بن قَمِيئَة :

هو عمرو بن قميئة بن سعد بن مالك بن ضُبيعة بن قيس ، المرقش الأكبر عمه ، وهو — أى عمرو بن قميئة — عم طرفة بن العبد .

يروون (١) أنه كان جميلا فى صباه ، حسنَ الوجه ، مديدَ القامة ، حسنَ الشَّعْرِ ، ويضيفون أن سبابتا قدميه وَوُسْطَيَاهُما كانا ملتصقين . مات أبوه قَمِيئَةُ بن سعد ، وتركه صغيرا يواجه أعباء الحياة ، فكفله عمه مَرْثَدُ بْنُ سَعْد الذى كان به رفيقا ، وله محبا ، وبه معجبا أيما إعجاب .

ويروى القدماء (٢) قصته مع امرأة عمه مرثد التى شُغِفَتْ به

---

(١) أغانى (ساسى) ١٥٨/١٦ .

(٢) المصدر نفسه .

حُبًّا ، فراودته فى بيتها عن نفسه ، فامتنع وفاء لعمه ، فَحَنِقَتْ عليه ، ولما عاد زوجها أخبرته أن ابن أخيه قد استامها نفسها ، وأراد فراشه فى غير وجوده ، ودلته على أثره ، فعرفه وخرج حاملا سيفه يريد الانتقام منه ، فهرب الشاعر إلى الحيرة ملتمسا جوار اللخميين (١) ، حيث عاش بينهم زمنا .

وما يهمنا فى هذه الحكاية ، رحيله عن دياره ، وحياة الغربة التى عاشها مظلوما مقهورا ... قد تكون الحكاية من نسج الخيال – كلها أو بعضها – وقد لا تكون ، ولكننا نرجح أنه اغترب عن دياره وأهله وعشيرته ، أيا كانت الأسباب التى أدت إلى الوقيعة بينه وبين عمه . إذ يقول (٢) :

خَلِيلَىَّ لا تَسْتَعْجِلا أَنْ تَزَوَّدا وأَنْ تَجمَعا شَمْلى وتنتظرا غَدَا
لعمْرِكَ ما نفسٌ بِجِدٍّ رشيدة تُؤامِرني سِرًّا لأَصْرِمَ مَرْثَدَا
عَلَى غَيْرِ ذنبٍ أَنْ أَكُونَ جَنَيْتُهُ سِوَى قَوْلِ باغٍ كادَني فَتَجَهَّدَا

ولابد أن الشاعر كان يبادل عمه – منذ الصبا – حبا بحب ، ومن هنا كانت قسوة الوقيعة ، وألم الرحيل عن الأهل والوطن ، ومسحة الحزن التى يفيض بها شعره .

كما يبدو أن عَمْرًا كان فقيرا ، ولذا قبل أن يرحل مضطرا فى أخريات أيامه مع امرئ القيس إلى بلاد الروم (٣) ، ومن هنا بكى قبل

---

(١) المصدر نفسه .
(٢) ديوان عمرو بن قميئة (تشارلس ليال . كمبردج سنة ١٩١٩ م) .
(٣) ابن قتيبة : الشعر والشعراء ٣٧٦/١ .

الرحيل عن دياره ، وهو الذى ذاق مرارة الغربة ، إذ يروون أن امرأ القيس عناه بقوله (١) :

بَكَى صاحِبى لما رأى الدَّرْبَ دُونَهُ — وأيْقَنَ أنَّا لاحِقان بقَيْصَرَا
فقلتُ له : لاتَبْكِ عَيْنُكَ إنَّما — نُحاوِلُ مُلْكًا أو نَمُوتَ فَنُعْذَرا

ومن الأدلة على فقره ما ذكره فى بعض شعره ، من مثل قوله (٢) :

شكوتُ إليه أننى ذو خَلالَةٍ — وأنى كبيرٌ ذو عِيالٍ مُجَنَّبُ
فقال لنا أهلاً وسهلا ومرحبا — إذا سَرَّكُم لحمٌ من الوَحْشِ فاركبوا

ومن يعش هذه الحياة المملوءة بالظلم والقهر – من جانب قرابته – وقسوة الفقر ، وذل الغربة ؛ فإن أشعاره تطبع بمِسْحَةٍ من الحُزْنِ ، كما تنفث – كثيرا أو قليلا – روح العصبية لديه ، وهو ما نلمسه فى مثل قوله (٣) :

رَمَتْني بناتُ الدَّهْرِ من حيثُ لا أرى — فكيف لِمَنْ يُرْمَى وليس بِرَامِ ؟

الخِرْنِق :

هى الخِرنق بنتُ بَدْرِ بن هِفَّان بن مالك بنِ ضُبَيْعَةَ بنِ قيس (٤) ، أخت طرفةَ بن العبد لأُمِّهِ وردة – أُخْتُ المُتَلَمِّس الشاعر –

---

(١) أغانى (ساسى) ١٦/١٦٠ .
(٢) الديوان (كمبردج) ص ٥٤ .
(٣) المصدر نفسه ص ٢٢ .
(٤) ديوان شعر الخرنق . تحقيق الدكتور حسين نصار . القاهرة ، مطبعه دار الكتب سنة ١٩٦٩ ص ٤ .

وكانت أسَنَّ منه ، وقد رَثَتْهُ بعد مماته (١) . وقد ذكر بعضهم (٢) أنها عمة طرفة ، فقدم بذلك القرابة البعيدة على القرابة القريبة ... فالخرنق وإن كانت أخت طرفة من أمه ، فأبوها بدر ابن عم سفيان بن سعد ، جد طرفة . وقيل بل هى الخرنق بنت هفان من بنى سعد بن ضبيعه رهط الأعشى (٣) .

وقد تزوجت الخرنق قريبا لها هو بشر بن عمرو بن مرثد (٤)، وهو شاعر أيضا (٥) ، وأنجبت منه ابنا هو علقمة الذى قُتِلَ مع أبيه بِشْر ، وقد رَثَتْهُما بقولها (٦) :

أَلا أَقْسَمْتُ آسَى بَعْدَ بِشْرٍ عَلَى حَىٍّ يَمُوتُ ولا صديقِ
وبَعْدَ الخَيْرِ عَلْقَمَةَ بنِ بِشْرٍ إذا نَزَتِ النفوسُ إلى الحُلوقِ

ويبدو أن بشرا كان متزوجا قبل زواجه من الخِرْنِق ، وأنه أنجب من زوجته الأولى أبناء آخرين ، يجتمعون مع علقمة - ابنه من الخِرْنق - فى الأب ، ويفترقان فى الأم .

ولسنا نعرف بعد ذلك شيئا عن حياتها . وما كان العصر الجاهلى ليسمح لها بالكثير ، وهو الذى بخل علينا بأخبار كثير من الشعراء الرجال .

---

(١) المصدر نفسه ص ١٩ - ٢٠ .
(٢) مقدمة الديوان ص ٥ .
(٣) لسان العرب . مادة « خرنق » .
(٤) مقدمة الديوان ص ٥ .
(٥) انظر المفضلية ٧٠ ، ٧١ .
(٦) ديوان شعر الخرنق ص ٢٦ .
(٧) المصدر نفسه ص ٦ .

المُسَيَّبُ بْنُ عَلَسٍ :

هو المُسَيَّبُ بن عَلَس من جُماعَةَ وهُمْ من بنى ضُبَيْعَةَ بنِ قَيْسٍ البكريين ، وبين عَلَسٍ وجُماعة خمسةُ أجيالٍ أو ثمانية (١) ، وبين جُماعة وضُبَيْعَةَ جِيلان ؛ فجُماعةُ هو جلى بن أحمس بن ضبيعة . وكعادة القدماء عللوا تَسْمِيَتَهُ ببيتِ شعر قاله (٢) ، أو بقول قومه له حين أوْعَدَ بنى عامرِ بْنِ ذُهْلٍ : « قد سَيَّبْنَاكَ والقَوْم » (٣) وهما تعليلان فى رأينا ضعيفان ، إذ يبدو منهما أن اسم « المُسَيَّبُ » قد لصق به بعد أن شَبَّ ونبغ فى قول الشعر ، فضلا عن أننا لا نعرف له اسما غيره كما هو الحال مع المهلهِل أو المرقِّش ، وهما اللذان عاشا قبله بزمن طويل . وقد انفرد البغدادى (٤) برواية اسمه بصيغة اسم الفاعل ، والمرجَّحُ أنه بصيغة المفعول (٥) . ويكنى المُسَيَّبُ بأبى الفِضَّة (٦) ، وهو خال الأعشى الكبير (٧) ، وكان الأعشى راويته (٨) . ويرى القدماء (٩) أنه أحد الشعراء الثلاثة المُقلين : المسيب ، والمتلمس ، وحُصَيْنُ بنُ الحُمَامِ المُرِّىُّ .

---

(١) انظر ، الشعر والشعراء ١/١٧٤ .

(٢) المصدر نفسه .

(٣) المصدر نفسه . حاشية المحقق ١/١٧٥ .

(٤) خزانة الأدب ٣/٢٤٠ .

(٥) انظر ، الشعر والشعراء ١/١٧٥ حاشية المحقق .

(٦) المصدر نفسه ١/١٧٤ .

(٧) المصدر نفسه .

(٨) المصدر نفسه .

(٩) المصدر نفسه .

وليت شعرى لم اقتصروا على هؤلاء الثلاثة من الشعراء المقلين ، وما أكثرهم ! أَلِأَنَّهُمْ أَجْوَدُ المُقِلِّينَ شعرا ؟ ربما صح هذا ، وإن كانوا لم يعللوا هذا الحكم على أية حال .

وشخصيةُ المُسَيَّبِ أكثرُ غموضا من سائر أصحاب الدواوين البكريين ، إذ لا نعلم من أمره بعد ذلك إلا ما كان من خبر وفاته إثر امتداحه أحد الأعاجم ، فأغضب هذا المدح عدوا لهذا الأعجمى ، فاستدرج المسيب ليمدحه ودس له السم فمات ، ولم يعقب ولدا (١) . هذا ويبدو المسيب فى شعره فارسا شجاعا ، مرتبطا أشد الارتباط بقبيلته ، حريصا عليها ، فهو القائل (٢) :

لعمرى لئنِ جَدَّتْ عَداوةُ بيننا ... لَيَنْتَحِيَنْ مِنِّى على الوَخْمِ مِيسَمُ
فأُقسِمُ أن لوِ التقينا وأنتُمُ ... لكانَ لكُمْ يومٌ من الشرِّ مُظلِمُ

كما يبدو صاحب نفسٍ أبيّة ، ترفض الضيم ، ولو كانت ضُبَيْعَةُ مَصْدَرَه (٣) :

أبلغ ضُبَيْعَةَ أنَّ البلا ... دَ فيها لِذِى حَسَبٍ مَهْرَبُ (٤)
فقد يجلسُ القومُ فى أَصْلِهِمْ ... إذَا لم يُضامُوا وإنْ أَجْدَبُوا

شعراء آخــرون :

تزخر المرحلة الثانية من الشعر البكرى بالعديد من الشعراء — من

(١) المصدر نفسه ص ١٧٥ .
(٢) القصيدة رقم ٢١ .
(٣) القصيدة رقم ٣ .
(٤) ضبيعة : رهطه وهم ضبيعة بن قيس .

غير أصحاب الدواوين – وقد جمعتُ أشعارا لنَيِّف وثمانين شاعرا من شعراء بنى بكر ، وليسوا ولا شك سواء ، فمنهم المشهور والمغمور ، والمكثر والمقل . أو قل منهم الشعراء ، ومنهم من نُسب إليه الشعر . ولعل أشهر شعراء هذه المرحلة : سُوَيْدُ بن أبى كاهل ، والمُنَخَّلُ اليَشْكُرِى ، وراشِدُ بنُ شِهابٍ ، وعِلْباءُ بنُ أرْقَم ، وعبد المَسِيح بنُ عَسَلَةَ ، وشَمِرُ ابنُ عَمْرٍو الحنفى . أما بقية الشعراء فليسوا ذا خطرٍ أو شأن بالقياس إلى هؤلاء . وقد حاولنا التعريف بهم فى شكل تراجم موجزة فى حاشية ما ألحقناه من أشعار بهذا البحث .

سُوَيْد بن أبى كاهل :

اشتهر سُوَيْدٌ بنسبه إلى بنى ذُبْيَان بن كِنَانَة بن يشكر – رهط الحارث بن حِلِّزَة – واختلف بعد ذلك فى هذا النسب [1] : أوليد الدم ؟ أم أنه ألحق ببنى يشكر ، بل بأبِى كاهل إلحاقا خِلافا لحقيقته ؟ فقيل حينا أنه من بنى ذُبيانَ بنِ قَيْسِ بْنِ عَيْلان ، وأن أمَّهُ كانت حاملا حين مات أبوه ، فتزوجها على هذه الحال أبو كاهل ، فلما ولدت ابنها سَمَّاهُ سُوَيْدًا ، وألحقه بنسبه . وقيل إنه ولد فى بنى ذُبْيَان بن قيس ، وأن أمه تزوجت أبا كاهل ، وسويدُ غُلامٌ يَفَعَةٌ فاسْتَلْحَقَهُ أبو كاهل وادَّعاهُ ، فَلَحِقَ به .

كما يذكرون أن أمه كانت من بنى غُبَرَ بْنِ غَنْمٍ اليشكريين . فإن صح هذا وكان سويد ذُبْيانىَّ الأصل ؛ فقد ارتضى إذًا الدّخول فى أخواله ،

---

(١) أغانى (دار الكتب) ١٠٣/١٣ .

ولكنهم يذكرون بجانب ذلك شعرا له ، يعرض فيه بنساء بنى غُبَر ، ويتّهمُهُنّ بسوء الخُلق واحتراف الدّعارة (١) ، وهو أمر يدعو إلى الحَيرة ، بل يدعو إلى الشّك ، إما فى صحةِ نسب أمه ، فهى ليست من بنى غُبَر ، وإما فى صحة نسبة هذا الشعر إلى سُوَيْد ... وهذا ما نرجّحه ، فشاعر كبير مثلُ سُوَيْدٍ ، لابد أن يحرصَ أشد الحِرص على سمعة قبيلته ، وبخاصة فيما يتصل بالشرف فى مثل هذا المجتمع ، وهو الذى افتخر بقومه وعُلُوِّ منزلتهم بين الناس . من مثل قوله (٢) :

مِنْ أُناسٍ ليس من أخلاقِهِمْ　　عاجِلُ الفُحْشِ ولا سُوءُ الجَزَعْ
عُرُفٌ للحق مانْعِيا بِهِ　　عند مُرِّ الأمرِ ، ما فينا خَرَعْ
وإذَا هَبَّتْ شَمالًا أطعَمُوا　　فى قُدُورٍ مُشْبِعاتٍ لم تُجَعْ
لا يخافُ الغَدْرَ مَنْ جاوَرَهُمْ　　أبدًا منهم ولا يَخْشَى الطَّبَعْ
وُزُنُ الأحلامِ إنْ هُم وَازَنُوا　　صادِقُو البأسِ إذَا البأسُ نَصَعْ
عادةٌ كانت لَهُمْ معلومَةٌ　　فى قديم الدهرِ ليست بِالبِدَعْ

يبدو إذًا أن ما أشيع من اضطراب نسبه ، إنما كان من كيد الحاسدين له ، والحاقدين عليه من أبناء قبيلته ... هؤلاء الذين لا يأكلون خبزهم إلا بلحمه ، محاولين النيل منه ، والانتقاص من مكانته ، مستترين بضعفهم وراء ما يجيدونه من أساليب النفاق والخداع . وقد شكا سُوَيْدُ من هذا اللون من البشر . فقال (٣) :

---

(١) المصدر نفسه ١٣/١٠٧ .
(٢) المفضلية ٤٠ .
(٣) المصدر نفسه .

رُبَّ مَن أنْضَجْتُ غَيظاً قَلْبَهُ قد تَمنَّى لِىَ مَوتاً لم يُطَعْ
وَيَراني كالشَّجا فى حَلْقِهِ عَسِرًا مَخْرَجُهُ ما يُنْتَزَعْ
مُزْبِدٌ يَخْطِرُ مالَمْ يَرنى فَإذا أَسْمَعْتُهُ صَوْتِى انْقَمَعْ
لم يَضِرْنِي غيرَ أَنْ يَحْسُدَنِى فَهْوَ يَزْقُو مِثلَ ما يزقُوا الضُّوَعْ
ويُحَيِّينـــى إذا لَاقَيْتُـــهُ وَإذا يَخْلُو له لَحْمِى رَتَعْ

ويبدو أن سُويدًا قد عانى كثيرا من هؤلاء الذين كرهوه ، وحَقَدُوا عليه ، هؤلاء الذين وَرَّثُوا هذه الكراهية لأبنائهم من بعدهم :

وَرِثَ البِغْضَةَ عَنْ آبائِـهِ حافِظُ العَقْلِ لِما كانَ اسْتَمَعْ [1]

كما يبدو أن أكثر هؤلاء الحاسدين ، إنما كانوا من بنى شيبان — مُحَلِّم وأبى رَبيعة — أما سبب هذا العداء ، فهو إساءتُهم إلى سُوَيْد حين جاورهم ، إذ أخذوا ماله غَصْبًا ، فشَرَع فى هجائهم . وإن كنا نشك فى صحة هذا الخبر كما رواه الأصفهانى [2] .. فما من سبب ظاهر يدعو بنى شيبان إلى الاعتداء على جارهم ، وابن قبيلتهم ، وهو فوق ذلك كله شاعرٌ له مكانته ، ويُخْشَى بأسُ لسانه . على أية حال ، كان هناك خلاف وَلَّدَ عداء شديدا بين الشاعر وبين بنى شيبان ، فقد هجاهم كثيرا ، واستمر هجاؤه لهم إلى ما بعد ظهور الإسلام . يقول [3] :

حَشَرَ الإلهُ مع القُرودِ مُحَلِّمًا وَأبَا رَبيعَةَ أَلْأَمَ الأَقْوامِ

---

(١) المصدر نفسه .
(٢) أغانى (دار الكتب) ١٠٤/١٣ .
(٣) المصدر نفسه .

فَلَأُهْدِيَنَّ مع الرِّياحِ قصيدةً ... مِنِّى مُغَلْغَلَةً إلى هَمَّامِ
الظَّاعِنينَ على العَمَى قُدَّامَهُمْ ... والنازِلِينَ بِشَرِّ دَارِ مُقَامِ

كما عيرهم بهزيمتهم يوم عُنَيْزَةَ (١) – من أيام حرب البسوس – وبسبى بَهْراء لنسائهم ، وأشاع فى شعره أنهن رُدِدْنَ حَبَالَى (٢) . ويبدو أنه استمر فى صَبِّ حَمْلاته الشعرية والكلامية عامة على بنى شيبان مدة طويلة وصلت بين الجاهلية والإسلام ، فلما ضاقوا به شَكَوْهُ إلى عامرِ بْنِ مَسْعُودٍ والى الكوفة ، فأمره أن يَكُفَّ عن هجائهم ، وتوعَّده ... فقال سُوَيْدٌ فى ذلك (٣) :

يَكُفُّ لِساني عامرٌ وكأنما ... يَكُفُّ لِساناً فيه صَابٌ وعَلْقَمُ
أَتترِكُ أولادَ البغايا وغَيْبَتى ... وتَحْبِسُنى عَنْهُمْ ولا أتكلَّمُ

المُنَخَّلُ اليَشْكُرِىُّ :

هو المُنَخَّلُ بن مَسْعُودٍ (أو عُبَيْد ، أو عمرو ، أو الحارث) من بنى يَشْكُرَ ، يُرْوَى أنه كان ينادم النُّعمان بن المنذر مع النابغة الذُّبْيانى ويُنْشِد القصائد ، وكان النعمان يُكْرِمُه ويُقَرِّبُهُ إليه ، غير أنه كان يُؤْثِرُ شِعْرَ النابغة على شعره ، فسعى المُنَخَّلُ بالنابغة لَدَى النُّعمان وأَوْغَر صدرَه عليه ، حتى هم بقتله لولا أنه هرب ، وخلا للمُنَخَّلِ مجلس النعمان ، ولم يزل مقربا إليه حتى ارتاب به ، وقيل أن النعمان اتهمه

(١) المصدر نفسه .
(٢) المصدر نفسه ١٣/١٠٥ .
(٣) المصدر نفسه .

بامرأته « المُتَجَرِّدَة » فسجنه وأمعن فى تعذيبه ، وخفى مصيره ، فقيل إنه دفن حيا ، وقيل أُغْرِق ، وضرب به المثل ، فيقال فى الغائب الذى لا يرجى إيابه ، فلان لن يئوب حتى يئوب المُنَخَّل ! . كما يروى أن المنخل كان يحب أخت عمرو بن هند وقد شبب بها فى شعره كثيرا ، كما كان متهما بزوجة عمرو أيضا .

ويبدو أن جَمال المنخل (١) وشاعريته ، ورقة مشاعره ، وظُرْفِه إلى جانب حبه للشراب وحسن منادمته قد هيأت له تلك المكانة لدى ملوك الحيرة وأهل بيتهم ، ويبدو إلى جانب ذلك أنه كان يعشق الغناء ، ولو وصل إلينا قدر كبير من أشعاره لأمكننا تأكيد هذا القول ، وإنما نرجح ما زعمناه استنادا إلى أصمعيته المشهورة (٢) التى نظمها فى مجزوء الكامل ، مما يجعلها طيعة لأصوات المغنين . هذا إلى جانب ما يتحلى به من مرح وطرب وخمر ، مما يعكس فى النهاية صورة ما عن حياة الشاعر المملوءة بحب الحياة ومباهجها ولذاتها فى عصره .

والحق أن أصمعية المُنَخَّل نَمُوذَجٌ للشعر الفُكَاهى فى الجاهلية ، حيث تتناول كثيرا من الموضوعات تناولا طريفا قَلَّ أَنْ نَجِدَ له مثيلا فى أشعار معاصريه وسابقيه ، وهو تناول يعتمد على تمثل صورة بعينها من شأنها أن تبعث على الابتسام أو الضحك من مثل تصويره حبيبته إثْر تقبيله لها ، إذ يشبهها فى حالة علو صدرها وهبوطه ، لتتابع أنفاسها ، بالظبى الغَرِير حين يَعْتَرِيهِ النَّهَجُ بعد جَرْىٍ طويل :

---

(١) الشعر والشعراء ١/٤٤٠ .
(٢) الأصمعية ١٤ .

وَلَثَمْتُهــا فَتَنَــفَّسَتْ كَتَنَفُّسِ الظَّبْيِ البَهِيرِ

أو حين يصوِّر ما يشعر به فى حالَىْ سُكْرِه وصَحْوِه :

فإذا انْتَشَيْتُ فإننــى رَبُّ الخَوَرْنَقِ والسَّدِيرِ
وإذا صحوتُ فإننى رَبُّ الشُّوَيْهَةِ والبَعِيرِ

أو حين يختم حديثه عن حبيبته — أو منظر لقائه بها — بهذا التعبير الظريف :

وأحِبُّهــا وتُحبنــــى ويُحِبُّ ناقَتَها بَعِيرِى

وشاعر كهذا لا نعجب إذا وجدناه فى بلاط المناذرة فى عَهْدِ كُلٍّ من عمرٍو بن هند والنُّعمانِ بنِ المُنْذِر .

راشِدُ بنُ شِهَابٍ اليَشْكُرِىُّ :

هو راشِدُ بن شِهابِ بْنِ عَبَدَةَ بْنِ عُصْمٍ ، من بنى يَشْكُر . ونرجح معاصرته للبَعْثَةِ المحمدية ، إذ يخاطب فى إحدى قصائده [١] قَيْسَ ابْنَ مَسْعُودٍ الشَّيْبانى الذى كان أخوه بشر بن مسعود رئيس بنى شيبان يوم الشيطين — بين بكر وتميم — وقد علم البكريون قبل الإغارة على خصومهم فى هذا اليوم بأخبار الإسلام وأن من قتل نفسا قتل بها فى شريعة الدين الجديد ... فهو إذًا من المخضرمين .

ويبدو من أشعار راشد بن شهاب أنه كان فارسا ، إذ نراه يُكْثِرُ من الفخر بنفسه . وما وصل إلينا من شعره يصور ما كان بين قومه

---

(١) المفضلية ٨٦ .

وأبناء عمومتهم الشيبانيين من خلافات وصراعات ، فهو يتوعدهم ، ويتهكم عليهم تهكما مُرًّا ، مُتَّبِعًا أسلوبَ الذم عن طريق المدح إمعانا فى السخرية التى تبعث على الضحك استهزاءً بالخَصْم ، وهو أُسلوبٌ نادر فى الشعر الجاهلى ... يقول (١) :

مَنْ مُبْلِغٌ فِتْيانَ يَشْكُرَ أَنَّنِى ... أَرَى حِقْبَةً تُبدِى أَماكِنَ للصَّبْرِ
فأُوصِيكُمُ بالحَىِّ شَيْبانَ إِنَّهُمْ ... هُمُ أَهلُ أَبناءِ العَظائِمِ والفَخْرِ
عَلَى أَنَّ قيسًا قال قيسُ بنُ خالِدٍ ... لَيَشْكُرُ أَحْلَى إِنْ لَقِينا من التَّمْرِ

عِلْباءُ بن أَرْقَم :

هو عِلْبَاءُ بنُ أَرْقَمَ بْنِ عَوْفٍ اليَشْكُرِيُّ ، عاصر النعمان بن المنذر ونادمه ، وله معه قصة طريفة (٢) . ونكاد نشعر حين نطالع شعره بمرحه وخفة ظله شأن شعراء بنى يَشْكُر ... فقد رأينا مَرَحَ راشِدَ بنِ شِهابٍ حين يهجو أو يفخر ، ورأينا مرح المُنَخَّل اليشكرى وتعبيره الطريف حين يحدثنا عن حبيبته :

وأُحِبُّهَا وتُحِبُّنِى ... ويُحِبُّ ناقَتَها بَعِيرِى

أما عِلْبَاءُ بْنُ أَرْقَم الذى لم يتمالك نفسه أمام الكَبْشِ السَّمِينَ الذى كان النعمان بن المنذر يحبه ويحميه – فذبحه ، بعد أن سال لعابه أمام منظره ، فغضب النعمان غضبا شديدا وهَمَّ بمعاقبة عِلْبَاء الذى نظم قصيدة يعتذر فيها عما بَدَر منه ، مستهلا بالحديث عن زوجته التى

---

(١) المفضلية ٨٧ .
(٢) انظر ، الأصمعية ٥٥ .

يقاسى من تقلبها يوما بعد يوم ، فهى حينا تطالعه بوجه مشرق فتدخل السعادة إلى قلبه ، وحينا تطالعه بوجه عابِس غاضب مُقَطِّبٍ ، تريد أن تستحوز على كل ماله ، فإن لم يَنِلْهَا أسْهَرَتْهُ الليل ، لا تنام ولا ينام ، حديثُها صُراخ يتبين الجيران منه قَعْقَعَةَ الوعيد والتهديد والقَسَم ... يقول :

فيومًا تُوافِينا بِوجْهٍ مُقَسَّمٍ كَأَنْ ظبيةٍ تَعْطُو إلى ناضِرِ السَّلْمِ (٣)
ويومًا تُرِيدُ مالَنا مع مالِهَا فَإِنْ لم نُنِلْهَا لَمْ تُنِمْنا ولَمْ تَنَمْ
نَبِيتُ كأنَّا فى خُصُومٍ عَرامَةٍ وتَسْمَعُ جاراتى التَّأَلِّىَ والقَسَمْ (٤)

وكأن عِلْبَاء قد جعل هذه القصة الطريفة مقدمة يُدْخِلُ بها السرور على قلب النعمان حتى تتهيأ نفسه لحديث الاعتذار الذى ساقه هو الآخر فى جو لا يقل خفه وظرفا عن أبياته السابقة ، مُصَوِّرًا ذلك الكبش وهو يسير فى خُيَلاء وتيهٍ كأن لاحىَّ غيره فى الوادى ، وكان عِلْبَاء مع أصحابه الذين اشتد بهم الجوع والنَّهَم كأنهم حُبْلَى فى حالة وَحَم :

يُمَشِّى كأَنْ لاحَىَّ بِالجِزْعِ غَيْرُهُ
وَيَعْلُو جَراثِيمَ المَخَارِمِ والأَكَمْ (١)

---

(١) مقسم : من القسام ، وهو الجمال والحسن ، وجه مقسم : جميل كله ، كأن كل موضع منه أخذ قسما من الجمال . تعطو : تتناول . السَّلم : ضرب من شجر البادية يعظم وله شوك ، واحدته سَلمة .

(٢) خصوم : جمع خصم ، أى فى جماعة يختصمون . العرامة ، بالعين المهملة : الشراسة والآذى . التألى : الحلف والقسم .

(٣) الجزع ، بكسر الجيم : منعطف الوادى وجانبه . الجراثيم : الأماكن المرتفعة عن الأرض المجتمعة من تراب أو طين . المخارم : الطرق فى الجبال ، وأفواه الفجاج .

فواللهِ ما أدرى وَإِنِى لصادِقٌ
أَمِنْ خَمَرٍ يأتى الطَّلَالُ أَمِ اتَّخَم (١)

بَصُرْتُ به يوما وقد كادَ صُحْبَتِى
مِنَ الجُوعِ أَلَّا يَبْلُغوا الرَّجْمَ الوَحَمْ (٢)

عَبْدُ المَسِيحِ بْنُ عَسَلَةَ :

هو عبدُ المسيح بنُ حَكِيم ، من بنى مُرَّةَ بْنِ هَمَّامِ بنِ مُرَّةَ الشيبانيين ، وعَسَلَةُ أُمُّهُ نُسِبَ إليها . ويبدو من سلسلة نسبه الطويل أنه عاش قبيل الإسلام وإن لم يرد ذكره فى أخبار بنى شيبان أو بكر عامة خلال هذه الفترة التى امتلأت بالحروب سواء ضد تميم أو الفرس ، وهو أمر يدعو حقا إلى الحَيرة . ويبدو من أشعار عبد المسيح أنه كان صاحب غزل وصيد وشراب ومنادمة ، وربما اشتهر بحبه لصاحبته فاطمة التى يحدثها فى إحدى قصائده مفتخرا بنفسه وبقومه ، وإن خلا شعره القليل من التشبيب بها ... فهل كانت فاطمة محبوبة وهمية وسُلَّمًا يرتقيه الشاعر ممهدا للفخر ؟ ربما صح هذا ، وخاصة أنه لم

---

(١) الخمر ، بفتح الميم : الكثرة . الطَّلال : جمع طال ، وهو المطر الصغار القطر الدائم .

(٢) الوحم : أصله شدة شهوة الحُبلى لشىء تأكله ، ثم قيل لكل من أفرطت شهوته فى شىء .

يتحدث عنها إلا فى صدر بيت واحد هو مطلع إحدى مفضلياته حيث يقول (١) :

ألا ياآسْلَمِى على الحوادثِ فاطِمَا
فإنْ تَسْألينى تَسْألِي بِىَ عَالِمَا

ثم ينتقل بعد ذلك إلى الفخر بقومه وبجرأته حين يخرج للصيد آخر الليل على فرسه مطاردا للوحوش فى الأماكن النائية الخالية ، لا يمنع الوحش منه حذره ، فهو قيد له ، أو هو مربوط معه . وأجاد عبد المسيح إلى جانب ذلك نعت الخمر ، وله فيها تعبير فريد « والخمرُ لَيْسَتْ مِنْ أخِيكَ » يصور فيه أثرها من النفس ، وتزيينها لكل قبيح ، وأسرها لكل مَن يقع فى حِبالها ، حيث تلفه فى ضبابها وأوهامها شيئا فشيئا ... الكل أمامها سواء ، إذ لا تُحابِى أحدا ، يقول (٢) :

والخَمْرُ لَيْسَتْ من أخيكَ ولـ ـكِنْ قد تَخُونُ بآمِنِ الحِلْمِ
وَتُبَيِّنُ الرَّأْىَ السَّفِيهَ إذَا جَعَلَتْ رِياحُ شَمُولِهَا تَنْمِى

وهو كسائر شعراء الجاهلية – عدا الأعشى – يذكر الخمر فى معرض حديثه عن فُتُوَّتِهِ وبطولته وفخره وحماسته ، ولذا يقول بعد البيتين السابقين :

وأنا امرؤٌ من آلِ مُرَّةَ إنْ أَكِلْمْكُمْ لا تُرْقِئوا كَلْمِى

شَمِرُ بن عَمْرٍو الحَنَفِيُّ :

أحد شعراء بنى حنيفة باليمامة ، وفى الأغانى (٣) أن شَمِرًا هذا

---

(١) المفضلية ٨٣ .
(٢) المفضلية ٧٢ .
(٣) أغانى (دار الكتب) ٤٦/١١ .

قَتل المنذرَ بْنَ ماءِ السماء غِيلَةً – فهو إذًا شاعرٌ متقدم – وكان الحارثُ ابنُ جَبَلَةَ الغَسَّانى قد بعث إلى المنذر بمائةِ غلامٍ تحت لواء شَمِر يسأله الأمان على أن يخرج له عن ملكه ويكون من قبله ، فركن المنذر إلى ذلك وأقام الغلمان معه ، فاغتاله شَمِرٌ ، وتفرق من كان مع المنذر وانتهبوا عسكره . وهذا الخبر يخالف ما ذكره جورجى زيدان عند حديثه عن ملوك غَسّان فى تاريخ اليونان من أن المنذر بن ماء السماء قُتِلَ على يدِ الحارثِ بْنِ جَبَلة ورجاله فى عَيْنِ أُبَاغ (١) ، هذا ولا يبعد أن يكون شَمِر هو الذى قتل المنذر فى عين أباغ ، وأن تكون حكاية المائة غلام أثر من آثار طغيان القالب القصصى على أحداث التاريخ القديم ، وما قد يحدث حينئذ من خروج على بعض الجزئيات التى تتصل بالحقائق التاريخية .

هذا ويبدو من أشعار شَمِرٍ أنه كان رجلا على حظ ميسور من الثقافة أو البصر بالعقائد الشائعة فى عصره وخاصة الديانات السماوية ، مما نتبينه فى مطلع قصيدته التى أولها (٢) :

لو كنتُ فى رَيْمانَ لَسْتُ ببارِحٍ   أَبدًا وَسُدَّ خَصَاصُهُ بالطِّينِ (٣)

إلا أن يكون هذا المعنى مما شاع بين الناس ، وأن الشعراء قد استعملوه كثيرا ، من مثل قول الشاعر الصعلوك عروة بن الورد :

لو كنتُ فى رَيْمَانَ تَحْرُسُ بابَهُ   أَرَاجِيلُ أَحْبُوشٌ وأَغْضَفُ آلِفُ
إِذًا لأَتَتْنِى حَيْثُ كنتُ مَنِيَّتِى   يَخُبُّ بها هادٍ بأَمْرِىَ قائِفُ

---

(١) العرب قبل الاسلام . لبنان . ص ١٩٥ .

(٢) الأصمعية ٣٨ .

(٣) ريمان ، بفتح الراء وسكون الياء : قصر باليمن . خصاصه : فروجه وخلله .

كما يبدو أن شَمِرًا هو الآخر قد عانى من كيد بعض معاصريه ، هؤلاء الذين لا يتورعون عن سبه كلما مر عليهم :

وَلَقَدْ مَرَرْتُ عَلَى اللَّئِيمِ يَسُبُّنِي   فَمَضَيْتُ ثُمَّتَ قُلْتُ لا يَعْنِينِي (١)

وكان شَمِر إلى جانب ذلك فارسًا من المعدودين ، وإلا لَماَ أَقْدَمَ على قَتْلِ المنذر بن ماء السماء ، ولَمَّا اعتمد عليه الحارثُ بنُ جَبَلَةَ فى هذا العمل الجرىء ، ولابد أنّ تاريخَه فى المعارك قد هَيَّأَ له تلك المكانة ، يقول (٢) :

وَيَوْمُ حَقِيقٍ قَدْ غَدَوْتُ بِفِتْيَةٍ   كَمِثْلِ الأُسُودِ جَازِرًا بِسِنَانِيَهْ

بِشْرُ بنُ عَمْرِو بن مَرْثَد :

هو بِشْرُ بنُ عَمْرِو بنِ مَرْثَدِ بْنِ مالِكِ بنِ ضُبَيْعَةَ ، وليس من بنى سعد بن مالك كما ذهب شارح ديوان طرفة (٣) ، ويرجِّحُ هذا القول ما ذكره شارح ديوان الخِرْنِقِ عند حديثه عن القطعة الثانية من ديوانها حيث قال (٤) : « وكان من حديث يوم قُلابٍ أنّ بِشْرَ بْنَ عَمْرٍو غزا ومعه عَمْرُو بنُ عبدِ الله الأَشَلُّ ، أَحَدُ بنى سعد بن ضُبَيْعَةَ بْنِ قَيْسٍ بنِ ثَعْلَبةَ مُتَسانِدَين » . كما أخطأ البُحْتُرِيُّ (٥) حين نسبه إلى بنى شيبان .

---

(١) الأصمعية ٣٨ .

(٢) معجم الشعراء للمرزبانى ص ٤٠ .

(٣) انظر ، ديوان طرفة . تحقيق د . على الجندى ص ١٢ .

(٤) ديوان الخرنق . تحقيق د . حسين نصار ص ٢٠ .

(٥) حماسة البحترى . بيروت ص ١٨١ .

ويبدو أن بِشْرًا عَمَّرَ طويلا ، وأنه عاصر عَمْرَو بن هند والنعمان ابن المُنْذِر من ملوك الحيرة ، كما عاصر من شعراء قبيلته : طرفةَ بن العبد ، والخِرْنِق - وكانت زوجته - والحارثَ بن حِلِّزَة ، والأعشى ، والمُنَخَّلَ اليشكرى ، وعِلْبَاءَ بنَ أرْقَم ، وسُوَيْد بن أبى كاهِل . ويتضح ذلك من عدة أمور مجتمعة :

(١) كان بِشْرٌ عَمَّ طرفةَ بنِ العَبْد ، فمالك بن ضُبَيْعة هو الأب الثالثُ لِبِشْرٍ ، والرابعُ لطرفَةَ .

(٢) هجا فى إحدى مُقَطَّعَاتِهِ [١] الشاعرَ التغلبى عَمْرَو بن كُلْثُومٍ الذى عاصر بدوره الحارث بن حِلِّزَة ، وقصة معلقتيهما مشهورة .

(٣) كان معاصرا للأعشى الذى شبب بهريرة قَيْنَتِه .

(٤) حديثه عن الشَّيْبِ فى مثل قوله [٢] :

أمَا وِيَّ لَيْتَ الشيبَ فى الرأسِ لا يُرَى
وليت الشبابَ رُدَّ طَوْرَيْنِ لِلْفَتَى

هذا وتدور أكثر أشعاره حول الفخر والحماسة ، والدعوة إلى السَّعْيِ فى طلب الرزق بالبحث عن الأماكن المُعْشِبة وعدم الاستسلام لقسوة الطبيعة وسطوةِ الجَدْب .

* * *

---

(١) المفضلية ٧٠ .
(٢) حماسة البحترى - بيروت ص ١٨١ .

الفصل الخامس

الخصائص الفنية لشعر بنى بكر

(١)

شعر بنى بكر بين مرحلتين

قلنا إن المرحلة الأولى من الشعر البكرى هى تلك المرحلة التى عاصرت حرب البسوس ونبغ خلالها شعراء من مثل : جَليلة بنت مُرَّة البكرية ، والفِنْدُ الزِّمَّانِىُّ ، والمُرَقِّشَيْن ، وسائر شعراء بكر الذين ارتبط ذكرهم بهذه الحرب . أما المرحلة الثانية فهى مرحلة تالية ، تشمل أصحاب الدواوين ومعاصريهم .

وكان فى تصورى فى بادئ الأمر – كفَرْضٍ أُخْضِعُه للاختبار – أن الشعر البكرى أصابه قدر من التطور فى مرحلته الثانية التى زخرت بالدواوين والشعر والشعراء ، وأن هذا التطور قد لحق كل وجوه الموازنة بين المرحلتين . ولكننى وجدت خطأ هذا الفرض من بعض الوجوه وصحته فى بعضها الآخر .

ترددت فى البداية : على أى نَموذج أعرض شعر المرحلتين ؟ على النموذج الفنى للقصيدة الجاهلية حيث تتعدد موضوعاتها وتتفرع وتتفكك ؟ أم على ضوءٍ من النقد الأدبى الحديث ونظرته إلى الوحدة الموضوعية والفنية والنفسية للعمل الفنى ؟ ورأيت فى النهاية أن أسلك السبيلين معا ، فلكل منهما وَجاهته .

إذا حَكَّمْنَا ما وثقناه من نصوص المرحلة الأولى من شعر بنى بكر ، فإننا نقول إن القصيدة الجاهلية قد عرفت – منذ أقدم نصوصها – ما نسميه اليوم بالوحدة الموضوعية ووحدة الجو النفسى ، وهو ما تخلصت منه القصيدة الجاهلية بعامة بما فى ذلك القصيدة البكرية فى الفترة المعاصرة لأصحاب المعلقات (١) حين استقرت على شكلها الفنى المشهور ، حيث تتعدد الأغراض داخل القصيدة الواحدة . وهنا يمكننا القول بأن القصيدة الجاهلية أصابها قدر من الانحدار لا التطور ، ذلك الانحدار الذى نلمح بوادره عند المُرَقِّش الأكبر ؛ إذ يجتمع لديه اللونان معا ... أما قبل المرقش فلا نجد إلا لونا واحدًا هو القصيدة التى تتحدث عن غرض واحد ، فى بناء مُحْكَم مترابط تشيع فيه وحدة الجو النفسى إلى جانب وحدة الموضوع . ونرى ذلك عند جليلة البكرية فى قصيدتها المشهورة التى تخاطب بها أخت زوجها كليب بعد أن حاولت إخراجها من مأتمه ؛ لأنها أخت قاتله . تقول جليلة :

يابنةَ الأقوامِ إنْ شئْتِ فَلا ... تَعْجَلى باللوم حتى تَسْألى
فإذَا أنتِ تَبَيَّنْتِ الذى ... يُوجِبُ اللومَ فَلُومِى وَٱعذُلى
إنْ تكُنْ أختُ امرِئٍ لِيمَتْ علَى ... جَزَعٍ منها عليهِ فافْعَلى
جَلَّ عندى فِعْلُ جَسَّاسٍ فَيَا ... غُمَّةٌ للدهْرِ ليستْ تَنْجَلى
فِعلُ جَسَّاسٍ على وَجْدِى بهِ ... قاطِعٌ ظَهْرى ومُدْنٍ أجَلى
لو بعينٍ فُدِيَتْ عينى سوى ... أختها وانفقأتْ لم أَحْفَلِ

---

(١) ولسنا من أنصار ما يذهب إليه غلاة الدارسين من وجود هذه الوحدة ؛ من مثل ما يذهب إليه يوسف اليوسف فى دراسة له بعنوان « المحتويات التحتانية للمعلقات » ، أو أصحاب مذهب التفسير الخُراف – الأسطورى – للشعر القديم .

تحملُ العينُ قَذَى العينِ كما تحملُ الأمُّ أذَى ماتَفتَلِى
ياقتيلاً قَوَّضَ الدَّهْرُ بِهِ سَقْفَ بَيْتَيَّ جميعا من عَلِ
هَدَمَ البيتَ الذى استحدثتُهُ وَانثنى فى هدمِ بيتى الأوَلِ
وَرَمانى فقدُه من كَثَب رَمية المُصْمى به المُستأصِلِ
يانسائى دُونكُنَّ اليومَ قَدْ خَصَّنى الدهرُ بِرُزْءٍ مُعْضِلِ
مَسَّنى فَقْدُ كليبٍ بِلَظَى مِنْ وَرائى ولَظَى مُسْتَقْبَلِ
ليس من يبكى لِيومَيْهِ كَمَنْ إنما يَبْكى ليومٍ يَنْجَلى
دَرَكُ الثائرِ شَافِيهِ وفى دَرَكى ثأْرِىَ ثُكْلُ المُثْكِلِ
ليته كان دمى فاحْتَلبُوا دَرَكًا منه دما من أَكْحُلِى
إننــى قاتلــةٌ مقتولــةٌ ولعلَّ اللهَ أنْ يرتاحَ لى

فالوحدة الموضوعية ظاهرة كل الظهور فى هذه القصيدة من أولها إلى آخرها ، وكذلك وحدة الجو النفسى ، والوحدة الفنية – ونعنى بها ترابط الأبيات – ولا نكاد نشهد فيها من آثار التفكك ، فى وحدتها الفنية إلا القليل حيث يمكن تأخير بعض الأبيات قليلا أو تقديمها ، وربما عاد هذا إلى قدم الشاعرة ، واختلاف رواية القصيدة ، وطبيعة الشعر الغنائى .

ولو أن الأمر قد اقتصر على هذه القصيدة لقلنا إنها شذوذ لا يجب تعميمه ، ولكنها سمة من سمات الشعر البكرى فى مرحلته الأولى ، فهذا الفِنْدُ الزِّمَّانِىّ يحدثنا عن موقف قومه من بنى ذُهْل بن شيبان حين نشبت حرب البسوس ، إذ آثر بنو زِمّان كَفَّ أيديهم عن الحرب وعن مساعدة بنى ذُهْل أملًا فى أن يكون خلافا أو قتالا طارئا ، تعود بعده الأحوال بين بكر وتغلب إلى سيرتها الأولى حيث الحب والصِّهْر والحِلْف . ولكن الأمر

كان جللا ، فالعداء يزداد يوما بعد يوم ، وموقعة إثر موقعة ، والمهلهل ظمآن لا يرتوى ، بل يزيده سفك الدماء ظمأً وشراسة . فما كان من بنى زِمَّان إلا أن دخلوا الحرب إلى جانب إخوانهم بنى ذهل بن شيبان ، وأرسلوا رجالا منهم يقودهم الفِنْدُ الزمانى لمعاونة إخوانهم . يقول الفِند (١) :

كَفَفْنَا عَنْ بنى ذُهْلٍ وقُلنا : القومُ إخْوانُ
عسى الأيامُ أن يُرجِعْـ ـنَ قوما كالذى كانوا
وبعضُ الحِلمِ عند الجَهْـ ـلِ للذِّلَّـةِ إذعـانُ
وفى الشرِّ نجاةٌ حيـ ـنَ لا يُنْجِيك إحسانُ
فلمـا صرَّحَ الشَّرُّ فأمْسَى وَهْوَ عُرْيَانُ
ولَمْ يبقَ سوى العدوا نِ دِنَّاهُم كما دانوا
شَددنا شَدَّةَ الليثِ غدا والليثُ غَضْبانُ
بضربٍ فيه تَوجِيعٌ وتوهيـنٌ وإرْنَـانُ
وطعنٍ كَفَـمِ الـزِّقِّ وَهَـى والـزِّقُّ مَلآنُ

وهذا النحو من الوحدة الموضوعية ووحدة الجو النفسى نلحظه عند المرقش الأكبر الذى يأتى فى نهاية هذه المرحلة حيث يقول (٢) :

قُلْ لأسماءَ أَنْجِزِى الميعَادَا وانظُرِى أنْ تُزوِّدِى منكِ زادا
أينما كُنْتِ أو حَلَلْتِ بأرضٍ أو بلادٍ أحْيَيْتِ منك البلادَا
إنْ تكونى تَرَكْتِ رَبْعَكِ بالشأْ مِ وجاوَزتِ حِمْيرًا ومُرادَا

---

(١) كتاب بكر وتغلب ص ٩٣ .
(٢) المفضلية ١٢٩ .

فارْتَجِى أنْ أكونَ منكِ قَرِيبًا ... فاسْألى الصَّادِرِينَ والوُرَّادَا
وإذا مارأيْتِ رَكْبًا مُخِبِّيـ ... ـنَ يقُودُونَ مُقْرَبَاتٍ جِيادا
فَهُمُ صُحْبَتِى على أرْحُلِ الْمَيْـ ... ـسِ يُزَجُّونَ أيْنُقًا أفْرادا
وإذَا ما سَمِعْتِ مِنْ نَحْوِ أرضٍ ... بمُحِبٍّ قد مات أو قِيلَ كادا
فاعْلَمِى غَيْرَ عِلْمِ شَكٍّ بأنى ... ذاكِ ، وابْكِى لِمُصْفَدٍ أنْ يُفادَى

وللمرقش قصائد أخر [(١)] تتحقق فيها الوحدة الموضوعية ، وله أيضا أشعار تدخل فى إطار الشكل الفنى العام للقصيدة الجاهلية فى عصر أصحاب المعلقات ، ومن هنا قلنا فى البداية إن وحدة القصيدة قد أصابها قدر من الانحدار فى نهاية المرحلة الأولى من شعر بنى بكر ، والدليل على ذلك — فوق ما ذكرناه — أن المرقِّشَ الأصغر [(٢)] أقلُّ التزاما بهذه الوحدة فى أشعاره من عَمِّه المرقش الأكبر .

وطبيعى بعد ذلك أن تختلف القصيدة البكرية فى مرحلتها الثانية عنها فى الأولى مادام الشعراء قد قصدوا إلى تعدد الموضوعات وما يسبقها من مقدمة ، وبدهى أن يُصِيبَ القصيدة قدر من التَّحَوُّل — ولا نقول التطور — يزداد مع الزمن حتى تكامل لها فى النهاية شكلها المألوف فى المعلقات وغير المعلقات ، ذلك الشكل الذى تطول فيه المقدمة ويطول فيه الحديث عن كل غرض من الأغراض حتى وجدنا وصف الناقة عند طرفة يبلغ أكثر من ثلاثين بيتا من معلقته .

وليس ثمة خلاف كبير بين الموضوعات أو المعانى التى طرقها

---

(١) انظر المفضليتين ٤٥ ، ٤٦ .

(٢) انظر المفضلية ٥٦ من حيث تتحقق فيها هذه الوحدة .

الشعراء فى المرحلتين سواء فى أغراض القصيدة أو مقدمتها ، وكل ما تتسم به المرحلة الثانية هو التفصيل ، حتى ذلك اللون من المقدمات الذى يتحدث فيه الشاعر عن طيف محبوبته ، والذى لا يُمَثِّل له العلماء القدامى وكثير من الباحثين المحدثين [(١)] بمن هو أقدم من عمرو بن قميئة – أحد شعراء المرحلة الثانية – هذا اللون من المقدمات نجده لدى شعراء المرحلة الأولى ، حيث يقول المرقش الأكبر فى بداية إحدى قصائده [(٢)] :

سَرَى ليلًا خيالٌ من سُلَيْمى   فأَرَّقَنِي وأصحابِى هُجُودُ

على أن هناك أمورا تتصل بهذه القضية من قريب : منها مانلحظه من غزارة النتاج الشعرى فى المرحلة الثانية سواء من ناحية الشاعر الفرد أو من جهة تعدد الشعراء وكثرتهم – أو هكذا يبدو مما وصل إلينا من أشعار ، وربما كان سبب ذلك عدم اهتمام الرواة القدماء والشراح بشعر المرحلة الأولى وشعرائها ، فَبَدَتْ ضئيلة الحجم قياسا على زَخم المرحلة الثانية ، ومن هنا يبدو الأمر فى ظاهِرِهِ وكأنه تطور أصاب الشعر من كل الوجوه ، فضلا عما نلحظه من نمو ظاهرة الاستطراد التى تُوَطِّئُ لاتساع القصيدة .

وإذا كان هذا هو حال التطور – أو التحول – الذى لحق تشكيل القصيدة العام ، فإن التشكيل الموسيقى لم يتأثر إلا قليلا فى المرحلتين – ولو اتخذنا ديوانى طرفة والأعشى مثالا لشعراء المرحلة الثانية ، لوجدنا الأوزان تستقيم طبقا للقواعد العروضية العامة ، كما يظل للبحر

---

(١) انظر د . حسين عطوان : مقدمة القصيدة فى الشعر الجاهلى . القاهرة . دار المعارف ص ١٠٤ – ١٠٦ .

(٢) المفضلية ٤٦ .

الطويل صدارته فى المرحلتين ، إلا أن بحر الخفيف يشاركه مكانته لدى شعراء المرحلة الأولى (١) . أما فى المرحلة الثانية فإن البحر الخفيف يتراجع عن مكانته ، ليحتل المكانة الثانية بعد الطويل : الكامل والرَّمَل والمُتَقارِب والبسيط والوافِر . على أن قضية البحر الطويل تُغْرِى بالتوقف عندها ، ذلك أنه لم يَنْظِمْ فيه من شعراء المرحلة الأولى سوى المرقّشَين ، أما سائر شعراء هذه المرحلة فلم ينظموا فيه ، كما أنه لا يحتل مكان الصدارة عند بعض شعراء المرحلة الثانية ، من مثل الخِرْنِق التى صَحَّحْنَا لها ثلاثَ عشرةَ قصيدة ومقطوعة ، منها ست من بحر الوافر وأربع من بحر الطويل .

أما القافية فلا خلاف فيها بين المرحلتين سوى ما نلحظه من كثرة السِّناد فى شعر المرقش الأكبر (٢) ، أما الأصغر فأقل وقوعا فى هذا العيب من عيوب القافية (٣) – مع مراعاة قلة نصوصه عن نصوص عمه الأكبر – وقد يكون لهذا الأمر دلالته لدى الباحث ، إذ يمكن القول إن الذوق الشعرى والإحساس بموسيقى القافية قد تَرَقَّى عند الشعراء جِيلا بعد جِيل ، فكان طبيعيا أن يستجيبوا لما يحقق الانسجام فى موسيقى القافية ، وربما وافق هذا ما لحظناه من حرص المرقش الأصغر على التصريع فى بداية قصائده كلها (٤) ، فضلا عن تصريعه داخل القصائد على نحو ما نجده فى حائيته التى أولها (٥) :

---

(١) صححنا لشعراء هذه المرحلة ثلاثين قصيدة ومقطوعة منها خمس من بحر الطويل وخمس من بحر الخفيف .

(٢) انظر المفضلية ٥٢/٨ ، والمفضلية ٥٤/٣ ، ١٤ ، ١٨ ، ٢١ .

(٣) انظر المفضلية ٥٥/٣ ، ٦ ، ١٠ .

(٤) لا نستثنى من ذلك إلا المفضلية ٥٨ وهى بيتان فقط .

(٥) المفضلية ٥٥ .

أَمِن رَسْمِ دارٍ ماء عَيْنَيْك يَسْفَحُ . غدا من مُقامٍ أَهْلُهُ وتَروّحُوا

حيث صرع بعد بيت واحد ، فقال :

أَمِن بنتِ عَجْلانَ الخيالُ المُطَرَّحُ ألَمَّ ورحْلي ساقِطٌ مُتَزَحْزِحُ

وكذلك مفضليته التى يقول فى مطلعها (١) :

ألَا ياسْلَمِى لاصَرْمَ لى اليومَ فاطِمَا

ولا أبَدًا مادامَ وَصْلُكِ دَائِمَا

حيث صرع فى داخلها أربع مرات . أما المرقش الأكبر فلم يصرع فى بداية أربع من قصائده أو خلالها (٢) ، كما أنه لم يصرع داخل قصائده كلها إلا مرتين اثنتين (٣) . فضلا عن أن الشعراء السابقين على المرقشين لم يهتموا كثيرا بالتصريع سواء فى بداية القصائد أو فى ثناياها .

ولئن استمر التصريع بعد ذلك أمرا مألوفا – ولا نقول شائعا – فى قصائد المرحلة الثانية من الشعر البكرى ، فإن الشعراء لم يَشْغَلُوا أنفسهم به كثيرا ، حيث تخلو بعضُ قصائِدهم من التَّصْرِيع فى مطالعها (٤) ، كما

---

(١) المفضلية ٥٦ .

(٢) انظر المفضليات ٤٦ ، ٤٨ ، ٤٩ ، ٥٢ .

(٣) انظر المفضلية ٥١/٨ ، والمفضلية ٥٤/١٥ .

(٤) انظر لطرفة – على سبيل المثال – القصائد ٦ ، ٨ ، ٩ ، ١٤ ، ١٥ ، ١٦ ، ٣١ ، ٣٣ ، ٣٤ ، ٤١ ، ٤٧ من الديوان . وانظر للأعشى القصائد ٨ ، ١٨ ، ٢٤ ، ٢٥ ، ٢٧ .

أنهم لم يلتزموا به فى داخل القصيدة إلا قليلا [١] .

أما الصور والأخيلة فتعتمد على التشبيه ومشتقاته فى المرحلتين ، وهى صور تنتزع من البيئة المحيطة بالشعراء ، وإن كنا نلحظ – كما لحظ بعض الباحثين [٢] – قلة التشبيه عند كل من شعراء المرحلتين موازنة ببعض شعراء الجاهلية من مثل امرئ القيس وشعراء مدرسة أَوْسِ بنِ حَجَرٍ . ومن ثَمَّ يمكن القول بأن الشعراء البكريين لم يكونوا من ذلك اللون من الشعراء الذين اشتهروا بقضاء الحول أو نَحْوِهِ مُجَوِّدِين ومُنَقِّحِين ، أضف إلى ذلك أن البيت لا يَسْتَقِلُّ كثيرا عن سابقه ولاحقه فى شعر بنى بكر ، وهو الأمر الذى جعل أشعارهم أقرب إلى السَّلِيقة والصدق الإبداعى فى انطلاقته الأولى .

ومادمنا بصدد الحديث عن الصور والأخْيلة ، فلا بأس أن نشير إلى ظاهرة التأثر بالسَّلَف التى لحناها عند الشعراء البكريين ، فإذا صوَّر المرقِّش الأكبر وَحْشَةَ الصحراءِ بما يتجاوب فى أرجائها من أصوات البُوم حين يقول [٤] :

وتَسْمَعُ تَزْقَاءً مِنَ البُومِ حَوْلَنا　　　كما ضُرِبَتْ بعد الهُدُوءِ النَّواقِسُ

وجدنا أثر هذه الصورة الموحشة لليل فى قول الأعشى [٥] :

---

(١) انظر – على سبيل المثال – القصيدة ٥ من ديوان طرفة . والقصائد ٢ – ٤ ، ٧ ، ٢١ ، ٢٢ فى ديوان الأعشى .

(٢) انظر ، طه حسين : فى الأدب الجاهلى ص ٢٧٦ وما بعدها .
ود . حسين عطوان : مقدمة القصيدة العربية فى الشعر الجاهلى ص ١٨٥ .

(٣) المفضلية ٤٧ .

(٤) المفضلية ٤٧/٩ .

(٥) ديوان الأعشى الكبير . القصيدة ١٣ .

لا يَسْمَعُ المرءُ فيها مايُؤَنِّسُهُ   بالليلِ إلاّ نَئِيمُ البومِ والضُّوَعَا

وإذا شبه المرقش الأكبر الهوادج بالسفين فى لج البحر ، فى مثل قوله (١) :

لِمَنِ الظُّعْنُ بالضُّحَى طافِياتٍ   شِبْهُهَا الدَّوْمُ أو خَلايا سَفِينِ

وجدنا أثر هذه الصورة لدى طرفة بن العبد حين يقول (٢) :

كأَنَّ حُدُوجَ المالِكِيّةِ غُدْوةً   خَلايا سَفِينٍ بالنَّواصِفِ من دَدِ

وطبيعى أن يتأثر لاحق الشعراء بسابقهم ، وهذا ما نلمحه عند الأعشى حيث يبدو تأثره فى بعض النواحى بطرفة بن العبد ، وقد رأينا أنه كان ربيبا له فى بعض شعره الخمرى ، ونرى هنا أثر طرفة فى صور الأعشى الذى يقول (٣) :

وَيَهْماءُ تَعْزِفُ جِنَّانُها   مَناهِلُهَا آجنات سُدُمْ

إذ يبدو فيه أثر قول طرفة فى تصوير وحشة الصحراء بعزيف الجن (٤) :

ورَكُوبٍ تَعْزِفُ الجِنُّ به   قبل هذا الجِيلِ مِنْ عَهْدِ أَبَدْ

ومن مثل قول طرفة مشبها الطريق فى الصحراء بالكساء المخطط (٥) :

---

(١) المفضلية ٤٨ .

(٢) انظر معلقته .

(٣) ديوان الأعشى الكبير . القصيدة ٤ .

(٤) ديوان طرفة . القصيدة ٣ .

(٥) انظر معلقته .

أُمونٍ كألْواحِ الإِرَانِ نَسَأْتُهَا عَلَى لاحِبٍ كأَنَّهُ ظَهْرُ بُرْجُدِ

وقول الأعشى (١) :

فأفْنَيْتُهَـــا وَتَعالَلْتُهَـــا على صحصحٍ كَرِداءِ الرَّدَنْ

ولا بأس أن نشير فى النهاية إلى تلك الطريقة المألوفة لدى الكثيرين من شعراء الجاهلية حين ينتقلون من حديث غزلهم إلى وصف الناقة فيرددون نحو هذا المعنى « فَدَعْها وَسَلِّ هُمومَكَ فوق ناقة قوية برحلة فى الصحراء » ، فهذا تقليد نجده فى أقدم ما وصل إلينا من الشعر البكرى ، إذ يقول المرقش الأكبر (٢) :

فَهَلْ تُسَلِّى حُبَّها بازِلٌ ما إن تُسَلِّى حُبَّهَا مِنْ أَمَمْ

وهو ما نجده عن شعراء المرحلة الثانية ، من مثل قول المُسَيَّب بن عَلَسٍ (٣) :

فَتَسَلَّ حاجتَها إذا هى أعرضَتْ بِخَمِيصَةٍ سُرُحِ اليدين وساعِ

(٢)

الخصائص المعنويــة

فى الشعر البكرى – كما فى سائر الشعر العربى – لونان من الأداء الشعرى : لون يستنفد فيه الشاعر جهده فى سبيل احتذاء النماذج

---

(١) ديوان الأعشى الكبير . القصيدة ٢ .

(٢) المفضلية ٤٩ .

(٣) كتاب الصبح المنير . مجموعة ما أنشد للمسيب بن علس ص ٣٥٤ .

الناجحة لمن سبقه من الشعراء ، كأن يقف بالأطلال ، ثم ينعت الرحلة والراحلة ، أو يمدح ويهجو ، مستخدما نفس المعانى أو التراكيب التى استخدمها السابقون .

ولون لا يُسْلِمُ الشاعرُ فيه زِمامه للأنماط السالفة من الآداء ، وإنما يجتهد فى سبيل الفكاك من أسرها ، والعكوف على التعبير عن تجاربه الشخصية ومواقفه تجاه الحياة ومشكلات الوجود .

ولا يمكننا الزعم أن الشعراء البكريين - أو الجاهليين - يمكن تقسيمهم فصائل ، كل فصيلة أو مجموعة تنضوى تحت لواء هذا اللون أو ذاك ؛ ذلك أننا نلاحظ أن عامة الشعراء قد سلكوا السبيلين فى الآداء ، بمعنى أن الشاعر الواحد يمكن أن يجمع بين اللونين فى شعره بل فى القصيدة الواحدة ، فيكون فى بعض أغراضه اتباعيا ، وفى بعضها الآخر مبتدعا ، إن جاز هذا التقسيم فى ذلك الزمن القديم .

فإذا أردنا أن نتعرف ملامح الشاعر النفسية ، فينبغى أن نُنَحِّى جانبا ذلك القسم من أشعاره الذى تبدو فيه سيطرة التراث ، على نحو تلاشت معه شخصيته ، وأن ننظر فى تلك الأشعار التى خلا فيها الشاعر إلى نفسه معبرا عما يعتمل فى داخله من مشاعر وأحاسيس ، تَرَحًا كانت أمْ فَرَحًا .

والشعر البكرى منذ أقدم مراحله ، يعبر تعبيرا حيا عما تعرض له الشعراء من محن وإحن وآلام ، سواء على مستوى الفرد أو الجماعة ، فلكل منهم قصة محزنة حرمته أن يسلك طريقه فى الحياة كما يسلكها سائر البشر

وكأنهم كانوا على موعد مع القدر أفرادا وجماعات ، ومعلوم ما تعرضت له بكر من حروب دامية ، متتابعة الحلقات ، الأمر الذى أفقدها كثيرا من رجالها وفرسانها ، ولذا وجدنا فارسا كالحارث بن عُبَاد يوصى يوم التحالق أن تلبس النساء ملابس الفرسان ، وأن يقفن خلف الصفوف ، لما يعلمه ، وتعلمه تغلب من قلة فرسان بكر . أضف إلى ذلك ما أصاب القبيلة من تفكك وتصدع ، حتى غدا كل بطن منها وكأنه قبيلة مستقلة ، لا يكاد يربطه بالقبيلة الأم رابط . بل لقد تصارعت البطون فيما بينها ، وتخاذلت عن نصرة بعضها البعض فى كثير من الأحيان ؛ ومن هنا يكثر فى الشعر البكرى الفخر بالبطن أو العشيرة .

ولعل أول ما نلحظه فى الشعر البكرى ، أنه يعبر تعبيرا صادقا عما أصاب البكريين من إحساس بالتفكك ، وما أصاب وجدانهم الجمعى من وهن ، وانفصال هذا الوجدان عن وجدان القبيلة الأم . ويتمثل كل ذلك فى اتجاهات ثلاثة :

أما الاتجاه الأول : فهو الفخر الشخصى الذى يرتفع فيه ضمير « الأَنا » على « النَّحْنُ » . من مثل قول طرفة بن العبد (١) :

أنَا الرَّجُلُ الضَّرْبُ الذى تَعْرِفُونَهُ خَشَاشٌ كَرَأْسِ الحَيَّةِ المُتَوَقِّدِ (٢)

---

(١) ديوانه ص ٥٩ – ٦٠ .

(٢) الضرب : الخفيف من الرجال ، الظريف . الخشاش : الرجل الماضى فى الأمور ، الذكى . الحية : الثعبان ، وتطلق على الذكر والأنثى . المتوقد : الذكى ، الكثير الحركة .

وآليتُ لاينفكُّ كَشْحِى بِطانةً لِعَضْبٍ رَقيقِ الشَّفْرَتَيْنِ مُهَنَّدِ (١)
أخِى ثِقَةٍ لاينْثَنِى عَنْ ضَرِيبَةٍ إذَا قِيلَ مَهْلًا قالَ حاجِزُهُ قَدِى (٢)
حُسامٍ إذا ماقُمْتُ منتصرا بِهِ كَفَى العَوْدَ منه البَدْءُ ليس بِمِعْضَدِ (٣)
إذا ابتدَرَ القومُ السلاحَ وجدتَنِي مَنِيعا إذا بَلَّتْ بقائمِهِ يَدِى (٤)

ومن مثل قول راشد بن شهاب (٥) :

ولا تُوعِدَنِّى إننى إنْ تلاقِنِى مَعِى مَشْرَفِىٌّ فى مَضارِبِهِ قَضَمْ (٦)
وَنَبْلٌ قِرَانٌ كالسُّيُورِ سَلاجِمٌ وفَرْعٌ هَتُوفٌ لاسَقِىٌّ ولانَشَمْ (٧)
ومُطَّرِدُ الكَعْبَيْنِ أَسْمَرُ عاتِرٌ وذَاتُ قَتِيرٍ فى مَواصِلِها دَرَمْ (٨)

---

(١) آليت : حلفت . لا ينفك : لا يزال ملازما . الكشح : المقصود به الجنب . عضب : قاطع .

(٢) أخى ثقة : أى هذا السيف . الضريبة : المضروبة . حاجزه : حده . قدى : حسبى ، أى فرغ من القطع .

(٣) المعضد : الرديء من السيوف الذى يُمْتَهَنُ فى قطع الشجر ، وهو السيف الكليل .

(٤) بلت : ظفرت . قائم السيف : مِقْبَضُه .

(٥) المفضلية ٨٦ .

(٦) قضم : تَكَسُّر من كثرة ما ضرب به .

(٧) القران : المتشابهة . السلاجم : الطوال ، الواحد سلجم . الفرع : القوس أخذت من أعلى الغصن . الهتوف : المصونة . السقى : ما شرب الماء على الأنهار من الشجر . النشم : شجر ضعيف .

(٨) المطرد : يعنى رمحا إذا هز اضطرب كله واطرد فى اضطرابه . العاتر : الصلب . ذات قتير : يعنى : درعا ، والقتير رءوس مسامير الدرع . الدرم : الاستواء . وأراد بمواصلها ما يتصل بالحلقتين .

وأما الاتجاه الثانى : الذى يؤكد وَهَن الشعور الجَمْعِيّ للقبيلة ، فهو الفخر القَبَلِيُّ الضَّيِّق ، الذى يقتصر على التغنى بمآثر البطن دون القبيلة ، ونجده فى أقدم ما وصل إلينا من نصوص الشعر البكرى ، من مثل ما نجده عند الفِنْدِ الزِّمَّانِيِّ ، حين ينطق باسم رَهْطِه بنى زِمَّان الدين كَفُّوا أيدِيَهُمْ عن الاشتراك فى حرب البسوس فى أول أيامها ، ولم يسارعوا إلى نجدة إخوانهم الشيبانيين ؛ إذ يقول (١) :

كَفَفْنا عَنْ بَنى ذُهْلٍ وقُلْنا القَوْمُ إِخْوانُ
عَسَى الأَيَّامُ أَنْ يُرجِعْـ ـنَ قَوْمًا كالَّذِى كانُوا
فَلَمّا صَرَّحَ الشَّرُّ م فأَمْسَى وَهْوَ عُرْيانُ
ولَمْ يَبْقَ سوى العُدْوَا نِ دِنَّاهُمْ كَمَا دَانُوا
شَدَدْنا شَدَّةَ اللَّيْثِ غدَا والليثُ غَضْبانُ
بِضَرْبٍ فيه تَوْجِيعٌ وَتَوْهِيـــنٌ وَإِرْنَـــانُ

ومن مثل قول سعد بن مالك يُحَمِّسُ رَهْطَهُ بنى قَيْسِ بنِ ثعلبةَ – أحد بطون بكر – خلال هذه الحرب (٢) :

صَبْرًا بنى قَيْسٍ لها حَتَّى تُرِيحُوا أَوْ تُراحُوا

ويكثر هذا الاتجاه القبلى الضيق فى الشعر البكرى ، فهذا طرفة بن العبد يفخر بجده سعد بن مالك – صاحب البيت السابق – فيقول (٣) :

---

(١) ديوان الحماسة ١/١٩ .

(٢) المصدر نفسه ٢/٧٣ .

(٣) ديوان طرفة بن العبد ص ١٠٧ .

رَأيتُ سُعودًا من شُعوبٍ كثيرةٍ
فلم تَرَ عَيْنِى مثلَ سعدِ بنِ مالِكِ (١)
أبَـر وأوْفـى ذِمَّـةً يعقِدُونَهـا
وخيرًا إذا ساوَى الذُّرا بِالحَوارِكِ (٢)
وأنمْىَ إلى مَجْدٍ تَليدٍ وسَوْرَةٍ
تكونُ تُراثًا عند حَىٍّ لِهالِكِ (٣)
ترى الرُّحَّ مِن شِيزَى لدى كُلِّ مَجلسٍ
كَحَوْضِ الأَضَى مِن بَعْدِ شَبْعِ المَعارِكِ (٤)
وجارًا إلى جَارٍ وإتلاءَ ذِمَّـةٍ
وفى خُلَّةٍ من هَؤُلاَ وأولئكِ (٥)
أبِى أنزَلَ الجبارَ عامِلُ رَمْحِهِ
عن السَّرْجِ حتى خَرَّ بين الشَّوابِكِ (٦)

---

(١) الشعوب : جمع شَعْب ، وهو أعظم القبائل . يفخر الشاعر بقومه سعد بن مالك بن ضبيعة .

(٢) الذرا : الأسنمة . الحوارك : جمع حارك ، وهو أعلى الكاهل ، يعنى أنهم أكثر الناس خيرا وكرما إذا اشتد الزمان ، وتوالى الجَدْب ، فذهبت الأسنمة مع الحوارك من الهزال .

(٣) التليد : القديم . والسورة من المجد : أثره ، وعلامته ، وارتفاعه .

(٤) الرح : أصلها الرحح ، وهى الجفان الواسعة . الشيزى : خشب أسود تصنع منه القصاع . الأضى : جمع أضاة ، وهى المستنقع من سيل أو غيره . المعارك : المزاحم .

(٥) وجار إلى جار : أى يستجير الناس بجيرانهم . إتلاء ذمة : وفاء بها .

(٦) الجبار : القوى الشديد ، وقيل إنه أراد به بعض ملوك غسان . عامل الرمح : أعلاه . الشوابك : الرماح المشتبكة .

ولعل صراع البطون البكرية فيما بينها ، واختلافها ، وعدائها ، هو الذى مهد لكل ذلك ، وجعل كلَّ بطنٍ من البطون يبدو كأنه قبيلةٌ مستقلةٌ انفصلت تماما عن القبيلة الأم . ويصور لنا الشعر البكرى أطرافا من هذه الصراع . فهناك صراع بين بنى قيس ويشكر ، وصراع بين يشكر وشيبان ، وثالث بين شيبان وبنى قيس . ويصور لنا راشد بن شهاب اليشكرى صِراعَ قومه مع بنى شيبان فيقول (١) :

مَنْ مُبلغٌ فِتْيانَ يَشْكُرَ أننى
أرى حِقْبَةً تُبْدِى أماكِنَ للصَّبْرِ

فأوصيكُمُ بالحَىِّ شَيْبَانَ إنَّهُمْ
هُمُ أهْلُ أبْنَاءِ العَظَائِمِ والفَخْرِ

عَلَى أنَّ قَيْسًا قال قَيْسُ بْنُ خَالِدٍ
لَيَشْكُرُ أحْلَى إنْ لَقِينا مِنَ التَّمْرِ

رأيْتُكَ لما أنْ عَرَفْتَ وُجُوهَنا
صَدَدْتَ وَطِبْتَ النفسَ ياقيسُ عن عَمْرِو

رأيتَ دمـاءً أسْهَلَتْهـا رِماحُنـا
شَآبيبَ مثلَ الأُرْجُوانِ على النَّحْر (٢)

كما يصور الأعشى ذلك العداء المتفاقم بين قومه القيسيين وإخوانهم الشيبانيين فى عدد من قصائده (٣) . من مثل قوله (٤) :

---

(١) المفضلية ٨٧ .

(٢) أسهلتها : أسالتها . الشآبيب : جمع شؤبوب ، وهو الدفعة .

(٣) انظر : الديوان . القصائد ٦ ، ٩ ، ٢٦ .

(٤) القصيدة ٩/٨ – ١٤ .

رأيتُ بنى شَيبانَ يَظْهَرُ منهمُ ... لِقَومِىَ عَمْدًا نِغْصَةٌ وَمَظالِمُ (١)
فَإنْ تُصبِحُوا أَدْنَى العَدُوِّ فقبلَكمْ ... مِن الدَّهْرِ عادَتْنَا الرِّبابُ ودَارِمُ
وسعدٌ وكعبٌ والعِبادُ وطَيِّئٌ ... وَدُودَانُ فى أَلْفافِها والأَراقِمُ (٢)
فما فَضَّنا مِنْ صائغٍ بَعْدَ عَهدِكُمْ ... فَيَطْمَعَ فِينَا زاهِرٌ والأَصارِمِ (٣)
ولَن تَنْتَهُوا حتى تَكَسَّرَ بيننا ... رِماحٌ بأَيْدِى شُجْعَةٍ وقَوائِمُ
وحتى يَبِيتَ القَوْمُ فى الصَّفِّ لَيْلَةً ... يقولون: نَوِّرْ صُبْحُ .. والليلُ عاتِمُ (٤)
وُقُوفًا وَراءَ الطَّعْنِ والخَيْلُ تَحْتَهُمْ ... تُشَدُّ على أَكْتَافِهِنَّ القَوادِمُ (٥)

أما العَلاقة بين بنى يَشْكُر وضُبَيْعَةَ ـــ أو بنى قيس – فلا نجد فى الشعر البكرى ما يشير إلى اضطرابها ، سوى ما جاء على لسان سعد بن مالك – خلال حرب البسوس – حين عَرَّضَ باليشكريين ، إذ يقول (٦) :

وَيَشْكُرٌ أَضْحَتْ على نَأْيِهَا ... لَمْ تَسْمَعِ الآنَ لها حامِدَا

ويبدو أن نَأْىَ بنى يَشْكُرَ جعلهم يشعرون بانفصالهم عن بقية البطون وانفراط العَقْد الاجتماعى الذى يربطهم بإخوانهم وبالقبيلة الأم . ويمكننا أن نلمح ذلك فى معلقة الحارث بن حِلِّزَةَ اليَشْكُرِىِّ – التى

---

(١) النغصة : كدر العيش .
(٢) ألفافها : جماعاتها .
(٣) الفض : الكسر .
(٤) الليل عاتم : أى محتبس .
(٥) القوادم : جمع قادم وهو الرأس .
(٦) أغانى (ساسى) ٤/١٤٦ .

يُرْوَى أنها أُنْشِدَتْ دفاعا عن بنى بكر فى مواجهة بنى تغلب — ففيها أثر ما أصاب القبيلةَ من تفكُّكٍ حين ساوَى ابنُ حِلِّزَةَ بين أبناء عُمومته بنى حَنِيفَةَ وسائر القبائل العربية ، فى عدم تحمل قومه جرائرهم ... يقول :

أَمْ علينا جَرَّى حَنِيفَةَ أَمْ ما   جَمَّعَتْ مِنْ مُحارِبٍ غَبْرَاءُ
أَمْ علينا جَرَّى قُضَاعَةَ أم لَيـ   ـسَ علينا فيما جَنَوْا أَنْدَاءُ

وأما الاتجاه الثالث الذى يؤكد شيوع روح التفكك بين البكريين ؛ فنلتمسه فى شعر الهجاء الموجه إلى أبناء العمومة داخل البطن الواحد ، أو العشيرة الواحدة ، من مثل هجاء طرفة لابن عمه عَبْدِ عَمْرٍو ، الذى يقول فيه (١) :

فياعَجَبًا من عَبْدِ عمرٍو وبَغْيِهِ   لقد رامَ ظُلْمِى عَبْدُ عَمْرٍو فَأَنْعَما
ولاخَيْرَ فيه غَيْرَ أَنَّ له غِنًى   وأَنَّ لَهُ كَشْحًا إذا قام أَهْضَمَا (٢)
يظَلُّ نساءُ الحَىِّ يَعْكُفْنَ حَوْلَهُ   يَقُلْنَ عَسِيبٌ من سَرَارَةِ مَلْهَمَا
له شَرْبَتَانِ بالنَّهارِ وأَرْبَعٌ   مِنَ اللَّيْلِ حَتَّى آضَ سُخْدًا مُوَرَّمَا (٣)
ويَشْرَبُ حَتَّى يَغْمُرَ المَحْضُ قَلْبَهُ   وَإِنْ أُعْطِهِ أَجْعَلْ لِقلبِى مَجْثَمَا
كأَنَّ السِّلاحَ فَوْقَ شُعْبَةِ بَانَةٍ   تَرى نُفُجًا وَرْدَ الأَسِرَّةِ أَسْحَمَا (٤)

---

(١) الديوان ص ١٤١ — ١٤٢ .
(٢) الكشح : الخصر . أهضم : ضامر لطيف ، وأصل الهضم : النقصان .
(٣) آض : صار .
(٤) نفجا : انتفاخا . ورد : أحمر . الأسرة : أسرة البطن . الأسحم : الأسود الذى ليس بخالص السواد .

ثم ما كان بينه وبين ابن عم له يُدْعَى مالكا ، الذى يصوره طرفة بقوله (١) :

فَمالى أراني وابنَ عمى مالِكًا متى أَدْنُ منه ينأَ عنى ويَبْعُدِ
يلومُ وما أدْرِي عَلَامَ يَلُومُنِى كما لَامَنِى فى الحَيِّ قُرْطُ بنُ أَعْبَدِ
وأَيْأَسَنِى مِنْ كُلِّ خَيْرٍ طَلَبْتُهُ كأنّا وَضَعْنَاهُ عَلَى رَمْسِ مُلْحَدِ

ثم لا يلبث الشاعر أن يقول :

وظُلْمُ ذَوِي القُرْبَى أَشَدُّ مَضَاضَةً على المَرْءِ مِنْ وَقْعِ الحُسَامِ المُهَنَّدِ

وفى شعر الأعشى صَدًى عميق لتلك الخلافات التى انتشرت بين الإخوة داخل البطن الواحد ، أو بين العشائر المُنْتَمِيَة إلى الفرع الواحد . من مثل ما نجده فى القصيدة التى أولها (٢) :

كَفَى بالذى تُولِينَهُ لَوْ تَجَنَّبا شِفاءً لِسُقْمٍ بَعْدَ ما عادَ أَشْيَبَا (٣)

ويخاطب بها بنى عَبْدَانَ عامة ، وعَمْرَو بْنَ المُنْذِرِ بنِ عَبْدَان خاصة . وبنو عَبْدَان بَيْتٌ من بيوت سعد بن قيس بن ثَعْلَبَةَ . والأعشى — كما نعلم — من بنى قَيْسِ بْنِ ثَعْلَبَةَ كذلك ، ولكنه من بيت ضُبَيْعَةَ بْنِ قَيْس . فبنو عَبْدَان — إذًا — قريبو القرابة من الشاعر . وكما أحس طرفة بن العبد بظلم ذوى قرباه ، ونأيهم عنه ، فقد أحسَّ الأعشى هو الآخر بمرارة شديدة ، لا تفارقه فى الليل أو النهار حتى أصبح قليلَ الثقة بالقرابة

---

(١) الديوان ص ٥٤ — ٥٥ .

(٢) القصيدة ١٤ .

(٣) أولاه المعروف : صنعه له ، ويقصد ما توليني من الهجر والجفاء .

وصلة النَّسَب ، وخُيِّلَ إليه أنّ الجفاء بين ذوى القربى أصبح سِمَةَ العصر ، ومن هنا يوصى كُلَّ رَجُل عاقل أن يلتمس الوُدَّ والمحبة عند من يتقرب إليه ، وإن بَعُدَ نَسَبُه ... يقول :

وَإِنِّي امرُؤٌ قد باتَ هَمِّي قَرِيبَتِي تَأَوَّبَنِي عند الفِرَاشِ تَأَوُّبا (١)
سَأُوصِي بَصِيرًا إنْ دَنَوْتُ مِنَ البِلَى وَصَاةَ امْرِئٍ قَاسَى الأُمُورَ وجَرَّبا (٢)
بِأَلاَّ تَبَغَّ الوُدَّ مِنْ مُتَباعِدٍ ولا تَنْأَ عَنْ ذِي بِغْضَةٍ إنْ تَقَرَّبا (٣)
فَإِنَّ القَرِيبَ مَنْ يُقَرِّبُ نَفْسَهُ لَعَمْرُ أَبِيكَ الخَيْرَ لا مَنْ تَنَسَّبا (٤)

وثانى ما نلاحظه فى شعر بنى بكر ، هو : الإحساس بالغربة ووطأتها على النفس ، سواء كانت غربة الروح ، أو غربة الروح والجسد معا . فهذا المرقش الأكبر يشعر بحنين جارف إلى ديار قومه وهو يُطَوِّفُ فى الآفاق بعيدًا عن ديارهم ، يقول (٥) :

يُودُّكَ ما قَوْمِي عَلَى أَنْ هَجَرْتُهُمْ
إِذَا أَشْجَذَ الأقوامَ رِيحُ أُظَائِفِ (٦)
فهل تُبْلِغَنِّي دارَ قومِيَ جَسْرَةٌ
خَنُوفٌ عَلَنْدَى جَلْعَدٌ غيرُ شَارِفِ (٧)

---

(١) قريبتى : مثل قرابتى أى ملازمى . تأوبه : آب أى عاد ليلا .

(٢) البصير : العاقل الحاذق بالأمور . البلى : الموت لأنه يُبْلِى .

(٣) لا تَبَغَّ : لا تبتغ أو تطلب .

(٤) الخير : أى بالخير .

(٥) المفضلية ٥٠ .

(٦) يودك : أى بحبك . أشجذ الشىء : آذاه . أظائف : جبل فى مهب الشمال من قبل الشام .

(٧) الجسرة : الناقة الطويلة على الأرض . الخنوف : التى إذا سارت قلبت خف يدها ، أو هى اللينة فى السير . علندى : الوثيقة المجتمعة . الجلعد : القوية الشديدة . الشارف : الهرمة .

وما كاد يعود إلى ديار قومه ، حتى فَجَعَهُ نبأ رحيل حبيبته أسماء ، وكأنما انتزعت معها روحه وقلبه ، فأصبحت ديارها هى الوطن الذى يَرْتَجِى العودة إليه ، والإقامة فيه إلى جوار من أحب :

إنْ تكُونِى تَرَكْتِ رَبْعَكِ بالشَّأْ ... مِ وجاوَزْتِ حِمْيَرًا ومُرادا (١)

فَارْتَجِى أنْ أكُونَ مِنْكِ قَرِيبًا ... فاسْألِى الصَّادِرِينَ والوُرَّادَا

وما زال يردد هذه الأنغام الحزينة ، التى تصدر عن إحساس بالغربة وألمها — وإن كان بين قومه وأهله :

سَكَنَّ بِبَلدةٍ وسَكَنْتُ أُخْرَى ... وقُطِّعَتِ المَواثِقُ والعُهُودُ (٢)

وأما طرفة بن العبد ، فقد أُجْبِرَ على ترك دياره ، بعد ما تعرض له من ظلم أهله وذويه ، فعاش شطرا كبيرا من حياته القصيرة غريبا ، محروما من عصبيته . وقد عيرته إحدى النساء قائلة له : أليس لك أهل ؟ أهل ؟ .

ولا غَرْوَ إلا جَارَتِى وسؤالُها ... ألا هل لنا أهْلٌ ؟ سُئِلْتِ كَذَلكِ (٣)

تُعَيِّرُنِي جَوْبَ البِلادِ ورحلتى ... ألاَ رُبَّ دارٍ لى سوى حُرِّ دَارِكِ

وليس امرُؤٌ أفْنَى الشَّبابَ مُجاوِرًا ... سوى حَيِّهِ إلَّا كآخَرَ هالِكِ

وها هو الأعشى يصور قلق إحدى بناته عليه ، وحزنها لِفراقِهِ ، حين يتركها وأخواتها وحيدات ، وكأنهن يتامى ، وخشيتها أن يصيبه

---

(١) المفضلية ١٢٩ .

(٢) المفضلية ٤٦ .

(٣) ديوان طرفة ص ١٠٩ — ١١٠ .

مكروه فى غربته ، وتَجواله فى الآفاق ... والحق أنه يصور قلقه هو ، وخشيته على بناته ، ثم يحاول أن يتصبر ، وأن يتخفف من وقع المأساة ، بالاستسلام للقدر ، قائلا إن الموت نهاية كل حى ، رحل أو لم يرحل :

تقولُ ابنتى حين جَدَّ الرحيلْ ... أرانا سواءً ومَنْ قَدْ يَتِمْ (١)
أبانا فلا رِمْتَ مِنْ عِنْدنَا ... فإنا بخيرٍ إذا لم تَرِمْ (٢)
ويا أبتا لا تَزَلْ عندنا ... فإنَّا نَخَافُ بأَنْ تُخْتَرم (٣)
أرانا إذَا أضْمَرَتْكَ البِلا ... دُ نُجْفَى وتُقْطَعُ مِنَّا الرَّحِمْ
أَفِى الطَّوْفِ خِفْتِ عَلَىَّ الرَّدَى ... وكَمْ مِنْ رَدٍ أهْلَهُ لم يَرِمْ

ويقول فى موضع آخر — ولعله قالها فى آخِرَاتِ أيامه حين تجمعت عليه أوجاع الشيخوخة وعِللها (٤) :

تقولُ بِنْتِى وقَدْ قَرَّبْتُ مُرْتَحِلا
يَارَبِّ جَنِّبْ أبِى الأَوْصَابَ والْوَجَعا (٥)
واسْتَشْفَعَتْ مِنْ سَرَاةِ الحَىِّ ذَا شَرَفٍ
فَقَد عَصَاها أبوها والذى شَفَعا (٦)

وأما ثالث ما نلحظه فى شعر بنى بكر فهو الحزن العميق الذى جلل

---

(١) ديوان الأعشى الكبير ٥١/٤ — ٥٥ .
(٢) رام : برح وزال .
(٣) اخترمه الموت : أخذه ، واخترمه المرض : أهزله .
(٤) الديوان القصيدة ١٣ .
(٥) الوصب : نحول الجسم من تعب أو مرض .
(٦) استشفعت : طلبت أن يشفع لها ويعاونها فى مطلبها .

نفوس الشعراء ، ومن هنا تعانقت فكرتا الحب والموت فى بعض أشعارهم ، فى مثل ما نجده عند المرقش الأكبر (١) :

قُل لأسماءَ أنْجِزِى المِيعَادَا وانْظُرِى أنْ تُزودِّي مِنْكِ زَادَا
أينما كُنْتِ أوْ حَلَلْتِ بأرضٍ أو بلادٍ أحْيَيْتِ منكِ البِلادَا

ثم لا يلبث أن يقول :

فإذَا ما سَمِعْتِ من نَحْوِ أرضٍ بِمُحبٌ قد ماتَ أو قيلَ كَادَا
فاعْلَمِى غَيْرَ عِلْمِ شَكٍّ بأنى ذاك ، وابكى لِمُصْفَدٍ أنْ يُفادَى

وَيَسْتَهْوِى هذا الجو النفسى الحزين رُوحَ طرفةَ بنِ العبد ، ويراه تعبيرا عن ذاته وقصة حبه لسَلْمَى . فيقول (٢) :

فَوَجْدِى بِسَلْمى مثلُ وَجْدِ مُرَقِّشٍ
بأسْماءَ إذْ لا تَسْتَفِيقُ عَواذِلُهْ
قَضَى نَحْبَهُ وَجْدًا عليها مُرَقِّشٌ
وعُلِّقْتُ مِنْ سَلْمى خَبَالًا أُماطِلُهْ

وما أجدر هذه الروح الحزينة أن تتحدث عن الموت وسطوة الدهر وتقلباته ، وقسوة الحياة وما يلاقيه الإنسان فيها من متاعب وآلام ، وكأن أبواب الأمل فى حياة سعيدة قد سدت فى وجوههم ، فاستقبلوا الموت غير نادمين على قصر الحياة . يقول المرقش (٣) :

لَيْسَ على طُولِ الحياةِ نَدَمْ وَمِنْ وَرَاءِ الْمَرْءِ مايَعْلَمْ (٤)

---

(١) المفضلية ١٢٩ .
(٢) الديوان ص ١٢٩ .
(٣) المفضلية ٥٤ .
(٤) أراد : ليس على فوت طول الحياة ندم . وراء ههنا : بمعنى أمام .

يَهْلِكُ والِدٌ ويَخْلُفُ مَوْ لودٌ وكُلُّ ذِى أبٍ يَيْتَمْ

فالحياة وإن طالت قصيرة ، يعيشها الإنسان مشدودا بحبل المنية ، فإذا انتهى الأجل جذبه الموت إليه واحتواه العدم :

لعمرُكَ إنَّ الموتَ ما أخطأَ الفَتَى لكالطِّوَلِ المُرخَى وَثِنْيَاهُ فى اليدِ (١)
متى ما يشأْ يومًا يَقُدْهُ لِحَتْفِهِ وَمَنْ يَكُ فى حَبْلِ الْمَنيةِ يَنْقَدِ
أرى العيشَ كَنْزًا ناقِصًا كُلَّ ليلةٍ وما تنقُصُ الأيامُ والدَّهْرُ يَنْفَدِ

فلا مهرب من الموت ولو سكن الإنسان قصورا مشيدة :

لو كُنْتُ فى رَيْمانَ لستُ ببارِحٍ أبدًا وَسُدَّ خَصاصُهُ بالطِّينِ (٢)
لى فى ذُرَاهُ مآكِلٌ ومشارِبٌ جاءت إلَىَّ مَنِيَّتِى تَبْغِينِى

وما دام الأمر كذلك ، ففيم الحرص على الحياة ، وهى لا تحمل إلينا إلا العناء والشقاء ، ويظل الإنسان فيها هدفا لسهام الأمراض والأحزان وألوان البلاء ثم يموت :

لعمرُكَ ماطُول هذا الزَّمَنْ على الْمَرْءِ إلاَّ عَناءٌ مُعَنّ (٣)
يظَلُّ رَجِيمًا لِرَيْبِ المَنُونْ وللسُّقْمِ فى أهْلِهِ والحَزَن (٤)

---

(١) ديوان طرفة بن العبد ص ٥٣ - ٥٤ .

(٢) انظر ، الأصمعية ٣٨ وهى لشُمير بْن عمرو الحنفى . ريمان ، بفتح الراء وسكون الياء : قصر باليمن . خصاصه : فروجه وخلله .

(٣) ديوان الأعشى الكبير . القصيدة ٢ . معن : اسم فاعل من عنى (بتشديد النون) أى أتعب وأشقى .

(٤) الرجيم : من رجمة أى رماه بالحجارة أو لعنه وطرده . ريب المنون : صرف الدهر .

فإذا انتهى أجل المرء ، تساوى مع غيره من الأموات ، سواء مَنْ قُبِرَ ومن لم يُقْبر :

وهالِكِ أهْلٍ يُجنُّونَهُ كآخرَ فى قَفْرَةٍ لم يُجَنّ (١)

ويبدو أن الدهر قد خص بتقلباته القاسية كثيرا من شعراء بكر . يقول عمرو بن قميئة (٢) :

رَمَتْنى بناتُ الدهرِ من حيثُ لا أَرَى فكيفَ بِمَنْ يُرْمَى وليسَ بِرَامِ
وأهْلَكَنِى تَأْمِيلُ مالَسْتُ مُدْرِكًا وتأميلُ عامٍ بعد ذاك وعامِ
إذا ماراَنى الناسُ قالوا : أَلَمْ تكُنْ جَلِيدًا حَدِيثَ السِّنِّ غيرَ كَهامِ

ويحاول الشعراء البكريون أن يتصبروا مغلوبين ، كما يصبر العطشان فى البلد القفر :

ذَاكَ عَصْرٌ وَعَدَانِى أَنَّنِى نَابَنِى العامَ خُطُوبٌ غَيْرُ سِرّ (٣)
مِنْ أمورٍ حَدَثَتْ أمثالُها تَبْتَرِى عُودَ القَوِىِّ المُسْتَمِرّ (٤)
وَتَشَكَّى النفسَ ماصابَ بِها فاصْبِرِى إنكِ من قومٍ صُبُرْ

هو صبر اليائس الذى لا يرتجى خلاصا مما يعانيه :

وَيَئِسْتُ مِمَّا قد شُغِفْتُ بِهِ مِنْها وما يُسْلِيكَ كَاليأسِ (٥)

---

(١) يجنونه : يسترونه فى الأرض ويدفنونه .

(٢) الشعر والشعراء ١/٣٧٧ .

(٣) ديوان طرفة ص ٧٦ . عدانى : منعنى وشغلنى . نابنى : نزل بى . خطوب : جمع خطب وهو الأمر العظيم . غير سر : واضحة لا تخفى .

(٤) حدثت أمثالها : أى كلما وقع أمر حدث أمر بعده مثله : تبترى : تنحت . المستمر : الصلب الشديد .

(٥) المفضلية ٢٥ للحارث بن حِلِّزَةَ اليشكرىّ .

وأما السمة الرابعة فى شعر بنى بكر ، فتناقض – فى ظاهر الأمر – ما عرضناه ، ألا وهى روح المرح التى تتحول أحيانا إلى ما يشبه السخرية ، وبخاصة حين يهجون أعداءهم . ولعل هذا المرح البادى فى أشعارهم يكون صدى لما تحمله نفوس الشعراء من أعباء تجاه الحياة والناس ، فحاولوا التخفف من آلامهم بتصنع المرح والدعابة أو الإغراق فيها . وكانت الخمر هى المعين على تحقيق كل ذلك . فهذا المنخل اليشكرى يمثل لنا أصدق تمثيل تلك الروح المرحة ، فى قصيدته التى أولها (١) :

ولقد دَخَلْتُ على الفَتا ... ةِ الخِدْرَ فى اليوم المَطِيرِ
الكاعبِ الحسناءِ تَرْ ... فُلُ فى الدِّمقْسِ وفى الحرير

وتتمثل روح الفكاهة إذا تخيلنا المنخل وهو يلقيها إلقاءً تشارك فيه حركاته إيقاع الكلمات ، فيستغرق الرفاق فى الضحك والصخب والضجيج ، وقد استعد المنخل لكل ذلك ، فأنهى كل مقطع من القصيدة بما ينتزع الابتسامة انتزاعا من قلب الحزين . يقول :

فدفعتُها فتدافَعَتْ ... مَشْيَ القَطاةِ إلى الغَدِيرِ
وَلَثَمْتُها فَتَنَفَّسَتْ ... كتنفسِ الظبى البَهِيرِ
فَدَنَتْ وقالت يامُنَخَّ ... لُ مابِجِسْمِكَ من حَرُورِ
ماشَفَّ جِسْمِى غَيْرُ حُبِّ ... كِ فاهْدَئى عَنِّى وَسِيرِى
وأحبها وتحبنى ... وَيُحِبُّ ناقتَها بعيرى

ثم يشرع الشاعر فى ذكر أحواله فى لهوه وشرابه ، مصورا مدى

---

(١) الأصمعية ١٤ .

التناقض بين حالتى صحوه وسكره ، وهنا تكمن الفكاهة حين يفجؤنا فى نهاية المشهد – فى سخرية مريرة – بتناقض صورته فى الحالين :

يارُبَّ يومٍ للمُنَخَّـ ـلِ قَدْ لَهَا فيهِ قَصيرِ
فإذَا انتشيتُ فَإنَّنِي رَبُّ الْخَوَرْنَقِ والسَّدِيرِ
وإذَا صَحَوْتُ فإننى رَبُّ الشُّوَيْهَةِ والبَعِيرِ

وقد حاول الشعراء بهذه الروح الفكهة الساخرة أنْ يَحُطُّوا من قدر مهجُوِّيهِمْ ، وأن يجعلوهم هدفا لسخرية الآخرين . من مثل هجاء طَرَفَةَ بْنِ العبد لابن عمه عبد عمرو ، حين يقول [١] :

ولا خَيْرَ فيهِ غيرَ أنَّ له غِنًى
وأنَّ لَهُ كَشْحًا إذَا قامَ أَهْضَمَا [٢]
يظَلُّ نِساءُ الحيِ يَعْكُفْنَ حولَهُ
يَقُلْنَ عَسِيبٌ من سَرَارَةِ مَلْهَمَا [٣]
له شَرْبَتَانِ بالنَّهارِ ، وأَرْبَعٌ
من الليلِ، حتى آضَ سُخْدًا مُورَّما [٤]

---

(١) الديوان ص ١٤١ – ١٤٢ .

(٢) الكشح : الخصر . أهضم : ضامر لطيف ، وأصل الهضم : النقصان . وإذا قام : أى يتبين ضمر خصره عند القيام .

(٣) يعكفن : يقمن . العسيب : جريدة من النخل مستقيمة دقيقة يُكْشَطُ خُوصُها . سرارة كل شيء : وسطه وأفضله . ملهم : موضع باليمامة كثير النخل ، وعسيب ... إلخ : أى يقلن إنه كالعسيب من النخل وسط هذا الموضع ، يعنى أنه محبب إلى النساء يعكفن حوله ، ويحطن به ويألفنه .

(٤) آض : صار . السخد : ماء الرحم الذى يخرج مع الولد ، وهو ماء أصفر غليظ ، شبه جسده فى نعمته وترجرجه به . مورما : منتفخا .

وَيشْرَبُ حَتى يَغْمُرَ المَحْضُ قَلْبَهُ
وَإِنْ أُعْطَهُ أَجْعَلْ لِقَلْبِيَ مَجْثَمَا (١)
كأَنَّ السِّلاحَ فَوْقَ شُعْبَةِ بانَةٍ
تَرَى نُفُجًا وَرْدَ الأسِرَّةِ أَسْحَمَا (٢)

واستخدم طرفة هذا الأسلوب الساخر عند هجائه للملك عمرو ابن هند ، حين قال (٣) :

فليتَ لنا مكانَ المَلْكِ عَمْرٍو رَغُوثًا حولَ قُبَّتِنا تَخُورُ (٤)
مِنَ الزَّمِراتِ أَسْبَلَ قادِماهَا وضَرَّتُها مُرَكَّنَةٌ دَرُورُ (٥)
يُشارِكُنا لنا رَخِلانِ فيها وتَعْلُوها الكِباشُ فما تَنُورُ (٦)

وتشيع روح المرح والسخرية فى مواضع متفرقة من شعر بنى بكر ، من مثل ما نجده عند الأعشى حين يصور لنا أحدَ البخلاءِ وقد زاره يوما صديقٌ له . يقول (٧) :

---

(١) المحض : اللبن الخالص . مجثم : موضع يكون فيه .

(٢) الشعبة : طرف الغصن . البانة : شجرة ضعيفة لينة ، شبه بها جسمه فى لينه ورخاوته . نفجا : ضخم الأرداف . ورد : أحمر . الأسرة : أسرة البطن . الأسحم : الأسود .

(٣) الديوان ص ٩٢ .

(٤) الرغوث : النعجة المرضع . تخور : تُصَوِّتُ ، وأصل الخُوار للبقرة .

(٥) الزمرات : القليلات الصوف . أسبل : طال وكمل . قادِماها : خلفاها .

(٦) رخلان : مثنى رخل ، وهى الأنثى من أولاد الضأن . تعلوها الكباش : تلقحها . تنور : تنفر .

(٧) الديوان . القصيدة ٦/٧ .

إذا زارَهُ يوما صديقٌ كأنَّمَا   رأى أسَدًا فى بَيْتِهِ والأَسَاوِدَا

ومن مثل تشبيهه صرخة المغلوب بصرخة الحُبْلَى حين يأتيها المَخَاض :

أُصَالِحُكُمْ حتى تَبُوءُوا بِمِثْلِهَا   كَصَرْخَةِ حُبْلَى يَسَّرَتْهَا قَبُولُها (١)

* * *

(٣)

الخصائص اللفظية والأسلوبية

مذهب السهولة والصعوبة من القضايا التى تقفز إلى ذهن الباحث فى الأدب القديم رغما عنه ، مع أنه مذهب خداع (٢) . ولعلنا نسأل : ما صعوبة الألفاظ ؟ والجواب أنها تتأتى من كونها تنتمى إلى مرحلة لغوية سابقة ، وأنها لم تعد تجرى على اللسان العربى فى زمن يحكمون بصعوبتها أو عدم فهم مضمونها قياسا على حسهم اللغوى المعاصر دون الاستعانة بالمعاجم اللغوية .

وإذا كانت السهولة والصعوبة مذهبا من مذاهب التعبير عند الأدباء والشعراء ، فإن هذا المذهب لم يَجِدْ طريقه إلا فى العصور التالية لعصر التدوين حين أصبح لدى الأدباء والشعراء رصيدٌ لُغَوِىّ مُدَوَّن يختلف فى بعض مفرداته وتراكيبه عما هو شائع فى عصرهم ، فإذا

---

(١) المصدر نفسه . القصيدة ١٧/٢٣ .

(٢) انظر ، طه حسين : فى الأدب الجاهلى ص ٢٥٨ .

استعملوا من الألفاظ ما خرج عن دائرة الحياة ، وُصِفُوا بالإغْرَاب ، وإن استعملوا ألفاظا لازالت على قيد الحياة فى عصرهم نُعِتُوا بالسهولة . وهذا أمر مازلنا نلمسه فى عصرنا الحديث . أما فى العصر الجاهلى فلَسْنا نتصور أن شاعرا بعينه كان يُغْرِبُ فى ألفاظه ، وآخر كان يختار السهل منها . ولسنا نتصور إلا أن الشعراء الجاهليين جميعهم كانوا ينهلون من قاموس لغوى واحد شاعت مفرداته فى عصرهم ، وأن هؤلاء الشعراء كانوا يتفاضلون فى التركيب الشعرى والصناعة الفنية . فإذا وجدنا – بمقياس عصرنا – سهولة أو صعوبة فى فهم دلالة الألفاظ ، فهذا معناه أن ما نظنه سهلا إنما هى ألفاظ كُتب لها الحياة . أما فى العصر الجاهلى فلا نظن أن مذهب السهولة والصعوبة – فى الألفاظ – كان له وجود ، ودليلنا على ذلك أننا نجد عند الشاعر الواحد قصائد يمكن أن نفهمها دون الرجوع إلى المعاجم ، وأخرى لا يتيَّسر فهمها إلا بعد الرجوع إلى المعاجم المطولة ، ونمثل لذلك بشعر المرقش الأكبر ، يقول [1] :

قُلْ لأسماء أنْجِزِى الميعادا وانْظُرِى أنْ تُزَوِّدِى منكِ زادا
أينَما كُنْتِ أو حَلَلْتِ بأرضٍ أو بلادٍ أحْيَيْتِ منكِ البلاد
إنْ تَكُونى تَرَكْتِ رَبْعَكِ بالشأْ م وجاوَزْتِ حِمْيَرًا أو مُرادا
فارْتَجِى أنْ أكونَ منكِ قَريبا فاسْألِى الصَّادِرِينَ والوُرَّادَا
وَإذا ماسَمِعْتِ من نحوِ أرضٍ بِمُحِبٍ قَدْ مَاتَ أو قِيلَ كَادَا
فاعْلَمِى غَيْرَ عِلْمِ شَكٍّ بأنى ذاكَ ، وابْكِي لِمُصْفَدٍ أنْ يُفادَى

هذه الأبيات لا نكاد نحسُّ فيها بصعوبة أو إغراب سواء فى

---

(١) المفضلية ١٢٩ .

ألفاظها ، أو معانيها ، فإذا قرأنا حديثه عن ناقته (١) :

فَهَلْ تُبلِغَنِّى دارَ قَوْمِىَ جَسْرَةٌ
خَنُوفٌ عَلَنْدَى جَلْعَدٌ غيرُ شَارِفِ (٢)
سَدِيسٌ عَلَتْها كَبْرَةٌ أو بُوَيْزِلٌ
جُمالِيَّةٌ فى مَشْيِها كالتَّقَاذُفِ (٣)

فإننا نُحِسُّ بصعوبة بالغة فى فهم كثير من ألفاظها دون أن نستعين بالمعاجم المطولة . وإذا عرضنا لشعر المرحلة الثانية ، وجدنا الظاهرة نفسها ، وهو جمع الشاعر الواحد بين مانُسَمِّيهِ صعبا وما نُسَمِّيهِ سهلا . فهذا طرفة بن العبد يصف ناقته قائلا (٤) :

صُهابِيَّةُ العُثْنُونِ مُؤْجَدَةُ القَرا بَعِيدَةُ وَخْدِ الرِّجْلِ مَوَّارَةُ اليَدِ (٥)
أُمِرَّتْ يَدَاها فَتْلُ شَزْرٍ وأُجْنِحَتْ لَها عَضُدَاها فى سَقِيفٍ مُسَنَّدِ (٦)

---

(١) المفضلية ١٦/٥٠ ، ١٧ .

(٢) الجسرة : الناقة الطويلة على الأرض . الخنوف : التى إذا سارت قلبت خف يدها أو هى اللينة اليدين فى السير . علندى : أى الوثيقة المجتمعة .
الشارف : الهرمة .

(٣) السديس : التى استوفت سبع سنين ، يقال للذكر والأنثى . علتها كبرة : أى من رآها ظن أن لها من السنين أكثر مما لها . بويزل : مصغر بازل ، وهى التى طلع نابها . الجمالية : المشبهة بخلق الجمل . التقاذف : التدافع فكأنها ترج بنفسها رَجًّا .

(٤) المعلقة . الديوان ص ٣٩ - ٤٠ .

(٥) العثنون : ما تحت لحييها . مؤجدة : شديدة . القرا : الظهر . الوخد : أن ترج بقوائمها وتسرع .

(٦) أمرت : فتلت فتلا شديدا . الفتل الشزر : الفتل عن اليسار وهو أشد الفتل . السقيف : المقصود به هنا الزور ، أى كأن زورها صفائح من حجارة . مسند : أسند بعضه إلى بعض .

جَنُوحٌ دِفاقٌ عَنْدَلٌ ثُمَّ أُفْرِعَتْ　　لَها كَتِفاها فى مُعَالًى مُصَعَّدِ (١)
كَأَنَّ عُلُوبَ النِّسْعِ فى دَأْيَاتِها　　مَوارِدُ من خَلْقاءَ فى ظَهْرِ قَرْدَدِ (٢)
تَلاقَى وأحيانا تَبِينُ كأنها　　بَنائِقُ غُرٌّ فى قَمِيصٍ مُقَدَّدِ (٣)

ثم ها هو الشاعر نفسه يتحدث عن إسرافه فى شرب الخمر ، وما كان من نصح الأقارب له بالامتناع عنها ، ثم يحدثنا عن حياة الغُرْبَة التى عاشها وقول إحدى النساء له : « أليس لك أهل تعيش بينهم ؟ » ثم دعاؤه عليها أن تَذُوقَ مرارة الغربة ثم تسأل هذا السؤال . فيقول (٤) :

وما زالَ شَرْبِي الراحَ حتَّى أشَرَنِى　　صَدِيقِى وحتى ساءَنِى بَعْضُ ذَلِكِ
وحتى يقول الأقربون نَصاحَةً　　ذَرِ الجَهْلَ واصْرِمْ حبلَها من حِبالِكِ
ولا غروَ إلا جارتى وسُؤالُها　　ألا هل لنا أهْلٌ ؟ سُئِلتِ كذلِكِ
تعيِّرُنى جَوْبَ البلادِ ورحلتى　　ألا رُبَّ دارٍ لى سِوَى حُرِّ دَارِكِ
وليس امرُؤٌ أفْنَى الشَّبابَ مُجَاوِرًا　　سِوى حَيِّهِ إلَّا كآخَرَ هَالِكِ

ونخلص من ذلك إلى أن شعر بنى بكر فى مرحلتيه ، قد تفاوت بين السهولة وبين الصعوبة والإغراب – بمقياس عصرنا – من شاعر إلى آخر ، ومن قصيدة إلى أخرى للشاعر الواحد ، أو داخل القصيدة الواحدة .

---

(١) جنوح : تميل نشاطا وسرعة . دفاق : متدفقة فى سيرها . عندل : ضخمة الرأس . معالى : عال . مصعد : مرتفع .

(٢) علوب : جمع علب ، وهى الآثار . الدأيات : فقر الظهر . خلقاء : صخرة ملساء . قردد : أرض مرتفعة صلبة .

(٣) تلاقى : يعنى الموارد . تبين : تتفرق . البنائق : جمع بنيقة ، وهى جيب القميص وطوقه . غر : بيض . مقدد : قديم .

(٤) ديوان طرفة ص ١٠٩ وما بعدها .

ومادمنا نتحدث عن وعورة بعض الألفاظ فى شعر بنى بكر ، فلا بأس أن نشير إلى أن هذا الشعر قد حمل إلينا ألفاظا لم ترد فى المعاجم ، كما حمل إلينا هذا الشعر بعض الألفاظ الفارسية .

أما الألفاظ التى لم ترد على هذا النحو الذى استعمله الشعراء البكريون فى المعاجم أو التى فات مصنفوها أن يدونوها (١) ، فمن مثل قول المرقش الأكبر (٢) .

وقِدْرٍ تَرَى شُمْطَ الرِّجالِ عِيَالَهَا   لها قَيِّمٌ سَهْلُ الخَليقَةِ **آنِسُ**

والآنس ، من قولهم « جارية آنسة » أى طيبة النفس ، واستعماله فى المذكر لم تنص عليه المعاجم ، وإن كان هذا الاستعمال صحيحا من الناحية القياسية .

ومن مثل قوله (٣) :

عِظامُ الجِفَانِ بِالعَشِيَّاتِ والضُّحى   مَشَايِيطُ للأَبْدَانِ ، غَيْرُ **التَّوارِف**

فالتوارف : جمع تارِف ، من التُّرْفَةِ ، وهى النَّعْمَةُ والدَّعَة . وهذا الجمع من النوادر ولم يُذْكَر فى المعاجم .

ومن مثل قول الحارثِ بْنِ حِلِّزَة (٤) :

وبالسَّبِيكِ الصُّفْرِ يُضْعِفُها   وَبِالبَغَايا البِيضِ واللُّعْسِ

---

(١) انظر ، فهرس الحروف التى لم تذكر فى المعاجم ، المفضليات ص ٥٠٣ والأصمعيات ص ٢٨١ من عمل الأستاذين أحمد محمد شاكر وعبد السلام هارون وعليهما اعتمدت .

(٢) المفضلية ١٢/٤٧ .

(٣) المفضلية ١٤/٥٠ .

(٤) المفضلية ١٢/٢٥ .

فالسبيكة هى القطعة من الذهب أو الفضة . والمراد هنا الذهب ، لقوله الصفر وجمعها سبائك ، أما سَبِيك فلم تَرِدْ فى المعاجم .

ومن مثل قول المُنَخَّل اليشكرى (١) :

يَعْكُفْنَ مِثْلَ أَسَاوِدِ الـ تَّنُّومِ لم تُعْكَفْ لِزُورِ .

يعكفن : يمشطن شعرهن ويضفرنه ، وهذا الفِعل لم يُذْكَر فى المعاجم ، وإنما ذَكَرَ القاموس منه اسم المفعول .

وتكثر مثل هذه الألفاظ فى شعر البكريين (٢) ، وإنما مَثَّلْنَا لها تمثيلا . على أن هذا الأمر لا ينفرد به الشعر البكرى ، وإنما نجده لدى كثير من شعراء الجاهلية (٣) .

ويرتبط بهذا اللون من المفردات التى لم تدر فى المعاجم ، تلك الألفاظ الفارسية التى أوردها الأعشى فى شعره . ولا عجب أن يعمد شاعر الخمر الْمَرِح إلى استعمالها وقد جاور الفُرْسَ واختلط بهم . مع ملاحظة أن هذه الألفاظ أسماء لنباتات أو رياحين أو أوَانٍ ، وأن معظمها لم يكن له ما يقابله فى العربية .

---

(١) الأصمعية ١٢/١٤ .

(٢) انظر الأصمعيتين ٢٥/٥٥ ، ١٠/٥٦ وهما لعلباء بن أرقم . والمفضليات ٤/٤٧ ، ٣/٤٩ ، ١٦/٥٠ ، ٨/٥١ ، ٦/٥٢ وهى للمرقش الأكبر . والمفضليات ٦/٧٢ ، ٤/٧٣ ، ٥ ، ٤/٨٣ لعبد المسيح عسلة . و٧/٤٠ ، لسويد بن أبى كاهل و ١/٨٦ ، ٧ و ٥/٨٧ لراشد بن شهاب اليشكرى .

(٣) انظر ، فهارس المفضليات والأصمعيات « فهرس الحروف التى لم تذكر فى المعاجم » وهى فهارس فريدة من عمل الأستاذين أحمد محمد شاكر وعبد السلام هارون .

وإذا مثلنا لتلك الألفاظ التى أوردها الأعشى ؛ فإننا نختار هذه الأبيات من القصيدة التى مدح بها إياس بن قبيصة الطائى والى الفرس على العراق (١) :

لَنَا جُلَّسَانٌ عِنْدَها وَبَنَفْسَجٌ وَسِيسَنْبَرٌ والْمَرْزَجُوشُ مُنَمْنَما
وآسٌ وَخِيرِىٌّ وَمَرْوٌ وسَوْسَنٌ إِذَا كانَ هِنْزَمْنٌ وَرُحْتُ مُخَشَّمَا
وشَاهَسْفَرِمْ والياسَمِينُ ونَرْجِسٌ يُصَبِّحُنَا فى كُلِّ دَجْنٍ تَغَيَّمَا
ومُسْتَقُ سِينِينٍ وَوَنٌّ وَبَرْبَطٌ يُجَاوِبُهُ صَنْجٌ إِذَا ماتَرَنَّمَا

وحقا ترد مثل هذه الألفاظ الأجنبية فى شعر الأعشى (٢) ، ولكنها لا تكثر فى أى من قصائده كما كَثُرتْ فى هذه القصيدة .

الأسلوب :

يمكننا القول بأن القصيدة البكرية قد عرفت الوحدة الموضوعية فى بعض جوانبها ، وأنه قد تحقق لها هذا من خلال أساليب البكريين فى التعبير والتى اتسمت – فى عمومها – بسمات ثلاث ، هى : الحكاية أو السرد ، والتضمين ، والاستطراد .

الحكاية والسرد :

وهو ما يمكن أن نسميه تَجَوُّزًا بالقصص ، وهى سمة لا نجدها إلا فى شعر المرحلة الثانية ، أما شعر المرحلة الأولى فيخلو منها خلوا تاما ، هذا إذا لم نأخذ فى حسباننا تلك الأبيات الثلاث التى أوردها المرقش

---

(١) القصيدة ٥٥/٨ – ١١ .

(٢) انظر ، ديوان الأعشى الكبير ، حيث أفرد شارح الديوان د . محمد حسين فهرسا خاصا للألفاظ التى وردت فى الديوان ومواضعها .

الأكبر ، والتى يتحدث فيها عن الذئب الذى أتى إليه وهو مقيم مع رفاقه فى الصحراء يشعلون النار ، ويُعِدُّون الشِّواء ، فوقف الذئب غير بعيد ، يطلب فَضْلَ شِوائِهم ، فألقى إليه المرقِّش قطعةً عاد بها الذئب فَرِحا منتشيا كما يعود الفارس المغوار من ميدان الحرب بغنيمته . هذه الأبيات التى يمكن أن تُعَدَّ إرهاصا لِنُمُوِّ فَنِّ السَّرْدِ والحكاية عند الشعراء البكريين – فيما بعد – خلال المرحلة الثانية . يقول المرقش (١) :

ولما أضأنا النارَ عِنْدَ شِوائِنا ... عَرَانا عليها أَطْلَسُ اللونِ بَائِسُ (٢)
نَبَذْتُ إليه حُزَّةً مِنْ شِوَائِنَا ... حَيَاءً، ومافُحْشِى عَلَى مَنْ أُجالس (٣)
فآضَ بها جَذْلانَ يَنْفُضُ رأسَهُ ... كما آبَ بالنَّهْبِ الكَمِىُّ المحُالِسُ (٤)

أما فى شعر المرحلة الثانية فما أكثر الحكاية والسرد ، من مثل قول المُنَخَّلِ الْيَشْكُرِىِّ (٥) :

ولَقَدْ دَخَلْتُ على الفتا ... ةِ الخِدْرَ فى اليومِ المطيرِ
الكاعِبِ الحسناءِ تَرْ ... فُلُ فى الدِّمَقْسِ وفى الحَرِيرِ
فَدَفَعْتُها فَتَدَافَعَتْ ... مَشْىَ القَطَاةِ إلى الغَدِيرِ
ولَثَمْتُها فَتَنَفَّسَتْ ... كَتَنَفُّسِ الظَّبْىِ البَهِيرِ (٦)

---

(١) المفضلية ٤٧/٤ – ١٦ .

(٢) عرانا : آتانا طالبا معروفنا . أطلس اللون : عنى به الذئب . والطُّلْسَة : لون الخرقة البالية ، أراد أنه أغبر إلى سواد .

(٣) الحزة ، بضم الحاء : القطعة .

(٤) آض : رجع . النهب : الغنيمة . المحالس : الشديد الذى لا يبرح مكانه فى الحرب .

(٥) الأصمعية ١٤ .

(٦) البهير : من « البهر » وهو ما يعترى الإنسان عند السعى الشديد والعدو من النهج وتتابع النفس .

فَدَنَتْ وقالَتْ يامُتَخَـ ـلُ مابِجِسْمِكَ من حَرُورِ (١)
ماشَفَّ جِسْمِيَ غَيْرُ حُبِّـ ـكِ فاهْدَئِي عنى وسِيرِى
وأُحِبُّهَـا وتُحِبُّنِـى ويُحِبُّ نَاقَتَها بَعِيرِى

ومن مثل قول الأعشى (٢) الذى يقف علما شامخا فى هذا الفن :

فبَعَثْتُ جِنِّيًّا لنـا يأتى بِرَجْعِ جَوَابِها (٣)
فَمَشَى ولَمْ يَخْشَ الأنِيـ ـسَ فزارها وخَلَا بِها
فَتَنَازَعا سِرَّ الحديـ ـثِ فأَنْكَرَتْ فَنَزا بِها (٤)
عَضْبُ اللسَانِ مُتَقِّنٌ فَطِنٌ لما يُعْنَى بِها (٥)
صَنَعٌ بِلِينِ حَدِيثِهَا فَدَنَتْ عُرَى أَسْبابِهَا
قَالَتْ قَضَيْتَ قَضِيَّةً عَدْلًا لنا يُرْضَى بِهَا
فأرادَها كيف الدُّخو لُ وكيف مايُؤْتَى لَهَا (٦)
فى قُبَّةٍ حَمْرَاءَ زَيَّـ ـنَها ائْتِلَاقُ طِبَابِهَا (٧)
ودَنَـا تَسَمُّعُـهُ إلى ما قالَ إذْ أَوْصَى بِهَا
إنَّ الفتـاةَ صغيرةٌ غِرٌّ فلا يُسْدَى بِها (٨)

---

(١) الحرور : الحر .
(٢) القصيدة ١٥/٣٩ - ٣٣ .
(٣) جنيا : يقصد رسولا حاذقا ذكيا .
(٤) تنازعا سر الحديث : أى أنه كان يناقشها فى صوت مخفوض حتى لا يسمعها أحد . نزا : وثب ، أى حاجها فغلبها .
(٥) عَضْبُ اللسان : عَضب فاعل نزا ، يقصد صاحبه ، والعضب هو الحاد القاطع ، أى أنه رجل حديد اللسان .
(٦) كيف ما يؤتى : ما مصدرية أى كيف السبيل إلى المجيء إليها .
(٧) طبابها : من طبابة السماء أى طرتها المستطيلة .
(٨) يسدى بها : يلعب بها .

وَاعلمْ بأنِّى لمْ أُكَلِّـ ـمْ مِثْلَها بِصِعابِهَا (١)
إنى أَخَافُ الصَّرْمَ مِنْـ ـها أو شَحِيجَ غُرابِها (٢)
فدَخَلْتُ إذْ نامَ الرقيـ ـبُ فبِت دُونَ ثِيابِها (٣)
حتى إذَا ما استَرْسَلَتْ مِنْ شِدَّةٍ لِلِعَابِها (٤)
قَسَّمْتُهَا قِسْمَيْـن كُـ ـلَّ مُوَجَّهٍ يُرْمَى بِها (٥)
فَثَنَيْتُ جِيدَ غَرِيـرَةٍ وَلَمَسْتُ بَطْنَ حِقابِهَا (٦)
كالحُقَّةِ الصَّفْراءِ صَا كَ عَبِيرُهَا بِمَلَابِهَا (٧)
وَإذَا لنـــا تامُــورَةٌ مَرْفُوعـــةٌ لِشَرابِها (٨)

ويكثر هذا اللون فى نتاج المرحلة الثانية من شعر بنى بكر (٩) وإنما مثلنا له تمثيلا .

---

(١) صعابها : مصدر صاعبه أى أجهده ، ضد ساهله .

(٢) الصرم : القطيعة . الشحيج : نعيق الغراب .

(٣) بت : قضيت ليلتى . دون ثيابها : أى قريبا منها . ودون تكون بمعنى أمام وخلف وفوق وتحت ، وهى ظرف يفيد القرب على كل حال .

(٤) استرسل : انبسط واستأنس . لعاب : مصدر لاعب .

(٥) موجه : مصدر ميمى من وجّه ، أى أنه يرمى بها كل وجه ويصرفها كيفما أراد .

(٦) غريرة : ساذجة قليلة التجربة . الحقاب : شيء تتخذه المرأة لتعلق به معاليق الحلى وتشده إلى وسطها ، وقد يقصد به هنا سراويلها أو عِلاقة صدرها .

(٧) الحقة : وعاء الطيب ، وهى صفراء من أثر الطيب . صاك : لصق . العبير : أخلاط من الطيب كالمسك والعنبر ونحو ذلك . الملاب : كل عطر سائل (فارسى معرب) .

(٨) التامورة : وعاء للشراب . مرفوعة : أى رفيعة أو مقربة مهيأة .

(٩) راجع فى ديوان الأعشى ، القصائد ١١/١٢ – ١٦ و ٢٤ – ٢٨ ، ٥/٢٢ – ٩ ، ٥/٢٩ – ٩ وديوان طرفة ص ١٢٦ وما بعدها .

التَّضْمِين :

ونقصد به توالى مجموعة من الأبيات ، يستقل كل بيت منها بمعناه إلى حد كبير ، ولكن المعنى العام لا يتم إلا بالبيت الأخير ، ولذا يظل السامع أو القارئ متتبعا للشاعر ، معلقا انتباهه بتوالى الأبيات حتى يستريح إلى البيت الأخير فيقع من نفسه موقع الخاتمة فى القصة . والتضمين بهذا المعنى يكثر فى الشعر البكرى بمرحلتيه [١] . من مثل قول المرقش الأصغر [٢] :

وما قهوةٌ صَهْبَاءُ كالمِسْكِ رِيحُها
تُعَلَّى على النَّاجُودِ طورًا وتُقْدَحُ [٣]

ثَوَتْ فى سِباءِ الدَّنِّ عشرين حِجَّةً
يُطانُ عليها قَرْمَدٌ وتُرَوَّحُ [٤]

سَباها رِجالٌ من يهودَ تَباعَدُوا
لِجِيلَانَ يُدْنِيها مِنَ السُّوقِ مُرْبِحُ [٥]

---

(١) انظر ، على سبيل المثال أيضا : المفضلية ٤٦/٩ – ١١ للمرقش الأكبر ٥١/٥ – ٦ ، ١٢٩/٥ – ٦ . وديوان الأعشى الكبير القصائد ٢٣/٣ – ٢٥ ، ٣٦/٤ – ٣٩ ، ٥٥/٥ – ٥٨ ، ٣٩/٣٢ – ٤١ وقد أورد شارح الديوان حصرا لأمثلة التضمين ويسميه الاستدارة فى هامش ص أ . م من المقدمة . وسويد بن أبى كاهل فى المفضلية ٤٠ : ٢٣ – ٢٥ . وراشد بن شهاب فى المفضلية ٨٦/١١ – ١٢ .

(٢) المفضلية ٥٥/٨ – ١١ .

(٣) القهوة : الخمر . الصهباء : الشقراء أو الحمراء . تعلى : ترفع . الناجود : المصفاة . تقدح : تغرف بالقدح .

(٤) ثوت : أقامت . فى سباء الدن : فى أسره ، احتواها كأنها سبى . يطان : يجعل عليها الطين . القرمد : طين يطلى على رأس الدن . تروح : تخرج إلى الريح وتبرد .

(٥) السباء : اشتراء الخمر . جيلان : بلد من بلاد العجم .

بأطيبَ من فيها إذا جِئْتُ طَارِقًا
مِنَ الليلِ ، بل فُوهاَ أَلَذُّ وأَنْصَحُ (١)

ومن مثل قول طرفة بن العبد (٢) :

إنـــا إذَا ما الغَيْـــمُ أمسَى كأنـــهُ
سَماحِيقُ ثَرْبٍ وَهْيَ حمراءُ حَرْجَفُ (٣)
وجـــاءتْ بِصُرَّادٍ كأن صَقِيعَـــهُ
خِلالَ البيـوتِ والمَبَـارِكِ كُرْسُفُ (٤)
وجاء قَرِيعُ الشَّوْلِ يرقُصُ قبلَها
من الدفءِ والراعي لها مُتَحَرِّفُ (٥)
تَرُدُّ العِشارَ المُنْقِياتِ شَظِيَّهَا
إلى الحَيِّ حتى يُمْرِعَ المُتَصَيَّفُ (٦)

الاستطـراد :

الاستطراد هو أن يخرج الشاعر عن الموضوع الذى يعالجه

---

(١) أنصح : أخلص وأطيب .

(٢) الديوان ص ١٠٠ - ١٠١ .

(٣) السماحيق : شحم رقيق يكون على ثرب الشاة . والثرب : الشحم الذى يغطى الكرش والأمعاء . شبه الغيم بها لتقطعه وبياضه وهى حمراء : أى الريح ، وحمراء بسبب ما يطير من القتام . حرجف : شديدة باردة .

(٤) وجاءت : أى الريح . بصراد : بسحاب لا ماء فيه ، بارد . كُرْسُف : قطن .

(٥) القريع : الفحل . رقص البعير : نوع من سرعته . متحرف : بعيد .

(٦) المنقيات : السمان . شظيها : جمع شظية ، وهى عظم الساق . يمرع : ينبت فيه المرعى . المتصيف : المكان الذى يقيمون فيه صيفا .

لمناسبة عارضة ، فيمضى مع موضوعه الجديد مُفَصِّلًا القول فيه ، ثم يعود مرة أخرى ليربط بين الموضوعين ، فمن ذلك – مثلا – أن يشبه الشاعر ناقته بثور الوحش ، ثم يترك الناقة – وهى موضوع الحديث – ويمضى مع ثور الوحش ، يصوره وقد فاجأه المطر ، ثم طارده الصياد بكلابه ، فراح الثور يدافع عن نفسه فى جرأة حتى ينتصر على الكلاب بعد أن ينال منه الإجهاد . ويعود الشاعر بعد حديثه الطويل عن الثور ليربط بينه وبين الناقة – وهى موضوع حديثه الأصلى – فيقول إن ناقته تشبه هذا الثور فى تخطيها لما يعترض طريقها من عقبات وصعاب . وهذا أسلوب مشهور ومعروف ، جرى عليه الشعراء الجاهليون فى وصف الناقة بخاصة ، ولكنهم لم يستعملوه فى غيرها إلا نادرا (١) . أما الشعراء البكريون فقد توسعوا فى استعمال هذا الأسلوب فى أغراض أخرى كالغزل والوصف والمدح . وجمعوا بينه وبين التضمين ، كما جمعوا بينه وبين القص أو السرد والحكاية أحيانا ، من مثل ما نجده عند طرفة بن العبد وهو يتحدث عن حُبِّهِ لسَلْمَى ، وما كان من أمره معها ، وما كابده من وَجْدٍ وشَوق وحرمان . ويكثر الاستطراد فى شعر البكريين ، من مثل ما نجده عند المُسَيَّبِ بْنِ عَلَسٍ حين يشبه حبيبته باللؤلؤة ثم يمضى – على سبيل الاستطراد – فيحكى لنا ما يعانيه الغواصون من جُهْدٍ ومَشَقَّةٍ فى سبيل الفَوْزِ بها . يقول (٢) :

نَظَرَتْ إليكَ بعَيْنِ جَازِئَةٍ   فى ظِلِّ بارِدَةٍ من السِّدْرِ

---

(١) انظر ديوان الأعشى الكبير . مقدمة الشارح .

(٢) كتاب الصبح المنير فى شعر أبى بصير ، مجموعة ما أُنشد للمسيب بن علس ص ٣٥٢ وما بعدها .

كَجُمانَةِ البَحْرِيِّ جاء بها غَوَّاصُها من لُجَّةِ البَحْرِ
صَلِبُ الفُؤادِ رئيسُ أرْبَعَةٍ مُتَخالِفِى الألْوانِ والنَّجْرِ (١)
فتنازَعُوا حتى إذَا اجْتَمَعُوا ألْقَوا إليه مَقالِدَ الأمْرِ
وَعَلَتْ بِهِمْ سَجْحاءُ خادِمَةٌ تَهْوِى بِهِمْ فى لُجَّةِ البَحْرِ (٢)
حتى إذا ماسَاءَ ظَنُّهُمُ ومضى بِهِمْ شَهْرٌ إلى شَهْرِ
ألقى مَراسِيَهُ بِتَهْلُكَة ثَبَتَتْ مَراسِيها فَما تَجْرِى
فَانْصَبَّ أسْقَفُ رَأْسُهُ لَبِدٌ نُزِعَتْ رَباعِيَتَاهُ للصَّبْرِ (٣)
أَشْفَى يَمُجُّ الزَّيْتَ مُلْتَمِسٌ ظَمآنُ مُلْتَهِبٌ مِنَ الفَقْرِ (٤)
قَتَلَتْ أباهُ فقالَ أتْبَعُهُ أو أسْتَفِيدُ رَغِيبَةَ الدهْرِ (٥)
نصف النَّهارِ الماءُ غامِرُهُ وَرَفِيقُهُ بِالغَيْبِ لا يَدْرِى
فأصَابَ مُنْيَتَهُ فجاءَ بِها صَدَفِيَّةً كَمُضِيئَةِ الجَمْرِ (٦)
يُعْطِى بِهَا ثَمَنًا وَيَمْنَعُهَا ويقول صاحِبُهُ ألا تَشْرِى
وَتَرَى الصَّوارِى يَسْجُدُونَ لَها وَيَضُمُّها بِيَدَيْهِ لِلنَّحْرِ (٧)
فتلك شِبْهُ المالِكِيَّةِ إذْ طَلَعَتْ بِبَهْجَتِها مِنَ الخِدْرِ

وهذا هو عين ما نجده عند الأعشى — وهو هنا ربيب المُسَيَّب — فى مثل قوله (٨) :

---

(١) النجر : الطبع والمنبت .

(٢) سجحاء : سهلة مستقيمة فى سيرها .

(٣) أسقف : طويل فى انحناء .

(٤) أشفى : سار آخر الليل .

(٥) رغيبة الدهر : أى الجمانة .

(٦) صدفية : كصدف المحارة .

(٧) الصوارى : جمع أصور ، المتجه إليها بصره ويضمها بيديه للنحر . كناية عن حرصه عليها وتعلقه بها .

(٨) الديوان . القصيدة ٨٠/٩ — ١٧ .

كَأَنَّهـا دُرَّةٌ زَهْـراءُ أَخْرَجَهَـــا
غَوَّاصُ دَارِينَ يَخْشَى دُونَها الغَرَقا (١)

قد رَامَها حِجَجًا مُذْ طَرَّ شارِبُهُ
حتى تَسَعْسَعَ يرجُوها وقد خَفَقَا (٢)

لا النفسُ تُوئِسُهُ منها فيتْرُكُها
وقد رأى الرَّغْبَ رَأْىَ العينِ فاحْترقا (٣)

ومارِدٌ من غُواةِ الجِنِّ يحْرُسُها
ذُو نِيقَةٍ مُسْتَعِدٌّ دُونَها تَرَقَا (٤)

لَيْسَتْ له غَفْلَةٌ عَنْها يُطِيفُ بها
يَخْشَى عليها سُرَى السَّارِينَ والسَّرَقَا (٥)

حِرْصًا عَلَيْها لو آنَّ النَّفْسَ طاوَعَهَا
منه الضَّمِيرُ لَبالَى الْيَمَّ أَوْ غَرِقَا

فى حَوْمِ لُجَّةِ آذِىٍّ لهُ حَدَبٌ
مَنْ رَامَها فَارَقَتْهُ النفسُ فاعْتَلَقَا (٦)

---

(١) زهراء : بيضاء مشرقة . دارين : ثغر فى البحرين .

(٢) رامها : طلبها . طرَّ شاربه : نبت وظهر . تسعسع : هرم واضطرب .

(٣) الرغب ، بفتحتين : المرغوب ، سكنت العين لضرورة الشعر . والرغب ، بفتح فسكون مصدر رغب فى الشىء أى أراده . احترق : أى شوقا وطمعا وحرصا على الدرة .

(٤) مرد : عتا وتجبر ، والمارد كذلك المرتفع . غواة : جمع غاو وهو الضال المنهمك فى الجهل . النيقة : من تنوق فى الأمر بالغ فيه وجوده . الترق : شبيه بالدرج .

(٥) يطيف بها : يدور حولها فى حراسته لها . السرى : سير الليل ، يقصد الذين يصيدون فى الليل . السرق والسرقة واحد ، مصدر سرق .

(٦) الآذى : موج البحر . الحدب : المرج وتراكب الماء فى جريه . حومة الماء : معظمه . اعتلق . أى علقته المنية فمات .

من نالها نَالَ خُلْدًا لا انقطاعَ لَهُ
وما تمنى فأضْحَى ناعِمًا أَنِقَا (١)
تلك التى كَلَّفتكَ النفسُ تأمُّلَها
وما تَعَلَّقْتَ إلا الحَيْنَ والحَرَقَا (٢)

(٤)

بناء القصيدة فى شعر بنى بكر

تتكون القصيدة الجاهلية – فى شكلها العام – من أجزاء عديدة – قد يكون بينها ترابط أو لا يكون – فلها مقدمة طللية أو غزلية أو ما إلى ذلك ، يتحول بعدها الشاعر إلى وصف راحلته ورحلته ، وما يشاهده فى الصحراء من مشاهد وحيوان ، ثم يعمد بعد ذلك إلى غرضه الأساسى من فخر أو مدح أو هجاء ، وقد يختم القصيدة بأبيات من الحكم والأمثال ، يودعها تجاربه فى الحياة ، ونظرته إلى الأحياء . يقول ابن قتيبة ناقلا رأى بعض أهل الأدب فى زمانه : « إنَّ مُقَصِّدَ القَصِيدِ إنّما ابتدأ فيها بذكرِ الديارِ والدِّمَنِ والآثارِ ، فبكَى وشَكَا ، وخاطَبَ الرَّبْعَ ، واستوقَفَ الرفيقَ ، ليجعلَ من ذلك سببًا لِذكْرِ أهلِها الظاعِنينَ عنها .... ثم وَصَلَ ذلك بالنَّسِيبِ فَشَكَا شِدَّةَ الوَجْدِ وأَلَمَ الفِرَاقِ ، وفَرْطَ الصبابةِ والشوقِ ، ليُمِيلَ نَحْوَهُ القلوبَ ، ويَصْرِفَ إليه الوُجوهَ ... فإذا عَلِمَ أنه استوثق من الأصغاء إليه ، والاستماع له ، عَقَّبَ بإيجاب

---

(١) أنقا : مسرورا .

(٢) الحين : الهلاك . الحرق : النار . يعني بالدرة صاحبته التي أشار إليها فى أول القصيدة .

الحقوق ، فَرَحَل في شِعره ، وشكا النَّصَبَ والسَّهَرَ ، وسُرَى الليلِ وحَرَّ الْهَجيرِ ، وإنْضاءَ الرَّاحِلَةِ والبعيرِ ، فإذا عَلِمَ أنه قد أوْجَبَ عَلَى صاحبِهِ حَقَّ الرَّجاءِ ، وذِمامةَ التَّأْمِيلِ ، وقَرَّرَ عنده ما نالهُ من المكارِهِ فى المسيرِ ، بَدَأَ فى المديح ، فبعثه على المكافأة » (١) .

ولم نَسُقْ حديث ابن قتيبة اعتقادا فى صحته ، وحُسْنِ تعليله فى كل الأحوال ، بل نشك فى هذا التعليل ، ولا نقبل تعميمه ، لأن الشاعر الجاهلى لم يكن دائما شاعرا مدّاحا يطلب النوال ، فضلا عن أن الكثير من قصائد العصر لم تكن مدحا كلها أو طلبَ نوال ، بل إن منها ما لم يشتمل على مديح أو فخر أو هجاء ، بل منها ما لم يشتمل على مقدمات . وإنما سقنا حديث ابن قتيبة لنوضح الشكل الفنى العام للقصيدة ، وتتابع الأغراض على النحو الذى صدرنا به الحديث .

فإذا عرضنا بعد ذلك للقصيدة البكرية ، وجدناها تشهد فى جميع مراحلها ألوانا أربعة :

اللون الأول : يَقْصِدُ فيه الشعراء موضوعاتهم قصدًا دون مقدمات ، وهذا اللون إما مقطوعات (٢) أو قصائد . أما المقطوعات ، فمن مثل قول المُرَقِّش الأكبر (٣) :

هَلْ يَرْجِعَنْ لي لِمَّتي إنْ خَضَبْتُها
إلى عَهْدِها قبل المشيبِ خِضَابُها

(١) الشعر والشعراء ١/٧٤ – ٧٥ .
(٢) المقطوعة – فى رأينا – ما لا تزيد على سبعة أبيات .
(٣) المفضلية ٥٣ .

رَأَتْ أُقْحوانَ الشَّيْبِ فَوْقَ خَطِيطَةٍ
إذَا مُطِرَتْ لَمْ يَسْتَكِنَّ صُؤَابُهَا (١)
فَإنْ يُظْعِنِ الشَّيْبُ الشبابَ فَقَدْ تَرَى
بِهِ لِمَّتِى لَمْ يُرْمَ عَنْهَا غُرابُها (٢)

ومن مثل مقطوعة بِشْرِ بْنِ عَمْرِو بْنِ مَرْثَدٍ زوج الخِرْنِقِ الشاعرة (٣) :

قُل لابْنِ كلثومٍ السَّاعِى بِذِمتهِ ... أَبْشِر بحَرْبٍ تُغِصُّ الشَّيْخَ بالرِّيقِ (٤)

وهى ستة أبيات ، يتوعد فيها عمرو بن كلثوم وصاحبيه ، أن يشن عليهم حربا شعواء أُحْكِمَتْ خِطَّتُها ، وتَخْرُجُ فيها النساء وراء الفرسان ، يذكين فى صدورهم الحماسة والغيرة .

وأما قصائد الشعر البكرى — فى مرحلتيه — التى تخلو من المقدمات ، فمن مثل قصيدة المرقش الأكبر التى مطلعها (٥) :

سَرَى ليلًا خيالٌ من سُلَيْمَى ... فَأَرَّقَنِى وأصحابى هُجُودُ

فكلها أحاديث غزل ، بدأها الشاعر بالحديث عن طيف سلمى

---

(١) الأقحوان : نبت له زهر أبيض ، شبه الشيب به لبياضه . الخطيطة : أرض لم تمطر بين أرضين ممطورتين ، شبه بها رأسه لأنه لا شعر فيه كالخطيطة لا نبت فيها ، إذا فقدت المطر . الصؤاب : بيض القمل . لم يستكن : لم يجد شعرا يأوى إليه .

(٢) شبه سواد شعره بالغراب .

(٣) المفضلية ٧٠ .

(٤) بحرب إذا باشرها الشيخ المجرب غص ريقه ، فمن هو دونه فى السن أَوْلَى .

(٥) المفضلية ٤٦ .

حبيبته ، ثم نعت نار قومها ، واجتماع أترابها الغوانى حولها ، وراح يشبب بهن .

ومن مثل قصيدة جليلة البكرية التى تقول فى أولها (١) :

يابنةَ الأقوامِ إن شِئْتِ فلا تَعْجَلى باللَّوْمِ حَتَّى تَسْألى
فإذا أنتِ تبينتِ الذى يُوجِبُ اللَّوْمَ فَلُومِى واعْذُلى

وأما **اللون الثانى** من الشعر البكرى – فى مرحلتيه – فهو شعر مقطوعات ذات مقدمة وغرض واضح يرتبط بها أشد الارتباط . من مثل هذه المقطوعة التى بدأها المُرَقِّش الأكبر بمقدمة خمرية من بيت واحد جعله مدخلا لفخره بقومه – ولا أعرف فى الشعر الجاهلى مقدمة خمرية غير هذه المقدمة ومقدمة معلقة عمرو بن كلثوم – يقول المرقش الأكبر (٢) :

ياذَاتَ أجْوارِنا قُومى فَحَيِّينَا وَإنْ سَقَيْتِ كِرامَ الناسِ فَاسْقِينا (٣)
وَإنْ دَعَوْتِ إلى جُلَّى ومَكْرُمَةٍ يوما سَرَاةَ خِيارِ الناسِ فَادْعِينا
شُعْثٌ مَقادِمُنا ، نُهْبَى مَراجِلُنا نَأْسُو بأموالِنَا آثارَ ماضِينَا (٤)
المُطْعَمون إذا هَبَّتْ شَآمِيَةٌ وخَيْرُ نادٍ رآه الناسُ نادِينا

ومن مثل هذه القطعة التى مدح بها الأعشى قَيْسَ بْنَ مَعْدِيكَرِبَ (٥) :

---

(١) كتاب بكر وتغلب ص ٤١ .
(٢) المفضلية ١٢٨ .
(٣) أجوار : جمع جار ، ويجمع أيضا على جيرة وجيران .
(٤) يعنى أننا أصحاب حروب وكرم .
(٥) القصيدة ٧١ .

قالَتْ سُمَيَّةُ إذْ رَأَتْ   بَرْقًا يَلُوحُ على الجِبَالِ
ياحَبَّذَا وَادِى النُّجَيْـ   ـرِ وَحبَّذَا قَيْسُ الفَعَالِ (١)
القائِدُ الخَيْلَ الجِيَا   دَ ضوامِرًا مثلَ الْمَغَالِى (٢)
التارِكُ الكَسْبَ الخَبِيـ   ـثَ إذَا تَهَيَّأَ للقِتَالِ (٣)

واللون الثالث : من القصيدة البكرية هو ما اشتمل على مقدمة طللية أو غزلية ثم تخلو القصيدة بعد ذلك مما يسميه البعض بالغرض الأساسى مثل المدح أو الهجاء أو الفخر . وهذا اللون قليل فى الشعر البكرى . من مثل قصيدة المُرَقِّش الأصغر التى أولها (٤) :

لابنةِ عَجْلانَ بالجَوِّ رُسومْ   لَمْ يَتعفَّيْنَ والْعَهْدُ قَدِيمْ (٥)
لابنةِ عَجْلَانَ إذْ نَحْنُ مَعًا   وأىّ حَالٍ من الدَّهْرِ تَدُومْ
أَمِنْ دِيارٍ تَعَفَّى رَسْمُهَا   عينيكَ من رَسْمِها بِسَجُومْ (٦)

فقد شرع المرقِّشُ الأصغر بعد هذه المقدمة الطللية فى وصف رحلته فى الصحراء ، خلال الليل الموحش ، ثم نعت ناقته ، والنار ، وحيوان الصحراء ثم ختمها بأبيات من الحكمة .

---

(١) النجير : حصن فى حضرموت لبنى معديكرب . الفعال ، بفتح الفاء : اسم للفعل الحسن والخير .

(٢) المغالى : جمع مغلاة (بكسر فسكون) وهو السهم الذى يغلى به ، وغلا الرامى بالسهم رمى به أقصى الغاية .

(٣) الكسب الخبيث : أى الحرام والقبيح الذى يلزم صاحبه العار .

(٤) المفضلية ٥٧ .

(٥) الجو : مكان بعينه . لم يتعفين : لم يدرس .

(٦) سجوم : كثيرة إرسال الدمع ، الباء زائدة .

ومن مثل قصيدة الأعشى التى فرغ فيها لفنى الغزل والوصف ، ومطلعها (١) :

أَقْصِرْ فَكُلُّ طالِبٍ سَيَمَلّ   إنْ لَمْ يكُنْ على الحَبِيبِ عِوَلْ (٢)

وأما اللون الرابع والأخير : من القصيدة البكرية – فى مرحلتيها – فهو ما يسمى بالنموذج الفنى للقصيدة الجاهلية ، وهو ما اشتمل على مقدمة يتحدث بعدها فى أغراض متعددة من بينها المديح أو الهجاء أو الفخر أو الرثاء ، وما أكثر هذا اللون فى شعر البكريين ، من مثل قصيدة المرقش الأكبر التى أولها (٣) :

أَلاَ بانَ جِيرَانِى ولَسْتُ بِعَائِفِ
أَدَانٍ بِهِمْ صَرْفُ النَّوى أَمْ مُخالِفِى (٤)
وفى الحَىِّ أبكارٌ سَبَيْنَ فُؤَادَهُ
عُلاَلَةَ مازَوَّدْنَ ، والحُبُّ شَاعِفِى (٥)

ومثلها قصيدته التى رثى بها ابن عمه ثَعْلَبَةَ بْنَ عَوْفِ بْنِ مالكٍ – الذى قتله بنو تَغْلِب – وهى من نادر الشعر الذى يُبدِع فيه الرثاء

---

(١) القصيدة ٥٢ .

(٢) أقصر : كف وانت . عول عليه : اتكل واعتمد ، والاسم عِوَل (بكسر ثم فتح) .

(٣) المفضلية ٥٠ .

(٤) العائف : الذى يزجر الطير يتفاءل بأسمائها وأصواتها وممرها . الصرف : حدثان الدهر ونوائبه .

(٥) العلالة : ما يتعلل به ويتلهى . شاعفى : من قولهم ، « شعفه الحب » اذا أحرق قلبه وذهب بفؤاده .

بالغزل [١] ، وقد ضمنها فخرا بقومه : بكرمهم وشجاعتهم ، ثم ختمها بحكمة حول الشباب وركوبهم الصعاب . ونعنى بذلك قصيدته [٢] :

هَلْ بالدِّيارِ أن تُجيبَ صَمَمْ   لو كان رَسْمٌ ناطِقًا كَلَّمْ
الدارُ قَفْرٌ والرُّسُومُ كَمَا   رَقَّشَ فى ظَهْرِ الأَدِيمِ قَلَمْ

ومن مثل معلقة طرفة بن العبد ، ومعلقة الأعشى أو معلقتيه ، ومعلقة الحارث بن حِلِّزة ، وكثير من قصائدهم ، وقصائد شعراء المرحلة الثانية من الشعر البكرى بصفة عامة .

وحاصل ما نعنيه أن القصيدة البكرية ، قد بدأت تتعرف خلال المرحلة الأولى خطوطها العامة ، وإذا كانت أطول قصيدة فى شعر المرحلة الأولى قد بلغت خمسةً وثلاثين بيتا عند المرقِّش الأكبر [٣] ، فإنما يعنى هذا أنَّ كُلَّ غَرَضٍ من الأغراض – إن اتسعت القصيدة – لم يكن يحظى إلا بأبيات قليلة ، وإن ضاقت القصيدة ، قلت بالتالى أغراضها . وربما يتضح هذا القول إذا وضعنا أمامنا قصائد المرحلة الثانية ، حيث يقترب الكثير منها من المائة بيت [٤] أو يزيد [٥] . وهذا يتيح للشاعر أن يوسع القول فى أغراضه وفنونه المختلفة ، ولذا وجدنا بعض مقدمات

---

(١) انظر هامش ص ٢٣٧ ، المفضلية ٥٤ ، جو القصيدة لشارحى المفضليات .
(٢) المفضلية ٥٤ .
(٣) المفضلية ٥٤ .
(٤) انظر القصيدة رقم ٥ فى ديوان طرفة ص ٦٧ وما بعدها . وديوان الأعشى ، القصائد ١ ، ٢ ، ٤ على سبيل المثال .
(٥) انظر ، المفضلية ٤٠ لسويد ، ومعلقة طرفة .

قصائد هذه المرحلة تبلغ نحو عشرين بيتا (١) ، وكذلك بعض أغراضها في كثير من الأحيان .

وإذا كانت القصيدة البكرية قد شهدت هذه الألوان الأربعة – من ناحية الشكل – فربما دل ذلك على المراحل التاريخية التى شهدتها القصيدة العربية ، قبل أن يكتمل لها شكلها النهائى ، حيث بدأ الشعراء منذ ما قبل حرب البسوس – وخلالها – ينظمون مقطوعات أو قصائد دون مقدمات ، فَيَقْصِدُونَ موضوعاتهم منذ أول بيت فى القصيدة ، ثم تطور ذلك إلى اللون الثانى ، وهو المقطوعة أو القصيدة التى تشتمل على غرضين : المقدمة الوجيزة التى يتخلصون منها سريعا إلى موضوعهم الذى يتمثل فى الفخر أو فى وصف الرحلة والراحلة ، إلى أن انتهى الأمر – أو قل بَدَأَ – عند المرقِّشَيْن بالمقدمة تَطُول قليلا ، ثم يبدأ بعدها الشاعر فى نَعْتِ الصحراء والرحلة والراحلة ، وفخره أو هجائه أو رثائه . وهذه كلها – ولاشك – فروض ظنية لانزعم أنها ترقى إلى مرتبة اليقين ، ولكنه أمر يتبادر إلى الذهن حين ننظر فى هذه الأنماط المختلفة التى شهدتها القصيدة العربية الجاهلية عند الشعراء البكريين .

هذا ونلحظ أن القصيدة البكرية قد بدأت خلال مرحلتها الثانية تتلمس طريق الوحدة الموضوعية فى بعض مواضعها . وهذا أمر يلفت النظر ، إذ كان العرب القدماء – فيما يقال – يحبون أن يستقل البيت فى معناه عما قبله وما بعده ، ومن ثم شاعت فكرة تفكك القصيدة الجاهلية وعدم وحدتها

---

(١) انظر ، المفضلية ٤٠ لسويد ، والقصيدة ٦ فى ديوان الأعشى ، والقصيدة ٥ فى ديوان طرفة .

الموضوعية ، وأنه من الممكن أن تُقَدَّمَ الأبياتُ عن مواضعها أو تُؤَخَّرَ دون أن يؤدى ذلك إلى إخلال بالمعنى .

ويمكن أن نُرْجِعَ تَلَمُّسَ القصيدة البكرية لطريق الوحدة الموضوعية فى بعض مواضعها إلى أمرين :

أولهما : أن الشعراء البكريين لم يكونوا من هؤلاء الشعراء الذين يُجْهِدُونَ أنفسهم فى سبيل اسْتِيفاء البيت الواحد ليستقل بمعناه عن سابقه ولاحقه ، وهو مايُعْرَفُ بالتضمين . من مثل قول المرقش الأكبر (١) :

وَرُبَّ أَسِيلةِ الخدين بِكْرٍ   مُنَعَّمَةٍ لها فَرْعٌ وَجِيدُ
وَذُو أُشُرٍ شَتِيتُ النَّبْتِ عَذْبٌ   نَقِيُّ اللونِ بَرَّاقٌ بَرودُ (٢)
لهوتُ بها زَمانًا من شَبابِي   وَزارتْها النَّجائِبُ والقَصِيدُ

ومن مثل قول الخرنق (٣) :

كما قالتْ فَتاةُ الحيِّ لمَّا   أَحَسّ جَنَانُها جَيْشًا لُهاما (٤)
لِوالِدِها وَأَرَتْهُ بِلَيْلٍ   قَطًا وَلَقَلَّ ما تَسْرِى ظَلاما
أَلستَ تَرى القَطا مُتَواتِراتٍ   وَلَوْ تُرِكَ القَطا لَغَفَى وَنَاما

وثانيهما : روح السرد والحكاية التى كانوا يلتمسون لها موضعا فى القصيدة على سبيل الاستطراد (٥) .

---

(١) المفضلية ٤٦/٩ — ١١ .

(٢) الأشر ، بضمتين وبضم وفتح : تحزز فى الأسنان يكون فى الأحداث . شتيت النبت : أى ثغرها متفرق الثنايا . برود : من البرد ، أى ذو برد . .

(٣) ديوان الخرنق . تحقيق الدكتور حسين نصار . القاهرة . مطبعة دار الكتب سنة ١٩٦٩ . ص ٣٨ .

(٤) جنانها : قلبها . اللهام : الكثير .

(٥) انظر على سبيل المثال ، ديوان طرفة بن العبد ص ١٢٨ — ١٢٩ .

الخاتمـــــة

قبيلة بكر بن وائل من القبائل المهمة فى تاريخنا الأدبى ، وأشهر بطونها سبعة ، هم : شيبان ، وقيس – ومنها ضبيعة – وعِجْل ، وتَيْمُ اللَّات ، ويَشْكُر ، وزِمَّان ، وحنيفة . وحينما شرعت فى تعرف ديارها وجدتها تتنوع وتتعدد – نظرا لِحِلِّها وارتحالها وانقسامها أهْلَ وَبَرٍ وأهْلَ مَدَرٍ – حتى كادت ديارها أن تشمل كل أصقاع جزيرة العرب انحدارا إلى الجنوب الغربى فى أكناف اليمن ، وصعودا إلى الشمال الشرقى والشرق فى بلاد فارس . ولما كان تاريخ بكر ينحصر فى مجمله فيما خاضته من حروب ، فقد وقفتُ عند أهم هذه الأيام من مثل حرب البسوس التى دارت رحاها بينها وبين شقيقتها تغلب ، ومن مثل أيامها من تميم ، وأخيرا أيامها مع الفُرس وأهمها يوم ذى قار ، إذ رأيت أن الوقوف عند هذه الأيام أمرٌ مهم فى مثل هذا البحث الذى يدور حول الشعر والشعراء ؛ لِمَا للبيئة من أثر لا يخفى . وقد لفت نظرى تفكك القبيلة وعدم التئام بطونها عند كثير من المُلِمَّات ووجدت أن الأمر طبيعى فى مثل قبيلة بكر التى انقسمت إلى بدو وحضر ، وما أشهر بنى حنيفة الذين استقروا باليمامة ولم تعرف لهم ديار سواها . وبدهى بعد ذلك أن تختلف أنماط حياتهم الاجتماعية تبعا لهذا الاختلاف .

ورأيت قبل التعامل مع النصوص أن أقف – فى الفصل الثانى – عند قضية الانتحال – التى تعترض طريق كل باحث فى أدبنا الجاهلى – حتى أرتضىَ لنفسى منهجا استضىء به عند توثيق الشعر . ثم مضيت أبحث عن مصادر شعر القبيلة ، فوجدت أنه كان لها نحو عشرة دواوين –

من بين دواوين القبائل : ثلاثة منها لشيبان هى : كتاب بنى شيبان ، وكتاب بنى عَوْفِ بْنِ هَمَّام ، وديوانان لبنى قيس بن ثعلبة هما : كتابُ بنى قيس بن ثعلبة ، وكتاب بنى ضُبَيْعَةَ ... وديوان واحد لكل من ذُهْل ابن ثعلبة ، وعِجْل ، ويَشْكُر ، وحَنِيفَة ، والفِنْدِ الزِّمَّانِيِّ . ولكنها ضاعت جميعا فيما ضاع من دواوين القبائل العربية . على أن الأمر بالنسبة لقبيلة بكر لا يؤثر فيه كثيرا ضياع هذه الدواوين – التى اشتملت على ما رجحنا ، شعرها الجاهلى والإسلامى ، فقد بقى من شعرها الجاهلى قدر كبير ، يتمثل فى ستة دواوين لستة شعراء ، هم : الأَعْشَى ، وطَرَفَةُ بْنُ الْعَبْد ، والخِرْنِقُ بنتُ بَدْرٍ ، وعَمْرُو بن قَمِيئَة ، والحارِثُ بْنُ حِلِّزَة ، والمُسَيَّبُ بْنُ عَلَسٍ – وإنْ كان بعضها قد جُمِعَ حديثا من مثل شعر المُسَيَّبَ بْنِ عَلَس – كما بقى بعد ذلك مجموعة كبيرة من الأشعار المتناثرة نسبت لغير أصحاب الدواوين السابقة ، وبلغت نحو ألف وخمسمائة بيت . وقد وقفت عند هذه الدواوين وتلك الأشعار المتناثرة التى جمعتها فى ملحق هذا البحث محاولا توثيقها فى ضوء ما عرضته من قول فى قضية الانتحال وقد جهدت عند توثيقى لشعر بكر أن أسلك سبيلين : أولهما – نقد خارجى : يتصل بالرواة ، حيث ارتضيت ما أجمع عليه الرواة ، بل ما انفرد به راوٍ ثقة ، وذلك فى ضوء ما عرضته من آراء حول توثيق رُواة هذا الشعر أو تجريحهم ، إذ إننا على بعد زمنى يبدو معه عبثا ألا نحترمَ روايتهم دون سند قاطع . وثانيهما – نقد داخلى : وأعنى به الذوق الشعرى الذى أشار إليه القدماء من أمثال ابن سلام الجُمَحِيّ ، فمن خلال معايشة شعر قبيلة من القبائل أو شاعر من الشعراء يخرج

الباحث بانطباع عام لأسلوب الشاعر ، وعلى ضوء هذا الذوق المكتسب والانطباع العام يمكن عرض القصائد المشكوك فيها ، على أن يستفيد الباحث إلى جانب ذلك بمحاولات الباحثين السابقين الذين جهدوا فى سبيل تحقيق هذا الشعر . وقلت إنه ربما أدت هذه النظرة إلى الشعر الجاهلى إلى عدم التوسع فى الشك – شأن كثير من الباحثين – وليس فى هذا غَضَاضَة ، ذلك أننا نؤمن بالمبدإ القانونى الذى يجعل المتهم بريئا حتى تثبت إدانته ، ولا نؤمن بالتالى بما ذهب إليه طه حسين وكثير من المستشرقين حين وضعوا الشعر الجاهلى فى قفص الاتهام حتى تثبت براءته ، وكيف يتأتّى ذلك وكثيرٌ من أدلة الإثبات أو البراءة أتَتْ عليها مئات من السنين الخالية ! وقُلْتُ إلى جانب ذلك أن هذا المقياس لا يملك – ولا غيره – عَصًا سحرية تضع حَدًّا فاصلا بين الصحيح وغير الصحيح ، بل هو اجتهاد قد تدخل خلاله قصائد موضوعة إلى ديوان الشاعر أو القبيلة ، وقلنا حينئذ لا بأس أن تدخل هذه القصائد القليلة رغما عنا مادامت تتفق وروحها العام مع شعر الشاعر . وهو خير من أن نُخرج من الديوان قصائد قد تكون صحيحة .

ثم انتقلت بعد ذلك إلى دراسة الشعر ، حيث عرضت فى الفصل الثالث لموضوعاته ، فوجدتها قسمين : موضوعات مشتركة بين شعراء بكر وسائر شعراء الجاهلية من مثل : الغزل ، والفخر والحماسة ، والمديح ، والهجاء والوصف ، والشعر الخمرى الذى أغرانى حقا بالوقوف عند خمرياتِ كل من الأعشى وطرفة ، فعندهما جماع سمات الخمريات الجاهلية على اختلاف نظرة كل منهما ؛ حيث وجدت عند طرفة ما أسميته بالخمر الوجدانية ، ووجدت عند الأعشى ما أسميته بالخمر الوَصْفِيَّة ، وحاولت خلال هذا العرض تفسير مذهب كل منهما ونظرته للحياة .

كما لفت نظرى فى تلك الموضوعات غلبة الفخر الفردى والفخر القبلى بمعناه الضيق الذى يتصل بالبطن أو العشيرة دون القبيلة ، أما الفخر القبلى بمعناه الواسع الذى يرتفع إلى بكر فيأتى على هامش شعر الفخر البكرى ، وقد عللنا ذلك بأحد أمرين : أولهما – استعباد التراث الشعرى للشعراء فى بعض أحوالهم . وثانيهما – رَدَدْنَاه إلى المواقف الصعبة التى صادفت القبيلة أو الشاعر ؛ إذ يُضطر خلالها وأمام تحدى القبيلة المعادية – أو شاعرها – إلى توسيع مدى عصبيته بالفخر بالقبيلة كلها .

أما القسم الثانى من هذا الفصل فقد أفردته للحديث عن أثر قُرْبِ القبيلة من البحر وفارس حيث وجدت بعض شعراء القبيلة يتناول أغراضا لاتشيع فى الشعر الجاهلى عامة ، من مثل الحديث عن الملاحين والغواصين واستخراجهم للؤلؤ من قاع البحر . كما بدا أثر البحر وفارس فى كثير من صورهم وأخيلتهم وبعض ألفاظهم التى اقترضوها من اللغة الفارسية ، وكان الأعشى أكثرهم ولوعا باقتراض هذه الألفاظ . وقد رَدَدْتُ تأثر الشعراء بهذين المؤثرين إلى أربعة عوامل :

(١) علاقة الجوار والمخالطة لفارس أحيانا .

(٢) كثرة الشعر والشعراء البكريين . مما هيأ لنا تلمس هذه الآثار .

(٣) كثرة ترحال هؤلاء الشعراء سابقهم ولاحقهم ، واستئثار العراق التابع للفرس فى ذلك العهد باهتمامهم ، فيولون وجوههم شطره .

(٤) استقرار كثير من بطون القبيلة فى اليمامة والبحرين فى محاذاة خليج فارس لفترات طويلة .

وقبل أن أنتقل إلى الدراسة الفنية لشعر بنى بكر ، رأيت أن أفرد فصلا أترجم فيه لأهم الشعراء معتمدا على أشعارهم ، إذ وجدت الأخبار لا تقدم صورة كافية نفس الشاعر فى أفراحه وأتْراحه ، ولا تفصح عن المؤثرات التى دفعت به فى اتجاه دون سواه . وقد لمحت خلال هذه التراجم أن جُلّ الشعراء البكريين قد استشعروا آلاما قاسية ملكت عليهم زمام أنفسهم ووجهت شعرهم وُجْهَةً تتسم بالحزن العميق حتى ليكثرون من ذكر كلمة « الموت » وسائر الكلمات التى تعبر عن الألم والسُّخْط والتشاؤم .

وحينما انتقلت إلى الدراسة الفنية – فى الفصل الأخير – قسمتها أربعة أقسام :

القسم الأول – تتبعت فيه شعر بنى بكر بين مرحلتيه الأولى والثانية ، متلمسا مواطن الاتفاق أو الاختلاف ومفترضا فى البداية أن الشعر البكرى قد أصابه قدر من التطور فى مرحلته الثانية ، وما لبث البحث أن قوض بعض أركان هذا الفرض ، ذلك أننى نظرت إلى شعر المرحلتين من زاويتين : الأولى – فى ضوء النموذج الفنى للقصيدة الجاهلية ، وهنا وجدت أن شعر المرحلة الثانية أصابه قدر من التَّحَوُّل ، ولم أشأ أن أسميه تطورا . والثانية – فى ضوء نظرة النقاد المعاصرين للوحدة الموضوعية والفنية والنفسية للعمل الفنى ، حيث وجدت أن شعر المرحلة الأولى قد أخذ منها بحظ موفور على عكس ما وجدته فى أشعار المرحلة الثانية . ومن هنا جاز القول إن القصيدة البكرية قد أصابها قدر من التفكك ، يتمثل فى تعدد الموضوعات التى لا يربط بينها إلا وحدة الوزن والقافية ، وأن بداية هذا التحول أو الانحدار قد ظهر عند المتأخرين من شعراء المرحلة الأولى وهما المرقشان .

أما موضوعات المرحلتين ، فليس ثمة خلاف بينها ، فقد طرق الشعراء نفس المعانى والموضوعات ، وإن اتسمت قصائد المرحلة الثانية بشيء من التفصيل الذى يتيح للقصيدة أن تطول أكثر مما بلغته فى مرحلتها الأولى . ولم أجد كذلك ثمة خلاف بين أوزان الشعر فى المرحلتين حيث تستقيم فى كليهما طبقا للقواعد العامة وما يُباح للشعراء من علل وزحافات . كما ظل للبحر الطويل صدارته ، إلا أننى وجدت بحر الخفيف يشاركه مكانته لدى شعراء المرحلة الأولى ، أما فى المرحلة الثانية فيختلف البحر التالى للطويل من شاعر إلى آخر اختلافا ظاهرا ، فهو الكامل والرَّمَل عند طرفة بن العبد ، والمتقارب والبسيط والوافر عند الأعشى . وقد لاحظت أنه لم ينظم فى بحر الطويل من شعراء المرحلة الأولى سوى المُرَقِّشَيْن ، كما أنه لا يحتل مكان الصدارة عند بعض شعراء المرحلة الثانية من مثل الخِرْنِق التى يتصدر فى شعرها بحر الوافر يليه الطويل .

أما القافية فلم ألاحظ سوى كثرة السِّنادِ فى شعر المرقش الأكبر وقلَّته فى شعر الأصغر ، وهنا رجحت أن الذوق الشعرى والإحساس بموسيقى القافية قد تَرَقَّى عند الشعراء خلفا بعد سَلَفٍ ، فكان طبيعيا أن يستجيبوا لما يحقق الانسجام فى موسيقى القافية ، وقد عزز هذا الزعم ما لحظته من حرص المرقش الأصغر على التصريع فى بداية قصائده كلها وفى ثناياها ، إلا أننا مع ذلك لم نلحظ حرص شعراء المرحلة الثانية على هذا التصريع ، حيث خلت منه بعض قصائدهم سواء فى مطالعها أو فى داخلها .

أما الصور والأخيلة ، فقد اعتمد شعراء المرحلتين على التشبيه

ومشتقاته مستلهمين بيئتهم وما يحيط بهم ، وهى تشبيهات لاتزدحم بها القصيدة البكرية على نحو ما نشهد لدى كثير من شعراء الجاهلية ، ومن هنا رجحنا أن شعراء بكر لم يكونوا من ذلك الصنف من الشعراء الذين استعبدهم الشعر والذين يقضون الحول كاملا أو نحوه منقحين ومجودين — فبدت أشعار البكريين أقرب إلى السليقة والصدق . كما أشرنا — إلى جانب هذا — إلى ظاهرة تأثر الخلف بالسلف فى الصور والأخيلة وطرائق التعبير .

وأما القسم الثانى فقد أفردته للحديث عن الخصائص المعنوية ، وقسمت فى سبيل ذلك شعر القبيلة لونين : لونا نلمح فيه سيطرة التراث الشعرى . ولونا يجتهد الشاعر خلاله فى سبيل الفكاك من سطوة التراث ونماذجه وطرائق تعبيره ، والعكوف على التعبير عن تجاربه الشخصية ومواقفه تجاه الحياة ومشكلات الوجود . فوجدت أن أهم ملامح هذا الشعر أربعة :

أما الملمح الأول فى شعر البكريين ، فكونه يعبر تعبيرا صادقا عما أصاب القبيلة الأم من تفكك ، وما أصاب وجدانهم الجَمْعِىّ من وَهَن ، وقد تمثل كل ذلك فى اتجاهات ثلاثة :

(١) الفخر الشخصى الذى يرتفع فيه ضمير « الأنا » على ضمير « النحن » .

(٢) الفخر القبلى الضيق — بالبطن أو العشيرة — وهو ما تكرر فى شعر بنى بكر منذ أقدم نصوصه الموثقة .

(٣) شعر الهجاء الموجه إلى أبناء العمومة داخل البطن الواحد أو العشيرة الواحدة .

وأما الملمح الثانى فهو الإحساس بالغربة ووطأتها على النفس سواء كانت غربة الروح ، أو غربة الروح والجسد معا .

الملمح الثالث – طابع الحزن الذى جلل نفوسهم ، حيث تعانقت لديهم فكرتا الحب والموت ، كما أكثروا من الحديث عن سطوة الدهر وتقلباته ، وكأن أبواب الأمل فى حياة سعيدة قد سُدَّتْ فى وجوههم ، فاستقبلوا الموت غير نادمين على قِصَرِ الحياة ، محاولين التصبر على بلوائها .

أما الملمح الرابع ، فيناقض فى ظاهر الأمر ماذكرناه ، ونعنى روح المرح التى تتحول أحيانا إلى ما يشبه السخرية ، وخاصة حين يهجون . وقلنا إن هذا المرح البادى ربما كان صدًى لما تحمله نفوسهم من أعباء تجاه الحياة والناس ، فحاولوا التخفف من آلامهم بتصنع المرح والدعابة والإغراق فيهما ، وكانت الخمر وسيلة لتحقيق ذلك .

وأما القسم الثالث من هذا الفصل فتحدثت فيه عن الخصائص اللفظية والأسلوبية ، وبدأت باللغة ، فقلت إنها تسير فى الإطار العام للمعجم اللغوى ، وأشرت إلى قضية السهولة والصعوبة وإلى خطر الحكم فيها على أساس من وعينا اللغوى المعاصر ، فبعض الألفاظ تتغير دلالتها وإشعاعاتها – كثيرا أو قليلا – من عصر إلى عصر ، وبعضها يفنى ويموت فيبدو غريبا على القارئ فى عصرنا وإن لم تكن فى الجاهلية كذلك . ومن هنا قلت إنه لا يستقيم القول بصعوبة ألفاظ هذا الشاعر وسهولة ألفاظ غيره ، فما نحسبه سهلا هو ما عاش من الألفاظ ، وما نظنه صعبا هو ما اندثرت كلماته أو انسحبت من الحياة إلى بطون

المعاجم اللغوية . ودللنا على ذلك بشعر الشعراء حيث وجدنا كل شاعر من الشعراء البكريين يسلك السبيلين معا ، فتتسم ألفاظه بالصعوبة فى موضع وترق فى موضع آخر ، وفقا لوعينا اللغوى الحالى . ولم تفتنى الإشارة إلى بعض الألفاظ التى وردت فى شعر بنى بكر ولم ترد فى المعاجم اللغوية سواء من ناحية اللفظ ذاته أو ما يشتق منه . ثم ختمت الحديث عن اللغة بالإشارة إلى ما ورد كذلك فى هذا الشعر من ألفاظ فارسية على نحو ما وجدنا عند الأعشى .

ثم وقفتُ عند الحديث عن الأسلوب على ثلاثة أمور مَثَّلْتُ لكل منها تمثيلا ، وهى : الحكاية والسرد ، والتضمين ، والاستطراد . وقل إنها سمة من سمات شعر بنى بكر بدأت عند المرقش الأكبر ونَمَتْ بعده عند كثير من الشعراء من مثل طرفة والأعشى .

أما القسم الرابع من هذا الفصل – الأخير – فقد أفردته للحديث عن بناء القصيدة فوجدت أنها شهدت ألوانا أربعة :

اللون الأول – يقصد فيه الشعراء موضوعاتهم قصدا دون مقدمات ، وهو اللون إما قصائد أو مقطوعات .

واللون الثانى – شعر مقطوعات ذات مقدمة وغرض واضح يرتبط بها أشد الارتباط ، ووجدت فى هذا اللون مقدمة خمرية لمقطوعة للمرقش الأكبر ، وهو أمر لم يتكرر فى شعر بنى بكر أو فى الشعر الجاهلى – إذا استثنينا معلقة عمرو بن كلثوم مع ما يدور حول مقدمتها من خلاف : أهى خمرية أم غير خمرية ؟ . أما اللون الثالث – فهو ما اشتمل على مقدمة طللية أو غزلية ، ثم تخلو القصيدة بعد ذلك مما يسميه البعض

بالغرض الأساسى من مدح أو هجاء أو فخر وهو لون قليل فى شعر بنى بكر . وأما اللون الرابع – فهو ما يمكن أن نسميه بالنموذج الفنى للقصيدة الجاهلية ، أى ما اشتمل على مقدمة يتحدث بعدها الشاعر فى أغراض متعددة كوصف الرحلة والراحلة ، وحيوان الصحراء ، ثم يكون الموضوع الأساسى سواء كان فخرا أو هجاء أو رثاء ، ثم تنتهى القصيدة فى بعض الأحوال ببعض الحكم التى يُودعها الشاعر تجاربه فى الحياة . ويشيع هذا اللون شيوعا ظاهرا لدى شعراء بنى بكر . ورجَّحت أن تكون لهذه الألوان الأربعة دلالة على المراحل التاريخية التى شهدتها القصيدة الجاهلية قبل أن يكتمل شكلها النهائى ، حيث بدأ الشعراء منذ ما قبل حرب البسوس وخلالها ينظمون مقطوعات أو قصائد دون مقدمات ، ثم تطور هذا اللون إلى النمط الثانى وهو المقطوعة أو القصيدة التى تشتمل على غرضين : المقدمة الوجيزة يتخلصون منها سريعا إلى موضوعاتهم التى تمثلت غالبا فى الفخر أو الوصف . ثم انتهى الأمر – أو قل بدأ – عند المرقشين بالمقدمة تطول قليلا ، ثم يبدأ الشاعر بعدها فى نعت الرحلة أو الراحلة والصحراء ثم يبدأ فى فخره أو هجائه أو رثائه .

كما عرضتُ فى هذا الفصل لما لاحظته من تلمس القصيدة البكرية خلال مرحلتها الثانية – التى عاصرت أصحاب الدواوين – طريق الوحدة الموضوعية فى بعض مواضعها ، وهو أمر ملفت للنظر حقا ، وإن لم ينتظم القصيدة كلها ، كما لم يكتب لهذا البناء الفنى النمو والتطور حتى يشمل كل أبيات القصيدة . وقلت إن تلمس القصيدة البكرية لهذه الوحدة ربما عاد إلى أمرين :

أولهما : أن الشعراء البكريين لم يكونوا ممن يجهدون أنفسهم فى سبيل استيفاء البيت الواحد ليستقل بمعناه عن سابقه ولاحقه .

وثانيهما : روح السرد والحكاية التى كانوا يلتمسون لها موضعا فى القصيدة على سبيل الاستطراد .

ثم ألحقت بالبحث ما وجدته من أشعار متناثرة فى المصادر المختلفة لغير أصحاب الدواوين . وهو ما نجده فى الصفحات التالية .

* * *

ديوان بنى بكر فى الجاهلية
شعر من لا ديوان له

ومعــه

• مجموعة ما أُنْشِد للمُسَيَّبِ بْنِ عَلَسٍ
التى جمعها المستشرق جاير
فى ذيل الصبح المنير

• وديوان الحارث بن حِلِّزَة الذى نشره جِبْ بمجلة المشرق (ومعه معلقته التى لم تنشر بالمجلة)

(١)

أشعار بـنى تَيْمِ اللات

(١)

قال بُجَيْرُ بنُ لَأْى

(بحر الطويل)

١ – تَبَيَّنْ رُسُومًا بِالرُّوَيْتِج قد عَفَتْ
لِعَنْزَةَ قد عُرِّينَ – حَوْلًا – حُلاحِلَا
٢ – تَعاوَرَها صَفْقُ الرياح فأَصْبَحَتْ
كما رَدَّ أَيْدِى الطَّاحِنَاتِ المَنَاخِلَا

---

١ – **ترجمته** : هو بُجَيْرُ بْنُ لَأْيِ بن حجر بن عائذ بن ثعلبة بن الحارث بن تيم اللات ابن ثعلبة (المؤتلف والمختلف) .

جو الأبيات : مطلع طللى .

التخريج : المؤتلف والمختلف ص ٥٩ .

الشرح :

١ – تبين : تأنَّ وتأملْ حتى يتضح لك . الرسوم : الآثار الباقية من الديار بعد زمان من رحيل أهلها . الرُّوَيْتِج : مكان بعينه . عفت : امحت .

عنزة : اسم محبوبة الشاعر . عُرِّين : خَلَيْنَ من أهلها . حولا : عامًا . حُلاحِلا : تماما أى خلين تماما سنة كاملة .

٢ – تعاورها : هب عليها من نواح مختلفة . صفق الرياح : صوتها ، والصفق فى الأصل هو الضرب يُسمع له صوت . المناخل : جمع المنخل – بضم الميم والخاء – وهو ما ينخل به الطحين ونحوه .

(٢)
قالَ ابنُ زَيَّابَةَ

(بحر السريع)

---

٢ – **ترجمته** : (زيابة) قيل اسم مرتجل للعلَم من لفظ « الأَزْيَب » وله معان كثيرة منها : النشيط ، والقصير ، واللئيم (راجع مادة زيب بالقاموس المحيط) وقيل الزيابة فأرة من فئران الحَرَّة (معجم الشعراء للمرزبانى) وقيل زيابة أم الشاعر (رأى أبى العلاء المعرى ذكره التبريزى فى شرحه ١٤٢/١) . وقيل ابن زيابة لقب الشاعر ، أما اسمه فاختلفوا فيه :

– قيل اسمه عمرو بن الحارث بن همام من بنى تيم اللات (أو الله) ابن ثعلبة (معجم الشعراء) .

– وقيل اسمه عمرو بن الحارث بن همام من بنى شيبان ، وقال المحققان فى حاشية الحماسة ، القطعة ٢٣ المنسوبة إلى الحارث بن همام الشيبانى : « ابن زيابة ، وهو الحارث ابن همام . ولهذه المقطوعة استبعد بعضهم أن يكون ابن زيابة هو عمرو بن الحارث بن همام وارتضى القول الآخر » .

– وقيل اسمه سَلَمة بن ذهل (معجم الشعراء) .

– وقيل اسمه عمرو بن لأى من بنى تيم اللات بن ثعلبة (الزركلى : الأعلام ٨٤/٥ عن خزانة الأدب للبغدادى) .

وليس لابن زيابة ذكر فى كثير من المظان ، من مثل : الشعر والشعراء لابن قتيبة ، وتاريخ الأدب العربى لبروكلمان ، وتاريخ آداب اللغة العربية لجورجى زيدان ، وجمهرة أنساب العرب لابن حزم .

جو الأبيات : أجاب فيها – بنفس الوزن والقافية – على الحارث بن همام حين قال له :

أيا ابنَ زَيَّابَةَ إنْ تَلْقَنِى لا تَلْقَنِى فى النَّعَمِ العَازِبِ
وتلقنى يَشْتَدُّ بى أجْرَدٌ مُستقدِمٌ البِركَةِ كالراكب

وبذا تكون هذه الأبيات من أقدم المحاولات التى تؤرخ لظهور فن النقائض الذى ظهر واضحا فى صدر الإسلام بين شعراء مكة والمدينة ، ثم تطور بعد ذلك وبلغ الذروة على أيدى جرير والفرزدق والأخطل فى عصر بنى أمية .

١ – يالَهْفَ زَيَّابَةَ للحارِثِ الصَّـ ابِـحِ فالغانِـمِ فالآيِبِ
٢ – واللهِ لو لاقَيْتُهُ خالِياً لآبَ سَيْفانَا مع الغالِبِ
٣ – أنا ابنُ زَيَّابَةَ إنْ تَدْعُنِى آتِكَ والظَّنُّ على الكاذِبِ

* * *

التخريج : معجم الشعراء للمرزبانى ص ١٥ وديوان الحماسة بشرح المرزوقى ١٤٧/١ .

الشرح :

١ – الصابح : الذى يُصَبِّحُ القوم بالغارة .

٢ – أى لو لاقيته لقتلته أو قتلنى فآب السيفان مع الغالب ، وفى هذا الكلام صفة لنفسه بالشجاعة وقلة البلاء بالموت ، وإنصاف للمحارب .

٣ – إن دعوتنى علمت حقيقة ما أقول فادعنى واخلص من الظن ، لأنك تظن بى العجز عن لقائك ، والظن من شأن الكاذب .

(٣)

وقال ابنُ زَيَّابَةَ

(بحر السريع)

١ – نُبِّئْتُ عَمْرًا غارِزًا رأسَهُ فى سِنَةٍ يُوعِدُ أخوالَهُ
٢ – وتلك منه غَيْرُ مَأْمُونَةٍ أنْ يَفْعلَ الشىء إذا قالَهُ
٣ – والرُّمحُ لا أملأُ كَفِّى بِهِ واللِّبْدُ لا أتْبَعُ تَزْوالَهُ

---

٣ – التخريج : معجم الشعراء ص ١٥ الأبيات ١ ، ٢ ، ٦ ، ٧ والحماسة بشرح المرزوقى ١/١٤٣ – ١٤٥ القطعة عدا البيت السادس .

الشرح :

١ – غارزا رأسه : كناية عن الطيش . السِّنة : الغفلة ، والمعنى : إن هذا الرجل كأنه وسنان ، فقد تغير عقله ، فهو يوعد من لا يجب أن يوعده . (وفى معجم الشعراء : نبئت لأيا عارضا رمحه) .

٢ – أى تلك الخصلة لا يؤمن وقوعها منه ، وهذا تهكم . وقيل بل المعنى : إنه ليس بمصدق فيها لأنه لا يقدر على إمضاء وعده .

٣ – الرمح لا أملأ كفى به : لهذه العبارة معنيان ، أولها يشير إليه قولهم : ملأ كفه بكذا أى ليس فى يده موضع لغيره أى لا يقتصر فى الحرب على استعمال الرمح فقط ، بل يجمع بين أنواع السلاح ، وثانيها إنى أستعمل رمحى بأطراف أصابعى لمهارتى واقتدارى ولا آخذه بجميع كفى .

واللبد لا أتبع تزواله : إن مال اللبد لم أمِلْ معه ، كأنى مُلْصَقٌ بظهر الفرس فلا أزول ولا أميل .

٤ – والدِّرْعُ لا أَبْغى بها ثَروةً   كلُّ امرئ مُسْتَودَعٌ مالَهُ
٥ – آليتُ لا أَدْفِنُ قَتْلاكُمُ   فَدَخِّنُوا المرءَ وسِرْبالَـهُ
٦ – إِنى وَأَخْوالى بنى عَائِشٍ   كالليثِ إذ يمنع أشبالَهُ
٧ – إنك ياعمرُو وتَرْكُ النَّدَى   كالعَبدِ إذ قَيَّد أجْمالَهُ

* * *

٤ – والدرع لا أبغى بها ثروة : لهذه العبارة معان ، منها : لا أقتنى الدرع لكى أتجر فيه . وفى هذا المعنى تعريض بالمخبر عنه . ويجوز أن يكون المعنى : لا أعدها سببا فى المغانم فأُثْرِى ، كقول عنترة : (أغشى الوغى وأعف عند المغنم) .

كل امرئ مستودع ماله : لها أيضا معان ، منها : المال ودائع عند الناس ، فلمَ أتجر فى درعى أو أجعلها سببلا للمال والمال هذا حاله . ويجوز أن يكون « ما » من قوله « ما له » بمعنى الذى ، فيكون المعنى : كل امرئ مُرْتَهَنٌ بأجله وبالذى كُتِب له .

٥ – قيل إنه عير رجلا منهم طعن فأحدث ، فقال دخنوه أى طيبوه لتطيب رائحته فأنى لا أدفن القتيل منكم إلا طاهرا .

٧ – يقول : إنك كالعبد يقيد أجماله وينام فيستريح ، وطلبُ الشرفِ إنما يكون مع التعب .

(٤)

قال شَيْبَانُ التَّيْمِىُّ

(مشطور الرجز)

١ – نَحْـنُ حَفَرْنـا وبَدَأْنـا أَوَّلا
٢ – ولَنْ نَكُونَ الحاضِرَ المُحَوَّلا

---

٤ – ترجمته : ... لم أعرف من هو .

جو البيت : قاله يوم الوَقَبى وكان بين بكر ويربوع من تميم .

التخريج : شرح ديوان الحماسة للتبريزى ١/٣٧٠ .

الشرح :

٢ – الحاضر : القوم النازلون على الماء – المحول – على زنة اسم المفعول – يريد : المغلوبين المطرودين عنه .

(٥)

قال عَمْرُو بنُ عُمارَةَ التَّيْمِيُّ

(بحر الوافر)

١ ـ وصادَفَ عَثْجَلٌ مِنْ ذَاكَ مُرًّا مَعَ الْمَأْمُومِ إذْ جَدَّا نِفَارا

---

٥ ـ ترجمته : من بنى تيم اللات بن ثعلبة بن عكابة (معجم الشعراء) .

جو البيت : قاله يوم الوَقِيط ، فى عثجل بن المأموم بن سيار بن علقمة بن زرارة .

التخريج : معجم الشعراء للمرزبانى ص ٤٣ .

(٦)

قال عمرُو بنُ مالكٍ التَّيمى

(البحر الطويل)

١ – ونَحْنُ هَدَمْنا عِزَّ يَشْكُرَ بعدَما
مَضَتْ حِقْبَةٌ تحمى الرِّياضَ وتَغْشِمُ
٢ – ونحنُ وَطَأْنَا هامَةَ الفَرْخِ إذ عَسَا
على حينَ لا يُغْشَى ولا يَتَظَلَّمُ
٣ – ونحنُ سَلَبْنا البكْرَ جَمعًا مُكَوَّسًا
فأصبحَ فينا لحمُهُ يُتَقَسَّمُ

---

٦ – **ترجمته** : هو عمرو بن مالك بن زيد بن عائش بن مالك بن تيم اللات بن ثعلبة بن عكابة بن صعب بن على بكر ، شاعر وفارس ، وهو الذى أزال رياسة يشكر بن بكر عن ربيعة ، وقتل فرخ النسر الذى كان ليشكر اللخمى ، فانتقلت الرياسة إلى ولد ثعلبة بن عكابة وهو الحِصْن ، على ما يذكر المرزبانى (معجم الشعراء) .

التخريج : معجم الشعراء للمرزبانى ص ٣٩ .

الشرح :

١ – تغشِم : تَظْلِم ، وغَشَم الوالى الرعية إذا شملهم بعسفه وأخذ ما قدر عليه .

٢ – الفرخ : أى فرخ النسر الذى كان ليشكر وقتله الشاعر . عسا : أسَنَّ وكَبِر .

٣ – البكْر : الفتى من الإبل . مُكَوَّسًا : كثيفا .

(٧)

قال أبو كَلْبَةَ التَّيْمِيُّ

(البحر البسيط)

١ - جُدِّعْتُما شاعِرَىْ قَومٍ ذَوِى حَسَبٍ
حُزَّتْ أُنوفُكما حَزًّا بِمِنْشَارِ

٢ - أَعْنِى الأَصَمَّ وأَعْشانا إذَا اجتمعا
فلا اسْتَعانا على سَمْعٍ وَإِبْصارِ

---

٧ - ترجمته : من فرسان بنى تيم اللات بن ثعلبة بن بكر ، وكان معاصرا للأعشى . وقيل بل هو أحد بنى قيس بن ثعلبة (نقائض ٦٣٥) وربما كان سبب هذا الخلط أن بنى تيم اللات كانوا متحالفين مع بنى قيس بن ثعلبة .

جو القصيدة : فى هجاء الأعشى وأصم بنى شيبان لمدحهما بنى شيبان دون اللهازم بعد يوم ذى قار (١ ، ٢) ثم يفخر باللهازم (٣) ثم يخص بنى عجل بالمدح (٤ ، ٥) ثم يمدح بنى ذهل بن شيبان والمأموم بن سيار وقومه (٦ ، ٧) . ويبدو أن بعض الكلمات قد تعرضت للتغيير بفعل رواة تعمدوا ذلك ، وخاصة صدر البيت السادس الذى يضطرب وزنه . ولا عجب أن يفخر الشاعر ببنى عِجل ؛ فهم أحلاف قومه ، وإنما العجب ألا يذكر قومه وهو الذى يرد بقصيدته على مدح الأعشى والأصم لبنى شيبان وحدهم دون سائر البطون التى اشتركت فى يوم ذى قار . فهل أبدلت كلمة « عجل » بكلمة « تيم » (٤ ، ٥) وهما من وزن واحد ؟ أم نعلل عدم ذكره لقومه بضياع جزء من القصيدة مكانه بعد البيت الثالث ليحل قومه فى صدارة فخره باللهازم ؟ أم كان البيت السادس - تصورا - على هذا النحو :

إلى فوارسَ من تيمٍ وما عَدَلَتْ   فى يوم ذى قار فرسانُ ابن سيَّارِ

أم كانت تيم مكان عجل فى البيتين ٤ ، ٥ وعجل مكان تيم فيما تصورناه للبيت السادس دون افتراض سقوط أبيات بين الثالث والرابع ؟ ثم شاء بعض الرواة عن عمد أن يغمطوا بنى تيم حقهم فأحدثوا هذه التغييرات التى تفصح عنها معانى القصيدة بصورتها الحالية .

٣ - لَوْلا فَوارِسُ لامِيلٌ ولا عُزُلٌ
مِنَ اللَّهازِمِ ماقاظُوا بِذِى قَارِ

٤ - إِنَّ الفَوارِسَ من عِجْلٍ هُمُ أَنِفُوا
مِن أَنْ يُخَلوا لِكِسْرى عَرْصَةَ الدَّارِ

٥ - لاقَوْا فوارسَ من عِجْلٍ بِشِكَّتِها
ليسوا إذَا قَلَّصَتْ حَربٌ بِأَغْمارِ

٦ - قدأَحسنَتْ ذُهْلُ بنُ شيبانٍ وماعَدَلَتْ
فى يومِ ذِى قارَ فُرسْانُ ابنِ سَيَّارِ

٧ - هُمُ الذين أَتَوْهُمْ عن شَمائِلِهِمْ
كما تلَـــبَّسَ وُرَّادٌ بِصُدَّارِ

* * *

التخريج : كتاب النقائض ٢/٦٤٥ الأبيات من ١ - ٤ وأيام العرب فى الجاهلية ص ٣٧ .

الشرح :

٣ - اللهازم : هم بنو تيم اللات بن ثعلبة ، وبنو عجل ، وبنو قيس بن ثعلبة وكلهم من بكر ، وبنو عنَزة بن أسد من ربيعة وكانوا جميعا حلفاء . قاظوا : أصابهم مطر أى خير .

٤ - العَرْصَة : كلُّ بُقعة بين الدور واسعة ليس فيها بناء .

٥ - الشّكة : السلاح . رجل غمر : لا تجربة له بحرب أو أمر ، ولم تحنكه التجارب ، وجمعه أغمار .

٦ - صدر البيت مضطرب الوزن ، وهو كذا بالأصل .

(٨)

قال مُجمِّعُ بنُ هِـــلال

(البحر الطويل)

١ – إنْ أُمْسِ ماشَيخًا كبيرا فَطَالما
عَمِرْتُ ، ولكنْ لا أَرى العُمْرَ يَنْفَعُ

٢ – مَضَتْ مائةٌ من مَولِدِى ، فَنَضَوْتُها
وَخَمْسٌ تِباعٌ ، بعد ذاك ، وأَرْبَعُ

٣ – وخَيلٍ كأسرابِ القَطا قد وَزَعْتُها
لها سَبَلٌ فيه المنيةُ تَلمَعُ

---

٨ – ترجمته : هو مُجَمِّعُ بنُ هلال بن خالدِ بن مالك ، من بنى تَيْم اللات بن ثعلبة . فارس جاهلى ، ذكر فى المعمرين ، وقيل عاش مائة وتسع سنوات ، أو مائة وتسع عشرة سنة ونسَبه أبو تمام إلى سعد بن زيد مناة .

جو القصيدة : كان الشاعر قد غزا مَرّةً فلم يغنم ، فمر وهو راجع من غزوته بماء لبنى تميم ، وعليه ناس من مُجاشع ، فقتل منهم وأسَر وسَبَى . وقال فى ذلك هذه القصيدة .

التخريج : ديوان الحماسة بشرح المرزوقى ٢/٧١٣–٧١٩ ومعجم الشعراء الأبيات ١–٤ ص ٤٣٧ .

الشرح :

١ – إن أمْسِ ماشَيخًا : ما زائدة . لا أرى العمر : أى اتصال العمر وطوله .

٣ – القطا : نوع من الطير لا يحب الانفراد . وزعتها : كففتها لترتد . السَّبَل : المطر ، والمراد به ههنا تتابع الخيل فى الغارة ، كتتابع المطر .

٤ – شَهِدتُ ، وغُنْمٍ قد حَوَيْتُ ، ولَذَّةٍ
أَتَيْتُ ، وماذَا العَيشُ إلا التَّمَتُّعُ

٥ – وعاثِرَةٍ يومَ الهُيَيْمَى رَأَيْتُها
وقد ضَمَّها من دَاخِلِ الْخِلْبِ مَجْزَعُ

٦ – لَها غَلَلٌ فى الصَّدْرِ ليس بِبارِحٍ
شَجًى نَشِبٌ ، والعَينُ بالماءِ تَدمعُ

٧ – تَقولُ ، وقد أَفْرَدْتُها مِنْ حَلِيلِها
تَعَسْتَ كما أَتْعَسْتَنِى يامُجَمِّعُ

٨ – فقلتُ لها بل تَعْسَ أُخْتِ مُجاشِعٍ
وَقَومِكِ ، حتى خَدُّكِ اليومَ أَضْرَعُ

٩ – عَبَأْتُ لهُ رُمْحًا طويلا وَأَلَّةً
كَأَنْ قَبَسٌ يُعْلَى بها حين تُشْرَعُ

١٠–وَكائِنْ تَرَكْتُ من كرِيمَةِ مَعْشَرٍ
عليها الخُمُوشُ ، ذَاتَ حُزْنٍ ، تَفَجَّعُ

* * *

---

٥ – الهُيَيْمَى : موضع كانت فيه هذه الموقعة وكانت لبنى تيم اللات على بنى مجاشع . الخِلْب : حجاب القلب .

٦ – الغلل : الماء الجارى بين الأشجار ، وكنى به عن الشجى .

البارح : الزائل . شجى : بدل من غلل . نشب : من نشب الشيء بالشيء إذا علق به .

٨ – أضرع : من الضَّراعة ، وهى الذل والانقياد .

٩ – عبأت له : هيأت له ، أى لمجاشع . الأَلَّة : السِّلاح . القَبَسُ : النار .

١٠ – الخُمُوشُ : جمع خمش ، أى خدش .

(٩)

قال وِزارُ التَّيمِىّ

(مشطور الرجز)

١ – نحن حَمَيْنا يومَ لا يَحْمِى بَشَرْ
٢ – يومَ الوقَيِطِ والنساءُ تُبْتَقَرْ
٣ – قَوْسٌ تَنَقَّاها من النَّبْعِ وَزَرْ
٤ – تُرِنُّ إنْ تُنازِعُ الكَفُّ الوَتَرْ
٥ – حِجْرِيَّةٌ فيها المَنايا تَسْتَعِرْ
٦ – تَحْفِزُها الأوتارُ والأيدِى الشُّعُرْ

* * *

٩ – **ترجمته** : فى معجم البلدان اسمه إزار ، وهو أحد بنى تيم اللات بن ثعلبة بن عكابة بن صعب بن على بن بكر بن وائل . (أيام العرب فى الجاهلية) .

جو الأبيات : كان وزار يرتجز بها وهو يقاتل فى صفوف قومه البكريين يوم الوَقِيط الذى كان لبكرٍ على تميم .

التخريج : أيام العرب فى الجاهلية ص ١٧٤ .

الشرح :

١ – ناقة بقير : شق بطنها عن ولدها أى شق ، وقد تبقر وابتقر وانبقر .

٥ – يعنى قوسا منسوبة إلى حَجْر – قصبة اليمامة ، أو بكسر الحاء نسبة إلى أرض ثمود – الحجر .

(١٠)

قال بَعْضُ بنى تيمِ اللات بنِ ثَعْلَبة

(البحر الكامل)

١ – ولقد شَهِدْتُ الخيلَ يومَ طِرادِها
فطعنتُ تحت كِنانَةِ المُتَمَطِّرِ

٢ – ونُطاعِنُ الأبطالَ عن أبنائنا
وعلى بَصائِرِنا وَإِنْ لم نُبْصِرِ

٣ – ولقد رأيتُ الخيلَ شُلْنَ عليكمُ
شَوْلَ المَخاضِ أَبَتْ على المُتَغَبِّرِ

* * *

---

١٠ – ترجمته : لم نعرف من هو . ولم ينسبها المرزوقى ١٣٣/١ إلى أحد وإنما اكتفى بكلمة « آخر » أى : وقال شاعر آخر .

جو الأبيات : قالها يوم أُوارَة (التبريزى) وهى فى الفخر .

التخريج : الحماسة بشرح التبريزى ١٢٧/١ – ١٢٩ .

الشرح :

٣ – شُلْنَ عليكم : أى شائِلة ، والتقدير وقد شُلْن عليكم ، وأراد بالخيل ههنا الدّواب ، وهى تَشُول بأذنابها إذا اشتد عدوها ، ويستدل بذلك على قوة ظهورها . كما تشول الإبل الحوامل بأذنابها وقوله « أبت على المتغبر » أراد رأيت الخيل شائلة أذنابها عليكم شول المخاض ، آبية على المتغبر (التبريزى) .

(٢)

أشعار بنى حَنِيفَةَ

(١١)

قال أُزَيْرِقُ اليمامَة

(البحر الوافر)

١ – لَبِسْتُ شَبِيبَتِى ما ذُمَّ خُلْقِى ... وما شِمْتُ الْعَدُوَّ ولا هَفَوْتُ

٢ – وما أَدَعُ السِّفارَةَ بينَ قَوْمِى ... ولا أمشى بِغَشْمٍ إنْ مَشَيْتُ

٣ – وما لِلْمُلْكِ فى الدنيا بقاءٌ ... وكيف بقاءُ مُلْكٍ فيه مَوْتُ

---

١١ – **ترجمته** : هو موسى بن جابر بن أرقم سلمة (وقيل مسلمة) ابن عبيد الحنفى اليمامى ، نصرانى جاهلى ، يُلقب أُزَيْرِق اليمامة ، ويعرف بابن ليلى ، وهى أمه ، وهو شاعر كثير الشعر على ما يذكره المرزبانى .

جو الأبيات : فى الفخر بنفسه (١ ، ٢) والحكمة (٣) ويبدو أنه نظمها عندما تقدمت به السن ، ولذا تكون « لبِثْتُ » أنسب للمعنى والجو العام من « لبست » إذ الثانية توحى بأنه قالها أيام الشباب .

التخريج : معجم الشعراء ص ٢٨٥ .

الشرح :

١ – شِمْتُ : من الشَّيْم أى التكبر ، من قولهم : لا أشيمُه : أى لا أنظر إليه من فقر ، يعنى أنه غنى عنه .

٢ – الغَشْم : الظلم .

(١٢)

وقال أُزَيْرِقُ اليَمامَةِ أيضا

(البحر الطويل)

١ – ولَمَّا نَأَتْ عنى العشيرة كُلُّها
أَنَخْنَا فَحالَفْنا السُّيوفَ على الدَّهْرِ

٢ – فما أَسْلَمَتْنَا عند يومِ كَرِيهَةٍ
ولا نحنُ أَغضَيْنَا الجُفُونَ على وِتْرِ

---

١٢ – جو البيتين : يفخر بنفسه وبقومه رَغْم ما حدث بينهما من قطيعة .

التخريج : معجم الشعراء ص ٢٨٥ .

الشرح :

٢ – الوتْر : الثأر ، من قولهم : وتَرْتُ الرجُلَ إذا قتلتُ حميمه فأفردته منه . وطَلَب وِتْرهُ وتِرَتَهُ .

(١٣)

وقال أُزَيْرِقُ اليمامةِ أيضا

(البحر الطويل)

١ - وَإِنَّا لوقَّافُون بالثُّغْرَةِ التى   يُخَافُ رَدَاهَا والنُّفُوسُ تَطَلَّعُ
٢ - وإنَّا لَنُعْطِى المَشْرَفِيَّةَ حَقَّها   فَتَقْطَعُ فى أيْمَانِنا وتُقَطَّعُ

---

١٣ - التخريج : معجم الشعراء ص ٢٨٥ .

الشرح :

١ - الثغرة ، بضم الثاء : كل فُرْجَةٍ بين شيئين .

٢ - تَطَلَّعُ : أى تفيض من الخوف ، من قولهم : طَلَّع كيله أى ملأه جدا حتى تطلّع .

(١٤)

وقال أُزَيْرِقُ اليمامةِ أيضا

(بحر الرمل)

١ – ما أُبَالِي أَلَئِيمٌ سَبَّنِي أو عَوَى ذِئْبٌ بِقَارَاتِ الجَبَلْ

---

١٤ – **التخريج** : معجم الشعراء ص ٢٨٥ .

الشرح :

القارات : جمع قارة ، وهى جبيل صغير .

ويذكرنا معنى هذا البيت بقول شمر بن عمرو الحنفى (٣/١٧) :

ولقد أمر على اللئيم يسبنى فمضيتُ ثُمَّت قلت لا يعنينى

(١٥)

قال امرأةٌ من بنى حَنِيفَة

(البحر الوافر)

١ – ألاَ هَلكَ ابنُ قُرّانَ الحميدُ ... أخُو الجُلّى أبو عَمْرٍو يَزِيدُ
٢ – ألا هَلَكَ أمرؤٌ هَلَكَتْ رِجالٌ ... فلم تُفْقَدْ ، وكانَ لَهُ الفُقُودُ
٣ – ألا هَلكَ امرؤٌ خَبَّاسُ مالٍ ... على العِلَّاتِ مِتْلافٌ مُفِيدُ
٤ – ألا هلك امرؤٌ ظَلَّت عليه ... بِشَطِّ عُنَيْزَةٍ بَقَرٌ هُجُودُ
٥ – سَمِعْنَ بِمَوْتِهِ فَظَلِلْنَ نَوْحًا ... قِيامًا ما يَحِلُّ لهنَّ عُودُ

---

١٥ – ترجمتها : « لم نعرف من هى » .

جو الأبيات : فى رثاء يزيد بن عبد الله بن عمرو الحنفى .

التخريج : المفضلية ٦٩ .

الشرح :

١ – الجلى : « فعلى » من الأمر الجليل .

٢ – الفقود : مصدر فقد .

٣ – العلات : أى الشدائد .

٤ – عُنَيْزَة : موضعٌ بعينه فى البحرين ، وهو يوم من أيام حرب البسوس . البقر هنا : أى النساء شُبِّهَتْ بها . ما يَحِلُّ لهنّ عُودُ : أى لا يأكلن شيئا .

(١٦)

قال شَمِرُ بنُ عمرٍو الحَنَفِيُّ

(البحر الكامل)

١ – لو كنتُ فى رَيْمانَ لستُ بِبارِحٍ　　　أبـدًا وسُدَّ خَصاصُهُ بِالطِّيـنِ
٢ – لى فى ذَراهُ مآكِـلٌ ومَشارِبٌ　　　جاءَتْ إلـىَّ مُنِيَّتـى تَبغينـى

---

١٦ – **ترجمته** : شمر بن عمرو الحنفى ، أحد شعراء بنى حنيفة البكريين باليمامة . وفى الأغانى أن شمر هذا قتل المنذر بن ماء السماء غِيلة ، وكان الحارث بن جبلة الغسانى قد بعث إلى المنذر بمائة غلام تحت لواء شمر هذا يسأله الأمان ، على أن يخرج له عن ملكه ويكون من قبله ، فركن المنذر إلى ذلك وأقام الغلمان معه ، فاغتاله شَمِر ، وتفرق من كان مع المنذر وانتهبوا عسكره (الأغانى ٩/١٧٢) . وهذا الخبر يخالف ما ذكره جورجى زيدان عند حديثه عن ملوك غسان فى تاريخ اليونان من أن المنذر بن ماء سماء قتل على يد الحارث بن جبلة ورجاله فى وقعة عين أباغ . (العرب قبل الإسلام ، ط لبنان ص ١٩٥) .

جو القصيدة : يذكر أن الموت غاية كل حى ، يتقحم عليه الحصونَ والأسوار . ثم جعل يمدح نفسه بالحلم واحتمال أذى اللئيم فى رضا وسماحة ، بل فى سخرية من حمقه وإهلاكه نفسه بما يحترق به صدره من العداء . وهو يرى أن موته لا ييئس به إلا الكرام . وأما من يشمت بموته فهم أدنياء الناس ورذالهم .

التخريج : الأصمعية ٣٨ .

الشرح :

١ – رَيْمان ، بفتح الراء وسكون الياء : قصر باليمن . خصاصه : فروجه وخلله .

٢ – الذَّرى ، بفتح الذال : ما يكن من الريح من حائط أو شجر . جاءت : هو جواب « لو » .

٣ – ولقد مررتُ على اللئيمِ يَسُبُّنى   فمضيتُ ثُمَّتَ قلتُ لا يعنينى
٤ – غضبانُ ممتلئًا عَلَيَّ إهابُهُ   إنِّى ، وربِّك ، سُخْطُه يُرْضِينى
٥ – يارُبَّ نِكْسٍ إنْ أَتَتْهُ مَنِيَّتى   فَرِحٌ ، وَخِرْقٍ إنْ هَلكتُ حَزِينِ

* * *

---

٣ – اللئيم : « أل » جنسية وتعريفها لفظى لا يفيد التعيين ، فالجملة بعده صفة له بمراعاة أنه نكرة فى المعنى ، أو حال بمراعاة أنه معرفة لفظا . ثمت : هى « ثم » العاطفة تزيد العرب التاء فى آخرها ، فتختص بعطف الجمل .

٤ – غضبان : بالنصب حال من « اللئيم » ، أو بالرفع خبر مبتدإ محذوف . ممتلئا : حال أخرى على رواية نصب « غضبان » ، أو حال سببية من الضمير فى « غضبان » على رواية رفعها . الإهاب : الجلد الذى لم يُدْبَغ ، واستعير هنا لجلد الإنسان .

٥ – النكس : بكسر النون وسكون الكاف : الرجل الضعيف ، أو المقصر عن غاية النجدة والكرم . الخِرق : الكريم المتخرق فى الكرم ، أو الفتى الظريف فى سماحة ونجدة .

(١٧)

قال عَمْرُو بنُ شَمِرٍ الحَنَفِيّ *

(البحر الطويل)

١ – ويومُ حَقِيقٍ قد غَدَوْتُ بِفِتْيَةٍ كمِثْلِ الأُسُودِ جَازِرًا بِسِنَانِيَهْ

---

١٧ – ترجمته : هو عمرو بن شمر بن عمرو بن عبد الله الحنفي . وشمر بكسر فسكون أو فتح فكسر (معجم الشعراء) .

التخريج : معجم الشعراء ص ٤٠ .

(١٨)

قال عمرو بن الزَّرَّاعِ الحَنَفِيُّ

(البحر الطويل)

١ - أَجِدَّا لِسُعْدَى السَّيرَ إذْ بِنْتُما بِهَا
وقُولا لِسُعْدَى لا نُمَيْرُ بنِ عامِرِ

٢ - فَقَدْ بَدَّلَتْ رَكْبًا جَنابًا بأَهْلِهَا
وَتَرْكَبُها فى السَّيرِ سَيْرِ الهَوَاجِرِ

٣ - إِذَا نَحْنُ شِئْنَا زَوَّجْنَا رِمَاحُنَا
كَما أَمْكَنَتْنَا مِنْ بَناتِ المُهَاجِرِ

---

١٨ - ترجمته : لم نعرف من هو .

جو الأبيات : قالها يوم النشاش وكان على بنى نُمير .

التخريج : معجم الشعراء ص ٤١ .

(١٩)

قال قَتادَةُ بنُ مَسْلَمةَ الحَنَفِيُّ

(البحر الكامل)

١ – بَكَرَتْ عَلَيَّ مِنَ السَّفاهِ تَلُومُني سَفَهًا تُعَجِّزُ بَعْلَها وتَلُومُ

٢ – لما رَأَتْني قد رُزِئْتُ فَوارِسِي وَبَدَتْ بِجِسْمي نَهْكَةٌ وكُلُومُ

٣ – ما كنتُ أوَّلَ مَنْ أصابَ بِنَكْبَةٍ دَهْرٌ وَحَيٌّ بَاسِلُونَ صَمِيمُ

٤ – قاتَلْتُهُمْ حتى تكافأَ جَمعُهُمْ والخيلُ فى سَبَلِ الدماءِ تَعُومُ

٥ – إذْ تَتَّقى بِسَراةِ آلِ مُقاعِسٍ حَدَّ الأسِنَّةِ والسُّيوفِ تَمِيمُ

٦ – لَمْ ألقَ قبلهمُ فوارِسَ مِثْلَهُمْ أَحْمَى ، وَهُنَّ هَوازِمٌ وهَزِيمُ

---

١٩ – ترجمته : هو قتادة بن مسلمة ، من بنى حنيفة بن لُجَيْم ، ومسكنهم اليمامة ، وهو الذى أجار الحارث بن ظالم المُرِّىَّ ، لما قتل خالد بن جعفر بن كلاب وخرج يلوذ بالقبائل ، ويحتمى بها ، وبسببه كانت حرب يومى رحرحان .

جو القصيدة : ينكر الشاعر – فى هذه القصيدة – على زوجته مبادرتها إلى لومه ، واتهامه بالضعف والعجز ، ويذكرها بأنه ليس أول شخص أصابه الدهر ، وهذا لا عار فيه . ثم يعرض مظاهر بطولته وشجاعته فى أيامه الخالية (الموسوعة) .

التخريج : موسوعة الشعر العربى ٥٨٩/٤ .

الشرح :

١ – البكور : الإتيان أول النهار . السفه : الخفة والاضطراب . البعل : الزوج .

٢ – رزئت : أصبت . النهكة : الضعف .

٣ – الصميم : خالص الشىء .

٤ – التكافؤ : من الكفء ، وهو قلب الشىء على وجهه . السَّبَل : السائل من المطر والدم .

٦ – هن : يرجع إلى الخيل . هوازم : جمع هازم وهزيم ، أى مهزوم .

٧ – لَما التقى الصَّفَّانِ واختلفَ القَنا والخيلُ في نَقْعِ العَجاجِ أَزُومُ
٨ – في النقعِ ساهِمَةُ الوُجوهِ عَوابِسٌ وبهنَّ من دَعْسِ الرماحِ كُلُومُ
٩ – يَمَّمْتُ كَبْشَهُمُ بطعنةِ فَيْصَلٍ فَهَوى لِحُرِّ الوجهِ وَهْوَ دَمِيمُ
١٠ – ومعي أُسُودٌ من حنيفةَ في الوغى لِلبَيْضِ فوقَ رُءُوسهمْ تَسْوِيمْ
١١ – قَومٌ إِذَا لبِسُوا الحدِيدَ كَأَنَّهُمْ في البَيْضِ والحَلَقِ الدِّلاصِ نُجُومُ
١٢ – فلئن بَقِيتُ لأرحَلَنَّ بِغَزْوَةٍ تَحْوِي الغنائِمَ أو يَمُوتَ كَرِيمُ

---

٧ – النَّقْعُ : الغُبار . العَجَاج : ما تطاير منه . الأَزْمُ : العَضُّ .
٨ – ساهِمَةٌ : متغيرة اللون ، مع ضَعْف . الدَّعْس : الطعن وشدة الوطء . كُلوم : جروح .
٩ – يمم : قصد . الكَبْشُ : الرئيس . الفيصل : هو ما يُفصل به بين الفريقين . الحر : الخالص .
١٠ – التَّسْوِيمُ : التأثير ، والعلامة .
١١ – الحَلَقُ : الدروع . الدِّلاص : اللينة المَلْساء .

(٢٠)

قال مُجَّاعَةُ بنُ مِرارةَ الحنفى

(البحر الطويل)

١ - تَعَذَّرْتَ لمَّا لم تَجِدْ عِلَّةً مُعاوِىَ إنَّ الاعتذارَ مِنَ البُخْلِ

٢ - ولاسِيَّما إنْ كانَ مِنْ غَيْرِ عُسْرَةٍ ولا بِغْضَةٍ كانت عَلَىَّ ولاذَحْلِ

---

٢٠ - **ترجمته** : لم أعرف عنه أخبارا .

التخريج : معجم الشعراء ص ٤٤٢ .

الشرح :

١ - إذا قطعت همزة الوصل فى كلمة « الاعتذار » سلمت مفاعلين من القبض .

٢ - الذَّحْلُ : الحقد والعداوة . وطلب بِذَحْلِهِ أى بثأره .

(٣)

أشعار بني زِمَّان

(٢١)

قال عِصامُ بنُ عُبَيْدٍ الزِّمّانيُّ

(البحر البسيط)

١ – أَبْلِغْ أبا مَسْمَعٍ عنى مُغَلْغَلَةً
وَفى العِتابِ حَياةٌ بينَ أقوامِ

٢ – أَدْخَلتَ قَبلىَ قومًا لم يكن لَهُمُ
فى الحَقِّ أنْ يَدْخُلوا الأبوابَ قُدامى

٣ – لو عُدَّ قَبْرٌ وقبرٌ كنتُ أكرَمَهُمْ
مَيْتًا ، وأبعدَهُمْ من مَنْزِلِ الذّامِ

٤ – فقد جَعَلتُ إذا ما حاجَتِى نَزَلَتْ
بِبابِ دارِكَ أَدْلُوها بِأقْوامِ

---

٢١ – **ترجمته** : شاعر جاهلى مقل ، ولسنا ندرى هل « زِمّان » أحد أجداده من بنى حنيفة بن لجيم – أم هو زمان بن تيم اللات بن ثعلبة ، أم زمان بن ربيعة بن مازن بن مالك – رهط الفِنْد الزمانى – وكلهم ينتمون إلى بكر بن وائل . ونسب الجاحظ هذه الأبيات إلى همام الرقاشى البيان والتبيين ٣١٦/٢ ونسبها المرزوق إلى عصام بن عبيد الله .

جو الأبيات : يعاتب فيها أبا مسمع لأنه أدخل مقره أناسا لم يكن من حقهم أن يدخلوا قبله ، يقصد أن أبا مسمع قرب إليه من هم دون الشاعر إخلاصا وحبا .

التخريج : ديوان الحماسة بشرح التبريزى وبشرح المرزوق ١١٢٠/٣ والبيان والتبيين ٣١٦/٢ .

الشرح :

١ – مغلغلة : رسالة .

٣ – الذام : العيب .

٤ – أدلوها : أرجو إنجازها .

(٢٢)

قال الفِنْدُ الزِّمّانِىّ

(البحر الخفيف)

١ – عَجِّلِ اليومَ صاحِبِى بِالرَّواحِ   واسْقِيانى قبل التَّرَوُّحِ راحا

---

٢٢ – ترجمته : مضت بالفصل الرابع .

جو القصيدة : من القصائد التى نسبت إلى الفند الزمانى فى حرب البسوس . مطلعها خمرى (١) يليه غزل (٢ – ٥) وبقية القصيدة فخر بقومه البكريين وما فعلوه بنى تغلب . وهى فى رأينا موضوعة متأخرة الوضع ، ويتجلى ذلك من عدة أمور :

١ – الركاكة البادية فى القصيدة ، والتكرار الذى يدل على ضعف شاعرية ناظمها الذى نظنه أحد من تخصصوا فى إنشاد قصة هذه الحرب فى مجالس السمر ... من مثل قوله :

أين ليلى وأين ليلى وليلى   أمرضت غيرنا رجالا صحاحا

٢ – عجز الناظم عن مجاراة القافية أحيانا ، إذ يلجأ إلى الترادف الذى يظهر كأنه أمر آخر يضيفه إلى المعنى ... مثل قوله :

قد تركنا نساءهم معولات   معلنات مع البكاء النواحا

٣ – الإشارة إلى أن لتغلب نبيا يحالف نبى بنى بكر ، أمر لا نلمحه فى سائر الأشعار التى قيلت فى حرب البسوس (أنظر بحثنا « الشعر فى حرب البسوس) فضلا عن أن هذه الإشارة جاءت قلقة فى موضعها . وربما دل ذلك على وضع القصيدة بعد الإسلام ؛ إذ بقيت تغلب على نصرانيَّتها – كما هو معروف – بينما أسلمت بكر .

٤ – انفراد كتاب بكر وتغلب بروايتها ، وهو مصدر مجهول المؤلف يروى عن ابن إسحاق وابن الكلبى .

التخريج : كتاب بكر وتغلب ص ٩٥ .

الشرح :

١ – التَّرَوُّحُ : الرَّوَاح : راحوا إلى بيوتهم رَوَاحًا وتَرَوَّحُوا إليها وتروحوها بمعنى واحد . الرّاح : الخمر .

٢ – علَّ ما بالفؤادِ يَذهبُ عنه إنَّ عقلى أمسى غريبًا مُرَاحَا
٣ – أين ليلى وأين ليلى وليلى أَمْرَضَتْ غيرَنا رجالا صِحاحَا
٤ – لا ترى عاشِقًا تَعَلَّقَ ليلى ويُلاقى المماتَ منها رواحا
٥ – عاجَ لى ذِكْرُها حمامٌ هُدُوٌّ يَذْكُرُ الإلْفَ فى الغصون فَناحا
٦ – لَقِيتْ تَغْلِبٌ كَعُصْبَةِ عادٍ إذ أتاهُمْ هَوْلُ العذابِ صباحا
٧ – وَنهاهُمْ نَبِيُّهم يومَ ذَاكُمْ ودَعَاهُمْ إلى الإله صُراحا
٨ – وَنَهَيْنا عن حَربنا تغلِبَ الشُّو سَ فما عافَتِ البلاءَ المُتاحَا
٩ – دُونَ أن أَبْصَرَتْ خُيولًا لِبَكْرٍ وسُيُوفًا هِنْدِيَّةً ورِماحا
١٠ –فقتلنا بِوارِدَاتٍ رِجَالا إذْ بَدَا كاظِمُ الضَّمِيرِ فَباحا
١١ –لَقِيَ القومُ بالذنائِبِ مِنَّا إذ كَشَفْنا الخُلُودَ مَوْتًا ذُبَاحا

---

٢ – مُراحا : معرضا للتلف ، من قولهم : لا تُمَرِّحْ بِعِرْضِك أى لا تُعَرِّضْه .

٦ – فى الأصل : كهقلة عاد ، والهِقْل والهَيْقَل بمعنى الظليم . والتصحيح من شعراء النصرانية لشيخو .

٨ – فى الأصل : تغلب العشو ، والعَشْوَة بمعنى الظلمة ، ويقال : ركب فلانٌ عَشْوة . بفتح العين أو ضمها أو كسرها . أى باشر أمرًا على غير بيان . وأثبتنا ما ورد فى شعراء النصرانية . الشُّوس : النظر بمؤخرة العين تغيظا .

١٠ – فى الأصل : الضمير ضباحا . والتصحيح من شعراء النصرانية . الضمير : السر وداخل الخاطر . وفى شعراء النصرانية : كاتم الضمير .

١١ – الذنائب : يوم من أيام حرب البسوس ، وهو موضع بعينه . كشفنا : من قولهم كشف عنه الثوب أى أزاله عن موضعه ويكون المعنى : قتلناهم أو جردناهم من أسلحتهم قبل القتل ، ورجل أكشف : لا ترس معه . الخلود : إطالة الإقامة ، وفلان مُخْلِد : الذى أبطأ عنه الشيب . الذُّباح : داء فى الحلق وقيل نبات هو سُمٌّ .

١٢–وأسَرْنا عَدِيَّها واصْطَنَفْنَا بِيَدٍ لَوْ أثابَ منا نَجاحا
١٣–سَفَّهُوا حِلْمَنا فلما أثَارُوا للقاء الكُماةِ طاحُوا طِياحا
١٤–لَقُوا أُسْدَ غابَةٍ وكُهُولًا وقَنًا تَصْرَعُ الكُماةَ سباحا
١٥–يطردون الخيولَ فى رَهَجِ النَّقْـ ـعِ وَيَقْتُرُونَ بالسُّيُوفِ السِّلَاحَا
١٦–سايَحُوا شيخَنا جُحَيْشًا وكانوا كلما أخرجوه للحربِ سَاحَا
١٧–ولقد كان كارِهًا للـــذى كا نَ رَجَاءً بأنْ يكُونَ الرَّبَاحَا
١٨–فأصابوا بُجَيْرًا من غير جُرْمٍ كام منه ، إذْ صادقُوهُ كِفَاحَا

---

١٢ – فى الأصل : وأيسرنا وهو خطأ لا يستقيم مع المعنى أو الوزن . عَدِيَّها : عَدِى وهو المهلهل بن ربيعة الذى أسره الحارث بن عباد يوم تحلاق اللمم . واصطنفنا . كذا بالأصل ، وأظنها « وآصْطفينا » .

أثاب : عاود ، من قولهم : يثاوبونها أى يعاودونها .

١٣ – أثاروا : كذا بالأصل ، وأظنه خطأ وصحته أثابوا أى عادوا إلى لقائنا لطمعهم فى حِلْمنا حين كففنا عن بنى ذهل مساعدتنا . طاحوا : هلكوا .

١٤ – سباحا : كذا بالأصل ، ولعلها سياحا . والسياحة : الذهاب فى الأرض للعبادة ، ويكون المعنى أن قناهم فرض عليها قتل الشجعان وانظر البيت ١٦ من نفس القصيدة .

١٥ – الرهج : الغبار . يَقْترون ، بضم التاء وكسرها : يخفون .

١٦ – جحيشا : لم يرد ذكره فى أخبار حرب البسوس على اختلاف رواياتها .

١٧ – الرباحا : الربح أو الغنيمة .

١٨ – بُجَيْر : ولد الحارث بن عباد الذى أرسله أبوه إلى المهلهل بن ربيعة ليقتله إن أراد وفاء بدم كليب حقنا لدماء بنى شيبان وتغلب فقتله المهلهل قتلة مهينة ؛ قائلا : بؤبشسع نعل كليب ، مما دفع بالحارث بن عباد إلى الدخول فى الحرب . كفاحا : أى لاقاه مواجهة عن مفاجأة .

١٩–ضَرَّجُوا ثَوبَهُ وقالوا سِفاها أنت بالشَّسْع من كليب صُرَاحَا
٢٠–فأصابَ المقالُ آنافَ بَكْرٍ فأبادَتْ به الرجالَ الصِّباحا
٢١–ورجَتْ تغلِبٌ تُعِيدُ كُلَيْبًا فأطَحْنَا سَرَاتَهُمْ حيثُ طَّاحا
٢٢–قدْ تركنا نساءَهُمْ مُعْوِلَاتٍ مُعلِنَاتٍ مع البكاءِ النُّواحا
٢٣–بَقِيَتْ بعده الجليلةُ تبكى والخُرَّدُ العَيْطاءُ تدعو لِحاحا
٢٤–وتركنا أُصيْبِيَاتٍ صغارًا وذَرَارِىَّ يَحْتَسُونَ القَراحا
٢٥–كأنَّ سَهْمَ النِّساءِ سهمُ حياةٍ وأَجَلْنا على الرجالِ القِداحا
٢٦–وتركنا ديارَ تغلبَ قفرًا وكَسرْنا من الغُواةِ الجَناحا
٢٧–وترى الزِّيرَ يَمْعَجُ القولَ فِينَا بَعْدَ ما صَارَ مُفْرَدًا مُسْتَبَاحا
٢٨–هو فى الشرِّ قائلٌ ومُرَوٍّ ليتَهُ ماتَ قبلَها فاسْتَرَاحَا

* * *

---

٢١ – ورجت تغلب تعيد كليبا : ذلك أن بنى شيبان كانوا قد عرضوا على المهلهل ألف ناقة من الإبل فداء كليب ، فرفض مُمليا عدة شروط للصلح من بينها إحياء كليب ! إمعانا منه فى رفض الصلح . سراتهم : رؤساؤهم . أطاح : أهلك ، وضيع .

٢٣ – الجليلة : هى جليلة بنت مرة بن ذهل بن شيبان البكرية أخت جساس بن مرة قاتل زوجها كليب وهى شاعرة .

الخُرَّدُ : العذارى . العيطاء : طويلة العنق ، وفى شعراء النصرانية « والخدود العيطاء » .

٢٤ – فى الأصل : يحسون ، وأثبتنا ما رأيناه صحيحا لغة ووزنا . ومنه قولهم : وتحاسوا كئوس المنايا . القراحا : كذا بالأصل ، والقرح : الجرح والألم ، ويقال : به قُرْحٌ من قَرْحٍ به أى ألم من جراحة به .

٢٧ – الزير : المهلهل بن ربيعة .

(٢٣)

وقال الفِنْدُ الزِّمَّانىُّ أيضا

(بحر الرمل)

١ – ليسَ يُغْنِى القَولُ إلا لامرِئٍ صادِقٍ بالقَولِ يومًا أو مُطِيقْ
٢ – إنَّ مَن أَوْرَدَ صَعْبًا نفسَهُ هُوَّةً ذَاتَ ازْوِرارٍ ومضيق

---

٢٣ – **جو القصيدة** : قيلت فى حرب البسوس ، وتدور كسابقتها حول الفخر بقومه البكريِّين ، وعدوان تغلب عليهم ، ونجدة أهله بنى زمان لإخوانهم بنى ذهل حين بالغ المهلهل بن ربيعة فى الأخذ بثأر أخيه كليب . ثم يذكر المهلهل بما فعله البكريون حين ساندوا كليبا فى حربه ضد مذحج يوم خزازى قبل نشوب حرب البسوس . ويختم القصيدة بقوله إننا إذا خذلنا اليوم ذهل بن شيبان ، فإننا سنلاقى بعدُ من ظلم المهلهل ما لا نطيق .

والقصيدة من الشعر الموضوع ، لما يبدو فيها من ركاكة وضعف ، من مثل قوله :

قد رأيتم أثرا من طعننا فخذوه ، أو ذروه فى الطريق

فالأسلوب يبعد عن أساليب الجاهليين كما يتمثلها الباحث ، وإلا فما هو هذا الطعن الذى يؤخذ أثره أو يطرح فى الطريق ؟!

ومثله قوله : « نحن لا أمثالكم » ... الأمر الذى يؤكد وضع القصيدة فى زمن متأخر حين ابتعدت لغة الحديث اليومى عن لغة الأدب وحين أصبحت قصة حرب البسوس مجالا لعبث الرواة فى مجالس السمر .

التخريج : كتاب بكر وتغلب ص ٥٦ .

الشرح :

٢ – ازورار : انحراف .

٣ – لاحِقٌ تغْلِبَ فى عُدوانِهِ بادِيًا فى الظلمِ فينا والفُسُوقْ

٤ – ليس ظُلْمٌ يَنْتَدِى المرءُ به كانتصارِ المرءِ فى الوِتْرِ الحَنِيقْ

٥ – ليس من جَرَّبَ يومًا حَرْبَنا كان للعودةِ فيها بالحَقِيق

٦ – شَجَّعَتْهُ النفْسُ عن ذى صَدْرِهِ أَشْخَصَتْهُ حِدَّةُ النفْسِ البَرُوق

٧ – قَعَدَ المُهْرُ بِهِ مغرورنًا ليس غيرُ الرمحِ والنصلُ العَتيق

٨ – ليس يشكو أَلَمَ الجُرحِ امرؤٌ نالَ حِينًا سَعةً من بعدِ ضِيقْ

٩ – ورمى بالوِتْرِ منه جانبًا فرمى الأعداءَ بالطعنِ المُرِيق

١٠ –ذاكَ ما ذاكَ ولو ذا حِفْظَةٍ بَطَلٌ يقطعُ أقرابَ الصَّدِيقْ

١١ –من رئيسٍ لَمْ يُراقِبْ إذْ غَدا حُرْمَةَ الجارِ ولاحَقَّ الرَّفِيقْ

١٢ –رفض القوم ولم يرحَمْهُمُ ورمانا رَمْيَةَ المَوْلى العَتُوق

---

٣ – الفسوق : الخروج عن طريق الحق والفجور .

٤ – وترت الرجل : قتلت حميمه فأفردته منه . الحنيق : المغتاظ .

٦ – أشخصته : أزعجته ، وأشخص الرامى : جاز سهمه الهدف . البروق : الحيرة والدهشة .

٧ – المهر : ولد الفرس . مغرورنا : كذا بالأصل . العتيق : القوس القديمة .

٨ – فى الأصل : تال حين .

١٠ – حفظه حميه . أقراب : جمع قُرب وهو الدُّنُوّ .

١٢ – المولى : السيد أو العبد (من الأضداد) . العتوق : يقال للعبد إذا أعتقه سيده : عاتق وعتيق ، وعتوق هنا مثل عتيق ، صيغة مبالغة . فيكون معنى « المولى العتوق » العبد العتيق . وهذا التركيب غير جاهلى فلا أظن أنه ورد فى تراكيبهم أو تشبيهاتهم « رمانا رمية كذا » ولعل هذا التركيب يذكرنا بقول العامة « رمانا رمية الكلب » .

١٣–نحنُ لما نَبتدِعْ ظُلمًا بهِ فَتَصَدَّى وبَغَى الظلمُ السَّحِيقْ
١٤–وَنَصَبْنا فى خَزَازَى رُمْحَهُ وطَرَدْنا العُصْمَ عن كل أَنِيق
١٥–وكفيناه عَيانًا مُذْحِجًا بِضِرَابٍ مثلِ تَضْرَامِ الحريقْ
١٦–يومَ لا تسترُ أُنثى وجهَهَا ونفوسُ القومِ تَنْزُوا فى الحُلوق
١٧–نحنُ لا أمثالكم يومَ الوغَى فى حُمَيَّاها ولا يوم الحُقوق
١٨–قد رأيتمْ أَثَرًا من طَعْنِنَا فَخُذُوهُ أو ذَرُوهُ فى الطَّرِيق
١٩–إنْ خذَلْنَا اليومَ ذُهْلًا لَهُمُ فَغَدًا نَحمِلُ عنهمْ ما نطيقْ

* * *

١٤ – خزازى : يوم من أيام العرب فى الجاهلية كان بين معد بقيادة كليب التغلبى وبين أهل اليمن ، وكانت بكر وتغلب حينئذ فى دار واحدة يجمعهم الحلف والمحبة والحل والترحال .

أنيق : يقال روضة أنيق أى معجبة . العصم : جمع أعصم وهو الحيوان فى أرجله بياض قليل .

١٥ – مذحج : قبيلة يمنية . بضرابٍ : الضِّراب والمضاربة هو أن يضرب كل منهما الآخر .

١٦ – تنزوا : تثب .

١٧ – الحقوق : ج الحق ، ومن معانيه : الموت والحزم . لا أمثالكم : كذا بالأصل .

١٩ – ذُهْلًا : أى ذهل بن شيبان وهم بطن من بطون بنى بكر ومنهم جساس بن مرة قاتل كليب بن ربيعة التغلبى .

(٢٤)

وقال الفِنْدُ الزِّمّانيُّ أيضا

(بحر الهزج)

١ - ياطَعْنَــةَ ماشَيْــخٍ كَبيرٍ يَفَنٍ بَالِــى
٢ - تُقِيمُ المَأْتَمَ الأَعْلَى على جُهْدٍ وَإِعْوَالِ
٣ - ولولاَ نَبْلُ عَوْضٍ فِي خَضْمَّـــاتى وَأَوْصالى
٤ - لَطاعَنْتُ صُدورَ الخَيْـ ـلِ طَعْنًا ليس بالآلى
٥ - ترى الخيلَ على آثا رِ مُهْرِى فى السَّنَا العَالى
٦ - ولا تُبْقِي صُرُوفُ الدَّهْـ ـرِ إنسانا على حَالِ
٧ - تَفَتَّيْتُ بها إذْ كَـ ـرِهَ الشِّكَّةَ أَمْثالِى
٨ - كَجَيْبِ الدِّفْنِسِ الوَرْهَا ءِ رِيعَتْ بَعْدَ إجْفَالِ

---

٢٤ - **التخريج** : ديوان الحماسة بشرح المرزوقى ٥٣٧/٢ وشرح التبريزى ١١٣/٢ .

الشرح :

١ - ما : زائدة . يفن : شيخ كبير هرم .

٢ - المأتم : كل مجتمع فى حزن أو فرح أو خاص بالنساء .

ووصف المأتى بالأعلى يدل على أنه قتل رئيسا . إعوال : مصدر أعول أى رفع صوته بالبكاء والصياح .

٣ - النّبل : اسم جمع للسهام . العَوْض : الدهر . خضماتى : ساعدى وذراعى . أوصالى : مفاصلى .

٤ - صدور الخيل : أى صدور الفوارس . الآلى : المقصر .

٧ - تفتيت : أى تخلقت بأخلاق الفتيان . الشكة : ما يلبس من السلاح .

٨ - الدفنس الحمقاء والورهاء : قليلة العقل . ريعت : أخيفت . الإجفال : الإسراع فى المشى . والمعنى - من شرح التبريزى - أن هذه الطعنة لقوتها اتسع محلها كاتساع جيب المرأة الحمقاء التى تسرع فى المشى وهى خائفة وربما مزقت جيبها فى هذه الحالة .

(٢٥)

وقال الفِنْدُ الزِّمَّانيُّ أيضا

(بحر الهزَج)

---

٢٥ – جو القصيدة : نظمت هذه القصيدة أيضا فى أحداث حرب البسوس . وأولها فى ديوان الحماسة : « صفحنا » بدلا من « كففنا » ، وأثبتنا الثانية عن كتاب بكر وتغلب – رغم ما به من أشعار موضوعة – لأننا نرجح صحة هذه الرواية التى يستقيم بها المعنى مع أحداث الحرب ، إذ من المعروف أن كثيرا من البطون البكرية – ومنها بنو زمان ، رهط الشاعر ، والحارث بن عباد ، فارس النعامة المشهور وسيد بنى ضبيعة ، قد كَفَّتْ يدها عن الدخول فى الحرب إلى جوار بنى ذهل بن شيبان حين قَتَلَ جساسُ بن مرة كليبا . ولما فشِلت محاولات إصلاح ذات البين التى تجلت فى تضحية الحارث بن عباد بابنه بجير ليكون فداءً لكليب ، وفى تجنب البطون البكرية حرب شيبان وتغلب . ولما بالغ المهلهل فى الأخذ بثأره ، وكاد أن يبيد بنى ذهل بن شيبان ؛ سارعتْ البطون البكرية الأخرى إلى نجدة إخوانهم ، فدخل بنو زمان بقيادة الفِند ، ودخل بنو ضبيعة بقيادة الحارث بن عباد ، وكذلك بنو حنيفة . وفى هذه الأحداث نظم الشاعر هذه القصيدة ، ومن ثم يستقيم قوله « كففنا عن بنى ذُهل » ، ولا يستقيم القول : « صفحْنا عن بنى ذهل » ؛ لأنهم لم يحاربوا بنى ذهل ، وإنما كانوا إلى جوارهم فى مواجهة طغيان بنى تغلب .

ونرجح صحة الأبيات التسعة الأولى – رغم أن الجاحظ قد استدرك بعد أن أورد أبياتا منها قائلا : لا أظنها له – أما بقية الأبيات (١٠ – ١٥) فنشك فى صحة نسبتها إلى الفِنْد الزمانى ؛ نظرا لما يبدو من اختلاف بين أسلوب القسمين . هذا فضلا عما يحمله التعبير « قبسنا منهم نارا » من ظلال قرآنية مستمدة من قوله تعالى : ﴿ لعلى آتيكم منها بقبس أو أجد على النار هدى ﴾ [سورة طه : آية ١٠] .

التخريج : كتاب بكر وتغلب ص ٩٣ وديوان الحماسة ١٩/١ الأبيات من ١ – ٩ مع اختلاف يسير فى الرواية وحماسة البحترى ص ٥٦ الأبيات ١ ، ٢ ، ٥ ، ٦ والحيوان ٤١٥/٦ الأبيات ١ ، ٢ ، ٥ ، ٧ ، ٩ واستدرك قائلا « لا أظنها له » .

١ – كَفَفْنَا عن بَنى ذُهْلٍ ... وَقُلْنا : القومُ إخْوَانُ
٢ – عَسَى الأيامُ أن يَرْجِعْـ ... ـنَ قَومًا كالذى كانُوا
٣ – وبعضُ الحِلْمِ عندَ الجَهْـ ... ـلِ لِلذِّلَّـةِ إذْعَـانُ
٤ – وفى الشَّرِّ نَجاةٌ حِيـ ... ـنَ لا يُنْجِيكَ إحْسَانُ
٥ – فلمـا صَرَّحَ الشَّرُّ ... فَأَمْسَى وَهْوَ عُرْيَانُ
٦ – ولم يبقَ سِوى العُدْوَا ... نِ دِنَّاهُمْ كما دَانُوا
٧ – شَدَدْنا شَدَّةَ اللَّيْثِ ... غَدا والليثُ غَضبانُ
٨ – بِضربٍ فيه تَوْجِيعٌ ... وَتَوْهِيـــنٌ وَإرْنَـــانُ
٩ – وَطَعْنٍ كَفَـمِ الزِّقِّ ... وَهَـى والـزِّقُّ مَلآنُ
١٠ –لَهُ بادَرْتُ مِنْ أَحْمَـ ... ـرِ الجَوْفِ وثُعْبَانُ
١١ –قَبسْنَـا منهُـمُ نارًا ... وللـــــــنيرانِ نِيرانُ

الشرح :

١ – أى لم نُرِد مساعدة بنى ذهل بن شيبان أول الأمر حتى لا تتسع الهوة بينهم وبين حلفائهم وأصهارهم بنى تغلب .

٢ – أى كالذى كانوا عليه من الجوار والحلف والمحبة .

٣ – أى أن الحِلْم فى مواجهة الطيش والسفة رضاء بالذل والهوان .

٨ – الإرنان : من الرنين وهو صيحة حزينة .

٩ – الزِّق : قربةٌ من جلد للماء أو الخمر وما أشبه .

١٠ – كذا بالأصل . والوزن والمعنى مضطربان .

١١ – قبسنا : أخذنا .

١٢ – وَوَلَّوْا إذْ تَفَكَّرْنَـا لَهُـمْ والمَـوْتُ عَجْـلانُ
١٣ – حَذَارِ الموت إنَّ المَوْ تَ للأعـداءِ مِحْسَانُ
١٤ – قَصَدْنا نَحْوَهُمْ حتى إذَا جُرْنـا لَهُـمْ لانُـوا
١٥ – فأمْسَوْا رَهَنَ الرَّمْلِ عليهِمْ ثَمَّ أكْفَـانُ

* * *

---

١٢ – عجلان : سريع .

١٣ – محسان : من قولهم : يُحسِنُ إليهم فهو محسن ومحسان .

١٤ – جُرْنا : الجَوْرُ المَيْلُ ويقال : طعنه فَجَوَّرَهُ . ويجوز أن تكون جُزْنا ، بالزاى المعجمة ، أى جزنا مكان إقامتنا فى اليمامة حين قصدناهم ، ومنه قول امرئ القيس :

فلما أجَزْنا ساحة الحى وانتحى بنا بَطْنُ خَبْتٍ ذى حِقَافٍ عَقَنْقَلِ

١٥ – رَهَنَ : أقام ، وأرهن الميتَ القبرُ ضمنه إياه وألزمه .

(٤)

أشْعَارُ بَنِي شَيْبَان

(٢٦)

قال أَصَمُّ بنى شَيْبَان

(البحر البسيط)

١ – لما تَدَاعَيْتُمُ والنَّقْعُ مُعْتَكِـــرٌ   [مِثْلَ] الأَراقِمِ نَادَيْنــا بِعَلْــوَانِ
٢ – فَاسْتَلْحَمَ الموتُ مَنْ حانَتْ منيَّتُهُ   من كان فارسَ قومٍ غيرَ ثِنْيانِ
٣ – كم من فَتاةٍ أصابَ الموتُ قيمَتَها   فالدَّمْعُ منها بِتَهْتَانٍ وتَسْنَانِ

---

٢٦ – **ترجمة الشاعر** : هو الأصم عمرو بن قيس بن مسعود بن عامر بن عمرو ابن أبي ربيعة بن ذهل بن شيبان ، وهو عمرو الأصم ، وابنه مفروق بن عمرو ، أحد فرسان بنى شيبان وسادتها وذى النباهة فيها ، وكان هو وأبوه شاعران (المؤتلف والمختلف) .

جو الأبيات : فى الفخر ببنى شيبان ، قومه ، يوم ذى قار .

التخريج : المؤتلف والمختلف ص ٤٣ .

الشرح :

١ – تداعيتم : اجتمعتم من كل جانب . الأراقِمُ : الحَيَّاتُ الرُّقْش .

وأول الشطر الثانى فى الأصل بدون « مثل » .

علوان : شعار بنى ربيعة يتنادون به عند القتال .

٢ – استلحم الموت : لم يترك فرصة للخلاص منه .

(٢٧)

وقال الأَصَمُّ أيضا

(البحر البسيط)

١ – إنَّ المَقادَ به قَتْلى مُصَرَّعَةٌ   أَوْدَتْ بها منكُمُ ذُهْلُ بنُ شَيْبانِ

---

٢٧ – **جو البيت** : قاله فى يوم المقاد ، وكان على بنى تغلب . ويبدو أن هذا البيت والأبيات السابقة من قصيدة واحدة فخر فيها الشاعر بأيام بنى شيبان فى الجاهلية .

التخريج : معجم الشعراء للمرزبانى ص ٣٨ .

(٢٨)

قال بِسطام بن قيس

(البحر الطويل)

١ – لَعَمْرِى لَئِنْ ضَجَّتْ تميمٌ وعامِرٌ   لقد كنتُ قِدْمًا فى حُلوقِهِمُ شَجَا
٢ – أَرُونى بمسعودٍ وقيسٍ وَخَالِدٍ   وعمرٍو وعبدِ اللهِ ذِى الباعِ والنَّدَى
٣ – لكانُوا على أَفْناءِ بكرِ بنِ وائِلٍ   رَبِيعًا ما سالَ سائِلُهُمْ جَرَى
٤ – وَسِرْتُ عَلَى آثارِهِم غيرَ تارِكٍ   وَصِيَّتَهُمْ حتى انتهيتُ إلى المَدَى

---

٢٨ – ترجمته : هو بِسطام بن قيس بن مسعود بن ذى الجَدَّيْن بن قيس بن خالد الشيبانى . أبو الصهباء . سيد بنى شيبان وفارس ربيعة . ضرب به المثل فى الفروسية فقيل : أفرس من بِسطام ، وفى الفداء إذ قيل : أغلى فداء من بِسطام بن قيس . قتل يوم الشقيقة بين شيبان وتميم .

جو الأبيات : فى الفخر . والشطر الثانى من البيت الثالث مضطرب فى وزنه ، وإذا قلنا مثلا (ربيعا إذا ما سال سائلهم جرى) لاستقام الوزن .

التخريج : المؤتلف والمختلف ص ٦٤ .

الشرح :

١ – ضَجَّت : من قولهم : لهم ضجيج وضِجَاج ، وقد ضَجُّوا ، وضج البعير من الحمل ... وسمعت له ضجة منكرة .

شجا : من قولهم أشجاه بكذا أى أغصَّه به . ومن المجاز : فى حلوقهم شجا ما يُنْتَزَع . ومنه قول سويد بن أبى كاهل :

ويرانى كالشَّجَا فى حَلْقِهِ   عَسِرًا مَخْرَجُهُ ما يُنْتَزَعْ

(٢٩)

قال بِسْطَامُ بْنُ قَيْسٍ أيضا

(البحر الكامل)

١ – بِدَوامِ سَعْدِكَ تسعدُ الأَمْدَادُ وَبِفَضْلِ مَجْدِكَ، تَشْهَدُ الأَمْجادُ
٢ – عَشْرٌ لِعَشْرِ أناملٍ لَكَ فى النَّدَى لِلخَلْقِ من بَركاتها إمْدادُ
٣ – كَفٌّ بِمعروفٍ لها معروفَةٍ ويَدٌ لبذْلٍ ، بذْلُها مُعتادُ
٤ – لم يَخْلُ من بَذْلٍ يَمِينُكَ مثلما لم يَخْلُ منك من الوَلاءِ فُؤادُ
٥ – يَهْنِيكَ هَذَا العِرْسُ ما بينَ المَلَا يافارِسَ الأزمانِ والجَوَّادُ
٦ – لازِلْتَ فى نِعَمٍ تَعُمُّ وعيشَةٍ مَرْضِيَّةٍ ، وَمَزِيدُهَا يَزْدَادُ

---

٢٩ – **جو القصيدة** : فى مدح عنترة بن شداد يوم زواجه !! ونشك فى نسبتها إلى بسطام أو إلى أى شاعر جاهلى آخر . وربما كانت شخصية بسطام وعنترة وما اشتهرا به من فروسية سببا فى محاولة الربط بينهما من جانب القُصاص ، إذ لا نجد أخبارا تؤيد صداقتهما . أما من الناحية الفنية فإن ما يبدو فى هذه القصيدة والقصيدة التى تليها من ألوان البديع يوحى بأنهما وضعتا فى مرحلة متأخرة من مراحل الشعر العربى ونعنى مرحلة الزينة والزخرف اللفظى .

التخريج : شعراء النصرانية ٢٦٢/١ وموسوعة الشعر العربى ٣٣٢/٣ .

الشرح :

١ – الأَمْدَادُ : الأنام .

(٣٠)

وقال بِسطام بن قيس أيضا

(البحر الكامل)

١ – ما للفضَائِلِ عن مديحِكَ مَعْزِلُ
أم غيرُ بابِكَ للأنامِ مُؤَمَّلُ

٢ – واللهِ لو صِيغَ الكلامُ ، جَميعُهُ
شِعْرًا ، لقَصَّرَ عن مدَى ما تَفْعَلُ

٣ – سَعْدٌ خُصِصْتَ به ، وما مِنْ مفْخَرٍ
إلا وفيه لك الذِّراعُ الأطْوَلُ

---

٣٠ – **جو القصيدة** : فى مدح عنترة بن شداد !! وهى كسابقتها مشكوك فى نسبتها إلى بسطام ، ويبدو أنها نُحِلَتْ إليه فى العصور الإسلامية للأسباب الخارجية التى ذكرناها فى جو القصيدة السابقة ، ولما ينبى عنه القسم بالله « واللهِ لوضيع الكلامُ ... » (البيت الثانى) . ولا نعنى بهذا مجرد استعمال لفظ الجلالة فهو أمر نجده فى شعر جاهلى صحيح فى رأينا ، كما جاء فى قول جليلة البكرية :

إننـــى قاتلـــة مقتولـــةٌ ولعل الله أن يلطف لى

ولكننا نعنى القسم به . والقصيدة مع ذلك جيدة . وربما تهيأ للأشعار الموضوعة والمنسوبة إلى الشعراء الجاهليين ، باحث يتناولها كزاوية من زوايا التراث الشعبى المجهول المؤلف الذى يتسم بالجمال شكلا ومضمونا فى كثير من الأحيان ويخرجه كل باحث فى شعر شاعر عن إطار دراسته .

التخريج : شعراء النصرانية ٢٦٢/١ وموسوعة الشعر العربى ٣٣٣/٣ .

الشرح :

١ – معْزِلٌ : مبعد .

٤ – كرمٌ وإقدامٌ ، ورأىٌ نافِذٌ
مَا الغَيْثُ؟ ماأُسْدُ الشَّرَى؟ ماالمَنْهَلُ؟
٥ – بطلُ الفوارِسِ ، إنْ تَضايَقَ جَحْفَلٌ
لَيْثُ الكَتائِبِ ، إن تَلاحَقَ مُحْفِلُ
٦ – أَخْلاقُهُ شَهْدٌ لِطالِبِ رِفْدِهِ
لكنه يومَ الكرِيهَةِ حَنْظَلُ
٧ – يَامَنْ إذَا وَرَدَ العُفَاةُ جَنابَهُ
أَغْناهُمُ جَدْوَاهُ عَنْ أنْ يَسْأَلُوا
٨ – اِقْبَلْ هَدِيَّةَ مَنْ أَتاكَ بِفَرْحَةٍ
مُتَحَقِّقًا فِيكَ الذِّراعُ الأَطْوَلُ
٩ – لَمْ أمْتَدِحْ أَحَدًا سِواكَ ، وَإِنَّنِى
بِصِفاتِ مَجْدِكَ فى الوَرَى أَتَمَثَّلُ
١٠ – مالى إليكَ وسيلةٌ أُدْلِي بها
أبدًا ، ولا سببٌ به أَتَوَصَّلُ
١١ – إلَّا خليلٌ صادِقٌ ما شانَهُ
شَىْءٌ يُكَدِّرُ صَفْوَهُ ويُحَوِّلُ

---

٤ – الشرى : مأسدة يضرب بها المثل .

٥ – المحفل : المجلس ، المجتمع .

٦ – رفده : معونته وعطاؤه . الحنظل : شجر مر .

٧ – العُفاة : جمع عَافِى ، وهو المحتاج أو طالب الرزق . جَنَابُهُ : فناؤه ومَحَلَّتُه . جَدْواه : عطاؤه .

(٣١)

قالت أم بِسْطامِ بْنِ قَيْسٍ

(البحر الطويل)

١ - لَبيكَ ابنَ ذِى الجَدَّين بكرِ بنِ وائِلٍ
فَقَدْ بَانَ مِنْها زَيْنُها وجَمالُهَا

٢ - إذَا ماغَدَا فِيهِمْ غَدَوْا وكأنَّهُمْ
نُجومُ سماءٍ بَيْنَهُنَّ هِلالُهَا

٣ - فَـلِلَّهِ عينًا مَنْ رأى مثلَهُ فَتى
إذا الخيلُ يومَ الروعِ هبَّ نِزالُها

٤ - عزيزُ المِكَرِّ لايُهَدُّ جَناحُهُ
وليثٌ إذا الفِتيانُ زَلَّتْ نِعالُها

---

٣٢ - **ترجمتها** : لم نعلم عنها أخبارا .

جو القصيدة : فى رثاء ابنها بسطام بن قيس فارس بنى شيبان . ووزن الشطر الأول من البيت الأول مضطرب . ونظن أن كلمة « ابن » من إضافات الرواة وبدونها يستقيم الوزن . ونشك فى نسبة القصيدة إلى أم بسطام لأن ابنها بسطام قُتِل قبيل الإسلام ، ومعنى هذا أن أمه قد شهدت البعثة المحمدية ، ولو كانت شاعرة لوصل إلينا أخبارها وأشعارها وبخاصة أنها امرأة ؛ والنساء الشواعر قليلات . الأمر الذى يلفت نظر الرواة إلى أشعارهن .

التخريج : الكامل فى التاريخ ، بيروت ٣٧٦/١ وشعراء النصرانية ٢٦١/١ .

٥ – وحَمَّالُ أثقالٍ وعائذُ مَحْجَرٍ
تَحِلُّ إليه كلّ ذاك رِحالُها

٦ – سَيَبْكِيك عانٍ لمْ يجِدْ مَنْ يَفُكُّهُ
ويبكيكَ فُرسانُ الوغَى ورِجالُها

٧ – وتبكيكَ أَسْرَى طالما قد فَكَكْتَهُمْ
وأرملةٌ ضاعَتْ وضَاعَ عِيالُها

٨ – مُفَرِّجُ حَوْمَاتِ الخُطُوبِ ومُدْرِكُ الْـ
حُرُوبِ إذا سالَتْ وعَزَّ صيالُها

٩ – تَغشَّى بها حينا كذاك فَفُجِّعَتْ
تَمِيمٌ به أَرْماحُها ونِبَالُها

١٠ – فَقَدْ ظَفِرتْ منا تَميمٌ بِعَثْرَةٍ
وتلك لَعَمْرِى عَثْرَةٌ لاتُقَالُها

١١ – أُصِيبَتْ به شَيْبَانُ والحَىُّ يَشْكُرٌ
وطيرٌ يُرَى إرْسَالُها وَجِبَالُها

الشرح :

٥ – مَحْجَر : كناية عن المرأة ، من قولهم : بدا مَحْجَرُها من النقاب . أى كان يعود النسوة من أقربائه رحمة بهن .

٦ – عان : أسير .

١٠ – لا تُقَالها : أى لا يُرجى فيها إقالة الردى لأنه لابد من الهلاك . والمعنى أن المصيبة حلت ببنى شيبان الذى كان موت فارسهم بِسطام نكبة تُفرح الأعداء المتربصين بهم وبخاصة تميم .

(٣٢)

قال ثَعْلَبَةُ بنُ عَمْرٍو الشَّيْبَانِيُّ

(بحر المتقارب)

١ – أأسماءُ لَمْ تَسْألى عَنْ أَبِيـ ـكِ والقومُ قد كانَ فيهمْ خُطُوبْ
٢ – إنْ عَرِيبًا ، وَإنْ سَاءَنِى أَحَبُّ حَبِيبٍ ، وأَدْنَى قَرِيبْ
٣ – سأجعَلُ نَفْسِى له جُنَّةً بِشَاكِى السِّلاحِ ، نَهِيكٍ ، أَرِيبْ

---

٣٢ – ترجمته : هو ثعلبة بن عمرو ، رجل من بنى شيبان ، كان حليفا فى بنى عبد القيس وقيل اسمه ثعلبة بن حزن ، وقيل بل حزن لقب له . وقيل هو من بنى عبد القيس . فإن صح أنه شيبانى ، فربما كانت بينه وبين الشاعر عمرو بن ثعلبة الشيبانى علاقة أبوة أو نسب .

جو القصيدة : فى مطلع القصيدة ، يخاطب الشاعر ابنته أسماء ، شاكيا ما أصاب قومه من خطوب . ثم ينتقل إلى الحديث عن رجل عزيز عليه يدعى « عريب » ساءه ولكنه مع ذلك يُكِنُّ له ودا صادقا ويفديه بنفسه . ثم ساق إليها خبر مهره وأنه قد أهلكه ترك الدواء والرعاية . ووصف حاله فى ضعفه وكيف أنه أعد بديلا عن فرسه « عجلى » . وانتقل بعد ذلك إلى تصوير نكايته بعدوه . وقد حلف كل منهما أن ينال من صاحبه ، وأن عدوه اغتربه . فلما دنا منه ولى هاربا . فأدركه ثعلبة بطعنة ، إن لم تكن قتلته ، فإنها ألحقت به الضرر ، وألبسته من الذل ثوبا قشيبا .

التخريج : المفضلية ٦١ .

الشرح :

١ – خطوب : مصائب .

٢ – عريب : اسم شخص .

٣ – الجُنَّة : الوقاية . شاكى السلاح : أراد نفسه . النَّهيك : الشجاع ينهك فى العدو . الأريب : الداهية .

٤ – وأهلَكَ مُهْرَ أَبِيكِ الدَّوا ء ، ليسَ لَهُ من طَعامٍ نَصِيبْ
٥ – خَلا أَنَّهُمْ كُلَّمَا أَوْرَدُوا يُضَيِّحُ قَعْباً عليهِ ذَنُوبْ
٦ – فَيُصْبِحُ حاجِلَةً عينُهُ لِحِنْوِ آسْتِهِ وَصَلاهُ غُيُوبْ
٧ – فأعدَدْتُ عَجْلَى لِحُسْنِ الدَّوا ءِ ، لَمْ يَتَلَمَّسْ حَشَاها طَبِيبْ
٨ – أخِي وأخُوكَ بِبَطْنِ النُّسَيْـ ـرِ ليسَ به مِنْ مَعَدٍّ عَرِيبْ
٩ – فَأَقْسَمَ باللهِ لا يَأْتَلِي وأقسمتُ إنْ نِلْتُهُ لا يَئُوبْ
١٠ –فَأَقْبَلَ نَحْوِي عَلَى قُدْرَةٍ فَلَمَّا دنا صَدَقَتْهُ الكَذُوبْ
١١ –أَحَالَ بها كَفَّهُ مُدْبِرًا وَهَلْ يُنْجِيَنَّكَ شَدٌّ وَعِيبْ
١٢ –فَتَبْعَتْهُ طَعْنَـــةً ثَرَّةً يَسِيلُ على الوَجْهِ مِنْها صَبِيبْ
١٣ –فَإِنْ قَتَلَتْهُ فَلَمْ آلُهُ وَإِنْ يَنْجُ منها فَجُرحٌ رَغِيبْ
١٤ –وإِنْ يلقَنِي بعدها يَلْقَنِي عليهِ من الذُّلِّ ثَوْبٌ قَشِيبْ

---

٤ – الدواء : الصَّنعة وحسن القيام على الدَّابة .

٥ – الضَّياح : اللبن الممزوج بالماء ، وضَيَّحَهُ : سقاه إياه . القَعْبُ : القدم الضخم . الذَّنُوب : الدلو .

٦ – الحاجلة : الغائرة . حِنْو استه : حرفها أو اعوجاجها . الصلا : أحد الصلوين ، وهو ما عن يمين الذنب وشماله . الغيوب : مصدر كالغياب .

٧ – عجلى : اسم فرسه ، أراد أنه أحسن علاجها ولم يصبها مرض فتحتاج إلى علاج .

٨ – بطن النُّسَيْر : موضع . ليس به عريب : ليس به أحد .

٩ – لا يأتلى : لا يقصر .

١١ – أحال بها : ولى هاربا بفرسه . الشَّدُّ : الجرى : الوَعِيبُ : المستفرغ عن آخره .

١٢ – ثَرَّة : واسعة .

١٣ – لم آله : لم أقصر فيه . الرغيب : الواسع .

١٤ – القشيب : الجديد .

(٣٣)

وقال ثَعْلَبَةُ بْنُ عَمْرٍو الشَّيْبَانِيُّ

(بحر الطويل)

١ – لِمَنْ دِمَنٌ كَأَنَّهُنَّ صَحائِفٌ
قِفَارٌ خَلا مِنْها الكَثِيبُ فَوَاحِفُ

٢ – فما أَحدَثَتْ فيها العُهُودُ ، كأنما
تَلَعَّبُ بِالسَّمَّانِ فيها الزَّخارِفُ

٣ – أَكَبَّ عليها كاتِبٌ بِدَوَاتِهِ
يُقِيمُ يَدَيْهِ تَارَةً وَيُخَالِفُ

٤ – رَجَا صُنْعَهُ ما كانَ يَصْنَعُ ساجِيًا
ويرفَعُ عينيهِ عنِ الصُّنْعِ طَارِفُ

---

٣٣ – جو القصيدة : بدأ الشاعر قصيدته بوصف الأطلال ، وقد كشفت بعض آثارها السيول ، وأنبتت فيها من ألوان النبت ، وانتقل بعد ذلك إلى نعت فرسه وسرعتها وإغاثته الملهوف بها . وتحدث عن درعه ورمحه وسيفه وقوسه ، وكلها عتاد الرجل القوى المقدام المستهين بالموت . ثم تحدث عن المنية وكيف أنها تمضى حيث تريد ، لا يمنعها حراس . ثم أنحى باللوم على من يرهب الموت .

التخريج : المفضلية ٧٤ .

الشرح :

١ – الكثيب وواحف : موضعان .

٢ – العهود : تعنى هنا الأمطار التى يعهد بعضها بعضا . السمان : الأصباغ التى يزخرف بها .

٤ – الساجى : الساكن ، يريد طرفه . الطارف : ما يطرف العين .

٥ —وشَوْهاءَ لم تُوشَمْ يَدَاها ، ولم تُذَلْ
فَقاظَتْ وفيها بِالوَليدِ تَقاذُفُ

٦ —وتُعطيكَ قبلَ السَّوْطِ مِلْءَ عِنَانِهاَ
وَإحْضَارَ ظَبيٍ أخْطأَتْهُ الْمَجَادِفُ

٧ —بَلِلْتُ بها يومَ الصُّراخِ ، وبعضُهُمْ
يَخُبُّ به فى الحَيِّ أَوْرَقُ شَارِفُ

٨ —بِبَيْضَاءَ مثلِ النِّهْيِ رِيحَ وَمَدَّهُ
شَآبِيبُ غَيْثٍ يَحْفِشُ الأُكْمَ صَائِفُ

٩ —وَمُطَّرِدٍ يُرْضِيكَ عندَ ذَوَاقِهِ
وَيَمْضِى وَلَا يَنْآدُ فيما يُصَادِفُ

١٠ —وصَفْراءُ مِنْ نَبْعٍ سِلَاجٍ أُعِدُّهَا
وأبيضُ قَصَّالُ الضَّرِيبَةِ جَائِفُ

---

٥ — الشوهاء : الحسنة الخلق . لم توشم يداها : أى هى نقية . لم تذل : لم تهن . قاظت : أتى عليها القيظ . الوليد : العبد . التقاذف : التدافع فى العدو .

٦ — ملء عنانها : أى بأقصى سرعتها . الإحضار : العدو . المجادف : ما يجدف به ، أى يرمى به .

٧ — بللت بها : ملكتها وكانت فى قبضتى . الصراخ : إجابة المستصرخ . يخب : من الخبب وهو ضرب من العدو . الأورق : على لون الرماد ، والورق ألأم الإبل سيرا وعملا . الشارف : الهرم ، الكبير .

٨ — البيضاء ههنا : الدرع . النهى : الغدير . ريح : أصابته ريح . الشآبيب : جمع شُؤبوب ، وهو الدفعة من المطر . يحفش : يقشر . الأكم : جمع أكمة صائف : فى الصيف .

٩ — المطرد : الرمح . لا ينآد : لا يرجع ولا ينعطف .

١٠ — الصفراء : القوس ههنا . النبع : شجر يتخذ منه القسى والسهام . القصال : القطاع ، يعنى السيف . الضريبة : المضروبة . الجائف : الذى يبلغ الجوف .

١١ –عَتادُ آمرِئٍ في الحربِ لا وَاهِنِ القُوَى
ولا هُو عَمَّا يَقْدِرُ اللهُ صارِفُ

١٢ –به أَشْهَدُ الحربَ العَوانَ إذا بَدَتْ
نَواجِذُهَا وَآحْمَرَّ منها الطَّوَائِفُ

١٣ –قِتالَ امرِئٍ قد أَيْقَنَ الدَّهْرَ أَنَّهُ
مِنَ المَوْتِ لا يَنْجُو ولا الموتُ جَانِفُ

١٤ –ولو كنتُ في غُمْدَانَ يَحْرُسُ بابَهُ
أَراجِيلُ أُحْبُوشٌ وأَسْوَدُ آلِفُ

١٥ –إذًا لأَتَتْنِي حيثُ كنتُ مَنِيَّتِي
يَخُبُّ بها هادٍ لإِثْرِيَ قائِفُ

١٦ –أَمِنْ حَذَرٍ آتي المَهالِكَ سادِرًا
وأَيَّةُ أَرْضٍ ليس فيها مَتالِفُ

---

١١ – عتاد : عدة .

١٢ – الطوائف : النواحى .

١٣ – جانف : مائل .

١٤ – غمدان : حصن منيع باليمن . أراجيل : رجاله ، جمع أرجال ، وأرجال : جمع راجل . الأحبوش : الحبش . آلف : أى كلب حراسة يألف الحارس .

١٥ – يخب : يسرع ، من الخبب . القائف : الذى يقوف الآثار ، يتبعها .

١٦ – السادر : الذى لا يهتم لشيء ولا يبالى ما صنع .

(٣٤)

قال جَسَّاسُ بنُ مُرَّة

(بحر الوافر)

١ – تَأَهَّبْ عنك أُهْبَةَ ذِى كِفاحِ ... فَإِنَّ الأمرَ جَلَّ عَنِ التَّلاحِى

٢ – فَإِنِّى قد جَنَيْتُ عليكَ حَرْبًا ... تَغَصُّ الشيخَ بالماءِ القَراحِ

---

٣٤ – ترجمته : هو جساس بن مرة بن ذهل بن شيبان ، أخو جليلة البكرية الشاعرة زوجة كليب بن ربيعة التغلبى . وجساس هذا قاتل كليب .

جو القصيدة : يخاطب بها أباه مُرَّة بن ذهل حين لامه على قتله كليب بن ربيعة سيد القومين : بكر وتغلب . ونرجح نسبة هذه القصيدة إلى جساس وإن كنا نشك فى بعض أبياتها ، مثل البيت ٧ الذى نرجح وضع الرواة المتأخرين له استجابة للمبالغة فيما زُعِمَ من أن كليبا كان يتخذ له كلبا صغيرا حتى يحمى من الأرض ما يصل إليه نباح هذا الكلب ، إذ لو فرضنا – جدلا – صحة هذه الواقعة ، لما سلمنا بأن بنى شيبان يُمنعون من دخول هذا الحمى ! فقد كان الحيان – تغلب وبكر – ينزلون فى دار واحدة ، يجمعهم الحلف والصهر ، وجعلوا رياستهم لكليب . ونعتقد أن السبب المباشر لهذه الحرب قد طوته الأحداث والسنين ، ولا يدور بخلدنا أن يكون السبب نباح كلب أو قتل ناقة قنبرةٌ أو هدم عشها لأن كليبا كان قد حماها !! فهذه كلها أمور لا يعقل أن تصدر عن رجل مثل كليب وهو الشيخ الفارس الذى اجتمعت حوله قبائل معد كلها يوم خزازَى حين حاربوا أهل اليمن ، ثم اجتمعت حوله من قبل ومن بعد تغلب وكثير من بطون بكر المتبدِّية وعلى رأسها بنو شيبان . وربما كان لبقاء تغلب على نصرانيتها أثر فى الحط من شأن أعظم رجل من رجالها فى الجاهلية .

التخريج : كتاب بكر وتغلب ص ٣٨ وأغانى (ساسى) ١٤١/٤ ، الأبيات ٢ ، ٣ ، ١٠ ، وشرح ديوان الحماسة للتبريزى ٣٨٦/٢ البيتان ١ ، ٢ . والكامل فى التاريخ ٣١٥/١ البيتان ١ ، ٢ ، وسرح العيون لابن نباتة ص ٩٤ البيتان ٢ ، ٣ وشعراء النصرانية ص ٢٤٧ وأخبار المراقسة للسندوبى ص ٢٥١ ، ٢٥٢ .

الشرح :

١ – التلاحى : اللوم أو المخاصمة أو المقاولة .

٣ – مُذَكَّرَةً متى ما يَصْحُ منها
تَشِبُّ لها بأُخرى غيرَ صاحِ

٤ – تُسَعَّرُ نارُها وَهَجًا وجاءتْ
إذَا خَمَدَتْ كَنِيرانِ الفِصَاحِ

٥ – وما تنفكُّ نائِحَةً تُعَزِّى
بما نَدَبَتْ وتُعْلِنُ بِالنُّواحِ

٦ – تَعَدَّتْ تَغْلِبٌ ظُلْمًا علينا
بلا جُرْمٍ يُعَد ولا جُناحِ

٧ – سِوَى كَلْبٍ عَوَى فى بَطْنِ قاعٍ
ليمنَعَ حِمْيَةَ القاعِ المُباحِ

٨ – فلما أنْ رأينا وَاسْتَبَنَّا
عُقابَ البَغْيِ رَافِعَةَ الجَناحِ

٩ – صَرَفْتُ إليهِ نَحْسًا يومَ سُوءٍ
له كأسٌ من الموتِ الذُّبَاحِ

١٠ – تُنَكِّلُ دَانِياتُ البَغْيِ قَوْمًا
وتدعو آخَرِينَ إلى الصَّلاحِ

---

٣ – مذكرة : شديدة . والشطر الثانى فى أخبار المراقسة (فتى تَشِبَّتْ بآخر ...) .

٤ – نيران الفصاح : النيران التى كانت توقدها نصارى العرب فى أعياد الفصح ، ويبدو أنهم كانوا يبالغون فى إشعالها .

٧ – سوء كلب : يريد الجرو الذى زُعم أن كليبا كان يتخذه للحمى .

٩ – الذُّبَاح : الهلاك .

١٠ – فى الأغانى : « تنكل عن ذئاب البغى » (ساسى ١٤١/٤)

١١–ذَرِينى قَدْ طَرِبْتُ وَحَانَ مِنِّى
طِرادُ الخَيلِ عارِضَةَ الرِّماحِ
١٢–وَلَا لِى هِمَّةٌ أَرْجُو حَسَاهَا
سوى الخَطِّىِّ والفَرَسِ الوَقَاحِ

١٢ – حساها : احتفرها واختبرها . الوَقاح : الصلب .

(٣٥)

وقال جَسَّاسُ بنُ مُرَّةَ أيضا

(بحر الوافر)

١ – أَلا أبلغْ مُهَلْهِلَ ما لَدَيْنَا   فأدمُعُنا كأدمُعِهِ غِزَارُ

٢ – بَكَيْنَا وَائِلَ الباغِي علينا   وكلٌّ لَيْسَ منه به اصْطِبارُ

٣ – وَكُلٌّ قد لَقِي ما قد لَقِينَا   وَشَرُّ العَيْشِ ما فيهِ العِيارُ

٤ – ونحنُ مع المنايا كلَّ يَوْمٍ   ولا يُنْجِى من المَوْتِ الفِرارُ

٥ – فأقسم إنْ بقيتُ لتكْرَهَنِّى   إذا طارَتْ عن العَنْسِ الشِّفَار

---

٣٥ – جو القصيدة : يتوعد فيها المهلهل بن ربيعة – كما يبدو من البيت الخامس وقد بدأها بداية عجيبة يخبر فيها عن دموعه الغزار كدموع المهلهل على أخيه كليب (١) وأن كلا منهما يبكى كليبا – وهو وائل بن ربيعة – الذى بغى على بكر حين تغافل عن حق الجوار كما تشير قصة هذه الحرب ... ويمكن أن نفهم هذا الخطاب على أنه تهكم من أحزان المهلهل ، إلا أنه أسلوب لا نعهده فى الشعر الموثوق به فى هذه المرحلة المبكرة إبّان حرب البسوس . ولذا نشك فى صحة نسبة هذه القصيدة إلى جساس ، وفى كثير من قصائده التالية ؛ لما يبدو فيها من ركاكة ، فضلا عن عرضها فى كتاب بكر وتغلب – الذى انفرد برواية هذه القصائد عن ابن إسحاق وابن الكلبى – فى صورة نقائض مطولة تدور بين جساس والمهلهل .

التخريج : كتاب بكر وتغلب ص ٤٤ وشعراء النصرانية ص ٢٥٠٨ .

الشرح :

٣ – العِيار : الانفلات ، من قولهم : عار الفرس والكلب يعير أى ذهب كأنه مُنْفَلت . فيكون المعنى : إن شر العيش ما كان فوضى لا ضابط له . وفى شعراء النصرانية : ... ما فيه غبار .

٥ – فى الأصل : السفار . وأظنه خطأ ، والشِّفار : جمع الشفرة أى السكين العظيم وما عُرِّضَ من الحديد وحُدِّد . والعَنْسُ ، الناقة القوية . الشِّفَار : جمع شَفْرة وهى السكين أو ما كان له حد قاطع .

(٣٦)

وقال جَسَّاسُ بنُ مُرَّةَ أيضا

(بحر الرجز المشطور)

١ – إنِّى وَرَبِّ الشَّاعِرِ الغَيُورِ
٢ – وَباعِثَ الموتى مِنَ القُبُورِ
٣ – وعالِمُ المَكْنُونِ فى الضَّمِيرِ
٤ – إنْ رُمْتَ منها مَعْقِرَ الجَزُورِ
٥ – لأثِبَنَّ وَثْبَـةَ المُغِيـرِ
٦ – الذِّيبِ أو ذِى اللِّبْدَةِ الهَصُورِ
٧ – بصارِمٍ ذِى فَنَنٍ مَشْهُورِ

---

٣٦ – جو الأبيات : فى الفخر والوعيد . ونشك فى نسبتها إلى جساس للأسباب التى ذكرناها فى جو القصيدة ٣٦ ولما يبدو فيها من روح إسلامى يتمثل فى الإيمان بالبعث « وباعث الموتى من القبورِ » . هذا ولكليب رجزٌ مماثل .

التخريج : كتاب بكر وتغلب ص ٣٢ وشعراء النصرانية ٢٤٩/١ وأخبار المراقسة للسندوبى ص ٢٤٩ ، ٢٥٠ .

الشرح :

١ – الغيور : من الغَيْرَة ، يقال : فلان يغار عليها من ظلها . وفى شعراء النصرانية : « المغرور » .

٤ – مَعْقر الجزور : أى عَقْر الناقة التى ضربها كليب بسهمه فأدمى ضرعها .

٦ – ذو اللبدة الهصور : الأسد .

(٣٧)

وقال جسَّاسُ بْنُ مُرَّةَ أيضا

(بحر الوافر)

١ – فَإِنْ تَكُ قَدْ قَتَلْتَ به بُجَيْرًا
فَكُفْؤٌ من أخِيكَ لدى الأُمُورِ

٢ – وعاد أخى ووالِده فَإِنِّى
سآتِيكُمْ بقاصِمَةِ الظُّهُورِ

---

٣٧ – **هذه القصيدة** – فى رأينا – من وضع الرواة الذين اتخذوا من قصة حرب البسوس مجالا للهو والسمر . فهى فضلا عن انفراد كتاب بكر وتغلب بروايتها ، يتجلى فيها قصد الرواة إلى جعلها مقابلة لقصيدة المهلهل بن ربيعة التى أولها :

أليلتنـــا بذى حسم أنيرى إذا أنت انقضيت فلا تحورى

إذ تبدو قصيدة جساس وكأنها نقيضة لقصيدة المهلهل ، فهى تنطلق من قوله :

فَإِنِّــى قد تركتُ بِوَارِدَاتٍ بُجَيْرًا فى دمٍ مثلِ العَبِيرِ

إذ تبدأ هذه القصيدة المنسوبة إلى جساس بقوله :

فإن تك قد قتلت به بجيرا فكفؤٌ من أخيكَ لدى الأُمورِ

وبينما يقول المهلهل :

فإن يَكُ بالذَّنائب طال لَيْلِي فقد يبكى منَ الليل القصيرِ

يقول الوضاعون على لسان جساس فى نفس القصيدة (البيت ٥) :

فلا تَعْجَلْ مُهَلْهِلُ إنْ سَلِمْنا فما ليلي وَلَيْـلُكَ بالقصيـرِ

التخريج : كتاب بكر وتغلب ص ٧٢ .

الشرح :

٢ – « وعاد أخى ووالده » يبدو أنه قسم ، ولا نعلم أن لجساس أخا اسمه « عاد » .

٣ - بِجَمْعٍ يَهْلِكُ الفتيانُ فيه
وَضَرْبٍ مِثْلِ وَقْعاتِ الصُّخُورِ
٤ - ولولا ما أَصَبْنَا مِنْ كُلَيْبٍ
فطابَتْ عندَهُ غِلَلُ الصُّدورِ
٥ - فلا تَعْجَلْ مُهَلْهِلُ أنْ سَلِمْنَا
فما لَيْلِى ولَيْلُكَ بِالقَصِيرِ
٦ - ولو كُنا نُساقِى كُلَّ يومٍ
بغاراتٍ وحربٍ مُسْتَطِيرِ
٧ - وَنَشْفِى أَنْفُسًا منكم عَيانًا
بِشَكْلٍ فى غَرِيرَاتِ الخُدُورِ
٨ - فلا تَرْغَبْ مُهلهِلُ فى قِتالى
فَإنى لستُ بِالضَّرِعِ الغَرِيرِ
٩ - ولكنى لَدَى الغاراتِ أَحْمِى
على قومى بِمَصْقُولٍ مُنِير
١٠ - وفتيان تَكُرُّ على الأعادِى
على الجُرْدِ المُطَهَّمَةِ الذُّكُور
١١ - وتَنْتَظِمُ المعاهِدَ بالموالِى
وتَنْتَصِفُ الجُنَانَ مِنَ القَدُورِ

---

٨ - الضَّرِع : الجبان .

١٠ - الجِيادُ الجُرْدُ : الخيل القصيرة الشعر من تضميرها والعناية بها .

١١ - المعاهد : المنازل . الجُنان : الترس . القُدور : القوة .

١٢–وما سِيفَتْ لهم أبدًا كَعَابٌ
ولا طُرِدَ اليتيمُ عن الجَزُورِ

---

١٢ – الكَعَابُ : الجارية .

(٣٨)

وقال جَسَّاسُ بنُ مُرَّةَ أيضا

(بحر الرجز المشطور)

١ – بِنَا حَمَيْتَ جَانِبَىْ إِقْسَاسِ
٢ – إلى أَبانَيْنِ إلى أَوْطَاسِ
٣ – بِحَىِّ بكرٍ دُونَ باقى النَّاسِ
٤ – فَإِنْ تَعُدْ بِنا إلى المِرَاسِ
٥ – عَلِمْتَ أَنَّ العِزَّ فوقَ الرَّاسِ

---

٣٨ – جو الأبيات : هذا الرجز من الشعر الموضوع والمنحول لجساس بن مرة ... وهو مما انفرد بذكره كتاب بكر وتغلب ، وتبدو فيه آثار الوضع حيث الركاكة التى تبدو جلية فى البيتين ٣ ، ٥ ... وحيث أسماء المواضع التى لم يرد ذكرها فى أخبار حرب البسوس أو اشعارها ، من مثل « إقْساس » . فضلا عن ورودها إلى جانب رجز مماثل ينسب إلى كليب بن ربيعة على نقيضة ، وأول رجز كليب (بكر وتغلب ص ٣٢) :

لقد حميت من جميع الناسِ   من بين أفْرادٍ إلى إقساسِ

التخريج : كتاب بكر وتغلب ص ٣٢ .

الشرح :

١ – لم أجد « إقساس » فى « معجم ما استعجم » للبكرى . وإنما فيه قساس : موضع فى ديار بنى أسد ، أم هى أقساس مثل أجمال وجمال ؟

٢ – أبان : جبل ، وهما أبانان : أبان الأبيض ، وأبان الأسود وبينهما فرسخ ، ووادى الرُّمة يقطع بينهما كما يقطع بين عَدَنَة وبين الشُّرَبَّة ، فأبان الأبيض لبنى جُرَيْد من بنى فزارة خاصة ، والأسود لبنى وَالبة ، من بنى الحارث بن ثعلبة بن دودان بن أسد (معجم ما استعجم) ثم استشهد البكرى ببيت المهلهل :

لو بأبانين جاء يخطبها   ضرج ما أنف خاطب بدم

ثم قال : فدلك قول مهلهل على أن لتغلب فى أبانين اشتراكا مع القبيلتين المذكورتين أو أن مهلهلا جاورهما أو إحداهما .

أوطاس : وادٍ فى ديار هوازن .

(٣٩)

وقال جَسَّاسُ بْنُ مُرَّةَ أيضا

(بحر الكامل)

١ – أبِجارِنا تبغى كُلَيْبُ سَفاهَةً
فَاذْهَبْ بها نَجْلاءَ من جَسَّاسِ
٢ – قد رُمْتَ أمْرًا كُنْتَ تَضْعُفُ دُونَهُ
صَعْبَ المَرَاقِي ذَاهِبًا فى الناسِ
٣ – فَسُقِيتَ كأسًا للمَنِيَّةِ مُرَّةً
فاشْرَبْ هُدِيتَ مِنَ الحُتُوفِ بِكاسِ
٤ – وَاعْلَمْ بأنَّا لا نُسَلِّمُ جَارَنا
فِعْلَ اللئيم به ولاَ الأنْكَاسِ
٥ – فَلَنَحْنُ أَصْبَرُ فى المَواطِنِ واللِّقَا
فى كُلِّ يومٍ حَفِيظَةٍ ومِراسِ

---

٣٩ – جو القصيدة : هذه القصيدة من الشعر الذى انفرد به كتاب بكر وتغلب ، وهى – فى رأينا من الشعر الذى وضعه الرواة ؛ ليكملوا حلقات القصة ، وما تبع ذلك من التمهيد لها قبل اشتعال الحرب إثر ضرب كليب لناقة جار جساس بن مرة .

وتبدو فيها الركاكة التى توشى بوضعها فى زمن متأخر من قوله : « ذاهبا فى الناس » ، « وزعمت أن تبقى بها » .

التخريج : كتاب بكر وتغلب ص ٣٦ .

الشرح :

١ – جارنا : يعنى البسوس أو سَعْدًا الجرمى . طعنة نجلاء : واسعة .

٤ – أنكاس : جمع نِكْس وهو الضعيف والرَّذْل المقصِّر عن غاية النجدة والكرم .

٥ – مراس : جلد وقوة وممارسة للأمور .

٦ – نَحْمِي الذِّمَارَ فلا يَرُومُ جَنابُنَا
وَنَـذُبُّ عنـهُ ذَوَائِبَ الإِبْــلَاسِ
٧ – أَعَقَرْتَ ناقَةَ جارِنا وَزَعَمْتَ أَنْ
تَبْقَـى بها بِحَماقَــةٍ وَبِكَـاسِ
٨ – وَسِنانُ رُمحي كالشِّهابِ أُدِيرُهُ
بِيَـدِي أَغَـرَّ مُهَـذَّبٍ قَنْعَـاسِ
٩ – أَرْوَيْتُهُ منكَ الغَداةَ بِطَعْنَةٍ
من بعدِ طُولِ تَجَهُّمٍ وعَبَاسِ

---

٦ – الإبلاس : من البلس ، من لا خير عنده ، أو عنده إبلاس وشر .

٨ – قَنْعاس : رجل شديد منيع .

٩ – أرواه : جعله يَرْوَى . عباس : التَّعَبُّس هو التَّجَهُّم ، وعبَّاس صيغة مبالغة ولعل تخفيف الشدة لحن .

(٤٠)

وقال جَسَّاسُ بنُ مُرَّةَ أيضا

(مشطور الرجز)

١ — عند الزحامِ تُحْمَدُ السَّوابِقْ
٢ — وفى الوعيدِ تُعْرَفُ الحقائِقْ
٣ — والناسُ بين كاذبٍ وصادِقْ

---

٤٠ — جو الأبيات : هذا الرجز من الشعر المنسوب إلى جساس ، ونرجح أنه كان رجزا شعبيا سائرا لا يعرف قائله ، ومثله فى ذلك كمثل الرجز الشائع والمجهول النسبة أيضا الذى يقول : « إن تقبلوا نُعانق » فضلا عن وروده فى كتاب بكر وتغلب وكأنه نقيضةٌ ورَدٌّ على قول كليب حين هدد بقتل الناقة ، وفعل :

قَدْ قالَ والقولُ هرارٌ زَاهِقْ
إلا الذى كانتْ له حَقائِقْ

والرجزان معا رواية عن ابن إسحاق (انظر كتاب بكر وتغلب ص ٣٢)

التخريج : كتاب بكر وتغلب ص ٣٢ وشرح ديوان الحماسة للتبريزى ٢/٣٨٣ مع اختلاف فى الرواية .

(٤١)

وقال جَسَّاسُ بنُ مُرَّةَ أيضا

(بحر السريع)

١ – إنَّا على ما كانَ مِنْ حادِثٍ   لَمْ نَبْدإِ القَوْمَ بِذَاتِ الحُقُوقْ
٢ – قد جَرَّبَتْ تَغْلِبُ أَرْماحَنا   بالطعنِ إذ جارُوا وحَزِّ الحُلُوقْ
٣ – لم يَنْهَهُمْ ذلك عَنْ بَغْيِهِمْ   عنا ولم يَعترِفُوا بالحُقوق
٤ – وأسْعَرُوا للحربِ نِيرانَها   للظلمِ فينا بادِيًا والفُسُوق
٥ – أليس من أَرْدَى كُلَيبًا لِمَنْ   دُونَ كُلَيبٍ منكمُ بالمُطِيقْ
٦ – مَنْ شَرَعَ العُدْوَانَ فى وائِلٍ   اِقْتَرَنَ الظلمَ وضَنْكَ المَضِيق
٧ – قد كانَ منكمْ حادِثٌ ذُقْتُمُ   عِقابَهُ واعترِفُوا بالمَذُوقْ
٨ – بدأْتُمُ بالظلمِ فى قَوْمِكُمْ   وكنتمُ مثلَ العَدُوِّ الحَنِيق

---

٤١ – **جو القصيدة** : انفرد كتاب بكر وتغلب بروايتها ، ونشك فى نسبتها إليه فهى كأكثر ما روى له من وضع الرواة ، على نمط النقائض ؛ وهى رد على قصيدة المهلهل ابن ربيعة التى أوردها القُرشى ٢/١١٥ وأولها :

حَلَّتْ وكان البغْىُ من وائِلٍ   فى رَهْطِ جَسَّاسٍ تقال الوسوق

وإن كنا نشك أيضا فى قصيدة المهلهل بعد مقارنتها بما رواه له الأصمعى فى الأصمعيات .

التخريج : كتاب بكر وتغلب ص ٥٥ .

الشرح :

١ – فى شعراء النصرانية : بذات العقوق .

٣ – فى شعراء النصرانية : « يوما ولم يعترفوا بالحقوق »

٥ – المطيق : المتحمل .

٦ – فى شعراء النصرانية : اقترف الظلم ..

٨ – العدو الحنيق : المغيظ .

٩ – والحَوْضُ ظلمٌ ليسَ يُسْقَى بِهِ ذُو مَنْعَةٍ فى كُلِّ أمرٍ مُطِيقْ
١٠ – فَإِنْ أَبَيْتُمْ فارْكَبُوهَا بِمَا فِيها من الفِتْنَةِ ذاتِ البُرُوقْ

---

٩ – فى شعراء النصرانية : والظلم حوض ... أمر يُطيق .

١٠ – البروق : جمع البرق . فتكون الفتنة ذات البروق : التى تشمل القوم وتبدو نارها .

(٤٢)

وقال جسّاسُ بْنُ مُرَّةَ أيضا

(البحر الطويل)

١ – أيَا حُمَرَ الرُّبْدِ التى بَيْنَ أَربَدٍ ... وبينَ جمالِ العِفْرِ ذات الأبارِقِ

٢ – أَلَمْ تَرَنِى غادَرْتُ تَغْلِبَ إذْ أَتَوْا ... إلينا جَميعًا وَسْطَ تلكَ الشَّقائِقِ

٣ – أَرادُوا بنا مَكْرًا ولو عَلِمُوا بِنَا ... وما قد أُرَدْنَا مِنْ حِفاظِ الحَقَائِقِ

٤ – لَشَدُّوا علينا شَدَّةً ولَأَسْرَعُوا ... إلى قَوْمِهِمْ فَوقَ الجِيادِ السَّوابِقِ

٥ – تَرَكْناهُمُ للوحْشِ والطَّيْرُ فوقَهُمُ ... تَنْقُرُ من هاماتِهِمْ والمَفَارِقِ

٦ – فَإنى متى ما تُدْرِكَنّى مَنِيَّتِى ... فَقَدْ نِلْتُ ثَأرِى مُسْتَعَفَّ الخَلائِقِ

---

٤٢ – **جو الأبيات** : فى الفخر بقومه وبأيامهم مع بنى تغلب ، ويذكر فى البيت الأخير أنه أدرك ثأره من بنى تغلب ، فإذا مات ، مات مستريحا لا يؤرقه ثأر ، يريد بذلك ثأره بمن قتل من قومه خلال المعارك التى نشبت بين بكر وتغلب بسبب مصرع كليب بن ربيعة على يد الشاعر . والأبيات مما انفرد به كتاب بكر وتغلب .

التخريج : كتاب بكر وتغلب ص ١٠٦ .

الشرح :

١ – الحُمَر ، بضم ففتح : القُبَّر أو نوع من العصافير . الربد التى بين أربد : كذا بالأصل . الرُّبْد : جمع أَرْبَد ورَبْداء وهو ما اختلط سواده بكدره . جمال العفر : العَفْر بمعنى التراب أو وجه الأرض ، وجمال العفر : كذا بالأصل ويغلب أنه اسم لمكان بعينه . الأبارق : جمع أبرق وهو كل شىء اجتمع فيه سواد وبياض أو هو كل أرض غليظة فيها حجارة ورمل وطين . والأبرق أيضا اسم طائر .

٢ – الشقائق : جمع شقيقة (على وزن سفينة) وهى المتَّسَعُ بين الجبلين ينبت فيه العشب .

٦ – مُسْتَعَفّ : عفيف . الخلائق : جمع خَليقة وهى الطبيعة التى يُخْلَق المرء بها .

(٤٣)
وقال جسَّاسُ بنُ مُرَّةَ أيضا

(مجزوء الرمل)

١ – إنَّما جارِيَ حَقًّا ... فاعْلَمُوا أَدْنَى عِيالِي

٢ – وأَرَى لِلجَارِ حَقًّا ... كيميني مِنْ شِمالِي

٣ – وأَرَى ناقَةَ جارِي ... في جِوارِي وَظِلالِي

٤ – إنَّ للجارِ علينا ... دَفْعَ ضَيْمٍ بالعَوالِي

٥ – فأَقِلِّي اللَّوْمَ مَهْلًا ... دُونَ عِرْضِ الجارِ حَالِي

٦ – سأُؤَدِّي حَقَّ جارِي ... ويَدِي رَهْنُ فِعالِي

٧ – أو أَرَى الموتَ فيبقى ... لُؤْمُهُ عند الرِّجالِ

٨ – فإذا ماضِيمَ جارِي ... ضِمْتُمُونِي في رِجالِي

٩ – سأَفِي بالجارِ حتى ... يعلمَ القومُ احْتِيالِي

١٠ – ذاكَ حقٌّ غيرُ شَكٍّ ... أَيْ وأَنْصَابُ إِيَالِ

---

٤٣ – جو القصيدة : هي كسائر ما نُسب إلى جساس بن مُرَّة من الأشعار التي قيلت في حرب البسوس ، ويُبْدِي فيها تحفزه للأخذ بثأر ناقة جاره إذا تعرضت لأذى كليب بن ربيعة . وهي كسائر ما نسب إلى جساس ضعيفة في نسجها . ونظن أنها وضعت لتكمل حلقات الأحداث ، كتمهيد شعري – إلى جانب النثر – ليصعد الراوي بالأحداث حلقة حلقة حتى يصل إلى القمة حين يُقْتَل كليب .

التخريج : كتاب بكر وتغلب ص ٣٥ ، ٣٦ الأبيات من ١ – ٧ . وشرح ديوان الحماسة ٣٨٥/٢ الأبيات ١ ، ٣ ، ٨ – ١٠ . وشعراء النصرانية ٢٤٦/١ .

الشرح :

١ – جاره : هو سعد الجرمي أو البسوس خالته على خلاف . وفي شرح التبريزي :

إن جاري فاعلموا ذ ... لك من أدْنَى عِيالِي

٢ – في شرح التبريزي : وأرى للقوم ...

٣ – في شرح التبريزي :

وأَرَى ناقَةَ جَارِي ... مثلَ نُوقِي وجِمالِي

٥ – في شرح التبريزي : فأقِلُّوا .... دون مالِ الجارِ مالي

(٤٤)

وقال جَسَّاسُ بْنُ مُرَّةَ أيضا

(منهوك الرجز)

١ – قد كانَ ما قد كانَا
٢ – وَرُمْتُمُ العُدْوانَا
٣ – والْبَغْيَ والبهتانا
٤ – قد ذُقْتُمُ لِقانا
٥ – خَلَّيتُمُ الأَظْعانا
٦ – والمالَ والحِسانا
٧ – وَذُقْتُمُ الهَوانا
٨ – وعادنا أخرانا

---

٤٤ – **جو الأبيات** : هذا الرجز من النصوص التى يتبين دارس الشعر الجاهلى وضعها وزيفها ، لما فيه من ركاكة تنبئ عن وضعه فى زمن متأخر على يد شاعر ضعيف أو على يد رجل يحاول النظم . والأبيات مما انفرد به كتاب بكر وتغلب ، وهو مما ذكر فى أحداث حرب البسوس .

التخريج : كتاب بكر وتغلب ص ١٠٦ .

الشرح :

٥ – خليتم : تركتم . الأظعانا : أصلها الأظعان ، والألف الزائدة تسمى ألف الإطلاق للقافية ومثال ذلك قول أحمد شوق (... تولى الدمع عن قلبى الجوابا) وهذه الألف تلحق آخر الفعل فى مثل هذا الموضع . والأظعان جمع ظعينة وهى هنا بمعنى الراحلة أو الهودج .

(٤٥)

وقال جَسَّاسُ بْنُ مُرَّةَ أيضا

(بحر الطويل)

١ – بَنَى لَكَ أَقْصَى العِزِّ حتى تَشَرَّفَتْ
بُيوتُكَ فيه واشْمَخَرَّتْ عَمُودُها

٢ – فأصبحْتَ تَرْمِيها بِنَبْلٍ بنا استَوَى
مَغَارِسَها فينا وجَدَّ جَدِيدُها

٣ – تَجَرَّدْتَ عن جَهْلٍ لبكرٍ وَأَنَّمَا
أَحْلَلْتَ فى دارِ المَوالى جُدُودُها

٤ – على غَيْرِ ماسُوءٍ سِوَى ما تظُنُّهُ
فَيأْتِيكَ فيها أَيِّدٌ لا يَؤُودُهَا

٥ – فَإِنَّ تِباعَ الجُودِ يَعْقُبُ رَاحَةً
بِتَرْحَةِ يومٍ ليس يَنْجُو مُرِيدُها

---

٤٥ – جو الأبيات : يبدو أن البيت الأول ليس مطلع القصيدة إذ يفترض المعنى وجود سابق له . ولذا نرجح أن تكون الأبيات جزءًا من قصيدة ضاعت بقية أبياتها .

التخريج : كتاب بكر وتغلب ص ٣٣ .

الشرح :

٢ – جَدَّ : عَظُمَ .

٤ – فى الأصل : « آيد .. » ورجل أَيِّد ، بالتشديد ، أى قوى (اللسان) .

(٤٦)

وقال جَسَّاسُ بْنُ مُرَّةَ أيضا

(بحر البسيط)

١ - بَلِّغْ مُهَلْهِلَ عنْ بكْرٍ مُغَلْغَلَةً
مَنَّتْكَ نفسُكَ من غَيٍّ أمانيها
٢ - تَبكِى كليبًا وقد شالَتْ نَعامَتُهُ
حَقًّا وتُضْمِرُ أشياءً تُرَجِّيها
٣ - فَاصْبِرْ لبكرٍ فإنَّ الحربَ قد لَقِحَتْ
وَعَزِّ نفسَك عَمَّنْ لَا يُواليها

---

٤٦ - جو الأبيات : يتوعد فيها المهلهل بن ربيعة ويذكره بقتل كليب الذى تجرأ على الاعتداء على حق إجارة بنى شيبان لصاحب الناقة .

ونرجح نسبة الأبيات إلى جساس رغم انفراد كتاب بكر وتغلب بروايتها ... ونلاحظ فى البيت ٥ أن التعبير بكلمة « حقا » للتأكيد لا نعهده فى الشعر البكرى ، إلا أن يكون تأويل معنى البيت : نحمى لكل أرملة حقها ، أى نحمى حق كل أرملة . والبيت ٦ حيث تبدو فيه كلمة « واليها » قلقة فى موضعها ولذا نشك فى صحة هذا البيت أيضا .

التخريج : كتاب بكر وتغلب ص ٤٦ .

الشرح :

١ - مغلغلة : الرسالة الواردة من بلد بعيد .
وفى شعراء النصرانية : أبلغ ..
٢ - شالت نعامته : خف وغضب ثم سكن .
٣ - لا يواليها : يعتزلها ولا يباشرها .

٤ – فقد قتلنا كُليبًا لم نُبَالِ به
بِنابِ جارٍ ودُونَ القَتْلِ يَكْفِيهَا
٥ – نَحْمِي الذِّمارَ ونحمي كلَّ أَرْمَلَةٍ
حقا وندفَعُ عنها مَنْ يعُاديها
٦ – والجَارُ نُؤْمِنُهُ إنْ حَلَّ سَاحَتَنَا
والعَارُ نَمْنَعُهُ الأشرافَ وَالِيهَا

(٤٧)

قالت جَلِيلَةُ البَكْرِيَة

(البحر الرمل)

١ – يابنةَ الأَقْوامِ إن لُمْتِ فَلَا
تَعْجَلِى باللَّوْمِ حتى تَسْأَلى

٢ – فإذا أنتِ تَبَيَّنْتِ التى
عندها اللومُ فلومِى واعْذُلِى

٣ – إنْ تَكُنْ أُخْتُ امرئٍ لِيمَتْ على
جَزَعٍ منها عليهِ فَافْعَلى

---

٤٧ – ترجمتها : مضت بالفصل الرابع .

جو القصيدة : نظمتها جليلة تعبيرا عما شعرت به من ألم ومرارة حين قَتَل أخوها جساس بن مرة زوجَها كليبا ، ثم ما كان من أمر طردها من مأتم كليب ، ظنا من نساء قومه أن فى وجودها شماتة . والقصيدة أشهر قصائد شعر حرب البسوس على الإطلاق ، وتتواتر روايتها أو رواية أبيات منها فى كثير من المصادر القديمة والحديثة . ولا تكاد رواية منها تتفق مع الأخرى فى ترتيب الأبيات أو عددها ، أو فى رواية بعض الكلمات . ونحن نرجح نسبة القصيدة بعامة إلى الشاعرة ، وإن كنا لا نستطيع ترجيح رواية على أخرى فيما يتصل بترتيب الأبيات . وقد حاولنا هنا ترتيب الأبيات ترتيبا يتفق والمعانى التى تعبر عنها القصيدة ولم نثبت رواية بعينها وإن كنا قد جمعنا بين مختلف الروايات التى راجعناها . والقصيدة – مثلا – فى الأغانى على هذا النحو : ١ – ٣ ، ٧ ، ٩ ، ٤ ، ١٥ ، ١٢ ، ١٣ ، ٨ ، ٥ ، ٦ ، ١٤ ، ١٠ ، ١١ ، ١٦ .

التخريج : كتاب بكر وتغلب ص ٤١ الأبيات ١ ، ٢ ، ٧ – ٩ ، ١٢ ، ١٦ . وكتاب الوحشيات ص ١٢٨ ، ١٢٩ والكامل فى التاريخ ٣١٦/١ والأغانى (ساسى) ١٥٠/٤ والعمدة ١٥٣/٢ ورياض الأدب فى مراثى شواعر العرب ١١/١ .

٤ – لَوْ بِعَيْنٍ فُدِيَتْ عينى سِوَى
أختِها وانفقأتْ لمْ أَحْفَلِ

٥ – يانِساءُ دُونَكُنَّ اليومَ قَدْ
خَصَّنى الدَّهْرُ بِرُزْءٍ مُعْضِلِ

٦ – مَسَّنِى فَقْدُ كُلَيْبٍ بِلَظًى
من ورائى ولَظًى مُسْتَقْبِلِ

٧ – جَلَّ عِنْدِى فِعْلُ جَسَّاسٍ فيا
غُمَّةً للدَّهرِ ليستْ تَنْجَلِى

٨ – وَرَمَانِى قَتْلُهُ سَيِّدَنَـا
رَمْيَةَ المُصْمِى به المُسْتَأْصَلِ

٩ – فعلُ جَساسٍ وما جاء به
قاطعٌ ظَهْرِى ومُدْنٍ أَجَلِى

١٠ – دَرَكُ الثَّائِرِ شافِيهِ وفى
دَرَكِى ثَأْرِىَ ثُكْلُ المُثْكَلِ

١١ – لَيْتَهُ كان دَمِى فاحْتَلَبُوا
دِرَرًا منهُ دَمِى من أَكْحَلِى

١٢ – ياقتيلًا هَدَّمَ الدَّهْرُ بِهِ
سَقْفَ بيتَىَّ جميعًا مِنْ عَلِ

١٣ – هَدَمَ البيتَ الذى اسْتَحْدَثْتُهُ
وبَدَا فى هَدْمِ بيتى الأَوَّلِ

١٤ – ليسَ من يَبْكِيهِ يومًا واجِدًا
مثلَ باكِى الدَّهْرِ حتى يَنْجَلِى

١٥ -تَحْمِلُ العَيْنُ قَذَى العينِ كما
تَحْمِلُ الأُمُّ أَذَى ما تَفْتَلِى

١٦ -إِنَّنِى قاتلــةٌ مقتولــةٌ
فَلَعَلَّ اللهَ أنْ يلطُـفَ لِى

الشرح :

١٥ - تفتلى : تربى .

(٤٨)
وقالت جَلِيلَةُ البَكْرِيَّةُ أيضا

(البحر الطويل)

١ – أَخٌ وحرِيمٌ داخِلٌ إنْ قَطَعْتَهُ   وكيفَ يَسُودُ القومَ من قَدْ يَسُوؤُها
٢ – فما أَنْتَ إلا بَيْنَ هاتَيْنِ صانِعٌ   وكِلْتَاهُمَا وِزْرٌ وصَعْبٌ كَئُودُهَا

---

٤٨ – جو البيتين : قالتها لأخيها جساس بعد قتله كليبا .
التخريج : كتاب بكر وتغلب ص ٣٢ ، ٣٣ .
الشرح :
٢ – تكاءدَهُ الأمر : صَعُبَ عليه واشتدّ .

(٤٩)

وقالت جَليلةُ البَكْرِيَّةُ أيضا

(البحر البسيط)

١ – ياعَيْنُ فابْكِي فإنَّ الشَّرَّ قَدْ لاحا
وأَسْبِلِي دَمْعَكِ المَحْزُونَ سَفَّاحا

٢ – هذا كُلَيْبٌ على الرَّمْضاءِ مُنْجَدِلٌ
بين الخُزَامَى علاءَ اليومِ أرْماحا

٣ – والتَّغْلَبِيُّونَ قد قاموا بِنُصْرَتِهِ
وكنتمُ وجَلالِ اللهِ أوقاحا

٤ – قَدْ كانَ تاجًا عليهِمْ في مَحافِلِهِمْ
وكان لَيْثَ وَغًى للقِرْنِ طَرّاحا

---

٤٩ – جو الأبيات : على لسان جليلة البكرية تبكى على ما آل إليه حال بكر وتغلب بعد مقتل كليب ، ثم تشير فى تعبير غريب إلى مصرع زوجها كليب مصرعا مهينا ، ثم قيام التغلبيين بنصرته مطالبين بالثأر له ونعتها لهم بأنهم أوقاح !! ثم تَمْدَحُ كليبا فى البيت الأخير .

والأبيات لا شك موضوعة ؛ لما يبدو فيها من تناقض فى المشاعر ، وأين هذه المعانى من قولها :

ياقتيلا قوّض الدهرُ به سقفَ بيتىَّ جميعا من عَلِ
هدم البيت الذى استحدثتُهُ وانثنى فى هَدْمِ بَيْتِي الأوّلِ

هذا فضلا : عن الروح الإسلامى الذى يشع من التعبير « وكنتُمْ وجلال الله » وعدم عثورنا على الأبيات فى مصدر قديم .

التخريج : رياض الأدب فى مراثى شواعر العرب للأب لويس شيخو ١٤/١ وشاعرات العرب لبشير يموت ص ٣٨ .

الشرح :

١ – أسبل الدمع : أهطله . سفّاح : بمعنى سفوح أى مُنْصَبّ ومُنْهَمل .

٢ – المنجدل : الصريع . والخزامى : نبات طيب الرائحة . وعلاء اليوم أى فى ضحى النهار .

٣ – وجلال الله أى أقسم بجلال الله . وأوقاح جمع وَقح .

(٥٠)

وقالت جَليلةُ البَكْريَّةُ أيضا

(البحر الطويل)

١ – إذا الخَيْلُ سارَتْ بَعْدَ صُلْحٍ صُدورُها
وخُوِّفَ إبْنَا وَائِلٍ مِنْ عَشيرِهَا

٢ – تَقَطَّعَتِ الأرْحَامُ مِنْهُمْ وبُدِّلَتْ
ضَغائِنَ حِقْدٍ بعد وُدٍّ صُدُورُها

٣ – تبدَّدَ شَمْلُ الحيِّ بعد اجتماعِهِ
وغادَرَها من بَعْدِ هَتْكِ سُتُورِها

٤ – فهاكُمْ حريقَ النارِ تُبْدِى شَرارَهَا
فَيَقْدَحُ فى كُلِّ البِلادِ سَعِيرُها

٥ – فَقُومُوا وَدَارُوا ما استَطَعْتُمْ ودَافِعُوا
عَسَى يَقْشَعُ الإظْلامَ عنكُمْ نُورُهَا

---

٥٠ – جو الأبيات : تصور الشاعرة الحيين بكر وتغلب – بعد مقتل كليب – وقد تقطّعت بينهم الأرحام وحلت الضغائن والأحقاد محل المحبة والصهر والجوار ، وتبدَّدَ الشملُ بعد اجتماعه ، واستُعرت نار الحرب بينهم . وتسْألهم فى النهاية المداراة ما استطاعوا عسى أن تنتهى الأمور إلى خير .

التخريج : رياض الأدب فى مراثى شواعر العرب ١٥/١ وشاعرات العرب ليموت ص ٣٨ .

الشرح :

١ – صدورها : أى مقدمتها تريد طليعة جيش من الفرسان . والعشير : الجماعة ، وقطع همزة « ابنا » للضرورة .

٢ – تقطع الأرحام كناية عن ذهاب الحب من بين الأقارب .

٣ – يقال تبدد شمل القوم إذا تفرق جمعهم . وهتك الستور : خرقها وانكشافها ، استعير لانفضاح القوم .

٤ – شبهت الشاعرة ما سينتج من عداوة بين الحيين بنار شبت فعم البلاد لهيبها .

(٥١)

قال الحارِثُ بْنُ هَمَّامٍ الشَّيْبانيُّ

(البحر السريع)

١ – أَيَا آبنَ زَيَّابَةَ إِنْ تَلْقَنِي لَاتَلْقَنِي فى النَّعَمِ العازِبِ
٢ – وتلقنى يَشْتَدُّ بِى أَجْرَدٌ مُسْتَقْدِمُ البِرْكَةِ كالراكِبِ

---

٥١ – **ترجمته** : هو الحارث بن همّام بن مرة بن ذهل بن شيبان ، هكذا فى شرح الحماسة للتبريزى والمرزوقى ، وقد نسبه المرزبانى إلى بنى تيم اللات بن ثعلبة – وليس له ذكر فى أنسابهم بينما يذكره ابن حزم فى الجمهرة ، فيقول : « ولبنى الحارث بن همام عدد ، منهم : عبد الله ذو الجدين بن عمرو بن الحارث بن همام ، وبسطام بن قيس بن مسعود بن قيس بن خالد بن عبد الله ذى الجدَّيْن بن عمرو بن الحارث بن همام ، وابنه زيق بن بسطام .... » ص ٢٢٥ – ٢٢٦ .

جو البيتين : مما قاله لابن زَيَّابَةَ مهددا ومفتخرًا .

التخريج : معجم الشعراء للمرزبانى ص ١٥ وشرح ديوان الحماسة للتبريزى ١٤١/١ .

الشرح :

١ – النَّعَم : الإبل . العازب : البعيد ، والنعم العازب أى الإبل فى المرعى .

٢ – يشتد : يعدو . أجرد : فرس قصير الشعر . مستقدم : متقدم . البركة ، بكسر الباء : البِرك ، بفتح الباء أى الصدر ، وقيل البرك للإنسان ، والبركة لما سواه . أو البرك : باطن الصدر ، والبركة : ظاهره (المعجم الكبير) .

يقول الشاعر : لا تلقنى فيها راعيا ، وإنما أنا صاحب فرس ورمح ، أُغير على الأعداء وأحارب من ابتغى حربى ، وفرسى مشرف الصدر إشراف الراكب ، كأنه راكب لا مركوب .

(٥٢)

قال الحَارِثُ بْنُ وَعْلَةَ الذُّهْلِى

(البحر الكامل)

١ – قَوْمِى هُمُ قَتَلُوا ، أُمَيْمَ ، أَخِى   فَإِذَا رَمَيْتُ يُصِيبُنِى سَهْمِى
٢ – فَلَئِنْ عَفَوْتُ لأَعفُوَنْ جَلَلاً   ولَئِنْ سَطَوْتُ لأُوهَنَنْ عَظْمِى
٣ – لا تَأمَنَنْ قَوْمًا ظَلَمْتَهُمْ   وَبَدَأْتَهُمْ بِالشَّتْمِ والرَّغْمِ

---

٥٢ – ترجمته : لم نعرف عنه أخبارا .

جو الأبيات : يتفجع الشاعر لمقتل أخيه على يد قومه ، وعجزه عن الأخذ بثأره ؛ لأنه إن فعل سيكون كمن يثأر من نفسه (١ ، ٢) ثم يشير إلى عاقبة الظلم والعدوان ، فالشعور بالعداء ينمو مع الزمن وإن بدأ يسيرا (٣ ، ٤) ويطلب من قومه – مؤنبا – أن ينبهوه إلى ما يصدر منه مخالفا لمصلحة الجماعة وروح الود ! (٦) ثم يخاطب قاتل أخيه قائلا لقد أثّر فى نفوسنا ما صنعته تأثيرا بالغا أثار فينا الغضب والغيظ (٦) ثم يفصح عن ضعفه وضعف رهطه أمام قتلة أخيه من قومه (٧) ولذا فالأبيات تصوره وقد تسامح عن ضعف لا عن مقدرة . ونرجح نسبتها إليه إذ لا يشاركه فيها شاعر آخر .

التخريج : الحماسة بشرح التبريزى ١/١٩٩ – ٢٠٥ .

الشرح :

١ – يقول : قومى يا أميمة هم الذين فجعونى بأخى ... وهذا الكلام تحزن وتفجع وليس بإخبار .

٢ – يقول : إن تركت طلب الانتقام منهم صفحت عن أمر عظيم ، وإن انتقمت منهم أوهنت عظمى : أى أضعفته .

٣ – حَوَّل الكلام هنا عن الإخبار إلى الخطاب متوعدا . والرَّغم : مصدر رَغَمْتُ فلانا ، إذا قلت له رَغما أو فعلت به ما يرغم أنفه ويُذِله . والرَّغام : التراب ، وأرغمته : حملته على ما لا يقدر على الامتناع منه .

٤ – أَنْ يَأْبِرُوا نَخْلًا لِغَيْرِهِمُ ‏ ‏ ‏ وَالشَّىْءُ تَحْقِرُهُ وَقَدْ يَنْمِى
٥ – وزعمتُمُ أَنْ لا حُلُومَ لَنَا ‏ ‏ ‏ إِنّ العَصَا قُرِعَتْ لِذِى الحِلْمِ
٦ – وَوَطِئْتَنَا وَطْئًا عَلَى حَنَقٍ ‏ ‏ ‏ وَطْءَ المُقَيَّدِ نابِتِ الهَرْمِ
٧ – وتركْتَنَا لَحْمًا على وَضَمٍ ‏ ‏ ‏ لو كُنْتَ تَسْتَبْقِى مِنَ اللَّحْمِ

* * *

٤ – أَبَرْتُ النخل وَأَبَّرْتُهُ ، إذا لَقَّحته ، والمعنى : إن ظلمتمونا تحولنا عنكم فلا يكون لكم بعدنا مقام .

٥ – أكثر ما يستعمل الزعم فيما كان باطلا أو فيه ارتياب . والمعنى : زعمتم أن الأمر والشأن لا حُلوم لنا ، فإن كان الأمر على ما زعمتم فنبهونا أنتم .

٦ – أى : أثرت فينا تأثير الحنق الغضبان ، كما يؤثر البعير المقيد إذا وَطِئَ هذه الشجرة الضعيفة ، وخص المقيد لأن وطأته أثقل ، لأنه لا يتمكن من وضع قوائمه على حسب إرادته ، كما خص الحنق لأن إبقاءه أقل .

٧ – الوَضَم : خِوانُ الجزار . أى تركتنا لا دفاع بنا كاللحم على الْوَضَم يتناوله من شاء . لو كنت تستبقى من اللحم : أى لو كنت تترك بقية .

(٥٣)

قال حَمَصِيصَةُ بْنُ شَرَاحِيلَ الشَّيْبانيُّ

(البحر الكامل)

١ – وَلَقَدْ دَعَوْتَ طَرِيفُ دَعْوَةَ جاهِلٍ
سَفَهًا ، وأنتَ بِمَنْظَرٍ لَوْ تَعْلَمُ

٢ – وَلَقِيتَ حَيًّا فى الحُروبِ مَحَلُّهُمْ
والجَيْشُ بِاسْمِ أَبِيهِمُ يُسْتَهْزَمُ

٣ – فَإذا دَعَوْا بِأَبِى رَبيعةَ أَقْبَلُوا
بِكَتائِبٍ دُونَ النساءِ تَلَمَّمُوا

---

٥٣ – ترجمته : هو حَمَصِيصَةُ بنُ شَرَاحِيلَ من بنى ربيعة بن ذُهْلِ بن شَيْبان ، وهو الذى قتل طريفًا العَنْبَرِىَّ التميمىَّ ثأرًا لأبيه ، يوم مُبايِض بين بكر وتميم .

جو الأبيات : كان طريف العنبرى قد قتل شراحِيلَ الشيبانى ، فَجَدَّ حَمَصِيصَةُ بنُ شراحيلَ فى دَرَك ثأره ، ولما كان العرب يطوفون بالبيت فى الشهر الحرام وقد أمن بعضهم بعضا ، فقد ذهب حمصيصة طائفا بالبيت عله يتعرف وجه قاتل أبيه ... فأراه الناس طريفا ، فجعل يتأمله ، فقال له طريف : لِمَ تشد نظرك إلىَّ ؟ قال حَمَصِيصَةُ : أريد أن أثبتك ، لعلى أن ألقاك فى جيش فأقتلك ! فقال طريف : اللهم لا تُحِلِ الحَوْل حتى ألقاه . ومن هنا كان مطلع الأبيات « ولقد دعوت طريف دعوة جاهل » قالها حمصيصة بعد تلاقى البكريون بقيادة هانئ بن مسعود – ومعهم حمصيصة – بطريف ومعه بنو أُسيد التميميين يوم مُبَايِض ، حيث انتهى الأمر بانتصار البكريين ومقتل طريف على يد حمصيصة ، الذى قال هذه الأبيات . والأبيات منسوبة فى الأصمعيات لعمرو بن حُنَىٍّ التغلبي .

التخريج : الأصمعية ٣١ منسوبة لعمرو بن حُنَىّ التغلبى ورَجَّح شارحاها أنها للشاعر . وأيام العرب فى الجاهلية ص ٢١٠ ، ٢١١ منسوبة لبعض بنى شيبان .

٤ – فَلَقِيتَ فيهِمْ هانِئًا وسلاحَهُ
بَطَلاً إذَا هابَ الفوارسُ يُقْدِمُ
٥ – سَلَبُوكَ دِرْعَكَ والأَغَرَّ كليهما
وبنو أُسَيِّد أَسْلَمُوكَ وَخَضَّمُ

الشرح :

٤ – هانئ : هو هانئ بن مسعود الشيباني رئيس بني أبي ربيعة بن ذهل بن شيبان .

٥ – الأغر : فرس طريف العنبري . بنو أسيِّد : بطن من تميم . خَضَّمُ : لقب العنبر بن تميم ، وغلب على البطن .

(٥٤)

قال الحَوْفَزانُ بنُ شَرِيكٍ الشَّيْبانيُّ

(البحر الكامل)

١ – لما رأيْتُ الخَيْلَ شَكَّ نُحُورَها
حِرابٌ وَنُشّابٌ صَبَرْتُ جَناحا

٢ – عَلَى المَوْتِ حَتَّى أنزلَ اللهُ نَصْرَهُ
وَوَدَّ جَناحٌ لو قَضَى فَاستراحا

---

٥٤ – **ترجمته** : هو الحارث بن شَرِيك من بني شيبان . ومر ذكره في أيام بكر وتميم . ويقال إن الأبيات لأخيه بشر ، وإن الحوفزان لم يدرك ذا قار .

التخريج : كتاب النقائض ـــ ليدن – ٢/٦٣٦ – ٦٣٧ .

الشرح :

١ – جُناح : اسم فرسه .

(٥٥)

قال أحد بنى سَعْدِ بْنِ هَمَّامٍ

(بحر الوافر)

١ – تُسَائِلُنِى هُنَيْدَةُ عَنْ أَبِيها   وما أَدْرِى ، وما عَبَدَتْ تَمِيمُ
٢ – غَداةَ عَهِدْتُهُنَّ مُغَلْصَماتٍ   لَهُنَّ بِكُلِّ مَخْنِيَةٍ نَحِيمُ
٣ – فما أَدْرِى أُجُبْنًا كانَ طِبِّى   أَم الكُوسَى إذَا عُدَّ الحَزِيمُ

---

٥٥ – ترجمته : لم نعرف من هو .

جو القصيدة : كانت الدائرة على بنى بكر فى لقائهم مع بنى تميم فى يوم ذى طُلُوح ، ولم يفلت منهم أحد غير شيخ من بنى شيبان ، ثم أحد بنى سعد بن همام ، نجا على فرس له ، وقد كان أخوه معه فأُوخذ ، فلما أتى الحى سألته بنت أخيه عن أبيها ، فقال لها هذه الأبيات .

التخريج : كتاب النقائض (ليدن) ٧٨٤/٢ وأيام العرب فى الجاهلية ص ١٨٧ .

الشرح :

٢ – مُغَلْصَمات : مشددة الأعناق . نحيم : شبه الزفير .

٣ – الكُوسى : بمعنى الكَيْس أى الجود والعقل (كالحُسْنَى بمعنى الحسن) .
طبى : اضطرابى . عُدَّ الحزيم : من قولهم شُدَّ للأمر حزيمه أى استُعِدَّ له .

(٥٦)

قالت صفية بنت ثعلبة

(البحر البسيط)

١ - ماذا أُحاذِرُ من عِشْرِينَ يَقْدُمُهُمْ
مَنْصُورُ فى حىِّ غَسَّانٍ عَلَى نُجُبِ

٢ - مِنَ الجِيادِ عليها الحَىُّ من يَمَنٍ
والعُجْمُ تَرْفُلُ فى الماذِىِّ واليَلَبِ

٣ - وعندِىَ الأَفْقَمُ الهَمَّاسُ فى فِئَةٍ
منهُمْ ظَلِيمٌ وعمَّارُ بْنُ ذِى كَرِبِ

---

٥٦ - **ترجمتها** : هى صفية بنت ثعلبة ، وتلقب بالحُجَيْجَة ، من بنى شيبان ، ولعلها بنت ثعلبة بن هَمَّام بن مُرَّة بن ذهل بن شيبان ، واستجارت بها (الحُرَقَة) هند بنت النعمان ضد كسرى ، فأجارتها ، وأعلمت قومها بذلك ، فلبوا النداء إلى نجدتها وحاربوا جنود كسرى وهزموهم فى وقائع ذى قار . وقد سجلت صفية ما حدث فى أشعارها .

جو القصيدة : حين رفضت شيبان طلب منصور طاعة هند له ، جاءها بمدد كبير من كسرى ملك الفرس . فقالت الشاعرة هذه القصيدة .

التخريج : موسوعة الشعر العربى ٤/٥٠٠ .

الشرح :

٢ - الماذى : سلاح من حديد . اليلب : دروع من الجلد ، يمانية .

٣ - الأفقم : من كانت ثناياه العليا متقدمة إلى الخارج . وهنا صفة لفارس مخصوص اسمه الأفقم . الهماس : الأسد الكسار لفريسته .

٤ – وعُقْبَةٌ وعُبَادٌ والرَّبيعُ إلى
ذِى العِزةِ الفارسِ الحَمَّالِ بِالكُتُبِ

٥ – والصَّلْتُ مَعْ سَالِمٍ والمالِكانِ معًا
وَمُسْلِمٌ بَعْدَ بَكْرٍ الفارِسِ الأَرِبِ

٦ – ونافع وعُمَيْرٌ وَالمُرَوَّحُ فى
فُرسانِ شَيْبَانَ ، لامِيلٍ ولا غُضُبِ

٧ – والأحْوَصَانِ وَأَعْوافٌ وأَحْسَبُهُمْ
وابنُ المُسَيَّبِ مِنْ ذِى الخَيلِ بالقُضُبِ

٨ – ياعمْرُو ، عمْرُو أَجِبْنى يابْنَ ثَعْلَبةٍ
ياشِبْهَ بَرَّاقَ يومَ القتْلِ والسَّلْبِ

٩ – لأجل عِشْرِينَ ألفًا أُضْحَ صارِخَةً
فى آل بكرٍ ، وذَا شىءٌ مِنَ العَجَبِ ؟!

١٠ – لا تكشِفُونِى بهذا اليومِ وَارْتَقِبُوا
يَوْمِى ، لوقتِ اجْتِماعِ العُجْمِ والعَرَبِ

---

٤ – الكتب : التلال .

٦ – ميل : جبناء .

٧ – القُضُب : السيوف .

٨ – تنادى فى هذا البيت أخاها عمرو بن ثعلبة ، وتشبهه ببراق بن روحان الأسدى الذى كان يحب ابنة عمه (ليلى بنت لُكَيْز) ، ثم حدث أن خطفها ابن لأحد ملوك فارس ، فقالت فى ذلك شعرا ، منه قولها :

لَيْتَ للبَرَّاقِ عينًا فَتَرى ما أقاسى من بلاءٍ وعَنَا

فلما وصل شعرها إلى البراق ، حشد فرسانا كثيرين ، وسار إلى فارس ، ونجح فى أن يخلصها .

(٥٧)

وقالت صَفِيَّةُ بنتُ ثَعلبة

(البحر البسيط)

١ – قُولاَ لمنصورَ لادَرَّتْ خَلائِفُهُ
ماصَاحَ فيهِمْ غُرابُ البَيْنِ أَوْ نَعَقَا

٢ – مَنْ زَوَّجَ الفُرْسَ يامَتْبُولُ قبلكُمُ
مِنَ الأعارِبِ – يامخذولُ – أَوْ سَبَقَا؟

٣ – اخْتَرْ – عَدِمتُكَ مِنْ فَدْمٍ – أَخا ثِقَةٍ
فَانْطِقْ ، فأنتَ أَشَرُّ الناسِ إنْ نَطَقَا

٤ – ياوَيْحَ أُمِّكَ يامَنْصُورُ ، إِنَّ لَنَا
خَيْلاً كِرامًا تَصُونُ الجارَ ماعَلِقَا

٥ – بِاللهِ لا نَالَ منصورٌ لجِارَتِنَا
وكلُّ جيشٍ يَجِينَا يَرْجِعَنْ فِرَقَا

٦ – فَمُتْ بِغَيْظِكَ يامنصورُ ، وَاخْىَ على
بَعْضَاكَ قَوْمِى ، وشَمِّرْ كُلَّ يومٍ لِقَا

---

٥٧ – **جو الأبيات** : أرسل قواد كسرى رسولين إلى بنى شيبان بأن تنزل هند بنت النعمان على طاعة المنصور أحد قواد كسرى من العرب ، فيسامح الشيبانيين بما فعلوا فلقيتهما صفية ! وقالت لهما هذه الأبيات .

التخريج : موسوعة الشعر العربى ٤/٤٩٨ .

الشرح :

١ – الخلائف : النوق التى ولدت .

٢ – متبول : فاسد العقل .

٣ – الفدم : الأبله ، الغليظ الأحمق .

٧ - واحْذَرْ تَمَنّى فما تُعْطَى مُناكَ بِهَا
تِلْكَ الأَمانِى تُعِيدُ الضَّعْفَ والعَرَقَا
٨ - آلتْ بَنُو بَكْر تَرْضَى ما كتبتَ بِهِ
يَا ابنَ الدَّنِيةِ . فاجْمِلْ إنْ أَرَدْتَ بَقَا

(٥٨)

وقالت صَفِيَّةُ بِنْتُ ثَعْلَبة

(البحر الخفيف)

١ – لَيْسَ للعُجْمِ نُصْرَةٌ فى عَشِيرِى ... إنْ أرادَ الطِّمِيحُ نَجْلُ الكِرَامِ
٢ – إنْ تَوَلَّتْ لَنا إيادُ انهِزامًا ... كانَ منهمْ هَزِيمَةُ الأعْجَامِ
٣ – وَملَكْنا العُلُوَّ والفَخْرَ طُو ... لَ الدهرِ حتى آخِرَ الأيَّامِ
٤ – إنَّ نَصْرَ الطِّمِيحِ أكْرَمُ نَصْرٍ ... وَحُنُوٌّ على بَنِي الأعْمَامِ

---

٥٨ – **جو الأبيات** : بعد أن رفضت صفية ! وقومها نصيحة طَمِيح قائد كسرى بالرجوع عن الحرب وتسليم هند بنت النعمان له التفتت إلى قومها تثير نخوتهم من جديد ، بقولها : أتستقيمون على ما أنتم عليه ، وتصبرون على لَظَى الحرب ، أم أستجيرُ لى ولجارتى بقبائلَ غيركم ؟ .. فردوا عليها بالاستعداد لخوض المعركة ، فراحت تخاطب كل قبيلة على انفراد لإثارة الحماسة فيها ، ونشبت المعركة ، وتكاثر العَجَم على العرب ، حتى كاد العرب ينهزمون ، فقامت صفيةُ تقطع حِبال الهوادج فسقطت النساء عن الإبل ، ورأى الرجال نساءهم على تلك الحالة ، فاشتدت سواعدهم وحملوا الحملات الصادقة ، ولكن كثرة العدو كادت تفنيهم . وفى هذا الوقت وصلت الإمدادات من بنى يشكر بقيادة ظليم ابن الحارث ، فخاضت المعركة التى استمرت يومين متتاليين ، واجتمعت صفية سرا بالطِّمِيح ، فحرضته على خِذْلانِ كسرى ، وأنشدته هذه الأبيات فاستجاب لها ، وانحاز لبنى قومه العرب ، وكانت هزيمة الفرس عظيمة ، وكان ذلك أول يوم انتصف به العرب من العجم . (الموسوعة) .

التخريج : موسوعة الشعر العربى ٥٠٦/٤ .

(٥٩)
وقالت صَفِيَّةُ بنْتُ ثَعْلَبَةَ

(البحر البسيط)

١ - سَاقَتْ فَوارِسُ شَيْبَانٍ لِمَعْشَرِها
خَيرُ الصَّنائِعِ فيها طَفْرَةُ العَجمِ
٢ - غُنْما ، سَبَايا ، مِنَ الدِّيبَاجِ فُرْشُهُمُ
والتَّسْتُرِيّ وأَفْنَانٍ مِنَ القِسَمِ
٣ - ثُمَّ النَّضَار وفيهِ الدرُّ مُنتظِمٌ
واللؤلُؤ العَجَمِ المَعْرُوفُ بِالنُّظُمِ
٤ - أَهْدَى أَخِي عَمْرُو خَيْرَ الغُنْمِ فانْتَظِرُوا
عند الصَّبَاحِ جِبَاةَ الخيلِ بِالخَدَمِ
٥ - ياآلَ شيبانَ بعد اليومِ لا صَدَرٌ
من الكفاحِ ، وضربٍ مُتْلِفِ القِمَمِ
٦ - إني وعَمْرًا على وعْدٍ يفيء بهِ
من الوفاء وأسْبَابٍ من الذِّمَمِ
٧ - هذا مَقالي وقومِي قَائِلُونَ مَعِي
كما أقولُ ، لِسانٌ صادِقٌ بِفَمِ

---

٥٩ - جو القصيدة : لبّى بنو شيبان نداء شاعرتهم (صفية) وتصدَّوْا لجنود الفرس فهزموهم . فقالت (صفية) هذه القصيدة تسجل ذلك النصر وتشيد ببطولة قومها .

التخريج : موسوعة الشعر العربي ٤/٤٩٦ .

الشرح :
١ - ساقت : أحضرت وجلبت . الصنائع : الأمتعة الجميلة .
٢ - سبايا : نساء مسبيَّات . التستري : المنسوب إلى تستر ، بلدة بفارس اشتهرت بثيابها الجميلة . أفنان : أنواع .

٨ – أنا الحُجَيْجَةُ من قومٍ ذَوِى شَرَفٍ
أُولِي الحِفَاظِ وأَهْلِ العزِّ والكَرَمِ
٩ – والعِزُّ فيهِمْ قَدِيمًا غيرُ مُقْتَرَفٍ
والجارُ – فاعْلَمْ – عَزِيزًا ، دارُهُ بِهِمِ
١٠ – قُولوا لكسرى : أَجَرْنا جارَةً فَثَوَتْ
فى شَامِخِ العِزِّ يا كِسرى على الرَّغُمِ
١١ – نحنُ الذين إذَا قُمْنا لِداهِيَةٍ
لم نَبْتَدِعْ هِنْدَنَا شيئًا مِنَ النَّدَمِ
١٢ – نَحُوطُ جَارَتَنا مِنْ كُلِّ نَائِبَةٍ
وَنَرْفِدُ الجَارَ ما يَرْضَى مِنَ النِّعَمِ

---

١١ – هندنا : أى هند بنت النعمان بن المنذر التى استجارت بنى شيبان .

(٦٠)

وقالت صَفِيَّةُ بِنْتُ ثَعْلَبَة

(البحر الكامل)

١ – أَحْيُوا الجِوارَ فَقَدْ أَماتَتْهُ معا
كُلُّ الأَعارِبِ يابَنِى شَيْبَانِ

٢ – ما العُذْرُ ؟ قد لَفَّتْ ثِيابِىَ حُرَّةٌ
مَغْرُوسَةٌ فى الدرِّ والمُرْجانِ

٣ – بِنْتُ الملوكِ ذَوِى المَمالِكِ والعُلَى
ذَاتُ الحِجَالِ وصَفْوَةُ النُّعْمانِ

٤ – أَتُهاتَفُونَ وتَشْحَذُونَ سُيُوفَكُمْ
وتُقَوِّمون ذَوابِلَ المُرَّانِ

٥ – وتُسَوِّمُونَ جنودَكُمْ يامَعْشَرِى
وتُجَدِّدُونَ حَقِيبَةَ الأَبْدَانِ

٦ – وعلى الأكاسِرِ قد أَجَرْتُ لِحُرَّةٍ
بِكُهولِ مَعْشَرِنا وبالشُّبَّانِ

---

٦٠ – **جو القصيدة** : لما أجارت الشاعرةُ الحرقةَ (هند بنت النعمان) ضد كسرى ، قالت هذه القصيدة مخاطبة قومها وداعية لهم إلى حماية هذا الجوار .

التخريج : موسوعة الشعر العربى ٤٩٤/٤ .

الشرح :

٤ – أتهاتفون : فهل تسرعون إلى تلبية النداء . ذوابل المران : الرماح .

٥ – تُسوِّمون : تكلفون جنودكم المهمة . الحقيبة : خريطة يعلقها المسافر فى الرَّحل لوضع زاده .

٧ – شيبانُ قَوْمي هَلْ قَبيلٌ مثلهُمْ ؟
عندَ الكفاحِ وكَرَّةِ الفُرسانِ

٨ – لا والذَّوائِبِ مِنْ فُروعِ رَبيعَةٍ
ما مثلُهُمْ فى نائِبِ الحَدَثانِ

٩ – قومٌ يُجيرُونَ اللهيفَ مِنَ العِدَا
وَيُحَاطُ عُمْرِى منْ صُرُوفِ زَمانِى

١٠ – تَرِدُ الهِياجَ بَنُو أَبِى ، لا تَتَّقِى
مَسْطَى العَدُوِّ وصَوْلَةَ الأَقْرانِ

١١ – إنى حُجَيْجَةُ وائِلٍ ، وبوائِلٍ
يَنْجُو الطرِيدُ ، بشَطْبَةٍ وحِصَانِ

١٢ – ياآلَ شيبانٍ ظَفِرْتُمْ فى الدُّنَا
بالفَخْرِ والمَعْرُوفِ والإِحْسَانِ

---

٨ – الذوائب : الشرفاء الأعزاء . الحدثان : النوائب .

١٠ – الهياج : الحرب . مَسْطى : بطش ، ووثوب . الأقران : جمع قِرن ، الأسياد .

١١ – حُجَيْجَة : لقب الشاعرة صفية . وائل : جدها الأعلى ، فهى من بكر بن وائل . شطبة : سيف .

(٦١)

وقالت صَفِيَّةُ بنتُ ثَعْلَبَةَ

(البحر الكامل)

١ – لله دَرُّكَ مِنْ نَصِيحٍ صادِقٍ
والنُّصْحُ رأيُكَ أيها الإنسانُ

٢ – واللهُ يُجْزِيكَ الذى أرسلتَهُ
إن المهيمنَ واصِلٌ مَنَّانُ

٣ – أصبحتَ فى شيبانَ حولَ صَنَائِعٍ
فَلْتَسْتَعِدّ لِحَمْلِها شَيبانُ

٤ – ناصَحْتَهُمْ وشَرَكْتَ فى مَحْدُودِهِمْ
والسِرُّ عِنْدَك فيهِمُ إعْلانُ

٥ – فَلَكَ الجَزَاءُ بمِثلِها فى حَادِثٍ
لا تَأْمَنَنَّ ، وأين مِنْكَ أمَانُ

٦ – والدَّهْرُ يأتى بالقُصارَى باقِيًا
واعْلَمْ – فَدَيْتُكَ – أنَّهُ خَوَّانُ

٧ – ولسوفَ يَدْعُونى غدًا فأُجِيبُهُ
ولسوفَ تُقْضَى فُرْصَةٌ ويُدَانُ

---

٦١ – **جو القصيدة** : أراد كسرى أن ينتقم للهزيمة التى منيت بها قواته بقيادة عامله منصور ، فأرسل قوة عظيمة على رأسها القائد الطميح للقاء بنى شيبان وتأديبهم ، وقد رأى القائد – وهو عربى يعمل فى خدمة الفرس – أن ينصح لبنى شيبان ويحذرهم من بأس كسرى ، فأرسل إليهم سرا بذلك ، فكان جوابه هذه القصيدة من الشاعرة صفية .

التخريج : موسوعة الشعر العربى ٥٠٢/٤ .

الشرح :

١ – لله درك : أى جزاء عملك من الله . نصيح : ناصح .

٨ – جاءَ الرسولُ بِنُصْحِهِ ولأنَّهُ
مَحفوظـــةٌ أسرارُهُ وتُصَانُ

٩ – لكنَّ دُونَ السِّلْمِ سُمْرٌ ذُبَّلٌ
لِمَعاشِرِي ، مِنْ مَعْشَرٍ فِتْيَانُ

١٠ – وصَوارِمٌ مَشْحُوذَةٌ وسَوابِغٌ
وأبُو جِيادٍ كُلُّهُنَّ حِصَانُ

١١ – اليومَ يومُ حُجَيْجَةٍ من وائِلٍ
جاءَتْ بِها الأنْبَاءُ والأزْمَانُ

١٢ – وَلَعَمْرُ جَدِّكَ إنْ عَنانِي جُنْدُهُ
فَمَعِي له الشَّفَراتُ والمُرَّانُ

١٣ – شَيْبَانُ قَوْمِي والأعارِبُ دَعْوتِي
وعَزِيزَةٌ فِيهِمْ فَلَسْتُ أُهَانُ

١٤ – قُلْ لِلطَّمِيجِ – فَدَتْهُ فِتيانُ الْوَغَى
عِنْدِي لِكَسْرَى الْقَلْبُ والأبْدَانُ

١٥ – بِاللهِ أفْزَعُ مِن كَثِيفِ جُنُودِهِ
وَأنا تُجِيبُ لِدَعْوتِي العُرْبَانُ ؟

---

٩ – سُمْر : رماح ، ووصف الرماح بالسمرة لأن قناة الرمح إذا صلبت أسمر لونها .
ذُبَّل : رماح قنواتها جافة .
١٠ – صوارم : أي سيوف . سوابغ : دروع .
١٢ – لعمر جدك : وحياة جدك . عناني : أرهقني ، وقهرني . الشفرات : السيوف . المران : الرماح .
١٣ – دعوتي : أي يلبون دعوتي .

١٦ - فليأتِ كسرى والأيافِثُ بَعْدَهُ
والتُّرْكُ والأَدْلامُ والحُبْشَانُ
١٧ - وَلَدَيَّ أبيضُ صارِمٌ ذُو صَعْدَةٍ
عند الكَرِيهَةِ باسِلٌ مِطْعَانُ
١٨ - جِنِّيُّ حَرْبٍ فى الحُروبِ مُجَرِّبٌ
وَلَدَى السلامةِ إنهُ إنْسانُ
١٩ - هَزَم الجُيُوشَ بِجَحْفَلٍ من قَوْمِهِ
لاقِيهِ يومَ لقائِهِ خَسْرَانُ
٢٠ - عندى السَّلاهِبُ والقَواضِبُ والقَنَا
وَمُدَجَّجُونَ ، الشُّمْطُ والشُّبَّانُ
٢١ - وأنا الحُجَيْجَةُ من ذُؤابةِ وائِلٍ
وأنا المُجِيرَةُ ، والقَنا رَعْفَانُ
٢٢ - ياوائِلٌ ثُوروا فَذَا مِيقاتُكُمْ
وَلِكُلِّ أمرٍ - ياجليلُ - زمانُ
٢٣ - هذا زَمانِى قد دَنا مِيقاتُهُ
هذا الأوانُ لِما زَعْمتَ أوانُ

---

١٦ - الأيافث : من نسل يافث بن نوح . الأدلام : جمع الديلم ، جيل من الناس تابع للفرس .

١٩ - جحفل : جيش كبير .

٢٠ - السلاهب : الخيول الطويلة . القواضب : السيوف القاطعة .
القنا : الرماح . مدججون : عليهم السلاح التام . الشمط : الشيوخ .

٢١ - ذؤابة : رأس ، شريف . رعفان : يسيل منه الدم .

٢٤ – أَبْلِغْ طَمِيحًا – يارسولُ – وقُلْ لَهُ
بِسيوفِ تَغْلِبَ تغلب الأقران

٢٥ – لا تَجْزَعَنَّ على رَبِيعَةَ إِنَّهُمْ
أَهْلُ النَّصِيحَةِ – يَافَتى – شَيْبانُ

(٦٢)

قال صليغ بنُ عَبْدِ غَنْمٍ الشَّيْبانيُّ

(البحر الطويل)

١ – نَهَيْتُ بنى زعلٍ غَداةَ لَقِيتُهُمْ
وجَيش نُصَيْبٍ والظُّنُونُ تُطاعُ

٢ – وقلتُ لهمْ : إنَّ الجريب وراكسًا
به نَعَمٌ ترعى المرار رِتَاع

٣ – ولكنَّ فيه الموتَ يرتَعُ سِرْبُهُ
وحقٌّ لهمْ أنْ يقبلوا ويُطاعُوا

٤ – متى تَأْتِهِ تَلْقَى على الماءِ حارِثًا
وجيشًا لهُ يوفى بكلِّ بِقاعِ

---

٦٢ – ترجمته : لم أعرف عنه أخبارا .
جو الأبيات : قيلت فى حرب سليم وشيبان .
التخريج : الكامل فى التاريخ ٣٧١/١ .
الشرح :
١ – نُصيب : هو النصيب السُّلَمى .
٢ – الجريب : اسم واد .
٤ – فى هذا البيت إقواء .

(٦٣)

قال عبدُ المسيح بنُ عَسَلَةَ الشَّيبانى

(البحر البسيط)

١ - وعازِبٍ قَدْ عَلَا التَّهْوِيلُ جَنْبَتَهُ
لا تَنْفَعُ النَّعْلُ فى رَقْراقِهِ الحافِى

٢ - صَبَّحْتُهُ صاحِبًا كالسِّيدِ مُعْتَدِلًا
كأَنَّ جُؤْجُؤَهُ مَدَاكُ أَصْدَافِ

٣ - باكَرْتُهُ قبلَ أَنْ تَلْغَى عَصافِرُهُ
مُسْتَخْفِيًا صاحِبِى وغيرُهُ الخَافِى

٤ - لا ينفعُ الوَحْشَ منه أَنْ تَحَذَّرَهُ
كأَنَّهُ مُعْلَقٌ منها بِخُطَّافِ

٥ - إِذَا أُواضِعُ منه مَرَّ مُنْتَحِيًا
مَرَّ الأَتِيِّ علَى بَرْدِيِّهِ الطَّافِى

---

٦٣ - **ترجمته** : هو عبد المسيح بن حكيم بن عفير بن طارق بن قيس بن مرة بن همام . وعسلة أمه ، نسب إليها .

جو الأبيات : هذا من شعر الطرد ، حيث خرج الشاعر آخر الليل على فرسه يطارد الوحش فى مكان منعزل .

التخريج : المفضلية ٧٣ .

الشرح :

٢ - صحبته : سرت فيه ليلا فوافيه صبحا . صاحبه ههنا : فرسه . الجؤجؤ : الصدر .

(٦٤)

وقال عبدُ المسيح بنُ عَسلَةَ الشَّيبانيِّ أيضا

(البحر الكامل)

١ – ياكَعْبُ إنَّكَ لو قَصَرْتَ عَلَى حُسْنِ النِّدامِ وَقِلَّةِ الجُرْمِ
٢ – وسَماعِ مُدْجِنَةٍ تُعَلِّلُنا حتى نَئُوبَ تَناوُمَ العُجْمِ
٣ – لَصَحَوتَ والنَّمَرِيُّ يَحْسِبُها عَمَّ السِّماكِ وخَالَةَ النَّجْمِ
٤ – هَلْهِلْ لِكَعْبٍ بعد ما وقَعَتْ فَوقَ الجَبِينِ بِمِعْصَمٍ فَعْمِ
٥ – جَسَدٌ بهِ نَضْحُ الدِّماءِ كَما قَنَأَتْ أَنامِلُ قَاطِفِ الكَرْمِ
٦ – والخَمْرُ ليستْ مِنْ أَخِيكَ وَلَـكِنْ قد تَخُونُ بِآمِنِ الحِلْمِ
٧ – وتُبَيِّنُ الرأيَ السَّفِيهَ إذَا جَعَلَتْ رِياحُ شَمُولِها تَنْمِي
٨ – وأنا امْرُؤٌ من آلِ مُرَّةَ إنْ أَكْلِمْكُمُ لا تُرْقِئُوا كَلْمِي

---

٦٤ – **جو الأبيات** : يعتب فيها على كعب النَّمَرِيّ أن يكون لا يحسن المنادمة على الشراب ، ثم شرع فى نعت الخمر ... وتوعده ومن معه أن يهجوهم ..

التخريج : المفضلية ٧٢ .

الشرح :

٤ – فعم : ريان ممتلئ .

(٦٥)

وقال عبدُ المَسِيحِ بْنُ عَسَلَةَ أيضا

(البحرُ الطويل)

١ – ألا ياسْلَمِى على الحَوادِثِ فَاطِمَا
فَإِنْ تَسْألِينى تَسْألى بى عالما

٢ – غَدَوْنا إلَيْهِمْ والسيوفُ عِصِيُّنا
بأيْمانِنا نَفْلِى بِهِنَّ الجَماجِمَا

٣ – لَعَمْرِى لأَشْبَعْنَا ضِبَاعَ عُنَيْزَةٍ
إلى الحَوْلِ منها والنُّسورَ القَشاعِما

---

٦٥ – جو القصيدة : دعا لصاحبته فاطمة بالسلامة ، معتزا بنفسه مفتخرا بقومه وما كان منهم يوم عنيزة من شجاعة وبطولة ، ووصف هول ذلك اليوم ، وكثرة القتلى فيه ، وما ركب عدوهم من العار . ثم توعد « أخا قرط » وهزئ منه فى سخرية لاذعة . وكان يوم عنيزة من أيام حرب البسوس – وكا بين بنى بكر وتغلب – وتكافأ الجمعان فى هذا اليوم (انظر أغانى ساسى ٤/١٤٢ وابن الأثير فى « الكامل فى التاريخ » . نشر إدارة الطباعة المنيرية بالقاهرة ١/٣١٩) وقد أخذ شارح المفضليات ومحققها أحمد محمد شاكر برواية العقد الفريد ٥/٢١٩ حين زعم أن الدائرة قد دارت فى هذا اليوم على بنى بكر ، ويأبى الشاعر أن يعترف بالهزيمة وخلق منها نصرا مبينا . ونظن أن بكرا لم تهزم فى هذا اليوم وإلا لاستبعده الشاعر وتمثل بيوم آخر انتصروا فيه مثل يوم قِضَةَ أو تَحْلَاق اللِّمَم الذى أجمعت المصادر على أنه كان لبكر على تغلب .

التخريج : المفضلية ٨٣ .

الشرح :

١ – أراد : ألا ياهذه اسْلمى . عالما : أى إن تسألينى تسأل بمسألتك إياى عالما .

٢ – فلى رأسه بالسيف : ضربه وقطعه .

٣ – عنيزة : موضع ، وهو يوم معروف من أيام حرب البسوس بين بكر وتغلب .
القشاعم : جمع قَشْعم ، وهو المُسِن من النسور الكبير منها .

٤ – تَمَكَّكُ أطرافَ العَظامِ غُدَيَّةً
وَنَجْعَلُهُنَّ لِلأُنُوفِ خَواطِمَا

٥ – وَمُسْتَلَبٍ مِن دِرْعِهِ وسِلاحِهِ
تَرَكْنا عليه الذِّئْبَ يَنْهَسُ قائِما

٦ – فأما أخُو قِرْطٍ ، ولسْتُ بِساخِرٍ
فَقُولَا له : يااسْلَمْ بِمُرَّةَ سالِمَا

---

٤ – تمكُّك : تمكك ، والتمكك : إخراج المخ من العظم بالشفتين ، أو مَصُّ جميع ما في الضرع ، وقيل التمكك شدة الاستقصاء على العظم بالضرس ، وهذا المعنى ليس في المعاجم . والضمير في الفعل للسيوف . غُدَيَّة : تصغير غداة . خواطما : أي خطمنا أنوفهم بهذه الوقعة ، أي صيرنا بها عارًا عليهم كالعلامة على أنوفهم .

٦ – يهزأ بأخي قُرْطٍ ، يقول : اسْلم بمُرَّةَ ، أي اذهب به ، وهو المقتول . والمعنى اسلم بقتلك إياه ، على طريق التهكم به ، أي لست سالما ، وقد قتلته . وأبدع في السخرية منه بقوله « ولست بساخر » .

(٦٦)

قال عَمْرو بنُ ثَعْلَبَةَ الشَّيبانىُّ

(بحر المتقارب)

١ – تَجَانَفَ رِضْوانُ عن ضَيْفِهِ　　أَلَمْ تأْتِ رِضْوانَ عَنِّى النُّذُرْ

٢ – وحَسْبُكَ فى القومِ أنْ يَعْلَمُوا　　بأنك فيهم غَنِيٌّ مُضِرّْ

٣ – فأنتَ مُحَلُّكَ دُونَ العِراقِ　　تَباعَدَ رِفْدُكَ مِنْ أنْ تُضَرّْ

٤ – وأنتَ مَلِيحٌ كَلَحْمِ الحُوَا　　رِ لا أنت حُلو ولا أنْتَ مُرّْ

---

٦٦ – ترجمته : هو عمرو بن ثعلبة بن أسعد بن همام بن زهرة الشيبانى – على ما يذكر المرزبانى فى معجمه – وأظن « زهرة » تحريفا لاسم « مرة » إذ لا وجود لهذا الاسم فى أنساب بنى شيبان ... فضلا عن أن همام بن مرة له ولد اسمه الأسعد ، وبذلك يكون اسم الشاعر : عمرو بن ثعلبة بن الأسعد بن همام بن مرة الشيبانى .

التخريج : معجم الشعراء للمرزبانى ص ٣٥ عن ثعلب ، ثم نسبها المرزبانى فى موضع آخر « ص ١٩ » لأشعر الرَّقبان الأسدى .

(٦٧)

قال عمرو بنُ رَبِيعَة

(البحر الوافر)

١ – تَسَرْبَلْنَا الحديدَ ليومِ باسٍ ... على الحَيَّينِ صعبٌ قمطريرُ

٢ – وما تحتَ الحديدِ أشدُّ منهُ ... على الأعداءِ من غُلَلِ الصُّدُورِ

٣ – وما دَفَعَ الدَّناءَةِ من أُناسٍ ... كَمِثْلِ الصبرِ فى يومِ العَسِيرِ

٤ – وتَوْطِينِ النفوسِ على المنايا ... وهل للنفسِ منها من مُجِيرِ

٥ – تواعَدَتِ الأراقِمُ مُسْرِعاتٍ ... إلى دارِ القطيعةِ والفُجُورِ

٦ – وقالوا ليس يُوفِي مِنْ كُلَيْبٍ ... بنى جُشَمٍ سوى القَيْلِ المُنِيرِ

٧ – وَهُمْ فى وائلٍ عَدُّوا وأَعْدُّوا ... مُكاشَفَةً بِتَهتِيكِ السُّتُورِ

٨ – فإنَّ صغيرَ ظُلْمِ القومِ ممَّا ... يَجُرُّهُمُ إلى الظُّلْمِ الكَبِيرِ

٩ – فلما أن رأيتُ الأمرَ جَلَّتْ ... جَرائِرُهُ على جَرِّ السُّتُورِ

١٠ – ولم نَرَ من ضَرِيرِ الشَّرِّ مَنْجًى ... سوى قَذْفِ النفوسِ على الضَّرِيرِ

١١ – قَذَفْنا بالنفوسِ هناك قَذْفًا ... على ما كانَ من وغرِ الصُّدُورِ

١٢ – وَزَحْزَحنا ضَرِيرَ الشَّرِّ عَنَّا ... بِإِنْضاءِ المُهَنَّدَةِ الذُّكُورِ

١٣ – فَأَجْلَى عن منازِلنا وعَنَّا ... منطقَةً بأبْياتِ السُّتُورِ

---

٦٧ – ترجمته : أحد فرسان بكر الذين اشتركوا فى حرب البسوس ، وأظنه عمرو بن ربيعة بن مُحَلِّم بن ذهل بن شيبان .

جو القصيدة : قيلت فى حرب البسوس ، وما كان من تمادى تغلب فى الثأر بكليب .

التخريج : كتاب بكر وتغلب ص ٩٠ .

الشرح :

١ – قمطرير : شديد . وفى هذا البيت إقواء .

٦ – القيل : الناقة التى تحلب عند القائلة ، والقائلة : نصف النهار .

١٢ – نضا السيف : سَلَّهُ .

(٦٨)

قال عمرو بنِ مُرَّةَ الشَّيْبانيّ

(البحر الوافر)

١ – أَصَبْنَا عبدَ شَمْسٍ يومَ قَوٍّ ⠀⠀ ولمْ يَنْفَعْ غَداةَ إذٍ مَناها

---

٦٨ – ترجمته : فى الأصل « عمرو بن زهرة » ولعله هو نفس الشاعر عمرو بن ثعلبة ابن أسعد بن همام بن مرة الشيبانى الذى ذكر المرزبانى أثره فى نفس ص ٣٥ من معجمه . والذى ذكرنا له القطعة رقم ٦٦ .

جو البيت : قاله فى تميم .

التخريج : معجم الشعراء للمرزبانى ٣٥ .

٦ – ولكنَّ مَفْرُوقَ القَنا وابنَ خَالِهِ
أَلَامَا فَلِيما يومَ ذاكَ وشُوِّمَا

٧ – ففَرَّ أَبُو الصَّهْباءِ إِذْ حَمِسَ الوغى
وألقى بِأَبْدانِ السلاحِ وسَلَّما

٨ – وأَيقَنَ أَنَّ الخيلَ إن تَلتَبِسْ بِهِ
تَئِمْ عِرْسُهُ أَوْ يَملإِ البيتَ مَأْتَما

٩ – ولو أنها عُصْفُورةٌ لَحَسِبْتُها
مُسَوَّمَةً تَدْعُو عُبَيْدًا وَأَزْنَمَا

١٠ – أَبَى لك قَيْدٌ بِالغَبِيطِ لِقاءَهُمْ
ويومُ العُظالَى إِذْ نَجَوْتَ مُكَلَّمَا

١١ – فَأَفْلَتَ بِسْطَامٌ جَرِيضًا بنفْسِهِ
وَغادَرْنَ في كَرْشَاءَ لَدْنًا مُقَوَّما

١٢ – وَقاظَ أَسِيرًا هانِئٌ وكأنما
مَفارِقُ مَفْرُوقٍ تَغَشَّيْنَ عَنْدَمَا

---

٧ – البدن : الدرع ، والجمع أبدان .

٨ – تئم : يقولون : « الحر مَأْيَمَة مَيْتَمة » . وفي المثل : « كل ذات بعلٍ ستَئيم » (أساس البلاغة) .

١١ – جريضا : جَرِضَ بريقِه جَرَضا أي غَصَّ به ، ويقال : فلان يَجْرَضُ عليك ريقه غيظا .

١٢ – العندم : شجر أحمر ، وقيل هو صبغ يزعم أهل البحرين أن جواريهم يختضبن به .

(٧١)

وقال العَوَّامُ أيضا

(البحر الكامل)

١ - قَبَحَ الإلهُ عِصَابَةً مِنْ وائلٍ
يومَ الأُفَاقَةِ أَسْلَمُوا بِسْطَامَا

٢ - ورأى أبو الصَّهباءِ دُونَ سَوامِهِمْ
طَعْنًا يُسَلِّى نفسَهُ وَزِحاما

٣ - كنتمْ أُسُودًا فى الوغى فَوُجِدْتُمُ
يومَ الأُفاقَةِ فى الغَبِيطِ نَعامَا

---

٧١ - جو الأبيات : قالها فى يوم الأفاقة حين انهزمت بكر أمام تميم .

التخريج : الكامل فى التاريخ ١/٣٧٣ - ٣٧٤ وأيام العرب فى الجاهلية ص ١٩٦ . وكتاب النقائض ٢/٥٨٥ .

الشرح :

١ - الأفاقة : موضع بالكوفة وهو يوم من أيام بكر وتميم فى الجاهلية نشب فيه القتال فى هذا الموضع .

٢ - طعنا : فى أيام العرب « عَرْكا » .

(٧٢)

قالت أُمُّ العَوَّامِ الشَّيْبانِيّ

(البحر الطويل)

١ – أَرَى كُلَّ ذِى شِعْرٍ أَصابَ بِشِعْرِهِ
خَلا أَنَّ عَوَّامًا بما قالَ عَيَّلا

٢ – فَلَا تَنْطِقَنْ شِعرًا يكونُ جَوازُهُ
كما شِعْرُ عَوَّامٍ أَعارَ وَأَرْجَلا

---

٧٢ – ترجمتها : لم أعرف عنها أخبارا سوى اسمها وهذين البيتين .

جو البيتين : يروى أنه حينما أكثر العوام الشيبانى فى ذكر هزيمة بنى شيبان يوم الأفاقة ، أخذ بِسطام بن قيس إبله . فقالت أم العوام هذين البيتين .

التخريج : كتاب النقائض ٥٨٦/٢ والكامل فى التاريخ وأيام العرب فى الجاهلية ص ١٩٦ .

الشرح :

١ – عيَّلا : صار ذا عيلة فقيرا .

٢ – أعام : هلكت إبله فلم يجد وأهله لبنا . أرجلا : صير أهله راجلين بعد أن كانوا ركبانا .

(٧٣)

قالت بِنْتُ القَرِينِ الشَّيبانِيَّةُ

(مشطور الرجز)

١ - وَيْهًا بنى شَيْبَانَ صَفًّا بَعْدَ صَفّْ
٢ - إنْ تُهْزَمُوا يُصَبِّغُوا فينا القُلَفْ

---

٧٣ - ترجمتها : إحدى نساء بنى شيبان من بكر . حضرت يوم ذى قار .

جو البيت : قالته حين قطع حنظلة بن ثعلبة بن سيَّار وُضُنَ النساء يوم ذى قار فوقعن على الأرض ... فعل هذا حتى لا يفر الفرسان . فقالت بنت القرين هذا البيتين تحضيضا للفرسان (كتاب النقائض) .

التخريج : كتاب النقائض ٢/٦٣٣ .

الشرح :

١ - وَيْهًا : كلمة إغراء وحث وتحريض (تكون للواحد والاثنين والجمع والمذكر والمؤنث) فإذا أغريت رجلا قلت له : وَيْهًا يافلان . وهو تحريض ، كما تقول : دُونك يافلان .

٢ - يصبِّغوا فينا القلف : ينالون من سُمعتنا ومنزلتنا بين الناس . يقال : صبغوني في عينك أى أساءوا رأيك فيَّ . القلف : من قولهم عيش أقلف أى رغد ، وسنة قَلْفاء أى مخصبة ، وقُطعت قُلْفته أى جليدته .

(٧٤)

قال قَيْسُ بنُ مَسْعُود

(بحر الطويل)

١ – ألا لَيْتَنِى أَرْشُو سِلاحِى وبَغْلَتِى
لأن تَعْلَمَ الأنباءَ والعلمَ وَائِلُ

٢ – فأُوصيكُم باللهِ والصُّلحُ بينكمْ
لِيُنْطَقَ معروفٌ ويُزْجَرَ جَاهِلُ

٣ – وصاةَ امرئٍ لو كانَ فيكُمْ أعانَكُمْ
على الدهرِ والأيامُ فيها الغَوَائِلُ

٤ – وإياكُمْ والطَّفَّ لا تَقْرَبُنَّهُ
ولا الماءَ إنَّ الماءَ للقَوْدِ وَاصِلُ

---

٧٤ – ترجمته : هو قيس بن مسعود بن قيس بن خالد بن عبد الله ذى الجَدَّيْن ابن عمرو بن الحارث بن همام بن مرة بن ذهل بن شيبان وهو أبو بِسْطام بن قيس ، وكان قيس عاملا لكسرى على طفِّ العراقين والأُبُلَّة ، ولجده يقول طرفة بن العبد :

فلو شاء ربى كنتُ قيسَ بْنَ خالدٍ
ولو شاء ربى كنتُ عَمْرو بْنَ مَرْثَدِ

جو الأبيات : كان قيس بن مسعود ضَمِنَ لكسرى أحداث بكر بن وائل ، فتعبثت بكر بأصحاب كسرى ، فحبسه بإيوان حُلوان حتى مات فى حبسه . ويقال إن الحارث ابن وعلة الذهلى وجماعة معه أغاروا على نواحى السواد ، فبعث كسرى إلى قيس فقال : غررتنى من قومك . ثم حبسه بساباط ، وأقبل كسرى على تعبئة الجيوش ليوم ذى قار . فقال قيس هذه الأبيات ينذر قومه .

التخريج : معجم الشعراء للمرزبانى ص ٢٠١ .

الشرح :

٤ – الطف : جوانب العراق : يقول : لا تدنوا منه فتقاد إليكم الخيل .

(٧٥)

قال مُرَّةُ بْنُ ذُهْلِ بْنِ شَيْبَان

(البحر الوافر)

١ – فَإِنْ تَكُ يَابُنَىَّ جَنَيْتَ حَرْبًا
فَلا وَكِلٌ ولا رَتُّ السلاحِ

٢ – ولكنّى على العِلَّاتِ أَجْرِى
إلى المَوْتِ المُحِيطِ مع الصَّباحِ

٣ – وَإِنِّى حِينَ تَشْتَجِرُ العَوالى
أُعِيدُ الرُّمْحَ فى إِثْرِ الجِراحِ

٤ – شَدِيدُ البَأْسِ ليس بِذِى عَياءٍ
ولكنى أَبُوءُ إلى الفَلَاحِ

٥ – لَعَمْرُكَ ما أُبالِى حين جَرَّتْ
عَلَىَّ الحَرْبُ بِالقَدَرِ المُتاحِ

---

٧٥ – ترجمته : هو مرة بن ذهل بن شيبان ، ابنه جسَّاس بن مرة قاتل كليب التغلبى .

جو الأبيات : يخاطب ابنه جسَّاسًا حين صرع كليبا .

التخريج : كتاب بكر وتغلب ص ٣٩ . الأغانى (ساسى) ١٤١/٤ منسوبة إلى نضلة بن مرة بن ذهل ، مع تغيير يسير فى الرواية وشرح ديوان الحماسة للتبريزى ٣٨٧/٢ الأبيات ١ ، ٢ ، ٣ ، ٥ ، ٦ ، ٧ .

الشرح :

١ – وَكِلٌ : عاجز أو جبان . رتّ : ردىء ، وفى أخبار المراقسة : فلا وانٍ .

٢ – على العلّات : على أى حال .

٣ – العَوالى : الرماح .

٦ – سأَلْبَسُ ثَوْبَهَا وأَذُبُّ عنها
بِأَطْرَافِ العَوالي والصِّفاحِ
٧ – فَإِنِّى قد طَرِبْتُ وهاجَ شَوْقِى
طِرادُ الخَيْلِ عارِضَةَ الرِّماحِ
٨ – فما يَبْقَى لِعِزَّتِهِ ذَلِيلٌ
فَيَمْنَعُهُ من القَدَرِ المُتاحِ
٩ – وأَنْفِى الذُّلَّ عن قَوْمٍ يقولوا
طَحا نُونُ المنيَّةِ فى الطَّواحِ
١٠ – وَأَجْزِى مِن حياةِ الذلِّ موتٌ
وبعضُ العَارِ ما يمحوهُ ماحِ

---

٦ – الصِّفاح : جمع صفيحة وهى وجه كل شىء عريض كوجه السيف مثلا . فالصفاح هنا معناها : السيوف .

٧ – طِرَاد الخيل : ركوبها فى ميدان الحرب .

٩ – وأنفى : فى الأصل أنف وأظنه تصحيف . طحا : انبسط وامتد . نون المنية : سيف المنية ، والنون : شفرة السيف أضافها إلى المنية أى الموت .

١٠ – وأجزل : فى الأصل وأجزك وهو تصحيف .

(٧٦)

وقال مُرَّةُ بْنُ ذُهلٍ

(البحر الكامل)

١ – والبَغْيُ فيه للمنيةِ هادِ   واللهُ للباغِينَ بالمِرْصادِ
٢ – والبغيُ فيه سُوءُ أفْعَالِ الفَتَى   ومرادُهُ فى الناسِ شَرُّ مُرادِ
٣ – لو كان أقْصَرَ وائلٌ عن ظُلْمِنَا   لَم يُمْسِ مُضْطَجِعًا بِغَيرِ وِسَادِ
٤ – سَنَسُلُّ أَسْيافَ المنيةِ بيننا   فِعْلَ العِدَا للكَرِّ والإِعْدَادِ
٥ – حتى نَصِيرَ إلَى العزيزِ بِعِزَّةٍ   رَمْحَ اللِّوَى ومَسَارِحَ الأَذْوَادِ

---

٧٦ – **جو الأبيات** : قيلت فى حرب البسوس بين بكر وتغلب ، وأنَّ بغى كليب هو الذى أدى إلى مصرعه .

التخريج : كتاب بكر وتغلب ص٣٩ وشرح ديوان الحماسة ٢/٣٨٧ البيتان ١ ، ٣ .

الشرح :

٥ – الرَّمْحُ : الطعْن . اللوى ما التوى من الرمل . مسارح : جمع مَسْرَح وهو مرعى الماشية . الأذواد : جمع الذَّوْد وهى القطيع من الإبل من الثلاث إلى العشرة (مؤنث) .

(٧٧)

وقال مُرَّةُ بنُ ذُهْل

(المتقارب)

١ – فَإِنَّا لَنَكْفِيكَ يومَ اللِّقا إِذَا شَبَّتِ الحَرْبُ نِيرانَها
٢ – بِفِتْيَانِ صِدْقٍ إذَا قاتَلُوا يَرِدْنَ الرِّماحَ وَأَشْطانَها
٣ – إِذَا هاجَتِ الحربُ هَيْجاتِها بِضَرْبٍ يُصَدِّعُ أَقْرانَها
٤ – تُعادُ لنا مُخْطِفاتٍ بنَا يُحَسِّنُ للعيْنِ أَلْوانَها
٥ – فَلا تَجْزَعَنَّ ولا تهربُوا إذا أَبْدَتِ الحربُ أَسْنانَها

---

٧٧ – **جو الأبيات** : قالها الشاعر ردًّا على أبيات قالتها ابنته جليلة البكرية وأولها :

إذَا الخيلُ سارَتْ بعد صُلْحٍ صُدُورُها
وخُوِّفَ ابنا وائل من عشيرها

(نقطع همزة « ابنا » للضرورة الشعرية) .

التخريج : رياض الأدب فى مراثى شواعر العرب ص ١٦ .

الشرح :

٢ – يردن : يقصدن ، كأنهم يردون عينا من الماء . الأشطان : جمع شَطَن وهو الحبل الطويل يستقى به من البئر .

٤ – مخطفات : من أخطف السهم أى أخطأ . أى نضرب فنصيب أعداءنا ويضربون فيخطئون .

(٧٨)

قال مُرَّةُ بْنُ هَمَّامٍ

(البحر الكامل)

١ – ياصاحِبَىَّ تَرَحَّلا وتَقَرَّبا
فلقَدْ أنَى لِمُسافِرٍ أنْ يَطْرَبا

٢ – طالَ الثُّواءُ فَقَرِّبا لِى بازِلا
وَجْناءَ تَقْطَعُ بالرُّدافى السَّبْسَبَا

٣ – أكَلَتْ شَعِيرَ السَّيْلَحَيْنِ وَعُضَّهُ
فَتَحلبَتْ لِي بِالنَّجاءِ تَحَلُّبا

٤ – وكأنَّها بِلِوَى مُلَيْحَةَ خاضِبٌ
شَقَّاءُ نِقْنِقَةٌ تُبارِى غَيْهَبَا

٥ – ياعَوْفُ وَيْحَكَ فِيمَ تأخُذُ صِرْمَتِى
وَلَكُنْتُ أسْرَحُها أمامَكَ عُزَّبَا

---

٧٨ – **ترجمته** : هو مرة بن همام بن مرة بن ذهل بن شيبان من بكر بن وائل ، عمه جساس بن مرة قاتل كليب بن ربيعة التغلبي .

جو الأبيات : يدعو الشاعر صاحبيه أن يستعدوا للرحيل ، ثم يخاطب عوفا كيف يتجرأ على السطو على ماله وكان بالأمس يتهيب ذلك .... ثم يتوعده .

التخريج : المفضلية ٨٢ .

الشرح :

٢ – الوجناء : الناقة الغليظة . السبسب : القفر لا نبت فيها .

٣ – السيلحَين : موضع قريب من الحيرة . العُضُّ : العلف . النجاء : السرعة .

٤ – مليحة : موضع . الخاضب : يوصف به الظليم ، وهو ذكر النعام . النقنقة : النعامة .

٦ – تاللهِ لولا أَنْ تَشاءَى أَهْلُها
وَلَشَرُّ ما قَال امرؤٌ أَنْ يَكْذِبَا
٧ – لَبَعَثْتُ فى عُرْضِ الصُّراحِ مُفَاضَةً
وَعَلَوْتُ أَجْرَدَ كالعَسِيبِ مُشَذَّبَا
٨ – لَتَرَكْتُمُ إِبِلِي رِتَاعًا إِنَّنِى
مِمَّا أَرُدُّ الجَيْشَ عنها خُيَّبَا
٩ – للهِ عَوْفٌ لابِسًا أَثْوابَهُ
يالَهْفَ نَفْسِى قِرْنَ ما أَنْ يُغْلَبَا

(٧٩)

قال مَفْرُوقُ بْنُ عَمْرٍو

(البحر الكامل)

١ – وَلَرُبَّ أبْطالٍ لَقِيتُ بِمِثْلِهِمْ
فَسَقَيْتُهُمْ كَأْسَ الرَّدَى وَسُقِيتُ

٢ – وَأَخٍ يُجِيبُ المُسْتَضافَ إذا دَعَا
والخَيلُ تَعْثُرُ فى الغُبارِ رُزِيتُ

٣ – فلأطْلُبَنَّ المَجْدَ غَيرَ مُقَصِّرٍ
إذْ مِتُّ مِتُّ ، وَإنْ حَيِيتُ حَيِيتُ

---

٧٩ – ترجمته : هو مفروق بن عمرو ، ابن أُصَمِّ بنى شيبان ، وهو أحد فرسانهم وسادتهم وذو النباهة فيهم .

جو الأبيات : يفخر بنفسه ، وبلائه فى الحروب ، وسعيه الدائب فى سبيل المجد .

التخريج : المؤتلف والمختلف ص ٤٣ .

(٨٠)

وقال مَفْرُوقُ بْنُ عَمْرٍو

(البحر الكامل)

١ – أَنْزَى بِأَنباطِ السَّوادِ وساقَهُ   إلىّ وأَوْدَى رجلتى وفَوارِسى

---

٨٠ – جو البيت : لما قتل كسرى النعمان بن المنذر أغارت العرب على السواد . فقال مفروق – وكان أحد من أغار – قصيدة منها هذا البيت ولم نجدها .

التخريج : معجم الشعراء للمرزبانى ص ٤٤٠ .

الشرح :

١ – أظن أن الشطر الثانى هكذا « وَإِلَىَّ أَوْدَى رجلتى وفَوارسى » حتى يستقيم الوزن .

(٨١)

قال هَمَامُ بنُ مُرة

(البحر الكامل)

١ – ياضَمْرُ خَبِّرنى ولَسْتَ بصَادِقٍ
وأخُوكَ رَائِدُكَ الذى لا يكْذِبُ

٢ – هل فى القَضِيةِ إنْ إذا أخْصَبْتُمْ
وأمِنْتُمْ فأنَا البَعِيدُ الأجْنَبُ

٣ – وَإذا الكَتَائِبُ بالشدائِدِ مَرَّةً
شَجَتْكُمْ فأنا الحَبِيبُ الأقْرَبُ

٤ – وإذا تكُونُ كَرِيهَةٌ أُدْعَى لها
وَإذَا يُحاسُ الحَيْسُ يُدْعَى جُنْدَبُ

٥ – عَجَبًا لَتلك قضيةٌ وَإقامتِى
فيكُمْ على تلك القضيةِ أعْجَبُ

٦ – هذا لَعَمْرُكُم الصَّغَارُ بعَيْنِهِ
لا أُمَّ لِي إن كانَ ذاكَ ولا أَبُ

---

٨١ – **ترجمته** : هو همام بن مرة بن ذهل بن شيبان ، أخو جساس قاتل كليب .

جو الأبيات : قالها فى عتاب بعض قومه .

التخريج : حماسة الشجرى ، وشرح ديوان الحماسة ٣٨٣/٢ البيتان ٣ ، ٥ .

الشرح :

٢ – أخصبتم : كثُر الخير لديكم .

٣ – شجتكم : أصابتكم بسوء ، والشج لغة : الشَّق ومنه : شج رأسه .

٤ – الحَيْسُ : تمر ولبن زبادى وسمن يخلط ويعجن ويُسَوَّى كالفَتَّة . ويقال هنا البيت لمن يُذكر عند الشدة ويُنْسَى فى الرخاء .

٦ – الصَّغار : الرضى بالذل والضَّعة .

(٨٢)

قالت بنت هَمّام بنِ مُرَّةَ بنِ ذُهْل

(البحر الوافر)

١ – أهَمّامُ بْنُ مُرَّةَ إنَّ هَمِّى لَفِى اللاَّئى يكون مع الرجالِ
٢ – أهمامُ بنُ مرة إن همى لَفى قَنْفَاءَ مُشْرِفَةِ القَذَالِ
٣ – أهمامُ بنُ مرة إن همى لَفِى عَرِدٍ أسُدُّ به مَبالى

---

٨٢ – ترجمتها : لم تذكر المصادر اسما بعينه ، إذ ذكر الفيروزابادى أن الأبيات لثلاث بنات كن لهمام بن مرة . بينما ذكر المبرد أنها لابنة جارية لهمام بن مرة بن ذهل بن شيبان . وواضح أن هذا الشعر من أشعار اللهو والعبث ، وأنه ليس من الشعر الجاهلى فى شىء .

جو الأبيات :

لهذه الأبيات حكاية ، جاء فى القاموس المحيط : كان لهمام بن مرة ثلاث بنات فأبى أن يزوجهن فلما عَنَسْنَ قالت إحداهن بيتا وأسمعته إياه متجاهلة :

أهمام بن مرة إن همى لفى اللائى يكون مع الرجال

فأعطاها سيفا فقال : هذا يكون مع الرجال . فقالت أخرى ما صنعت شيئا ولكنى أقول :

أهمام بن مرة إن همى لفى قنفاء مشرفة القذال

فقال : وما قنفاء ؟ تريدين مِعْزى ؟ فقالت الصغرى ما صنعتما شيئا ولكنى أقول :

أهمام بن مرة إن همى لفى عَرْدٍ أسُدُّ به مبالى

فقال : أخزاكن الله فزوجهن .

التخريج : القاموس المحيط مادة القُناف . والكامل للمبرد ٣/٥ .

الشرح :

٢ – قنفاء : كبيرة ، يقال أذن قنفاء إذا عظمت وأقبلت على الوجه وتباعدت من الرأس . مشرفة : مرتفعة . القَذَال : مؤخّر الرأس من الإنسان .

٣ – عرِد : صلب شديد (فى الأصل بتسكين الراء) .

(٨٣)

قال شاعر شَيبانى

(البحر الطويل)

١ - لَعَمْرِى لَبِسْطامٌ أَحَقُّ بِفَضْلِهَا
وأَوْلَى بِبَيْتِ العِزِّ عِزِّ القَبائِلِ

٢ - فَسائِلْ أبيْتَ اللعْنَ عن عِزِّ قَوْمِنا
إذا جَدَّ يومَ الفخرِ كُلّ مُناضِلِ

٣ - أَلَسْنا أَعزَّ الناسِ قوما وأُسْرَةً
وَأَضْرَبهمُ للكَبْشِ بين القَبائِلِ

٤ - فَيُخْبِرُكَ الأقوامُ عنها فَإنها
وقائعُ ليستْ نُهْرَةً للقبائلِ

٥ - وقائعُ عِزٍ كلُّها رَبَعِيَّةٌ
تُذَلُّ لهمْ فيها رقابُ المَحافِلِ

٦ - إذا ذُكِرَتْ لم يُنْكِرِ الناسُ فَضْلَها
وعاذَ بها من شَرِّها كُلُّ قائِلِ

٧ - وأنَّا ملوكُ الناسِ فى كلِّ بلْدَةٍ
إذا نَزَلَتْ بالناسِ إحْدَى الزَّلازِلِ

---

٨٣ - **ترجمته** : لم نعلم من هو .

جو الأبيات : فى مدح بِسطام بن قيس فارس بنى شيبان ، والفخر بقومه .

التخريج : أغانى ٩/١٣٠ .

(٥)

أشعار بنى عِجْل

(٨٤)

قال أبو الأُحْيَلِ العِجْلىُّ

(البحر الطويل)

١ – ألا يااسْلَمى ذات الدَّمالِيجِ والعِقْدِ(١)
....
....

٢ – بنو عَمِّنا لَيْسُوا بِدَعْوَى ، أَبُوهُمُ
أَبُونا ، إذا صُلْنَا تَناهَوْا إلى رَدِّ

٣ – وإن نحنُ صَبَّحْناهُمُ فى كتيبةٍ
رَدُّوا فى سَرابيلِ الحديدِ كما نردى

٤ – وَإنِّى إذا كافحتُهمْ أو هَجَرْتُهُمْ
لَتأْلَمُ مما عَضَّ أكبادَهُمْ كِبْدِى

٥ – كَفَى حزنًا أَلَّا أزالَ أَرَى القَنا
تَمُجُّ نَجيعًا من ذِرَاعِى ومنْ عَضُدِى

---

٨٤ – **ترجمته** :شاعر من بنى عجل ، وكان أعمى ، ذكره الآمدى فى المؤتلف والمختلف .

جو الأبيات : قالها فيما كان بينه وبين بعض بنى عمه من اختلاف .

التخريج : المؤتلف والمختلف ص ٥٠ .

الشرح :

١ – الدماليج : جمع الدُّمْلُج وهو السوار . العِقْد : خيط يُنْظم فيه الخرز ونحوه يحيط بالعُنق .

٥ – يمج : يلفظ ، يقال مجَّت النحل العسل . نجيعا : دم الجوف ، يقال : « طعنةٌ تمجُّ النجيع » .

(٨٥)

قال الأَغَرُّ بنُ السُّلَيْكِ العِجْلِى

(البحر الطويل)

١ – أَبْلغ أَبِى على النَّأْيِ أَنَّهُ
هو المرءُ أرجو بِرَّهُ وأعاتِبُهْ

٢ – بأنك ذُو سِنٍّ ولُبٍّ مُجَرِّبٍ
وقد ينفعُ المرءَ اللبيبَ تَجارِبُهْ

٣ – أَرانى إذا عادَيْتُ قومًا ودَدْتَهُمْ
وتنأَى بِودِّ القلبِ مما أُقارِبُهْ

٤ – ويأتيك وُدِّى وهو سهلٌ وقد أَبَى
فُؤادُكَ إلا النأى ما لَمْ تُغالِبُهْ

٥ – أُطِيعُ عَشِيرِى ما أرادَتْ كَرامَتِى
وأَعْصِيهِ فيما سَائنى وأُجَانِبُهْ

٦ – فَصِلْنِى فَإنِّى فى جَناحِكَ مَنْكِبٌ
وما خَيْرُ رِيشٍ بانَ منه مَناكِبُهْ

---

٨٥ – ترجمته : هو الأغر بن السُّليك بن حنظلة بن ثابت بن الصلت بن عبد الله ابن الحارث بن حبيب بن أسامة بن ضبيعة بن عجل بن لُجيم (المؤتلف) .

جو الأبيات : قالها معاتبا أباه .

التخريج : المؤتلف والمختلف ص ٤١ .

الشرح :

١ – وزن الشطر الأول مضطرب ، ويستقيم وزنه لو قلنا :

« فمن مبلغٌ أبى على النأى أنهُ »

٦ – منكب : كتف .

(٨٦)

قال الأَغْلَبُ الرَّاجِزُ العِجْلِيّ

(بحر الرجز المشطور)

١ – الحِلْمُ بعْدَ الجَهْلِ قد يَنُوبُ
٢ – وفى الزَّمانِ عَجَبٌ عَجِيبُ
٣ – وَعِبْرَةٌ لو يَنْفَعُ التَّجْرِيبُ
٤ – واللُّبُّ لا يَشْقَى به اللَّبِيبُ
٥ – والمرءُ مُخْصًى سَعْيُهُ مَرْقُوبُ
٦ – يَهْرَمُ أو تَعْتَاقُهُ شَعُوبُ
٧ – وكُلُّ أَقْصَى رِبضُهُ قَرِيبُ

---

٨٦ – **ترجمته** : هو الأغلب بن عمرو بن عبيدة بن حارثة بن دلف بن جُشَم بن قيس بن سعد بن عجل بن لجيم ، وهو – كما يذكر الآمدى – أحد الرجاز وأرصنهم كلاما وأوضحهم معانى .

جو الأبيات : فى الحكمة والموعظة .

التخريج : المؤتلف والمختلف ص ٢٢ .

الشرح :

١ – ينوب : يقوم مقامه .

٥ – مرقُوب : محسوب عليه حيث يجنى ثمرته ، من قولهم : أرقبه دارًا أو أرضا أى جعلها رُقْبى له ولورثته من بعده .

٦ – شعوب : علم على المنية (بدون تنوين دائما) .

(٨٧)

وقالَ الأغْلَبُ العِجْلِيُّ

(مشطور الرجز)

١ – إن سَرَّكَ العِزُّ فَجَحْجِحْ بِجُشَمْ

٢ – ....

٣ – جاءوا بِزَوْرَيْهِمْ وجئنا بالأصَمّْ

٤ – شَيْخٌ لنا كاللَّيْثِ مِنْ بَاقِى إِرَمْ

٥ – شَيْخٌ لنا مُعاوِدٌ ضَرْبُ الْبُهَمْ

٦ – يضربُ بالسيفِ إذا الرُّمْحُ انقصَمْ

٧ – هل غيرُ غارٍ صكَّ غارًا فانْهَـــزَمْ

---

٨٧ – **جو الأبيات**: قالها فى يوم الزورين . وأشار ابن الأثير إلى أن هذه الأبيات أرجوزة للأغلب وذكر مطلعها وهو الشطر الأول ثم أورد ما ذكرناه . ثم قال ابن الأثير أن الأغلب له أرجوزة أولها :

يارُبَّ حَرْبٍ نَزَّةِ الأخْلافِ

ولم أعثر عليها .

التخريج : الكامل فى التاريخ . بيروت ط ٢ – ٣٦٩/١ .

الشرح :

١ – جَحْجِحْ : بادر وأسرع . جُشَم : أحد فروع بنى عجل .

٣ – بزوريهم : أى ببعيرين لهما (تميم) وكان بنو تميم قد عقلوا بعيرين سموهما « الزورين » وأقسموا الا يفرون حتى يفر البعيران . ومن المعروف أن بكرا قد انتصرت على تميم فى هذا اليوم (يوم الزورين) .

٥ – الْبُهَم : الشجاع .

(٨٨)

قال حَنْظَلَةُ بنُ ثَعْلَبَةَ العِجْلِى

(بحر الرجز المشطور)

١ – قَدْ جَدَّ أَشْيَاعُكُمْ فَجِدُّوا
٢ – ماعِلَّتِى وَأَنا مُؤْدٍ جَلْدُ
٣ – والقَوْسُ فيها وَتَرٌ عُرُدُّ
٤ – مِثْلُ ذِراعِ البَكْرِ أَوْ أَشَدُّ
٥ – قَدْ جَعَلَتْ أَخْبارُ قَوْمِى تَبْدُو
٦ – إنَّ المَنايَا لَيْسَ مِنْها بُدُّ
٧ – هذا عُمَيْرٌ حَيُّهُ أَلَدُّ
٨ – يَقْدُمُهُ لَيسَ لَهُ مَرَدُّ
٩ – حَتَّى يَعُودَ كالكُمَيْتِ الوَرْدُ
١٠ – خَلُّوا بَنِى شيبانَ فَاسْتَبِدُّوا
١١ – نَفْسِى فِداكُمْ وأَبِى والجَدُّ

---

٨٨ – ترجمته : أحد فرسان بكر يوم ذى قار ، ويروى أنه ضرب لنفسه قبة ببطحاء ذى قار ، وآلى لا يفرّ حتى تفرّ القبة . ويلقب بالمُكَسِّر .

جو القصيدة : فى استنفار الفرسان إلى الجد فى الحرب يوم ذى قار .

التخريج : كتاب النقائض ٦٣٢/٢ وأيام العرب فى الجاهلية ص ٣١ .

الشرح :

٢ – مؤد : ذو أداة من السلاح تامة ، أى لا عذر لى .

٣ – عُرُدّ : شديد .

(٨٩)

وقال حَنْظَلَةُ بْنُ ثَعْلَبَةَ أيضا

(بحر الرجز المشطور)

١ - يَاقومِ طِيبُوا بالقتالِ نَفْسَا

٢ - أَجْدَرُ يومٍ أن تَفُلوا الفُرْسَا

---

٨٩ - جو البيتين : قالهما فى يوم ذى قار .

التخريج : كتاب النقائض ٦٣٢/٢ .

الشرح :

٢ - تفلوا : تهزموا شر هزيمة .

(٩٠)

قالت امرأةٌ من عِجْل

(منهوك الرجز)

١ - إنْ تَهْزِمُوا نُعانِقْ
٢ - ونَفْرِشِ النَّمـارِقْ
٣ - أو تُهْزَمُوا نُفارِق
٤ - فِرَاقَ غيرِ وَامِقْ

---

٩٠ - ترجمتها : لم نعرف من هى ، ويبدو أنه رجز شائع مجهول المؤلف كانت النساء ترددنه فى الحروب تحميسا للفرسان .

التخريج : كتاب النقائض ٢/٦٣١ وأيام العرب فى الجاهلية ص ٣١ .

الشرح :

٢ - النمارق : جمع نُمْرُق أو نُمْرُقة وهى الوسادة (كناية) .

٤ - وامق : مُحِبّ .

(٩١)

وقالت امرأةٌ من عِجْل

(مشطور الرجز)

١ – إن يَظْفَرُوا يُحَرِّزُوا فينا الغُرَلْ
٢ – إيهِ فِدَى أبِي بنى عِجِلْ

---

٩١ – جو الأبيات : يبدو أنه من الرجز الشائع أو من أغانى النساء لتحميس الرجال فى الحروب .

التخريج : كتاب النقائض ٢/٦٤١ .

الشرح :

١ – يظفروا : ينتصروا . يحرِّزُوا : من حرَّزَ الشىء إذا بالغ فى حفظه ، وأحرز الرجلُ المكانَ المتاعَ : جعله فيه . الغَرِل : الرمح الطويل .

والغُرَل : جمع غُرلة وهى القُلْفَةُ (وهى جلدة الصبى التى تقطع عند الختان) ويكون المراد فى الحالين لازم المعنى .

٢ – إيهِ ، بكسرة واحدة فى آخره : كلمة تقال للاستزادة من حديث أو عمل وهنا للاستزاده فى القتال . والمراد فدى بنى عجل أبى (تركيب) .

(٩٢)

قالَ عمرُو بنُ الحارِثِ العِجْلى

« أبو هَوْبَر »

(البحر الطويل)

١ – وأبدَلْتُهُ مِنَ العَجينَةِ إذْ شَتَا   رَغائِثَ هَزْلَى ما ينامُ جُزُوعُها

---

٩٢ – ترجمته : هو عمرو بن الحارث بن عبد الله بن قيس بن حارثة العجلى ويكنى بأبى هَوْبَر . ولا نعرف عنه أخبارا .

جو البيت : يبدو أنه فى الفخر بما أنزله بخصمه .

التخريج : معجم الشعراء للمرزبانى ص ٣٩ .

الشرح :

شتا بالمكان : أقام به شتاء ، وأشتى القوم : أصابتهم المجاعة والقحط . رغائث : جمع رَغُوث وهى المرضعة . هَزْلى : ضعاف لا لبن فيهن .

(٩٣)

قَالَ عَمْرُو بنُ شُجَيْرَةَ العِجْلِيّ

(البحر الطويل)

١ – أَلاَ هَلْ أَتَى هندًا عَلَى نَأْى دَارِها
وغُرْبَتِها أنِّى ثأرتُ المُكَفَّفَا

٢ – قَتَلْنَا بِهِ مِن آل مُرَّةَ فاجعًا
جَعَلْنا مكانَ السِّمْطِ أبيضَ مُرْهَفَا

---

٩٣ – ترجمته : هو عمرو بن عبد الله بن حذافة بن عمرو بن مالك بن ربيعة بن عجل ، وشجيرة أمه . ولا نعرف عنه أخبارا سوى أنه قال هذين البيتين بعد أن سُبِيتْ أمه .

التخريج : معجم الشعراء للمرزبانى ص ٤٠ .

الشرح :

١ – ثأر القتيل : أخذ بدمه .

(٩٤)

قالَ عَمْرُو بنُ عبد الله العِجْلىّ

(البحر الطويل)

١ - إذا أُخْمِدَ النيرانُ من حَذَرِ القِرَى
رأيتَ سَنَا نارِى يَشُبُّ اضْطرامُها

---

٩٤ - ترجمته : هو عمرو بن عبد الله بن معاوية بن عبد سعد بن جشم العجلى لا نعرف عنه أخبارا .

التخريج : معجم الشعراء للمرزبانى ص ٣٩ .

الشرح :

القِرَى : إكرام الضيف .

(٩٥)

قال عمرو بنُ عِكَبٍّ العِجْلى

(البحر البسيط)

١ - هلْ بالدِّيارِ أبَا الهِلْوَانِ من صَمَمِ
أمْ هلْ عليكَ بآتى الدَّارِ من لَمَمِ

---

٩٥ - **ترجمته** : لم أعرف له أخبارا .

التخريج : معجم الشعراء للمرزبانى ٣٩ .

الشرح :

لمم : اللمم هو الجنون أو مقاربة الذنب .

(٩٦)

قال كَبِدُ الحَصَاةِ العِجْلِىّ

(البحر الطويل)

١ - صَبَحْنا غداةَ الشَّيِّطَيْنِ تُمَيِّمًا
بِذِي لَجَبٍ تَبْيَضّ منه الذَّوَائِبُ
٢ - فيارُبَّ دَاعِى جَوْعَةٍ من شُعاعِها
وقَدْ أُشْرِفَتْ فوق الحَزِيزِ الكتائِبُ
٣ - أَسَرَّكُمُ أَنْ يَهْدِمَ الدينُ ما مضى
وفيكم كُلُومٌ مُسْتَكِنٌّ وجالِبُ

---

٩٦ - **ترجمته** : كبد الحصاة العجلى ، واسمه عمرو بن قيس بن ضبيعة بن عجل ابن لجيم وقيل اسمه قيس بن عمرو . (معجم الشعراء) .

جو الأبيات : قالها فى يوم الشَّيِّطَيْن ... وكان النبى ﷺ قد أرسل إلى بنى بكر كتابا يدعوهم فيه إلى الدخول فى الإسلام .

التخريج : كتاب النقائض ١٢٠٣/٢ .

الشرح :

١ - الشيطين يوم من أيام بكر وتميم . تُمَيِّم : تصغير تميم (للتحقير) .
اللَّجب : ارتفاع أصوات الأبطال واختلاطها ، واللَّجب أيضا صهيل الخيل .
الذوائب : جمع ذُؤابة وهى شعر مقدم الرأس .

٢ - جَوعة : مصدر جاع . شُعاعها : المتفرق المنتشر من آثارها .
الحَزِيز : اسم لمكان بعينه ، والحزيز فى اللغة هو الموضع الذى تكثر فيه الحجارة وتحزُّ كأنها السكاكين .

٣ - كُلوم : جِراح . مُستَكِنّ : مستتر . جالب : من جلب الشىء أى ساقه من موضع إلى موضع ، والمراد وفيكم إحن وعداوات مستترة وأخرى ستأتى بها الأحداث ، أو ستجرها الإحن القديمة المستترة .

(٩٧)

وقال كَبِدُ الحَصَاةِ العِجْلِيُّ

(البحر الوافر)

١ – ألاَ هَلَكَ المُكَسِّرُ يالَ بَكْرٍ
وأَوْدَى الباعُ والحَسَبُ التَّلِيدُ
٢ – ألا هَلَكَ المُكَسِّرُ فاسْتَراحَتْ
حَوافِى الخَيلِ والْحَىُّ الحرِيدُ

---

٩٧ – التخريج : معجم الشعراء للمرزبانى ٤٠ .

الشرح :

١ – يالَ بكر : أى ياآل بكر . أودى : هلك أو ذهب به .

الباع : غاية ما وصلوا إليه من الشرف . الحَسَب : ما يعده المرء من مناقبه أو شرف آبائه . التليد : الأصلى القديم .

٢ – حوافى : كذا بالأصل . الحرِيدُ : المعتزل المتنحى .

(٩٨)

وقال أيضا

(البحر الطويل)

١ - صَبَرْتَ وبعضُ الجَهْلِ ما يُتَذَكَّرُ
وصَبْرُكَ عن ليلى أعَفُّ وأسْتَرُ

٢ - ونُبِّئْتُ أنَّ الحَىَّ كَلْبًا وَطَيِّئًا
وغَسانَ أنصاف عليها السَّنَوَّرُ

٣ - ونحنُ أُناسٌ ليسَ فينا خَلِيقَةٌ
من الناسِ إلا أنت تُعْطَى وتَغْفِرُ

---

٩٨ - **التخريج** : معجم الشعراء للمرزبانى ٤٠ .

الشرح :

٢ - أنصاف : جمع نصف ، يقال : رجل نَصف ، وامرأة نصف ، ورجال نصف : من أواسط الناس . السَّنَوَّر : لَبوس من سَيْر يلبس فى الحرب كالدِّرْع .

٣ - خليقة : طبيعة ، فى الأصل خليفة .

(٩٩)

قال مِرَارُ بن سَلَامَةَ العِجْلِيُّ

(البحر الوافر)

١ – كَسَرْنَا الأَضْجَمَ الضَّبِّيَّ لَمَّا أَتَانَا حَدَّ مَصْقُولٍ رَقِيقِ
٢ – وقَرَّتْ ضَبَّةُ الجَعْدَاءُ لمَّا أَجَدَّ بهن إتعابِ الوَسِيقِ
٣ – أَسَرْنَا منهُمُ تِسْعِينَ كَهْلًا نَقُودُهُمُ على وَضَحِ الطرِيقِ
٤ – وجَالُوا كالنعامِ فأسْلَمُونا إلى خَيْلٍ مُسَوَّمَةٍ ونُوقِ

---

٩٩ – **ترجمته** :هو مِرَارُ بن سَلامة العجلى ، بكسر أوله مع تخفيف الراء ... وأحيانا بفتح أوله مع تشديد الراء كشداد (انظر المرزبانى) ويروى ضرار (النقائض ٦٣٨/٢) ورويت فى مكان آخر بالنقائض بالميم مفتوحة ٦١١/٢ .

جو الأبيات : قالها يوم ذى قار حين قتل يزيد المكسر العجلى ، الأضجم الفزارى .

التخريج : معجم الشعراء ٣٣٩ وكتاب النقائض ٦٣٨/٢ .

الشرح :

٢ – الجعداء : فى هامش معجم الشعراء « لعل الجعراء هو الصحيح » . وبها وردت فى النقائض . والجعر هو البعر ، وهو نَجْوُ السباع ، ويقال كوى دابته فى جاعرتيه وهما مضربا ذنبه . الوسيق : ما يطرد من النعم .

(١٠٠)

وقال مِرَارُ بنُ سَلَامَةَ العِجلى

(البحر البسيط)

١ – ولا تَدَرَّأْتُ بالدَّرْءِ الذى قِبَلِى
على ابنِ عَمِّىَ والمَوْلَى لَهُ غِيَرُ

---

١٠٠ – **التخريج** : كتاب النقائض ٧٥٨/٢ .

الشرح :

تدرأت : استترتُ . الدَّرْءُ : نتوء فى الجبل ، أو شق فى الطريق أو ميل فيه .

(١٠١)

قال يَزِيدُ بنُ حَنْظَلَةَ بنِ ثعلبةَ بنِ سَيَّارٍ العِجلى

(بحر الرجز)

١ - مَنْ فَرَّ منكُمْ فَرَّ عنْ حَرِيمِهْ
٢ - وجَارِهِ وَفَرَّ عنْ نَدِيمِهِ
٣ - أنا ابنُ سَيَّارٍ على شَكِيمِهْ
٤ - إنَّ الشِّرَاكَ قُدَّ مِنْ أُدِيمِهْ
٥ - وَكُلُّهُمْ يَجْرِى عَلَى قَدِيمِهْ
٦ - مِنْ قارِحِ الهُجْنَةِ أو صَمِيمِهْ

---

١٠١ - **ترجمته** : هو يزيد المُكَسَّر بن حنظلة بن ثعلبة بن سيار العجلى ، الشاعر . (معجم الشعراء) .

جو القصيدة : قالها فى يوم ذى قار .

التخريج : معجم الشعراء ٤٨٢ ، ٤٨٣ وكتاب النقائض ٦٣٣/٢ وأيام العرب فى الجاهلية ٣٢ .

الشرح :

٤ - الشراك : سير النعل . وقُدّ : قطع . الأديم : الجلد المدبوغ .

٦ - القارح : الحِصان . الهجين : عربى ولد من غير عربى .

(٦)

أشعار بنى قَيسِ بْنِ ثَعْلَبَةَ

(١٠٢)

قال الأَعْلَمُ بْنُ ضُبَيْعَةَ

(البحر الطويل)

١ - أَتَيْتُ بنى عمرٍو وَرَهْطِى فلم أَجِدْ
عليهِمْ إِذَا اشْتَدَّ الزَّمانُ مُعَوَّلَا

٢ - ومَن يَفْتَقِرْ فى قَوْمِهِ يحْمَدِ الغِنَى
وَإِنْ كان فيهِمْ ماجِدَ العَمِّ مُخْوِلَا

٣ - يَمُنُّونَ أَنْ أُعْطَوْا ويَبْخَلُ بَعْضُهُمْ
ويُحْسَبُ عَجْزًا سَكْتُهُ إِنْ تَجَمَّلَا

٤ - ويُزْرِى بعَقْلِ المَرْءِ قِلَّةُ مالِهِ
وَإِنْ كانَ أَقْوَى من رِجالٍ وأَحْيَلَا

٥ - فَإِنَّ الفَتَى ذا الحَزْمِ رامٍ بنفسِهِ
جَواشِنَ هذا اللَّيل كَىْ يَتَمَوَّلَا

---

١٠٢ - ترجمته : الأعلَمُ اسمه عمرُو بنُ مالكِ بْنِ ضُبَيْعَةَ بن قيسِ بْنِ ثَعْلَبَةَ .

التخريج : معجم الشعراء ٢٠ .

الشرح :

١ - عليهم .... معولا : معولا عليهم أى اعتمد عليهم واتكل .

٢ - ماجد : شريف . مُخْوِل : كريم الأخوال .

٥ - جَواشِن : جمع جوشن وهو الدرع أو الصدر . يتموَّل : يُنَمِّى ماله .

(١٠٣)

قال البُرَكُ

(منهوك الرجز)

١ – إنِّى أنَا البُـرَكُ
٢ – أبْرُكُ حيثُ أُدْرِكُ

---

١٠٣ – ترجمته : البُرَكُ ، وهو عوف بن مالك بن ضبيعة بن قيس بن ثعلبة ، سُمِّيَ البُرَكَ بقوله هذا البيت يوم قِضَة – من أيام حرب البسوس .

التخريج : معجم الشعراء ١٢٥ .

الشرح :

١ – البُرَك من الرجال : البارك على الشيء (الضرب مختلف : الأول فعلْ ، والثانى فعولن) .

(١٠٤)

قال بِشْرُ بْنُ عمرِو بْنِ مَرْثَد

(البحر الطويل)

١ - أَماوِيَّ لَيْتَ الشَّيْبَ فى الرأسِ لا يُرَى
وليتَ الشبابَ رُدَّ طَوْرَيْنِ لِلْفَتَى

٢ - كَأَنَّ شَبَابِى كانَ ثَوْبًا لَبِسْتُهُ
فأَبْلَيْتُهُ وكلُّ شيءٍ إلى بِلَى

---

١٠٤ - ترجمته : هو بشر بن عمرو بن مرثد بن مالك بن ضبيعة بن قيس البكرى ، وهو فى مقام عم طرفة بن العبد - وليس العكس كما يستخلص من حديث شارح ديوان طرفة - فمالك بن ضبيعة الأب الثالث لبشر هذا ، والأب الرابع لطرفة . وبشر هو ابن عمرو بن مرثد الذى ورد اسمه فى قول طرفة :

فلو شاء ربى كنتُ قَيْسَ بن خالدٍ
ولو شاء ربى كنتُ عَمْرَو بْنَ مَرْثَدِ

وكان لبشر هذا قينتان أختان هما خليدة وهريرة ، وهريرة هى التى كان يشبب بها الأعشى .

التخريج : حماسة البحترى ١٨١ وقد نسب البحترى بشر بن عمرو إلى بنى شيبان والصواب أنه من ضبيعة .

الشرح : ١ - طورين مثنى طور وهو المرَّة والتارة .

(١٠٥)

وقال بِشْرُ بنُ عمرِو بنِ مَرْثَدٍ أيضا

(البحر الكامل)

١ – أَبْلِغْ لَدَيْكَ أَبَا خُلَيْدٍ وائِلًا
إِنِّى رأيتُ اليومَ شيئًا مُعْجِبَا

٢ – أَنَّ ابنَ جَعْدَةَ بالبُوَيْنِ مُعَزِّبٌ
وَبَنُو خَفَاجَةَ يَقْتَرُونَ الثَّعْلَبَا

٣ – فأَنِفْتُ مما قد رأيتُ وَسَاءَنِى
وغَضِبْتُ لو أَنِّى أرى لِىَ مَغْضَبَا

٤ – ولقد أرى حَيًّا هنالِكَ غيرَهُمْ
مِمَّنْ يَحُلُّونَ الأَمِيلَ المُعْشِبَا

٥ – لا أَسْتَكِينُ من المَخَافَةِ فيهمُ
وإذا هُمُ شَرِبُوا دُعِيتُ لأَشْرَبَا

---

١٠٥ – جو الأبيات : يخاطب أبا خليد وائل بن شَرَحْبِيل بن عمرو بن مرثد ، يعجِّبُه من بنى خفاجة الذين يصيدون الثعالب فى الجَدْب ، على حين غيرهم من الناس قد أبعدوا فى الأرض ينتجعون النبات لإبلهم ، يريد بذلك قومه . ثم شرع بعد ذلك فى الفخر بهم . (المفضليات وعليها اعتمدت فى الحاشية) .

التخريج : المفضلية ٧١ .

الشرح :

١ – البوين : موضع بعينه . المعزب : الذى أعزب إبله ، أى تباعد بها .

٢ – الأميل : موضع بعينه .

٣ – الداجنة ههنا : القينة المغنية . تضرب معتبا : أى عودا ، إذا ضربته تجاوب بما تريد ، فكأنه معتب يرضى معاتبه .

٤ – الهضم : جمع أهضم ، وهم القوم يكسرون أموالهم ويثلمونها فى الحقوق .
الأزم : جمع أزمة . تَرَغَّبَ : اتسع وكثر .

٦ – وإذا هُمُ لَعِبُوا على أحْيانِهِمْ
لم أنْصَرِفْ لأبِيتَ حتى ٱلْعَبَا

٧ – وتَبِيتُ دَاجِنَةٌ تُجاوِبُ مِثْلَها
خُوْدًا مُنَعَّمَةً وتَضْرِبُ مُعْتِبَا

٨ – فى إخْوَةٍ جَمَعُوا نَدًى وسَماحةً
هُضْمٍ إذَا أَزْمُ الشتاءِ تَرَعَّبَا

٩ – وتَرى جِيادَ ثِيَابِهِمْ مَخْلُولَةً
والمَشْرِفِيَّةَ قد كَسَوْها المُذْهَبَا

١٠ – عَمْرُو بنُ مَرْثَدٍ الكَرِيمُ فِعالُهُ
وبَنُوهُ ، كان هُوَ النَّجِيبُ فأَنْجَبَا

١١ – وتَراهُمُ يَغْشَى الرَّفِيضُ جُلُودَهُمْ
طَنِزِينَ يُسْقَوْنَ الرَّحِيقَ الأَصْهَبَا

١٢ – غَلَبَتْ سَماحَتُهُمْ وكثرةُ مالِهِمْ
لَزَباتِ دَهْرِ السَّوْءِ حتَّي تَذْهَبَا

١٣ – وترى الذى يَعْفُوهُمُ لِحِبَائِهِمْ
يُحْبَى ويرجو منهُمُ أن يَرْكَبا

---

٩ – الجياد : جمع جيد . مخلولة : مثقبة . المشرفية : السيوف . أى همتهم فى الحرب وإصلاح أدواتها ، لا يهتمون بملبس أو طعام .

١١ – الرفيض : العرق . طنزين : مستهزئين . الرحيق : الخمر . الأصهب : ما يضرب لونه إلى الحمرة .

١٢ – اللزبات : جمع لَزبَة ، وهى القحط والشدة .

١٣ – يعفوهم : يطلب فضلهم . لحبائهم : لعطائهم .

١١ - وتَراهُمُ يَغْشَى الرَّفِيضُ جُلُودَهُمْ
طَنِزِينَ يُسْقَوْنَ الرَّحِيقَ الأَصْهَبَا .

١٢ - غَلَبَتْ سَماحَتُهُمْ وكثرةُ مالِهِمْ
لَزَباتِ دَهْرِ السَّوْءِ حتَّى تَذْهَبَا

١٣ - وترى الذى يَعْفُوهُمُ لِحِبَائِهِمْ
يُحْبَى ويرجو منهمُ أن يَرْكبا

١٤ - أدْمَاءَ مُفْكِهَةً وفَحْلاً بازِلًا
أو قارِحًا مثلَ الهِرَاوَةِ سَرْحَبَا

١٥ - أو قارِحًا مثلَ القَناةِ طِمِرَّةً
شَوْهاءَ تَعْتَبِطُ المُدِلَّ الأَحْقَبا

---

١١ - الرفيض : العرق . طنزين : مستهزئين . الرحيق : الخمر . الأصهب : ما يضرب لونه إلى الحمرة .

١٢ - اللزبات : جمع لَزْبَة ، وهى القحط والشدة .

١٣ - يعفوهم : يطلب فضلهم . لحبائهم : لعطائهم .

١٤ - الأدماء : البياض ، يريد ناقة . مفكهة : غليظة اللبن جيدته . البازل : ما بلغ التاسعة .

القارح : الفرس تمت أسنانه وذلك فى الخامسة من عمره .

الهراوة : العصا ، شبه بها الفرس فى الضمر والصلابة . السرحب : الطويل .

١٥ - الطمرة : الفرس المشرفة المستعدة للوثب . تعتبط : أى تصيد .

(١٠٦)

وقال بِشْرُ بْنُ عَمْرِو بْنِ مَرْثَدٍ أيضا

(البحر البسيط)

١ – قُلْ لابْن كُلْثُوم السَّاعِي بِذِمَّتِه
أَبْشِرْ بِحَرْبٍ تُغِصُّ الشَّيْخَ بِالرِّيقِ

٢ – وصاحِبَيْهِ فلا يَنْعَمْ صَبَاحُهُمَا
إذْ فُرَّتِ الحربُ عن أنيابِها الرُّوقِ

٣ – لايَبْعَثُ العِيرَ إلَّا غِبُّ صَادِقَةٍ
من المَعَالِي ، وقومٌ بالمَفارِيقِ

٤ – بَلْ هَلْ تَرى ظُعُنًا تُحْدَى مُقَفِّيَةً
لها تَوَالٍ وحَادٍ غيرُ مسبوقِ

٥ – يأْخُذْنَ من مُعْظَمٍ فَجًّا بِمُسْهِلَةٍ
لِزَهْوِهِ من أَعالِي البُسْرِ زُحْلُوقِ

---

١٠٦ – **جو الأبيات** : يتوعد بشر بهذه الأبيات عمرو بن كلثوم وصاحبيه ، أن يشن عليهم حربا شعواء ، توضع لها الخطة الحكيمة ، وتخرج فيها النساء ليذكين فى صدور الرجال الغيرة والحماسة .

التخريج : المفضلية ٧٠ .

الشرح :

٣ – غب صادقة : أى بعد نظرة صادقة . المفاريق : مفارق الطرق .

٤ – تُحدى : تساق . مقفية : مولية ماضية . توالٍ : توابع تتبعها .

٥ – معظم : مكان بعينه . الفجّ : الطريق . المُسْهِلة : النحل قد أسهلت ألوان بُسرها من أحمر وأصفر ، شبه ما على الهوادج من الرقم والزخرف بألوان البُسر . الزهو : البسر الملون . زحلوق : تساقط .

٦ – حارَبْنَ فيها مَعَدًّا واعْتَصَمْنَ بها
إذْ أصْبَحَ الدِّينُ دِينًا غيرَ مَوْثُوقِ

---

٦ – حاربن : أى أرباب الظعائن . الدِّين : العادة من الخير والسلامة . غير موثوق : أى غير موثوق به .

(١٠٧)

قالَ بُكَيْرُ أَصَمُّ بنى الحارِثِ بنِ عُباد

(البحر الكامل)

١ – إنْ كُنتِ ساقِيَةَ المُدامةِ أَهْلَها
فَاسْقِي عَلَى كَرَمٍ بنى هَمَّامِ

٢ – وأبا رَبِيعَةَ كُلَّها وَمُحَلِّمًا
سَبَقَا بغايَةِ أَمْجَدِ الأيَّامِ

٣ – ضَرَبُوا بنى الأَحْرارِ يومَ لَقُوهُمُ
بِالمَشْرَفِيِّ على مَقِيلِ الهَامِ

٤ – عربا ثلاثَةَ آلِفٍ وكتيبةً
أَلْفَيْنِ أَعْجَمَ من بنى الفَدَّام

٥ – شَدَّ ابنُ قَيْسٍ شَدَّةً ذَهبتْ لها
ذِكْرًا له فى مُعْرِقٍ وَشَآمِ

٦ – عَمْرٌو وما عمرٌو بِقَحْمٍ دَالِفٍ
فيها ولا غُمْرٍ ولَا بِغُلَامِ

---

١٠٧ – ترجمته : لم أعرف له أخبارا .

جو القصيدة : يمدح بنى شيبان من بكر بن وائل .

التخريج: كتاب النقائض ٢/٦٣٤ ، ٦٣٥ وأيام العرب فى الجاهلية ٣٩ عدا البيت الرابع .

الشرح :

١ – همام : هو هَمَّام بن مُرَّة بن ذُهْل بن شَيْبَان ، رئيس بكر فى حروبها مع تغلب .

٢ – مُحَلِّم : هو مُحَلم بن ذهل بن شيبان ، يعنى بنى مُحَلِّم ، وهم بطن من بكر .

٣ – مَقِيل الهام : مجتمع الرأس ، يقال : « طعنته فى مقيل حقده » أى فى صدره .

٥ – قيس : هم بنو قيس بن ثعلبة بن عُكابة .

٦ – القحم : الكبير من الإبل ، ولو شبه به الرجل كان جائزا ، وقال الجوهرى : شيخ قَحْم : أى هرم كبير . دالف : يقال دلف الشيخ والمقيد دليفا ودلوفا وهو فوق الدبيب ، وشيخ دالف ، وعجائز دوالف ، وجاء يدلف بحمله لثقله . غمر : غير مجرب .

(١٠٨)

قال جَحْدَرُ بْنُ ضُبَيْعَةَ

(بحر الرجز المشطور)

١ – رُدُّوا عَلَيَّ الخَيْلَ إنْ أَلَمَّتِ
إنْ لَمْ أُطاعِنْها فَجُزُّوا لِمَّتِى

٢ – إنَّ يَدِى رَهْنٌ لهمْ بِفِعْلَتِي
مَجْهُورَةً أو تَعْتَرِى مَنِيَّتِى

٣ – إذَا الكُماةُ بالكُماةِ الْتَقَتِ
قد عَلِمَتْ والدَتى ماهِمَّتِى

٤ – ولَفَّفَتْ فى خِرقٍ وشَمَّتِ
إذا المَنايا فوقنا أظَلَّتِ

---

١٠٨ – **ترجمته** : هو ربيعة بن ضبيعة بن قيس بن ثعلبة البكرى ، أحد أبطال حرب البسوس ، وقُتل يوم تَحْلاق اللِّمَم .

التخريج : كتاب بكر وتغلب ٥١ وديوان الحماسة ٨٠/٢ وأغانى ساس ١٤٣/٤ والكامل فى التاريخ ٣٢٣/١ وشعراء النصرانية ٢٦٨/١ .

جو الأبيات : قالها قبل وقعة تَحْلاق اللِّمَم ، حيث اتفق القوم على أن يحلُق فرسان بكر شعورهم حتى تعرفهم نساء بكر اللائى اشتركن فى هذه الوقعة ، وأبَى جحدرُ أن يحلُق شعره قائلا هذه الأبيات . ثم جرح فلم تعرفه نساء بكر فانهلن عليه ضربا حتى مات ، ظنا منهن أنه من جرحى تغلب .

الشرح :

١ – فى شعراء النصرانية قبل هذا البيت :

قد يَتِمَتْ بِنْتِى وآمَتْ كَنَّتِى ... وشَعِثَتْ بعد الرِّهان جُمَّتِى

كنتى : زوجى . شعثت : اغبرت .

ردوا على الخيل : اصرفوا وجوهها إلَىّ .

٥ - من كَرَّةٍ للموتِ إذا ما كَرَّةِ
فإنْ أعِشْ فللمنايا مُدَّتي
٦ - وإنْ أمُتْ فمِنْ رِجالٍ مُوَّتِ
لا بأسَ بالْمَوْتِ إذَا لَمْ أُمْقَتِ

(١٠٩)

قال جُهُنَّامُ البَكْرِيُّ

(بحر المتقارب)

١ - أُمُجَّاعُ تَزْعُمُ لَوْ أنَّنِى لَقِيتُ ابْنَ حَوَّاءَ ماضَرَّنِى
٢ - بَلَى إنْ يَدٌ قَبَضَتْ خَمْسَها عليكَ مَكانًا مِنَ الأمْكِنِ

---

١٠٩ - **ترجمته** : جُهُنَّام البكرى ، ويقال جِهِنَّام ، واسمه عمرو بن قَطَن بن المنذر ابن عبدان بن حُذَافة بن حبيب بن ثعلبة بن سعد بن قيس بن ثعلبة . وهو الذى هاجى الأعشى ، وفيه يقول الأعشى :

دَعَوْتُ خليلى مِسْحَلاً ودَعَوْا له جُهُنَّام جَدْعًا لِلْهَجِينِ المُذَمَّمِ

التخريج : معجم الشعراء ٧ ، ٨ .

الشرح :

١ - تزعُم : تظن ، وأكثر ما يستعمل الزَّعم فيما كان باطلا أو فيه ارتياب .

٢ - الخَمْس : اسم عدد للمؤنث وربما أراد خمستها أى قبضت عليك بخمسة أصابع أى قبضا محكما . الأمكن : لعله يريد « مكانا من الأمكنة » فحذف التاء .

(١١٠)

قال الحَارِثُ بنُ عُبَاد

(البحر البسيط)

١ – سائِلْ سَدُوسَ التى أفْنَى كَتائِبَها
طَعْنُ الرِّماحِ التى فى رُؤْسِها شُهُبُ
٢ – إن لَّمْ تُلاقُوا بنا جُهْدًا فَقَدْ شَهِدَتْ
فُرْسانُكُمْ أننى بالصَّبْرِ مُعْتَصِبُ
٣ – ياوَيْلَ أُمِّكمُ مِنْ جَمْعِ سَادَتِنا
كَتائِبًا كالرُّبَى والقَطْرُ يَنْسَكِبُ
٤ – أبا عُقَيْلٍ فَلا تَفخَرْ بِسَادَتِكُمْ
فأنْتُمُ أَنْتُمُ والدَّهْرُ يَنْقَلِبُ
٥ – فإنْ سَلِمْنا فَإِنَّا سَائِرُون لَكُمْ
بِكُلِّ هِنْدِيَّةٍ فى حَدِّها شُطَبُ

---

١١٠ – ترجمته : مضت فى الفصل الرابع .

جو الأبيات : يروى أن غلاما لعمران بن نبيه السدوسى اسمه معمر بن سوار أورد إبل سيده عين ماء تعرف بعين قويرة ، فاصطدمت إبله بإبل عُبَادٍ أبى الحارث ، فأهاب بها وحذّر راعيها ، فلم ينته ، إلى أن اقتتلا فرمى الحارث معمرا وقتله ، فأقبل الفضيل بن عمران على الحارث ، فرماه الحارث بسهم فأتبعه بغلامه ، وكان عمران – أبوه – من سَرَاة قومه وسيدا مطاعا ، فكَرَّ الحارث إبله وساقها عطاشا إلى منازل أبيه عُباد وأخبره بما جرى وكان هذا سببا فى اشتعال حرب سَدُوس بين بنى سَدوس من ناحية وبكر وتغلب من ناحية أخرى إذ كانتا متحالفتين (انظر ، شعراء النصرانية ١/٢٧٠) .

التخريج : شعراء النصرانية ١/٢٧٦ ، ٢٧٧ .

٦ - وكلِّ جَرْدَاءَ مِثْلِ السَّهْمِ يَكْنُفُهـــا
مِنْ كُلِّ ناحِيَـــةٍ لَيْثٌ لهُ حَسَبُ
٧ - لا تَحْسَبُـوا أنـا ياقَـــوْمُ نُفْلِتَكُـــمْ
أو تَهرُبُـون إذا ما أَعْـــوَزَ الهَـــرَبُ
٨ - كَلَّا وربِّ القِلاصِ الراقِصاتِ ضُحًى
تَهْوِي بها فِتْيَةٌ غُرٌّ إذا انْتُدِبُوا

(١١١)

وقال الحارثُ بنُ عُبَادٍ أيضا

(البحر البسيط)

١ - بانَتْ سُعادُ وما أَوْفَتْكَ ما تَعِدُ
فأَنْتَ فى إِثْرِها حَرَّانُ مُعْتَمِدُ

٢ - أَحْلا من الشَّهْدِ مَوْعُودٌ وليسَ لها
نَبْلٌ سِوى ذاك إلا البُخْلُ والبَعَدُ

٣ - قامَتْ تُرِيكَ أَثِيثَ النَّبْتِ مُنْسَدِلًا
وماءُ عَيْنَيْنِ لم يأْخُذْهُما الرَّمَدُ

٤ - قد زَيَّنَ اللهُ فى قَلْبى مَوَدَّتَها
تَكادُ تَنْفَتُّ من وَجْدٍ بها الكَبِدُ

٥ - وَجْدِى عليها كَمِقْلاةٍ بِواحِدِها
وليس يَلْقَى مُحِبٌّ مثلَ ما أَجِدُ

---

١١١ - جو القصيدة : مما نسب إليه من أشعار فى حرب البسوس ، يبدأ القصيدة بالغزل ثم ينتقل فجأة فى البيت ١١ إلى ذكر حروب قومه البكريين مع تغلب ثم ختمها بالفخر .

التخريج : كتاب بكر وتغلب ص ٧٦ - ٧٨ وأخبار المراقسة ٢٦٢ ، ٢٦٣ الأبيات ٤ ، ١١ ، ١٤ ، ١٥ - ١٧ ، ١٩ ، ٢٢ ، ٢٤ ، ٢٦ - ٢٩ ، ٣٧ - ٣٩ ، ٤٤ ، ٤٥ .

الشرح :

١ - بانَتْ : بعدت وفارقت . أوفتك ما تعد : وَفَتْ بالوعد الذى وعدته . حران : مشتاق . معتمد : من قولهم عمِدَ الإنسان أى جَهَدَهُ المرض .

٢ - نبل : سهام . البعد بفتحتين أو بضم فسكون واحد .

٣ - أثيث : غزير طويل ، والمراد شعرها . منسدلا : مُرْخَى ومُسْبَلا .

٤ - تنفت : تتفتت وتتقطع .

٥ - فى الأصل « وجدى وجد مقلاة بواحدها » ورجحت ما أثبته ليستقيم الوزن والمعنى . وجدى عليها : حزنى على فراقها . كمقلاة بواحدها : كأننى حبة منفردة على مقلاة تتحمل وحدها شدة الحرارة واللهب . ويقال « فلان على المقلاة » : من شدة الجزع .

٦ – تَرى البَنانَ بِهِ التَّطْرِيفُ مُخْتَضِبًا
يكادُ مِنْ رِقَّةٍ واللِّينُ يَنْعَقِدُ
٧ – خَمْصَانَةُ الكَشْحِ مُرْتَجٌّ رَوادِفُها
مثلُ القَناةِ فَلا قَصْرٌ ولا أَوَدُ
٨ – كأَنَّ مِشْيَتَها وَالثُّقْلُ يَغْلِبُها
غُصْنٌ إذا حَرَّكَتْهُ الرِّيحُ يَطَّرِدُ
٩ – ياخيرَ حُبٍّ إِذَا ما غَابَ صاحِبُهُ
أَزْرَى به عندَهُ الوَاشُونَ والحَسَدُ
١٠ – لِكُلِّ ذلك منها أَنْتَ مُنْقَبِضٌ
حتى متى يَعْتَرِيكَ الشَّوْقُ والْكَمَدُ
١١ – سَلْ حَيَّ تَغْلِبَ عن بَكْرٍ ووقْعَتِهِمْ
بِالحِنْوِ إِذْ خَسِرُوا جَهْرًا وما رَشَدُوا
١٢ – إذ نَحْنُ حَيَّانِ حَلَّ الناسُ بينهما
وَقَدْ جَهِدْنَا لَهُمْ بالجَمْعِ واجْتَهَدُوا
١٣ – وحَثَّ للرُّسْلِ مِنَّا فى مَجالِسِهِمْ
وَمِنْهُمْ فى جَمِيعِ الحَيِّ فَارْتَعَدُوا

---

٦ – التطريف : من قولهم طرَّفت المرأة أناملها وأظافرها أى خضبتها أو زينتها . وطرِّف الشيء : رقق طرفه .

٧ – خمصانة : ضامرة . الكشح : الوسط . الروادف : العَجُز . القناة : الرمح ، يقصد أنها معتدلة . قَصْر : نقص . أود : عوج .

٨ – يطَّرِد : يتتابع اهتزازه .

١١ – الحنو : يوم من أيام حرب البسوس .

١٤ – فأقبلُوا بجناحَيْهِمْ يَلُفُّهُمَا
مِنّا جَناحَانِ عندَ الصُّبْحِ فاطَّرَدُوا

١٥ – فأَصْبَحُوا ثمَّ صَفُّوا دُونَ بِيضِهِمُ
وأَبْرَقُوا ساعةً من بَعْدِ ما رَعَدُوا

١٦ – وأَيقَنُوا أنَّ شَيْبانًا وإخْوَتَهُمْ
قَيْسًا وذُهْلًا وتَيْمَ اللّاتِ قَدْ رَصَدُوا

١٧ – وبشكْرٌ وبَنُو عِجْلٍ وإخوتُهُمْ
بَنُو حَنِيفَةَ لا يُحْصَى لَهُمْ عَدَدُ

١٨ – إلَيْهِمُ وبأيديهمْ مُهَنَّدَةٌ
مثلُ المَخَارِيقِ تَفْرِى كُلَّ ما تَجِدُ

١٩ – ثم التَقَيْنا ونارُ الحَرْبِ ساطعةٌ
وَسَمْهَرِيُّ العَوالى بيننا قِصَدُ

٢٠ – نَسْقِى وتَسقِى حِمامَ الموتِ وارِدَةً
حَوضَ المَنَايا ومِنْ أَعْراضِهِ تَرِدُ

---

١٥ – صفوا : انتظموا فى صف أو صفوف . دون : هنا بمعنى أمام . بيضهم : نساؤهم .

أبرقوا : تهددوا وأوعدوا . رعدوا : توعدوا بالشر أى أبرقوا وكرر المعنى بلفظين للتوكيد .

١٦ – رصدوا : قعدوا لهم على الطريق يرقبونهم .

١٩ – سمهرى : رمح . العوالى : الرماح ، وإضافة الشىء إلى مرادفه يراد به التعظيم .

قِصَد : قطع ، من قَصَد الشىء أى قطعة قِصَدا .

٢١ - ثُمَّ التقينا كِلَا (٣) الحَيَّيْنِ مُحْتَضِرٌ
حدُّ السُّيوفِ ونَصْلاها إذا رَكَدُوا

٢٢ - طَورًا نُديرُ رَحانا ثم نَطْحَنُهُمْ
طَحْنًا ، وطَورًا نُلاقيهم فَنَجْتَلِدُ

٢٣ - إذا أَقُولُ تَخَلَّوْا مِنْ هَزِيمَتِهم
كَرُّوا علينا حُماةً كُلُّهُمْ حَرِدُ

٢٤ - حتى إذا الشمسُ دارت أَمْعَنُوا هَرَبًا
عنا وخَلُّوا عن الأَمْوالِ وانْجَرَدُوا

٢٥ - لا يلبَثُونَ عنِ الأَوْلادُ يَنْشُدُهُمْ
ولا النِّساءِ ولا يأْلُونَ ما يَعِدُوا

٢٦ - قد قَرَّتِ العَيْنُ من عِمْرانَ إذْ قُتِلَتْ
وَمِنْ عَدِيٍّ مع القَمْقامِ إذْ جُهِدُوا

٢٧ - ومن زُهيرٍ ومن غُنْمٍ وَإخْوتِها
ومن حَبِيبٍ أصابوا الذُّلَّ فانفردوا

٢٨ - ومِنْ بنى الأَوْسِ إذ شُلَّتْ قَبِيلَتُهُمْ
لا ينفَعُون ولا ضَرُّوا ولا حُمِدُوا

---

٢١ - كلا الحيين محتضر : فى الأصل « حلا الحين محتصر » . محتضر : حاضر لم يغب من قولهم : احتضر المجلس أى حضره . محتصر : مُضَيَّق عليه ومُحاط به .

ركدوا : هدءوا وسكنوا ، أى يتقلدون سيوفهم لا يغمدونها فى كل حال .

٢٢ - نجتلد : نتضارب بالسيوف .

٢٣ - فى الأصل « تخلوا عن ... » . حرِد : مغتاظ .

٢٦ - جهدوا : أجدبوا .

٢٩ – فَرُّوا إلى النَّمْرِ منَّا وهـو عَمُّهُـمُ
فما وَفَى النَّمْرُ إذْ طَارُوا وَهُمْ مُرُدُ

٣٠ – وصادَفُوا جَمْعَنا نَفْرِى جَماجِمَهُمْ
بالمَشْرَفِيَّةِ حتـى كُلُّهُـمْ شَرَدُوا

٣١ – صاروا ثلاثـةَ أثْـلَاثٍ فَثُلْثُهُـمُ
ثُلْثٌ تُنازِعُـهُ الأَغْلالُ والقِـدَدِ

٣٢ – وثُلْثُهـمْ جَزَرٌ صَرْعَـى تَنُوشُهُـمُ
عُرْجُ الضِّباعِ وزُرْقُ الطَّيْرِ والفَهَـدُ

٣٣ – وقد رفَعْنا عَنِ الباقِيـنَ رَحْمَهُـمُ
عَفْـوًا غَفَرْنـا وفَضْلًا إذْ هُمُ جُهِـدُوا

٣٤ – إنـا لَنَمْنَـعُ مَرْعانـا وساحَتَنَـا
مِنَّا فلسْنـا لَدَى الْهَيْجاءِ نُضْطَهَـدُ

٣٥ – الطاعِنُونَ إذا ما الخَيْـلُ شَمَّصَهـا
وَقْعُ الْقَنـا وهْـىَ مِنْ وَقْـعِ القَنـا حُرُدُ

---

٢٩ – فروا : فى الأصل – كتاب بكر وتغلب – ضحوا وما أثبتناه رواية السندوبى .

٣١ – فى الأصل : « الأغلال فى القدد » وما أثبتناه يستقيم به المعنى . والقدد : أى واختلاف الآراء .

٣٣ – رحمهم : قرابتهم ، فبكر وتغلب ينتهيان إلى رجل واحد هو وائل .

٣٥ – شمَّصها : ذعرها وأزعجها . حُرُد : تتخبط فى سيرها أو لا تريد أن تتقدم .

٣٦ – الضاربون إذا ماحَوْمَةٌ كَلِبَتْ
فنحنُ فيها إذا جَدَّ الوَغَى أُسُدُ

٣٧ – نحنُ الفوارسُ نَغْشَى الناسَ كُلَّهُمُ
ونَقْتُلُ الناسَ حتى يُوحِشَ البَلَدُ

٣٨ – لقد صَبَّحناهُمُ بالبِيضِ صافِيَةً
عِنْدَ اللقاءِ وحَرُّ الموتِ يَتَّقِدُ

٣٩ – وقد فَقَدْنا أناسا من أَماثِلِنَا
ومثلهمْ فكذاكَ القومُ قد فَقَدُوا

٤٠ – وقد جَزِعْتُمْ ولم تَجْزَعْ غَداةَ إذٍ
مِنا النفوسُ ولمْ تَخضَعْ لِمَا تَجِدُ

٤١ – فاسْأَلْ بِجَيْشِكَ لما قَلَّ جَمْعُهُمُ
واسْأَلْ بِهِمْ عند وقْعِ الحَرْبِ إذْ هَمَدُوا

٤٢ – وقد قتلناكُمُ في كُلِّ مُعْتَرَكٍ
حتى أُوِيتُم ولا يأْوِي لكُمْ أحَدُ

٤٣ – حتى الرِّماحُ ظِماءٌ بعدما نَهِلَتْ
والحربُ منا ومنكمْ وجْهُهَا صُلُدُ

٤٤ – والخيلُ تعلمُ أنِّي من فَوارِسِهَا
يوم الطِّعانِ وقَلْبُ النِّكْسِ يَرْتَعِدُ

---

٣٦ – كلبت : اشتدت ، ويقال كَلِبَ العدو . الحومة من القتال أشد موضع فيه . أُسُد : جمع أَسَد ، ويجمع كذلك على أُسْد ، وأُسُود ، وآساد .

٤٣ – فى الأصل « ظمأى » وبها لا يستقيم الوزن . ظماء : متعطشة .

٤٤ – النكس : الضعيف أو الرَّذْل المقصِّر عن غاية النجدة والكرم .

٤٥ – وقد حَلَفْتُ يمينًا لا أُصَالِحُكُمْ
مادَامَ مِنَّا ومنْكُمْ فى المَلَا أَحَدُ
٤٦ – حتى نُبِيدَكُمْ بالسَّيْفِ ثانِيَةً
ونُشْبِعَ الطيرَ والذِّيبَانَ إذْ نَفِدُ
٤٧ – ونَتْرُكَ الأرْضَ بالتَّامُورِ نَاجِعَةً
مِنْكُمْ سُيُولًا فلا يَذْهَبْ لها قِوَدُ
٤٨ – قُلْ للعناسك فى القومِ الأُولى قُتِلُوا
والقولُ قَوْلُكَ فينا الزُّورُ والفَنَدُ

---

٤٧ – التامور : فى الأصل بدون الراء وهو تصحيف ، والتامور : الدم . ناجعة : من نجع الشيء أى ظهر أثره .

٤٨ – للعناسك : كذا بالأصل . الفند : الكذب .

(١١٢)

وقال الحارثُ بنُ عُبادٍ أيضا

(البحر الطويل)

١ - لقد شَهِدَتْ حَقًّا سَدُوسٌ بأننى
أنا الفارِسُ المُعْتَادُ قَطْعَ الحَنَاجِرِ

٢ - تَلَقَّيْتُ نَصْرًا والمُعَمَّرَ بَعْدَهُ
وأَرْدَيْتُهُ كَرْهًا بِرَغْمِ المَنَاخِرِ

٣ - وسَوْفَ يرى مَنْصُورُ مِنَّا عَجَائبًا
يُعَدِّدُ ذِكْرِى فى جميع المحاضِرِ

٤ - ولابُدَّ مِنْ غبْرٍ يُتَابِعُ غِبْرَهُ
ويَتْبَعُ أَوْلادًا وشِيكًا بآخِرِ

٥ - ظَنَنْتُمْ سَدُوسٌ إِذْ قَتَلْتُمْ وَالِدِى
وتِسْعَةَ إِخْوانى أُمِدُّ بِعَاشِرِ

٦ - فَهَلَّا عَلِمْتُمْ أَنَّ حَوْلِى فِتْيَةً
تَصُولُ عَلَى بِيضِ السُّيُوفِ الْبَوَاتِرِ

---

١١٢ - جو الأبيات : قالها فى حرب سدوس بين ابنى وائل - بكر وتغلب - وبنى سدوس . وهذه الحرب قبل حرب البسوس ، وقيل إن الحارث بن عُباد اشترك فيها وهو صغير (مراهقا) .

التخريج : شعراء النصرانية ١/٢٧٧ .

(١١٣)

وقال الحارِثُ بْنُ عُبَادٍ أيضا

(البحر الطويل)

١ – قَتَلْتُ ابْنَ عِمْرَانَ الفُضَيْلَ وعَبْدَهُ
بِذَحْلِ غُلامِي مَعْمَرِ بْنِ سِوَّارِ

٢ – وما رُمْتُ قَتْلاً لِلْفُضَيْلِ وإنما
أَرَدْتُ ذِمامِي إذْ أَخَذْتُ بِثَارِي

٣ – رَمَيْتُ بِهِ سَهْمًا فَعَجَّلَ حَتْفَهُ
وذلك شيءٌ لَمْ يَكُنْ بِخِيَارِي

٤ – أَلَا فاسْعِدُونِى للوَقِيعَةِ والْبَلَا
وإِضْمارِ خَيْلٍ قُرِّبَتْ لِمُغَارِ

---

١١٣ – جو الأبيات : أخبر بها والده ما كان من أمره حين قتل الفضيل بن عمران ابن نبيه السَّدوسى ، وعبده معمر بن سوار .

التخريج : شعراء النصرانية ١/٢٧٠ .

الشرح :

١ – الذحل : الثأر أو الحقد .

(١١٤)

وقال الحارِثُ بنُ عُبادٍ أيضا

(بحر الرجز المشطور)

١ – نَحْنُ مَنَعْناكُمْ وُرُودَ النَّهْرِ
٢ – بِالمُرْهَفاتِ والرِّماحِ السُّمْرِ
٣ – فوارسٌ من تَغْلِبٍ وبَكْرِ
٤ – على خُيُولٍ شُزَّبٍ وضُمْرِ

---

١١٤ – قيل شهد الحارث بن عُباد يوم خزازَى وحَسُن بلاؤه وبارز فرسانا من حِمْيَر وقتلهم ، وقال هذا الرجز مفتخرا .

التخريج : شعراء النصرانية ١/٢٧١ .

الشرح :

٣ – فوارسٍ من تغلبٍ : صرف الممنوع من الصرف للضرورة الشعرية .

٤ – شُزَّب : جمع شازب أى ضامر .

(١١٥)

وقال الحَارِثُ بْنُ عُبَادٍ أيضا

(البحر الوافر)

١ – كأنَّــا غُدْوَةً وبنـــى أبِينـــا
غَدَاةَ الخَيْـلِ تُقْـرَعُ بالذُّكُــورِ

٢ – ضَرَاغِمُ سَاوَرَتْ فى الحَىِّ يُحْمَى
عليها كُلُّ ذِى لِبَـــدٍ هَصُورِ

٣ – تُجَالِدُ فى كَتَــائِبَ مِنْ عَلِـىٍّ
بِفِتْيَــانٍ كأمثَــالِ الصُّقُــورِ

٤ – بِجَـنْبِ عُوَيْـرِضٍ لما التقينــا
ونَـارُ الحربِ ساطعةُ السَّعِيــرِ

٥ – فدَانَتْ تَغْلِبٌ فى الحَرْبِ لَمَّا
نَزَلْــنَ بِدَاهِيَـــاتٍ فى الأُمُورِ

٦ – وكانُــوا فى اللقـــاءِ غَداةَ ثَارُوا
عنــاصرةً بها لُقُـــحُ الدُّبُـــورِ

---

١١٥ – جو الأبيات : من أشعاره فى حرب البسوس .

التخريج : كتاب بكر وتغلب ٦٩ ، ٧٠ .

الشرح :

١ – الذكور : أشد الحديد وأجوده .

٢ – ساورت : وأثبت ، وساور خصمه : أخذ برأسه فى العراك . لبد ، بكسر ففتح أو بضم ففتح جمع لُبْدة وهى الشعر بين كتفى الأسد . الهصور : الأسد .

٦ – عناصرة : كذا بالأصل ، والعنصر من معانيه الداهية . لقح ، بضمتين : من لقحت الناقة أو نحوها إذا قبلت ماء الفحل . الدبور : جمع دَبْر وهى من كل شىء خلفه .

٧ – فَحَامَ مُهَلْهِلٌ لما التقينا
وَعَرَّدَ حين مَلَّ من الهَدِيرِ

٨ – فَلَوْ نَشَرَ المَقابِرَ عن كُلَيْبٍ
لَخَبَّرَ فِي الْحِفَاظِ بِشَرِّ زِيرِ

٩ – ولو قُتِلُوا جميعا فى بُجَيْرٍ
لكانُوا فيه كالشيءِ اليَسيرِ

١٠ – بُجَيْرٌ حين تَشْتَجِرُ العَوالِى
غَداةَ حوادِثِ الخَطْبِ الكبيرِ

١١ – قتلنا الحَىَّ من جُشَمِ بنِ بَكْرٍ
وأَهْلَكَ مُلْكُهُمْ عِنْدَ النَّفِيرِ

١٢ – بِنَاسٍ من بنى بكرٍ عليهم
دِلَاصُ السَّابِغاتِ من الحريرِ

١٣ – وأهلكنا بنى غَنْمٍ جميعا
مع القَمْقَامِ ذِى الشَّرَفِ الكبيرِ

١٤ – وجَالُوا من سَعِيرِ الحَرْبِ حتى
بَدَتْ أَقْدَامُ رَبَّاتِ الخُدُورِ

---

٧ – عرَّد : أحجم أو حادَ أو هرب . الهدير : ترديد الصوت .

٩ – بُجَيْر : هو بجير بن الحارث بن عباد الذى قتله مهلهل قائلا له : بُؤ بشسع نعل كليب .

١١ – جشم بن بكر بن حبيب بن عمرو بن غنم بن تغلب .

١٢ – دلاص : ملساء . السابغات : الدروع . من الحرير : كأنها الحرير فى ملامستها .

١٣ – القمقام : السيد الجامع للسيادة الواسع الخير . بنو غَنْم : هم بنو غنم بن تغلب .

١٥ – نَقُدُّ مَقِيلَ هَامِهِمُ بِبِيضٍ
قَواطِعَ طالِباتٍ للوُتُــورِ
١٦ – غداةَ صَبَحْتُهُمْ شَعْوَاءَ تَرْدِى
بِأُسْدٍ ماتَمَلُّ من الزَّئِيرِ
١٧ – كُماةِ الطَّعْنِ من رُؤَساءِ عِزٍّ
إليهم مُنْتَهَى العَانِى الضَّرِيرِ
١٨ – ومِنْ ذُهْلِ بْنِ شَيْبانٍ وَقَيْسٍ
لُيُوثُ الحربِ فى اليومِ العسِيرِ
١٩ – ومن أبناءِ تَيْمِ اللَّاتِ عِزٌّ
تَوارَثَهُ الصَّغِيرُ عن الكَبِيرِ
٢٠ – وإنْ تَعْدُدْ بنى بَكْرٍ تَجِدْهُمْ
ذَوِى القاماتِ والعَدَدِ الكَثِيرِ
٢١ – حنيفةُ آلُ مَكْرُمةٍ وفَخْرٍ
بِهِمْ يُصْلى بِمَنْصَبَةِ القُدُورِ

---

١٥ – نَقُدّ : نشق . مقيل هامهمُ : رءوسهم ، ويقال : طعنه فى مقيل حقده : فى صدره . بِيض : جمع أبيض وهو السيف . الوتور : لم يرد هذا الجمع فى المعجم ، والوتر ، بفتح أوله : إلحاق الأذى بالغير .

١٦ – صبحتهم : أغَرْتُ عليهم صباحا . شعواء : غارة ، ويقال غارة شعواء أى منتشرة . تردى : تهلك .

٢٠ – القامات : جمع قامة وهى من الإنسان طوله ، والمراد أنهم طوال .

٢١ – يُصلى : من قولهم صلاهُ العذاب أو الهوان . بمنصبة القدور : المنصبة الكد والجهد ومنه عيش ذو نصبة . القدور : جمع قدر وهو إناء يطبخ فيه .

٢٢ - وأحضَرُ فى الحَمِيَّةِ من لُجَيْمٍ
حُماةِ العِزِّ فى اليومِ الضَّرِيرِ
٢٣ - وعمرٌو فى الوغى ألْيَاثُ حَرْبٍ
كأَنَّ رِماحَهُمْ أشْطَانُ بِيرِ
٢٤ - ومن عِجْلٍ كتائبُ بالمذَاكِى
تُرَى فى كلِّ يومٍ قَمْطَرِيرِ
٢٥ - ومن أولادِ يَشْكُرَ كلُّ سامٍ
طويلِ الباعِ كالقمرِ المُنيرِ
٢٦ - فما فى الناسِ حَىٌّ مثلُ بَكْرٍ
إذَا افْتَخَرَ المُفَاخِرُ لِلفَخُورِ

---

٢٢ - الضرير : المضرور أى اليوم المملوء بالضر .

٢٣ - أشطان : جمع الشَّطَن وهو الحبل الطويل يستقى به من البئر . بير : بئر .

٢٤ - المذاكى : الفَتِىُّ من الخيل ، وفى المثل : « جَرْىُ المذكِّيات غِلاب » .

٢٦ - المفاخر والفخور : الفخور صيغة مبالغة ، من فخر الرجل أى تكبَّر فهو فاخر وفخور .

(١١٦)
وقال الحارثُ بنُ عُبادٍ أيضا

(البحر الوافر)

١ – عَفَتْ أطْلالُ مَيَّةَ مِنْ جَفِيرِ
إلى الأجْيَادِ منه فَجَوُّ بِيرِ
٢ – وقد كانَتْ تَحُلُّ بها زَمانًا
أمامةُ غيرَ مُكْشِفَةِ السُّتُورِ
٣ – تَسَامِرُ كلَّ خُرْعُبَةٍ لَعُوبٍ
من اللاتى عُرِينَ على النُّحُورِ
٤ – إذا ما قُمْنَ تَحِسبُهُنَّ خُوطًا
من القُضبانِ ذَا وَرَقٍ نَضِيرِ
٥ – فسايِلْ إن عَرضْتَ بنى زُهَيْرٍ
ورهطِ بنى أُمامَةَ والغَوِيرِ
٦ – غَداةَ تَجَمَّعَتْ من كُلِّ أَوْبٍ
بنو جُشَمٍ ولم تَحْفَلْ مسِير

---

١١٦ – جو القصيدة : من أشعاره فى حرب البسوس ، يتهكم فيها من المهلهل ومن كليب الذى صرعه جساس بن مرة ، ويفخر بقومه ، وبما فعله أخذا بثأر ابنه بجير .

التخريج : كتاب بكر وتغلب ٧٢ .

الشرح :

١ – مية : محبوبته . جفير ، والأجياد ، وجوبير : أماكن .

٣ – خرعبة : فى المعجم خُرْعُوبة وهى الشابة الحسنة الخلق الناعمة وهى أيضا الخَرْعَب .

٤ – خُوطا : الخُوط هو الغصن الناعم ، أو كل قضيب ما كان .

٦ – ولم تحفل مسير : « مسير » كذا بالأصل .

٧ – يمنِّيها الضَّلالُ أخُو كليبٍ
فقد صارَتْ على كَذِبٍ وزُورِ
٨ – تركنا تَغْلِبًا كَذُبابِ أَمْسٍ
وأَخْرَجْنا الحِسَانَ من الخُدُورِ
٩ – فلو نَشَرَ المقابِرَ عن كُلَيْبٍ
لأَبْصَرَ بالذَّنائِبِ شَرَّ زِيرِ
١٠ – تركنا منهم بَشَرًا كثيرًا
لِغِرْبانِ الفَلاةِ وللنُّسُورِ
١١ – نَصَحْتُ لتغلِبٍ وكَفَفْتُ عنها
ولم أَهْتِكْ لها حُرَمُ السُّتُورِ
١٢ – فأَعْيَتْ تَغلبٌ وبغَتْ علينا
ولم تَحذَرْ معاقبَةَ الأُمورِ
١٣ – صبَحْنَاهُمْ بِكُل أَصَمٍّ لَدْنٍ
وكُلِّ مُجَرِّبٍ بَطِلٍ جَسُورِ
١٤ – عَواسِلُ فى الأَكُفِّ مُثَقَّفاتٍ
خَضَبْناهُنَّ من ثُغَرِ النُّحُورِ

---

٩ – ينقض الحارث فى هذا البيت قول المهلهل فى إحدى قصائده :

فلو نُشِر المقابرُ عن كليب لخُبِّر بالذنائب أى زير

وكان المهلهل يلقب بزير النساء ، إذ قال له كليب – قبل مصرعه – ما أنت إلا زير نساء وأخشى إن قُتِلتُ ألا تأخذ بثأرى . والذنائب يوم من أيام حرب البسوس .

١٥ – فلم نَقْتُلْ شِرارَهُمُ ولكنْ
قَتَلْنا كُلَّ ذِى كَرَمٍ كَثيرِ

١٦ – شُهِدْتُ السَّيفَ إذ قَتَلُوا بُجَيْرًا
فأهلكت الصَّغِيرَ مع الكَبِيرِ

١٧ – فلو قَتَّلْتُ تَغْلِبَ فى بُجَيْرٍ
إذًا اختلَطَ القَبِيلُ مع الدَّبِيرِ

١٨ – فقد فَرَّقْتُ تَغْلِبَ يالَبَكْرٍ
فَحُلِّى فى بلادِكِ أو فَسِيرِى

(١١٧)

وقال الحارِثُ بنُ عُبادٍ أيضا

(مشطور الرجز)

١ – إنى أَرَى ذَا جَلَدٍ وبَاسِ
٢ – تَخَالُهُ البُجَيْرَ إذْ تُقاسِى
٣ – فى حَملةٍ والطَّرْدِ والدَّعَّاسِ
٤ – فهو بِهِ الوفاءُ دُونَ النَّاسِ

---

١١٧ – من رجزه فى حرب البسوس .

التخريج : كتاب بكر وتغلب ٨٦ .

الشرح :

٣ – الدَّعَّاس : كثير الطعن ، من دعسه أى طعنه بالمِدْعَسِ وهو الرمح الشديد الذى لا ينثنى .

(١١٨)

وقال الحارِثُ بْنُ عُبَادٍ أيضا

(البحر الطويل)

١ – عَفا منزلٌ بين اللِّوَا والحَوَابِسِ
لِمَرِّ الليالى والرِّياحِ اللَّوَابِسِ

٢ – فلم يَبْقَ من آياتِهِ غيرُ هامِدٍ
وآخَرُ مَرْسٍ بالمَدَقَّةِ يابِس

٣ – وغيرُ ثلاثٍ كالحَمائِمِ جُثَّمٌ
ومَغْنَى حمامٍ قَدْ قَدِمْنَ دَوَارِس

٤ – تَلُوحُ عِراضُ الوَشْيِ والنُّؤْىُ حَوْلَهُ
كما لَاحَ عُنْوانٌ جَدِيدُ القَراطِسِ

٥ – تَعَفَّت وعَفَّاها من الصَّيفِ دُلَّجٌ
تَصُبُّ العَزَالِى بالغَمامِ الرَّوَاجِسِ

---

١١٨ – مما قاله فى حرب البسوس بين بكر وتغلب ، والمقدمة طللية .

التخريج : كتاب بكر وتغلب ٩٦ ، ٩٧ .

الشرح :

١ – اللوابس : كذا بالأصل ، وأظنها الروامس وهى الرياح التى تدفن الآثار .

٢ – هامد : يقال أرض هامدة أى يابسة مجدبة لا حياة فيها ولا نبات .

مرس : متهدم . المدقة : أظنه اسم مكان . يابس : جاف .

٣ – دوارس : جمع دارس وهو الأثر الذى تقادم عهده وعفا .

٥ – دلَّج : الدالج هو الذى يأخذ الدلو ويمشى بها من رأس البئر إلى الحوض ليفرغها فيه .

العزالى : جمع العزلاء وهو مصب الماء من القربة . الغمام الرواجس : الذى يرعد رعدا شديدا .

٦ – له زَجَلٌ فى حَافَتَيْهِ ورَجَّةٌ
كَصَوْتِ طُبُولٍ جُووِبَتْ بِالنَّوَاقِسِ

٧ – وقَفْتُ بِها أَرْجُو الْجَوَابَ فلم تُجِبْ
وكيف جَوابُ الدَّارِسَاتِ الخَوارِسِ

٨ – تَحَمَّلَ منها أهلُها بَعْدَ غَبْطَةٍ
وقد عَمَّرُوها بالحِسَانِ الفَوارِسِ

٩ – عليهِنَّ ألوانُ الحَرِيرِ وبَزِّهِ
شَغَامِيمُ أَمْثَالُ الظِّبَاءِ الكَوانِسِ

١٠ – نواعِمُ ماصادَفْنَ عَيْشًا مُنَكَّدًا
وفى النَّفْسِ من تَذْكَارِهِنَّ وَسَاوِسُ

١١ – بنى تَغْلِبٍ لم تُنْصِفُونا بقَتْلِكُمْ
بُجَيْرًا ولَمَّا تُقْتَلُوا فى المَجالِسِ

١٢ – وحتى تَبَذَّ الخيلُ فى عَرَصَاتِكُمْ
وتَلْقَونَ أيَّامًا شِدَادَ المَنَاجِسِ

١٣ – كأيامِ عادٍ إذْ بَغَوْا وتكَبَّرُوا
فَأَضْحَتْ قُراهُمْ كالقِفَارِ البَسابِسِ

١٤ – سَلُوا تُخْبَرُوا عن معشرٍ أىّ معشرٍ
وعَنِّى إذْ لاقَيْتُكُمْ أىّ فارِسِ

---

٦ – زجل : صوت . رجَّةُ الرعد : صوته .

٩ – البز : نوع من الثياب : شغاميم : جمع شَغموم وهى الطويلة المليحة .

١٢ – بذَّت الخيل أى ساءت حالها ورثَّت هيئتها ، والمضارع بفتح الباء أيضا . وهو غير بذَّ يبُذُّ بضم الباء فى المضارع ، بمعنى غلب وسبق . المناجس : كذا بالأصل ، والنَّجس : داء خبيث لا دواء له .

١٣ – تكبروا : تجبروا .

١٥ - وهَلَّا سألتُمْ بالقديمِ بِحَرْبِنا
لِتَيْمِ بْنِ مُرٍّ عند ضَرْبِ الفَوارِسِ
١٦ - غداةَ حَوَيْنا سَبْيَهُمْ ونساءَهُمْ
وَدُسْناهُمُ بِالمُقْرَباتِ المُداعِسِ
١٧ - ولَخْمًا سَلُوا عَنَّا وعَكًّا ومَذْحِجًا
غَداةَ أَزَرْناهُمْ بُطُونَ الرَّوامِسِ
١٨ - عليهِنَّ من أبناءِ بكرِ بْنِ وائلِ
مَرازِبَةٌ فى البازِخِ المُتَقاعِسِ
١٩ - ونحنُ قتلناهُمْ على عَهْدِ كَبْشِهِمْ
وعمرُو بْنُ زِنْباعٍ وزيدِ بنِ حابِسِ
٢٠ - ألَمْ تلقَكُمْ أيامَ كُلْثُومَ خَيْلُنَا
هُنالِكَ فى عُمْقٍ من الليلِ دَامِسِ
٢١ - قَتَلْنَا الذى يحمى الكتيبةَ منكُمُ
وغُودِرَ قَتْلَى جَمَّةٌ فى الكنائِسِ

---

١٦ - المُقْرَبات : جمع المُقْرَبة هى الفرس التى تدنى وتقرب وتكرم ولا تترك . المداعس : المطاعن ، والمداعسة المطاعنة .

١٧ - أزرناهم : أحطناهم . الروامس : الرياح الدوافن للآثار .

١٨ - مرازبة : جمع مرزبة وهى رياسة الفرس . البازخ : المتقاعس . وقد وردت فى الأصل الباذخ .

٢١ - الكنائس : جمع كنيسة وهى شبه هودج ، يغرز فى المحمل أو فى الرَّحْل قضبان ويلقى عليه ثوب يستظل به الراكب أو يستتر به ، ويبدو أنهم كانوا يسترون القتلى بمثل ذلك .

٢٢ – ونحن قتلناكُمْ غداةَ مُحَجَّرٍ
بنى تغلبٍ فيها اجْتِدَاعُ المَعاطِسِ
٢٣ – قَتَلْنا بِأعْلَى الشَّعْثَمَيْنِ زُهَيْرَكُمْ
وعَمْرًا قَتَلْنا مِنْكُمُ وابنَ قابِسِ
٢٤ – ونحنُ قَتَلْنا فى حِماكُمْ كُلَيْبَكُمْ
وكَمْ من غَنِىٍّ قد قتلنا وبائِسِ

---

٢٢ – اجتداع : قطع . المعاطس : الأنوف .

(١١٩)

وقال الحارثُ بْنُ عُبَادٍ أيضًا

(البحر الخفيف)

١ – كُلُّ شيءٍ مصيرُهُ لِزَوالِ
غَيْرُ رَبِّى وصَالِحِ الأَعْمَالِ

٢ – وترى الناسَ يَنْظُرون جميعًا
ليس فيهمْ لذاك بَعْضُ احْتيالِ

٣ – قُلْ لأُمِّ الأَغرِّ تبكى بُجَيْرًا
حِيلَ بين الرِّجالِ والأَمْوَالِ

٤ – ولَعَمْرِى لأبكِيَنَّ بُجَيْـرًا
ما أَتَى الماءُ من رُءُوسِ الجِبالِ

٥ – حِيلَ من دُونِهِ فَسَحَّتْ دُمُوعِى
بِسِجالٍ كَمِثْلِ سَحِّ العَزالِى

---

١١٩ – **جو القصيدة** : كان الحارث بن عباد قد أرسل ابنه بجيرا إلى المهلهل بن ربيعة ، ليقتله إن شاء وفاءً بدم كليب ، حتى يتم إصلاح ذات البين بين بكر وتغلب فقتله المهلهل قائلا : « بُؤْبِشِسْعِ نَعْلِ كُلَيْبٍ » فكان هذا سببا فى دخول الحارثِ الحربَ .

التخريج : كتاب بكر وتغلب ٦١ – ٦٤ وشعراء النصرانية ١/٢٧١ الأبيات ١ – ٤ ، ٦ – ١٣ ، ١٥ ، ١٧ ، ٢٦ ، ٣٠ ، ٤٥ ، ٤٨ ، ٥٢ ، ٥٣ ، ٥٥ ، ٦١ ، ٦٤ ، ٦٦ ، ٦٧ ، ٧٣ ، ٧٤ ، ٨٣ ، ٨٥ ، ٨٨ – ٩١ ، ٩٣ ، ٩٨ – ١٠٠ .

والأبيات ١٢ ، ٢٠ ، ٤٥ فى الأصمعية ٧ وحماسة البحترى ٣٣ والكامل فى اللغة والأدب ٢/٥٩٤ وأغانى ساسى ٤/١٤٤ وشرح ديوان الحماسة للتبريزى ٢/٨٠ والبيان ٢٠/٤٥ فى الأمالى ٣/٢٦ والحيوان ١/٢٢ والأبيات ١٢ ، ٤٥ ، ٥٣ فى الكامل فى التاريخ ١/٣٢٢ .

الشرح :

٥ – العزالى : جمع عزلاء وهى مصب الماء من القربة .

٦ – لَهفَ نَفْسِى عَلَى بُجيرٍ إذَا ما
جَالتِ الخَيلُ يومَ حربٍ عُضَالِ

٧ – وتَساقَى الكُماةُ سُمًّا نَقيعًا
وبَدَا البِيضُ مِنْ قِبابِ الحِجالِ

٨ – وَسَعَتْ كُلُّ حُرَّةِ الوَجْهِ تَدعُو
يالَبَكْرٍ ! غَرَّاءَ كالتِّمْثَالِ

٩ – يابُجَيْرَ الخيراتِ لاصُلْحَ حتى
نَمْلأَ البِيدَ مِنْ رُءُوسِ الرِّجَالِ

١٠ – وتَقَرَّ العُيُونُ بَعْدَ بُكاهَا
حينَ تَسْقِى الدِّما صُدُورَ العَوالِى

١١ – أصبحَتْ وائِلٌ تَعِجُّ مِنَ الحَرْ
بِ عَجِيجَ الأَجْمالِ بالأَثْقالِ

١٢ – لَمْ أَكُنْ من جُناتِها عَلِمَ اللـ
ـهُ وَإنِّى بِحَرِّها اليومَ صَالِ

١٣ – قد تَجَنَّبْتُ وائِلاً كَىْ يُفِيقُوا
فَأَبَتْ تَغلِبٌ عَلَىَّ اعتِزَالِى

---

١٠ – العوالى : الرماح .

١١ – الأجمال : جمع جمل ، يقال جمال وأجمال .

١٣ – وائلا : يريد أنه تجنب المشاركة فى حرب بكر وتغلب وهما ابنا وائل ، إذ يُردُّ إليه نسبهما . أبت تغلب علىّ اعتزالى : يشير بذلك إلى ما فعله حين أرسل ابنه بجير إلى المهلهل ليقتله – إن شاء – وفاء بدم كليب ليتم الصلح بين بكر وتغلب ، فطعن المهلهل بجيرا بالرمح قائلا : بؤبشسع نعل كليب ... فكان هذا سبب دخول الحارث الحرب إلى جانب قبيلته بكر .

١٤ – فأثَابُوا إلىَّ كَىْ يَقْتُلونى
وأَطاعُوا مقالَةَ الجُهَّـالِ

١٥ – وأشَابُوا ذُؤَابَتِى بِبُجَيْـرٍ
قتلُوهُ ظُلْمًا بغيرِ قِتَالِ

١٦ – فَرْعُ بَكْرٍ وخَيْرُهَا كانَ فيها
وابْنُ شَيْخٍ مُبَرَّرٍ مِفْضَالِ

١٧ – قتلوهُ بِشِسْعِ نَعْلِ كُلَيبٍ
إنَّ قَتْلَ الكريم بالشِّسْعِ غَالِ

١٨ – وأَثَرْتُم أَبَا بُجَيْرٍ عليكمْ
كأخى غابةٍ أبى أشكال

١٩ – فلقد قلتُ قولةً غَيْرَ فُحْشٍ
لَيْسَ قَوْلَ السِّفَاهِ والأَنْذَالِ

١٤ – فى الأصل : فأثابوا لى ، والتصويب من عندى وبه يستقيم الوزن ، إذ يقال ثاب إليه ولا يقال ثاب له .

١٥ – وزن الشطر الثانى مضطرب ، إلا إذا أشبعنا حركة الهاء فى كلمة « قتلوهُ » .

١٨ – أبى أشكال : كذا بالأصل ، وأظنها أشبْال جمع شبل وهو ولد الأسد .

١٩ – الفُحْش : القبيح الشنيع من قول أو فعل ، وفَحشَ الأمر : جاوز حدَّه .

السِّفاه : جمع سفيه وهو الجاهل الأحمق . الأنذال : فى الأصل « ولا النذال » أما أثبته من عندى ، والأنذال جمع نَذْل وهو الحقير الخسيس . ومثل هذا البيت بين أمرين : أولهما – أن يكون التحريف ثمرة الأخطاء المطبعية التى يمتلئ بها كتاب بكر وتغلب وهو غير مضبوط ومطبوع فى مطبعة نخبة الأخبار فى الهند بحروف تشبه حروف مطبعة بولاق . وثانيهما – أن يكون هذا البيت من وضع بعض الرواة على النص الأصلى وأن الوضاع – القصاص بطبيعة الحال – لا يملك زمام الأوزان حين يحاول النظم .

٢٠ – لا بجيرٌ أغْنَى فتيلًا ولا رَهْـطُ
كليبٍ تَزَاجَرُوا عن ضَلَالِ

٢١ – ثَكِلَتْنِى عن المنيَّةِ أُمِّى
وأتاها نَعْىُ عَمِّى وخَالِى

٢٢ – إنْ لَمَ اَشْفِ النُّفوسَ من تَغْلِبَ الغَدْ
رِ بيومٍ تذل بَرْكَ الجِمال

٢٣ – يالَقَوْمِى فَشَمِّرُوا ثم جِدُّوا
وخُذُوا حِذْرَكُمْ ليومِ القِتالِ

٢٤ – واصْبِرُوا النَّفْسَ على الموت حتى
يذهبَ الكَرُّ عنكم بالسَّبالِ

٢٥ – سَفِهَتْ تَغْلِبُ وقالتْ جِهارًا
خَيْلُ بكرٍ ورَجْلُها لا نُبالِى

٢٦ – يابَنِى تغلبٍ خُذُوا الحِذْرَ إنَّا
قد شَرِبْنا بكأسِ مَوتٍ زُلالِ

٢٧ – فاشرَبُوا كأسَها المُدِيرَةَ صِرْفًا
حانَ منكُمْ تَصرُّمُ الآجالِ

٢٨ – يابنى تَغْلِبٍ ستَلْقَوْنَ مِنَّا
نَطْحَةً تَسْتَبِيحُ غُرَّ الْحِجَالِ

---

٢٢ – أشف : فى الأصل «أشق» وتسهل همزة المضارعة للضرورة الشعرية . وفى الأصل «النفس» وأظنه تصحيف ، والتصويب من عندى ليستقيم الوزن . برك : صدر .

٢٤ – البيت كذا بالأصل . ووزن الشطر الأول مضطرب . السَّبال : جمع سَبَلة وهى مقدم اللحية ، ويقال : جاء وقد نشر سبلته : جاء متوعدا ، وهو أصهب السَّبلة : عدو .

٢٥ – رَجْلها : مشاتها ، يقال : أغار علينا بخيله ورجْله أى بفرسانه ومشاته .

٢٨ – نطحة : من قولهم : نطح فلانا عن كذا : دفعه وأزاله . تستبيح : فى الأصل تسبيح .

٢٩ - يابنى تَغْلِبٍ زَعَمْتُمْ بأنَّا
لا نُبيحُ الدِّيَارَ باستِيصالِ
٣٠ - يابنى تَغْلِبٍ قتلتمْ قتلًا
ماسَمِعَنا بمثلِهِ فى الْخَوالِى
٣١ - رُبَّما قد شَفِيتُ نفسى وقومى
من بنى تغلبٍ وَهُمْ آمالى
٣٢ - لستُ للحصر إن شَرِبْتُ شَرَابًا
أو نُبيحُ الدِّيارَ منكُمْ رجالى
٣٣ - وتَساقَى الكُمَاةُ مِنَّا ومِنْهُمْ
بسِجَالِ السِّمامِ بعد السِّجَالِ
٣٤ - ولعمرى لأقتُلَنْ بِبُجَيْرٍ
عَدَدَ الذَّرِّ والحَصَى والرِّمالِ
٣٥ - ولعمرى لَنَحْنُ أَصْبَرُ مِنْكُمْ
عند تَجْرِيدِ مُرْهِفاتِ الصِّقَالِ
٣٦ - يالقومى من حادثٍ قد دَهانى
ولحربٍ يشيب منها قَذَالى
٣٧ - أصبحَتْ حَرْبُنا وحربُ أَبِينَا
باستِعارٍ تَشِبُّ بالأَهْوالِ

---

٢٩ - كذا بالأصل .

٣٢ - للحصر : كذا بالأصل ، وحصره يحصره حصرا : ضيق عليه وأحاط به ، وحصر الرجل بمعنى ضاق صدره . أو نبيح : أو ، هنا - بمعنى ولا .

٣٣ - سجال : جمع سَجْل وهو الدَّلْو العظيمة . السِّمام : جمع السَّم وهو كل مادة سامة .

٣٦ - قذالى : القذال جماع مؤخر الرأس أو ما بين نقرة القفا إلى الأذن .

٣٨ - بعد سِلْمٍ وإِلْفَةٍ واجْتِمَاعٍ
وتَعَاطٍ بالعـرْفِ والأمْـوَالِ

٣٩ - فلقد تلحق البرىءَ دمُ الحر
بِ وتَرْدِى بالأَصْلَحِ المختال

٤٠ - وتعاطَى أَهْلُ النُّهى فتراهُمْ
عند جِدِّ الأمورِ كالأعْزَالِ

٤١ - ثم تسمُوا إلى الخَرِيدَةِ حتى
لا تُوارِى مَواضِعَ الخُلْخَالِ

٤٢ - لا أَرُومُ الْهَوَى زمانًا عِتَابًا
أو يَذُوقَ العُدَاةُ حَرَّ نِصَالِى

٤٣ - يابنى تغلبٍ خُذُوا الحِذْرَ إنى
قد لَبِسْتُ الغَداةَ ذَيْلَ المذالِ

٤٤ - لَأُبِيدَنَّ تَغْلِبًا بِبُجَيْرٍ
أو يَذُوقَ الحُتُوفَ غير حال

٤٥ - قَرِّبا مَرْبِطَ النعامَةِ مِنِّى
لَقِحَتْ حَرْبُ وائِلٍ عن حِيَالِ

---

٤٠ - الأعزال : جمع أعزل وهو من لا سلاح له .

٤١ - الخريدة : البكر لم تمس أو الخفرة طويلة السكوت الخافضة الصوت المستترة .

٤٢ - أو يذوق : أو - هنا - ناصبة للفعل ، وقيل الفعل بعدها منصوب بـ « أن » مضمرة . (راجع معانى « أو » فى « الجنى الدانى فى حروف المعانى » ٢٢٧ - ٢٣٢ .

٤٣ - كذا بالأصل . وفى أخبار المراقسة :

.... الحذر إنَّا قد شرِبْنا بكأسِ مَوْتٍ زُلَالِ

٤٤ - الشطر الثانى كذا بالأصل ، وأظنه هكذا : « أو يذوق الحتوفَ كلُّ الرجال » الحتوف : جمع حتف وهو الهلاك .

٤٥ - لقحت الحرب : هاجت بعد سكون .

٤٦ – قربا مَرْبِط النَّعامَةِ منى
جَدَّ واللهِ جِدُّ بأسٍ عُضَالِ
٤٧ – قربا مَرْبِطَ النَّعامَةِ منى
أَتبقَّى اليوم قولى واحتيالى
٤٨ – قَرِّبا مَرْبِطَ النَّعامةِ مِنِّى
لَيْسَ قَوْلى يُرادُ لَابَلْ فِعالى
٤٩ – قربا مربطَ النعامةِ منى
ليس دُون المَجالِ من أشْغَالِ
٥٠ – قربا مربطَ النعامةِ منى
فاضَ دَمْعِى علىَّ بالتَّهْمَالِ
٥١ – قربا مربطَ النعامةِ منى
ليس دون اللِّقاءِ من اعتلال
٥٢ – قربا مربطَ النعامةِ منى
جَدَّ نَوْحُ النساءِ بالإعْوَالِ
٥٣ – قربا مربطَ النعامةِ منى
شابَ رأسِى وأنْكَرَتْهُ العَوَالى
٥٤ – قربا مربطَ النعامةِ منى
ذَهَبَ الدهرُ صاح بِالمِفْضَالِ
٥٥ – قربا مربطَ النعامةِ منى
للسُّرى والغُدُوِّ والآصالِ

---

٤٧ – الشطر الثانى كذا بالأصل ووزنه من الرمل بينما القصيدة من البحر الخفيف .
٤٩ – فى الأصل : « ... من اشتغال » وبه يضطرب الوزن إلا إذا قطعنا همزة الوصل .
٥١ – اعتلال : كذا بالأصل ويجب قطع همزة الوصل للضرورة الشعرية .
٥٣ – العوالى : الرماح . وفى أخبار المراقسة : « الفوالى » . وفى شعراء النصرانية : « القوالى » .

٥٦ – قربا مَرْبطَ النعامةِ منى
قَرِّباهـا لِتَغْلِـبَ الضُّلَّالِ

٥٧ – قربا مَرْبِـطَ النعامةِ منى
كُلّ شَقْرَا أو أشقرٍ ذُبَّالِ

٥٨ – قربا مَرْبَطَ النعامةِ منى
كُلَّ دَهْمَا وأدْهَمَ صَهَّالِ

٥٩ – قربا مَرْبَطَ النعامةِ منى
قرباها بِمُرْهِفَاتٍ عِجَالِ

٦٠ – قربا مربطَ النعامةِ منى
كلَّ جرداءٍ خفيفةٍ شِمْلالِ

٦١ – قَرِّبَا مَرْبَطَ النَّعامةِ مِنِّى
طالَ لَيْلِى عن الليالى الطِّوَالِ

٦٢ – قربا مربط النَّعامةِ منى
غَضِبَتْ وَائِلٌ فَوَا سُوءَ حَالِ

٦٣ – قربا مربط النعامةِ منى
باح سرى وزلزلوا زلـزال

---

٥٦ – الضُّلَّال : جمع الضالّ وهو كل من ينحرف عن الطريق الواضح .
٥٧ – ذُبَّال : جمع ذَبل أى ضامر .
٥٨ – دهما : دهماء مؤنث أدهم أى أسود . صَهَّال : صيغة مبالغة من صاهل وهو الفرس والصهيل صوته .
٥٩ – مرهفات : سيوف مرققة محددة . عِجال : سريعة القطع .
٦٠ – جرداء : مؤنث أجرد وهو الفرس السبّاق . شملال : سريعة والشطر الثانى مضطرب الوزن .
٦٢ – فى الأصل : فاسوء حال ، وأظنه خطأ .
٦٣ – الصحيح : « زلزالا » .

٦٤ – قربا مَرْبِطَ النَّعَامةِ مِنِّى
لاعْتِنَاقِ الأبْطَالِ بالأبْطَالِ

٦٥ – قربا مربط النعامةِ منى
أو يروحَ الجروح قبل الرِّجال

٦٦ – قربا مربط النعامةِ منى
واعْدِلا عَنْ مقَالَةِ الجُهَّالِ

٦٧ – قربا مربط النعامةِ منى
لَيْسَ قَلْبِى عَنِ الْقِتَالِ بِسَالِ

٦٨ – قربا مربط النعامةِ منى
صافِناتٍ يصففن بالأذْيال

٦٩ – قربا مربط النعامةِ منى
كل قِرْنٍ لقرنِهِ قَتَّال

٧٠ – قربا مربط النعامةِ منى
وَسَلَا عن مَطارِفِ الآمال

٧١ – قربا مربط النعامةِ منى
وآبْذُلا لى من العَطاءِ سُؤلى

٧٢ – قربا مربط النعامةِ منى
كل مهر مُصَرْصَرٍ صَهَّال

---

٦٥ – كذا بالأصل .

٦٨ – صافنات : الصافن من الخيل القائم على ثلاث وعرق فى أسفل الساق يفصد .

٧٠ – مطارف : جمع مطرف وهو رداء من خز مربع ذو أعلام .

٧٢ – مصرصر : صرصر الرجل صاح شديدا .

٧٣ – قَربا مَرْبَطَ النَّعَامةِ مِنِّى
كُلَّما هَبَّ ذَيْلُ رِيح الشَّمَالِ

٧٤ – قربا مربط النعامةِ منى
لِبُجَيْرٍ مُفَكِّكِ الأغْلالِ

٧٥ – قربا مربط النعامةِ منى
ما دعى الهقْل هقله لا رالى

٧٦ – قَرِّبَا مَرْبِطَ النَّعَامةِ مِنِّى
قاربات لِمُوجِباتِ الكَلَالِ

٧٧ – قربا مربط النعامةِ منى
بِجَوادٍ يَجُودُ بالأَمْوالِ

٧٨ – قربا مربط النعامةِ منى
قرباها صَحِيحةَ الأنْفَالِ

٧٩ – قربا مربط النعامةِ منى
ثم قُودَا رَعالها الرِّعَالِ

٨٠ – قربا مربط النعامةِ منى
قرباها لأسْمَرٍ عَسَّالِ

---

٧٣ – فى أيام العرب فى الجاهلية : « كلما هب ريح ذيل الشمال » .

٧٥ – الهقل : الفتى من النعام . لارالى : كذا بالأصل .

٧٩ – رَعال : جمع رعلة : القطعة من الخيل القليلة أو مقدمتها أو مقدار العشرين أو الخمسة والعشرين .

٨٠ – عسّال : رمح عسال أى يهتز لينا وعسّال للمبالغة على وزن فعّال .

٨١ – قربا مَرْبَطَ النَّعامةِ مِنِّى
مع عَضْبٍ مُعَهَّدٍ بالصِّقالِ

٨٢ – قربا مربط النعامةِ منى
إنَّ قَتْلَ الكريم غَيَّرَ حَالِى

٨٣ – قربا مربط النعامةِ منى
لِحَليمٍ مُتَوَّجٍ بالجَمَالِ

٨٤ – قربا مَرْبِطَ النعامةِ منى
لكريمٍ ذِى نَجْدَةٍ ونَوَالِ

٨٥ – قربا مربط النعامةِ منى
لا يُبَاعُ الرِّجَالُ بَيْعَ النِّعَالِ

٨٦ – قربا مربط النعامةِ منى
للشَّرِيفِ المُتَوَّجِ المِفْضَالِ

٨٧ – قربا مربط النعامةِ منى
قَرِّبَاهَا وقَرِّبَا سِرْبَالِى

٨٨ – قربا مربط النعامةِ منى
لِبُجَيْرٍ فَدَاهُ عَمِّى وخَالِى

٨٩ – قرباها لِحَىٍّ تغلِبَ شوسا
لاعْتِنَاقِ الكُماةِ يَوْمَ المَجالِ

---

٨١ – العضب : السيف القاطع . الصقال : الصَّقْل وهو جعل السيف أملس .

٩٠ – قرباها وقربا لأمتى زَغْـ
ـفًا دِلاصاً تَرُدُّ حَدَّ النِّبالِ

٩١ – قرباها بمُرْهَفاتٍ حِدَادٍ
لِقِرَاعِ الكُهُولِ يَوْمَ النِّزَالِ

٩٢ – يترقَّصْنَ يومَ السِّبابِ لُيُوثًا
مصرحين بِبَهْلَوَانِ العدالِ

٩٣ – رُبَّ جَيْشٍ لَقِيتُهُ يَمْطُرُ الـ
ـمَوْتَ على هَيْكَلٍ خَفِيفِ الجِلَالِ

٩٤ – وهُمَامٍ بفاصِلِ السَّيْفِ فيهِ
إِذْ تَساقَى الكُمَاةُ كَأْسَ النِّهَالِ

٩٥ – قاصِدًا نحو كَبْشِهِمْ لا أُبَالِى
فى طِرادٍ لَقِيتُهُ أَوْ نِزَالِ

---

٩٠ – فى أخبار المراقسة : لأمتى دِرْعًا دِلَاصًا – دلص : برق . اللَّأْمة : الدرع . زغفا : درع زغف أى لينة واسعة محكمة .

٩١ – فى أخبار المراقسة : لقراع الأبطال . الكهول : من قولهم فلان كاهل بنى فلان أى عهدتهم فى المهمات وسندهم فى الملمات .

٩٢ – كذا بالأصل . البهلوان : الذى يمشى على الحبل فارسية ومعناها الشجاع الجرىء . العدال : عادله معادلة وعدالا وازنه .

٩٣ – الهيكل : الضخم من كل شئ والفرس الطويل .

٩٤ – الهمام : السيد الشجاع السخى . فاصل : سيف فصال أى قاطع والفيصل أيضا السيف القاطع . النهال : أسَل ناهل ونهال . والأسَل : الرماح . وأنهل فلانا أغضبه ، الناهل اسم فاعل جمعها نهال .

٩٦ – إنْ طِرَادًا لَقِيتُهُمْ فَطِرَادٌ
بِرِعَالٍ أو إلْفِها بِمِثَالِ

٩٧ – أو نِزَالًا لَقِيتُهُمْ فَنِزَالا
مُصْلَتَ السَّيْفِ لابِسًا سِرْبَالى

٩٨ – سائِلُوا كِنْدَةَ الكِرَامَ وبَكْرًا
واسْأَلُوا مَذْحِجًا وَحَىَّ هِلَالِ

٩٩ – إذْ أَتَوْنَا بِعَسْكَرٍ ذِى زُهَاءٍ
مُكْفَهِرِّ الأَذَى شَدِيدِ المَصالِ

١٠٠ – فَقَرَيْنَاهُ حِينَ رَامَ قِرَانَا
كُلُّ ماضِى الذُّبابِ عَضْبُ الصِّقَالِ

---

٩٧ – مصلت : أصلت سيفه جرده من غمده فهو مصلت . سربال : قميص أو درع أو كل ما لبس جمعها سرابيل .

٩٩ – ذو زُهاء : ذو عدد كثير .

١٠٠ – ذباب السيف : حد طرفة الذى بين شفرتيه وما حوله من حَدَّيْه ظباه ، وقيل حده . عضب : قاطع .

وفى نهاية رواية شعراء النصرانية عشرة أبيات لم ترد بكتاب بكر وتغلب وهى :

ثم قُولَا لكلِّ كَهْلٍ ونَاشٍ مِنْ بنى بَكْرٍ جَرِّدُوا للقتالِ
قد مَلَكْنَاكُمُ فكُونُوا عَبِيدًا ما لكُمْ عن مِلَاكِنَا مِنْ مَجَالِ
وخُذُوا حِذْرَكُمْ وشُدُّوا وَجِدُّوا واصْبِرُوا للنِّزالِ بَعْدَ النِّزَالِ
فلقدْ أصْبَحَتْ جَمائِعُ بَكْرٍ مِثْلَ عَادٍ إذْ مُزِّقَتْ فى الرِّمالِ
ياكُلَيْبَا أجِبْ لدعوةِ داعٍ مُوجَعَ القلبِ دائِمَ البَلْبَالِ
فلقد كُنْتَ غَيْرَ نِكْسٍ لدى البأ سِ ولا واهِنٍ ولا مِكْسَالِ
قَدْ ذَبَحْنَا الأطفالَ من آل بكرٍ وقَهَرْنَا كُمَاتَهُمْ بالنِّصَالِ
وكَرَرْنَا عَلَيْهِمُ وانْثَنَيْنَا بسيوفٍ تَقُدُّ فى الأَوْصَالِ
أسْلَمُوا كُلَّ ذاتِ بَعْلٍ وأُخرَى ذَاتَ خِدْرٍ غَرَّاءَ مِثْلَ الهلَالِ
يالَبَكْرٍ فأَوْعِدُوا ما أرَدْتُمْ واسْتَطَعْتُمْ فما لِذَا مِنْ زَوَالِ

(١٢٠)

وقال الحَارِثُ بْنُ عُبَادٍ أيضا

(البحر الخفيف)

١ – هَلْ عَرَفْتَ الغَدَاةَ رَسْمًا مَحِيلَا ... دَارِسًا بعد أَهْلِهِ مَأْهُولَا
٢ – لسُلَيْمَى كأَنَّهُ سَحْقُ بُرْدٍ ... زَادَهُ قِلَّةُ الأنِيسِ مُحُولَا
٣ – مُقْفِراً غير ما أَثافِيَّ سُفْعٍ ... ماثِلاتٍ له العِرَاسُ مُثُولَا
٤ – غَيَّرتهُ الظِّبَاءُ فى كُلِّ مَلْثٍ ... يَرْتَمِى بالعِضَاةِ جِيلاً فَجِيلَا
٥ – تَرْعَجُ الطَّيْرَ والأَوَارِيَّ عنهُ ... سَلَعُ التَّلِّ والقَرارِ سُهُولَا
٦ – وكأَنَّ اليهودَ فى يَوْمِ عِيدٍ ... ضَرَبَتْ فيهِ رَوْقَسًا وطُبُولَا

---

١٢٠ – **جو القصيدة** : غزل وفخر بأيام قومه وحربهم ضد تغلب .

التخريج : كتاب بكر وتغلب ٨٠ – ٨٢ وشعراء النصرانية ٢٧٩/١ – ٢٨١ .

الشرح :

٢ – سحْق : السَّحْق من الثياب : البالى ، وقد يضاف للبيان فيقال : سحق ثوب ، وسحق بُرْد ، والبرد : كساء مخطط يلتحف به .

٣ – أثاف : حجارة يوضع عليها القدر . سفع : سوداء . العراس : الحبل الذى يعرس به البعير أى يشد به من عنقه إلى ذراعه .

٤ – فى الأصل : « الضباء وكل .. » . الملث : أول سواد الليل حين تأوى الظباء إلى أطلال الديار . يرتمى : أظنها « يحتمى » ليستقيم المعنى . العضاة : كل شجر له شوك ، الواحدة عِضاهَة .

٥ – السَّلَع : شجر مر . التل : ما ارتفع من الأرض . السهول : جمع سهل وهو أرض منبسطة لا تبلغ الهضْبَة .

٧ – وامْتَرَتْهُ الْجَنُوبُ حتى إذَا ما   وَجَدَتْ فَوْدَهُ عليها ثَقِيلا
٨ – ثم هَالَتْ عليهِ مِنْهَا سِجَالًا   مُكْفَهِرًّا فَتَسْتَقِيهِ سَجِيلَا
٩ – زَعْزَعَتْهُ الصَّبَا فَأَدْرَجَ سَهْلًا   ثُمَّ هاجَتْ له الدَّبُورُ نَحِيلا
١٠ – ثم هَبَّتْ له الشَّمالُ فألقى   شُمَّ أرْوَاقِهِ تَحُطُّ الْوُعُولَا
١١ – ثم زَجَّتْ خَرُوفَهُ نحو فَلْجٍ   يَتَجَاوَبْنَ إذْ أرَدْنَ الرَّحِيلا
١٢ – وتَذَكَّرْتُ مَنْزِلًا لِرَبَابٍ   رُبَّما كانَ مَرَّةً مَأْهُولَا
١٣ – غَيْرَ أنَّ السِّنِينَ والرِّيحَ أَلْقَتْ   تُرْبَهُ فى رُسُومِهِ مَنْخُولا
١٤ – فداراها وأَهْلُهَا أَهْلُ صِدْقٍ   فى سِنِينٍ من الربيعِ حُلُولا
١٥ – يَوْمَ أَبْدَتْ لنا سَلَامَةُ وَجْهًا   مُسْتَنِيرًا وعارِضًا مَصْقُولَا
١٦ – جَدْلَةُ السَّاقِ لم تكن أم عمرٍو   بِدَنِيسٍ عن المزاح كَسُولا
١٧ – أَقْصَدَتْنِى سِهَامُها إذْ رَمَتْنِى   طَفْلَةً فى شَبَابِها حركولا
١٨ – وتُدِيرُ السِّوَاكَ فوقَ أَقَاحٍ   صافِىَ اللونِ غُدْوَةً وأَصِيلَا

---

٧ – امترته : جعلته يمتد ويتناثر . الجنوب : ريح طيبة يأتى معها خير وتلقيح للنباتات والزروع وإذا هبت الشّمال امتنع ذلك . فَوْده : جانبه .

٨ – السِّجال : جمع سَجْل وهو الدَّلْوُ العظيمة المملوءة .

٩ – الصَّبا : أطيب الرياح ، فهى تهب باردة فى الصيف من ناحية الشرق . الدبور : ريح شديدة الحرارة وتهب من الغرب فهى تقابل ريح الصبا .

١٠ – الشمال : ريح باردة جدا .

١٣ – منخولا : من نخل الشيء ينخله أى صفاه .

١٤ – فداراها : كذا بالأصل والوزن مضطرب . ويستقيم لو قلنا « بديارٍ » .

١٦ – جدلة : حسنة . بدنيس : كذا بالأصل .

١٧ – فى الأصل : سهمها وأظنه تصحيف . حركولا : كذا بالأصل ، وحَرْكَلَ الصائد أخفق ، والحركلة مصدر .

١٩ – وكأن المُدَامَ والمسكَ فيه وفروعَ الرِّياحِ وزَنْجبيلا
٢٠ – غَسَلَتْهُ بعد الهُدُوِّ لِحُبٍّ مثلما ريبة ولكن حليلا
٢١ – ماغزالٌ يرعَى الرِّياضَ ويَحْنُو نحو خِشْفٍ إذا أرادَ الْمَقِيلا
٢٢ – إذْ تَبَدَّتْ لنا بأَحْسَنَ منها إذ رَنَتْ رَنْوَةً وطَرفا كَحِيلا
٢٣ – حَبَّذَا إذْ يُقالُ للركبِ سِيرُوا وارْفَعُوهُنَّ يَعْتَلِينَ الثَّقِيلَا
٢٤ – خَالفاتٌ من الخَوالِفِ رخٌّ كانَ فى الأَرْضِ وَقْعُهَا تَحْلِيلَا
٢٥ – مُلْجِمَاتُ الحبالِ أكملُ منها خَلْفَها مُلْقِحُ المِهَارِ فُحُولَا
٢٦ – سَفِهَتْ تَغْلِبُ غَدَاةَ تَمَنَّتْ حَرْبَ بَكْرٍ فَقُتِّلُوا تَقْتِيلَا
٢٧ – غَيْرَ أَنَّا قَدِ احْتَوَيْنَا عَلَيْهِمْ فَتَرَكْنَا لَهُمْ بَقَايا فُلُولَا

---

١٩ – زنجبيل : خمر .

٢٠ – كذا بالأصل .

٢١ – خِشْف : غزال صغير . المقيل : النوم فى نصف النهار .

٢٢ – فى الأصل : إذا وأظنه تصحيف وقد صوبته ليستقيم الوزن .

٢٣ – الثقيلا : يقال : ارتحلوا بثقلهم وأثقالهم وثَقِلَتِهِم .

٢٤ – خالفات : يقال ناقة خَلِفَةٌ وهى التى حملت والجمع خَلِفَات . وناقة مُخْلِفَةٌ : ظُنَّ بها حمل ثم لم يكن . الخوالف : جمع خالف ، وهو الذى لا يشتهى الطعام أو هو الذى لا غناء عنده ولا خير فيه . رُخ : طائر خرافى يضرب به المثل فى السرعة وقد بالغ القدماء فى وصفه . تحليل : من قول العرب ضربه تحليلا إذا لم يبالغ فى ضربه ، والمراد بذلك السرعة وأن أرجلها لا تمس الأرض حتى تسرع فى رفعها لفرط سرعتها ونشاطها . يقول كعب بن زهير فى وصف ناقته (اللامية) :

تخْدِى على يسراتٍ وهْى لاحقةٌ ذوابل وقعهن الأرض تحليلُ

٢٥ – ملجمات الحبال : كذا بالأصل ، ولعلها « الجمال » من قولهم ألجمه أى كفَّهُ والمعنى أنها نوق ليس بها حمل وهى تكف الجمال عن مباشرتها ، ولذا فهى تصلح للأسفار البعيدة وللشدائد ، وهى كذلك لا خير فيها لأنها لا تنتج . ملقح : اسم فاعل من ألقح ، يقال ألقح الفحل الناقة : أحبلها . المهار ، بكسر أوله : أول ما ينتج من الخيل — كذا فى المعجم — ولعله يريد بها هنا مطلق الإناث .

٢٨ – اُذْكُرُوا قَتْلَنَـا الْأَرَاقِـمَ طُرًّا يَوْمَ أَضْحَى كُلَيبُهَا مَقْتُولَا
٢٩ – وقَتَلْنَا عَلَى الثَّنِيـةِ عَمْـرًا وجَلَبْنَـا عَدِيَّهُـمْ مَغْلُـولَا
٣٠ – وعَدِيٌّ طَحَا إلى النَّمْـرِ مِنَّا فأَقَمْنَا للنِّمْـرِ يومًا طَوِيـلَا
٣١ – آل عَمْرٍو قَدِ انْتَقَمْنَا بِضَرْبٍ يَدَعُ الْمُرْدَ حِينَ يَبْدُو كُهُولَا
٣٢ – وَبِطَعْـنٍ لنـا نَوَافِـذَ فيهِمْ كَفُوَاهِ الْمَزَادِ يَرْوِى التَّلِيـلَا
٣٣ – ودَلَفْنَـا إلى تَمِيـمِ بْنِ مُرٍّ بِجُمُوعٍ تَرَى لَهُنَّ رَعِيـلَا
٣٤ – فأَصَبْنَا الـذى أَرَدْنا وَزِدْنَـا فوق أَضْعَافِ ماأَرَدْنا فُضُولَا
٣٥ – ونَصَبْنَا لقَيْسِ عَيْلَانَ حتَّى ماأَرَدْنَـا لِرَبِّهِـمْ تَحوِيـلَا
٣٦ – حِينَ شَدُّوا على الْبَرِيدِ الْعَذَارَى إِذْ رَأَوْنَـا قَبَائِـلًا وَخُيُـولَا
٣٧ – فى بياضِ الصَّبَاحِ يُبْدِينَ شُعْثًا كَسَعَالٍ تُبَادِرُ الصَّرَّ ، عِيلَا

---

٢٩ – جلبنا : أخذنا . مغلولا : مقيدا بالأغلال . عديهم : عدى هو المهلهل .

٣٠ – طحا : بَعُد .

٣١ – المرد : جمع أمرد وهو الشاب الذى طَرَّ شاربُه ولم تنبت لحيته .

٣٢ – فى الأصل : نواقه فيهم ، والتصحيح من شعراء النصرانية . التليلا : الصريع .

٣٣ – الرعيل : هنا بمعنى الطعن من رَعَلَهُ أى طعنه طعنا شديدا .

٣٤ – أى أصابوا ما أرادوا منهم ، وزادوا عليه أضعافا مضاعفة .

٣٥ – ربهم : سيدهم أو كبيرهم . والرب اسم الله تعالى ، ولا يقال الرب فى غير الله إلا بالإضافة ، وهى هنا مضافة إلى ضمير يعود على بنى قيس عَيْلان . تحويل : ارتداد .

٣٦ – شدوا : أوثقوا . البريد : الطريق أو هو المسافة التى بين كل منزلتين من منازل الطريق .

٣٧ – فى شعراء النصرانية : يبدين شقًّا . شعثا : من شَعِثَ رأسه وبدنه : اتَّسخ فهو أشعث وهى شعثاء . كسعالٍ : أى مثل السعالى جمع سعلاة وسعلاء سِعْلَى وهى الغول . الصَّرّ : الصياح الشديد . عيلا : من عيل صبره أى نفد .

٣٨ – فَسَلُوا ضَبَّةَ بْنَ كَلْبٍ وَأُوْدًا   تُخْبَرُوا أننا شَفَيْنَا الغَلِيلَا
٣٩ – مِنْهُمُ حين يَصْرُخُونَ بِكَعْبٍ   وبِذُهْلٍ وكان قِدْمًا نَكُولَا
٤٠ – وطَرَدْنا من العراقِ إيادًا   وتَرَكْنا نَصِيبَهُمْ مَرْسُولَا
٤١ – ثم فَرَّقْنا بين عَكٍّ ولَخْمٍ   وحَيَا الأشْعَرِيْنِ غَيْضًا طويلا
٤٢ – ثم أُبْنَا والخَيْلُ تَجْنَبُ شُعْثًا   كالسَّعَالِى عَفَائِفًا وفُحُولا
٤٣ – سَلِسَاتِ القِيادِ كُمْتًا ودُهْمًا   وَوِرادًا تَرى بها تَحْجِيلا
٤٤ – كلُّ قَوْمٍ نُبِيحُهُمْ ، وحِمَانَا   قد مَنَعْناهُ أَنْ يُبَاحَ السَّبِيلَا
٤٥ – وكُلَيْبًا تبكى عليهِ البَواكِي   وحَبِيبٌ هُنَاكَ يَدْعُو العَوِيلَا
٤٦ – واسْأَلُوا كِنْدَةَ المُلُوكَ بِبَكْرٍ   إذْ تركنا سَمِينَهُمْ مَهْزُولَا
٤٧ – وأَسَرْنَا مُلُوكَهُمْ يومَ سِرْنَا   وقَتَلْنَا الرِّجالَ جيلاً فَجِيلا
٤٨ – وأَرَدْنَا لتغلبٍ يومَ سُوءٍ   وقتلناهُمْ قَبِيلًا قَبِيلَا
٤٩ – ونزلنـــا بورداتٍ إليهِمْ   فتولَّوْا ولم يُطِيقُوا النُّزُولا
٥٠ – وتركْنا للخَامِعَاتِ شَبَابًا   جَزَرًا تَعْتَفِيهِمُ وكُهُولَا

---

٣٩ – نكولا : جبانا .

٤٠ – النصيب : الحوض ، أو الحظ من كل شيء . مرسولا : مهملا بعد رحيل أصحابه .

٤١ – فى الأصل : ثم فَرَّقْن ، وأظنه خطأ مطبعى والصواب ما ذكرناه ؛ إذ المجال مجال فخر بالقبيلة « طردنا ... وتركنا ... » حيا : الحيا هو الماء أو الخصب . غيض : فى الأصل غيضا ، أى نقص ، قال تعالى : ﴿ وغيض الماء ﴾ .

٤٢ – تجْنَبُ : تتلوى من شدة العطش . عفائف : خيِّرات .

٤٣ – كمتا : خيل لونها بين الأسود والأحمر . دهم : سوداء . التحجيل : البياض فى قوائم الفرس .

٤٨ – فى الأصل : وأمرنا ، والتصحيح من شعراء النصرانية ، وفيه أيضا : وقتلنا منهم قبيلا .

٤٩ – واردات : يوم من أيام حرب البسوس .

٥٠ – الخامعات : إناث الضباع ، جمع خامعة ، قيل سميت بذلك لأنها تَخْمَعُ أى تعرج فى مشيها . تعتفيهم : تأكلهم أكلا .

(١٢١)

وقال الحارِثُ بنُ عُبَادٍ أيضا

(البحر الكامل)

١ – حَيِّ المنازِلَ أقْفَرَتْ بسِهَامِ
وعَفَتْ مَعالِمُها بجَنْبِ بِرَامِ
٢ – جَرَّت عليها الرَّامِسَاتُ ذُيُولَها
وسِجَالَ كُلِّ مُجَلْجِلٍ سَجَّام
٣ – أقْوَتْ وقَدْ كانَتْ تَحُلُّ بِجَوِّهَا
حُورُ المَدامِع من ظِباءِ الشَّامِ
٤ – وبِمِعْصَمٍ عَبْلٍ وعَيْنَىْ جُؤْذَرٍ
وَمُفَلَّجٍ حَسَنٍ وحُسْنِ قَوامِ

---

١٢١ – جو الأبيات : من أشعاره فى حرب البسوس بدأها بمقدمة طللية ثم انتقل إلى الفخر والفروسية .

التخريج : كتاب بكر وتغلب ص ٧٤ ، ٧٥ وشعراء النصرانية ١/٢٧٨ ، ٢٧٩ .

الشرح :

٢ – الرامسات : جمع رامسة (ج . روامس) وهى الريح التى تثير التراب وتدفن الآثار . سِجال : جمع سَجْل وهو الدلو العظيمة المملوءة ، يكنى بها عن المطر الغزير .

مجلجل : له صوت قوى . سَجَّام : دائم المطر ، من قولهم : أسجمت السحابة : دام مطرها .

٤ – عبل : تام الخَلْق ، والعَبْل أيضا الضخم من كل شىء .

٥ - وَرَوَادِنٍ مِثْلِ النَّقَا مَجْدُولَةٍ
وبِفَاحِمٍ جَثْلِ النَّبَاتِ سُخَامِ
٦ - تَركَتْكَ يَوْمَ تَعَرَّضَتْ لَكَ باللِّوَا
دَنِفًا تُعَالِجُ لَوْعَةَ الأَسْقَامِ
٧ - إنَّ الأَرَاقِمَ أَصْبَحَتْ مَسْئُولَةً
بِقَرارَةٍ لِمَوَاطِئ الأَقْدَامِ
٨ - لا تَحْسَبَنَّ إذا هَمَمْتَ بِحَرْبِنا
أَنَّا لَدَى الهَيْجَاءِ غَيْرَ كِرَامِ
٩ - ولَقَدْ عَلِمْتَ وأَنْتَ فِينَا شَاهِدٌ
وسُيُوفُنَا تَفْرِي فُرُوعَ الْهَامِ
١٠ - إنَّا لَنَمْنَعُ بالطِّعَانِ دِيارَنا
والضَّرْبُ تَحْسَبُهُ شِهابَ ضِرَامِ
١١ - فَوْقَ الجِيَادِ شَوَاخِصًا أَبْصَارُهَا
تَعْدُو بُكَلِّ مُهَنَّدٍ صَمْصَامِ
١٢ - ولقد نَكَأْتُكَ نَكْأَةً مشهورةً
تَرَكَتْكَ مُنْحَسِفًا لدى الأقوامِ

---

٥ - النقا : المرتفع من الرمل اللين يشبه به عَجُز المرأة . مجدولة : تامة الخَلْق حسنته .

بفاحم : بشعر أسود . جثل : كثيف . سُحام : أسود ويمكن أن تكون سُخام ، بالخاء : أى ليِّن .

٦ - دنِفًا : مريضا أشْفَيْتَ على الهلاك .

١١ - صمصام : سيف باتر لاينثنى .

١٢ - نكأتك : من نكأ القَرْحَة نَكْئًا : قَشَّرها قبل أن تبرأ فنديت ، ونكأ العدو=

١٣ – ولقد أسَرْتُكَ ثم عُدْتَ بنعْمَةٍ
لو كنتَ تشكُرُ لى بها إنْعَامِى
١٤ – ضَمِنَتْ لنا أرْماحُنا وسُيُوفُنا
بِهلَاكِ تَغْلِبَ آخِرَ الأَيَّامِ
١٥ – فلأتْرُكَنَّ لِتَغْلِبَ ابْنَةِ وائِلٍ
بَعْدَ الْكَرَى شُغْلًا بِغَيْرِ مَنَامِ
١٦ – أَقْصَدْتُكُمْ لما قَصَدْتُ إلَيْكُمُ
فافْخَرْ بطَعْنَةِ رُمْحِهِ القَصَّامِ
١٧ – وإذَا الكِرامُ تَذَاكَرَتْ أَيَّامَها
كنتمْ على الأيامِ غَيْرَ كِرَامِ
١٨ – فاسْأَلْ لِكِنْدَةَ حِينَ أقْبَلَ جَمْعُهَا
حَوْلَ ابْنِ كَبْشَةَ وابْنِ أُمِّ قَطَامِ
١٩ – مَلِكَانِ قَدْ قادَا الجُيُوشَ وأَثْخَنَا
بالقَتْلِ كُلَّ مُتَوَّجٍ قَمْقَامِ
٢٠ – رَجَعَا وقَدْ نَسِيَا الذى قَصَدَا له
والخَيْلُ تُقْرَعُ مِثْلَ سَيْلٍ عَرَامِ

= جرحه وقتله ، وليس المراد هنا القتل ، بل يراد ما ألحقه الحارث بن عباد بالمهلهل من ذل وعار حين أسره يوم تحلاق اللمم ، ثم جز ناصيته وأطلق سراحه على نحو ما هو مفصل فى موضعه من هذا الكتاب . منخسفا : فى الأصل بالحاء المهملة وأظنه تصحيف . يقال خَسَفَ فلانا : أذله وحمله على ما يكره .

١٦ – أقصدتكم : طعنتكم فأصابتكم طعنتى .

١٩ – قمقام : سيد جامع للسيادة فى قومه .

٢١ - وجَرَى النَّعَامُ عَلَى الفَلاةِ جَوافِلًا
تَسْقِى الرِّجَالَ بِوَارِدِ الأعْظَامِ
٢٢ - وَوَجَدْتَ ثَمَّ حُلُومَنَا عادِيَةً
وكأنَّ أعْدَانا بلا أحْلامِ
٢٣ - أَفَبَعْدَ مَقْتَلِكُمْ بُجَيْرًا عُنْوَةً
تَرْجُون وُدًّا آخِرَ الأيامِ ؟
٢٤ - كَلَّا ورَبِّ الرَّاقِصَاتِ إلى مِنًى
كَلَّا وَرَبِّ الحِلِّ والإحْرام
٢٥ - حَتَّى تُقِيدُونا النُّفوسَ بِقَتْلِهِ
ونَرُومَ في الشَّحْنَاءِ كُلَّ مَرَامِ
٢٦ - وتَجُولَ مضناةُ الخُدُورِ حَواسِرًا
يَبْكِينَ كلَّ مُغَاوِرٍ ضِرْغَامِ

---

٢١ - جوافلا : نافرة شاردة . وارد الأعظام : كذا بالأصل وفى شعراء النصرانية « بوادر ... » .

٢٢ - حُلوم : جمع حِلم وهو الأناة والعقل . عادية : عريقة .

٢٦ - مضناة : يقال ضَنَتِ المرأة ضَنْوًا وضَنًا أى كثر نسلها .

(١٢٢)

وقال الحارثُ بْنُ عُبَاد أيضا

(البحر الخفيف)

١ – لَهْفَ نفسِي على عَدِيٍّ ولَمْ أَعْـ
ـرِفْ عَدِيًّا إذْ أمْكَنَتْنِى اليَدانِ

٢ – فارسٌ يضربُ الكتيبةَ بالسَّيْـ
ـفِ وتَسْمُـو أمامَـهُ العَيْنَـانِ

٣ – طُلَّ مَنْ طُلَّ فى الحُروبِ ولَمْ يُطْـ
ـلَلْ قتيـلٌ أَباتَـهُ ابْـنُ أبَـانِ

---

١٢٢ – **جو الأبيات** : فى أحد وقائع بكر وتغلب أسر الحارث بن عباد مهلهلا وهو لا يعرفه – لطول العهد وتمادى الحرب – وقال له : دلنى على المهلهل وأخلِّى عنك . فقال له : عليك العهد بذلك إن دللتك عليه ؟ قال : نعم . قال : فأنا المهلهل . فقال له : دلنى على كفءٍ لبجير . فقال : لا أعلمه إلا امرأ القيس بن أبان . فجز الحارث بن عباد ناصية المهلهل وأطلق سراحه وفاء بوعده . ثم قصد امرأ القيس فشد عليه فقتله ، وقال هذه الأبيات – فيما يروون .

التخريج : كتاب بكر وتغلب ٨٨ والأبيات ١ ، ٣ ، ٢ فى شعراء النصرانية ٢٧٦/١ والأبيات الثلاثة الأولى فى أغانى ساسى ١٤٥/٤ والبيت الأول فى معجم الشعراء ٧٩ والكامل فى التاريخ ٣٢٣/١ .

الشرح :

٢ – فى الأصل : وتسمو أمامه الفتيان ، وما أثبته من شعراء النصرانية تجنبا للإقواء .

٣ – فى الأصل :

ضل من ضل فى الحرب ولم   أثأر يابنى إلا بابن أبان

طل دم القتيل : لم يثأر به ولم تؤخذ ذمته . أباته : كذا بشعراء النصرانية وأظنها « أباثه » بالثاء المثلثة ، أى بحث عنه . والمراد أنه قتل ابن أبان بدم بجير قبل أن يتمكن ابن أبان من الثأر بقتلاه .

٤ – فارسٌ قد أصَابَ مِنَّا أُنَاسًا
كان ثأْرُهُ لو أَنَّ عِلْمِى كَفَانِى
٥ – كم قتيلٍ من الأَرَاقِمِ مَطْلُو
لٌ وميِّتٍ عن وَجْهِهِ صَدْيَانِ
٦ – وقديمٍ بكاملِ الكُبْرِ ذو العِزِّ
وذلّ العزيزِ ذو السُّلْطَانِ

---

٤ – وزن الشطر الثانى مضطرب .

٥ – الأراقم : بطون من تغلب هم : جُشَم ، وثعلبة ، ومالك ، والحارث ، ومعاوية ، وعمرو .

٦ – فى الأصل « الكبير » وبه يختل الوزن ورجحت أن يكون « الكبر » بضم الكاف وسكون الباء بمعنى الشرف والرفعة .

(١٢٣)
وقال الحَارِثُ بْنُ عُبَادٍ أيضا

(البحر الكامل)

١ - ونَهَيْتُ جَسَّاسًا لِقاءَ كُلَيْبِهِمْ
خَوْفَ الذى قَدْ كان مِنْ حَدَثانِ

٢ - ولقد أَبَى والبَغْىُ مُهْلِكُ أَهْلَهُ
إلَّا مَنِيَّـةُ بِحدِّ سِنَـانِ

٣ - ونَهَيْتُ بَعْدُ مُهَلْهِلا عَنْ حَرْبِنا
وَزُحُوفِ أقْرانٍ إلى أَقْرانِ

٤ - فأَبَى مُهَلْهِلُ فاسْتُبِيحَ قَرارُهُ
قَسْرا بِكُلِّ أخٍ بقى وطِعَانِ

٥ - وأَقَرَّتِ الفِتْيانُ أنَّ فَتَى الْعُلَا
جَسَّاسُ أضْحكَ رَغْلَةَ الضِّبْعَانِ

٦ - شَبِعَتْ نُسُورُ الجَوِّ من قَتْلاهُمُ
بِحُجُولِها وحَواصِلِ الْغِرْبَانِ

---

١٢٣ - **جو الأبيات** : من أشعاره فى حرب البسوس ، ويدخل الحارث فى موضوعه مباشرة بلا مقدمات ، ويشيد فيها ببسالة جساس بن مرة قاتل كليب بن ربيعة .

التخريج : كتاب بكر وتغلب ١٦٩ ، ١٧٠ .

الشرح :

٣ - زُحُوف : جمع زَحْف مصدر زَحَف ، يقال زَحَفَ العسكر إلى العدو أى مشَوْا إليهم فى ثِقَل لكثرتهم .

٥ - رَغْلة : جماعة قليلة . الضبعان : الذكر من الضِّباع ، والجمع ضَباعين .

٦ - الحجول : جمع حجل ، بكسر أوله أو فتحه وهو الخلخال ، وهذا تهكم على بنى تغلب وتشبيه لفرسانهم بالنساء (ولم نعهد مثل هذا التشبيه فى شعر جاهلى) ... ويمكن أن تكون الكلمة تصحيف لكلمة « بحجالها » أراد بها الشاعر جمع حَجَلَة وهى طائر فى حجم الحمام أحمر المنقار والرجلين ، وإن كان الحجل من الطيور غير الجارحة .

٧ – فَتَرى النُّسُورَ عَوَاكِفًا من حَوْلِهِمْ
تَنْهَشْنَهُمْ وكَواسِرَ العِقْبَانِ

٨ – قتلَ الثَّلاثِين الذين تَعُدُّهُمْ
وأظنُّ قَدْ أُنْبِأْتَهُ الرَّجلانِ

٩ – عَنْ كَرِّ جَسَّاسِ بْنِ مُرَّةَ فيكُمُ
وقديمُهُ أَبْصَرْتَهُ بِبَيَانِ

١٠ – تَرَكَ النِّساءَ على كُلَيْبٍ حُسَّرًا
بالأَمْسِ خارِجَةً عَنِ الأَوْطانِ

١١ – فإذَا بَكَيْتَ على كُلَيْبٍ فَاذْكُرَنْ
قَتْلَ الكُهُولِ ومَصْرَعَ الفِتْيَانِ

١٢ – وأبَا نُوَيْرَةَ لا تَدَعْ تَذْكَارَهُ
فَلَنِعْمَ مَأْوَى الضَّيْفِ والفُرْسَانِ

١٣ – والزَّزْمُ يوم الرزم فاذْكُرْ فِتْيَةً
قُتِلُوا بها بثوابت الكُثبان

---

٧ – العقبان : جمع عُقاب وهو طائر من كواسر الطير قوى المخالب ، له منقار قصير أعقف ، حاد البصر ، وفى المثل : « أبصر من عُقاب » .

١٠ – حُسَّرًا : جمع حاسر ، أى المكشوفة الرأس والذراعين أو التى ألقت عنها ثيابها . يريد أن حزن النساء على كليب أذهب حياءهن فخرجن لا يُبالين .

١٣ – فى الأصل : الردم يوم الردم ... والشطر الثانى كذا بالأصل . الزَّزْم : الموت . الكثبان : جمع الكثيب وهو الرمل المستطيل .

١٤ – لا تنسَ ثَمَّ أَبَا أَنِيسٍ إِذْ ثَوَى
وأبا مُحَلِّمٍ غُرَّةَ الفِتْيانِ

١٥ – لم يَنْكُلُوا تَحْتَ السُّيُوفِ وقد غَدَوْا
من وَقْعِها لِكَواسِرِ العِقْبانِ

١٦ – كانُوا لِجارِهِمُ الحُمَاةَ وشَأْنُهُمْ
ضَرْبُ الكُماةِ بِحَدِّ كُلِّ يَمانِ

١٧ – لا تَنْسَهُمْ إنْ كُنْتَ تَعْرِفُ شَأْنَهُمْ
وازْدَدْ بِهِمْ حُزْنًا إلى أَحْزانِ

١٨ – إنْ كُنْتَ تَحْسَبُ أنْ تُباشِرَ بالقَنَا
فأَبُو نُوَيْرَةَ كانَ غَيْرَ جَبَانِ

١٩ – أَرْدَاهُ جَسَّاسٌ بطَعْنَةِ مِخْطَفٍ
فى الحربِ يرعشُ خَوْفَهُ الركبانُ

٢٠ – وأصابَ جَسَّاسُ بنُ مُرَّةَ وِتْرَهُ
فى موقِفٍ متضايِقِ الأَرْكَانِ

٢١ – فى ساعةٍ وبَقِيتَ تَطْلُبُ جاهِدًا
مالَا تَنَالُ يَدَاكَ مُنذُ زَمانِ

---

١٥ – لم ينكُلوا : لم يجبنوا ولم ينكصوا .

١٩ – مِخْطَف : ما يختطف به الشيء . وطعنة مخطف أى طعنة تخطِفُ الروح فى سرعة . وفى البيت إقواء .

(١٢٤)

قال ذُو الكَفِّ الأَشَلُّ

(البحر الطويل)

١ – أَمِنْ دَعَـةٍ شَهْرَيْـنِ عَضَّ رِبَاطَـهُ ... ونازَعَ أطْرَافَ الجِلالِ المُـزَرَّرِ
٢ – فأَبْشِرْ بِرَبٍّ لا تُعَـرَّى جِيــادُهُ ... وَحَرْبٍ تَلَظى كالحَرِيقِ المُسَعَّرِ

---

١٢٤ – **ترجمته** : ذو الكف الأشل ، واسمه عمرو بن عبد الله بن حُتَيْف بن ثعلبة ابن سعد بن ضبيعة بن قيس بن ثعلبة . يكنى أبا جِلَّان . فارس شاعر جاهلى .

جو البيتين : فى فرسه .

التخريج : معجم الشعراء للمرزبانى ١٤ .

الشرح :

١ – دعة : راحة ولين عيش . عض رباطه : الرباط ما يُربط به ، وعض رباطه أى أصبح مجهودا ، أى هو فرس معود على الحروب لا يرتاح إلا فى غبارها .

الجِلال : الغطاء الذى يصان به الفرس . المزرّر : الذى جُمع عليه جمعا محكما .

(١٢٥)

وقال أيضـا

(البحر الطويل)

١ – حَنِيفَةُ مَهْلًا تنْذِرُونَ دِماءَنَا
عَلَى أنْ تقِيلانا قَتِيلَا بنى أَسَدْ

٢ – ونحنُ مَصادِيرُ الطِّعَانِ إذا دَعَا
ضُبَيْعَةَ دَاعِيها أسِنَّتُها قُصُدْ

٣ – إذَا الْخَيْلُ خَامَتْ واقْشَعَرَّتْ جُلُودُهَا
بِسَيْرٍ فيغْشَاهـا الأسِنَّـــة بالقِـــدَدْ

٤ – سَيَمْنَعُ أُخْرَى الحَـقِّ منكـم فَوارِسٌ
إذا فَزِعُوا لم يَشُدُّوا حِزَمَ البُرَدْ

---

١٢٥ – جو الأبيات : حين توعده بنو حنيفة .

التخريج : معجم الشعراء للمرزباني ١٤ .

الشرح :

٣ – خام الفرس : وَحُم وونئ .

٤ – البرد : جمع بردة : كساء مخطط يلتحف به .

(١٢٦)

قال سَعْدُ بْنُ مالِكٍ

(مجزوء الكامل)

١ – يابُؤْسَ حَرْبُكُمُ التى وَضَعَتْ أَراهِطَ فاسْتَراحُوا
٢ – والحَرْبُ لا يَبْقَى لِصَا جِبِها التَّخَيُّلُ والمِرَاحُ
٣ – إلَّا الفتى الصَّبَّارُ فى الْـ ـوَقَعَاتِ والفَرَسُ الوَقَاحُ
٤ – والنَّثْرَةُ الْـحَصْدَاءُ والْـ ـبَيْضُ المُكَلَّلُ والرِّمَاحُ
٥ – وتَساقَطَ الأَوْشَاظُ والذَّ نَبَاتُ إذْ جُهِدَ الفِضَاحُ
٦ – والقَطْعُ للأَعْنَاقِ والْـ ـأَوْساطِ إذْ جَدَّ المِزاحُ
٧ – والكَرُّ بعد الفَرِّ إذْ كُرِهَ التَّقَدُّمُ والنِّطَاحُ

---

١٢٦ – **ترجمته** : مضت عند حديثنا عن شعراء بكر .

جو القصيدة : قالها فى حرب البسوس ، فخرا وحماسة .

التخريج : كتاب بكر وتغلب ٥٧ عدا الأبيات ٥ ، ٩ ، ١١ وديوان الحماسة ٧٣/٢ الأبيات ١ – ٥ ، ٧ – ٩ ، ٣١ ، ١٢ ، ١٠ ، ١١ والأمالى ٢٦/٣ الأبيات ١ ، ٢٢ ، ١٢ والأغانى ساسى ١٤٦/٤ الأبيات ١ – ٣ وحماسة البحترى ٣٧ الأبيات ٧ ، ١٢ ، ٥ ومعجم الشعراء ١٤ البيت الأول . وشعراء النصرانية ٢٦٤/١ – ٢٦٦ .

الشرح :

١ – ما أبأس الحرب التى حطت أراهط وأذلتهم حتى استسلموا للأعداء وألفوا وضع الحرب وآثروا الراحة . أراهط ورهط واحد . وفى الحماسة : يابُوس للحرب ... .

٣ – أى لا يبقى لملابسة الحرب والصبر على شدائدها إلا الفتى الحسن الثبات ، والفرس الصُّلبة .

٤ – النثرة : الدِّرْع . الحصداء : الجَدْلاء . البَيْض : جمع بَيْضَة وهى الخوذة . المكلل : أى المكلل بالمسامير لتكون أكثر صلابة وتحملا .

٥ – الأوشاظ : جمع وشيظ أى التابع والحليف . الذنبات : التُّبَّاع والأذناب . إذ جهد الفضاح : بُلِغ بالفضيحة جَهْدها .

٧ – النطاح : أى لقاء الفرسان فى ميدان القتال .

٨ – كَشَفَتْ لَهُمْ عن سَاقِها وَبَدَا من الشَّرِّ الصُّرَاحُ
٩ – فالهَمُّ بَيْضَاتُ الخُدُو رِ هُنَاكَ لا النَّعَمُ المِرَاحُ
١٠ – صَبْرًا بنى قَيْسٍ لها حتى تُنِيحُوا أو تُنَاحُوا
١١ – إن المُؤَمَّلَ خَوْفَها يَعْتاقُهُ الأَجَلُ المُتَاحُ
١٢ – فإذا بَدَتْ نِيرَانُهَا فأَنا ابْنُ قَيْسٍ لابَرَاحُ
١٣ – هَيْهَاتَ حَالَ المَوْتُ دُو نَ الفَوْتِ وانْتُضِيَ السِّلاحُ
١٤ – ومشى الكُماةُ إلى الكُمَا ةِ وقَرَّبَ الكبشُ النِّطَاحُ
١٥ – وَبَدَتْ عُقَابُ المَوْتِ يَخْـ ـفُقُ تَحْتَها الأَجَلُ المُتاحُ
١٦ – وَغَدَتْ بَنُو جُشَمِ بْنِ بَكْـ ـرٍ إذْ بَدَا منها الصُّرَاحُ
١٧ – أين الأَراقِمُ حينَ يُدْ نِيها من الموتِ الصُّرَاحُ
١٨ – والخَيْلُ تَعْدُو بالكُمَا ةِ ظُهُورُها شَيْخٌ ملاح
١٩ – مِنَّا ومنهم حين لَا يُنْجِى من المَوْتِ المِرَاحُ
٢٠ – ياليلةً طالتْ عَلَيَّ ياوَيْلَتِى فَمَتَى الصَّبَاحُ

---

٨ – كشفت لهم عن ساقها : كان الرجل قديما إذا أراد أن يمارس أمرا شمر ذيله واستعمل للدلالة على البدء بهمة فى عمل ما ، وقيل : الساق اسم للشدة ، وفسر عليه قوله تعالى : ﴿ يوم يكشف عن ساق ﴾ فقيل : المعنى يوم يكشف عن شدة .

٩ – فالهم : ما يشغل البال . بيضات الخدور : النساء . النَّعم المراح : الإبل المراحة .

١٠ – فى الحماسة : « حتى تريحوا أو تراحوا » .

١٥ – عقاب الموت : شبه الموت بالعقاب ، والعقاب : طائر من كواسر الطير قوى المخالب ، (لفظه مؤنث للذكر والأنثى) .

١٦ – الصُّراح ، بكسر الصاد أو ضمها : الخالص مما يشوبه .

١٨ – شيخ ملاح : كذا بالأصل .

١٩ – المراح : المرح وهو الفرح والنشاط .

٢١ - إنَّـا وإخْوَتَنــا غدًا كَثَمُودِ حِجْرٍ حين طَاحُوا
٢٢ - البَيْضُ لا هُمْ يَنْكِلُو نَ ولا نَفِرٌ ولا تُبَاحُ
٢٣ - أولادُ ثعلبــةَ الأغــرِّ وتغْلِبَ النُّجُبُ الصِّبَاحُ
٢٤ - أفبَعْدَهُـمْ أو بَعْدَنَــا أَنْشَى فَلا جَرَتِ الْقِدَاحُ
٢٥ - أبْلِغْ لُجَيْمًا إذْ نَأَتْ لا تَتْرُكُ الحَرْبُ المُطَاحُ
٢٦ - لَوْ أنتُـمُ أَلْجَمْتُــمُ ما شَقَّ سَيْلَكُمُ المِلَاحُ
٢٧ - حتـى تَضَرَّج حَوْلَـهُ أوتُكْسَرَ الأسَلُ الصِّحَاحُ
٢٨ - ويكـون بينهمـا بنــا طَعْنُ الأسِنَّةِ والرِّمـاحُ
٢٩ - كَيْفَ الحَيَاةُ إذَا خَلَتْ مِنَّا الظَّوَاهِـرُ والبِطَـاحُ

---

٢١ - طاحوا : هلكوا ، وأطاحه : أهلكه .

٢٢ - البَيْض : أى النساء . ينكلون : يخفْن أو يبتعدن عن فرسان القبيلة خشية السَّبى . لا تُباح : لا تُستباح .

٢٣ - الصِّباح : جمع صبيح وهو الجميل مشرق الوجه .

٢٤ - فى الأصل « انشى ولا جرت ... » وأظنه خطأ مطبعى والتصويب لى . أنشى : أسْكَر أول السُّكْر ، أو أحب السُّكر وأعاوده ، أو أجد نشوة . القداح : أوانى للشراب كالكئوس .

٢٥ - فى الأصل : « لا تترك ... » وأظنه تصحيف أو خطأ مطبعى ورجحت ما أثبته .

المطاح : معناه هنا : المتجنب حرب قومه مع آخرين . من قولهم أطاحه أى أبعده أو أهلكه ، ويمكن توجه المعنى إلى أنه جعلهم هَلْكَى معنويا بابتعادهم وسيهلكون ماديا من بعد .

٢٦ - ألجمتم : اشتركتم معنا فى الحرب ، من قولهم ألجم الدابة إذا ألبسها اللجام . شق : صدع . سيلكم : كذا بالأصل ويجوز أن تكون سهلكم أى أرضكم التى تنزلون بها . الملاح ، بكسر الميم : سنان الرمح .

٢٧ - تضرح : تلطخ بالدماء . الأسَل : شوك طويل وتسمى به الرماح (على التشبيه) .

٣٠ - [أَيْنَ الأعِزَّةُ والأسِـ ـنَّةُ عند ذلك والسمَاحُ]
٣٠ - بِئْسَ الخَلَائِقُ بَعْدَنَا أَوْلادُ يَشْكُرَ واللِّقَاحُ
٣١ - والموتُ أَهْوَنُ مَوْطِنًا من أن يَسِيحُوا حيثُ سَاحُوا
٣٢ - ردوا الجموعَ على الجُمُـ ـوعِ كأنَّها اللُّجَجُ المِلاحُ

---

٣٠ - السِّماح : جمع السَّمْح وهو الكريم السخى .

٣٠ - الخلائق : جمع الخليقة أى الناس . وفى الحماسة « بئس الخلائف ... » جعل الشاعر أولاد يشكر كاللقاح - بكسر اللام - وهى الإبل . على سبيل التهكم إذ يسوى بين بنى يشكر والإبل ، فكل منهما لا يستطيع الدفاع عن نفسه وهو لمن غلب . وإذا كانت اللقاح بفتح اللام فهو يعنى بنى حنيفة ، والمعنى حينئذ بئس الناس بعدنا بنو يشكر وبنو حنيفة .

٣١ - يسيحوا : يصيروا من قولهم ساح الماء : جرى على وجه الأرض .

٣٢ - اللجج : جمع اللجّة وهى معظم البحر وتردد أمواجه ، ويقال : كأن عيشه لجّة : شديد السواد .

(١٢٧)

وقال سَعْدُ بْنُ مَالِكٍ أيضا

(البحر السريع)

١ - إنَّ لُجَيْمًا قَدْ أَبَتْ كُلُّها ... أَنْ يَرْفِدُونَا رَجُلًا واحِدَا
٢ - وَيَشْكُرٌ أَضْحَتْ على نَأْيِها ... لَمْ تَسْمَعِ الآنَ لها حَامِدَا
٣ - ولا بَنُو ذُهْلٍ وقَدْ أَصْبَحُوا ... بها حُلُولًا خُلُقًا ماجِدَا
٤ - القائِدِى الخَيْلَ لأَرْضِ العِدَا ... والضَّارِبِينَ الكَوْكَبَ الوَاقِدَا

---

١٢٧ - جو الأبيات : يعرِّض ببنى لجيم وبنى يشكر البكريين ، وكانوا قد تخلفوا عن الاشتراك فى حرب البسوس .

التخريج : الأغانى ساسى ١٤٦/٤ وشعراء النصرانية ٢٦٦/١ والأمالى ٢٦/٢ البيتان ١ ، ٢ .

الشرح :

١ - لجيم : هم بنو حنيفة وبنو عِجْل من بكر . يرفدونا : من رفده أى أعطاه وأمده ، والمراد أنهم رفضوا معاونة سائر بطون بكر فى حربها ضد تغلب .

٢ - حلولا : نازلين . ماجد : شريف خَيِّر .

٤ - الواقد : المشتعل .

(١٢٨)

وقال سَعْدُ بنُ مَالِكٍ

(بحر المتقارب)

١ – ألا قُلْ لِمَنْ تَزْدَرِيهِ الحُرُوبْ ... تَنَحَّ وخَلٍّ لها دَارَها
٢ – فإنَّا نَخَالُكَ لا تستطيعْ ... مِرَاسَ الحُرُوبِ وإمْرارَها
٣ – وإنّا سَنَكْفِيكَ رَيْبَ المَنُونْ ... لَدَى الحَرْبِ يوما وأَوْطَارَها
٤ – بِفِتْيَانِ حَرْبٍ صَدُوقِ اللِّقا ... يقُومون فى الحَرْبِ أصفارها
٥ – إذا هَاجَتِ الحربُ هَاجُوا لَها ... بحربٍ يُخَيِّبُ مَنْ زَارَها
٦ – تُعَادِى بِهِمْ مُخْطَفاتِ البُطُونْ ... يُطِيلُونَ فى الحَرْبِ تَكْرارَها
٧ – يَقُودُونَها مِنْ جِبَالَاتِهِمْ ... وَيَصْلُون يوم الوَغَى نارَها

---

١٢٨ – **جو الأبيات** : من أشعاره فى حرب البسوس .

التخريج : كتاب بكر وتغلب ٥٩ .

الشرح :

١ – تزدريه : تحتقره .

٢ – مراس الحروب : خوض غمارها ، إمرارها : من قولهم أمرَّ الأمر أى أحكمه ، وأمر فلانا : ضرب عنقه ليصرعه .

٣ – أوطارها : حوائجها .

٤ – فى الأصل : « صدق ... » . فى الحرب أصغارها : كذا بالأصل .

٦ – مخطفات البطون : كذا بالأصل ومُخْطَف البطن : مُنْطويه .

٧ – جِبالاتهم : من قولهم حَبَل الصيد أى نصب له الحبالة وصاده بها .

(١٢٩)

وقال سَعْدُ بْنُ مالِكٍ

(البحر الطويل)

١ – قَرَعْتُ العَصا حتى تَبَيَّنَ صاحِبى
وَلَمْ تَكُ لولا ذاك للقومِ تُقْرَعُ
٢ – فقال رأيتُ الأرضَ ليستْ بِمُمْحِلٍ
ولا سارِحٌ منها على الرَّعْيِ يَشْبَعُ
٣ – سَواءٌ فلا جَدْبٌ فَيُعْرَفَ جَدْبُها
ولا صَابَها غَيْثٌ غَزِيرٌ فَتُمْرِعُ
٤ – فَنَجَّى بها حَوْبَاءَ نفسٍ كريمةٍ
وقَدْ كَادَ لَوْلَا ذَاكَ فِيهِمْ يُقَطَّعُ

---

١٢٩ – جو الأبيات : فيما كان بينه وبين بعض أصحابه .

التخريج : شرح ديوان الحماسة للتبريزى ٢٠٣/١ .

الشرح :

١ – قرعت العصا : ضربت شيئا صلبا لأنبه صاحبى ، وقرع العصا يكون من الأعلى إلى الأدنى ، يقال : « فلان لا تُقْرع له العصا ، ولا يقعقع له بالشِّنان » .

٢ – أمحل المكان أى أجدب ، ولم يقولوا مُمْحِل إلا فى الشعر (المعجم الوسيط) . السارح : الماشية .

٣ – مَرِع المكان : أخصب بكثرة الكلإ .

٤ – الحوباء : النفس أو الحاجة أو الهم أو الحالة . تقطَّع الأمر بينهم : تفرقوا ، وتقطَّع الشىء : تفرقت أجزاؤه .

(١٣٠)

وقال سَعْدُ بْنُ مالِكٍ

(البحر الطويل)

١ – أحَارِثُ مَنْ ذَا بَعْدَ بكرِ بْنِ وائِلٍ
يُرَجَّى ومَنْ ذَا بَعْدَ سَعْدِ بْنِ مالِكِ

٢ – فلا حُجِبَتْ مِنْ بَعْدِنَا ذَاتُ مُهْجَةٍ
ولا حَمَلَتْ أُنْثَى لِفَحْلٍ مُشَارِكِ

٣ – وَياحَارُ كَمْ مِنْ سَيِّدٍ وابنِ سَيِّدٍ
إذَا ما التَقَيْنَا يُعْتَلَى بالسَّنابِكِ

٤ – وياحارُ كَمْ من ماجِدٍ سوف تَلْتقي
عليه ذيولُ العاصفاتِ الشوارِكِ

٥ – فَإِنْ تَكُ ذُهْلٌ قد أتتْ بِعَظِيمَةٍ
فإنى لها جَارٌ ولستُ بِتَارِكِ

---

١٣٠ – **جو الأبيات** : يخاطب بها الحارث بن عُباد ويفتخر بنفسه .

التخريج : كتاب بكر وتغلب ٥٩ .

الشرح :

١ – فى الأصل : « من ذلك بعد بكر » وأظنه خطأ مطبعى . يُرَجَّى : يُؤَمَّل .

٣ – السَّنابك : جمع السُّنْبُك وهو طرف الحافر .

٥ – ذهل : هم بنو ذهل بن شيبان من بكر .

(١٣١)

وقال سَعْدُ بْنُ مالكٍ

(البحر الطويل)

١ - ونَحْنُ قَهَرْنا تَغْلِبَ ابنةَ وائلٍ
بِقَتْلِ كُلَيْبٍ إذْ طَغَى وتَخَيَّلا

٢ - أبَأْناهُ بالنَّابِ التى شَقَّ ضَرْعَها
فأَصْبَحَ مَوْطُوءَ الْحِمَى مُتَذَلَّلا

٣ - ومِنَّا الذى فادَى مِنَ الْقَوْمِ رَأْسَهُ
بِمُسْتَلْئِمٍ مِنْ جَمْعِهِمْ غَيْرِ أَعْزَلا

٤ - فَأَدَّى إلينا بَزَّهُ وسِلاَحَهُ
ومُنْفَصِلاً مِنْ عُنْقِهِ قَدْ تَزَمَّلا

٥ - ومِنَّا الذى سَدَّ الثَّنِيَّةِ غُدْوَةً
عَلَى حَلْقَةٍ لَمْ يُبْقِ فيها تَحَلُّلا

---

١٣١ - جو الأبيات : فى الفخر بقومه بعد موقعه انتصروا فيها على تغلب .

التخريج : شعراء النصرانية ٢٦٧ .

الشرح :

٣ - يشير إلى جَحْدَرِ بْنِ ضُبَيْعَةَ حين رفض أن يحلق شعر رأسه يوم تحلاق اللمم ، فقتله نساء قومه على ظن منهن أنه من جرحى الأعداء . أعزل : ممنوعة من الصرف والألف للإطلاق .

٥ - يشير إلى أخيه عوف المعروف بالبُرَك ، وهو عوف بن مالك بن ضبيعة حين ضرب عرقوبى الناقة - أو البعيرين - فى أحد أيام بكر وتغلب ثم نادى : أنا البُرَك أبرك حيث أدرك ، ثم انتضى سيفه ، وقال والله لا يمر بى رجل من بكر بن وائل منهزما إلا ضربته بالسيف ، أفى كل يوم فرار وعار ؟ » وقال فى ذلك :

سددت كما سدَّ بيض طريقهُ فلم يجدوا فرط الثنية مطلعا

٦ – بِجَهْدِ يَمِينِ اللهِ لا يَطْلُعُونَها
وَلَمَّا نُقاتِلْ جَمْعَهُمْ حِينَ أَسْهَلَا
٧ – وصَدَّتْ لُجَيْمٌ لِلْبَرَاءَةِ إِذْ رَأَتْ
أَهَاضِيبَ مَوْتٍ تُمْطِرُ الموتَ مُعْضِلَا
٨ – ويَشْكُرُ قَدْ مالَتْ قديما وأَرْتَعَتْ
ومَنَّتْ بِقُرْبَاهَا إِلَيهِمْ لِتُوصَلَا
٩ – تَرَكْنَا حُبَيًّا يَوْمَ أَرْجَفَ جَمْعُهُ
صَرِيعًا بأَعْلَى وارِدَاتٍ مُجَنْدَلَا

(١٣٢)

قال عَمْرُو بْنُ شَراحِيلَ

(البحر الطويل)

١ – أَلَا أَبْلِغَا عَنِّى لَقِيطًا رِسَالَةً فما أَنْتَ أَمْ ماذِكْرُكَ اليومَ أَشْيَمَا
٢ – وأُقْسِمُ لَوْ لَاقَيْتُهُ غَيْرَ مُحْرِمٍ لَأَلْحَقَكَ الماضِى أُخَيَّكَ عَلْقَمَا
٣ – رَماهُ بِسَهْمٍ صائِبٍ ثُمَّ حَشَّهُ بِنَجْلَاءَ حتى بلَّ لِحْيَتَهُ دَمَا
٤ – فإن تَأْتِنا نَقْرُبْكَ غَيْرَ مُعَرِّدٍ سِنَانًا كَنِبْرَاسِ التِّهامِىِّ لَهْذَمَا

---

١٣٢ – **ترجمته** : هو عَمْرُو بنُ شَراحِيلَ ، أخو بنى عوف بن مالك بن سعد بن قيس ابن ثعلبة ، أخو أشيم بن شراحيل (معجم الشعراء) .

جو الأبيات : قتلت أشيمَ بنو تميم بعلقمة بن زرارة ، وقال لقيط بن زرارة :

إن يقتلوا منا كريمًا فإننا أَبَأْنَا به مأوى الصَّعاليك أَشْيَما

فأجابه عمرو بن شراحيل بهذه الأبيات .

التخريج : معجم الشعراء ٣٨ .

١ – أشيم : أخو الشاعر .

٢ – الماضى : السيف .

(١٣٣)

قال عَمْرُو بْنُ مَرْثَدٍ

(البحر الوافر)

١ - لَعَمْرُ أَبِيكَ ما مالِى بِنُحْلٍ ولا طَهْفٍ يَطِيرُ بِهِ الغُبَارُ

---

١٣٣ - ترجمته : هو عمرو بن مرثد بن سعد بن مالك بن ضبيعة بن قيس بن ثعلبة . وهو المشهور بكرم الأولاد السادة الفرسان ، وفيه يقول طرفة بن العبد :

فلَوْ شاءَ ربِّى كنتُ قَيْسَ بْنَ خالِدٍ
ولَوْ شاءَ ربِّى كنتُ عَمْرُو بْنَ مَرْثَدِ
فأَصْبَحْتُ ذا مالٍ كثيرٍ وعادَنِى
بَنُــــــــونَ كِرامٌ سَادَةٌ لِمُسَوَّدِ

جو البيت : فى الفخر .

التخريج : معجم الشعراء ١٤ .

الشرح : الطهف : التبن .

(١٣٤)

وقال أيضا

(البحر الطويل)

١ - أَتَاهَا من الأَنْبَاءِ أَنَّ ابْنَ جَعْفَرٍ
رَبِيعَةَ لَمْ يَحْضَرْ حُضَارَةَ مُلْبِدِ

٢ - أَجَادَتْ بِهِ إِحْدَى غَنِيٍّ لجعفرٍ
إذا طَرَقَتْ إِحْدَى اللَّيَالِي بِمِرْبَدِ

---

١٣٤ - جو البيتين : يمدح فيها الأحوص بن جعفر بن كِلاب العامرى ، واسم الأحوص ربيعة (معجم الشعراء) .

التخريج : معجم الشعراء ١٤ .

(١٣٥)

قال قيس بن ثعلبة

(البحر الطويل)

١ - دَعَوْتُ بَنِى قَيْسٍ إلَىَّ فَشَمَّرَتْ
خَناذِيذُ مِنْ سَعْدٍ طِوالُ السَّواعِدِ
٢ - إذا ماقُلُوبُ القَوْمِ طارَتْ مَخَافَةً
مِنَ المَوْتِ أَرْسَوْا بالنفوسِ المَواجِدِ
٣ - إذَا جَمَحَتْ حربٌ بِهِمْ جَمَحُوا لها
ولَمْ يُقْصِرُوا دُونَ الْمَدَى المُتَباعِدِ

---

١٣٥ - ترجمته : هو قَيْسُ بن ثَعْلَبَةَ . وثعلبة هو الحِصْنُ بن عُكَابَةَ بن صَعْبِ بْن عليّ بن بكرِ بن وائلٍ .

جو الأبيات : فى الفخر .

التخريج : معجم الشعراء ٢٠٠ .

الشرح :

١ - خناذيذ : جمع خنذيذ وهو الخطيب المفوه ، والسيد الحليم ، والشجاع الذى لا يُهْتَدَى أين يُؤْتَى لقتاله ، والسَّخيّ التام السخاء .

(١٣٦)

المُرَقِّشُ الأصْغَرُ

(البحر الطويل)

١ – أَمِنْ رَسْمِ دارٍ ماءُ عَيْنَيْكَ يَسْفَحُ
غَدَا مِنْ مُقَامٍ أَهْلُهُ وتَرَوَّحُوا

٢ – تُزَجِّى بها خُنْسُ الظِّباءِ سِخَالَها
جَآذِرُها بالجَوِّ وَرْدٌ وأَصْبَحُ

٣ – أَمِنْ بِنْتِ عَجْلَانَ الخَيالُ المُطَرَّحُ
أَلَمَّ ورَحْلِى سَاقِطٌ مُتَزَحْزِحُ

٤ – فلما انْتَبَهْتُ بالخَيالِ ورَاعَنِى
إذا هُوَ رَحْلِى والبِلَادُ تَوَضَّحُ

---

١٣٦ – ترجمنا له فى الفصل الرابع .

جو القصيدة : فى الغزل والفخر .

التخريج : المفضلية ٥٥ .

الشرح :

١ – تروحوا : ساروا فى الرواح ، وهو من زوال الشمس إلى الليل .

٢ – تزجى : تسوق سوقا ضعيفا . الخنس : جمع خَنْساء ، من الخنس ، بفتحتين ، وهو قصر الأنف ولزوقه بالوجه . سخالها : أولادها .

الجآذر : جمع جؤذر ، بضم الذال وفتحها ، وهو ولد البقر ، أى جآذر الدار . الورد : الذى تعلوه حمرة . والأصبح أشد حمرة منه .

٣ – بنت عجلان : هى هند بنت عجلان جارية فاطمة بنت المنذر . المطرح : الذى يطرح نفسه من مكان بعيد ، أى يلقيها . متزحزح : متباعد .

٤ – إذا هو رحلى : يريد أنه رأى الخيال فى نومه ، فلما انتبه لم يجد إلا رحله . توضح : تتوضح ، أى تظهر ، يريد أنها خالية .

٥ – ولكنَّهُ زَوْرٌ يُيَقِّظُ نائِمًا
وَيُحْدِثُ أَشْجَانًا بقَلْبِكَ تَجْرَحُ
٦ – بكلِّ مَبِيتٍ يَعْتَرِينا ومَنْزِلٍ
فلو أنَّها إذْ تُدْلِجُ اللَّيْلَ تُصْبحُ
٧ – فَوَلَّتْ وقد بَثَّتْ بَتارِيحَ ماتَرَى
وَوَجْدِى بها إذْ تَحْدُرُ الدَّمْعَ أَبْرَحُ
٨ – وماقَهْوَةٌ صَهْبَاءُ كالمِسْكِ رِيحُها
تُعَلَّى على النَّاجُودِ طَوْرًا وتُقْدَحُ
٩ – ثَوَتْ فى سِبَاءِ الدَّنِّ عشرينَ حِجَّةً
يُطَانُ عليها قَرْمَدٌ وتُرَوَّحُ
١٠ – سَبَاها رِجَالٌ مِنْ يَهُودٍ تَباعَدُوا
لِجِيلانَ يُدْنِيها مِنَ السُّوقِ مُرْبِحُ

---

٥ – الزور : الزائر .

٦ – يعترينا : يصير إلينا ، يعنى الخيال . تدلج : تسير ليلا . أى ليتها إذا زارنا خيالها بقى إلى الصباح .

٧ – بثت : فرقت . التباريح : الشدة . أبرح : أفعل تفضيل ، من البرح وهو الشدة .

٨ – القهوة : الخمر . الصهباء : الشقراء أو الحمراء . تعلى : ترتفع . الناجود : المصفاة . تقدح : تغرف بالقدح .

٩ – ثوت : أقامت . فى سباء الدن : فى أسره وحصاره ، احتواها كأنها سبى . يطان : يجعل عليها الطين . القرمد : طين يطلى على رأس الدن . تروح : تخرج إلى الريح وتبرد .

١٠ – السباء : اشتراء الخمر ، مهموز . جيلان ، بالكسر : بلد من بلاد العجم .

١١ - بأَطْيَبَ مِنْ فِيها إذَا جِئْتُ طارقًا
من الليلِ ، بَلْ فُوها أَلَذُّ وأَنْصَحُ

١٢ - غَدَوْنا بِصَافٍ كالعَسِيبِ مُجَلَّلٍ
طويناهُ حِينًا فهو شِزْبٌ مُلَوَّحُ

١٣ - أَسِيلٌ نَبِيلٌ ليس فيه مَعَابَةٌ
كُمَيْتٌ كَلَوْنِ الصِّرْفِ أَرْجَلُ أَقْرَحُ

١٤ - على مِثْلِهِ آتِى النَّدِىَّ مُخَايِلًا
وَأَغْمِزُ سِرًّا : أَىُّ أَمْرَىَّ أَرْبَحُ

١٥ - وَيسْبِقُ مَطْرُودًا وَيلْحَقُ طارِدًا
وَيَخْرُجُ مِنْ غَمِّ المَضِيقِ وَيَجْرَحُ

---

١١ - أى ما هذه القهوة بأطيب من فيها . أنصح : أخلص وأطيب .

١٢ - أى غدونا للصيد بفرس صافى اللون . العسيب : طرف السعفة ، شبهه به فى ضمره وجدله . مجلل : عليه الجلال ، وهو جمع جُل بضم الجيم وفتحها ، وهو ما تلبسه الدابة لتصان به ، طويناه : ضمرناه . الشزب : الضامر . الملوح : الشديد الضمور .

١٣ - الأسيل : الأملس المستوى . الصرف : صبغ أحمر يصبغ به الجلود . أرجل : محجل بثلاث قوائم مطلق بواحدة . وهذا المعنى لم يذكر فى المعاجم ، بل ذكر مقابله . أقرح : ذو قرحة ، وهى بياض فى الوجه مثل الدرهم ، فإذا كبرت فهى غرة .

١٤ - الندى والنادى : المجلس . المخايل : المفاعل من الخيلاء . أىُّ أمرىَّ : يريد النجاء أو الطلب .

١٥ - من غم المضيق : إذا ضاق عليه الأمر فى السبق خرج منه . يجرح : يكسب ويصيد .

١٦ – تَراهُ بِشِكَّاتِ المُدَجَّجِ بعدما
تَقَطَّعَ أَقْرانُ المُغِيرَةِ يَجْمَحُ

١٧ – شَهِدْتُ به فى غَارةٍ مُسْبَطِرَّةٍ
يُطاعِنُ أُولَاها فِئامٌ مُصَبَّحُ

١٨ – كما انْتَفَجَتْ من الظِّباءِ جِدَايَةٌ
أَشَمُّ ، إذا ذَكَّرْتَهُ الشَّدَّ أَفْيَحُ

١٩ – يَجُمُّ جُمُومَ الحِسْيِ جَاشَ مَضِيقُهُ
وَجَرَّدَهُ من تَحْتُ غَيْلٌ وَأَبْطَحُ

---

١٦ – الشكات : جمع شكة ، وهى السلاح . المدجج ، بكسر الجيم ، ويجوز فتحها : اللابس السلاح كله . يقول : ترى هذا الفرس بعد ما يغيرون عليه ، وبعد ما يتصرم أمرهم ، فالفرس فى ذلك الوقت يجمح لنشاطه .

١٧ – المسبطرة : الممتدة الطويلة . الفئام : الجماعة ، لا واحد له من لفظه . المصبح : المغار عليه فى الصبح .

١٨ – انتفجت : خرجت ثائرة . الجداية : الشاب من الظباء . يقول : نشاط هذا الفرس وحدته كحدة جداية . أشم : طويل . أفيح : بعيد ما بين الخطوتين . يريد أنه واسع الجرى إذا ذكّر به عند وقته .

١٩ – يجم : يجتمع شده ، وكذلك جموم الماء . الحسى : رمل على صلد يستقر الماء فى أسفله ، فإذا حفر نبع فيه الماء بعد الماء . جاش : غلى فإذا كان الحسى ضيقا كان الماء أشد جيشا وارتفاعا . الغيل : الماء الكثير . الأبطح : الحصى . جرده : كشفه وعراه من الشجر . يريد : وجرده غيل وأبطح من تحت .

(١٣٧)

وقال المُرَقِّشُ الأَصْغَرُ أيضا

(مجزوء البسيط)

١ - الزِّقُّ مُلْكٌ لِمَنْ كانَ لَهُ   والمُلْكُ مِنْهُ طويلٌ وقَصيرْ
٢ - منها الصَّبُوحُ الذى يتركُنى   لَيْثُ عِفِرِّينَ والمالُ كَثِيرْ
٣ - فأَوَّلَ اللَّيْلِ لَيْثٌ خَادِرٌ   وآخِرَ الليل ضِبْعَانٌ عَثُورْ
٤ - قَاتَلَكِ اللهُ مِنْ مَشْرُوبَةٍ   لَوْ أَنَّ ذَا مِرَّةٍ عَنْكِ صَبُورْ

---

١٣٧ - جو الأبيات : يتحدث عن الخمر وأثرها فى شاربها .

التخريج : الأصمعية ٥٢ .

الشرح :

١ - يريد أن الخمر لشاربها بمثابة الملك الذى تتفاوت آماده .

٢ - عفرين ، بتشديد الراء : اسم موضع .

٣ - الخادر : الذى لزم خدره ، وهو العرين . الضبعان ، بكسر الضاد : ذكر الضباع . عثور : يريد أنه فى آخر الليل يكثر عثاره فى سيره مما لعبت به الخمر ، والضبعان تعرج كلها .

٤ - المِرَّةُ : القوة وشدة العقل .

(١٣٨)

وقالَ المُرَقِّشُ الأَصْغَرُ أيضا

(بحر المتقارب)

١ – أَبَأْتُ بِثَعْلَبَةَ بْنِ الخُشَا ... مِ عَمْرَو بنَ عَوْفٍ فَزَاحَ الوَهَلْ

٢ – دمًا بِدَمٍ وتُعَفَّى الكُلُومْ ... وَلا ينفَعُ الأَوَّلِينَ المَهَلْ

---

١٣٨ – جو القصيدة : لقيت بنو تغلب المرقش الأصغر ومعه ابن عمه ثعلبة بن عمرو ، فقتلوا ثعلبة ، وآلى المرقش ألا يغسل رأسه حتى يقتل به ، فلقى رجلا من بنى تغلب فقتله . والرجل هو عمرو بن عوف ، والذى قتل ثعلبة هو المهلهل . ويذكر الأستاذان أحمد محمد شاكر وعبد السلام هارون نحو هذه القصة فى جو المفضلية ٥٤ ، ويرجحان ما ذهب إليه الأنبارى من نسبة البيتين إلى المرقش الأكبر والدليل على هذا الترجيح جو القصيدة ٥٤ ، وأن ثعلبة ليس ابن عم المرقش الأصغر ، بل هو عمه ، ابن عم أبيه ، وهو ابن عم الأكبر .

التخريج : المفضلية ٥٨ .

الشرح :

١ – أبأت به : أى قتلت به قاتله . زاح يزوح ويزيح : ذهب . الوهل : الفزع .

٢ – تعفى الكلوم : تزال آثارها بالثأر . المهل ، بفتح الهاء ، والتمهل : التقدم ، وتمهل فى الأمر : تقدم فيه . أراد أن من سبق بجناية ثم أدرك بالثأر لم ينفعه سبقه .

(١٣٩)

وقال المُرَقِّشُ الأصْغَرُ أيضا

(البحر الخفيف)

١ – آذَنَتْ جارَتِى بِوَشْكِ رَحِيلِ ... باكِرًا جاهَرَتْ بِخَطْبٍ جَلِيلِ
٢ – أَزْمَعَتْ بِالفِراقِ لما رأتنى ... أُتْلِفُ المالَ لَايَذُمُّ دَخِيلِى
٣ – اِرْبِعِى ، إنَّما يَرِيبُكِ مِنِّى ... إرْثُ مَجْدٍ وَجِدُّ لُبٍّ أَصِيلِ
٤ – عَجبًا ماعَجِبْتُ لِلعاقِدِ الما ... لَ ورَيْبُ الزَّمانِ جَمُّ الخُبُولِ
٥ – ويُضِيعُ الذى يَصِيرُ إليهِ ... مِنْ شَقاءٍ أو مُلْكِ خُلْدٍ بَجِيلِ
٦ – أَجْمِلِ العيشَ إنَّ رِزْقَكَ آتٍ ... لا يُرُدُّ التَّرْقِيحُ شَرْوَى فَتِيلِ

---

١٣٩ – جو الأبيات : يتحدث عن مجاهرة زوجة له بالمفارقة ، وجعل سبب غضبها أنه متلاف للمال ، ثم فخر بمجده وعقله ، معلنا أن الرزق قدر وتقدير .

التخريج : المفضلية ٥٩ .

الشرح :

١ – آذنت : أعلمت . الوشك : السرعة .

٢ – أزمعت : عزمت . دخيلى : من يدخل إلىّ . يريد أنه يتلف المال لئلا يذمه الضيف ونحوه .

٣ – اربعى : أمسكى واسكتى . الإرث : الأصل . الجد ، بفتح الجيم : الحظ أو العظمة ، وبكسرها : الاجتهاد فى الأمور ، أو المحقق المبالغ فيه .

٤ – ما عجبت : « ما » زائدة . العاقد المال : الذى يجمع المال ويعتقده . الخبول : جمع خبل ، وهو الفساد .

٥ – بجيل : عظيم . يريد ما يصير إليه من بؤسى ونعمى .

٦ – أجمل العيش : أجمل فى طلبه ، أى اطلبه بتؤدة واعتدال وبعد عن الإفراط . وعدى الفعل بنفسه ، ولم يذكر فى المعاجم ، والذى فيها « أجمل فى الطلب » . الترقيح : إصلاح المال والقيام عليه . الشروى : المثل . الفتيل : الخيط الذى فى شق النواة .

(١٤٠)

وقال المُرَقِّشُ الأصغر أيضا

(البحر الطويل)

١ – أَلَا ياسْلَمِى لاصَرْمَ لِى اليومَ فاطِمَا
وَلا أبدًا مادامَ وَصْلُكِ دَائِمَا

٢ – رَمَتْكَ ابنةُ البَكْرِيِّ عَنْ فَرْعِ ضالَةٍ
وَهُنَّ بِنا خُوصٌ يُخَلْنَ نَعَائِما

٣ – تَرَاءَتْ لنا يومَ الرَّحِيلِ بِوَارِدٍ
وَعَذْبِ الثَّنايا لم يَكُنْ مُتَراكِمَا

---

١٤٠ – جو القصيدة : بدأ القصيدة منوها بالوفاء ، وبين أثر الحبيبة فى قلبه يوم الفراق ، ووصف حسنها ، والذكرة التى تعاوده مما فعل . ثم نعت الظعائن ورسم رحلتهن ، وأشار إلى استحيائه فاطمة حين أدخل عليها صديقه عمرو بن جناب وأشار إلى قطع إصبعه ندما ، وتمنى لها خير الأمانى ، واستعطفها ، وأبان لها عن قوة حبه ، وأشار إلى حلف عمرو بن جناب فى البيت ٢٠ . وتحدث عما تقتضيه الصداقة من تجشم المجاشم وركوب الهول . ثم وصف حاله فى الوجوم كأنه حالم .

التخريج : المفضلية ٥٦ .

الشرح :

١ – الصرم ، بضم الصاد وفتحها : القطع . لا أبدا : لا صرم أبدا .

٢ – الضال : سدر الجبل الذى لا يشرب الماء . وفرع الضالة : أراد به القوس ، كأنها رمته عنه . الخوص : الإبل الغائرة العيون من جهد السفر . نعائم : جمع نعامة . أى هن فى ضمرهن وجهدهن ، أو فى سرعتهن ، يحسبن نعاما .

٣ – الوارد : الطويل ، عنى شعرها . متراكم : متراكب .

٤ — سَقاهُ حُبِيُّ المُزْنِ فى مُتَهَلِّلٍ
مِنَ الشمسِ رَوَّاهُ رَبَابًا سَواجِمَا

٥ — أَرَتْكَ بِذاتِ الضَّالِ منها مَعاصِمًا
وخَدًّا أسِيلًا كالوَذِيلَةَ نَاعِمَا

٦ — صَحَا قَلْبُهُ عنها على أَنَّ ذِكْرَةً
إذَا خَطَرَتْ دَارَتْ بِهِ الأَرضُ قَائِما

٧ — تَبَصَّرْ خليلِي هل تَرَى من ظَعائِنٍ
خَرَجْنَ سِراعًا واقْتَعَدْنَ المَفائِمَا

٨ — تَحَمَّلْنَ مِنْ جَوِّ الوَرِيعَةِ بعدما
تَعَالَى النَّهارُ واجْتَزَعْنَ الصَّرائِمَا

٩ — تَحَلَّيْنَ ياقُوتًا وشَذْرًا وصِيغَةً
وَجَزْعًا ظَفارِيًّا ودُرًّا تَوائِمَا

---

٤ — حبى المزن : ما اقترب من السحاب . فى متهلل : أى فى روض متهلل . الرباب : سحاب دون لسحاب الأعظم . سواجم : تسكب الماء . يريد تشبيه ريقها بماء المزن .

٥ — المعصم : موضع السوار . الوذيلة : مرآة الفضة .

٦ — الذكرة ، بالكسر ، لم تذكر إلا فى اللسان والمعيار ، ولها شاهد آخر فى الأصمعية ٢٤/٢٩ .

٧ — أراد بالظعائن النساء . اقتعدن : ركبن . المفائم : الإبل العظام أو المراكب الوافية الواسعة ، واحدها مُفْأَم ، بضم الميم وسكون الفاء .

٨ — تحملن : رحلن . الوريعة . مكان . اجترعن : قطعن : الصرائم : قطع الرمل .

٩ — تحلين : لبسن الحلى ، وهو متعد هنا بدون حرف ، ولم يذكر فى المعاجم .=

١٠ – سَلَكْنَ القُرَى والجِزْعَ تُحْدَى جِمالُهُمْ
وَوَرَّكْنَ قَوًّا واجْتَزَعْنَ المَخارِمَا

١١ – أَلَا حَبَّذَا وَجْهٌ تُرِينَا بَيَاضَهُ
ومُنْسَدِلاتٍ كالمَثَانِى فَوَاحِمَا

١٢ – وَإِنِّى لأَسْتَحْيِى فُطَيْمَةَ جائِعًا
خَمِيصًا ، وأَسْتَحْيِى فُطَيْمَةَ طاعِما

١٣ – وَإِنى لَأَسْتَحْيِيكِ والخَرْقُ بَيْنَنَا
مَخَافَةَ أَنْ تَلْقَىْ أَخًا لِىَ صارِمَا

١٤ – وَإِنى وإن كَلَّتْ قَلُوصِى لَرَاجِمٌ
بِها وبنَفْسِى ، يافُطَيْمَ ، المَرَاجِما

= الشذر : اللؤلؤ ، أو قطع صغار من الذهب . صيغة : قال الأنبارى « فعلة من صوغ الذهب » أراد به ماصيغ منه ، وهذا المعنى لم يذكر فى المعاجم ، وهو طريف ، لأن أكثر الأدباء يتحرجون من استعماله ، يظنونه عاميا . الجَزْع ، بفتح فسكون ، ويجوز كسر الجيم : الخرز اليمانى ، وهو من أنفس الجواهر . ظفار : بلد باليمن ، مبنى على الكسر . توائم : اثنتين اثنتين .

١٠ – الجِزع ، بالكسر : منعطف الوادى . قَوّ : موضع . وركنه : خلفنه وعدلن عنه . المخارم : أطراف الطرق فى الجبال .

١١ – المنسدلات : الذوائب المسترخية . المثانى : الحبال ، شبه شعرها بها . الفواحم : السود .

١٢ – الخميص : الضامر من الجوع ههنا .

١٣ – الخرق : ما اتسع من الأرض . أى أستحييك أن تلقى مصارما لى يسبقنى عندك ويتنقّصنى .

١٤ – الرجم : الرمى . لَراجمٌ المَراجم : يريد أنه يدفع بناقته وبنفسه فى سرعة السير .

١٥ – أَفاطِمَ إنَّ الحُبَّ يَعْفُو عَنِ القِلَى
وَيُجْشِمُ ذَا العِرْضِ الكَرِيمِ المَجَاشِما

١٦ – أَلا ياٱسْلَمِى بِالكَوْكَبِ الطَّلْقِ فاطِما
وَإِنْ لَمْ يَكُنْ صَرْفُ النَّوَى مُتَلَائِمَا

١٧ – أَلَا ياٱسْلَمِى ثُمَّ اعْلَمِى أَنَّ حاجَتِى
إِلَيكِ ، فَرُدِّى من نَوالِكِ فَاطِمَا

١٨ – أَفاطِمَ لَوْ أَنَّ النِّسَاءَ بِبَلْدَةٍ
وأَنْتِ بِأُخْرَى لَاتَّبَعْتُكِ هائِمَا

١٩ – متى مايشأْ ذُو الوُدِّ يَصْرِمْ خَلِيلَهُ
وَيَعْبَدْ عليه لا مَحَالَةَ ظَالِمَا

٢٠ – وآلَى جَنابٌ حِلفَةً فأَطعْتَهُ
فنفْسَكَ وَلِّ اللَّوْمَ إِنْ كُنْتَ لائِمَا

٢١ – كأَنَّ عليهِ تاجَ آلِ مُحَرِّقٍ
بِأَنْ ضَرَّ مَوْلَاهُ وأَصْبَحَ سَالِمَا

---

١٥ – يعفو : يكثر . القلى : البغض . والمعنى أن الحب مع منع المحبوب وجفائه يزداد ويستحكم . يجشم : يكلف على مشقة ، أى يحمله على ركوب الهول .

١٦ – الطلق : الذى لا حر فيه ولا قر ولا شىء يؤذى . متلائم : متلاحم موصول .

١٩ – يعبد : يغضب ، وبابه « فرح » .

٢٠ – آلى : حلف . جناب : أراد عمرو بن جناب ، سماه باسم أبيه ، وهو شىء نادر فى العربية . « حلفة » فى المعاجم بفتح الحاء فقط .

٢١ – عليه : أى على عمرو بن جناب رفيقه الذى خانه . يقول : هذا الجانى عليه كأنه نال رياسة عمرو بن هند وذويه . مولاه : صاحبه .

٢٢ - فَمَنْ يَلْقَ خَيْرًا يَحْمَدِ النَّاسُ أَمْرَهُ
وَمَنْ يَغْوِ لا يَعْدَمْ على الغَيِّ لَائِما

٢٣ - أَلَمْ تَرَ أَنَّ المَرْءَ يَجْذِمُ كَفَّهُ
وَيَجْشَمُ من لَوْمِ الصَّدِيقِ المَجَاشِما

٢٤ - أَمِنْ حُلُمٍ أَصْبَحْتَ تَنْكُتُ وَاجِمًا
وَقَدْ تَعْتَرِى الأَحْلَامُ مَنْ كانَ نَائِما

---

٢٢ - غوى : من الغى ، وهو الضلال والخيبة . وبابه « رمى » .

٢٣ - يجذم : يقطع . من لوم الصديق : خشية لومه وطلبا لرضاه .

٢٤ - تنكت : يقال « نكت فى الأرض » إذا جعل يخطط فيها . الواجم : الحزين . وكذلك يفعل المغتم ، ينكت فى الأرض بعود من الهم والفكر .

(١٤١)

وقال المُرَقِّشُ الأصْغَرُ أيضًا

(مجزوء البسيط)

١ - لابْنَةِ عَجْلَانَ بالجَوِّ رُسُومْ
لَمْ يَتَعَفَّيْنَ والعَهْدُ قَدِيمْ

٢ - لابنةِ عَجْلَانَ إذْ نحنُ معًا
وأيُّ حَالٍ مِنَ الدَّهْرِ تَدُومْ

٣ - أَمِنْ دِيَارٍ تَعَفَّى رَسْمُهَا
عَيْنُكَ مِنْ رَسْمِها بِسَجُومْ

٤ - أَضْحَتْ قِفارًا وقَدْ كانَ بِها
فى سَالِفِ الدَّهْرِ أرْبَابُ الهُجُومْ

٥ - بَادُوا وأَصْبَحْتُ مِنْ بَعْدِهِمْ
أَحْسَبُنِى خالِدًا ولا أَرِيمْ

---

١٤١ - جو القصيدة : مقدمة طللية ، وذكر لخيال المحبوبة . ثم حديث إلى العاذل ، وحديث عن سطوة الدهر على ذوى الغنى والجاه ، وتبدل أحوال الناس .

التخريج : المفضلية ٥٧ .

الشرح :

١ - الجو : مكان بعينه . لم يتعفين : لم يدرسن .

٣ - سجوم : كثيرة إرسال الدمع ، والباء زائدة .

٤ - الهجوم : جمع هجمة ، وهى القطعة من الإبل .

٥ - لا أريم : لا أبرح . يقال : « قد رام يريم » ، إذا زال عن موضعه ، وأكثر ما يستعمل هذا الفعل مع النفى .

٦ – ياابنةَ عَجْلانَ ماأصْبَرَنِـي
علَى خُطوبٍ كَنَحْتٍ بالقَدُومْ
٧ – كأنَّ فيها عُقَارًا قَرْقَفًا
نَشَّ مِنَ الدَّنِّ فالكَأْسُ رَذُومْ
٨ – شَنَّ عليها بماءٍ بارِدٍ
شَنٌّ مَنُوطٌ بأَخْرَابِ هَزِيمْ
٩ – فى كلِّ مُمْسًى لها مِقْطَرَةٌ
فيها كِباءٌ مُعَدٌّ ، وحَمِيمْ
١٠ – لاتَصْطَلِى النَّارَ باللَّيْلِ ولا
تُوقَظُ للزَّادِ ، بَلْهَاءُ ، نَئُومْ
١١ – أَرَّقَنِى اللَّيْلَ بَرْقٌ ناصِبٌ
ولم يُعِنِّى على ذَاكَ حَمِيمْ
١٢ – مَنْ لِخَيالٍ تَسَدَّى مَوْهِنًا
أشْعَرَنِى الهَمَّ فالقَلْبُ سَقِيمْ

---

٧ – كأن فيها : أى فى فمها . العقار : الخمرة . القرقف : التى يصيب صاحبها من شربها رعدة . نش : صوت عند الغليان . الرذوم : السائل .

٨ – شن : صب ، أراد مزجها بالماء . بماء : الباء زائدة . الشن : القربة الخَلَق . منوط : معلق . الأخراب : جمع خُرْبة ، بضم فسكون ، وهى عروة القربة . الهزيم : القربة المتشققة .

٩ – المقطرة : المجمرة . الكباء : العود . حميم : ماء حار تحم به .

١٠ – لا توقظ للزاد : يقول : ليست شرهة للأكل ، هى منعمة مكفية ، تنام متى شاءت . بلهاء : أى عن الفواحش والخنا لأنها لا تعرفه .

١١ – ناصب : من النَّصَب ، وهو التعب . وهو بمعنى منصب ، أى يتعبنى بالنظر إليه . الحميم : القريب الذى توده ويودك .

١٢ – تسدى : تخطى إليه . موهنا : أى بعد ساعة من الليل .

١٣ - ولَيْلَةٍ بِتُّهـــا مُسْهِـــرَةٍ
قد كَرَّرْتُهَا عَلَى عَيْنِى الهُمُومْ

١٤ - لم أغْتَمِضْ طُولَهَا حتى انْقَضَتْ
أَكْلَؤُهَا بَعْدَ ما نَامَ السَّلِيمْ

١٥ - تَبْكِى على الدَّهرِ ، والدَّهْرُ الذى
أَبْكَاكَ ، فالدَّمْعُ كالشَّنِّ الهَزِيمْ

١٦ - فَعَمْرَكَ اللهَ هَلْ تَدْرِى إِذَا
ما لُمْتَ فى حُبِّهَا فِيمَ تَلُومْ

١٧ - تُؤْذِى صَدِيقًا وتُبْدِى ظِنَّةً
تُحْرِزُ سَهْمًا وسَهْمًا ما تَشِيمْ

١٨ - كَمْ مِنْ أخِى ثَرْوةٍ رَأَيْتُهُ
حَلَّ عَلَى مالِهِ دَهْرٌ غَشُومْ

١٩ - ومن عزِيزِ الحِمَى ذِى مَنْعَةٍ
أَضْحَى وقَدْ أَثَّرَتْ فيهِ الكُلُومْ

---

١٣ - كررتها : أطالتها حتى خيل إليه تكرارها .

١٤ - أكلؤها : أرعى نجومها . السَّليم : اللديغ على سبيل التفاؤل بشفائه (من الأضداد) .

١٧ - الظنة : التهمة . تشيم : تدخل ، و « ما » قبله زائدة ، يقول : إنك فارغ بطَّال لا تصنع شيئا ، إنما أنت كرجل يسل من كنانته سهما ويدخل سهما .

١٩ - الحمى : ما منع وحفظ . ذى منعة : أى معه من يحفظه ويمنعه . ويقال مَنَعَة ومَنْعة بالتحريك والإسكان . الكلوم : الجراحات . أى أثر فيه الدهر .

٢٠ – بَيْنَا أَخُو نِعْمَةٍ إِذْ ذَهَبَتْ
وحُوِّلَتْ شِقْوَةٌ إِلى نَعِيمْ
٢١ – وَبَيْنَا ظَاعِنٌ ذُو شُقَّةٍ
إِذْ حَلَّ رَحْلًا وإِذْ خَفَّ الْمُقِيمْ
٢٢ – ولِلْفَتَى غائِلٌ يَغُولُهُ
يابْنَةَ عَجْلَانَ مِنْ وَقْعِ الحُتُومْ

---

٢١ – الشقة : السفر البعيد . والمعنى : بينما الرجل مسافر إذ حل رحله وأقام ، وبينما الرجل مقيم إذ سافر ، أى ليس الناس على حالة .

٢٢ – يغوله : يذهب به . الحتوم : جمع حتم ، وهو القضاء .

(١٤٢)

قال المُرَقِّشُ الأكبر

(البحر الوافر)

١ – سَرَى لَيْلًا خَيَالٌ مِنْ سُلَيْمَى ... فَأَرَّقَنِي وأَصْحَابِي هُجُودُ
٢ – فَبِتُّ أُدِيرُ أَمْرِي كُلَّ حالٍ ... وأَرْقُبُ أَهْلَهَا وَهُمُ بعيدُ
٣ – علَى أنْ قَدْ سَمَا طَرْفِي لِنَارٍ ... يُشَبُّ لَهَا بِذِى الأَرْطَى وَقُودُ
٤ – حَوَالَيْها مَهًا جُمُّ التَّرَاقِي ... وأَرْآمٌ وغِزْلَانٌ رُقُـودُ
٥ – نَوَاعِمُ لا تُعَالِجُ بُؤْسَ عَيْشٍ ... أَوَانِسُ لا تُرَاحُ ولا تَرُودُ
٦ – يُرُحْنَ مَعًا بِطاءَ الْمَشْيِ بُدًّا ... عَلَيْهِنَّ المَجاسِدُ والبُرُودُ

---

١٤٢ – **ترجمته** : مضت فى الفصل الرابع .

جو القصيدة : قالها عند حبيبته أسماء قبل أن يموت . وقد بدأها بحديث الطيف ، ثم وصف نار قوم الحبيبة واجتماع أترابها الغوانى حولها ، وراح يشبب بهن . وأشار فى البيت ٧ إلى رحلة أسماء إلى أرض مراد . وفى البيت ٨ إلى وفائه لها وثباته على العهد . ثم استعاد فيما بعد ذكريات شبابه (المفضليات ، واعتمدت عليها فى هوامش ما روته من شعر بنى بكر) .

التخريج : المفضلية ٤٦ ويراجع التخريج الكامل فى المفضليات وكذلك فى كل ما أوردناه من روايتها بشرح أحمد محمد شاكر وعبد السلام هارون .

الشرح :

٣ – سما : ارتفع . يشب : يرفع الحطب حواليها ، وهو الوقود . الأرطى بسكون الراء : شجر ينبت فى الرمل ، وذو الأرطى : موضع ينبت فيه .

٤ – المها : بقر الوحش . جم التراق : لا حجم لعظامها قد غمرها اللحم ، والتراق : جمع ترقوة ، وهى مقدم الحلق فى أعلى الصدر . الآرام : الظباء البيض ، واحدها رئم . وعنى بالمها والآرام والغزلان النسوة اللواتى ينعتهن .

٦ – معا : أى مجتمعات . البد : جمع بداء ، بفتح الباء وتشديد الدال وهى الكثيرة لحم الفخذين حتى تصطكا . المجاسد : جمع مجسد ، بكسر الميم وضمها مع سكون الجيم وفتح السين ، وهو الثوب المشبع صبغا بالجساد ، وهو الزعفران ، أو هو الثوب الذى يلى الجسد .

٧ – سَكَنَّ بِبَلْدَةٍ وسَكَنْتُ أُخْرَى   وقُطِّعَتِ المَوَاثِقُ والعُهُودُ
٨ – فمَا بالِي أَفِي وَيُخَانُ عَهْدِى   ومابَالِى أُصَادُ ولَا أَصِيدُ
٩ – وَرُبَّ أَسِيلَةِ الخَدَّيْنِ بِكْرٍ   مُنَعَّمَةٍ لَهَا فَرْعٌ وجِيدُ
١٠ –وذُو أُشُرٍ شَتِيتُ النَّبْتِ عَذْبٌ   نَقِـــيُّ اللَّـــوْنِ بَرَّاقٌ بَرُودُ
١١ –لَهَوْتُ بِهَا زَمَانًا مِنْ شَبَابِى   وَزَارَتْهَا النَّجائِبُ والقَصِيدُ
١٢ –أُناسٌ كلَّما أَخْلَقْتُ وَصْلًا   عَنَانِى مِنْهُمُ وَصْلٌ جَدِيدُ

---

٧ – يعنى العهود التى كانت بينه وبين عمه عوف .

١٠ – الأشر ، بضمتين وبضم ففتح : تحزز فى الأسنان يكون فى الأحداث . شتيت النبت : أى ثغرها متفرق الثنايا . برود : نقل الأنبارى عن أحمد بن عبيد أنه من البرد ، أى ذو برد . وهذا المعنى ليس فى المعاجم .

١٢ – أخلقت : أبليت . عنانى : أهمنى وأتبعنى .

(١٤٣)

وقال المُرَقِّشُ الأكبر أيضا

(بحر المتقارب)

١ – أَتَتْنِي لِسَانُ بَنِي عامِرٍ فَجَلَّتْ أَحادِيثُهَا عَنْ بَصَرْ
٢ – بِأَنَّ بَنِي الوَخْمِ سارُوا مَعًا بِجَيْشٍ كَضوءِ نُجُومِ السَّحَرْ
٣ – بكلِّ نَسُولِ السُّرَى نَهْدَةٍ وَكُلِّ كُمَيْتٍ طُوَالٍ أَغَرّ
٤ – فما شَعَرَ الحَيُّ حتى رَأَوْا بياضَ القَوانِسِ فَوْقَ الغُرَرْ
٥ – فأَقْبَلْتُهُمْ ثُمَّ أَدْبَرْتُهُمْ فأَصْدَرْتُهُمْ قَبْلَ حِينِ الصَّدَرْ
٦ – فيارُبَّ شِلْوٍ تَخَطَّرْفْتُهُ كَرِيمٍ لَدَى مَزْحَفٍ أو مَكَرّ

---

١٤٣ – جو القصيدة: كان المجالد بن الريان الشيباني قد أوقع ببني تغلب في موضع يقال له « جمران » وكان معه المرقش الأكبر ، وبنو الوخم – وهم بنو عامر بن ذهل – وكانوا أسرع بني بكر إجابة له – فقال المرقش هذه القصيدة يذكر تلك الوقعة وما كان فيها من مشاهد القتلى .

التخريج : المفضلية ٥٢ .

الشرح :

١ – اللسان ههنا : الرسالة . جلت : كشفت . عن بصر : يعني عن بصره .

٢ – بنو الوخم : هم بنو عامر بن ذهل بن ثعلبة . قال الأصمعي وإنما خص نجوم السحر لأن النجوم التي تطلع في آخر الليل كبار النجوم ودراريها ، وهي المضيئة منها .

٣ – النسول : السريعة السير . النهدة : الضخمة . الطوال : الطويل .

٤ – القوانس : أعلى البيض ، بيض الحديد . الغرر : الوجوه ، أراد السادة من الرجال .

٥ – أقبلتهم وأدبرتهم : جعلت الخيل الحي مرة أمامها ومرة خلفها .

٦ – الشلو : بقية الجسد . تخطرفته : استلبته ، أو جاوزته وخلفته ، وهذا بالتعدية وبهذين المعنيين لم يذكر في المعاجم . المزحف والمكر : موضعا الزحف والكر في القتال .

٧ – وآخَرَ شَاصٍ تَرَى جِلْدَهُ　　كَقِشْرِ القَتَادَةِ غِبَّ المَطَرْ
٨ – وكائِنْ بجُمْرَانَ مِنْ مُزْعَفٍ　　ومِنْ رَجُلٍ وَجْهُهُ قَدْ عُفِرْ

---

٧ – القتاد : شجر له شوك وثمر ينبت بنجد وتهامة . الشاصى : الرافع رجله . وإذا أصاب المطر القتاد انتفخت قشوره وارتفعت . وأراد قتيلا قد انتفخ .

٨ – جمران ، بالجيم : موضع فى بلاد الرباب . المزعف : المقتولة غفلة . عفر : جُرَّ فى العفر ، وهو التراب .

(١٤٤)

وقال المُرَقِّشُ الأكبر أيضا

(البحر الطويل)

١ – أَمِنْ آلِ أَسْمَاءَ الطُّلُولُ الدَّوَارِسُ
يُخَطِّطُ فِيها الطَّيْرُ ، قَفْرٌ بَسَابِسُ

٢ – ذَكَرْتُ بِها أَسْمَاءَ لَوْ أَنَّ وَلْيَهَا
قَرِيبٌ ولكِنْ حَبَّسَتْنِى الحَوَابِسُ

٣ – ومَنْزِلِ ضَنْكٍ لا أُرِيدُ مَبِيتَهُ
كأَنِّى بهِ مِنْ شِدَّةِ الرَّوْعِ آنِسُ

٤ – لِتُبْصِرَ عَيْنِى ، إنْ رَأَتْنِى ، مَكَانَها
وفى النَّفْسِ إنْ خُلِّى الطَّرِيقُ الكَوَادِسُ

---

١٤٤ – جو القصيدة : وقف على طلول أسماء الدوارس ينعى وحشة المكان . ثم وصف رحلته على العيس فى الدوية الغبراء ، فى الليل الموحش ينعب فى جنباته البوم . ثم يصف ناقته وما تلقى من جهد السير ، وينعت قِدْرَ الطعام وقَيِّمَها وسهولة خلقه وظرفه . ويتحدث عن النار فى الفلاة . ثم يعود إلى الناقة وسياسته اياها فى السير .

التخريج : المفضلية ٤٧ .

الشرح :

١ – الطلول : ما شخص من آثار الدار ، والرسوم : ما انخفض منها . يخطط الطير : يرعى . البسابس : القفر الخالية ، كالسباسب .

٢ – وليها : حيث تولت وذهبت ، أو هو : ناحيتها وما يليها من الأرض .

٣ – الضنك : الضيق والشدة . يقول : قد أنست بهذا المنزل لما نزلت به ، من شدة ما بى من الروع ، وإن كان ضيقا ليس بموضع نزول .

٤ – « مكانها » مفعول « تبصر » . يريد أنه نزل المنزل الضنك لتصبر عينه=

٥ – وَجِيفٌ وإبْسَاسٌ ونَقْرٌ وهِزَّةٌ
إلى أنْ تَكِلَّ العِيسُ والمَرْءُ حَادِسُ

٦ – ودَوِّيَّةٍ غَبْرَاءَ قد طالَ عَهْدُها
تَهالَكُ فيها الوِرْدُ والمَرْءُ ناعِسُ

٧ – قَطَعْتُ إلى مَعْرُوفِهَا مُنْكَرَاتِها
بِعَيْهَامَةٍ تَنْسَلُّ واللَّيْلُ دَامِسُ

٨ – تَرَكْتُ بها لَيْلًا طَوِيلًا ومَنْزِلًا
ومُوقَدَ نارٍ لم تَرُمْهُ القَوَابِسُ

٩ – وتَسْمَعُ تَزْقاءً مِنَ البُومِ حَوْلَنَا
كما ضُرِبَتْ بَعْدَ الهُدُوءِ النَّوَاقِسُ

= مكانها ، إن رأته محبوبته ، أو لأن تراه . الكوادس : ما يتطير منه واحدها كادس . وهو مبتدأ مؤخر ، خبره « وفى النفس » . خُلِّى : فعل ماض مبنى للمجهول ، وأصله « خُلِّىَ » ولم ينص فى المعاجم ولا فى غيرها على هذا التصريف .

٥ – الوجيف : سير فيه سرعة . والإبساس : دون الوجيف ، والنقر والهزة : فوق الوجيف . حادس : من الحدس ، وهو الظن . يريد أنه يسير على غير هدى .

٦ – الدوية : القفر . تهالك : تسرع السير . وأراد بالورد ههنا الإبل .

٧ – أى قطعت ما لا يعرف من هذه الدوية حتى صِرْتُ إلى ما يُعرف .

العيهامة : القوية الجريئة ، أراد ناقته . الدامس : الشديد السواد .

٨ – أى قطعتها وقد بقى من الليل بقية . موقد النار : مكان إيقادها . لم ترمه القوابس : لم يكن فيه أحد يقتبس نارا لأنه كان وحده . والقابس : طالب النار ، فاعل من « قبس » وجمعه على « قوابس » نادر جدا .

٩ – التزقاء : الصياح . النواقس : جمع ناقوس ، كالنواقيس .

١٠ - فَيُصْبِحُ مُلْقَى رَحْلِهَا حيثُ عَرَّسَتْ
من الأرضِ قد دَبَّتْ عليهِ الرَّوَامِسُ

١١ - وتُصْبِحُ كالدَّوْدَاةِ ناطَ زِمامَهَا
إلى شُعَبٍ فيها الجَوارِي العَوانِسُ

١٢ - وقِدْرٍ تَرَى شُمْطَ الرِّجالِ عِيالَها
لها قَيِّمٌ سَهْلُ الخَلِيقَةِ آنِسُ

١٣ - ضَحُوكٌ إذَا ما الصَّحْبُ لم يَجْتَوُوا لَهُ
ولا هو مِضْبَابٌ على الزَّادِ عابِسُ

١٤ - ولَمَّا أضَأْنا النَّارَ عند شِوَائِنَا
عَرَانا عليها أطْلَسُ اللَّوْنِ بائِسُ

١٥ - نَبَذْتُ إليهِ حُزَّةً مِنْ شِوَائِنَا
حَيَاءً، وما فُحْشِي على مَنْ أُجالِسُ

---

١٠ - ملقى رحلها : مكان إلقاء رحلها . الروامس : الرياح التى تدفن الآثار .

١١ - الدوداة : الأرجوحة . ناط زمامها : علقه . العوانس : جمع عانس ، وهى الجارية التى أتى عليها وقت التزويج ولم تتزوج ، ويطلق على الرجل أيضا .

١٢ - شمط الرجال : جمع أشمط ، وهو ما خالط سواد رأسه الشيب . عيالها : أى تعولهم ، كأنهم عيال لها . القيم : القائم بشأنها . الآنس : من قولهم « جارية آنسة » إذا كانت طيبة النفس . واستعماله فى المذكر صحيح قياسى ، ولكن لم تنص عليه المعاجم .

١٣ - الاجتواء : الكره . مضباب : من قولهم « ضب على الشيء » احتواه . أراد أنه لا يمنع أصحابه الزاد .

١٤ - عرانا : أتانا طاليا معروفنا . أطلس اللون : عنى به الذئب . والطلسة : لون الخرقة الوسخة ، أراد أنه أغبر إلى سواد .

١٥ - الحزة ، بضم الحاء : القطعة .

١٦ - فَآضَ بِها جَذْلَانَ يَنْفُضُ رَأْسَهُ
كَما آبَ بالنَّهْبِ الكَمِيُّ المُحَالِسُ

١٧ - وأَعرَضَ أَعْلَامٌ كأَنَّ رُءُوسَها
رُءُوسَ جِبالٍ فى خَلِيجٍ تَغَامَسُ

١٨ - إذَا عَلَمٌ خَلَّفْتُهُ يُهْتَدَى به
بَدَا عَلَمٌ فى الآلِ أَغْبَرُ طامِسُ

١٩ - تَعَالَلْتُها ولَيْسَ طِبِّى بِدَرِّها
وكَيْفَ الْتِماسُ الدَّرِّ والضَّرْعُ يابِسُ

٢٠ - بأَسْمَرَ عَارٍ صَدْرُهُ مِنْ جِلَازِهِ
وسَائِرُهُ مِنَ العِلاقَةِ نائِسُ

---

١٦ - آض : رجع . الجذلان : الفرح النشيط . النهب : الغنيمة . الكمى : الشجاع الذى يكمى شجاعته ، أى يسترها لوقت الحاجة . المحالس : الشديد الذى لا يبرح مكانه فى الحرب .

١٧ - أعرض : بدا وظهر . الأعلام : الجبال . الخليج ههنا من السراب ، شبهه بالماء ، تغامس تغامس أى تنغمس . يريد أن الجبال فى السراب كأنها تطفو تارة وتغرق أخرى .

١٨ - الآل : السراب . طامس : دارس ممحو .

١٩ - تعاللتها : أخذت علالتها ، يريد سيرها مرة بعد مرة ، أى ساعة يرفق بها وساعة يجهدها ، أخذها من العلل ، وهو الشرب الثانى . طبى : طلبتى وإرادتى . درها : لبنها .

٢٠ - يعنى بالأسمر سوطا ، أى تعاللتها بالسوط . الجلاز : هو الجَلْز ، أى الفتل . العلاقة : علاقة السوط ، وهى سيره الذى يعلق به . نائس : متدل ، من « ناس ينوس » .

(١٤٥)

وقال المُرَقِّشُ الأكبر أيضا

(البحر الطويل)

١ – ألَا بَانَ جِيرَانِى ولَسْتُ بِعَائِفٍ
أدَانٍ بِهِمْ صَرْفُ النَّوَى أمْ مُخَالِفِى
٢ – وفى الحَىِّ أبْكَارٌ سَبَيْنَ فُؤَادَهُ
عُلالَةَ مازَوَّدْنَ ، والحُبُّ شَاعِفِى
٣ – دِقاقُ الخُصُورِ لم تُعَفَّرْ قُرُونُها
لِشَجْوٍ ولم يَحْضُرْنَ حُمَّى المَزَالِفِ

---

١٤٥ – جو القصيدة : تحدث عن الفراق ، ونعت من غادره من الغيد الحسان وصور موقفه منهن حين الرحيل ووصف حديثهن . وفى البيت ٩ رسم نظام نزول النساء فى مساكنهن الجديدة ، وسبق الخدم إياهن لإعداد البيوت . ثم وصف الرحال وزخارفها . وجعل سائر القصيدة من بعد فى الفخر بقومه وكرمهم ، وضربهم القداح للميسر . وتمنى أن تعود به ناقته إلى قومه . ووصف الناقة .

التخريج : المفضلية ٥٠ .

الشرح :

١ – العائف : الذى يزجر الطير يتفاءل بأسمائها وأصواتها وممرها . الصرف : حدثان الدهر ونوائبه .

٢ – العلالة : ما يتعلل به ويتلهى . شاعفى : من قولهم « شعفه الحب » إذا أحرق قلبه وذهب بفؤاده وتروى « شاغفى » ، وهو من قولهم ، « شغفه الحب » إذا وصل إلى شغاف قلبه ، وهو غلافه .

٣ – تعفر : تمس التراب . القرون : الضفائر . يقول : لم يصبن بمصيبة يعفرن لها القرون . الشجو : الحزن . المزالف : القرى التى تكون بين الريف والبادية ، واحدتها « مَزْلَفة » . يريد أنهن أهل بادية لم تمسهن حمى القرى .

٤ – نَوَاعِمُ أَبْكَارٌ سَرَائِرُ بُدَّنٌ
جِسَانُ الوُجُوهِ لَيِّنَاتُ السَّوالِفِ

٥ – يُهَدِّلْنَ فى الآذانِ من كُلِّ مُذْهَبٍ
لَهُ رَبَذٌ يَعْيَا بِهِ كُلُّ وَاصِفِ

٦ – إذا ظَعَنَ الْحَىُّ الجميعُ اجْتَنَبْتُهُمْ
مكانَ النَّدِيمِ للنَّجِىِّ المُسَاعِفِ

٧ – فَصُرْنَ شَقِيًّا لا يُبَالِينَ غَيَّهُ
يُعَوِّجْنَ مِنْ أَعْنَاقِهَا بالمَوَاقِفِ

٨ – نَشَرْنَ حَدِيثًا آنِسًا فَوَضَعْنَهُ
خَفِيضًا فَلَا يَلْغَى بِهِ كُلُّ طَائِفِ

٩ – فلما تَبَنَّى الْحَىُّ جِئْنَ إِلَيْهِمُ
فكانَ النُّزُولُ فى حُجُورِ النَّوَاصِفِ

---

٤ – سرائر : جمع سَرارة ، وسَرارة الوادى : أخصبه وأنعمه نباتا ، شبه المرأة بذلك . السوالف : جمع سالفة ، وهى صفحة العنق ولينها للحداثة والشباب .

٥ – يهدلن : يسدلن ، ويرسلن . المذهب المصوغ من ذهب ، يعنى قرطا . الربذ : الاضطراب .

٦ – يقول : إذا ظعنوا اجتنبتهم مخافة أن يفطن بى على اجتنابى ، وإنما هو انحراف كقدر ما بين النديم ونديمه المساعف له .

٧ – صُرْنَ : أَمِلْن ، يقال « صارَهُ يَصُورُهُ صَوْرًا » إذا أماله إليه . شقيا : وصف لرجل ، عنى به نفسه ، وأنهن أملنه إليهن واجتذبنه . من أعناقها : يعنى الإبل .

٨ – وضعنه خفيضا : خفضن به أصواتهن . لا يلغى به : لا يخوض فيه . كل من طاف بهن . يريد أن حديثهن لا يكون إلا عند من يصونه .

٩ – تبنى الحى : ابتنوا ، أى اتخذوا بيوتا . النواصف : الخدم .

١٠ – تَنَزَّلْنَ عن دَوْمٍ تَهِفُّ مُتُونُهُ
مُزَيَّنَةٍ أَكْنَافُها بالزَّخَارِفِ

١١ – بِوُدِّكِ ماقَوْمِى عَلَى أَنْ هَجَرْتُهُمْ
إذَا أَشْجَذَ الأَقْوَامَ رِيحُ أُظَائِفِ

١٢ – وكانَ الرِّفَادُ كُلَّ قِدْحٍ مُقَرَّمٍ
وعادَ الجميعُ نُجْعَةً للزَّعانِفِ

١٣ – جَدِيرُونَ أَلَّا يَحْبِسُوا مُجْتَدِيهِمُ
لِلَحْمٍ وأَلَّا يَدْرَءُوا قِدْحَ رَادِفِ

١٤ – عِظَامُ الجِفَانِ بالعَشِيَّاتِ والضُّحَى
مَشَايِيطُ للأَبْدَانِ ، غَيْرُ التَّوارِفِ

---

١٠ – الدوم : أراد بها الإبل : تهف : تبرق .

١١ – بودك : روى بضم الواو وفتحها ، أى بحبك والود بمعنى الحب ، أو يستحلفها بالصنم الذى يعبدون ، وهو « ود » بضم الواو وبفتحها . أراد : استحلفك بحق صنمك . أو بحق مودتك ، أى شيء وجدت قومى ، مع هجرى إياهم ، أو مع هجرك إياهم ؟ . أشجذه الشيء : آذاه . أظائف ، بضم الهمزة : جبل فى مهب الشمال من قبل الشأم .

١٢ – الرفاد : من المرافدة ، وهو أن يأتى كل رجل بطعام . القدح : واحد أقداح الميسر . المقرم : المعضض المؤثر فيه . أى لم يكن ثم من الرفاد حين يشتد الزمن إلا التياسر بالقداح ، وإطعام الناس بما يجمع منها . الزعانف : القليل من الناس ، الواحد زِعْنِفة . أى صار مجتمع الناس منتجعا وملجأ للزعانف .

١٣ – مجتديهم : الطالب إليهم جداءهم ، أى نفعهم . يدرءوا : يدفعوا . الرادف : الذى يجيء بعد ما قسم الجزور . يقول : إذا جاءهم بعد ما يقتسمون لم يخيبوه ، فأعطوه حق سهمه ، على شدة ما هم فيه .

١٤ – الجفان : جمع جفنة ، وهى القصعة . يريد أنهم ينحرون غدوة وعشية . المشاييط : جمع مشياط ، وهم النحارون . والأبدان : الأعضاء ، وكل عضو بدن . يريد أنهم يعرضون أبدانهم للحروب وإسالة دمائهم . التوارف : جمع تارف ، من=

١٥ –إذا يَسَرُوا لم يُورِثِ اليَسْرُ بَيْنَهُمْ
فَوَاحِشَ يُنْعَى ذِكْرُها بِالمَصَايِفِ
١٦ –فهل تُبْلِغَنِّى دارَ قَوْمِىَ جَسْرَةٌ
خَنُوفٌ عَلَنْدَى جَلْعَدٌ غَيْرُ شَارِفِ
١٧ –سَدِيسٌ عَلَتْهَا كَبْرَةٌ أو بُوَيْزِلٌ
جُمَالِيَّةٌ فى مَشْيِها كالتَّقَاذُفِ

= الترفة ، وهى النعمة والدعة . وهذا الجمع من النوادر ، ولم يذكر فى المعاجم . يريد أنهم قوامون على الحروب ، آخذون بالثأر ، لا يطمئنون للترف والدعة .

١٥ – يسروا : ضربوا بالقداح ، واليَسْرُ المصدر . يقول : إذا ضربوا بالقداح لم يفحشوا ولم يسفهوا ، لأنهم لا يريدون بِيَسْرِهم نفع أنفسهم ، إنما يطعمونه الناس ، فالغرامة أحب إليهم . ينعى : يرفع ، أى يذاع ، ومن هذا قولهم « نعى فلان » وهو أن يرفع الذكر بموته . المصايف : المجالس فى الصيف . وذلك أنهم يضربون القداح فى الشتاء ، فإذا أقبل الصيف وأخصب الناس جعلوا يتحدثون بمثالب البخلاء .

١٦ – الجسرة : الناقة الطويلة على الأرض . الخنوف : التى إذا سارت قلبت خف يدها ، أو هى اللينة اليدين فى السير . علندى : الوثيقة المجتمعة . الجلعد : القوية الشديدة . الشارف : الهرمة .

١٧ – السديس : التى استوفت سبع سنين ، يقال للذكر والأنثى . علتها كبرة : أى من رآها ظن أنها أكبر مما لها من السنين . بويزل : مصغر بازل ، وهى التى طلع نابها . الجمالية : المشبهة بخلق الجمل . التقاذف : التدافع ، فكأنها تزج بنفسها زجًّا .

(١٤٦)

وقال المُرَقِّشُ الأكبر أيضا

(البحر الكامل)

١ – يَاصاحِبَيَّ تَلَوَّمَا لا تَعْجَلَا ... إنَّ الرَّحِيلَ رَهِينُ أَلَّا تَعْذُلا
٢ – فَلَعَلَّ بُطْأَكُما يُفَرِّطُ سَيِّئًا ... أو يَسْبِقُ الإسْرَاعُ سَيْبًا مُقْبِلَا
٣ – ياراكبًا إمَّا عَرَضْتَ فَبَلِّغَنْ ... أَنَسَ بْنَ سَعْدٍ إنْ لَقِيتَ وحَرْمَلَا
٤ – للهِ دَرُّكُمَا ودَرُّ أبِيكُما ... إنْ أَفْلَتَ الغُفَلِيُّ حتَّى يُقْتَلَا
٥ – مَنْ مُبْلِغُ الأقوامِ أنَّ مُرَقِّشًا ... أَمْسَى على الأَصْحَابِ عِبْئًا مُثْقَلَا
٦ – ذَهَبَ السِّبَاعُ بأَنْفِهِ فَتَرَكْنَهُ ... أَعْثَى عليهِ بالجِبالِ وجَيْئَلَا
٧ – وكأنَّمَا تَرِدُ السِّبَاعُ بِشِلْوِهِ ... إذْ غَابَ جَمْعُ بَنِى ضُبَيْعَةَ، مَنْهَلَا

---

١٤٦ – **جو الأبيات** : يروى أنه كتبها على رحل عسيفه الغفلى حين أحس بدنو موته ورغبة الغفلى فى تركه والعودة إلى الديار . والتفاصيل فى ترجمته بالأغانى .

التخريج : المفضلية ٤٥ .

الشرح :

١ – التلوم : التلبث والانتظار .

٢ – يفرط : يقدم ويعجل . السيب : العطاء ، وأراد الخير .

٦ – الأعثى : الكثير الشعر ، وعنى به الضبعان ، وهو ذكر الضباع . الجيئل : أنثى الضباع .

٧ – شلوه : بقايا لحمه وعظامه . المنهل : الماء المورود ، جعل تكالب السباع على أشلائه شبيها بورودها الموارد .

(١٤٧)

وقال المُرَقِّشُ الأكبر أيضا

(البحر السريع)

١ – هلْ تَعْرِفُ الدَّارَ عَفَا رَسْمُهَا إلَّا الأَثَافِيَّ وَمَبْنَى الْخِيَمْ
٢ – أَعرِفُها دَارًا لأَسْمَاءَ فالـ ـدَّمْعُ على الْخَدَّيْنِ سَحٌّ سَجَمْ
٣ – أَمْسَتْ خَلَاءً بَعْدَ سُكَّانِها مُقْفِرَةً ما إنْ بِها مِنْ إرَمْ
٤ – إلّا مِنَ الْعِينِ تَرَعَّى بِها كالفَارِسِيِّينَ مَشَوْا فى الكُمَمْ
٥ – بَعْدَ جَمِيعٍ قد أَرَاهُمْ بها لَهُمْ قِبَابٌ وعليهمْ نَعَمْ

---

١٤٧ – جو القصيدة : ذكر آثار دار المحبوبة وبكاءه . عليها ، ووصف ما سكنها بعد هجرة أصحابها ، من البقر التى شبهها بالفرس يمشون فى القلانس . ثم نعت ناقته وشبهها بالثور الوحشى ، الذى وصفه ووصف مرعاه فى البيتين الأخيرين .

التخريج : المفضلية ٤٩ .

الشرح :

١ – الأثافى : جمع أثفية ، بضم الهمزة وكسرها وتشديد الياء ، وهى الحجر توضع عليه القدر . الخيم : جمع خيمة ، وهى بيت يبنى من عيدان الشجر فإذا كان من صوف أو شعر فهو بيت . وقيل إن الخيمة تطلق على جميع ذلك .

٢ – أسماء : هى بنت عمه عوف بن ضبيعة ، وهى التى كان يعشقها . السح : الصب . السجَم : السائل .

٣ – من إرم : من أحد . ويذكر شارحا المفضليات أن « إرَم » بكسر الهمزة وفتح الراء – وهو ما ورد بأصل المفضلية – ولم ترد فى المعاجم ، وإنما ورد « أرم » بفتحتين وبفتح فكسر .

٤ – العين : البقر . الكمم : القلانس . شبه البقر بالفرس . إذا تبخترت فى قلانسها .

٥ – عليهم نعم : أى تروح عليهم النعم ، وهى الإبل .

٦ – فَهَلْ تُسَلِّى حُبَّها بَازِلٌ ... ما إنْ تُسَلَّى حُبَّها مِنْ أَمَمْ
٧ – عَرْفَاءُ كالفَحْلِ جُمَالِيَّةٌ ... ذَاتُ هِبَابٍ لا تَشَكَّى السَّأَمْ
٨ – لَمْ تَقْرَإِ الْقَيْظَ جَنِينًا ولَا ... أَصُرُّهَا تَحْمِلُ بَهْمَ الْغَنَمْ
٩ – بَلْ عَزَبَتْ فى الشَّوْلِ حَتَّى نَوَتْ ... وسُوِّغَتْ ذَا حُبُكٍ كَالإِرَمْ
١٠ – تَعْدُو إذَا حُرِّكَ مِجْدَافُها ... عَدْوَ رَبَاعٍ مُفْرَدٍ كالزُّلَمْ
١١ – كأنَّهُ نِصْعٌ يَمَانٍ وبالـ ... ـأَكْرُعِ تَخْنِيفٌ كَلَوْنِ الحُمَمْ
١٢ – باتَ بِغَيْبٍ مُعْشِبٍ نَبْتُهُ ... مُخْتَلِطٍ حُرْبُثُهُ بالْيَنَمْ

---

٦ – أمم : قرب . أى ما تسلى حبها بأمر يسير هين ، بل بأمر شديد .

٧ – عرفاء : المشرفة موضع العرف من الفرس . كالفحل : لعظم خلقها . جمالية : مشبهة بخلقة الجمل . الهباب : النشاط والسرعة فى السير كالهبوب .

٨ – لم تقرأ جنينا : لم تحمل به . القيظ : يعنى فى القيظ . لا أصرها : الصر شد الأخلاف ، أى ليس لها لبن فأصرها . البهم : جمع بهمة ، وهى الصغيرة من ولد الغنم . يريد : ولا أستعملها فى حمل هذا ، لأنها نجيبة معدة للسير . قال المرزوقى : « وكانوا يحملون بهم الغنم على الإبل المبتذلة فى أجناس الأعمال ، وللرواحل حالة أخرى » .

٩ – عزبت : تباعدت . فى الشول : مع الشول ، وهى الإبل التى لا ألبان لها . نوت : سمنت . الحبك : الطرائق من تجمع الوبر فى السنام . يقول : ساغ لها ذلك السنام ، أى دام لها . كالإرم : كالعلم ، وهو الجبل ، والإرم هنا بوزن « عنب » .

١٠ – مجدافها : ما تستحث به من سوط ونحوه . المفرد الذى أفردته خشية القناص ، فهو لا يألو عدوًا . الزلم : قدح الميسر ، شبهه به فى اندماج خلقه .

١١ – النصع : الثوب الشديد البياض . يمان : يمنى . الأكرع : جمع كراع ، وهو مستدق الساق العارى من اللحم . التخنيف ، بالنون : اللون ، وعند المرزوق « تخييف » بالياء بدل النون ، ولم ترد بالنون فى المعاجم . الحمم : الفحم . يريد أن قوائم الثور منقطة بسواد ، تخالف لون جسده ولون وجهه .

١٢ – يغيب ، الغيب : ما غاب من الأرض ، أى اطمأن . يريد أن الثور اعتمد الغيب ليستتر فيه . ويروى أنها « بغيث » والغيث المكان الذى غيث أى أصابه الغيث . الحربث والينم : بقلتان تنبتان بالسهل .

(١٤٨)

وقال المُرَقِّشُ الأكبر أيضا

(البحر السريع)

١ – هَلْ بالدِّيَارِ أنْ تُجِيبَ صَمَمْ ... لَوْ كانَ رَسْمٌ ناطِقًا كَلَّمْ
٢ – الدَّارُ قَفْرٌ والرُّسُومُ كَمَا ... رَقَّشَ فى ظَهْرِ الأَدِيمِ قَلَمْ
٣ – دِيَارُ أَسْمَاءَ التى تَبَلَتْ ... قَلْبِى ، فَعَيْنِى ماؤُها يَسْجُمْ
٤ – أَضْحَتْ خَلاَءً نَبْتُها ثَئِدٌ ... نَوَّرَ فيها زَهْوُهُ فاعْتَمْ

---

١٤٨ – جو القصيدة : مرثية رثى بها ابن عمه ثعلبة بن عوف بن مالك بن ضبيعة ، قتله بنو تغلب ، قتله مهلهل فى حربهم تلك ، فى ناحية « التغلمين » وكان معه مرقش فأفلت ، ثم إنه بعد طلب بدم ثعلبة ، فقتل رجلا من تغلب يقال له عمرو بن عوف . وهى من نادر الشعر الذى بدىء فيه الرثاء بالغزل ، وتجد صميم الرثاء فى الأبيات ٧ – ١٧ . أما أول القصيدة ففيه وقوفه على دار صاحبته وقد أقفرت ، ووصف الظعائن من الحسان . وبعد أن ساق الرثاء أشار إلى ملك من آل جفنة ، وتنصل من تبعه فتكه ببعض قبائل العرب . ولكنه مع ذلك مدحه ونعت جيشه ، ثم صرح بأن قومه خئولة هذا الملك ، وإن كان لم يصرح باسمه . وفخر بعد ذلك بقومه ، وربأ بهم أن يكونوا كأقوام آخرين هجاهم هجاء بارعا . ثم تمدح بكرم قومه وشجاعتهم . ثم ختمها ببيت بديع فى الشباب وركوبهم الصعاب .

التخريج : المفضلية ٥٤ .

الشرح :

٢ – رقش : زين وحسن ، أو كتب . يعنى آثار الرياح فى الديار . الأديم : الجلد .

٣ – أصل التَّبْل : العداوة . تبلت قلبه : أصابته بتبل ، كناية عن إخضاعها إياه . يسجم : يقطر .

٤ – الثأد ، بفتحتين : الندى ، والثئد : الذى أصابه الندى . زهوه : لونه من أحمر وأبيض وأصفر . اعتم : كثر واستد خصاصه .

٥ — بَلْ هَلْ شَجَتْكَ الظُّعْنُ باكِرَةً كأنَّهُنَّ النَّخْلُ مِنْ مَلْهَمْ
٦ — النَّشْرُ مِسْكٌ والوُجُوهُ دَنَا نِيرُ وأطْرَافُ البَنَانِ عَنَمْ
٧ — لم يُشْجِ قَلْبِى مِلْحَوادِثِ إلا (م) صَاحِبِى المَتْرُوكُ فى تَغْلَمْ
٨ — ثَعْلَبُ ضَرَّابُ القَوانِسِ بالـ ـسَّيْفِ وهادِى القَوْمَ إذْ أظْلَمْ
٩ — فَاذْهَبْ فِدًى لَكَ ابنُ عَمِّكَ لَا يَخْلُدُ إلّا شَابَةٌ وأَدَمْ
١٠ — لو كانَ حَىٌّ ناجِيًا لَنَجَا مِنْ يَوْمِهِ المُزَلَّمُ الأَعْصَمْ
١١ — فى بَاذِخَاتٍ مِنْ عَمَايَةَ أوْ يَرْفَعُهُ دُونَ السَّمَاءِ خِيَمْ
١٢ — مِنْ دُونِهِ بَيْضُ الأَنُوقِ وفَوْ قَهُ طَوِيلُ المَنْكِبَيْنِ أَشَمْ

---

٥ — الشجا : الحزن ، وشجاه : حزنه . الظُّعْن : النساء بهوادجهن . ملهم : أرض باليمامة كثيرة النخل .

٦ — النشر : الريح ، يقول : ريحهن كالمسك . دنانير ، ممنوع من الصرف ويقرؤه كثير من الناس هنا مصروفا وهو خطأ . العنم : شجر أحمر ، شبه حمرة أطراف الأصابع به .

٧ — لم يشج : لم يحزن . ملحوادث : من الحوادث ، وكثيرا ما يحذفون النون من « من » عند الألف واللام لالتقاء الساكنين ، وهذا يدل على أن ما ينطق به العوام فى بلادنا فى مثل ذلك له أصل صحيح فى لغة العرب . تغلم : موضع .

٨ — ثعلب : بدل من « صاحبى » فى البيت قبله . وهو اسم رجل بعينه ، وهو ابن عمه ثعلبة بن عوف بن مالك بن ضبيعة بن قيس بن ثعلبة ، وكان يلقب « الخشام » . القوانس : أعلى البيض ، أو أوساط الرءوس .

٩ — شابة وأدم : جبلان ، يقول : لا يبقى إلا الجبال ، كل يموت .

١٠ — المزلم : الوعل اللطيف الخلق المجتمع . الأعصم : الذى فى يديه بياض .

١١ — الباذخات : الجبال الطوال . عماية وخيم : جبلان .

١٢ — الأنوق : الرخم ، وهو لا يبيض إلا فى أبعد ما يقدر عليه فى الأمكنة يريد : من دون هذا الوعل بيض الأنوق . أى أن الرخمة تقصر عن بلوغ أقصى هذا الجبل . طويل المنكبين : يريد جبلا . الأشم : المشرف .

١٣ – يرقاهُ حيثُ شاء مِنْهُ وإمَّا (م) تُنْسِهِ مَنِيَّـةٌ يَهْـرَمْ
١٤ – فَغَالَهُ رَيْبُ الحَوَادِثِ حَـ (م) تَّى زَلَّ عَنْ أَرْيَادِهِ فَحُطِمْ
١٥ – لَيْسَ على طُولِ الْحَياةِ نَدَمْ وَمِنْ وَرَاءِ المَرْءِ ما يَعْلَمْ
١٦ – يَهْلِكُ وَالِدٌ ويَخْلُفُ مَوْ لُودٌ وكُلُّ ذِى أَبٍ يَيْتَمْ
١٧ – والوَالِدَاتُ يَسْتَفِدْنَ غِنًى ثُمَّ على المِقْدَارِ مَنْ يَعْقَمْ
١٨ – ماذَنْبُنَا فى أَنْ غَزَا مَلِكٌ مِنْ آلِ جَفْنَةَ حَازِمٌ مُرْغِمْ
١٩ – مُقابَلٌ بَيْنَ العَوَاتِكِ والـ ـغُلَّفِ لانِكْسٌ ولا تَوْءَمْ
٢٠ – حارَبَ وَاسْتَعْوَى قَرَاضِبَةً لَيْسَ لَهُمْ مِمَّا يُحَازُ نَعَمْ

---

١٣ – تنسه : تؤخره . وأصلها « تنسئه » .

١٤ – غاله : اغتاله . الأرياد : جمع ريد ، وهو الشمراخ الأعلى من الجبل . حطم ، بالبناء للمجهول من « حطمه » أى كسره . وتقرأ « حطم » من باب « فرح » أى تكسر .

١٥ – أراد : ليس على فوت طول الحياة ندم . وراء ههنا : بمعنى أمام . ما يعلم : عاقبة عمله ، أى الهرم والكبر والضعف وكثرة العلل .

١٧ – غنى : يعنى بكثرة الولد . على المقدار : أى بقدر الله وحكمه .

١٨ – مرغم : يرغم عدوه .

١٩ – مقابل ، بفتح الباء : كريم الأبوين . العواتك : جمع عاتكة وهى المحمرة من الطيب ، والمراد بالعواتك عاتكة بنت هلال بن فالج بن ذكوان وبنت أخيها عاتكة بنت الأوقص بن مرة بن هلال ، وهن من سليم من الأزد .

الغلف : يريد غلفاء وسلمة عمى امرئ القيس ، وفى المعاجم أن غلفاء لقب سلمة ، وما هنا أوثق . النكس : الضعيف . والتوءم يكون ضعيفا يقارن آخر فى بطن أمه فيخرج ضاويا .

٢٠ – استعوى : استدعى واستنصر . القراضبة : الفقراء ، واحدهم قرضاب وقرضوب . النعم : الإبل .

٢١ – بِيضٌ مَصَالِيتٌ وُجُوهُهُمُ لَيْسَتْ مِياهُ بِحَارِهِمْ بِعُمُمْ
٢٢ – فانْقَضَّ مِثْلَ الصَّقْرِ يَقْدُمُهُ جَيْشٌ كَغُلَّانِ الشُّرَيْفِ لِهَمّْ
٢٣ – إنْ يَغْضَبُوا يَغْضَبْ لِذَاكَ كَما يَنْسَلُّ مِنْ خِرْشَائِهِ الأَرْقَمْ
٢٤ – فنحنُ أَخْوَالُكَ عَمْرَكَ والـ ـخَالُ لَهُ مَعَاظِمُ وحُرَمْ
٢٥ – لَسْنا كأَقْوَامٍ مَطَاعِمُهُمْ كَسْبُ الخَنَا ونَهْكَةُ الْمَحْرَمْ
٢٦ – إنْ يُخْصِبُوا يَعْيَوْا بِخَصْبِهِمُ أو يُجْدِبُوا فَهُمْ بِهِ أَلْأَمْ
٢٧ – عامَ تَرَى الطَّيْرَ دَوَاخِلَ فى بُيُوتِ قَوْمٍ مَعَهُمْ تَرْتَمْ
٢٨ – وَيَخْرُجُ الدُّخَانُ مِنْ خَلَلِ الـ (م) ـسِّتْرِ كَلَوْنِ الكَوْدَنِ الأَصْحَمْ

---

٢١ – المصاليت : جمع مصلات ، وهو الماضى فى الأمور المتجرد فيها . وجاء هذا الوصف فصلا بين الصفة ومعمولها ، أراد : بيض وجوههم . العمم ، بضمتين : الكثيرة ، واحدها عميم .

٢٢ – الغلان : جمع غال ، بتشديد اللام ، وهى أودية فيها شجر . الشريف ، بالتصغير : مكان بنجد . اللهم ، بكسر اللام وفتح الهاء وتشديد الميم الذى يلتهم كل ما مر به لكثرته وعزته .

٢٣ – يغضب : يعنى الملك الممدوح . الخرشاء : جلد الحية . الأرقم : الحية .

٢٤ – عمرك : يحلف بعمره ، وهو مفتوح الراء .

٢٥ – الخنا : الفساد . نهكة المحرم : انتهاك الحرم . يقول : لا نهجو الناس ليعطونا .

٢٦ – يريد أن الخصب يطغيهم والجدب يكشف عن لؤمهم .

٢٧ – ترتم : من الارتمام ، وهو الأكل . وإنما تدخل الطير البيوت لتأكل فى وقت الجدب .

٢٨ – الكودن : البرذون البطىء السير . الأصحم : الأسود ليس بشديد السواد فيه صفرة . أراد أنهم يسترون النار .

٢٩ – حَتَّى إذَا ما الأَرْضُ زَيَّنها الـ (م) ـنَّبْتُ وجُنَّ رَوْضُهَا وأُكَمّ
٣٠ – ذَاقُوا نَدَامَةً فلَوْ أَكَلُوا الـ ـخُطْبَانَ لَمْ يُوجَدْ لَهُ عَلْقَمْ
٣١ – لَكِنَّنَا قَوْمٌ أَهَابَ بنا فى قَوْمِنا عَفَافَةٌ وكَرَمْ
٣٢ – أَمْوَالُنا نَقِى النُّفُوسَ بها مِنْ كُلِّ مايُدْنِى إليهِ الذَّمّ
٣٣ – لا يُبْعِدِ اللهُ التَّلَبُّبَ والـ ـغَارَاتِ إذْ قالَ الخَمِيسُ نَعَمْ
٣٤ – والْعَدْوُ بَيْنَ المجْلِسَيْنِ إذَا وَلَّى الْعَشِىُّ وقَدْ تَنَادَى العَمّ
٣٥ – يَأْتِى الشَّبَابُ الأَقْوَرِينَ ولاَ تَغْبِط أخاكَ أَنْ يُقالَ حَكَمْ

---

٢٩ – جن النبت : علا وطال والتف . أكم : صار فى أكامه .

٣٠ – الخطبان ، بضم فسكون : الحنظل . العلقم : المر . يقول : فى صدورهم من العداوة ما لو أكلوا معه الحنظل ما وجدوا له مرارة .

٣٣ – لا يبعد الله : أى لا كان آخر عهدى به . التلبب : لبس السلاح كله . الخميس : الجيش . النعم : الإبل . أى إذا قال الجيش هذا نعم فأغيروا عليه .

٣٤ – العدو بين المجلسين : عند مجىء الأضياف ، فالشباب يعدون بين المجالس لإنزالهم ، ينزلون الضيف ويصلحون من شأنه . ولى العشى : لأن الضيف لا يجىء فى ذلك الوقت . العم : الجماعة من الناس الكثيرة . تنادوا : تجالسوا فى النادى وهو المجلس .

٣٥ – أراد بالأقورين الدواهى . أن يقال حكم : وذلك أنه لا يتحاكم إليه إلا بعد الكبر ، وذلك بالقرب من الموت ، فما يقربه من الموت فلا يغبط به .

(١٤٩)
وقال المُرَقِّشُ الأكبر أيضا

(البحر الخفيف)

١ – لِمَنِ الظُّعْنُ بالضُّحَى طافِيَاتٍ شِبْهُهَا الدَّوْمُ أَوْ خَلايا سَفِينِ
٢ – جَاعِلاتٍ بَطْنَ الضِّبَاعِ شِمَالًا وبِرَاقَ النِّعَافِ ذَاتَ الْيَمِينِ
٣ – رافعاتٍ رَقْمًا تُهَالُ لَهُ العَيْـ ـنُ على كلِّ بازِلٍ مُسْتَكِينِ
٤ – أو عَلَاةٍ قد دُرِّبَتْ دَرَجَ المِشْـ ـيَةِ حَرْفٍ مِثْلِ المَهَاةِ ذَقُونِ

---

١٤٩ – جو القصيدة : وصف ظعن النساء ، ومسالكها فى البادية ، وذكر أنهن يمضين قدما لا يبالين بمن خلفهن . ثم خاطب المنذر وأبدى له أنه لا يكترث بظلمه إياه وطرده ، وتمدح نفسه بالعفة ، وعدم الاستسلام ، والولوع بالرحلة ، ونعت فى آخر ذلك سيفه .

التخريج : المفضلية ٤٨ .

الشرح :

١ – الظعن : الإبل بهوادجها فيها النساء ، واحدها ظعينة . طافيات : عاليات ، كأنها تطفو على الماء . الدوم : شجر الدوم . الخلايا : جمع خلية ، وهى السفينة العظيمة . السفين : جمع سفينة .

٢ – بطن الضباع : واد . البراق ، بكسر الباء : جمع برقه ، بضمها ، وهو طين وحصى ، أو حصى ورمل يجتمع . والنعاف : جمع نَعْف ، وهو ما ارتفع من مسيل الوادى وانحدر عن الجبل .

٣ – الرقم : ضرب من ثياب اليمن تشد بها الرحال وتجعل على الهودج . تهال له العين : أى تفزع من حسنه . البازل من الإبل : الداخل فى التاسعة من عمره . المستكين : الذليل النفس . وإنما خص البازل الذكر لأن الذكور أذل من الإناث ، فهم يحملون النساء عليها .

٤ – العلاة : الناقة الصلبة ، وأصلها سندان الحداد ، شبهت به لصلابتها . درج المشية : أى علمت المشى طبقة بعد طبقة . الحرف : الناقة الضامر . المهاة : بقرة الوحش ، شبهت بها لسرعتها . الذقون : التى رفعت رأسها فى الخطام والزمام . وهذا المعنى لم يذكر فى المعاجم .

٥ - عامِدَاتٍ لِخَلٍّ سَمْسَمَ مايَنْـ ـطُرْنَ صَوْتًا لِحَاجَةِ المَحْزُونِ
٦ - أَبْلِغَا الْمُنْذِرَ المُنَقِّبَ عَنِّى غيرَ مُسْتَعْتِبٍ ولا مُسْتَعِينِ
٧ - لَاتَ هَنَّا ولَيْتَنِى طَرَفَ الزُّ (م) جِّ وأَهْلِى بالشَّأْمِ ذَاتِ القُرُونِ
٨ - بِامْرِئٍ مافَعَلْتَ عَفٍّ يَئُوسٍ صَدَقَتْهُ المُنَى لِعَوْضِ الْحِينِ
٩ - غَيْرَ مُسْتَسْلِمٍ إذا اعْتَصَرَ الْعَا جِزُ بالسَّكْتِ فى ظِلَالِ الْهُونِ
١٠ - يُعْمِلُ البَازِلَ المُجِدَّةَ بالرَّحْـ ـلِ تَشَكَّى النِّجادَ بَعْدَ الحُزُونِ
١١ - بِفَتًى ناحِفٍ وأَمْرٍ أَحَذٍّ وَحُسَامٍ كالمِلْحِ طَوْعِ الْيَمِينِ

---

٨ - أى : فعلت هذا بامرئ عف ، إذ ألجأته للهرب . صدقته المنى : نال ما تمنى . لعوض الحين : أبد الدهر .

٩ - اعتصر : التجأ . السكت : السكوت . الهون : الهوان .

١٠ - البازل : يوصف به الجمل والناقة ، وهو الذى طلع نابه ، أو نابها . المجدة : الجادة فى سيرها . بالرحل : أى تجد وعليها راكب فوق الرحل . النجاد : جمع نجد ، وهو ما ارتفع من الأرض . الحزون : جمع حزن ، وهو ما غلظ من الأرض .

١١ - الناحف : النحيف . والعرب تمدح بقلة اللحم وتهجو بالسمن . الأحذ : الخفيف .

(١٥٠)

وقال المُرَقِّشُ الأكبر أيضا

(البحر الكامل)

١ – ما قُلْتَ هَيَّجَ عينَه لِبُكائِها
مَحْسُورَةً باتَتْ على إغْفَائِهَا

٢ – فكَأَنَّ حَبَّةَ فُلْفُلٍ فى عَيْنِهِ
ما بَيْنَ مُصْبَحِها إلى إمْسَائِهَا

٣ – سَفَهًا تَذَكُّرُهُ خُوَيْلَةَ بَعْدَما
حالَتْ قُرَى نَجْرانَ دُونَ لِقَائِها

٤ – واحْتَلَّ أَهْلِى بالْكَثِيبِ ، وأَهْلُهَا
فى دَارِ كَلْبٍ أَرْضِها وسَمَائِها

٥ – ياخَوْلَ مايُدْرِيكِ رُبَّتَ حُرَّةٍ
خَوْدٍ كَرِيمَةِ حَيِّهَا ونِسَائِها

---

١٥٠ – **جو القصيدة** : أبدى حسرته لذكريات طافت به ، وأسفا لما حال بينه وبين خويلة من بعد الدار . ووصف لهوه فى شبابه بالغيد وبالخمر ، وجده فى الحرب . ونعت فرسه ، ثم فخر بقومه .

التخريج : المفضلية ٥١ .

الشرح :

١ – ما قلت : « ما » موصولة . المحسورة : المعيبة . قد حسرها البكاء وأعياها . الإغفاء : النوم الخفيف .

٤ – الكثيب : قرية لبنى محارب بالبحرين .

٥ – الخود : الفتاة الحسنة الخلق الناعمة .

٦ – قَدْ بِتُّ مالِكَها وشَارِبَ رَيَّةٍ
قَبْلَ الصَّباحِ كَرِيمَةٍ بِسِبَائِهَا

٧ – وَمُغِيرَةٍ نَسْجَ الجَنُوبِ شَهِدْتُها
تَمْضى سَوَابِقُهَا علَى غُلَوَائِها

٨ – بِمُحَالَةٍ تَقِصُ الذُّبَابَ بِطَرْفِها
خُلِقَتْ مَعاقِمُها على مُطَوَائِها

٩ – كَسَبِيبَةِ السِّيَراءِ ذَاتِ عُلَالَةٍ
تَهْدِى الجِيادَ غَدَاةَ غِبِّ لِقائِها

١٠ – هَلَّا سَأَلْتِ بِنَا فَوَارِسَ وَائِلٍ
فَلَنَحْنُ أَسْرَعُهَا إلى أَعْدَائِهَا

١١ – وَلَنَحْنُ أَكْثَرُهَا إِذَا عُدَّ الْحَصَى
ولَنَا فَوَاضِلُهَا وَمَجْدُ لِوَائِهَا

---

٦ – أراد بالرية الخمر . السباء : اشتراء الخمر ، يريد أنه اشتراها ، ولم يشرب مع قوم اشتروها دونه .

٧ – المغيرة : القوم يغيرون . الجنوب : الريح التى تقابل الشمال . و « نسج الجنوب » يريد أن هذه المغيرة تمر مر الريح . السوابق : الخيل السابقة . غلواؤها : ارتفاعها . أى أن سوابقها تمضى على ارتفاعها فى السير .

٨ – المحالة ، بضم الميم : الشديدة المحال ، بفتحها . والمحال ، بالفتح فقار الصلب ، الواحدة محالة . ولم تذكر « المحالة » بضم الميم فى المعاجم . تقص الذباب : تقتله بطرفها ، إذا دنا من عينها ضربته بجفنها فقتلته . المعاقم : الفصوص ، وهى المفاصل . على مطوائها : أى كانت تمطت فخلقت على ذلك ، كناية عن شدتها وطولها .

٩ – السبيبة : الشقة . السيراء : من ثياب اليمن ، شبهها بالسيراء للطافتها فى خلقها ولينها . العلالة : البقية ، أراد هنا بقية الجرى ، أى يجد عندها بقية من السير إذا فتر غيرها . تهدى الجياد : تتقدمها . غب لقائها : بعد لقائها .

(١٥١)

وقال المُرَقِّشُ الأكبر أيضا

(البحر الطويل)

١ – هل يَرْجِعَنْ لى لِمَّتِى إنْ خَضَبْتُها
إلى عَهْدِها قَبْلَ الْمَشيبِ خِضَابُهَا

٢ – رأَتْ أُقْحُوَانَ الشَّيْبِ فَوْقَ خَطِيطَةٍ
إذَا مُطِرَتْ لَمْ يَسْتَكِنَّ صُؤَابُهَا

٣ – فَإنْ يُظْعِنِ الشَّيْبُ الشَّبَابَ فَقَدْ تَرَى
بِهِ لِمَّتِى لَمْ يَرِمْ عَنْهَا غُرَابُهَا

---

١٥١ – جو الأبيات : يبكى شبابه ويألم لما أصابه فى شيخوخته .

التخريج : المفضلية ٥٣ .

الشرح :

٢ – الأقحوان : نبت له زهر أبيض ، شبه الشيب به لبياضه .

الخطيطة : أرض لم تمطر بين أرضين ممطورتين ، شبه بها رأسه لأنه لا شعر فيه كالخطيطة لا نبت فيها ، إذ فقدت المطر . الصواب : بيض القمل . لم يستكن : لم يجد شعرا يأوى اليه .

٣ – شبه سواد شعره بالغراب .

(١٥٢)

وقال المرقِّشُ الأكبرُ أيضًا

(البحر البسيط)

١ – إنَّا مُحَيُّوكِ ياسَلْمَى فَحَيِّينَا
وَإنْ سَقَيْتِ كِرَامَ النَّاسِ فاسْقِينَا

٢ – وإنْ دَعَوْتِ إلى جُلَّى ومَكْرُمَةٍ
يَوْمًا سَرَاةَ كِرَامِ النَّاسِ فادْعِينَا

٣ – إنْ تُبْتَدَرْ غايَةٌ يَوْمًا لِمَكْرُمَةٍ
تَلْقَ السَّوَابِقَ منَّا والمُصَلِّينا

٤ – ولَيْسَ يَهْلِكُ مِنَّا سَيِّدًا أبَدًا
إلّا افْتَلَيْنَا غُلَامًا سَيِّدًا فِينَا

٥ – إنَّا لَنُرْخِصُ يَوْمَ الرَّوْعِ أنْفُسَنَا
ولوْ نُسَامُ بها فى الأمْنِ أُغْلِينَا

---

١٥٢ – جو القصيدة : مطلع خمرى – وهو مذهب نادر جدا فى الشعر الجاهلى – بعده فخر قبلى .

التخريج : شعراء النصرانية ١/٢٨٦ – ٢٨٩ ، والمفضلية ١٢٨ الأبيات ١ ، ٢ ، ٦ ، ٧ ونسبت القصيدة فى الحماسة إلى بعض بنى قيس بن ثعلبة .

الشرح :

٣ – وإنما قال المصلين ولم يقل المصليات مع السوابق لأن قصده إلى الآدميين وإن كان استعارهما من صفات الخيل ... والمصلى الذى يتلو السابق فيكون رأسه عند صلاه ، والصلوان العظمان الناتئان من جانبى العجز .

٤ – الافتلاء : الافتطام والأخذ عن الأم ومنه الفَلُوُّ .

٦- بِيضٌ مَفارِقُنا تَغْلِى مَراجِلُنَا
نَأسُو بِأَمْوَالِنَا آثارَ أَيْدِينَا
٧- المُطعِمُونَ إِذَا هَبَّتْ شَآمِيَةٌ
وَخَيْرُ نادٍ رَآهُ النَّاسُ نَادِينَا
٨- إِنِّى لَمِنْ مَعْشَرٍ أَفْنَى أَوَائِلَهُمْ
قِيلُ الكُمَاةِ أَلَا أَيْنَ المُحَامُونَا
٩- لَوْ كَانَ فى الأَلْفِ مِنَّا واحِدًا فَدَعَوْا
مَنْ فارِسٌ خَالَهُمْ إِيَّاهُ يَعْنُونَا
١٠- إِذَا الكُمَاةُ تَنَحَّوْا أَنْ يُصِيبَهُمُ
حَدُّ الظِّبَاتِ وَصَلْنَاهَا بِأَيْدِينا
١١- ولا تَراهُمْ وَإِن جَلَّتْ مُصِيبَتُهمْ
مَعَ البُكَاةِ علَى مَنْ ماتَ يَبْكُونَا
١٢- ونَرْكَبُ الكُرْهَ أَحْيَانًا فَيَفْرِجُهُ
عَنَّا الحِفَاظُ وأَسْيَافٌ تُوَاتِينَا

مجمـــوعة

ما أُنْشِدَ للمُسَيَّبِ بْنِ عَلَسٍ (*)

(*) النص الشعرى دون الشرح من كتاب الصبح المنير فى شعر أبى بصير ص ٣٤٧ – ٣٥٩ وسلسلة نشريات جب رقم ٦ طبع لندن سنة ١٩٢٨ .

١/١٥٣

قال المُسَيَّبُ بْنُ عَلَس (١)

(البحر الكامل)

بِمُحَالَةٍ تَقِصُ الذُّبَابَ بِطَرْفِهَا   خُلِقَتْ مَعَاقِمُهَا عَلَى مُطَوَائِهَا

---

١ – الرقم الأول ١٥٢ فى مثل ١/١٥٢ هو مسلسل ديوان بنى بكر ، والرقم الثانى لمسلسل شعر المسيب .

[**٢/١٥٣**] ٢ – اتبعت الطريقة المألوفة فى ضبط الكلمات ، ولم أتبع ضبط جاير « الصوتى » المتأثر بالضبط القرآنى ؛ إذ ضَبَطَ هذا البيت مثلا هكذا :

مَصَالِيتٌ لُدَى الهَيْجَاءِ صِيدٌ   لَهُــمْ عَدَدٌ لَهُ لَجَبٌ وَغَــابُ

٢/١٥٤

وقـــال

(البحر الوافر)

وَلَوْ أَنِّى دَعَوْتُ بِجَوِّ قَوٍّ ... أَجَابَتْنِى بِعَادِيَةٍ جِنَـــابُ
مَصَالِيتٌ لَدَى الْهَيْجَاءِ صِيدٌ ... لَهُمْ عَدَدٌ لَهُ لَجَبٌ وَغَابُ

٣/١٥٥

وقـــال

(بحر المتقارب)

١ – أَبْلِغْ ضُبَيْعَةَ أَنَّ الْبِلَا دَ فِيهَا لِذِى حَسَبٍ مَهْرَبُ
٢ – فَقَدْ يَجْلِسُ الْقَوْمُ فى أَصْلِهِمْ إذَا لَمْ يُضَامُوا وإِنْ أَجْدَبُوا
٣ – فَإِنَّ الذِى كُنْتُمُ تَحْذَرُو نَ جاءَتْ عُيُونٌ بِهِ تَضْرِبُ
٤ – فلَا تَجْلِسُوا غَرَضًا لِلْمَنُو نِ حَذْفًا كَمَا تُحْذَفُ الْأَرْنَبُ
٥ – وسِيرُوا عَلَى إثْرِ أُولَاكُمُ ولا تَنْظُرُوا مِثْلَها واذْهَبُوا
٦ – فَإِنَّ مَوَالِيَكُمْ أَصْفَقُوا فَكُلُّهُمُ جَنْبَهُ أَجْرَبُ
٧ – وإِنَّهُمُ قَدْ دَعَوْا دَعْوَةً سَيَتْبَعُهَا ذَنَبٌ أَهْلَبُ
٨ – سَتَحْمِلُ قَوْمًا عَلَى آلَةٍ تَظَلُّ الرِّمَاحُ بِهِمْ تَغْلُبُ
٩ – وَلَوْلَا عُلَالَةُ أَرْمَاحِنَا لَظَلَّتْ نِسَاؤُهُمُ تُجْنَبُ
١٠ – فَإِنْ لَمْ تَكُنْ بِكُمُ مُنَّةٌ يُبَلِّغُهَا الْبَلَدُ الْأَرْكَبُ
١١ – فَدِيخُوا عَبِيدًا لِأَرْبَابِكُمْ فَإِنْ سَاءَكُمْ ذَاكُمُ فَاغْضَبُوا
١٢ – وَهَلْ يَجْلِسُ الْقَوْمُ لَا يُنْكِرُونَ وَكُلُّهُمُ أُنْفُهُ يُضْرَبُ
١٣ – وَسِيرُوا فإِنِّى لَكُمْ بِالرِّضَا عَرَانِينَ شَيْبَانَ أَنْ تُقْرِبُوا

[**٣/١٥٥**] ١ – أى أنتم تُظلمون فيها فماذا يقعدكم؟

٣ – المراد بالعيون هنا جواسيس القبيلة (الربايا) الذين كانوا يتحسسون الأخبار .

٤ – الحاذف بالعصا والقاذف بالحجر .

٦ – أصفقوا : اجتمعوا .

٩ – علالة أرماحنا : الطعن بها مرة بعد مرة . تُجنب : تسبى .

١٠ – المنة : القوة .

١١ – ديخوا : ذلوا .

١٣ – عرانين شيبان : ساداتهم وأشرافهم .

١٤ —فَلَا هَا هُنَاكَ وَلَا هَا هُنَا لَكُمْ مَوْئِلٌ غَيْرُهُمْ فَانْصِبُوا
١٥ —لِفَرْعِ نِزَارٍ وَهُمْ أَصْلُهَا نَمَا بِهِمُ العِزُّ فَاغْلَوْلِبُوا
١٦ —وَيَوْمُ العِيَانَةِ عِنْدَ الكَثِيبِ يَوْمٌ أَشَائِمُــهُ تَنْــعَبُ
١٧ —تَبِيتُ الْمُلُوكُ عَلَى عَتْبِهَا وَشَيْبَانُ إِنْ غَضِبَتْ تُعْتَبُ
١٨ —وَكَالشَّهْدِ بِالرَّاحِ أَخْلَاقُهُمْ وَأَحْلَامُهُمْ مِنْهُمَا أَعْذَبُ
١٩ —وَكَالْمِسْكِ تُرْبُ مَقَامَاتِهِمْ وَرَيَّا قُبُورِهِـمُ أَطْــيَبُ
٢٠ —وَقَدْ كَانَ سَامَةُ فِى قَوْمِهِ لَهُ مَأْكَلٌ وَلَـهُ مَشْرَبُ
٢١ — فَسَامُوهُ خَسْفًا فَلَمْ يَرْضَهُ وَفِى الأَرْضِ عَنْ خَسْفِهِمْ مَذْهَبُ
٢٢ —فَقَالَ لِسَامَةَ إِحْدَى النِّسَاءِ مَالَكَ يَاسَامُ لَا تَرْكَبُ
٢٣ —أَكُلُّ الْبِلَادِ بِهَا حَارِسٌ مُطِلٌّ وَضِرْغَامَـةٌ أَغْلَبُ
٢٤ —فَقَالَ : بَلَى ، إِنَّنِى رَاكِبٌ وَإِنِّى لِقَوْمِـى مُسْتَعْتِبُ.
٢٥ —فَشَدَّ أَمُونًـا بِأَنْسَاعِهَـــا بِنَخْلَةَ إِذْ دُونَهَا كَبْكَبُ
٢٦ —فَجَنَّبَهَا الْهَضْبَ تَرْدِى بِهَا كَمَا شَجَرَ الْقَارِبَ الأَحْقَبُ
٢٧ —فَلَمَّـا أَتَـى بَلَـدًا سَرَّهُ بِهِ مَرْتَعٌ وَبِـهِ مَعْزَبُ
٢٨ —وَحِصْنٌ حَصِينٌ لِأَبْنَائِهِمْ وَرِيفٌ لِإِبْلِهِـمُ مُخْصِبُ
٢٩ —تَذَكَّرَ لَمَّـا ثَوَى قَوْمَـهُ وَمِنْ دُونِهِمْ بَلَدٌ عُزَّبُ
٣٠ —فَكَرَّتْ بِهِ حَرَجٌ ضَامِرٌ فَآبَتْ بِهِ صُلْبُهَا أَحْدَبُ

---

١٤ — انصبوا : اقصدوا .

١٥ — نما : ارتفع . اغلولبوا : اشتدوا وكثروا .

١٦ — أشائم : جمع الأشأم أى المشئوم .

٢٥ — أمون : ناقة تسير سيرا لا يرهق راكبها ، إذ يأمن عثارها .

٢٦ — الهضب : جمع الهضبة وهى الجبل الممتد على وجه الأرض . شجر فلانا عن الأمر : صرفه . الأحقب : الحمار الوحشى .

٣١ – فَقالَ أَلَا فَابْشِرُوا واظْعَنُوا فَصَارَتْ عِلَافٌ ولَمْ يُعْقِبُوا
٣٢ – وَلَمْ يَنْهَ رِحْلَتَهُمْ فى السَّمَا ءِ نَحْسُ الْخَرَاتَيْنِ وَالْعَقْرَبُ
٣٣ – فَبَلَّغَهُ دَلَجٌ دَائِبٌ وَسَيْرٌ إذَا صَدَحَ الْجُنْدَبُ
٣٤ – فَحِينَ النَّهَارِ يَرَى شَمْسَهُ وَحِينًا يَلُوحُ بِهَا كَوْكَبُ
٣٥ – عُدَيَّهُ لَيْسَ لَهَا نَاصِرٌ وَعَزْوَى الَّتِى هَدَمَ الثَّعْلَبُ
٣٦ – وَفِى النَّاسِ مَنْ يَصِلُ الْأَبْعَدِينْ وَيَشْقَى بِهِ الْأَقْرَبُ الْأَقْرَبُ
٣٧ – دَعا شَجَرَ الأَرْضِ دَاعِيهِمُ لِيَنْصُرَهُ السِّدْرُ وَالْأَثْأَبُ
٣٨ – فَإِنَّ لَنَا إِخْوَةٌ تَحْدَبُونْ عَلَيْنَا وَعَنْ غَيْرِنَا غَيَّبُوا

---

٣١ – العِلاف : جمع العلف وهو طعام الحيوان .

٣٧ – الأَثأب : شجر كالتين ، ينبت فى بطون الأَودية بالبادية .

٤/١٥٦

وقـــال

(البحر الوافر)

فَصَارَ الْهَمُّ إلَّا فِى صَدِيقٍ ... كَأَنْ وَطَأْتُهُمْ مَوْتَى الضَّبَابِ

٥/١٥٧

وقـــال

(البحر الطويل)

إِذَا سَرَّكُمْ أَلَّا يَئُوبَ إِلَيْكُمُ   غِزَارًا فَقُولُوا لِلْمُسَيَّبِ يَسْرَحُ

٦/١٥٨

وقـال

(البحر الكامل)

وَكَأَنَّ فاهَا كُلَّمَا نَبَّهْتَهَـا عَانِيَّةٌ شُجَّتْ بِمَاءِ بَرَاحِ

[٦/١٥٨] انظر فى شعر المسيب ١١/١٦٢ البيت ٤ . العانية : الخمر . شجت : مزجت .

٧/١٥٩

وقــال

(البحر الطويل)

لَسَسْنَ بُقُولَ الصَّيْفِ حَتَّى كَأَنَّمَا   بِأَفْوَاهِهَا مِنْ أَسٍّ حُلِّبِها الصَّقْرُ

أظنه هذا البيت للمتلمس

[٧/١٥٩] الأس : الفساد . الصقر : شدة الحرارة .

٨/١٦٠

وقـــال

(البحر الطويل)

١ -إنِّى امْرُؤٌ مُهْدٍ بِغَيْبٍ تَحِيَّةً
إلى ابْنِ الْجَلَنْدَى فَارِسِ الْخَيْلِ جَعْفَرِ

٢ - بِهَا تُنْفَضُ الْأَحْلَاسُ والدِّيكُ نَائِمٌ
إلى مُسْنِفَاتٍ آخِرَ اللَّيْلِ ضُمَّرِ

[٨/١٦٠] ٢ - الأحلاس : جمع الحِلْس ، وهو الذى لا يبرح بيته ، ويقال نفضتُ أحلاسه : تركته ونبذته . المسنفات : من المِسْنَاف وهو المتقدم فى السير ، أو الضامر الهزيل .

٩/١٦١

وقـــال

(البحر الكامل)

١ - أَصَرَمْتَ حَبْلَ الْوَصْلِ مِنْ فِتْرِ
وَهَجَرْتَهَا وَلَجَجْتَ فِي الْهَجْرِ
٢ - وَسَمِعْتَ حَلْفَتَهَا التى حَلَفَتْ
إِنْ كَانَ سَمْعُكَ غَيْرَ ذِى وَقْرِ
٣ - نَظَرَتْ إِلَيْكَ بِعَيْنِ جَازِئَةٍ
فى ظِلِّ بَارِدَةٍ مِنَ السِّدْرِ
٤ - كَجُمَانَةِ الْبَحْرِيِّ جَاءَ بِهَا
غَوَّاصُهَا مِنْ لُجَّةِ الْبَحْرِ
٥ - صَلِبُ الْفُؤَادِ رَئِيسُ أَرْبَعَةٍ
مُتَخَالِفِى الْأَلْوَانِ وَالنَّجْرِ
٦ - فَتَنَازَعُوا حَتَّى إِذَا اجْتَمَعُوا
أَلْقَوْا إِلَيْهِ مَقَالِدَ الْأَمْرِ
٧ - وَعَلَتْ بِهِمْ سَجْحَاءُ خَادِمَةٌ
تَهْوِى بِهِمْ فِي لُجَّةِ الْبَحْرِ
٨ - حتى إِذَا مَا سَاءَ ظَنُّهُمُ
وَمَضَى بِهِمْ شَهْرٌ إِلى شَهْرِ

ا قرأ : صلب رئيس

[٩/١٦١] ٥ - النجر : الطبع والمنبت .

٧ - سجحاء : سهلة مستقيمة فى سيرها ، يريد السفينة .

٩ – أَلْقَى مَرَاسِيَهُ بِتَهْلُكَةٍ
ثَبَتَتْ مَرَاسِيهَا فَمَا تَجْرِي

١٠ – فَانْصَبَّ أَسْقَفُ رَأْسُهُ لَبِدٌ
نُزِعَتْ رَبَاعِيَتَاهُ لِلصَّبْرِ

١١ – أَشْفَى يَمُجُّ الزَّيْتَ مُلْتَمِسٌ
ظَمْآنُ مُلْتَهِبٌ مِنَ الْفَقْرِ

١٢ – قَتَلَتْ أَبَاهُ فَقَالَ أَتْبَعُهُ
أَوْ أَسْتَفِيدَ رَغِيبَةَ الدَّهْرِ

١٣ – نِصْفُ النَّهَارِ الماءُ غَامِرُهُ
وَرَفِيقُهُ بِالْغَيْبِ لَا يَدْرِي

١٤ – فَأَصَابَ مُنْيَتَهُ فَجَاءَ بِهَا
صَدَفِيَّةً كَمُضِيئَةِ الْجَمْرِ

١٥ – يُعْطَى بِهَا ثَمَنًا وَيَمْنَعُهَا
وَيَقُولُ صَاحِبُهُ أَلَا تَشْرِي

١٦ – وَتَرَى الصَّوَارِيَ يَسْجُدُونَ لَهَا
وَيَضُمُّهَا بِيَدَيْهِ لِلنَّحْرِ

---

١٠ – أسقف : رجل أسقف ، طويل فى انحناء . رباعيتاه : الرباعية السّنّ بين الثنية والناب ، وهيّ أربع : رباعيتان فى الفك الأعلى ورباعيتان فى الفك الأسفل . ويقال : ما فى بنى فلان من يضبط رباعيته إلا فلان أى أمره وشأنه .

١١ – أشفى : أى أشفى على الهلاك .

١٦ – الصوارى : جمع أصور ، أى المتجه إليها ببصره .

١٧ – فَتِلْكَ شِبْهُ الْمَالِكِيَّةِ إذْ
طَلَعَتْ بِبَهْجَتِهَا مِنَ الْخِدْرِ
١٨ – وَكَأَنَّ طَعْمَ الزَّنْجَبِيلِ بِهِ
إذْ ذُقْتُهُ وَسُلاَفَةَ الخَمْرِ
١٩ – شَرِقٌ بِمَاءِ الذَّوْبِ أَسْلَمَهُ
لِلْمُبْتَغِيهِ مَعَاقِلُ الدَّبْــــرِ
٢٠ – سُودِ الرُّءُوسِ لِصَوْتِهَا زَجَلٌ
مَحْفُوفَةٌ بِمَسَارِبٍ خُضْرِ
٢١ – بَكَرَتْ تَعَرَّضُ فِي مَرَاتِعِهَا
فَوْقَ الْهِضَابِ بِمَعْقِلِ الْوَبْرِ
٢٢ – وَغَدَتْ لِمَسْرَحِهَا وَخَالَفَها
مُتَسَرْبِلٌ أُدُمًا عَلَى الصَّدْرِ
٢٣ – فَأَصَابَ مَا حَذِرَتْ وَلَوْ عَلِمَتْ
حَدِبَتْ عَلَيْهِ بِضَيِّقٍ وَعْرِ
٢٤ – فَهَرَاقَ فِي طَرَفِ الْعَسِيبِ إلَى
مُتَقَبِّلٍ لِنَوَاطِفٍ صُفْــــرِ
٢٥ – حَتّى تَحَدَّرَ مِنْ عَوَازِبِهِ
أُصُلًا بِسَبْعِ ضَوَائِنٍ وَفْرِ

---

١٩ – الذوب : ما ذوِّب من الشيء . الدبر : جماعة النحل والزنابير .
٢٤ – النطفة : اللؤلؤة الصغيرة الصافية .
٢٥ – الضوائن : جمع الضأن .

٢٦ - وَيَظَلُّ يُجْرِي فِي جَوَاشِنِهَا
خَتَّى تَرَوَّحَ مَقْصِرَ الْعَصْرِ
٢٧ - شِرْكًا بِماءِ الذَّوْبِ يَجْمَعُهُ
فِي طَوْدِ أَيْمَنَ فِي قُرَى قَسْرِ
٢٨ - وَجَنَاهُ مِنْ أُفُقٍ فَأَوْرَدَهُ
سَهْلُ الْعِرَاقِ وَكَانَ بِالْحَضْرِ
٢٩ - وَإِلَيْكَ أَعْمَلْتُ الْمَطِيَّةَ مِنْ
سَهْلِ الْعِرَاقِ وأَنْتَ بِالْقَفْرِ
٣٠ - قَيْسًا فَإِنَّ اللهَ فَضَّلَـــهُ
بِمَنَاقِبٍ مَعْرُوفَـــةٍ عَشْرِ
٣١ - أَنْتَ الرَّئِيسُ إِذا هُمُ نَزَلُوا
وَتَوَجَّهُـوا كَالأُسْدِ وَالنَّمْرِ
٣٢ - لَوْ كُنْتَ مِنْ شَيْءٍ سِوَى بَشَرٍ
كُنْتَ الْمُنَوِّرَ لَيْلَةَ الْبَدْرِ
٣٣ - وَلَأَنْتَ أَجْوَدُ بِالْعَطَاءِ من الرَّيَّا
نِ لَمَّا جَادَ بِالْقَطْـــرِ
٣٤ - وَلَأَنْتَ أَشْجَعُ مِنْ أُسَامَةَ إِذْ
يَقَعُ الصُّرَاخُ وَلُجَّ فِي الذُّعْرِ

---

٢٦ - جواشن : جمع جوشن وهو الصدر والدرع .

٣٣ - الريان : يريد السحاب الممتلئ بالماء .

٣٥ – وَلَأَنْتَ أَبْيَنُ حِينَ تَنْطِقُ مِنْ
لُقْمَانَ لَمَّا عَيَّ بِالْأَمْرِ
٣٦ – أَوْ فَارِسِ الْيَحْمُومِ يَتْبَعُهُمْ
كَالطَّلْقِ يَتْبَعُ لَيْلَةَ الْبَهْرِ
٣٧ – وَلَأَنْتَ أَحْيَى مِنْ مُخَبَّأَةٍ
عَذْرَاءَ تَقْطُنُ جَانِبَ الْكَسْرِ
٣٨ – وَلَهُ جِفَانٌ يَدْلُجُونَ بِهَا
لِلْمُعْتَفِينَ وَلِلَّذِي يَسْرِي
٣٩ – ....
وَتَظَلُّ عَامِلَةً كَذِي النَّذْرِ
٤٠ – ....
دُونَ السَّمَاءِ يَزِلُّ بِالْغُفْرِ

---

٣٨ – المعتفون : طالبو المعروف .
٤٠ – الغُفْر : الذكر من أولاد تيوس الجبل .

١٠/١٦٢

وقــال

(مشطور الرجز)

١ - كَأَنَّهُمْ إِذْ خَرَجُوا مِنْ عَرْعَرِ
٢ - مُسْتَلْئِمِينَ لَابِسِي السَّنَوَّرِ
٣ - نَشْءُ سَحَابٍ صَائِبٍ كَنَهْوَرِ

[١٠/١٦٢] ١ - عرعر : شجر السرو (فارسية) ، وعرعر أيضا موضع بعينه يقال فى أرض هذيل .

٢ - مستلئمين : لابسى السلاح كله أو الدروع خاصة . السَّنَوَّر : جملة السلاح .

٣ - نشء سحاب : أول ما ينشأ من السحاب . الكنهور : السحاب المتراكم .

١١/١٦٣

وقـــال

(البحر الكامل)

١ – أَرَحَلْتَ مِنْ سَلْمَى بِغَيْرِ مَتَاعِ
قَبْلَ الْعُطَاسِ وَرُعْتَهَا بِوَدَاعِ

٢ – مِنْ غَيْرِ مَقْلِيَةٍ وإنَّ حِبَالَهَا
لَيْسَتْ بِأَرْمَامٍ ولَا أَقْطَاعِ

٣ – إذْ تَسْتَبِيكَ بِأُصْلَتِيٍّ نَاعِمٍ
قَامَتْ لِتَفْتِنَهُ بِغَيْرِ قِنَاعِ

٤ – وَمَهًا يَرِفُّ كَأَنَّهُ إذْ ذُقْتَهُ
عَانِيَّةٌ شُجَّتْ بِمَاءِ يَرَاعِ

٥ – أَوْ صَوْبُ غَادِيَةٍ أَدَرَّتْهُ الصَّبَا
بِبَزِيلِ أَزْهَرَ مُدْمَجٍ بِسَيَاعِ

[١١/١٦٣] ١ – العطاس : طلوع الصبح ، يقال : عطس الصبح أى انفلق .
٢ – المقلية : البغض . حبل أرمام وحبل أقطاع : إذا كان قطعا موصلة .
٣ – تستبيك : من السبى ، تجعلك أسيرا لهواها . أصلتى : خد ناعم .
٤ – المها : البلور ، شبه ثغرها به لصفائه . يرف : يتلألأ . عانية : خمر .
شجت : مزجت . اليراع : القصب ، أى : بماء جدول فى حافتيه القصب .
٥ – صوب غادية : ماء سحابة . أدرته : استخرجت ماءه . الأزهر : الأبيض .
البزيل : مابزل ، أى ثقب إناؤه . السِّياع : الطين . وقيل : الأزهر هو إبريق الخمر ، فيريد خمرا بزلت من دن فى إبريق .

٦ - فَرَأَيْتُ أنَّ الحُكْمَ مُجْتَنِبُ الصِّبَا
وَصَحَوْتُ بعدَ تَشَوُّقٍ ورُوَاعِ
٧ - فَتَسَلَّ حَاجَتَها إذَا هِيَ أَعْرَضَتْ
بِخَمِيصَةٍ سُرُحِ الْيَدَيْنِ وَسَاعِ
٨ - صَكَّاءَ ذِعْلِبَةٍ إذَا اسْتَدْبَرْتَهَا
حَرَجٍ إذَا اسْتَقْبَلْتَهَا هِلْوَاعِ
٩ - وَكَأَنَّ قَنْطَرَةً بِمَوْضِعِ كُورِهَا
مَلْسَاءَ بَيْنَ غَوامِضِ الْأَنْسَاعِ
١٠ - وَإذَا تَعَاوَرَتِ الْحَصَى أَخْفَافُهَا
دَوَّى نَوَادِيهِ بِظَهْرِ الْقَاعِ
١١ - وَكَأَنَّ غَارِبَهَا رُبَاوَةُ مَخْرِمٍ
وَتَمُدُّ ثِنَى جَدِيلِها بِشِرَاعِ

---

٦ - الحكم : الحكمة . الرواع : الروع ، أى كنت أروع الناس بجمالى .

٧ - فتسل حاجتها : اسل عنها . خميصة : أى ناقه ضامرة البطن . سرح اليدين : منسرحة الضبعين بالمشى . وساع : واسعة فى سيرها .

٨ - صكاء : أصلها صفة للنعامة ، لتقارب ركبتيها يصك بعضها بعضا ، فشبه بها ناقته .

ذعلبة : سريعة . حرج : جسيمة طويلة . هلواع : نشيطة .

٩ - الأنساع : جمع نِسع ، وهو السير الجلدى الذى يُشَدُّ به الرَّحل . غموضه : دخوله فى جلدها .

١٠ - دوّى : صوّت . نوادى الحصى : ما أسرع منه وتقدم . القاع : ما استوى من الأرض .

١١ - الغارب : ما بين السَّنام والعنق . رباوة : رابية وهى ما ارتفع من الأرض . مخرم : الأخرم هو الرابية تنهبط فى وهدة . الجديل : الزمام . وثنيه : ما انثنى منه باليد . شبه عنقها بصارى السَّفينة .

١٢ – وَإِذَا أَطَفْتَ بِهَا أَطَفْتَ بِكَلْكَلٍ
نَبِضِ الْفَرَائِصِ مُجْفَرِ الْأَضْلَاعِ
١٣ – مَرِحَتْ يَدَاهَا لِلنَّجَاءِ كَأَنَّمَا
تَكْرُو بِكَفَّيْ لَاعِبٍ فِي صَاعِ
١٤ – فِعْلَ السَّرِيعَةِ بَادَرَتْ جُدَّادَهَا
قَبْلَ الْمَسَاءِ تَهُمُّ بِالإِسْرَاعِ
١٥ – فَلَأُهْدِيَنَّ مَعَ الرِّيَاحِ قَصِيدَةً
مِنِّى مُغَلْغَلَةً إِلَى الْقَعْقَاعِ
١٦ – تَرِدُ الْمِيَاهَ فَمَا تَزَالُ غَرِيبَةً
فِي الْقَوْمِ بَيْنَ تَمَثُّلٍ وَسَمَاعِ
١٧ – وَإِذَا الْمُلُوكُ تَدَافَعَتْ أَرْكَانُهَا
أَفْضَلْتَ فَوْقَ أَكُفِّهِمْ بِذِرَاعِ
١٨ – وَإِذَا تَهِيجُ الرِّيحُ مِنْ صُرَّادِهَا
ثَلْجًا يُنِيخُ النِّيبَ بِالْجَعْجَاعِ

---

١٢ – كلكل : صدر . مجفر الأضلاع : واسعها ، كالجفر وهى البئر العظيمة .

١٣ – النجاء : السرعة . تكرو : تلعب بالكرة . الصاع : منهبط الأرض .

١٤ – الجُدَّاد : ما بقى من خيوط الثوب . شبهها فى سرعة يديها بامرأة تحوك ثوبا فهى تبادر إتمامه .

١٥ – مع الرياح : يعنى تذهب كل مذهب . مغلغلة : أى قصيدة يتناقلها الناس من بلد إلى بلد .

١٧ – تدافعت أركانها : تزاحمت عند المفاخرة . أفضلت : زدت عليهم .

١٨ – الصراد ، بالضم والتشديد : ريح باردة برش مطر . النيب : إناث الإبل المسنّة .

الجعجاع : موضع البروك . يريد : إن الإبل من شدة البرد لا تبرح مباركها .

١٩ - أَحَلَلْتَ بَيْتَكَ بِالجَمِيعِ وَبَعْضُهُم
مُتَفَــرِّقٌ لِيَحُــلَّ بِالأَوْزَاعِ

٢٠ - وَلَأَنْتَ أَجْوَدُ مِنْ خَلِيجٍ مُفْعَمٍ
مُتَرَاكِمِ الآذِيِّ ذِي دُفَّاعِ

٢١ - وَكَأَنَّ بُلْقَ الْخَيْلِ فِي حَافَاتِهِ
يَرْمِي بِهِنَّ دَوَالِيَ الزُّرَّاعِ

٢٢ - وَلَأَنْتَ أَشْجَعُ فِي الأَعَادِي كُلِّهَا
مِن مُخْدِرٍ لَيْثٍ مُعِيدِ وِقَاعِ

٢٣ - يَأْتِي عَلَى القَوْمِ الْكَثِيرِ سِلَاحُهُمْ
فَيَبِيتُ مِنْهُ الْقَوْمُ فِي وَعْوَاعِ

٢٤ - أَنْتَ الْوَفِيُّ فَمَا تُذَمُّ وَبَعْضُهُمْ
تُودِي بِذِمَّتِهِ عُقَابُ مَلَاعِ

٢٥ - وَإِذَا رَمَاهُ الكَاشِحُونَ رَمَاهُمُ
بِمَعَابِلٍ مَذْرُوبَــةٍ وَقِطَــاعِ

---

١٩ - الأوزاع : المتفرقون .

٢٠ - الآذى : الموج ، أو السيل . ذى دفاع : يدفع الماء بعضه بعضا لكثرته .

٢١ - الدوالى : جمع دالية : وهى آلة السقى .

٢٢ - مخدر : أسد . المعيد : الذى يفعل الشيء المرة بعد المرة . الوقاع : جمع وقعة ، كوقعة الحرب . أى هو كثير الافتراس .

٢٣ - الوعواع : الجلبة والصياح .

٢٤ - ملاع : اسم مكان .

٢٥ - الكاشحون : المبغضون . المعابل : النصال . المذروبة : المحددة . القطاع : جمع قطع بكسر فسكون ، وهو نصل عريض قصير .

٢٦ – وَلِذَاكُمُ زَعَمَتْ تَمِيمٌ أَنَّهُ
أَهْلُ السَّمَاحَةِ وَالنَّدَى وَالْبَاعِ

٢٦ – الباع : التوسع فى الندى والجود .

١٢/١٦٤

وقــال

(مشطور الخفيف)

١ - طَالَ لَيْلِي بِشَطٍّ ذَاتِ الْكُرَاع

٢ - إذْ نَعَى فَارِسَ الْجَرَارَةِ نَاعِي

٣ - فَارِسًا فِي اللِّقَاءِ غَيْرَ يَرَاع

[١٢/١٦٤] ٣ - يراع : جبان لا قلب له .

١٣/١٦٥

(مجزوء الكامل)

١ - أَلَكَ السَّدِيرُ وَبَارِقٌ ... وَمَنَابِضٌ وَلَكَ الْخَوَرْنَقْ
٢ - وَالْقَصْرُ مِنْ سِنْدَادَ ذِى الشُّـ ... ـرُفَاتِ وَالنَّخْلِ الْمُنَبَّقْ
٣ - وَالثَّعْلَبِيَّـــةُ كُلُّهَـــا ... وَالْبَدْوُ مِنْ عَانٍ وَمُطْلَقْ

[١٣/١٦٥] ٢ - النخل المنبق : من النَّبق الذى يخرج من لُبّ جذع النخلة حلو يُقَوَّى بالدُّبْس ثم يُجْعَل نبيذا .

١٤/١٦٦

وقــال

(البحر الكامل)

١ – بَانَ الْخَلِيطُ وَرُفِّعَ الْخُرُقُ فَفُؤَادُهُ فِي الْحَيِّ مُعْتَلِقُ
٢ – مَنَعُوا طَلَاقَهُمُ وَنَائِلَهُمْ يَوْمَ الْفِرَاقِ وَرَهْنُهُمْ غَلِقُ
٣ – قَطَعُوا الْمَزَاهِرَ وَاسْتَتَبَّ بِهِمْ يَوْمُ الرَّحِيلِ لِلَعْلَعٍ طُرُقُ
٤ – تَرْعَى رِيَاضَ الْأَخْرَمَيْنِ لَهُمْ فِيهَا مَوَارِدُ مَاؤُهَا غَدِقُ
٥ – بِكَثِيبِ حَرْبَةَ أَوْ بِحَوْمَلٍ أَوْ مِنْ دُونِهِ مِنْ عَالِجٍ بُرَقُ
٦ – تَامَتْ فُؤَادَكَ إِذْ لَهُ عَرَضَتْ حَسَنٌ بِرَأْيِ الْعَيْنِ مَا تَمِقُ
٧ – بَانَتْ وَصَدْعٌ فِي الْفُؤَادِ بِهَا صَدْعُ الزُّجَاجَةِ لَيْسَ يَتَّفِقُ
٨ – وَكَأَنَّ غِزْلَانَ الصَّرَائِمِ إِذْ مَتَعَ النَّهَارُ وَأَرْشَقَ الْحَدَقُ
٩ – وَمَهًا يَرِفُّ كَأَنَّهُ بَرَدٌ نَزَلُ السَّحَابَةِ مَاؤُهُ يَدِقُ
١٠ – عَانِيَةٌ صِرْفٌ مُعَتَّقَــةٌ يَسْعَى بِهَا ذُو تُومَةٍ لَبِقُ
١١ – وَلَهَا إِذَا لَحِقَتْ ثَمَائِلُهَا جَوْزٌ أَعَمُّ وَمِشْفَرٌ خَفِقُ
١٢ – قَبْلَ امْرِئٍ تُرْجَى فَوَاضِلُهُ قَدْ نَالَنِي مِنْ بَاعِهِ طَلَقُ

[١٤/١٦٦] ١ – بان : رحل . الخليط : الجار المصاق ، يريد أهل محبوبته . معتلق : من اعتلقه أى أحبه حبا شديدا .

٢ – الطَّلا : ولد الظبية ، يشبه به المحبوبة .

٣ – لعلع : السراب .

٦ – حسن برأى العين ما تمق : أى حسن فى كل عين من تود ، ومقه أى أحبه .

١٣ – يَاابْنَ الذى دَانَتْ لِعِزِّهِمُ   بَذَخُ الْمُلُوكِ وَدَانَتِ السُّوَقُ
١٤ – بَحْرٌ مِنَ الْمَدَّادِ ذُو حَدَبٍ   سَهْلُ الْخَلِيقَةِ مَا بِهِ غَلَقُ
١٥ – وَأَغَرُّ تُقْصِرُ دُونَ غَايَتِهِ   غُرُّ السَّوَابِقِ حِينَ تَسْتَبِقُ
١٦ – قَدْ نَالَنِى مِنْهُ عَلَى عَوَزٍ   مِثْلُ النَّخِيلِ صِغَارُهَا السُّحُقُ
١٧ – مَنْ لَيْسَ فِيهِ حِينَ تَسْأَلُهُ   بَخَلٌ وَلَا فِي صَفْوِهِ رَنَقُ
١٨ – وَلَأَنْتَ أَشْجَعُ مِنْ أُسَامَةَ إِذْ   شُدَّ الْمَنَاطِقُ تَحْتَهَا الْحَلَقُ
١٩ – وَتَنَازَلُوا شُعْثًا مَقَادِمُهُم   مُتَوَسِّمِينَ وَبَيْنَهُمْ حَنَقُ
٢٠ – حَمَلُوا السُّيُوفَ عَلَى عَوَاتِقِهِم   وَعَلَى الْأَكُفِّ وَبَيْنَهُمْ عَلَقُ
٢١ – وَتَزُورُ أَرْضَهُمُ بِذِى لَجَبٍ   قَصَدَ الْعَشِيِّ غَبُوقُهُ الْمَرَقُ
٢٢ – كَغَمَاغِمِ الثِّيرَانِ بَيْنَهُمُ   ضَرْبٌ تُغَمِّضُ دُونَهُ الْحَدَقُ

---

١٦ – السُّحُق : جمع السَّحُوق أى الطويل أو الطويلة ، يقال : عود سحوق ونخلة سحوق وامرأة سحوق .

١٧ – رنق : كدر .

٢٠ – علق : حب .

١٥/١٦٧

وقــال

(البحر الطويل)

١ - فَإِنْ سَرَّكُمْ أَلَّا تَئُوبَ لِقَاحُكُمْ غِزَارًا فَقُولُوا لِلْمُسَيَّبِ يَلْحَقُ

[١٥/١٦٧] ١ - انظر القطعة ١٥٧/٥ ويبدو أنهما بيت واحد اختلفت فيه كلمة القافية فى الموضعين .

١٦/١٦٨

وقــال

(البحر الكامل)

١ – بَكَرَتْ لِتُحْزِنَ عَاشِقًا طَفْلُ
وتَبَاعَدَتْ وَتَحَرَّمَ الْوَصْلُ

٢ – أَوَ كُلَّمَا اخْتَلَفَتْ نَوًى وتَفَرَّقُوا
لِفُؤَادِهِ مِنْ أَجْلِهِمْ تَبْلُ

٣ – وَإِذَا تُكَلِّمُنَا تَرَى عَجَبًا
بَرَدًا تَرَقْرَقَ فَوْقَهُ ضَحْلُ

٤ – ولَقَدْ أَرَى ظُعُنًا أُخَيِّلُهَا
تَخْدِى كَأَنَّ زُهَاءَهَا نَخْلُ

٥ – فِي الْآلِ يَرْفَعُهَا وَيُخْفِضُهَا
رَيْعٌ كَأَنَّ مُتُونَهُ سَحْلُ

٦ – عَقْمًا وَرَقْمًا ثُمَّ أَرْدَفَهُ
كِلَلٌ عَلَى أَطْرَافِهَا الْخَمْلُ

٧ – وَلَقَدْ رَأَيْتُ الْفَاعِلِينَ وَفِعْلَهُمْ
وَلِذِى الرُّقَيْبَةِ مَالِكٍ فَضْلُ

[١٦/١٦٨] ٣ – الضحل : الماء القليل .

٦ – الخمل : هدب القطيفة ونحوها مما ينسج وتفضل له فضول .

٨ - وَكَفَاهُ مُخْلِفَةٌ وَمُتْلِفَةٌ
وَعَطَاؤُهُ مُتَخَرِّقٌ جَزْلُ
٩ - يَهَبُ الْجِيَادَ كَأَنَّهَا عُسُبٌ
جُرْدًا أَطَارَ نَسِيلَهَا الْبَقْلُ
١٠ - والضَّامِرَاتِ كَأَنَّهَا بَقَرٌ
تَقْرُو دَكَادِكَ بَيْنَهَا الرَّمْلُ
١١ - وَالدُّهْمَ كَالْعِيدَانِ آزَرَهَا
وَسْطَ الأَشَاءِ مُكَمَّمٌ جَعْلُ
١٢ - وإِذَا الشَّمالُ حَدَتْ قَلَائِصُهَا
رَتْكًا فَلَيْسَ لِمَالِكٍ مِثْلُ
١٣ - لِلضَّيْفِ وَالْجَارِ الْغَرِيبِ وَللطِّـ
ـفْلِ التَّرِيكِ كَأَنَّهُ رَأْلُ
١٤ - وَلَقَدْ تَنَاوَلَنِى بِنَائِلِهِ
فَأَصَابَنِى مِنْ مَالِهِ سَجْلُ

---

١٠ - الدكادك : جمع الدكداك وهو من الرمل ما تكدس واستوى أو ما التبد منه بالأرض ، أو هى أرض فيها غلظ .

١١ - الأشاء : صغار النخل . الجعل : جمع الجعلة وهى الغسيلة أو النخلة الصغيرة لا تصل إليها اليد .

١٢ - الرَّتْك : مقاربة الخطو فى العدو .

١٣ - الطفل التريك : الذى يُغفل عن رعايته . الرأل : فرخ النعام .

١٤ - نائله : كثير نواله . السَّجْل : النصيب من الشىء .

١٥ - مُتَبَعِّجُ التَّيَّارِ ذُو حَدَبٍ
مُغْرَوْرِبٍ تَيَّارُهُ يَغْلُــو

١٦ - فَلأَشْكُرَنَّ فُضُولَ نِعْمَتِـهِ
حَتَّى أَمُوتَ وَفَضْلُهُ فَضْلُ

---

١٥ - متبعج التيار : شديده ، يقال : بعج المطر الأرض أى شقها لشدته .

١٦٩/١٧

وقـــال

(البحر الطويل)

١ – وَخَلُّوا سَبِيلَ بَكْرِنَا إنَّ بَكْرَنَا
يَخُدُّ سَنَامَ الْأَكْحَلِ الْمُتَمَاحِلِ
٢ – هُوَ الْقَيْلُ يَمْشِي آخِذًا بَطْنَ عَرْعَرٍ
بِتَجْفَافِهِ كَأَنَّهُ فِي سَرَاوِلِ

[١٦٩/١٧]

١ – يخد : يشق أو يؤثر فى . الأكحل : شديد سواد العين . المتماحل : الطويل المضطرب الخَلْق من الإبل .

٢ – القَيْل : من ملوك اليمن فى الجاهلية ، دون الملك الأعظم (تشبيه) .

بطن عرعر : مكان . التجفاف ، بفتح التاء وكسرها : ما يلبسه المحارب كالدرع ، وهو أيضا ما يجلَّلُ به الفَرس من سلاح وآلة يقيانه الجراح فى الحرب .

١٨/١٧٠
وقـــال

(بحر الهزج)

وَقَدْ أَخْتَلِسُ الطَّعْنَةَ لَا يَدْمَى لَهَا نَصلِى
كَجَيْبِ الدُّفْنِسِ الْوَرْهَاءِ رِيعَتْ وَهْىَ تَسْتَفْلِى

[١٨/١٧٠] البيتان منسوبان فى اللسان (دفنس) إلى الفند الزمانى . وغير منسوبين فى الحماسة (المرزوق ط ٢) ٦١/١ ، ٥٤٢/٢ وفى الحاشية بالموضعين إشارة إلى ما جاء باللسان .

٢ – كجيب الدفنس : شبه اتساع الطعنة وسرعة خروج الدم منها باتساع جيب المرأة الحمقاء . الدفنس : الحمقاء . الورهاء : المتساقطة العقل ، الضعيفة التماسك . ريعت : أُفزعت . الإجفال : كل هارب من شيء مسرع فهو جافل .

١٩/١٧١

وقـــال

(البحر الطويل)

١ - يَمُدُّ إِلَيْهَا جِيدَهُ رَمْيَةَ الضُّحَى
كَهَزِّكَ بَالْكَفِّ الْبَرِيَّ الْمُدَوَّمَا
٢ - وَصَهْبَاءَ يَسْتَوْشِى بِذِى اللُّبِّ مِثْلُهَا
قَرَعْتُ بِهَا نَفْسِى إِذَا الدِّيكُ أَعْتَمَا
٣ - تَمَزَّزْتُهَا صِرْفًا وَقَارَعْتُ دَنَّهَا
بِعُـودِ أَرَاكٍ بَعْـدَهُ فَتَرَنَّمَـا

[١٩/١٧١]

٢ - صهباء : خمر . يستوشى : ينشط أو يداوى . قرعت : نبهت أعتم الديك : تأخر ، أو صاح فى العتمة .

٣ - تمززتها : تمصصتها . صرفا : خالصة لم تشب بشىء ، يقال شراب صرف : غير ممزوج .

٢٠/١٧٢

وقـــال

(البحر الطويل)

أَرَتْكَ بِذَاتِ الضَّالِ مِنْهَا مَعَاصِمًا
وَخَدًّا أَسِيلًا كَالْوَذِيلَةِ نَاعِمَا

[٢٠/١٧٢] أسيلا : ناعما . الوذيلة : المرآة .

٢١/١٧٣

وقـــال

(البحر الطويل)

١ - لَعَمْرِى لَئِنْ جَدَّتْ عَدَاوَةُ بَيْنَنَا
لَيَنْتَحِيَنْ مِنِّى عَلَى الْوَخْمِ مِيسَمُ

٢ - فَأُقْسِمُ أَنْ لَوِ الْتَقَيْنَا وَأَنْتُمُ
لَكَانَ لَكُمْ يَوْمٌ مِنَ الشَّرِّ مُظْلِمُ

٣ - رَأَوْا نَعَمًا سُودًا فَهَمُّوا بِأَخْذِهِ
إِذَا الْتَفَّ مِنْ دُونِ الْجَمِيعِ الْمُزَنَّمُ

٤ - وَمِنْ دُونِهِ طَعْنٌ كَأَنَّ رَشَاشَهُ
عَزَالِى مَزَادٍ وَالْأَسِنَّةُ تَرْذِمُ

٥ - أَلَا تَتَّقُونَ اللهَ يا آلَ عَامِرٍ
وَهَلْ يَتَّقِى اللهَ الْأَبَلُّ الْمُصَمِّمُ

٦ - كَمَا امْتَنَعَتْ أَوْلَادُ يَقْدُمَ مِنْكُمُ
وَكَانَ لَهَا وَلْثٌ مِنَ الْعَقْدِ مُحْكَمُ

[٢١/١٧٣]

١ - الوخْم : الثقيل من الرجال . الميسم : السمة.

٣ - البعير المزنَّم : الذى قطع من أذنه هَنَةٌ فتركت معلقة .

٤ - الرشاش : ما ترشش منه . عزالى ، بفتح اللام وكسرها : جمع عزلاء وهى مصب الماء من القربة ونحوها . المزاد والقربة واحد . ترذم : تزيد سيل الدم .

٦ - الولث : العهد بين القوم .

٢٢/١٧٤

وقـــال

(البحر البسيط)

هُمُ الرَّبِيعُ عَلَى مَنْ ضَافَ أَرْحُلَهُمْ
وَفِي الْعَدُوِّ مَنَاكِيدٌ مَشَائِيمُ

٢٣/١٧٥

وقــال

(البحر الطويل)

١ – وَقَدْ أَتَنَاسَى الْهَمَّ عِنْدَ احْتِضَارِهِ
بِنَاجٍ عَلَيْهِ الصَّيْعَرِيَّةُ مُكْدَمِ

٢ – كُمَيْتٍ كِنَازِ اللَّحْمِ أَوْ حِمْيَرِيَّةٍ
مُوَاشِكَةٍ تَنْفِى الْحَصَى بِمُلَثَّمِ

٣ – كَأَنَّ عَلَى أَنْسَائِهِ عَذْقَ خَصْبَةٍ
تَدَلَّى مِنَ الْكَافُورِ غَيْرَ مُكَمَّمِ

[٢٣/١٧٥]

١ – بناج : أى بجمل سريع ، والناقة ناجية . الصيعرية : اعتراض فى السير وسمة فى عنق الناقة لا البعير . مكدم : شديد .

٢ – مواشكة : سريعة فى السير .

٣ – أنسائه : أظنها أنساعه ، والأنساع جمع نِسْع وهو سير عريض تشد به الرحال . عذق : غصن أو قنو نخلة . خصبة : كثيرة الثمر .

٢٤/١٧٦

وقــال

(البحر الطويل)

١ – لَقَدْ نَظَرَتْ عَنْزٌ إِلَى الْجَزْعِ نَظْرَةً
إِلَى مِثْلِ مَوْجِ الْمُفْعَمِ الْمُتَلَاطِمِ
٢ – إِلَى حِمْيَرٍ إِذْ وَجَّهُوا مِنْ بِلَادِهِمْ
تَضِيقُ لَهُمْ لَأْيًا فُرُوجُ الْمَخَارِمِ
٣ – رَأَتْ فَوْقَ رَأْسِ الْكَلْبِ شَخْصًا بِكَفِّهِ
عَلَى الْبُعْدِ كِنْفٌ أَوْ خَصِيفَةُ لَاحِمِ

[٢٤/١٧٦]

١ – الجزع : منعطف الوادى .

٢ – اللأى : الشدة . الفروج : جمع فَرْج وهو الشق بين الشيئين .
المخارم : جمع مَخْرَم وهو الطريق فى الجبل أو الرمل .

٣ – الكنف : كل وعاء لحفظ شىء . اللاحم : ما يأكل اللحم من الحيوان أو الطير .

٢٥/١٧٧

وقــال

(البحر الوافر)

مَرَرْنَ عَلَى الشَّرَافِ فَذَاتِ رِجْلٍ ... وَنَكَّبْنَ الذَّرَائِحَ بِالْيَمِيــنِ

- هذا البيت للمثقب العبدي

[٢٥/١٧٧] الذرائح : جمع الذريحة وهى الهضبة .

(٧)

أشعار بَنِى يَشْكُرَ

(١٧٨)

قال الأغَرُّ بْنُ مَأْنُوسٍ الْيَشْكُرِيُّ

(البحر الكامل)

١ - طَرَقَتْ فَطَيْمَةُ أَرْحُلَ السَّفْرِ
بِالطَّرْمِ بابُ خَيالِها يَسْرِى

.....

٢ - ولقد غَدَوْتُ علَى القَنِيصِ مَعِى
قَيْدُ الأَوابِدِ مُلْهَبُ الحُضْرِ

٣ - رَبِذُ القَوائِمِ لَيْسَ خَائِبَةٌ
عَصِبٌ شَدِيدُ البَطْنِ والظَّهْرِ

٤ - صَلْتُ الجَبِينِ كأَنَّ قُرْحَتَهُ الشِّعْـ
رَى إذَا لاحَتْ مع الفَجْرِ

---

١٧٨ - ترجمته : هو الأغر بن مأنوس أحد بنى يشكر بن بكر (لم أعرف عنه أخبارا) .

جو القصيدة : قال الآمدى : « هى قصيدة طويلة ، بدأها بالغزل ثم شرع فى نعت فرسه والفخر » . ونعتها بالجودة ، وقال إنها وردت فى شعر بنى يشكر .

التخريج : المؤتلف والمختلف ٤٠ ، ٤١ .

الشرح :

١ - الطرم : مدينة ببلاد فارس بِكِرْمان .

٢ - القنيص : الصائد . قيد الأوابد : يقال فرس قيد الأوابد أى سريع العدو يدرك الوحوش ويمنعها الشُّراد ، فكأنه قيد لها . ملهب : يقال ألهب الفرس أى اضطرم جريه وأثار الغبار . الحُضْر : عدو ذو وثب .

٣ - ربذ : خفيف . ليس خائبةٌ : كذا بالأصل . عصِب : كثير العصَب ؛

٤ - صلت : واضح فى سعة وبريق . القُرحة : بياض بين عينى الفرس مثل الدرهم الصغير فما دونه . الشعرى : كوكب .

٥ – فإذَا مُدِلٌّ دُونَ غايَتِهِ
وَرِكٌ يَطِيفُ بِآتِنٍ ذُعْرِ

٦ – قُلنا لِفارِسنَا يُكَفِّتُهُ
حتى يَجِيشَ مَراكِلَ المُهْرِ

٧ – فكأنَّهُ إذ بِتُّهنَّ مَعًا
رِجْلاهُ حافِيتانِ من نَسْرِ

٨ – ناجٍ يُبادِرُ ظِلَّ رائِحَةٍ
مُتأوِّبٌ يَأْوِي إلى وَكْرِ

٩ – عادَى ثلاثًا وَهْوَ مُقْتَدِرٌ
والعَيْرُ رابِعُهُنَّ في النَّفْرِ

١٠ – وبنيتُ أبْرَادًا على أَسَلٍ
صَدْرَ النَّهارِ لِفِتْيةٍ زُهْرِ

---

٥ – مدل : ينقض على غرّة . ورك : من وَرَك على الأمر أى قدر عليه . يطيف : يطوف . آتن : اسم فاعل من أتن – بفتح أوله وثانيه – أى قارب الخطو فى غضب .

٦ – يكفّته : يضمه . يجيش : يهيج ويرتفع عند مسه بالعَقِب : مراكل : جمع مَرْكَل وهو من الدابة حيث يركلها الراكب إذا استحثها . المهر ، بضم الميم : أول ما ينتج من الخيل والحُمُر الأهلية وغيرها ، وبفتح الهاء غضاريف الضلوع واحدتها مُهْرَة .

٧ – بتهن : من بتَّ الحيوان إذا أجهده . نَسْر : من نَسَرَهُ أى كشطه .

٨ – ناج : مسرع . يبادر : يسرع . متأوِّب : من تأوَّب أى رجَع . وكر : عش .

٩ – عادَى : بارى فى الجرى ، ويقال أيضا عادى بعضهم بعضا أى حملوا العداوة . العير ، بفتح العين : الحمار الوحشى ، وبكسر العين : ما حُمل عليه الطعام من قوافل الإبل والبغال والحمير . النفر : القوم يسرعون إلى أمر أو قتال .

١٠ – أبراد : جمع بُرد وهو كساء مخطط يلتحف به . أسل : رماح ، والأسل فى الأصل نبات ذو أغصان كثيرة شائكة الأطراف ، وهو أيضا كل ما رُقق وحُدَّ من الحديد من سيف أو سكين أو سنان . صدر النهار : أوله .

زُهر : بيض الوجوه فى إشراق .

١١ - يتنازَعُونَ شَرابَ ذِى نُطَفٍ
تَنْزِيَ صَافِيةٍ من العذْرِ

---

١١ - شراب ذى نُطف : خمر مزجت بماء صاف ، والنُطف جمع نُطفة وهو الماء الصاف . تنزيل : إنزال . صافية من العذر : يريد سحابة .

(١٧٩)

قال باعِثُ بْنُ صَرِيمٍ اليَشْكُرِىُّ

(البحر الكامل)

١ – سائِلْ أُسَيِّدَ ، هَلْ ثَأَرْتَ بِوَائِلٍ
أَمْ هَلْ شَفَيْتَ النفسَ من بَلْبَالِهَا

٢ – إِذْ أَرْسَلُونى مائِحًا بِدِلَائِهِمْ
فَمَلَأْتُهَا عَلَقًا إلى أَسْبَالِهَا

---

١٧٩ – **ترجمته** : هو باعِثُ بْنُ صَرِيمٍ من بنى غُبَرَ بْنِ غَنْمِ بْنِ يَشْكُرَ ، شاعر فارس ، عاش خلال فترة حكم عمرو بن هند للحيرة .

جو القصيدة : يروى أن وائل بن صريم ، أخا باعث ، كان ذا منزلة عند الملوك ، وكان حلو اللسان ، جميلا . فبعثه عمرو بن هند اللخمى ، ساعيا على بنى تميم ، فأتاهم ، ونزل بهم وجمع الإبل والشاء وأمر بإحصائها . وبينا هو قاعد على بئر ، أتاه شيخ منهم ، فحدّثه فغفل وائل ، فدفعه الشيخ ، فوقع فى البئر ، فاجتمعوا عليه ورموه بالحجارة حتى قتلوه . فبلغ الخبر أخاه باعثا ، فعقد لواء ، ونادى فى غُبر ، وآلى أن يقتلهم على دم وائل ، حتى يلقى الدلو فتمتلئ دما . فقتل منهم ثمانين وأسر عدة . وقدم رجل منهم يقال له « قمامة » . فذبحه ، وألقى دلوه ، فخرجت ملأى بالدم . وهنا يصف الشاعر الفارس ما حدث ، وكيف أخذ بثأر أخيه .

التخريج : موسوعة الشعر العربى ١٩١/٤ واعتمدت عليها فى هامش القصيدة .

الشرح :

١ – البلبال : الاهتمام بطلب الثأر .

٢ – المائح : الذى ينزل البئر ويملأ الدلو . العلق ، بفتحتين : الدم . أسبالها : أعاليها .

٣ – إنّى ، وَمَنْ سَمَكَ السَّماءَ مَكَانَها
والبَدْرَ لَيْلَةَ نِصْفِها وهِلَالِهَا
٤ – آلَيْتُ أثْقَفُ مِنْهُمْ ذَا لِحْيَةٍ
أبَدًا ، فَتَنْظُرَ عَيْنُهُ فى مَالِهَا
٥ – وخِمارِ غَانِيَةٍ ، عَقَدْتُ بِرَأْسِهَا
أُصُلًا ، وكان مُنَشَّرًا بِشِمالِهَا
٦ – وعَقِيلَةٍ يَسْعَى عليها قَيِّمٌ
مُتَغَطْرِسٌ ، أبْدَيْتُ عَنْ خَلْخَالِها
٧ – وكَتِيبةٍ سُفْعِ الوُجُوهِ ، بَوَاسِلٍ
كالأُسْدِ ، حين تَذُبُّ عَنْ أشْبَالِها
٨ – قَد قُدْتُ أوَّلَ عُنْفُوانِ رَعِيلِهَا
فَلَفَفْتُهَا بِكَتِيبَةٍ أمْثَالِها
٩ – فَلِمِثْلِ ما مَنَّتْكَ نَفْسُكَ خَالِيًا
مَنَحَتْكَ يَشْكُرُ أهْلَهَا وفِصَالَها

---

٤ – آليت : حلفت . أثقف : أظفر وأنال . ذو لحية : يقصد السيد فى قومه .

٦ – العقيلة : كريمة الحى . القيم : الزوج . المتغطرس : صاحب النخوة . أبديت عن خلخالها : أى شمرت عن ساقيها للهرب ، فظهر خلخالها .

٧ – السفع : جمع الأسفع ، وهو المسود الوجه من الشمس وغيرها .

٨ – العنفوان : أول الشىء . الرعيل : جماعة الخيل وأول صفها .

٩ – منتك نفسك : وعدتك ، وطلبت منك الحصول على شىء .
منحتك يشكر أهلها وفصالها : سلم إليك بنو يشكر نساءهم وأطفالهم لأنك جدير بحمايتهم والحفاظ عليهم .

(١٨٠)

قال ثَوْبُ بنُ النَّارِ اليَشْكُرِيّ

(بحر الطويل)

١ – كَفَانِي أَبُو حَسَّانَ نفسى فِدَاؤُهُ
تَعَالِيَ أَقوامٍ ذَوِى نَعَمٍ دَثْرِ

٢ – فأَضْحَى عِيالي كُلُّهُمْ كَعِيالِهِ
سواءً ثَوَوْا فى ظِلٍّ ذِى فَخَرٍ غَمْرِ

٣ – فأَثْنوا عَلَيْهِ بالسَّماحَةِ والنَّدَى
ولا تَكْفُرُوا إِنَّ الكِرَامَ ذَوُو شُكْرِ

---

[١٨٠] **ترجمته** : هو ثَوْبُ بنُ النارِ بن عُبَادَةَ ، أَحَدُ بنى عَدِىٍّ من بنى يَشْكُرَ ، ويُروى أنه كان وأخواه الضَّبَّانُ بْنُ النَّارِ ، والقَعْقَاعُ بنُ النَّارِ شعراء ، وقيل لهم بنو النار لأن امرأ القيس بن حُجْر مر بهم ، فأنشدوه ، فقال : إنى لأعجب كيف لاتمتلىء عليكم (بيوتكم) نارًا من جودة شعركم ، فقيل لهم بنو النار (الموسوعة) .

جو الأبيات : فى مدح رجل يدعى أبو حسان ، كان كريما كثير العطاء ، وقد غمر أبا حسان وعياله بجوده وعطفه ، فقال الشاعر هذه الأبيات ، يطلب من أبنائه أن يشكروا لأبى حسان كرمه وإحسانه ، فإن الكرام يشكرون لا ينكرون .

التخريج : المؤتلف والمختلف ٧٠ وموسوعة الشعر العربى ٣٠٢/٤ .

الشرح :

١ – ذوو نعم : ذوو يسر وخير . دثر : كبير .

٢ – الفخر ، بفتح الخاء : العطاء والجود والمعروف . غمر : كثير .

(١٨١)

قال رَاشِدُ بْنُ شِهابٍ اليَشْكُرِىُّ

(البحر الطويل)

١ - مَنْ مُبْلِغٌ فِتْيانَ يَشْكُرَ أَنَّني
أرى حِقْبَةً تُبْدِي أَماكِنَ للصَّبْرِ

٢ - فأُوصِيكُمْ بالحَيّ شَيْبانَ إِنَّهُمْ
هُمُ أَهلُ أَبناءِ العَظائِمِ والفَخْرِ

٣ - عَلَى أَنَّ قَيْسًا قال قَيْسُ بنُ خالِدٍ :
لَيَشْكُرُ أَحْلَى إِنْ لَقِينا مِنَ التَّمْرِ

---

[١٨١] **ترجمته** : هو راشد بن شهاب بن عبدة بن عصم بن ربيعة من بنى يشكر من بكر . وربما شهد البعثة المحمدية ، فهو يخاطب فى هذه القصيدة قيس بن مسعود الشيبانى الذى كان أخوه بشر بن مسعود رئيس بنى شيبان يوم الشيطين – بين بكر وتميم – وقد علم البكريون قبل الإغارة على تميم فى هذا اليوم بأخبار الإسلام ، وأن من قتل نفسًا قتل بها فى الدين الجديد (المفضليات) .

جو القصيدة : يخاطب فتيان قبيلته ويخبرهم بأنهم سوف يلاقيهم من الشدائد ما يستدعى الصبر ثم يوصيهم فى تهكم بحى شيبان ، ثم خاطب قيس بن مسعود وغيره بفراره وهربه من الأخذ بثأر عمرو حميمه ، ثم فخر بقومه .

التخريج : المفضلية ٨٧ وانظر التخريج هناك وكذلك فيما رويناه عن المفضليات فى هذا الديوان .

الشرح : (اعتمدت على بعض شرح المفضليات فيما أوردته من نصوصها).

١ – الحقبة : المدة من الزمن . أماكن للصبر : أراد أحداثا كثيرة شديدة تستدعى منهم الصبر .

٣ – أى هم بمنزلة الغنيمة لا تبالى ألقيناهم أم لقينا تمرا نأكله .

٤ – رأَيْتُكَ لمَّا أَنْ عَرفْتَ وجُوهَنا
صَدَدْتَ وَطِبْتَ النَّفْسَ ياقَيْسُ عَنْ عَمرِو

٥ – رأَيْتَ دِماءً أَسْهَلَتْها رِماحُنا
شآبِيبَ مِثْلَ الأُرْجُوانِ عَلَى النَّحْرِ

٦ – ونَحنُ حَمَلْناكَ المَصِيفَةَ كلَّها
على حَرَجٍ تُؤْسَى كُلُومُك في الخِدْرِ

٧ – فلَا تَحْسِبَنَّا كالعُمُورِ وجَمْعَنا
فَنَحْنُ وبيْتِ آللهِ أَدْنَى إلى عَمْرِو

٨ – جَميعًا ، ولَسْنا ، قد عَلِمْتَ ، أُشابَةً
بَعيدِينَ من نَقْصِ الْخَلَائِقِ والغَدْرِ

---

٥ – أسهلتها : أسالتها وهذا التفسير لم يذكر فى المعاجم . الشآبيب : جمع شؤبوب ، وهو الدفعة . الأرجوان : صبغ أحمر ، شبه به الدم .

٦ – المصيفة : الصيف . الحرج : سرير يحمل عليه الموتى . الخدر : حاجز يقطع فى البيت تستتر فيه الجوارى . يقول : أوقعنا بك فجرحناك جراحات بقيت منها فى خدر تداويها طول الصيف .

٧ – العمور : جمع عمرو .

٨ – الأشابة : المختلطون .

(١٨٢)

وقـــال

(البحر الطويل)

١ – أَرِقْتُ فَلَمْ تَخْدَعْ بِعَيْنَىَّ خَدْعَةٌ
وَوَاللهِ ما دَهْرِى بِعِشْقٍ ولا سَقَمْ

٢ – ولكنَّ أَنْباءً أَتَتْنِى عنِ آمْرِئٍ
وما كانَ زادِى بِالخبيثِ كما زَعَمْ

٣ – ولكنَّنى أُقْصِى ثِيابِى مِنَ الخَنَا
وبَعْضُهُم للغَدْرِ فى ثَوْبِهِ دَسَمْ

٤ – فمَهْلًا أَبا الخَنْساءِ لا تَشْتُمَنَّنِى
فَتَقْرَعَ بعدَ اليَوْمِ سِنَّكَ مِنْ نَدَمْ

---

١٨٢ – جو القصيدة : يخاطب فيها قيس بن مسعود الشيبانى . فاستهل قصيدته بذكر أرقه لهجاء قيس له . ثم نوه بطهارة نفسه ، وطلب من قيس أن يكف عن هجوه كيلا يلقى منه شرا مستطيرا ، وتهدده ، ونعت سلاحه ، ثم ذكر قيسا بما كان بينهما من كرم الجوار والصحبة ، وكرر وعيده محذرا من مغبة الهجاء .

التخريج : المفضلية ٨٦ .

الشرح :

١ – تخدع : تدخل ، أى لم يدخل فى عينه شيئا من النوم . وفى اللسان : « خدعت العين خدعا : لم تنم . وما خدعت بعينه نعسة أى ما مرت بها » .

٢ – جعل الزاد الخبيث مثلا للقول السيئ .

٣ – أراد بالدسم دنس العار .

٥ – ولا تُوعِدَنّى إنّنى إن تُلاقِنِي
مَعى مَشْرَفِىٌّ فى مَضارِبِهِ قَضَمْ

٦ – ونَبْلٌ قِرَانٌ كالسُّيورِ سَلَاجِمٌ
وفَرْعٌ هَتُوفٌ لا سَقِىٌّ ولا نَشَمْ

٧ – ومُطَّرِدُ الكَعْبَيْنِ أَسْمَرُ عاتِرٌ
وذَاتُ قَتِيرٍ فى مَواصِلِها دَرَمْ

٨ – مُضاعَفَةٌ جَدْلاءُ أَو حُطَمِيَّةٌ
تُغَشِّى بَنانَ المَرْءِ والكَفَّ والقَدَمْ

٩ – لِعادِيَّةٍ مِنَ السِّلَاحِ اسْتَعَرْتُها
وكان بِكُمْ فقْرٌ إلى الغَدْرِ أَو عَدَمْ

١٠ – وكنتُ زَمانًا جارَ بَيْتٍ وصاحِبًا
ولٰكِنَّ قَيْسًا في مَسامِعِهِ صَمَمْ

---

٥ – قضم : تكسُّر .

٦ – القران : المتشابهة . السلاجم : الطوال ، الواحد سلجم . الفرع : القوس أخذت من أعلى الغصن . الهتوف : المصوتة . السقى : ما شرب الماء على الأنهار من الشجر . النشم : شجر ضعيف . يقول : ليست كذلك ، هى مما تشرب بالمطر وهو أصلب لها .

٧ – المطرد : يعنى رمحا إذا هز اضطرب كله واطرد فى اضطرابه ، كاطراد الماء فى جريه . العاتر : الصلب . ذات قتير : يعنى درعا ، والقتير رءوس مسامير الدرع . الدرم : الاستواء . وأراد بمواصلها ما يتصل بالحلقتين .

٨ – المضاعفة : التى نسجت حلقتين حلقتين . الجدلاء : المحكمة . الحطمية : منسوبة إلى صانع من صناع الدروع اسمه حطمة . تغشى ... : أراد أنها سابغة .

٩ – عادية : أى دروع قديمة كانت فى زمن عاد ، وذلك أجود لها .

١١ – أَقَيْسَ بنَ مَسعودِ بنِ قَيْسِ بن خالِدٍ
أُمُوفٍ بأذْراعِ ابنِ طَيْبَةَ أَمْ تُذَمْ

١٢ – بِذَمٍّ يُغَشَّى المرءَ خِزْيًا ورَهْطَه
لَدَى السَّرْحَةِ العَشّاءِ في ظِلِّها الأُدَمْ

١٣ – بَنَيْتُ بثَاجٍ مِجْدَلًا من حجارةٍ
لِأَجْعلَهُ عِزًّا على رَغْمِ مَنْ رَغَمْ

١٤ – أَشَمَّ طُوَالًا يَدْحَضُ الطَّيْرُ دونَهُ
لهُ جَنْدَلٌ ممَّا أَعَدَّتْ لهُ إِرَمْ

١٥ – ويَأْوِي إليهِ المُسْتجيرُ من الرَّدَى
ويَأْوِي إليه المُسْتَعِيضُ من العَدَمْ

---

١٢ – السرحة: واحدة السرح، وهو شجر كبار عظام لا ترعى وإنما يستظل فيه. العَشَّاء: الخفيفة. وهذه السرحة كانت بعكاظ، يجتمع الناس إليها ويضربون قباب الأدم.

١٣ – ثاج، وقد يهمز. قرية بالبحرين. المجدل: القصر.

١٤ – الطوال، بضم الطاء: الطويل. يدحض: يزلق، والمراد أنه لا تبلغه الطير. الجندل: الحجارة.

١٥ – المستعيض: طالب العوض والصلة.

(١٨٣)

قالت زَيْنبُ اليَشْكُرِيَّةِ

(البحر الطويل)

١ – أَنَاخَتْكُمُ الدُّنْيَا لِمُنْتَهَشِ الْقَنَا
كَأَنَّ لَهَا دِينًا بذلك آلَتِ

٢ – أَنَاخَتْ عليكُمْ خَيْلُ يَوْمِ كَرِيهَةٍ
فما إنْ تَمَلُّوهَا وَلَا هِيَ مَلَّتِ

٣ – تُحَمْحِمُ خَيْلٌ بَعْدَ خَيْلٍ تَقَدَّمَتْ
مَصَارِعُكُمْ فيها مِنَ الذُّلِّ حَلَّتِ

٤ – عَلَى مَالِكِ بْنِ الفِنْدِ أَرْزَاهُ حَسْرَةٌ
تُجَدِّدُ لِي حُزْنًا إذَا قُلْتُ وَلَّتِ

---

١٨٣ – **ترجمتها** : لم نعرف عنها أخبارا سوى ما ذكره لويس شيخو فى مناسبة الأبيات .
جو الأبيات : فى رثاء أبيها وزوجها اللذين قتلا فى بعض أيام حرب البسوس .
التخريج : رياض الأدب فى مراثى شواعر العرب ١٧ .
الشرح :

١ – أناختكم الدنيا : أذلّتكم . وقولها « لمنتهش القنا » أى جعلتكم غرضا للرماح لتنهشكم أى تخدش وجوهكم . وقولها كان لها دينا ، الدين : العادة . وآلت أى أقسمت . أى اتخذت الإساءة إليكم عادة وأقسمت على هلاككم .

٢ – تقول حلت فيكم فرسان يوم الشدائد فداومت على محاربتكم ولم تملوا أنتم من اختبار شدائدها .

٣ – حمحمة الخيل صهيلها عند الشدة . تقول : أتتكم خيل العدو تقصدكم فذللتم وضعفتم فحلت لذلك بكم المصارع أى غلبتم لجبنكم وفشلكم .

٤ – أرزاه : الضمير يعود على مالك بن الفند – زوجها – من الرزء وهو المصيبة .

٥ – أَرَانِي كَسِرْبٍ حِيلَ عنه أَلِيفُهُ
قَوَافِرُهُ فى مَهْمَهِ الخَبْتِ ضَلَّتِ

---

٥ – أليفه : الأليف هو المؤالف الملازم الذى يُرتاح لقربه ، والمراد هنا قائده ومرشده . السرب : الفريق من الطير والحيوان . القواقر : الضفادع . مهمه : بلد قفر والجمع مهامه ، والمهمه أيضا الصحراء الواسعة . الخبت : الوادى العميق فيه نبات أو المنخفض فيه رمل . ضلت : ضاعت وهلكت .

(١٨٤)

وقال سُوَيْدُ بْنُ أَبِى كَاهِلٍ أيضا

(البحر الطويل)

١ – فأدُّوا إلى بَهْرَاءَ فِيكُمْ بَنَاتَهُ
وأَبْنَاءَهُ إِنَّ القُضَاعِىَّ أَحْمَرُ

٢ – ظَلَلْنَ يُنَازِعْنَ العَضَارِيطَ أُزْرَهَا
وشَيْبَانُ وَسْطَ القَطْقَطَانَةِ حُضَّرُ

٣ – فَمِنَّا يَزِيدُ إِذْ تَحَدَّى جُمُوعَكُمْ
فَلَمْ تُفْرِجُوهُ المَرْزُبَانُ المُسَوَّرُ

٤ – وأَحْجَمْتُمُ حتى عَلَاهُ بِصَارِمٍ
حُسَامٍ إِذَا مَسَّ الضَّرِيبَةَ يَبْتُرُ

٥ – ومِنَّا الذى أَوْصَى بِثُلْثِ تُرَاثِهِ
عَلَى كُلِّ ذِى بَاعٍ يَقِلُّ وَيَكْثُرُ

---

١٨٤ – **جو الأبيات** : كانت بهراء أغارت على بنى شيبان ، فأخذوا منهم نساء واستاقوا نعما ، ثم إنهم اشتروا منهم النساء وردُّوهن . فعيَّرهم سُوَيْد بأنهم رُدِدْنَ حبالى . ثم افتخر ببسالة رجل من يشكر يدعى يزيد يوم ذى قار ، كما افتخر بدفاع الحارث بن حلزة عن البكريين أمام الملك عمرو بن هند ، وارتجاعه رهائنهم .

التخريج : الأغانى (دار الكتب) ١٠٦/١٣ والبيت الثالث فى النقائض ٦٣٣/٢ .

الشرح :

٢ – العضاريط : الأتباع والأجراء . القطقطانة : موضع كان به سجن النعمان ابن المنذر .

٣ – أفرجوه : غلبوه . المرزبان : الفارس الشجاع المقدم على القوم ويقال للأسد أيضا مرزبان . المسور : المرتفع .

٤ – الضريبة : المضروب .

٦ – لَيالِىَ قُلْتُمْ باابْنَ حِلِّزَةَ ارْتَحِلْ
فَزَابِنْ لَنا الأَعْدَاءَ واسْمِعَ وأَبْصِرِ
٧ – فأَدَّى إِلَيْكُمْ رُهْنَكُمْ وَسْطَ وَائِلٍ
حَبَاهُ بها ذُو الْبَاعِ عَمْرُو بْنُ مُنْذِرِ

٦ – زابن : دافع . (لاحظ اختلاف حركة حرف الروى فى البيتين الأخيرين) .

(١٨٥)

وقال سُوَيْدُ بْنُ أَبِى كَاهِلٍ أيضًا

(البحر الطويل)

١ – لَعَمْرِى لبِئْسَ الْحَىُّ شَيْبَانُ إنْ عَلَا
عُنَيْزَةَ يَوْمٌ ذُو أَهَابِىَّ أَغْبَرُ

٢ – فَلَمَّا الْتَقَوْا بِالمَشْرَفِيَّةِ ذَبْذَبَتْ
مُوَلِّيَةً أَسْتَاهُ شَيْبَانُ تَقْطُرُ

---

١٨٥ – جو الأبيات : قالها فى هجاء بنى شيبان يعيرهم فيها بيوم عنيزة – أحد أيام حرب البسوس – وكان لتغلب على بنى شيبان .

التخريج : الأغانى (دار الكتب) ١٣/١٠٥ .

الشرح :

١ – ذو أهابى : ذو تراب مثار .

٢ – الأستاه : جمع الاست وهو العَجُز ، ويقال لأرذال الناس : أستاه .

(١٨٦)

وقال سُوَيْدُ بْنُ أبى كَاهِلٍ أيضًا

(البحر الطويل)

١ – أبَى قَلْبُهُ إلَّا عُمَيْرَةَ إنْ دَنَتْ
وَإن حَضَرَتْ دَارَ العِدَا فَهْو حاضِرُ

٢ – شَمُوسٌ حَصَانُ السِّرِّ رَيَّا كَأنَّهَا
مُرَبَّبَةٌ مما تَضَمَّنَ حَائِرُ

....

٣ – أنَا الْغَطَفَانِىُّ زَيْنُ ذُبْيَانَ فَابْعُدُوا
فَلَلزَّنْجُ أدْنَى مِنْكُمُ وَيُحَابِرُ

---

١٨٦ – **جو الأبيات** : يروى أن أم سويد بن أبى كاهل كانت امرأة من بنى غُبر ، وكانت قبل أبى كاهل عند رجل من بنى ذبيان بن قيس بن عَيْلان ، فمات عنها ، فتزوجها أبو كاهل ، وكانت فيما يقال حاملا ، فاستلاط أبو كاهل ابنها لما ولدته وسماه سويدا ، واستلحقه . فكان إذا غضب على بنى يشكر ادعى إلى بنى ذبيان ، وإذا رضى عنهم أقام على نسبه فيهم . وقيل أنه ولد فى بنى ذبيان ، وتزوجت أمه أبا كاهل – وهو غلام يَفعة – فاستحلقه أبو كاهل وادعاه ، فلحق به . وهذه الأبيات يفخر فيها سويد بانتمائه إلى قيس عَيْلان .

التخريج : الأغانى (دار الكتب) ١٣/١٠٤ وشعراء النصرانية ٤٢٦ .

الشرح :

٢ – شموس : عسرة الصحبة . حَصان السر : لا تذيعه . والحَصان ، بفتح الحاء أى المتزوجة . ريا : طيبة الرائحة . مربية : زهرة غضة . حائر : مكان مطمئن مرتفع الحروف ، يجتمع فيه الماء فيتحير ولا يخرج ، والحائر أيضا البستان .

٣ – الغطفانى نسبة إلى غطفان ومنه عبس وذبيان . الزنج ، بفتح الزاى وكسرها : جيل من السودان يتميز بالجلد الأسود والشعر الجعد والشفة الغليظة والأنف الأفطس ، ويطلق الآن على بعض السلالات المنحدرة من القبائل الإفريقية آلتى استوطنت . يحابر : بطن من مراد وقد ذكره الكميت فى هاشمياته حين قال :

وَلَا تَتَشَلَّتْ عُضْوَيْنِ منها يُحَابِرٌ   وكان لعبدِ القَيْسِ عُضْوٌ مُؤَرَّبُ

٤ – أَبَتْ لِىَ عَبْسٌ أنْ أُسَامَ دَنِيَّةً
وسَعْدٌ وذُبْيَانُ الهِجَانُ وعَامِرُ
٥ – وحَىٌّ كِرَامٌ سَادَةٌ مِنْ هَوَازِنٍ
لَهُمْ فى الْمُلِمَّاتِ الأُنُوفُ الْفَوَاخِرُ

---

٤ – الهجان من الأشياء أو الناس : أجودهم وأكرمهم ، يقال إبل هجان ، ورجل هجان : كريم الحسب نقيه ، وامرأة هجان : عقيلة قومها وأرض هجان : كريمة التربة .

٥ – الأنوف الفواخر : كناية عن ارتفاعها شممًا وإباءً للضيم .

(١٨٧)

قال سُوَيْدُ بْنُ أَبِي كَاهِلٍ اليَشْكُرِيُّ

(بحر الرَّمل)

١ - بَسَطَتْ رَابِعَةُ الحَبْلَ لَنا
فَوَصَلْنَا الحَبْلَ منها ما اتَّسَعْ

٢ - حُرَّةٌ تَجْلُو شَتِيتًا وَاضِحًا
كَشُعَاعِ الشمسِ فى الغَيْمِ سَطَعْ

٣ - صَقَلَتْــهُ بِقَضِيبٍ ناضِرٍ
مِنْ أَراكٍ طَيِّبٍ حتى نَصَعْ

٤ - أَبْيَضَ اللَّوْنِ لَذِيذًا طَعْمُهُ
طَيِّبَ الرِّيقِ إذا الريقُ خَدَعْ

٥ - تَمْنَحُ المِرْآةَ وَجْهًا وَاضِحًا
مثلَ قَرْنِ الشمسِ فِي الصَّحْوِ ارْتَفَعْ

---

١٨٧ - **ترجمته** : مضت فى الفصل الرابع .

جو القصيدة : فيها حديث عن الحبيبة وطيفها ، ورحلته على ناقة يشبهها بالثور الوحشى ، وفيها فخر فردى وقبلى ، وتصوير للعداوة التى يكنها له صاحبه المنافق ، وكيف يكبته ويقمعه .

التخريج : المفضلية ٤٠ .

الشرح :

٢ - الشتيت : المتفرق ، أراد أسنانها المفلجة . الواضح : الأبيض .

٣ - الصقل : الجلاء . ناضر : ناعم . الأراك : أجود ما يصنع منه السواك . نصع : خلص بياضه .

٤ - خدع ريقه : فسد وتغير .

٦ – صَافِىَ اللَّوْنِ ، وطَرْفًا ساجِيًا
أَكْحَلَ العَيْنَيْنِ ما فيه قَمَعْ
٧ – وقُرُونًا سَابِغًا أَطْرَافُها
غَلَّلَتْها رِيحُ مِسْكٍ ذِى فَنَعْ
٨ – هَيَّجَ الشَّوْقَ خَيَالٌ زَائِرٌ
مِن حَبيبٍ خَفِرٍ فيهِ قَدَعْ
٩ – شَاحِطٍ جَازَ إلى أَرْحُلِنَا
عُصَبَ الغَابِ طُرُوقًا لم يُرَعْ
١٠ – آنِس كان إذَا ما اعْتَادَنِى
حالَ دُونَ النَّوْمِ مِنِّى فامْتَنَعْ
١١ – وكذَاكَ الحُبُّ ما أَشْجَعَهُ
يَرْكَبُ الهَوْلَ وَيَعْصِى مَنْ وَزَعْ
١٢ – فأَبيتُ الليلَ ما أَرْقُدُهُ
وبِعَيْنَىَّ إذَا نَجْمٌ طَلَعْ

---

٦ – الساجى : الساكن . القمع : ورم فى العينين من أرق أو تعب .

٧ – القرون : الذوائب أى شعر مقدم الرأس أو الشعر عامة . سابغ : طويل . غللتها : دخلت فيها . فنع : كثرة ، والمراد ريح طيبة .

٨ – الخفر : الحياء . القدع : الرد والكف ، والمراد أنها تكف نفسها عما يشينها .

٩ – شاحط : بعيد ، وهو نعت للحبيب . جاز : سلك . العُصب : الجماعات . الغاب : جمع غابة . الطروق : المجىء ليلا . لم يرع : لم يفزع .

١١ – وزعه : كفه .

١٣ – وإذَا ما قلتُ لَيْلٌ قد مَضَى
عَطَفَ الأَوَّلُ مِنهُ فَرَجَعْ

١٤ – يَسْحبُ الليلُ نُجُومًا ظُلَّعًا
فتَوَالِيهَا بَطيئاتُ التَّبَعْ

١٥ – ويُزَجِّيها عَلَى إبْطائِهـا
مُغْرَبُ اللَّوْنِ إذَا اللَّوْنُ انقْشَعْ

١٦ – فَدَعانِى حُبُّ سَلْمَى بَعْدَما
ذَهَبَ الجِدَّةُ مِنِّى والرَّيَعْ

١٧ – خَبَّلَتْنِى ثُمَّ لمَّا تَشْفِنِى
فَفُؤَادِى كلَّ أَوْبٍ ما اجتَمَعْ

١٨ – ودَعَتْنِى بِرُقاهَا ، إنَّها
تُنزِلُ الأَعْصَمَ مِن رَأْسِ اليَفَعْ

١٩ – تُسْمِعُ الحُدَّاثَ قولًا حَسَنًا
لو أَرَادُوا غَيرَهُ لم يُسْتَمَعْ

---

١٤ – ظلعًا : من الظلع وهو العرج ، كنى بذلك عن شدة بطئها . التوالى : الأواخر .

١٥ – يزجيها : يسوقها برفق . المغْرب : الأبيض ، يعنى بياض الصبح . انقشع : ذهب .

١٦ – الجدة : أراد بها جدة الشباب . الرَّيَع : أول الشباب ولكنه حرَّكه للضرورة .

١٧ – خبلتنى : أفسدت عقلى . كل أوب : كل وجه . ما اجتمع : متفرق لم يجتمع .

١٨ – الرق : جمع رقية ، يريد أنها دعته برقاها فلم يجد له فكاكا . الأعصم : الوعل . اليفع : المرتفع .

١٩ – الحداث : الذين يحدثونها وتحدثهم . لم يستمع : أى لو التمسوا منها سوى الحديث لم ينالوه ، يصف عفتها .

٢٠ - كَمْ قَطَعْنا دُونَ سَلْمَى مَهْمَهًا
نازِحَ الغَوْرِ إِذَا الآلُ لَمَعْ
٢١ - فى حَرُورٍ يَنْضَجُ اللَّحْمُ بها
يأْخُذُ السَّائِرَ فيها كالصَّقَعْ
٢٢ - وتَخَطَّيْتُ إِليها مِن عِدًى
بِزَماعِ الأَمْرِ والهَمِّ الكَنِعْ
٢٣ - وفَلاةٍ وَاضِحٍ أَقْرابُهَا
بَالِياتٌ مثلُ مُرْفَتِّ القَزَعْ
٢٤ - يَسْبَحُ الآلُ عَلَى أَعْلامِها
وعَلَى البِيدِ إِذَا اليومُ مَتَعْ
٢٥ - فَرَكِبْناها عَلَى مَجْهُولِها
بِصِلابِ الأَرْضِ فيهِنَّ شَجَعْ

---

٢٠ - المهمه : القفر . النازح : البعيد . الغور : المنخفض من الأرض . الآل : السراب .

٢١ - الحرور : ريح حارة تكون بالنهار . الصّقع : حرارة تصيب الرأس .

٢٢ - العدى ، بالضم والكسر : الأعداء . زماع الأمر : الجد فيه . الكنع ، بفتح فكسر : اللازم الذى لا يفارق .

٢٣ - الأقراب : الخواصر ، وهى ههنا تشبيه ، أراد تشبيه أطرافها وجوانبها التى هى بمنزلة الخواصر من الناس . المرفت : المتكسر المتحطم . القزع : جمع قزعة ، وهى بقايا تبقى من الشعر فى الرأس ، شبه بها علامات الفلاة .

٢٤ - الأعلام : الجبال . البيد : الصحارى . متع اليوم : ارتفعت شمسه .

٢٥ - أى سرنا فيها على جهل بمسالكها . بصلاب الأرض : بخيل صلاب الحوافر ، وأرض الفرس : حوافرها . الشجع : جنون من النشاط .

٢٦ – كالمَغَالى عارِفاتٍ لِلسُّرَى
مُسْنَفاتٍ لَمْ تُوَشَّمْ بِالنِّسَعْ

٢٧ – فَتَرَاها عُصُفًا مُنْعَلَةً
بِنِعَالِ القَيْنِ يَكْفِيها الوَقَعْ

٢٨ – يَدَّرِعْنَ الليلَ يَهْوِينَ بِنَا
كَهُوِيِّ الْكُدْرِ صَبَّحْنَ الشَّرَعْ

٢٩ – فَتناوَلْنَ غِشاشًا مَنْهَلًا
ثُمَّ وَجَّهْنَ لِأَرْضٍ تُنْتَجَعْ

٣٠ – مِنْ بَنِى بَكْرٍ بِها مَمْلَكَةٌ
مَنْظَرٌ فيهِمْ وفِيهِمْ مُسْتَمَعْ

٣١ – بُسُطُ الأَيْدِى إِذَا ما سُئِلُوا
نُفُعُ النَّائِلِ إِنْ شيءٌ نَفَعْ

---

٢٦ – المغالى : السهام ، شبه الخيل بها فى دقتها وسرعتها . العارفات : الصبورات على السير . المسنفات : التى شُد عليها السناف ، بالكسر ، وهو حبل يشد من اللبب إلى الحزام ، مخافة أن يموج فيضطرب السرج . النُسْع أى لا تشد بالنسع – وهى سيور من جلد – فتصيب جلدها بأثر كالوشم .

٢٧ – العصف : السريعة فى السير ، من عصفت الريح . الوقع ، بفتحتين : الحفا من المشى على الحجارة .

٢٨ – يدرعن الليل : يدخلن فيه كما تُلبس الدرع . الكدر : القطا . صبحن : وافين فى الصبح . الشرع : الماء والشرب جميعا .

٢٩ – غشاشا : قليلا ، أو عاجلا . المنهل : المشرب . وجهن : توجهن . تنتجع : تقصد للكلإ .

٣٢ - مِنْ أُناسٍ لَيْسَ مِنْ أخلاقِهِمْ
عاجِلُ الفُحْشِ ولا سُوءُ الجَزَعْ

٣٣ - عُرُفٌ لِلْحَقِّ ما نَعْيا بِهِ
عندَ مُرِّ الأمرِ ، ما فِينَا خَرَعْ

٣٤ - وإذا هَبَّتْ شَمالًا أَطْعَمُوا
فى قُدُورٍ مُشْبَعَاتٍ لم تُجَعْ

٣٥ - وجِفانٍ كالجَوَابِى مُلِئَتْ
مِن سَمِيناتِ الذُّرَى فيها تَرَعْ

٣٦ - لا يَخافُ الغَدْرَ مَن جاوَرَهم
أبدًا منهُمْ ولا يَخْشَى الطَّبَعْ

٣٧ - ومَسَامِيحُ بما ضُنَّ بِهِ
حاسِرُو الأَنْفُسِ عن سُوءِ الطَّمَعْ

٣٨ - حَسَنُو الأَوْجُهِ بِيضٌ سادَةٌ
ومَرَاجِيحُ إذا جَدَّ الفَزَعْ

---

٣٢ - سوء الجزع : أى لا يجزعون لمصيبة .

٣٣ - الخرع : الضعف واللين .

٣٤ - المشبعات : المملوءات .

٣٥ - الجوابى : الحياض الكبار التى يجبى فيها الماء . الذرى : ذروة كل شيء أعلاه ، أراد الأسنمة الترع : الامتلاء .

٣٦ - الطبع : ما يعابون به ، وأصل الطبع تلطخ العرض .

٣٧ - مساميح : أجواد . حاسرو الأنفس : كاشفوها ، أى مبعدوها من الطمع .

٣٨ - مراجيح : راجحو القلوب ، ثابتون لا يستخفهم الجزع ، ليسوا بجبناء .

٣٩ – وُزُنُ الأَحلامِ إنْ هُمْ وَازَنُوا
صادِقُو البأْسِ إذا البأْسُ نَصَعْ

٤٠ – ولُيُوثٌ تُتَّقى عُرَّتُها
ساكِنُو الرِّيحِ إذا طارَ القَزَعْ

٤١ – فَبِهِمْ يُنْكَى عَدُوٌّ وبِهِمْ
يُرْأَبُ الشَّعْبُ إذا الشَّعْبُ انْصَدَعْ

٤٢ – عَادَةٌ كانَتْ لهم مَعْلُومَةٌ
في قَدِيمِ الدَّهْرِ لَيْسَتْ بالبِدَعْ

٤٣ – وإذا ما حُمِّلُوا لم يَظْلَعُوا
وإذَا حَمَّلْتَ ذَا الشِّفِّ ظَلَعْ

٤٤ – صالِحُو أَكْفائِهِمْ خُلاَّنُهُمْ
وسَرَاةُ الأَصْلِ ، والناسُ شِيَعْ

٤٥ – أَرَّقَ العَيْنَ خَيَالٌ لَمْ يَدِعْ
مِن سُلَيْمَى ، ففؤادِي مُنْتَزَعْ

---

٣٩ – نصع : ظهر وبان .

٤٠ – العرة : الأذى . ساكنو الريح : لا يخِفُّون ولا يعجلون . القزع : كل شيء يكون قِطَعًا متفرقة ، ومنه قطع السحاب المتفرقة فى السماء .

٤١ – يُنكَى : يُصاب . يُرأب : يُصلح .

٤٣ – لم يظلعوا : لم يعجزوا . الشِّف ههنا : الفضل والزيادة .

٤٤ – لا يصادقون إلا الصالحين من أكفائهم . السَّراة : الأشراف .

٤٥ – لم يدع ، بكسر الدال : أى لم يسكن ولم يستقر ، من الدعة والسكون .

٤٦ – حَلَّ أَهْلِى حيثُ لا أَطْلُبُها
جانبَ الحِصْنِ ، وحَلَّتْ بالفَرَعْ

٤٧ – لا أُلاقِيها وقَلْبِى عِنْدَها
غيْرَ إلمَامٍ إذَا الطَّرْفُ هَجَعْ

٤٨ – كالتُّؤامِيَّةِ إنْ باشَرْتَها
قَرَّتِ العَيْنُ وطَابَ المُضْطَجَعْ

٤٩ – بَكَرَتْ مُزْمِعةً نِيَّتَها
وحَدَا الْحَادِى بِها ثُمَّ انْدَفَعْ

٥٠ – وكَرِيمٌ عندَها مُكْتَبَلٌ
غَلِقٌ إثْرِ القَطِينِ المُتَّبَعْ

٥١ – فكأنِّي إذْ جَرَى الآلُ ضُحًى
فَوقَ ذَيَّالٍ بِخَدَّيْهِ سَفَعْ

٥٢ – كُفَّ خَدَّاهُ على دِيباجَةٍ
وعلَى المَتْنَيْنِ لَوْنٌ قد سَطَعْ

---

٤٦ – الفرع ، بفتحتين : موضع بين الكوفة والبصرة .

٤٨ – كالتؤامية : كالدية .

٤٩ – المزمع : المجمع على الأمر الجاد فيه . نيتها : حيث تنوى . حدا : ساق .

٥٠ – مكتبل : موثق ، والكبل : القيد . يريد أن قلبه معها . غلق : ذاهب ، من قولهم : غلق الرهن إذا ذهب ولم يفتك . القطين : الأهل والحشم .

٥١ – الذيال : الثور الطويل الذنب . السفع : جمع سفعة ، وهى سواد يضرب إلى حمرة . شبه ناقته بالثور الوحشى .

٥٢ – كف : ضم . سطع : علا .

٥٣ – يَنْسُطُ المَشْىَ إذَا هَيَّجْتَهُ
مِثْلَ ما يَنْسُطُ فى الخَطْوِ الذَّرِعْ

٥٤ – رَاعَهُ مِن طَيِّءٍ ذُو أَسْهُمٍ
وضِرَاءٍ كُنَّ يُبْلِينَ الشَّرَعْ

٥٥ – فَرَآهُنَّ ولمَّا يَسْتَبِنْ
وكِلَابُ الصَّيْدِ فِيهِنَّ جَشَعْ

٥٦ – ثُمَّ وَلَّى وجَنَابَانِ لَهُ
من غُبَارٍ أُكْدَرِيٍّ واتَّدَعْ

٥٧ – فَتَرَاهُنَّ علَى مُهْلَتِهِ
يخْتَلِينَ الأَرضَ والشَّاةُ يلَعْ

٥٨ – دَانِيَاتٍ ما تَلَبَّسْنَ به
وَاثِقَاتٍ بِدِماءٍ إنْ رَجَعْ

---

٥٣ – الذَّرع ، بفتحتين : الصغير من ولد البقر .

٥٤ – ذو سهم : أراد به الصائد . الضراء : الكلاب التى ضريت للصيد . الشرع ، بكسر ففتح : الأوتار .

٥٥ – أى رأى الثور الكلاب ولم يستبنهن . الجشع : أسوأ الحرص .

٥٦ – الجنابان : الجانبان . أكدرى : فيه كدرة . اتدع : لم يجتهد فى عدوه ، لثقته بأنه سيفوتهن .

٥٧ – يختلين : يقطعن . الشاة : الثور ، وذكر ضمير الفعل على المعنى لا على اللفظ . يلع : يكذب فى عَدْوه ولا يجد .

٥٨ – ما تلبسن به : لم يخالطنه ، بل قاربنه . يقول : مع دنوهن منه لم يخالطنه خوفا ، عالمات أنه إذا رجع عليهن جرحهن بقرنه ودماهن .

٥٩ - يُرْهِبُ الشَّدَّ إذَا أَرْهَقْنَهُ
وإذَا بَرَّزَ مِنهنَّ رَبَعْ

٦٠ - ساكِنُ القَفْرِ أَخُو دَوِّيَّةٍ
فإذَا ما آنَسَ الصَّوْتَ امَّصَعْ

٦١ - كَتَبَ الرَّحمنُ ، والحَمْدُ لهُ
سَعَةَ الأَخْلَاقِ فِينَا والضَّلَعْ

٦٢ - وإبــاءً لِلدَّنِيَّــاتِ إِذَا
أُعْطِيَ المَكْثُورُ ضَيْمًا فكَنَعْ

٦٣ - وبِناءً لِلْمَعالـي ، إنَّمـا
يَرْفَعُ اللهُ ومَنْ شاءَ وَضَعْ

٦٤ - نِعَمٌ للهِ فِينَـا رَبَّهَـا
وصَنِيعُ اللهِ ، واللهُ صَنَعْ

٦٥ - كَيْفَ باسْتِقْرَارِ حُرٍّ شاحِطٍ
بِبِلَادٍ ليسَ فيها مُتَّسَعْ

---

٥٩ - الشد : السير السريع . يرهبه : من الإرهاب . أرهقنه : أعجلنه . برز منهن : بعد . ربع : حبس وكف عن العدو .

٦٠ - الدوية : الفلاة . امصع : ذهب فى الأرض .

٦١ - الضلع ، بفتحتين : من الاضطلاع بالأمور .

٦٢ - المكثور : المغلوب . كنع : خضع .

٦٤ - ربها : أصحلها وأتمها .

٦٥ - شاحط : بعيد .

٦٦ – لا يُرِيدُ الدَّهرَ عنها حِوَلًا
جُرَعُ المَوْتِ ، ولِلْمَوتِ جُرَعْ

٦٧ – رُبَّ مَن أَنْضَجْتُ غَيظاً قَلبَهُ
قد تَمَنَّى لِيَ مَوْتًا لم يُطَعْ

٦٨ – ويَرَانِى كالشَّجَا فى حَلْقِهِ
عَسِرًا مَخْرَجُهُ مَا يُنْتَزَعْ

٦٩ – مُزْبِدٌ يَخطِرُ ما لم يَرَنِى
فإِذَا أَسْمَعْتُهُ صَوْتِى انْقَمَعْ

٧٠ – قد كَفانِى اللهُ ما فى نفسِهِ
ومتَى ما يَكْفِ شَيْئًا لا يُضَعْ

٧١ – بِئْسَ ما يَجْمَعُ أَنْ يَغْتَابَنِى
مَطْعَمٌ وَخْمٌ وَدَاءٌ يُدَّرَعْ

٧٢ – لم يَضِرْنِى غَيْرَ أَنْ يَحْسُدَنِى
فَهْو يَزْقُو مثلَ ما يَزْقُو الضُّوَعْ

٧٣ – ويُحَيِّينِى إِذَا لَاقَيْتُهُ
وإِذَا يَخْلُو لهُ لَحْمِى رَتَعْ

---

٦٨ – الشجا : ما يعترض فى الحلق من عظم ونحوه .

٦٩ – مزبد : كالجمل الهائج إذا ظهر الزبد على مشافره . يخطر : من الخطر ، بسكون الطاء ، وهو ضرب الفحل بذنبه إذا هاج . انقمع : تضاءل .

٧١ – وخم : غير مرىء . يدرع : يلبس .

٧٢ – الضوع ، بضم الطاء وكسرها : طائر من طير الليل كالهامة ، إذا أحس بالصباح صدح وصرخ .

٧٤ – مُسْتَسِرُّ الشَّنْءِ لو يَفْقِدُني
لَبَدَا منهُ ذُبابٌ فَنَبَعْ

٧٥ – ساءَ ما ظَنُّوا وقد أَبْلَيْتُهُمْ
عند غاياتِ المَدَى كَيْفَ أَقَعْ

٧٦ – صاحِبُ المِئْرَةِ لا يَسْأَمُها
يُوقِدُ النَّارَ إِذَا الشَّرُّ سَطَعْ

٧٧ – أَصْقَعُ النَّاسِ بِرَجْمٍ صائِبٍ
ليسَ بالطَّيْشِ ولا بالمُرْتَجِعْ

٧٨ – فارِغُ السَّوْطِ فما يَجْهَدُني
ثِلْبٌ عَوْدٌ ولَا شَخْتٌ ضَرَعْ

٧٩ – كيفَ يَرْجُونَ سِقَاطِي بَعْدَ ما
لَاحَ في الرَّأْسِ بَيَاضٌ وصَلَعْ

٨٠ – وَرِثَ البِغْضَةَ عَنْ آبائِهِ
حافِظُ العقْلِ لِمَا كان استَمَعْ

---

٧٤ – الشنْء : البغض . الذباب : الشر والأذى . نبع : ظهر . يريد أنه يضمر بغضه ، فإذا غاب عنه أظهره .

٧٥ – أبليتهم : عرفوا منى واستيقنوا . كيف أقع : يريد كيف أصنع .

٧٦ – المئرة : العداوة .

٧٧ – أصقع الناس : أشدهم صقعا ، وهو الضرب على الرأس . الرجم : الرمى ، وأراد به هنا الكلام .

٧٨ – فارغ السوط : يريد أنه مشغول عمن عاداه . الثلب : الكبير الهرم من الإبل . الشخت : النحيف الصغير . الضرع : الصغير السن .

٧٩ – سقاطى : سقطتى .

٨١ - فَسَعَى مَسْعَاتَهُمْ فِي قَوْمِهِ
ثُمَّ لم يَظْفَرْ ولَا عَجْزًا وَدَعْ

٨٢ - زَرَعَ الدَّاءَ ولم يُدْرِكْ بِهِ
تِرَةً فَاتَتْ ولَا وَهْيًا رَقَعْ

٨٣ - مُقْعِيًا يَرْدِى صَفَاةً لم تُرَمْ
فى ذُرَى أَعْيَطَ وَعْرِ المُطَّلَعْ

٨٤ - مَعْقِلٌ يَأْمَنُ مَنْ كانَ بِهِ
غَلَبَتْ مَنْ قَبْلَهُ أَن تُقْتَلَعْ

٨٥ - غَلَبَتْ عادًا ومَنْ بَعْدَهُمُ
فأَبَتْ بَعْدُ فَلَيْسَتْ تُتَّضَعْ

٨٦ - لا يَرَاها النَّاسُ إِلَّا فَوْقَهُمْ
فَهْيَ تأتِي كيْفَ شاءَتْ وتَدَعْ

٨٧ - وهْو يَرْمِيها ولَنْ يَبْلُغَهَا
رِعَةَ الجاهِلِ يَرْضَى ما صَنَعْ

---

٨١ - ودع : ترك .

٨٢ - الترة : الوتر ، وهو الثأر . الوهى : الشق . الرقع : الإصلاح بالرقاع . يريد لم يرأب الصدع .

٨٣ - الإقعاء فى الناس : كهيئة جلوس الكلب . يردِى : يرمى . الصفاة : الصخرة الملساء . لم ترم : لم يرمها أحد لعظمها . الذرى : الأعالى . الأعيط : الجبل الطويل . المطلع : الموضع الذى يطلع منه ويشرف .

٨٥ - تتضع : يقال اتضع بعيره ، أى أخذ برأسه وخفضه إذا كان قائما ليضع قدمه على عنقه فيركبه .

٨٧ - الرِّعة : الشأن والهدى .

٨٨ – كَمِهَتْ عَيْناهُ حتَّى ابْيَضَّتَا
فهُوَ يَلْحَي نفسَهُ لمَّا نَزَعْ

٨٩ – إذْ رَأَى أَنْ لم يَضِرْها جَهْدُهُ
ورَأَى خَلْقاءَ ما فيها طَمَعْ

٩٠ – تَعْضِبُ القَرْنَ إذَا نَاطَحهَا
وإذَا صابَ بها المِرْدَى انْجَزَعْ

٩١ – وإذَا ما رَامهَا أَعْيَا بِهِ
قِلَّةُ العُدَّةِ قِدْمًا والجَدَعْ

٩٢ – وعدوٍّ جاهِدٍ نَاضَلْتُهُ
فى تَرَاخِى الدَّهْرِ عنكم والجُمَعْ

٩٣ – فَتَسَاقَيْنَا بِمُرٍّ ناقِعٍ
فى مَقامٍ ليس يَثْنِيهِ الوَرَعْ

٩٤ – وارْتَمَيْنا والأَعادِى شُهَّدٌ
بِنِبَالٍ ذَاتِ سُمٍّ قد نَقَعْ

---

٨٨ – كمهت : عميت ، والأكمه : الذى يولد أعمى . يلحى : يلوم . نزع : كف .

٨٩ – الخلقاء : الصخرة الملساء .

٩٠ – تعضب : تكسر . صاب : وقع . المردى : الحجر الذى يرمى به . انجزع : انقطع وانكسر .

٩١ – الجدَع : سوء الغذاء .

٩٢ – الجُمع : الجماعات .

٩٣ – المر : أراد به الكلام . الناقع : المجتمع القاتل ، شبه كلامه بالسم الناقع . الورَع : الهيوب الجبان . أى ليس يغنى فى هذا المقام الرجل الضعيف .

٩٤ – ارتمينا : ترامينا . النبال : السهام ، أراد بها الحجة فى الافتخار ونشر المكارم . والأعادى شهد : لأنه أشد لتحرزه فى كلامه من أن يغلب .

٩٥ – بِنِبَالٍ كُلُّهـا مَذْرُوبَـةٌ
لم يُطِقْ صَنْعَتَها إلَّا صَنَعْ

٩٦ – خَرَجَتْ عن بِغْضَةٍ بَيِّنَةٍ
في شَبابِ الدَّهْرِ والدَّهْرُ جَذَعْ

٩٧ – وتَحَارَضْنَا وقالُوا : إنَّما
يَنْصُرُ الأَقْوامُ مَنْ كان ضَرَعْ

٩٨ – ثمَّ وَلَّى وهْو لا يَحْمِي اسْتَهُ
طائِرُ الإتْرَافِ عنْهُ قد وَقَعْ

٩٩ – ساجِدَ المَنْخِرِ لا يَرْفَعُهُ
خاشِعَ الطَّرْفِ أَصَمَّ المُسْتَمَعْ

١٠٠ –فَرَّ مِنِّى هارِبًا شَيْطانُـهُ
حيثُ لا يُعْطِي ولا شيئًا مَنَعْ

١٠١ –فَرَّ مِنِّى حِينَ لا يَنْفَعُهُ
مُوقَرَ الظَّهْرِ ذَلِيلَ المُتَّضَعْ

١٠٢ –ورَأى مِنِّي مَقامًا صادِقًا
ثابِتَ المَوْطِنِ كَتَّامَ الوَجَعْ .

---

٩٥ – مذروبة : محددة . الصَنَع : الحاذق .

٩٦ – الجذع : الشاب الحدث ، أراد فى أول الدهر .

٩٧ – تحارضنا : تفاعلنا ، من الحرض ، بفتح الراء ، وهو الهلاك . الضرع : الضعيف من الرجال . أى : إنما ينصر الأقوام من ضعف عن حجته .

٩٨ – الإتراف : الترف . قد وقع : يريد أنه ذهب عنه تنعمه .

١٠١ – حين لا ينفعه : أى حين لا ينفعه الفرار . موقر الظهر : مثقله .

١٠٢ – كتام الوجع : صبورًا لا يظهر وجعه .

١٠٣ -ولِسانًا صَيْرَفِيًّا صارِمًا
كحُسَامِ السَّيْفِ ما مَسَّ قَطَعْ

١٠٤ -وأَتاني صَاحِبٌ ذُو غَيِّثٍ
زَفَيَانٌ عِنْدَ إِنْفادِ القُرَعْ

١٠٥ -قالَ : لَبَّيكَ ، وما آسْتَصْرَخْتُهُ
حاقِرًا لِلنَّاسِ قَوَّالَ القَذَعْ

١٠٦ -ذُو عُبَابٍ زَبِدٌ آذِيُّهُ
خَمِطُ التَّيَّارِ يَرْمِي بِالقَلَعْ

١٠٧ -زَغْرَبِيٌّ مُسْتَعِزٌّ بَحْرُهُ
ليس لِلماهِرِ فيهِ مُطَّلَعْ

١٠٨ -هَلْ سُوَيْدٌ غيرُ لَيْثٍ خادِرٍ
ثَئِدَتْ أَرْضٌ عليهِ فَانْتَجَعْ

---

١٠٣ - الصيرفي : المتصرف في الأمور المجرب لها .

١٠٤ - ذو غيث : ذو إجابة ، وأصله أن يقال بئر غيث : إذا كان لها ما يرفدها بالماء متى ذهب ماؤها . الزفيان : الخفيف السريع . القرع ، جمع قُرْعة ، وهى المزادة .

١٠٥ - قال لبيك : يعنى شيطانه . القذع : الكلام السيئ القبيح .

١٠٦ - العباب : تكاثف الموج واضطرابه . الآذى والتيار واحد ، وهما الموج . خمط التيار : مضطربه متلاطمه . القلع : المراد بها الأمواج . وهى فى الأصل الصخور العظيمة ، مفردها قلعة .

١٠٧ - الزغربى : الكثير الماء . المستعز : الذى لا يقدر عليه من كثرته . الماهر : أى فى السباحة . مطلع : مخرج . يقول : ليس للسابح فيه مخرج ولا منفذ .

١٠٨ - الخادر : الذى اتخذ الأجمة خدرًا . ثئدت : نديت ، الثَّأْد : الندى .

(١٨٨)

وقال سُوَيْد بْنُ أبِى كاهِلٍ أيضا

(مشطور الرجز)

١ – مَنْ سَرَّهُ (....) بِغَيْرِ مالِ
٢ – فَالْغُبَرِيَّاتُ عَلَى طِحَالِ
٣ – شَوَاغِرَ يُلْمِعْنَ لِلْقُفَّالِ

---

١٨٨ – **جو الأبيات** :قالها فى هجاء مقذع لبنى غبر لما ناقض شاعرهم حاضر ابن سلمة الغبرى .

التخريج : الأغانى (دار الكتب) ١٠٧/٣ .

الشرح :

١ – مابين القوسين كلمة حذفتها وهى بمعنى الجماع .

٢ – الغبريات : نساء بنى غبر . طحال : موضع .

٣ – شواغر : (.....) . يلمعن : يشرن (من الإشارة) القفّال : العائدون من السفر .

(١٨٩)

وقال سُوَيْدُ بْنُ أبى كَاهِلٍ أيضا

(البحر الطويل)

١ - يَكُفُّ لِسَانِي عامِرٌ وكأنَّما
يَكُفُّ لسَانًا فيهِ صَابٌ وعَلْقَمُ

٢ - أَتَتْرُكُ أَوْلَادَ البَغايا وَغَيْبَتِي
وتَحْبِسُنِى عنهم ولا أتكلَّمُ

٣ - أَلَمْ تَعْلَمُوا أنى سُوَيْدٌ وأنَّنى
إذا لم أَجِدْ مُسْتَأْخِرًا أتَقَدَّمُ

٤ - حَسِبْتُمْ هِجائي إذْ بَطِنْتُمْ غَنِيمَةً
عَلَىَّ دِماءُ البُدْنِ إنْ لَمْ تَنَدَّمُوا

---

١٨٩ - جو الأبيات : لما أكثر سويد من هجاء بنى شيبان ، استَعْدُوا عليه عامر ابن مسعود والى الكوفة ، فدعا به ، فتوعده ، وأمره بالكف عن هجائهم ، بعد أن كان قد أمر بحبسه .

التخريج : الأغانى (دار الكتب) ١٣/١٠٦ .

الشرح :

١ - صاب : جمع صابة ، شجر مر . العلقم : الحنظل ، وكل شىء مر .

٤ - بطنتم : يقال بطن ، بالكسر : عظم بطنه من الشبع . ورجل بطان : كثير الأكل . ورجل بطن : لا هم له إلا بطنه . وبطن الرجل : اشتكى بطنه . علىّ دماء البدن : يدعو على نفسه أن يُقتل فتسيل دماؤه كما تسيل دماء الإبل عند نحرها إن لم يجعلهم يندمون على ما فعلوا به . البدن : جمع بدنة ، بالتحريك ، وهى الناقة الضخمة سميت بذلك لعظم بدنها ، يقول حسان بن ثابت يوم مقتل عثمان بن عفان - رضى الله عنه -:

وكأنّ أصحابَ النبىِّ عَشِيَّةً بُدْنٌ تُنَحَّرُ عند بابِ المسجدِ

(١٩٠)

وقال سُوَيْدُ بْنُ أبِي كَاهِلٍ أيضًا

(بحر الكامل)

حَشَرَ الإلهُ مَعَ القُرُودِ مُحَلِّمًا ... وأبَا رَبِيعَـةَ أَلْأَمُ الأَقْوَامِ
فَلأَهْدِيَنَّ مع الرِّياحِ قَصِيدةً ... مِنِّى مُغَلْغَلـةً إلَـى هَمَّـامِ
الظَّاعِنِينَ عَلَى العَمَى قُدَّامُهُمْ ... والنَّازِلِـينَ بِشَرِّ دَارِ مُقَـامِ
والوَارِدِينَ إذَا المِيَاهُ تُقُسِّمَتْ ... نُزُحَ الرَّكِيِّ وعاتِمَ الأَسْدَامِ

---

١٩٠ – جو الأبيات : يُرْوَى أن سويد بن أبى كاهل جاور فى بنى شيبان ، فأساءوا جواره ، وأخذوا شيئا من ماله غصبا ، فانتقل عنهم وهجاهم فأكثر ، وكان الذى ظلمه وأخذ ماله أحد بنى محلم ، فقال هذه الأبيات يهجوهم وإخوتهم بنى أبى ربيعة بن ذهل .

التخريج : الأغانى (دار الكتب) ١٠٥/١٣ .

الشرح :

٢ – محلم : هم بنو محلم بن ذهل بن شيبان . وأبا ربيعة : هم بنو أبى ربيعة بن ذهل بن شيبان .

٣ – المغلغلة : المحمولة السائرة من بلد إلى بلد .

٤ – نزح : جمع نزوح ، وهى البئر التى نفد ماؤها . الركى : جمع رَكِيَّة : وهى البئر . العاتم : المحتبس البطىء . الأسدام : جمع سدم ، وهو الماء المدفن .

(١٩١)

وقال سُوَيْدُ بْنُ أبى كَاهِلٍ أيضا

(مشطور الرجز)

١ – أنا أَبُو سَعْدٍ إذا اللَّيْلُ دَجَا
٢ – دَخَلْتُ فى سِرْبَالِهِ ثُمَّ النَّجَا

---

١٩١ – جو اليتين : يرويان عن سويد كشاهد على أنه يكنى أبا سعد .
التخريج : الأغانى (دار الكتب) ١٠٢/١٣ .
الشرح :
١ – دجا : عمت ظلمته .
٢ – السربال : القميص أو الدرع . النجا : نجا الرجل هو ما ألقى عنه من اللباس .

(١٩٢)

قال عِلْباءُ بْنُ أرْقَمَ بْنِ عَوْفٍ اليَشْكُرِيُّ

(البحر الكامل)

١ - حَلَّتْ تُماضِرُ غَرْبَةً فاحتلَّتِ
فَلْجًا وأَهلُكَ باللِّوَى فالْحِلَّتِ

٢ - وكأَنَّما في العَيْنِ حَبَّ قَرَنْفُلٍ
أَو سُنْبُلًا كُحِلَتْ به فانْهَلَّتِ

٣ - زَعَمتْ تُماضِرُ أَننى إِمَّا أُمُتْ
يَسْدُدْ أُبَيْنُوها الأَصاغِرُ خَلَّتِى

٤ - تربَتْ يداكِ وهل رَأَيتِ لقومه
مِثْلِى على يُسْرِى وحينَ تَعِلَّتِى

---

١٩٢ - **ترجمته** : علباء بن أرقم بن عوف بن سعد بن عجل بن عتيك بن كعب ابن يشكر بن بكر بن وائل .

جو القصيدة : تماضر امرأته ، وكانت فارقته عاتبة عليه فى استهلاكه المال وتعريضه النفس للمعاطب ، فلحقت بقومها ، فأخذ يتلهف عليها وعلى أولاده منها ، ثم أخذ يتمدح بكرمه وفروسيته ، وأنه كان ملجأ العشيرة فى زمان الفقر والجدب ، وكان قيمهم وجامع شملهم وصاحب الحلم فيهم .

التخريج : الأصمعية ٥٦ .

الشرح :

١ - غربة : دار بعيدة . فلج ، واللوى ، والحلة : موضع . « والحلة » بالتاء المربوطة ورسمت بالمبسوطة فى النوادر والأمالى والحماسة والأصمعيات شرح شاكر وهارون .

٣ - خلتى : مكانتى الخالية بعد موتى .

٥ — يومًا إذا ما النائباتُ طَرقْنَنا
أُكْفَي بمعضِلة وإنْ هىَ جَلَّتِ

٦ — ومُناخ نازلةٍ كَفَيْتُ وفارسٍ
نَهِلَتْ قَناتى من مَطَاهُ وعَلَّتِ

٧ — وإذَا العَذَارَى بالدُّخانِ تَقَنَّعَتْ
واستَعْجلَتْ نَصْبَ القُدُورِ فمَلَّتِ

٨ — دَرَّتْ بأَرزاقِ العِيَالِ مَغَالِقٌ
بيدَىَّ من قَمَعِ العِشَارِ الجِلَّةِ

٩ — ولقد رَأَبْتُ ثأَى العَشيرةِ بَينَها
وكَفيْتُ جَانِبَهَا اللّتَيَّا والَّتِى

١٠ — وصَفَحْتُ عن ذِى جَهْلِهَا ورَفَدْتُهُ
نُصْحِى ولم تُصِبِ العَشِيرَةَ زَلَّتى

١١ — وكَفَيْتُ مولاىَ الأَحَمَّ جَرِيرَتى
وحَبَسْتُ سائمتى على ذِى الْخَلَّةِ

---

٦ — المطا : الظهر . مناخ نازلة : نازلة من نوازل الدهر ، واستعار الإناخة .

٧ — خص العذارى بالذكر لفرط حيائهن . يقول : وإذا أبكار النساء صبرت على دخان النار حتى صار كالقناع لوجهها لتأثير البرد فيها ، ولم تصبر لإدراك القدور بعد تهيئتها ونصبها ... أحسنت ، وجواب « إذا » فى البيت بعده .

٨ — العيال : جمع عيل وهو الفقير . المغالق : جمع مغلق وهى قداح الميسر . القمع ، بفتحتين : جمع قمعة وهى أعلى السنام من الإبل . العشار : جمع عشراء ، وهى التى أتى عليها من حملها عشرة أشهر . الجلة : العظام الكبار .

٩ — رأبت : أصلحت . الثأى : الفساد . اللتيا : تصغير التى ، جعلها اسمين للكبيرة والصغيرة من الدواهى ، ولهذا استغنى عن صلة الموصول .

١٠ — الجهل : ضد الحِلم . رفدته : أعطيته .

١١ — الأحم : الأخص من الحميم . وحبست سائمتى : الماشية .

(١٩٣)

وقـــال

(البحر الطويل)

١ - أَلَا تِلكُما عِرْسى تَصُدُّ بوجهِها
وتزْعُمُ في جاراتِها أَنَّ مَن ظَلَمْ

٢ - أبُونا ، ولم أَظْلِمْ بشيءٍ عَمِلْتُه
سِوَى ماتَرَيْنَ في القَذَال من القِدَمْ

٣ - فيومًا تُوافِينا بوجهٍ مُقَسَّمٍ
كأَنْ ظبيةٍ تَعْطُو إلى نَاضِرِ السَّلْمْ

٤ - ويومًا تُرِيدُ مالَنَا معَ مَالِها
فإِنْ لم نُنِلْها لم تُنِمْنَا ولم تَنَمْ

---

١٩٣ - جو القصيدة : يتحدث الشاعر فى غرضين ، أولهما - شكواه من زوجته ، وثانيهما - ما كان بينه وبين النعمان بن المنذر ... والقصيدة تعد من الشعر الجاهلى الفكاهى حيث تبدو فيها خفة ظل علباء بن أرقم سواء حين يتحدث عن زوجته التى لا تنيمه ولا تنام إذا لم يعطها ما معه من مال أو حين يتحدث عن ذبحه للكبش السمين الذى كان النعمان بن المنذر يرعاه ويمنع أحدا أن يمسه بسوء .

التخريج : الأصمعية ٥٥ .

الشرح :

٢ - القذال : جماع مؤخر الرأس من الإنسان .

٣ - مقسم : من القسام ، وهو الجمال والحسن ، وجه مقسم : جميل كله . تعطو : تتناول . السَّلم : ضرب من شجر البادية .

٥ – نَبِيتُ كأنَّا في خُصومٍ عَرَامةً
وتَسمعُ جاراتِى التَّألِّى والقَسَمْ

٦ – فقلتُ لها إنْ لَا تَنَاهَىْ فإنني
أخو النُّكْرِ حتى تَقْرَعِي السِّنَّ من نَدَمْ

٧ – لَتَجْتَنِبَنْكِ العِيس خُنْسًا عُكُومها
وذو مِرَّةٍ في العُسْرِ واليُسْرِ والعَدَمْ

٨ – وأَيُّ مَليكٍ من مَعَدٍّ عَلمتمُ
يُعَذِّبُ عبدًا ، ذى جَلالٍ وذى كَرَمْ

٩ – أمِنْ أَجْلِ كبشٍ لم يكن عند قَرية
ولا عند أَذْوادٍ رِتَاعٍ ولا غَنَمْ

١٠ – يُمَشِّي كأنْ لَا حَيَّ بالجِزْعِ غيرُه
ويَعْلُو جراثيمَ المَخَارِمِ والأَكَمْ

١١ – فواللهِ ما أدْرِى ، وإنِّي لَصادقٌ
أمِنْ خَمَرٍ يأتِي الطِّلَالَ أَمِ اتَّخَمْ

---

٥ – العرامة : الشراسة والأذى . التألى : الحلف والقسم .

٦ – النكر : الدهاء والفطنة .

٧ – العيس : الإبل البيض – يخالط بياضها شيء من الشقرة . العكوم : الأحمال .
الخنس : جمع أخنس وخنساء ، وصف به الأحمال لامتلائها .
ذو مرة : ذو عقل ، وهو على المثل ، والمرة : القوة .

٩ – الأذواد : جمع ذود ، وهو الجماعة من الإبل ، نحو العشرة . رتاع : ترعى فى الخصب والسعة .

١٠ – الجزع : جانب الوادى . الجراثيم : الأماكن المرتفعة . المخارم : الطرق فى الجبال .

١١ – الخمر ، بفتح الميم : ما خالط من السُّكر . الطلال : جمع طل وهو المطر الصغار القطر الدائم .

١٢ - بَصُرتُ به يومًا وقد كاد صُحْبَتِى
مِنَ الجُوعِ أَنْ لا يَبْلُغُوا الرَّجْمَ الوَحَمْ

١٣ - بِذِى حَطَبٍ جَزْلٍ وسَهْلٍ لِفَائِدٍ
ومِبْرَاةِ غَزَّاءٍ يقال لها هُذَمْ

١٤ - وزَنْدَىْ عَفَارٍ فِي السِّلاحِ وقادِحٍ
إِذَا شئتُ أُوْرَى قبلَ أن يَبْلُغَ السَّأَمْ

١٥ - وقال صِحَابِى : إِنَّك اليومَ كائنٌ
علينَا كما عَفَّي قُدَارٌ علي إِرَمْ

١٦ - وقِدْر يُهَاهِى بالكِلابِ قُتَارُها
إِذَا خَفَّ أَيسارُ المَسَامِيح واللُّحُمْ

١٧ - أَخذتُ لِدَيْنٍ مطمئِنٍّ صَحِيفةً
وخَالفتُ فيها كلَّ مَن جارَ أَو ظَلَمْ

١٨ - أُخَوَّفُ بالنُّعمانِ حَتَّي كأَنَّما
قَتَلْتُ له خالًا كريماً أَوِ آبنَ عَمّْ

---

١٢ - الوحم : المراد به الإفراط فى اشتهاء شيء .

١٣ - الجزل : الغليظ القوى . الفائد : المشوى . مبراة : سكين .
غزاء : صاحب غزو . الهذم : القطع .

١٤ - العفار : شجر يتخذ منه الزناد . الزندان : خشبتان يستقدح بهما .

١٥ - إرم : قوم عاد .

١٦ - يهاهى : يدعو . القتار : ريح القدر والشواء ونحوهما . خف : نشط .
الأيسار : أصحاب الميسر . اللُّحُم : أصحاب اللحم .

١٩ – وإنَّ يَدَ النُّعمانِ ليستْ بكَزَّةٍ
ولكنْ سَماءٌ تُمْطِرُ الوَبْلَ والدِّيَمْ
٢٠ – لبستُ ثيابَ المَقْتِ إن آبَ سالماً
ولَمَّا أُفِته ، أو أُجَرَّ إلى الرَّجَمْ
٢١ – يُثِير علىَّ التُّرْبَ فَحْصًا برجلهِ
وقد بَلَغَ الذُّلْقُ الشوارِبَ أو نَجَمْ
٢٢ – له أَلِيَّةٌ كأنَّها شَطُّ ناقةٍ
أَبَحُّ إذا ما مُسَّ أَبْهَرُه نَحَمْ
٢٣ – وقَطَّعتُه باللَّوْمِ حتى أُطاعنى
وأُلْقِى على ظَهْرِ الحَقيبةِ أو وَجَمْ
٢٤ – ورُحْنا ، على العِبْءِ المُعَلَّقِ شِلْوُهُ
وأَكْرُعُهُ والرأسُ للذئبِ والرَّخَمْ
٢٥ – مواريثُ آبائى وكانت تَرِيكَةً
لآلِ قُدَارٍ صاحبِ الفِطْرِ فى الْحُطَمْ

---

١٩ – كزة : منقبضة ، ورجل كز اليدين أى بخيل .

٢٠ – ثياب المقت : مجاز عما يلقى من الازدراء إذا لم يمض ما اعتزم .

٢١ – الذلق : الحد . الشوارب : مجارى النفس . نَجم : طلع وظهر .

٢٢ – الشط : شطر السنام ، ولكل سنام شطان . الأبهر : عرق إذا انقطع مات صاحبه . نحم : من النحيم ، وهو صوت يخرج من الجوف .

٢٣ – وجم : سكت .

٢٤ – العبء : العدل الذى يوضع على الدابة (أى نصف الحمل) . الشلو : الجسد من كل شىء . يريد أن شلوه وضع على العبء المعلق .

٢٥ – التريكة : الميراث . الحطم : الأمر العظيم .

(١٩٤)

قال عَمْرو بْنُ الأَسْوَدِ

(البحر الكامل)

١ – ولقد أَمَرْتُ أَخاكِ عَمْرًا أَمْرَهُ
فعصَى وضَيَّعَهُ بِذاتِ العُجْرُمِ

٢ – فإذا أَمَرْتُكِ بعدَها فتَبَيَّنِي
أَوْ أَقْدِمِى يومَ الكَرِيهةِ مُقْدَمى

٣ – وجعلتُ نَحْرِى دُونَ بَلْدَةِ نَحْرِهِ
ولَبَانَ مُهْرى إِذْ أَقولُ له اقْدُمِ

٤ – في حَوْمَةِ الموتِ التي لا تَشْتَكى
غَمَرَاتِها الأَبطالُ غيرَ تَغَمْغُمِ

٥ – وكأَنَّما أَقدامُهم وأَكُفُّهُمْ
كَرَبٌ تَساقَطَ من خَليج مُفْعَمِ

---

١٩٤ – ترجمته : قال شارحا الأصمعيات : « لم نجد له ترجمة ولا ذكرا إلا فى هذا الموضع » وقال ابن حبيب فى المحبر إن بنى الأسود من بكر بن وائل ، وأورد قول أحد شعراء بكر ولم يسمه :

أو اليشكريين الكريم فعالهم   بنى مورث الأضياف من آل أسودِ

ومن ثم رجحت أن يكون عمرو بن الأسود من بنى يشكر .

جو الأبيات : قال الشاعر هذه القصيدة فى يوم ذى قار وقد وصف الحرب وتساقط الفرسان ثم سرد أسماء البطون والقبائل المشتركه فى هذه الحرب ، وذكر كيف نجا .

التخريج : الأصمعية ٢١ .

٤ – التغمغم : أصوات الأبطال فى الوغى عند القتال .

٥ – الكرب ، بفتح الراء : أصول السعف الغلاظ العراض اليابسة . مفعم : مملوء .

٦ – لَمَّا سمعتُ نِداءَ مُرَّةَ قد عَلَا
وابْنَى رَبِيعةَ في الغُبارِ الأَقْتَم

٧ – ومُحَلِّمًا يَمْشُون تحتَ لوائِهم
والموتُ تحتَ لواءِ آلِ مُحلِّمِ

٨ – وسمعتُ يَشْكُرَ تَدَّعِي بُحَبَيِّبٍ
تحتَ العَجَاجَةِ وهْيَ تَقْطُرُ بالدَّم

٩ – وحُبَيِّبٌ يُزْجُونَ كلَّ طِمِرَّةٍ
ومنَ اللَّهَازِمِ شَخْتُ غَيْرِ مُصَرَّمِ

١٠ – والجَمْعُ من ذُهْل كأنَّ زُهَاءَهُمْ
جُرْبُ الجِمالِ يَقُودُها ابْنَا شَعْثَمِ

١١ – قَذَفُوا الرِّماحَ وباشَرُوا بنُحورِهم
عندَ الضِّرَابِ بكلِّ لَيْثٍ ضَيْغَمِ

---

٨ – العَجَاج : الغبار ، واحدته عجاجة .

٩ – يزجون : يسوقون ويدفعون . الطمرة : المستفزة للوثب والعدو ، يريد الفرس . اللهازم : بطون من بنى بكر هم : عجل وتيم اللات وقيس بن ثعلبة وعنزة . الشخت : الضامر خِلْقة ، ويقال فلان شخت ، وهو شخت العطاء : قليله . قال شارحا الأصمعيات : (« بحاشية الشنقيطية المصرم الذى أصابه قرح فلا يدر » وذلك أن يصيب الضرع شيء فيكوى بالنار فلا يخرج منه لبن أبدا . ولم يتوجه لنا معنى واضح للشطر الثانى من هذا البيت) . ولكن إذا عرفنا أن بعض بنى عجل – وهم من اللهازم – قد اشتركوا فى صفوف الفرس ضد إخوانهم البكريين ، كان الشطر الثانى هجاءً وتشبيها فيه سخرية وتعريض بمن تخاذل عن نصرة قبيلته وانضم إلى صفوف أعدائها فى يوم ذى قار .

١٠ – زهاؤهم : شخوصهم .

١٢ — والخيلُ يَضْبِرْنَ الخَبَارَ عَوَابِسًا
وعلى مَنَاسِجِهَا سَبَائِبُ من دَمِ
١٣ — لا يَصْدِفُون عن الوَغَى بخُدُودِهم
في كلِّ سابغةٍ كلَوْنِ العِظْلِمِ
١٤ — نَجَّاكَ مُهْرُ ابْنَي حُلَامٍ منهمُ
حتَّى اتَّقَيْتَ الموتَ بابْنَى حِذْيَمِ
١٥ — ودَعَا بَنِى أُمِّ الرُّوَاعِ فأقْبَلوا
عندَ اللِّقاءِ بكلِّ شاكٍ مُعْلِمِ
١٦ — يَمْشُون فى حَلَقِ الحديدِ كما مَشَتْ
أُسْدُ الغَرِيفِ بكلِّ نَحْسٍ مُظْلِمِ
١٧ — فنَجَوْتَ من أرماحهمْ مِنْ بَعْدِما
جاشَتْ إليكَ النفسُ عِنْدَ المَأْزِمِ

---

١٢ — يضبرن : يجرين . الخبار : أى فى الخبار وهو الأرض اللينة . المناسج : ما بين أعرافها ومواضع اللبد . سباسب : طبقات فوق بعضها .

١٣ — يصدفون : يعرضون ويميلون . السابغة : التامة . العظلم : عصارة شجر لونه أخضر إلى الكدرة . شبه به لون الدروع إذا صدئت .

١٦ — الغريف : الشجر الملتف . النحس : الغبار .

١٧ — جاشت النفس : ارتاعت وخافت فهمّت بالفرار . المأزم : المضيق .

(١٩٥)

قال عَمْرُو بْنُ جَبَلَةَ الْيَشْكُرِيُّ

(البحر الطويل)

فَأَبْلِغْ بَنِى ماوِيَّةَ الصِّيدَ بَيْهَسًا
وَقَيْسًا وَلَا تَتْرُكْ شُرَيْحًا وَلَا عَمْرَا

---

١٩٥ – **ترجمته** : هو عمرو بن جَبَلَةَ بْنِ باعِثِ بْنِ صَرِيمِ الغُبَرِىُّ اليشكرى ، جده باعث بن صريم الشاعر الذى مر ذكره .

التخريج : معجم الشعراء ٤٢ .

(١٩٦)

وقال عَمْرُو بْنُ جَبَلَةَ الْيَشْكُرِيُّ

(مشطور الرَّجَز)

١ – ياقَوْمُ لا تَغْرُرْكُمُ هَذِى الْخِرَقْ
٢ – ولا وَبِيصُ الْبَيْضِ فى الشَّمْسِ بَرَقْ
٣ – مَنْ لَمْ يُقَاتِلْ منكُمُ هذا الْعُنُقْ
٤ – فَجَنِّبُوهُ الرَّاحَ واسْقُوهُ الْمَرَقْ

---

١٩٦ – جو الأبيات : قالها فى يوم ذى قار يحضض قومه .

التخريج : معجم الشعراء ٤٢ .

الشرح :

١ – الخرق : جمع خِرْقَة وهى القطعة من الثوب الممزق .

٢ – وبيص : لمعان .

٤ – الراح : الخمر . المرق : الماء أُغلى فيه اللحم .

(١٩٧)

قال عَمْرو بنُ حِلِّزَةَ اليَشْكُرِىُّ

(بحر الرَّمل)

١ – يَأْمَنُ الأيامَ مُغْتَرٌّ بِهَا ... ما رَأَيْنَا قَطُّ دَهْرًا لَا يَخُونُ
٢ – والمُلِمَّاتُ فَمَا أَعْجَبَهَا ... لِلْمُلِمَّاتِ ظُهُورٌ وبُطُونُ
٣ – هَوِّنِ الأَمْرَ تَعِشْ فى رَاحَةٍ ... قَلَّمَا هَوَّنْتَ إِلَّا سَيَهُونُ
٤ – رُبَّمَا قَرَّتْ عُيُونٌ بِشَجًا ... مُرْمِضٍ قَدْ سَخِنَتْ منهُ عُيُونُ
٥ – لاتكُنْ مُحْتَقِرًا شَأْنَ امْرِئٍ ... رُبَّما كانَ مِنَ الشَّأْنِ شُئُونُ

---

١٩٧ – **ترجمته** : هو عمرو بن حلزة اليشكرى ، أخو الحارث بن حلزة .

جو الأبيات : فى رثاء أخيه الحارث بن حلزة .

التخريج : معجم الشعراء ٨ .

الشرح :

٢ – الملمات : جمع الملمة وهى النازلة الشديدة من شدائد الدهر .

٤ – الشجا : الهم لا مخرج منه . مُرْمِض : موجع .

(١٩٨)

قال عَمْرُو بْنُ صُلَيْعٍ الْيَشْكُرِيُّ

(البحر الطويل)

١ – ونحنُ جَلَبْنَا الْخَيْلَ مِنْ كُلِّ شَارِبٍ
وشَارِبَةٍ تُعْطِى قليلًا مُؤَيَّدَا

٢ – يُنَبِّهْنَ أَسْرَابَ الْقَطَا مِنْ مَبِيتِهِ
إِذَا ما الْقَطَا مِنْ آخِرِ اللَّيْلِ هُجَّدَا

---

١٩٨ – ترجمته : هو عمرو بن فرصة بن عازب بن صُليع بن قيس بن ذهل بن عامر بن ذبيان بن كنانة بن يشكر .

جو البيتين : فى الفخر .

التخريج : معجم الشعراء ص ٤١ .

الشرح :

١ – جلب الشىء : ساقه من موضع إلى آخر . شارب : ضامر ، يقال فرس شارب وشاربة .

٢ – القطا : جمع القطاة ، وهو نوع من اليمام يؤثر الحياة فى الصحراء ويتخذ حفرة فى الأرض لبيض ويرقد فيها . هُجَّد : جمع هاجد أى نائم .

(١٩٩)

قال القَعْقَاعُ بْنُ النَّارِ الْيشْكُرِيُّ

(البحر الطويل)

فَخَرَّ أَدِيمٌ حِينَ غابَ صَنَاعُهُ ... وَخَرَّ خِبَاءٌ تَحْتَهُ يَتَقَعْقَعُ

---

١٩٩ – ترجمته : هو عمرة بن ثمامة بن النار ، وقيل هو عمرو بن قيس بن عبادة أحد بنى عدى بن جشم من بنى يشكر ، وسمى القعقاع . وقد مر ذكر أخيه ثوب بن النار اليشكرى الشاعر .

التخريج : معجم الشعراء ٤٢ .

الشرح :

خر البناء : سقط من علو إلى سُفْلٍ بصوت . أديم : أديم كل شىء ظاهره ، يقال أديم الأرض ، وأديم الليل . الصناع ، بفتح الصاد : خشب ونحوه يوضع فى مجرى الماء لحبسه . الخباء : بيت من وبر ونحوه يكون على عمودين أو ثلاثة ، والخباء أيضا بمعنى المنزل . قعقع الشىء : أحدث صوتا عند التحرك .

(٢٠٠)

وقال القَعْقاعُ بنُ النارِ اليَشْكُرِيُّ

(البحر الطويل)

١ - أَلَا أَيُّهَذَاكَ الكَئِيبُ الْمُفَجَّعُ
تَجَمَّلْ بِصَبْرٍ .. آلُ مَيَّةَ وَدَّعُوا

٢ - فلا تَهْلِكَنْ إنْ فَارَقُوكَ فإنَّنِى
بِذِى الْمَرْفِقِ الزَّاكى عَلَىَّ مُفَجَّعُ

---

٢٠٠ - **التخريج** : معجم الشعراء ٤٢ .

الشرح :

١ - المفجع : الذى ألمت به الفاجعة وهى المصيبة المؤلمة توجع الإنسان بفقد ما يعز عليه من مال أو حميم .

(٢٠١)

قال أبو المُشَمْرِج الْيَشْكُرِيُّ

(البحر البسيط)

١ – لَمَّا رَأَوْا رَايَةَ النُّعْمَانِ مُقْبِلَةً
قالوا أَلَا لَيْتَ أَدْنَى دَارِنَا عَدَنُ
٢ – يالَيْتَ أمَّ تَمِيمٍ لَمْ تكُنْ عَرَفَتْ
مُرًّا وكانَتْ كَمَنْ أَوْدَى بِهِ الزَّمَنُ
٣ – إنْ تَقْتُلُوهُمْ فأَعْيَارٌ مُجَدَّعَةٌ
أَوْ تُنْعِمُوا فَقَدِيمًا مِنْكُمُ الْمِنَنُ

---

٢٠١ – **ترجمته** : لم أعرف عنه أخبارا .

جو الأبيات : لما منعت بنو تميم النعمان بن المنذر الإتاوة ، وجه إليهم أخاه الريان ابن المنذر ، وجُلُّ من معه من بكر بن وائل ، فاستاق النعم وسبى الذرارى . فقال أبو المشمرج هذه الأبيات .

التخريج : معجم الشعراء ٢٠ .

الشرح :

٣ – أعيار : جمع عار وهو كل ما يلزم منه سبة أو عيب . مجدعة : من جدعه إذا قطع أنفه أو طرفا من أطرافه .

(٢٠٢)

قال المُنَخَّلُ اليَشْكُرِيُّ

(مجزوء الكامل)

١ – إنْ كنتِ عاذِلَتِى فَسِيرِى نَحْوَ العِرَاقِ ولا تَحُورِى
٢ – لا تَسْأَلِى عن جُلِّ ما لِي وانْظُرِى حَسَبِى وخِيرِى
٣ – وإذا الرِّيَاحُ تَكَمَّشَتْ بجوانب البَيْتِ الكَبِيرِ
٤ – أَلْفَيْتِنى هَشَّ النَّدَى بِشَرِيجِ قِدْحِى أو شَجِيرِى
٥ – وفَــوَارِسٍ كَأُوَارِ حَـ ـرِّ النارِ أَحْلَاسِ الذُّكُورِ
٦ – شَدُّوا دَوَابِرَ بَيْضِهِمْ فى كلِّ مُحْكَمَةِ القَتِيرِ
٧ – واسْتَــلْأَمُوا وتَلَبَّبُــوا إنَّ التَّلَبُّبَ لِلْمُغِيــرِ

---

٢٠٢ – **ترجمته** : مضت بالفصل الرابع .

جو القصيدة : غزل وخمر فيهما مرح وفكاهة .

التخريج : الأصمعية ١٤ .

الشرح :

٢ – خِيرى : كرمى .

٣ – تكمشت : أسرعت .

٤ – الشريج الخشبة حين تشق نصفين فيكون أحد الشقين شريج الآخر . والشجير : قدح يكون مع القداح غريبا . وقيل المعنى : ألفيتنى فى هذا الوقت من الشتاء أضرب بقدحى وأستعير قدحا أضرب به فى الميسر .

٥ – الأوار : الوهج . فلان من أحلاس الخيل : هو فارس مقدام .

٦ – البيض : قلانس الحديد . القتير : مسامير الدروع .

٧ – استلأموا : لبسوا اللأمة أى الدرع . تلببوا : لبسوا السلاح كله .

٨ – وعلى الْجِيادِ الْمُضْمَرا ... تِ فوارسٌ مِثلُ الصُّقُورِ
٩ – يَخْرُجْنَ مِنْ خَلَلِ الغُبا ... رِ يَجِفْنَ بالنَّعَمِ الكَثيرِ
١٠ – أَقْرَرْتُ عَيْنِي من أُولـ ... ـئِكَ والفَوَائِحِ بالعَبِيرِ
١١ – يَرْفُلْنَ ، في المِسْكِ الذَّكِيِّ ... وصائِكٍ كَدَمِ النَّحِيرِ
١٢ – يَعْكُفْنَ مثلَ أَساوِدِ الـ ... ـتَّنُّومِ لم تُعْكَفْ لِزُورِ
١٣ – ولقد دَخَلْتُ على الفتا ... ةِ الخِدْرَ في اليوم المَطِيرِ
١٤ – الْكاعِبِ الحسناءِ تَرْ ... فُلُ في الدِّمَقْسِ وفي الحَرِيرِ
١٥ – فَدَفَعْتُهــا فتَدَافَـعَتْ ... مَشْيَ القطاةِ إِلى الغَدِيرِ
١٦ – ولَثَمْتُهــا فتنَــفَّسَتْ ... كتَنَفُّسِ الظَّبْيِ البَهِيرِ
١٧ – فَدَنَتْ وقـالَتْ يامُنَـ ... ـخَّلُ ما بجسمكَ من حَرُورِ
١٨ – ما شَفَّ جِسْمِي غَيْرُ حُـ ... ـبِّكِ فاهْدَئي عَنِّي وسيرِي
١٩ – وأُحِبُّهــا وتُحِبُّنِـــي ... ويُحِبُّ ناقتَها بَعِيرِي
٢٠ – يارُبَّ يومٍ للمُنَـــــ ... ـخَّلِ قد لهَا فيهِ قَصِيرِ
٢١ – فإذا انْتَشَيْتُ فإنَّنِـي ... رَبُّ الْخَوَرْنَقِ والسَّدِيرِ

---

٩ – يجفن : يسرعن ، والوجيف : ضرب سريع من السير . النعم : الإبل والشاء .

١٠ – الفوائح : اللاتى يفيح منهن الطيب ، ويروى بالكواعب . العبير : الطِّيب .

١١ – الصائك : اللازق ، أراد به الطيب . النحير : المنحور .

١٢ – يعكفن : يمشطن شعرهن . الأساود : الحيات ، شبه بها الضفائر . التُّنوم : شجر . الزور : الباطل ، يريد أنهن عفيفات لا يتزين لريبة .

١٧ – الحرور : الحر .

١٨ – شفه : هزله وأضمره .

٢١ – الخورنق والسدير : قصران كانا بالحيرة .

٢٢ – وإذا صَحَوْتُ فإنَّني رَبُّ الشُّوَيْهَةِ والبَعِيرِ
٢٣ – ولقد شَرِبْتُ من المُدَا مَةِ بالقليلِ وبالكَثِيرِ
٢٤ – يا هِنْدُ مَنْ لِمُتَيَّمٍ يا هِنْدُ لِلْعَانِى الأَسِيرِ

---

٢٤ – العانى : الذليل أو الأسير .

(٢٠٣)

وقال المُنَخَّلُ اليَشْكُرِىُّ أيضا

(البحر الخفيف)

١ - وقَرَى باعِثٌ أُسَيِّدَ حَرْبًا   فى النَّوَاحِى ، يَشُبُّ منها الضِّرَامَا

٢ - جَرَّدَ السَّيْفَ ، ثائِرًا بأخِيهِ   يَقْتُلُ الكَهْلَ مِنْهُمْ ، والغُلَامَا

٣ - فَمَلَأْنَا الدِّلَاءَ ، حتى عُرَاهَا   عَلَقًا بَرَّدَ القُلُوبَ السِّقَامَا

---

٢٠٣ - **جو الأبيات** : يذكر انتصار « باعث بن صَرِيم » - الشاعر الذى مر ذكره - على بنى أسد ، وكانوا غدروا بأخيه وائل ، ورموه فى بئر ثم رجموه بالحجارة ، فسار باعث أخوه إليهم وقتل منهم عددا كبيرا ، ورماهم فى البئر ، ولم يزل يذبح منهم حتى ألقى دلوه فيها ، فخرجت ملأى من دمهم . فقال المنخل اليشكرى هذه الأبيات (الموسوعة) .

التخريج : موسوعة الشعر العربى ٣١٧/٣ .

الشرح :

١ - قرى ، وقرا : تتبع وقصد . يشب : يشعل . الضرام : اللهب .

(٢٠٤)

قال رَجُلٌ من بَكْرِ بْنِ وَائِلٍ

(البحر الطويل)

١ – هَلُمَّ إلى حُكَّامِ بَكْرِ بن وَائِلٍ
وَلَا تَكُ مِثْلَ الْجَاهِلِ الْمُتَرَدِّدِ

٢ – بَنِى خَالِدٍ مِنْ آلِ شَيْبَانَ فى الذُّرَى
أَوِ الصِّيدِ من أَبْنَاءِ عَمْرِو بْنِ مَرْثَدِ

٣ – أَوِ الْيَشْكُرِيِّينَ الكَرِيمِ فِعَالُهُمْ
بَنِى مُورِثِ الْأَضْيَافِ من آلِ أَسْوَدِ

---

٢٠٤ – ترجمته : لم نعرف من هو .

جو الأبيات : فى الفخر القبلى .

التخريج : المحبر لابن حبيب ٢٤٢ .

الشرح :

٢ – الصيد : جمع الأصيد وهو كل متكبر مزهو بنفسه ، وكل ذى حَوْلٍ وطول من ذوى السلطان . عمرو بن مرثد : من بنى ضبيعة بن قيس بن بكر .

ديوان الحَارِثِ بْنِ حِلِّزَةَ

كما نشره المستشرق فريتس كرنكو بمجلة المشرق

السنة العشرون سنة ١٩٢٢ ص ٦٩٣ - ٧٠٨

ومعه معلقته برواية ابن الأنبارى فى شرح القصائد السبع الطوال

الجاهليات

مقـــدمة

نشر المستشرق فريتس كرنكو ديوان الحارث بن حلزة فى مجلة المشرق سنة ١٩٢٢ ، وقدم الأب لويس شيخُو للديوان قائلا :

« فى جامع الآستانة المعروف بجامع السلطان الفاتح مخطوطات عربية وجد بينها العلاّمة المستشرق فريتس كرِنْكو تحت الرقم ٥٣٣ نسخة حسنة من ديوانى الشاعرين الجاهليين عمرو بن كلثوم التغلبى ، والحارث ابن حلزة اليشكرى ، وهما صاحبا المعلقتين الشهيرتين اللذان تحاكما إلى عمرو بن هند ملك الحيرة فى آخر حرب البسوس . وكُنا روينا مع ترجمتهما قسما من شعرهما فى كتابنا شعراء النصرانية ، وقد عرض علينا جناب المستشرق المذكور أن ننشر هذين الديوانين فى مجلة المشرق ، فلبينا طلبه بسرور عظيم ... ولم ينشر جنابه المعلقتين لشيوعهما . وقد علق على الديوانين بعض الملحوظات فى ذيلهما مع عدة حواشٍ فى آخرهما . وأما الشروح الواردة فى الأصل ، فإنه أثبتها فى موضعها ... » .

وفيما يلى ديوان الحارث بن حلزة كما نشره كرنكو عن مخطوطة جامع السلطان الفاتح ، ومنهجى فى تقديم هذا العمل يتمثل فيما يلى :

(١) أضفتُ إلى الديوان معلقة الحارث برواية ابن الأنبارى مع مختارات من شرحه رأيت أنها كافية لكشف المعنى .

(٢) اتبعت طريقة ثابتة فى الحاشية ، وهى أن أبدأ بالشروح الواردة فى الأصل والتى وردت بعد بعض الأبيات مباشرة . يلى ذلك ما يتصل بالبيت مما ورد بحواشى كرنكو فى آخر الديوان ، وقد ميزتها عن غيرها بوضع خط مائل قبلها هكذا / .

(٣) أضفت إلى حاشية القطعة رقم ٣ – وهى المفضلية ٢٥ – بعض شرح الأستاذين أحمد محمد شاكر وعبد السلام هارون ، وميزته بأن وضعته بين نصفى مستطيل هكذا [ ] .

(٤) جعلت لكل قطعة رقمين بينهما خط مائل / الأول هو ترتيب القطعة فى المسلسل العام لديوان بنى بكر فى الجاهلية ، والرقم الثانى مسلسل خاص بديوان الحارث بن حلزة ، وهو ما اتبعته فى مجموعة ما أنشد للمسيب بن علس .

(٥) ما أضفته عند الضرورة إلى الحواشى السابقة وضعته بين قوسين هكذا (< >) .

عبد العزيز نبوى

١/٢٠٥

قالَ الحارِثُ بْنُ حِلِّزَةَ

(البحر الكامل)

١ – يَاآلَ زَيْدِ مَنَاةَ هَلْ مِنْ زَاجِرٍ
لَكُمُ فَيَنْهَى الْجَهْلَ عَنْ هَمَّامِ

٢ – ما إنْ يُسَافِهُنَا أُنَاسٌ سُوقَةٌ
إلَّا سَنَشْعَبُ هَامَهُمْ فى الْهَامِ

٣ – مِنَّا سَلَامَةُ إذْ أَتَانَا ثَائِرًا
يَعْلُو بأَبْيَضَ كالغَدِيرِ حُسَامِ

٤ – فَعَلَا بِهِ شَعَرَ الْقَذَالِ وِيَدَّعِى
فِعْلَ الْمُخَايِلِ مُقْعَدَ الأَعْصَامِ

٥ – وثَنَى لَهُ تَحْتَ الْغُبَارِ يَجُرُّهُ
جَرَّ الْمُفَاشِعِ هَمَّ بِالْأَرْآمِ

٦ – وسَمَا فَيَمَّمَهَا الْمَفَازَةَ قَائِظًا
يَعْلُو الْمَهَامِهَ فى سَبِيلِ حَامِ

---

١ – ويروى : هل من زاجر حكم / همام : هو ابن مرة بن ذهل الشيبانى قاد بكرا ما خلا بنى حنيفة وذلك أيام حرب بكر وتغلب حتى قتلوه يوم القُصَيْبَات وهو يوم قِضَة (انظر نقائض جرير والفرزدق ص ٢٦٦) .

٣ – / سلامة هو ابن ظَرِب بن غِرّ الحِمَّانى غزا مع قيس بن عاصم المنقرى بكر ابن وائل (انظر نقائض جرير والفرزدق ص ١٠٢٣) .

٤ – المخايل : المفاخر الذى يعقر الإبل . الإعصام : من صنع العصمة حيث تُقْعَدُ الحبال .

٥ – المفاشع : الذى يطرح البُهم على أمهاتها / فى اللسان (١٠ – ٣٣١) بطلّ يُجر ...ره ولا يرثى له .

٢/٢٠٦

وقــال

(البحر الكامل)

١ – أَهْلِى فِدَاءُ بَنِى شَبِيمٍ كُلِّهِمْ
وَبَنِى الْحَرَامِ وَجَمْعِ آلِ مُطَيَّعِ
٢ – وَالْعَامِرِينَ شَبَابِهَا وَكُهُولِهَا
وَبَنِى الْمُسَيَّبِ يَوْمَ دَعْوَةِ لَعْلَعِ
٣ – أَمَّا بَنُو عَمْرٍو فَإِنَّ مَقِيلَهُمْ
مِنْ ذَاتِ أَصْدَاءٍ كَسَيْلِ الْأَذْرَعِ
٤ – وبَنُو صُبَاحٍ أَفْلَتُونَا عَنْوَةً
والكَيْسُ أَيَّنَ مَا تَنَلْهُ يَنْفَعُ

---

١ – / لم أجد ذكرا لبنى شبيم ولا لآل مطيّع فى الكتب التى بأيدينا لعلهم بنو شُبَيْم ابن ثعلبة ، ولكن قد ضبط اللفظ بالشكل التام فى نسخة الأصل . أما بنو الحرام فبنو الحرام بن يربوع وقد سُمِّىَ بزيد الحرام بأمه الحرام بنت العنبر بن عمرو بن تميم (انظر النقائض ص ٤٩٠) .

٢ – ويروى الحارثين وهما قبيلتان . ويروى وقْعَة نُعْنَع وهى أرض أو رجل / لَعْلَع موضع مذكور فى رسم العُذَيْب ، وفى رسم صَيْلَع ما يدل على أنه جبل . وقال ابن ولَّاد : لَعْلَع من آخر السواد إلى البر ما بين البصرة والكوفة . وقال غيره : لعلع ببطن فَلْج وهى لبكر بن وائل وقيل هى من الجزيرة ... إلخ (انظر المعجم للبكرى ص ٤٩٣ وياقوت : معجم البلدان طبعة مصر ٧ : ٣٣٢) ولا وجود لخبر يوم نُعْنُع .

٣/٢٠٧

وقـــال *

(مجزوء الكامل)

١ – لِمَنِ الدِّيَارُ عَفَوْنَ بِالْحَبْسِ آيَاتُها كَمَهَارِقِ الْفُرْسِ
٢ – لا شَيْءَ فيها غَيْرُ أَصْوِرَةٍ سُفْعِ الْخُدُودِ يَلُحْنَ فى الشَّمْسِ
٣ – وغَيْرُ آثارِ الجِيادِ بِأَعْـ ـرَاضِ الخِيَامِ وآيَةِ الدَّعْسِ
٤ – فَحَبَسْتُ فيها الرَّكْبَ أَحْدِسُ فى جُلِّ الأُمُورِ وكُنْتُ ذَا حَدْسِ
٥ – حتَّى إذَا الْتَفَعَ الظِّبَاءُ بأَطْـ ـرَافِ الظِّلَالِ وقِلْنَ فى الكُنْسِ
٦ – ويَئِسْتُ مِمَّا كانَ يُطْمِعُنِى فيها ولَا يُسْلِيكَ كَالْيَأْسِ

---

* / قد طبعت هذه القصيدة فى كتاب المفضليات (العدد ٢٥) وفى الروايتين بعض الاختلاف .

١ – [عفون : درسن ، والعفاء ؛ الدروس والمحو . الحبس ، بتثليث الحاء المهملة : موضع . وانظر المفضلية ١٢٢ : ١ . آياتها : أعلامها . المهارق : جمع مهرق ، بضم الميم وسكون الهاء وفتح الراء ، وهى الصحف ، وانظر المعرب ٣٠٣ – ٣٠٤] .

٢ – [الأصورة : جمع صوار ، بضم الصاد وكسرها ، وصيار أيضا ، وهو القطيع من البقر . السفع : السود . كالشمس : لبياض ظهرها . ويروى « فى الشمس »] .

٣ – [الأعراض : النواحى . الجماد ، بكسر الجيم : موضع ، كذا قال الأنبارى ، ولم نجده فى كتب البلدان . وفسره أبو عبيده معمر فى النقائض ٥٣٧ فى بيت لجرير بأنه جمع « جمد » بضم الجيم وسكون الميم ، وهو الغلظ من الرمل . الدعس : الوطء . وآيته : أثره وعلامته] .

٤ – [الحدس : الظن . يريد أن أصحابه وقفوا لوقوفه بهذه الديار] .

٥ – [التفعت الظباء بالظلال : لجأن إليها يسترن من الحر . قلن : من القائلة ، وهى نوم نصف النهار . الكنس ، بضمتين : جمع كناس ، وهى حفيرة يحفرها الثور والظبى فى أصل شجرة يستتر فيها . وسكن النون للشعر] .

٧– أُنْمِى إلى حَرْفٍ مُذَكَّرَةٍ ... تَهِصُ الْحَصَى بِمَوَاقِعٍ خُنُسِ
٨– خَذِمٍ نَقَائِلُهَا يَطِرْنَ كَأَقْـ ... ـطَاعِ الفِرَاءِ بِصَحْصَحٍ شَأْسِ
٩– أفَلَا نُعَدِّيهَا إلَى مَلِكٍ ... شَهْمِ المَقَادَةِ حازِمِ النَّفْسِ
١٠–فإلى ابنِ ماريَةَ الجَوَادِ وهَلْ ... شَرْوَى أَبِي حَسَّانَ فى الإِنْسِ
١١–يَحْبُوكَ بالزَّغْفِ الفَيُوضِ عَلَى ... هِمْيَانِهَا والدُّهْمُ كالغُرْسِ
١٢–وبالسَّبِيكِ الصُّفْرِ يُعْقِبُهَا ... بالآنِسَاتِ البِيضِ واللُّعْسِ

---

٧ – [أنمى : أرتفع . الحرف : الناقة الماضية . المذكرة : التى تشبه الفحل . تهص : تدق فتكسر . المواقع : المطارق ، واحدها ميقعة ، شبه مناسمها فى صلابتها بمطارق الحداد . الخنس : القصار ، وإذا كانت المناسم قصارا مجتمعة كان أحمد لها] .

٨ – [النقائل : السرائح التى تنعل بها من الحفا . الخذم منها : المتقطعة ، يريد أنها متقطعة من طول السير . الفراء : جمع فروة . الصحصح : الموضع المستوى . الشأس : الموضع الخشن أو الغليظ] .

٩ – [تعديها : تصرفها . ملك : أراد به ممدوحه قيس بن شراحيل . الشهم : الممتنع الصارم . يريد أنه صعب الانقياد] .

١٠ – [مارية : أم قيس ممدوحه ، مارية بنت سيار . الشروى : المثل . والمعنى : وهل مثله أحد] .

١١ – [يحبوك : يعطيك . الزغف ، بفتح الزاى : الدرع المحكمة اللينة ، كالزغفة ، والجمع الزغف على لفظ الواحد . الفيوض : السابغة الفائضة . الهميان : المنطقة أو شيء يشد به الدرع . الدهم : الخيل ، معطوف على « الزغف » . الغرس : النخل ، شبهها بالنخل لطولها] .

١٢ – [السبيكة : القطعة من الذهب أو الفضة ، والمراد هنا الذهب ؛ لقوله « الصفر » وجمعها « سبائك » ويظهر لنا أن « سبيك » جمع لها أيضا لم يذكر فى المعاجم . البغايا : الإماء . اللعس : جمع لعساء ، واللعس ، بفتحتين : سواد فى الشفتين يضرب إلى الحمرة ، وذلك يستملح] .

١٣ – لا مُمْسِكٌ لِلْمَالِ يُهْلِكُهُ   طَلْقُ النُّجُومِ لَدَيْهِ كالنَّحْسِ
١٤ – فلَهُ هُنالِكَ لا عَلَيْهِ إذَا   رَغَمَتْ أُنُوفُ القَوْمِ لِلتَّعْسِ

---

١٣ – / يقول هو إذا حارب لا يَسْتَقْسِمُ ولا ينظر نحس القسم من سعده وله الظفر على من حاربه . [لا يرتجى – للمال – : لا يخاف ، والرجاء بمعنى الخوف لا يكون إلا مع النفى . أى لا يخاف للنفقة من العدم] .

١٤ – [فله هنالك : فله الفضل فى ذلك الوقت . دنعت : ذلت وخضعت ، أو لؤمت . التعس : السقوط والعجز عن النهوض . قال الأنبارى : « لا عليه » أى إذا دُعِىَ على القوم بالتعس لم يدع عليه بل يدعى له . وهذه العبارة فى اللسان ٩ : ٤٤٧ غير منسوبة ، مع اقتصاب وتحريف] .

٤/٢٠٨

وقال ، وهى مَنْحُولَةٌ

(البحر المُنْسَرِح)

١ - نَحْنُ مِنْ عَامِرِ بْنِ ذُبْيَانَ والنَّا
سُ كَهَامٍ مَحَارُهُمْ للقُبُورِ
٢ - إنَّمَا الْعَجْزُ أَنْ تَهُمَّ ولَا تَفْـ
ـعَلَ والْهَمُّ ناشِبٌ فى الضَّمِيرِ
٣ - أَرِقًا بِتُّ ما أَلَذُّ رُقَادًا
تَعْتَرِينِى مُبَرِّحَاتُ الأُمُورِ
٤ - وَارِدَاتٍ وصَاجِرَاتٍ إِلَى أَنْ
حَسَرَ الْمُدْلَهِمُّ ضَوْءَ الْبَشِيرِ
٥ - قَدَفَتْكَ الأَيَّامُ بِالْحَدَثِ الأَكْـ
ـبَرِ مِنْها وشَابَ رَأْسُ الصَّغِيرِ
٦ - وتَفَانَى بَنُو أَبِيكَ فَأَصْبَحْـ
ـتَ عَقِيرًا للدَّهْرِ أَوْ كالعَقِيرِ
٧ - لَيْسَ من حادِثِ الزَّمانِ إذَا حَـ
ـلَّ على أَهْلِ غِبْطَةٍ مِنْ مُجِيرِ

---

١ - / عامر بن ذبيان رهط الحارث بن حلزة .

٥ - ويروى وشاب كل صغير .

٥/٢٠٩

وقال ، وهى مَنْحُولَةٌ

(البحر البسيط)

١ – لمَّا جَفَانِى أَخِلَّائِى وأَسْلَمِنِى
دَهْرِى ولَحْمُ عِظامِى اليَوْمَ يُعْتَرَقُ

٢ – أَقْبَلْتُ نَحْوَ أَبِى قَابُوسَ أَمْدَحُهُ
إنَّ الثَّنَاءَ لَهُ والْحَمْدُ يَتَّفِقُ

٣ – سَهْلُ الْمَبَاءَةِ مُخْضِرًا مَحَلَّتُهُ
ما يُصْبِحُ الدَّهْرُ إلَّا حَوْلَهُ حَلَقُ

٤ – لِلْمُنْذِرِينَ ولِلْمَغْصُوبِ لِمَّتُهُ
أَنْتَ الضِّيَاءُ الذى يُجْلَى بِهِ الأُفُقُ

---

٢ – / أبو قابوس هو المنذر بن ماء السماء ملك الحيرة قتله عمرو بن هند الغسانى فى وقعة عين أباغ فى شهر يونيو سنة ٥٥٤ مسيحية .

٣ – كذا فى الأصل والشطر (الأول) مختل الوزن . <أظنه قبل التصحيف هكذا : « سهل المباءة مُخْضَرًّا مَحَلَّتُهُ » المباءة : المنزل أو الحال . المحلة : منزل القوم . وقوله « مخضرا محلته » أى هو فى خصب عظيم ، إذ يقال : فلان أخضر أى كثير الخير ، وهم خضر أى فى خير وخصب . كما يقال هو رحيب المباءة : سخى واسع المعروف>.

٦/٢١٠

وقـــال *

(مجزوء الكامل)

١ – وَلَوَ آنَّ مَا يَأْوِى إِلَىَّ م أصَابَ مِنْ ثَهْلَانَ فِنْدَا
٢ – أَوْ رَأْسَ رَهْوَةَ أَوْ رُءُو سَ شَوَامِخٍ لَهُدِدْنَ هَدَّا
٣ – خَيْلِى وفَارِسُهَا لَعَمْـ ـرُ أَبِيكَ كَانَ أَجَلَّ فَقْدَا
٤ – فَضَعِى قِنَاعَكِ إِنَّ رَيْـ ـبَ مُخَبِّلٍ أَفْنَى مَعَدَّا

---

* هذه القصيدة مشهورة قد ورد ذكر أبيات منها فى كتب مختلفة ، انظر حماسة البحترى (العدد ٨٢٢ الأبيات ٧ ، ٨ ، ٩ ، وكتاب الأغانى (٩ : ١٨١ الأبيات ٥ ، ٦ ، ٣ ، ١ ، ٤ ، ٧ ، ٨ ، ٩ ، ١٠) والبكرى (ص ٢٢٢ البيتين ١ ، ٢) وشعراء النصرانية (ص ٤١٧ الأبيات ٥ ، ٦ ، ٣ ، ١ ، ٢ ، ٤ ، ٧ ، ٨ ، ٩ ، ١٠) وابن قتيبة كتاب الشعر والشعراء (ص ٩٧ البيتين ٩ ، ١٠) وقد رويت منها أبيات مفردة : البيت ٤ (اللسان ١٣ : ٢١١) البيت ٧ (الاقتضاب ص ٣٥٠) البيت ٨ (كتاب عيون الأخبار لابن قتيبة ص ٤٨ وكتاب الحيوان للجاحظ ٥ : ٨١ وكتاب الاقتضاب ص ٣٥٥ ولسان العرب ١ : ٤٢٩ وخزانة الأدب ٢ : ٣٣٣) البيت ١٠ (رسالة الغفران ص ٩٦ وكتاب الصناعتين ص ٢٦ ، ١٤٠ وكتاب نقد الشعر لقدامة بن جعفر ص ٨٥ ومعاهد التنصيص ١ : ١٣) .

١ – / ثهلان جبل ضخم بالعالية ، ويقال جبل فى بلاد بنى غير طوله فى ليلتين ، وقد ورد ذكره فى أشعارهم إذا أرادوا تعظيم شىء . وروى فى كتاب الأغانى : فَلَوْ .

٢ – / قال الأصمعى : رَهْوَة فى أرض بنى جشم ونصر ابنى معاوية بن بكر بن هوازن (انظر ياقوت طبعة مصر ٤ : ٣٤٣) وروى البكرى « شمارخ لهددن » .

٣ – / وروى فى الأغانى : وربِّ أبيك ... أعزُّ .

٤ – / رواية الأغانى : إن ريب الدَّهْرِ قد أفْنى . ورواية لسان العرب ١٣ : ٢١١ ريب مخبِّل .

٥ — مَنْ حَاكِمٍ بَيْنِى وَبَيْـ ـنَ الدَّهْرِ مَالَ عَلَىَّ عَمْدَا
٦ — أَوْدَى بِسَادَتِنَا وَقَـدْ تَرَكُوا لنا حَلَقًا وجُرْدَا
٧ — ولقـدْ رأيتُ مَعَـاشِرًا قد جَمَّعُوا مالًا وَوُلْدَا
٨ — وَهُـمْ زَبَـابٌ حائِـرٌ لا يَسْمَعُ الآذَانُ رَعْدَا
٩ — فَأَنْعِمْ بِجَدٍّ لَا يَضِيرُ كَ النُّوكُ ما أُعْطِيتَ جَدًّا
١٠ — فالنُّوكُ خَيْرٌ فى ظِلَا لِ الْعَيْشِ مِمَّنْ عاشَ كَدًّا
١١ — هَلْ يُحْرَمُ الْمَرْءُ الْقَوِىُّ (م) وَقَدْ تَرَى لِلنُّوكِ رُشْدَا

---

٧ — / رواية البحترى : ثَمَّرُوا .

٨ — / روى فى كتاب العيون لابن قتيبة (ص ٤٨٠) وكتاب معانى الشعر له (نسخة خطية ص ٥٠) وكتاب الاقتضاب (ص ٣٥٥) ولسان العرب (١ : ٤٣٩) وخزانة الأدب (٢ : ٣٢٣) « تَسْمَعُ » وقد كثر التصحيف فى ضبط زَبَاب وهو جنس من الفأر قصير الأذنين ورد ذكره فى بيت لجُبيهاء والأشجعى (اللسان ٦ : ٤٢٠) حيث يصف لقمة أكلها ضيفه : « بِجَرْعٍ كَأَثْبَاجِ الزَّبَابِ الزَّنَابِرِ » .

٩ — / رواية كتاب الشعر : فعِشْ بِجدٍّ . ورواية الأغانى فَعِشْتَ <النُّوك : جمع الأنْوَك وهو الأحمق والعاجز الجاهل والعَيِىُّ فى كلامه>.

١٠ — / رواية كتاب الصناعتين (ص ١٤٠) ونقد الشعر ومعاهد التنصيص « والعَيْش ... النُّوكِ ممن عاشَ كدًّا » وكذلك فى كتاب الصناعتين (ص ٢٦) إلا أنه روى : « مِمَّنْ رَامَ كَدًّا » .

٧/٢١١

وقـــال

وتروى لصُرَيْم بْنِ مَعْشَرٍ التَّغْلِبيّ (وهو أُفْنُون) *

(البحر السريع)

١ – ياأَيُّها المُزْمِعُ ثُمَّ انْثَنى   لايَثْنِكَ الحَازِى ولَا الشَّاحِجُ
٢ – ولا قَعِيدٌ أَعْضَبٌ قَرْنُهُ   هاجَ لَهُ مِنْ مَرْتَعٍ هَائِجُ
٣ – قُلْتُ لِعَمْرٍو حِينَ أَرْسَلْتُهُ   وقَدْ حَبَا مِنْ دُونِهِ عَالِجُ
٤ – لا تَكْسَعِ الشَّوْلَ بأَغْبَارِهَا   إِنَّكَ لا تَدْرِى مَنِ النَّاتِجُ
٥ – قَدْ كُنْتَ يومًا تَرْتَجِى رِسْلَها   فَأَطْرَدَ الحائِلُ والدَّالِجُ

---

* / صُرَيْمُ بن مَعْشَر التغلبى هو الشاعر الملقَّب بأُفْنُون . انظر أخباره فى كتاب شعراء النصرانية (ص ٤١٨) وقد طبعت هذه القصيدة فى كتاب المفضليات (ص ٨٨٥) مع اختلاف فى ترتيب الأبيات والألفاظ . وهذه القصيدة مشهورة ، وورد ذكر أبيات منها فى عدة من كتب الأدب وقد زدت البيتين الأولين<المتكلم كرنكو>من كتابى البيان والحيوان للجاحظ . وهذا ما وجدت من أبيات القصيدة : المفضليات (ص ٨٨٥ الأبيات ٣ ، ٤ ، ٦ ، ٧ ، ٥ ، ٨ ، ٩) . وكتاب البيان للجاحظ (٢ : ١٣٢ الأبيات ...) .

٣ – حبا : ارتفع . وعالج : رمل بين الشام والكوفة .

٤ – [الكَسْعُ : إن يضع على ضرعها الماء البارد ليرتفع اللبن لتسمن الإبل . الشَّوْل : الإبل التى شولت ألبانها ، أى ارتفعت . الغبر : بقية اللبن فى الضرع . الناتج : الذى يلى نتاج الإبل وغيرها . يقول : لا تبق ذلك اللبن لسمنها ، فإنك لا تدرى من ينتجها ، فلعلك تموت فتكون للوارث ، أو يغار عليها . وقال ابن سيده فى المخصص ٧ : ٣٨ : « هذا مثل ، تفسيره : إذا نالت يدك قوما بينك وبينهم إحنة فلا تبق على شىء ، إنك لا تدرى ما يكون فى الغد »] .

٥ – الداлج : التى فى بطنها ولد تدلج به . [الرِّسْل : اللبن . الحائل : التى لا تحمل . الداج : التى تمشى بحملها مثقلة] .

٦ – رُبَّ عِشَارٍ سَوْفَ يَغْتَالُها لا مُبْطِئُ السَّيْرِ ولَا عَائِجُ
٧ – يُطِيرُها شَلًّا إِلَى أَهْلِهِ كَمَا يُطِيرُ البَكْرَةَ الفَالِجُ
٨ – بَيْنَا الْفَتَى يَسْعَى ويُسْعَى لَهُ تِيحَ لَهُ من أَمْرِهِ خَالِجُ
٩ – يَتْرُكُ مارَقَّحَ مِنْ عَيْشِهِ يَعِيثُ فيهِ هَمَجٌ هَامِجُ
١٠ – فَاصْبُبْ لأَضْيَافِكَ أَلْبَانَها فَإِنَّ شَرَّ اللَّبَنِ الْوَالِجُ
١١ – واعْلَمْ بأنَّ النَّفسَ إنْ عُمِّرَتْ يَوْمًا لَهَا مِنْ سَنَةٍ لَاعِجُ
١٢ – كَذَاكَ للإِنْسَانِ فى عَيْشِهِ غَالِيَةٌ قامَ لَها ناشِجُ

---

٦ – [العائج : الواقف . يقول : رب نوق عشار يغتالها سائق ينهبها من أهلها] .

٧ – [الشَّلّ : الطرد . البَكْرة : الناقة الصغيرة لا تحمل . الفالج : الفحل الضخم] .

٨ – ويروى تاحَ وهو أجود أى عرض له خالج من أمره ، يريد الموت . [تاح : عرض . خالج : موت يخلجه أى يجذبه إليه فيذهب به .

٩ – [الترقيح : إصلاح المال . يعيث : يفسد . الهمج : البعوض ، شبه الوارث بها لضعفه] .

١٠ – [الوالج : الذى يلج فى ظهورها من اللبن المكسوع] .

١٢ – ناشج من بكاء وحزن .

٨/٢١٢

وقـــال

لعمرو بن هند فى ملك امرئ القيس بْنِ المنذِرِ الغَسَّانى

(البحر الطويل)

١ – أَلَا بانَ بالرَّهْنِ الغَداةَ الْحَبَائِبُ
كأنَّكَ مَعْتُوبٌ عليكَ وعاتِبُ

٢ – لَعَمْرُ أبيكَ الْخَيْرُ لَوْ ذَا أطَاعَنِى
لَغُدِّىَ مِنْهُ بالرَّحِيلِ الرَّكائِبُ

٣ – تَعَلَّمْ بأنَّ الْحَىَّ بَكْرَ بْنَ وائِلٍ
هُمُ الْعِزُّ لا يكذِبْنَكَ عن ذَاكَ كاذِبُ

٤ – فإنكَ إنْ تَعْرِضْ لَهُمْ أَوْ تَسُؤْهُمُ
تَعَرَّضْ لِأَقْوامٍ سِوَاكَ الْمذَاهِبُ

٥ – فَنَحنُ غداةَ العَيْنِ يَوْمَ دَعَوْتَنَا
أَتَيْنَاكَ إذْ ثابَتْ عليكَ الْحَلَائِبُ

٦ – فَجِئْناهُمُ قَسْرًا نَقُودُ سَرَاتَها
كما ذُبِّبَتْ مِنَ الْجِمَالِ الْمَصَاعِبُ

٧ – بِضَرْبٍ يُزِيلُ الهامَ عَنْ سَكِنَاتِها
كما ذِيدَ عن ماءِ الحِيَاضِ الْغَرَائِبُ

---

٤ – أى تتعرض لأقوام يرهبون عنك ويدعونك .

٥ – حلائب الرجل أنصاره من بنى عمه خاصة . / روى صاحب لسان العرب (١ : ٣٢٣) هذا البيت فقال فى شرحه : حلائب الرجل أنصاره من بنى عمه خاصة . وأما امرؤ القيس فهو اللخمى أسره عمرو بن هند الغسانى فى وقعة عين أباغ التى قتل فيها أبوه المنذر بن ماء السماء . وكان ذلك فى شهر يونيو سنة ٥٥٤ مسيحيه قبل الإسلام .

٢١٣ / ٩

وقـــال *

(البحر الكامل)

١ – طَرَقَ الْخَيَالُ وَلَا كَلَيْلَةِ مُدْلِجِ
سَدِكًا بِأَرْحُلِنَا وَلَمْ يَتَعَرَّجِ

٢ – أَنَّى اهْتَدَيْتِ وَكُنْتِ غَيْرَ رَجِيلَةٍ
والقَوْمُ قَدْ قَطَعُوا مِتَانَ السَّجْسَجِ

٣ – والْقَوْمُ قَدْ آنُوا وَكَلَّ مَطِيُّهُمْ
إِلَّا مُوَاشِكَةَ النَّجَا بالهَوْدَجِ

٤ – ومُدَامَةٍ قَرَّعْتُها بِمُدَامَةٍ
وظِبَاءِ مَحْنِيَةٍ ذَعَرْتُ بِسَمْحَجِ

---

* / قد طبعت هذه القصدة فى كتاب المفضليات الذى نشره « سير شارلس ليال » إلا أن البيت الثالث لا وجود له فى نسخة الأصل من هذا الديوان .

١ – يقول لم أر كليلة أدلجها إلينا من هولها وبعدها منا . لم يتعرَّج : لم يقم . / رواه القالى فى أماليه (ج ١ : ٢٠٩) وصاحب لسان العرب (٣ : ١٢٠) .

[المدلج : الذى سار الليل كله . السَّدِك : الملازم] .

٢ – / اطلب اللسان أيضا ٣ : ١٢٠ و ١٣ ، ٢٨٧ ، ٧ : ٢٨٤ .

[الرجيلة : القوية على المشى . المِتَان : كالمُتُون ، جمع متْن ، وهو ما غلظ من الأرض . السجسج : المكان الواسع الصلب المستوى] .

٣ – [آنوا : أعيوا . آن يئين : أعيا . مواشكة : مسرعة . النجا : السرعة] .

٤ – قرعتها أى شربت قدحا بعد قدح . ومحنية : رمل مستدير . وسمحج : طويلة .

[المحنية : منحنى الوادى ، والوحوش تألفه . السمحج : الفرس الطويلة على الأرض ، يقال للذكر والأنثى ، عنى بذلك الصيد على فرسه] .

٥ – فَكَأَنَّهُنَّ لَآلِئٌ وَكَأَنَّهُ
صَقْرٌ يَلُوذُ حَمَامُهُ لم تَدْرُجِ

٦ – صَقْرٌ يصيدُ بِظُفْرِهِ وجَناحِهِ
فإذَا أصَابَ حَمَامَةً بالعَوْسَجِ

٧ – وَلَئِنْ سَأَلْتِ إذَا الكَتِيبَةُ أَجْحَمَتْ
وتَبَيَّنَتْ رُعْبَ الْجَبَانِ الْأَهْوَجِ

٨ – وسَمِعْتَ وَقْعَ سُيُوفِنَا بِرُءُوسِهِمْ
وَقْعَ السَّحَابَةِ بالطِّرَافِ الْمُشْرَجِ

٩ – وإذَا اللِّقاحُ تَرَوَّحَتْ بِعَشِيَّةٍ
رَتْكَ النَّعَامِ إِلَى كَنِيفِ الْعَوْسَجِ

---

٥ – [شبه الظباء باللآلئ فى بياضهن وحُسْنِهن وسرعتهن فرارا من الصقر ، كأنهن لآلئ تنحدر من سلكها إذا انقطع . لم تدرج : لم تبرح ولم تتحرك] .

٦ – [العوسج : شجر . وكأنه : يعنى كأن فرسه صقر يتحرز حمامه لفزعه يدخل فى العوسج . سئل الأصمعى : لم خص العوسج من بين الشجر ؟ فقال : للقافية !] .

٧ – [أجحمت ، بتقديم الجيم على الحاء : كفت ورجعت] .

٨ – [الطراف : بيت من أدم ، أى جلد . المشرج : الشرج بفتحتين : عرى الخباء ونحوه ، وشرجها وأشرجها : أدخل بعض عراها فى بعض وداخل بين أشراجها . شبه تدارك الضرب وسرعته بوقع المطر ، فجعل المطر سحابا إذ كان منه] . فى الأصل « المسرج »] .

٩ – [اللقاح : جمع لقحة ، وهى الناقة ذات اللبن . تروحت بعشية : أى بادرت الإياب والشمس حية ، لم تبطئ فى المرعى للجدب والبرد . الرتك : مشى مسرع مع مقاربة الخطو . الكنيف : حظيرة تعمل من شجر تأوى إليها الإبل تكنفها من البرد ، أى تحفظها] . < فى المفضليات : « كنيف العرفج » > [العرفج : شجر خوار سريع الالتهاب . أى يراح بالإبل إلى حظائرها شفقة عليها من البرد] .

١٠ – أَلْفَيْتَنَا لِلضَّيْفِ خَيْرَ عِمَارَةٍ
إِنْ لَمْ يَكُنْ لَبَنٌ فَعَطْفُ الْمُدْمَجِ

١١ – وبَعَثْتَ مِنْ وُلْدِ الْأَغَرِّ مُعَتِّبًا
صَقْرًا يَلُوذُ حَمَامُهُ بالعَوْسَجِ

١٢ – فإِذَا طَبَخْتَ بِنارِهِ نَضَّجْتَهُ
وإذا طَبَخْتَ بِغَيْرِهَا لم يَنْضَجِ

---

١٠ – / لسان العرب ١٠١/٣ [العمارة : القبيلة العظيمة . المدمج : قدح الميسر . يقول : إن لم يكم فى إبلنا لبن عطفنا على القداح فضربنا بها للأضياف فنحرنا لهم] . <قال كرنكو بعد البيت العاشر ما نصه : « وزيد فى كتاب شعراء النصرانية بيتان لا وجود لهما فى هذا الديوان ، ولا أدرى من أين أخذهما ناشرهما »>.

٢١٤/ ١٠

وقــال

(يخاطب) عَمْرو بْنَ قَيْسِ بنِ شَرَاحِيلَ بْنِ مُرَّةَ بْنِ هَمَّامِ بْنِ ذُهْلِ بْنِ شَيْبَانَ ، وهو الذى قام بالصلح بين ابنى وائل بعد وقعة الأقطانَتَيْنِ *

(بحر المتقارب)

١ — أَعَمْرُو بْنُ فَرَّاشَةَ الْأَشْيَمِ ۔ صَرَمْتَ الْحِبَالَ ولَمْ تُصْرَمِ
٢ — وأَفْسَدْتَ قَوْمَكَ بَعْدَ الصَّلاحْ ۔ بَنِى يَشْكُرَ الصِّيدَ بالمَلْهَمِ
٣ — دَعَوْتَ أَبَاكَ إِلى غَيْرِهِ ۔ وذَاكَ العُقُوقُ مِنَ الْمأْثَمِ
٤ — كَفَى شَاهِدًا بِمُبَاحِ الصَّفَا ۔ إِلى مُلْتَقَى الْحَجِّ بالْمَوْسِمِ
٥ — فَهَلَّا سَعَيْتَ لِصُلْحِ الصَّدِيقْ ۔ كَسَعْيِ ابْنِ مارِيَةَ الْأَقْصَمِ
٦ — وقَيْسٌ تَدَارَكَ بَكْرَ الْعِرَاقْ ۔ وتَغْلِبَ مِنْ شَرِّهَا الْأَعْظَمِ
٧ — وأَصْلَحَ ما أَفْسَدُوا بَيْنَهُمْ ۔ وذلكَ فِعْلَ الْفَتَى الْأَكْرَمِ
٨ — وبَيْتُ شَرَاحِيلَ مِنْ وَائِلٍ ۔ مَكَانَ الثُّرَيَّا مِنَ الْأَنْجُمِ

---

* الأقطانتان موضع كان فيه يوم من أيام العرب ، كذا فى كتاب البلدان ، فانظر بيانه فى نقائض جرير والأخطل ص ٤٣ .

١ — / أشك فى اسم عمرو بن فراشة لأن اسم أبيه فى نسخة الأصل « وفراشة » (كذا) لعله عمرو بن قيس بن شراحيل الذى قال له هذا الشعر .

٢ — / مَلْهَم : قرية باليمامة لبنى يشكر وأخلاط من بنى بكر ، وهى موصوفة بكثرة ، ويوم ملهم من أيامهم (ياقوت . طبعة مصر ، ج ٧ ص ١٥٥) وكان العَلْهان وهو عبد الله بن الحارث بن عاصم بن عبيد بن ثعلبة بن يربوع يُقَتِّلُ بنى غُبر من تغلب بمَلْهم فقيل : اقتلوه فإنه رجل عَلْهان ..

٥ — مارية أم شراحيل بن مرة بن همام بن ذهل بن شيبان .

١١/٢١٥

وقال ، وهي مُعلَّقته (*)

(البحر الخفيف)

١ – آذَنَتْنا بِبَيْنِها أَسْماءُ ... رُبَّ ثَاوٍ يُمَلُّ منه الثَّواءُ
٢ – بَعْدَ عَهْدٍ لَنا بِبُرْقَةِ شَمَّا ... ءَ فَأَدْنَى دِيارِها الخَلْصاءُ
٣ – فَمُحَيَّاةٌ فالصِّفاحِ فَأَعْلَى ... ذِي فِتَاقٍ فعاذِبٌ فالوَفاءُ
٤ – فرِياضُ القَطَا فَأَوْدِيَةُ الشُّرْ ... بُبِ فالشُّعْبتانِ فالأَبْلاءُ
٥ – لا أَرَى مَنْ عَهدتُ فيها فأَبْكِي الـ ... ـيَوْمَ دَلْهًا وما يردُّ البُكاءُ
٦ – وبِعَيْنَيْكَ أَوْقَدَتْ هِنْدُ النَّا ... رَ أَخِيرًا تُلْوِى بها العَلياءُ
٧ – أَوْقَدَتْها بين العَقِيقِ فَشَخْصَيْـ ... ـنِ بِعُودٍ كما يَلُوحُ الضِّياءُ
٨ – فَتَنَوَّرْتُ نارَها مِنْ بَعيدٍ ... بِخَزازٍ هَيْهَاتَ مِنْكَ الصِّلاءُ

(*) <لم ينشر المستشرق فريتس كرنكو هذه المعلقة فى ديوان الحارث بن حلزة الذى نشره بمجلة المشرق سنة ١٩٢٢ . وقد أضفتها هنا إلى الديوان لتتم الفائدة ، وهى برواية أبى بكر محمد بن القاسم الأنبارى فى « شرح القصائد السبع الطوال الجاهليات » تحقيق وتعليق عبد السلام هارون ، وقد تخيرت من الشرح ما رأيته كافيا فى هذا المقام>.

١ – آذنتنا : أعلمتنا . البين : الفراق . الثاوى : المقيم . الثواء : الإقامة ، أى : رب مقيم يُمَلُّ منه إقامته ولكنا لا نمل ثواء هذه المرأة .

٢ – برقة شمّاء ، والخلصاء : مواضع .

٣ – كلها مواضع .

٤ – كلها مواضع .

٥ – من عهدت : من عهدت من أحبابى . دَلْها : باطلا وضياعا . ما يرد البكاء : لا يغنى شيئا .

٦ – بعينيك : برأى عينيك أوقدت هند النار . تُلوى : تُضىء . العلياء : مكان .

٧ – العقيق وشخصين : موضعان . بعود : أراد العود الذى يُتبخر به . يلوح : يظهر . الضياء : الضوء .

٨ – التنوُّر : نظرك إلى النار وتأملك أين هى ؟ قريبة أم بعيدة . خزاز : جبل الصِّلاء : النار .

٩ — غَيْرَ أَنِّى قَدْ أَسْتَعِينُ علَى الْهَـ ـمِّ إِذَا خَفَّ بالثَّوِىِّ النَّجَاءُ
١٠ — بِزَفُوفٍ كأَنَّها هِقْلَةٌ أُمُّ رِئَالٍ دَوِّيَّـةٌ سَقْفَـاءُ
١١ — آنَسَتْ نَبْأَةً وأَفْزَعَها القَنَّا صُ عَصرًا وقَدْ دَنا الإِمْسَاءُ
١٢ — فَتَرَى خَلْفَها مِنَ الرَّجْعِ والوقْـ ـعِ مَنِينًا كأَنَّهُ إِهْبَاءُ
١٣ — وَطِرَاقًا مِنْ خَلْفِهِنَّ طِرَاقٌ سَاقِطاتٌ تُلْوِى بها الصَّحراءُ
١٤ — أَتَلَهَّى بها الهَوَاجِرَ إِذْ كُلُّ ابْنِ هَمٍّ بَلِيَّةٌ عَمْيَاءُ
١٥ — وأَتانَا عَنِ الأَرَاقِمِ أَنْبَا ءٌ وخَطْبٌ نُعْنَى به ونُسَاءُ
١٦ — أَنَّ إِخْوَانَنا الأَرَاقِمَ يَغْلُو نَ عَلَينا فى قَوْلِهِمْ إِحْفاءُ

---

٩ — خفّ : مضى وذهب . الثوِىّ : المقيم . النجاء : الانطلاق والانكماش .

١٠ — زفوف : ناقة مسرعة خفيفة . الهقلة : النعامة ، والذكر هِقْل . الرئال : فراخ النعام . دوِّيّة : منسوبة إلى الدوّ . والدّوّ : الأرض الواسعة . سقفاء : نعامة فى رجلها انحناء .

١١ — آنَسَت : الضمير يعود على النعامة . نبأة : صوت خفى لا يُدرى من أين هو . الإمساء : المساء .

١٢ — الرجع : رجع قوائمها . المنين : الغبار الذى تثيره بقوائمها . الإهباء : الغبار كأنه دخان .

١٣ — الطراق : الغبار . ساقطات : قد سقطت من أرجلها . تُودى : تُذهب .

١٤ — أتلهى بها معناه بالناقة . الهواجر : انتصاف النهار . كل ابن هم : كل ذى هم وكُلُّ من نزل به الهم شبهه بالبلية . والبلية : ناقة الرجل إذا مات عقلت عند رأسه أى عند القبر مما يلى الرأس ، وعكس رأسها بذنبها ، فتترك لا تأكل ولا تشرب حتى تموت فهى عمياء لا تتجه ، وقال بعضهم : كانوا فى الجاهلية يعقلون ناقة الرجل عند رأسه ويقولون : إذا قام من قبره للبعث ركبها .

١٥ — خطب : أمر عظيم . نعنى به : نهتم به . نُسَاء : يُسَاء بنا الظن فيه .

١٦ — الأراقم : بطون من بنى تغلب . يغلون علينا : يرتفعون علينا فى القول ويظلموننا ويحملوننا ذنب غيرنا ويطلبون ما ليس لهم بحق . فى قولهم إحفاء : أى أنهم حملوا علينا وألحوا فى مساءتنا ، وألصقوا بنا ما نكره .

١٧ –يَخْلِطُونَ الْبَرِى مِنَّا بِذِى الذَّنْـ ـبِ وَلَا يَنْفَعُ الخَلِىَّ الخَلَاءُ
١٨ –زَعَمُوا أَنَّ كُلَّ مَنْ ضَرَبَ الْعَيْـ ـرَ مَوَالٍ لَنَـا وأَنَّـا الْـوَلَاءُ
١٩ –أَجْمَعُوا أَمْرَهُمْ بِلَيْـلٍ فَلَمَّـا أَصْبَحُوا أَصْبَحَتْ لَهُمْ ضَوْضَاءُ
٢٠ –مِنْ مُنَادٍ ومِنْ مُجِيبٍ ومِنْ تَصْـ ـهَالِ خَيْلٍ خِلَالَ ذاكَ رُغَاءُ
٢١ –أَيُّها النَّاطِـقُ المُـرَقِّشُ عَنَّـا عِنْدَ عَمْرٍو وهَلْ لِذَاكَ بَقَاءُ
٢٢ –لا تَخَلْنَا عَلَى غَرَائِكَ إِنَّا قَبْلُ ما قَدْ وشَى بنا الأَعْدَاءُ
٢٣ –فَبَقِينَا عَلَى الشَّنَـاءَةِ تَنْمِيـ ـنَا حُصُونٌ وعِـزَّةٌ قَعْسَاءُ
٢٤ –قَبْلَ ما اليومِ بَيَّضَتْ بِعُيُونِ الـ ـنَّاسِ فيها تَعَيُّطٌ وإِبَـاءُ

---

١٧ – الخَلاء : البراءة والترك . أى ولا ينفع البرىءَ من الذنب براءته منه .

١٨ – العيرْ : الحمار . والمعنى إن إخواننا الأراقم يلوموننا ويضيفون إلينا ذنب غيرنا ، ويطالبوننا بجناية كل من جنى عليهم ممن نزل صحراء أو ضرب عَيْرًا ويجعلونهم موالىَ (أبناء عم لنا) .

٢٠ – تَصهال : صهيل . رغاء : أراد صوت الخيل والإبل .

٢١ – « أيها الناطق » يعنى عمرو بن كلثوم . المرقش : المزين للشىء ، حين قال عمرو للملك إنّا قتلنا أبناءهم ، وادعاؤهم الكذب والباطل عند الملك .

٢٢ – لا تخلنا : لا تظننا . أراد : لا تحسب أنا جازعون لإغرائك الملك بنا .

٢٣ – الشناءة : البغض . العزة : الغلبة . قعساء : ثابتة . والمعنى : بتنا على بغض الناس نزداد رفعة وعلوا ويزدادون غيظا لما يرون من ثبات عزنا ومكاننا من الملك ، ونحن لا نبالى عدوا ولا حسودا ولا وشاية منهم بنا .

٢٤ – فيها تعيط : فيها ارتفاع أى فى عزتنا . الإباء : رفض الظلم والإذلال . والمعنى : قبل اليوم عظم شأننا على الناس حتى عميت أبصارهم ، وشبيه به قولهم : لأرينك الكواكب بالنهار ، أى لأفعلن بك أمرًا يظلم من أجله نهارك حتى يصير فى عينك بمنزلة الليل فترى الكواكب .

٢٥ – وكأنَّ الْمَنُونَ تَرْدِى بِنَا أَرْ عَنَ جَوْنًا يَنْجَابُ عَنْهُ الْعَمَاءُ
٢٦ – مُكْفَهِرًّا عَلَى الْحَوَادِثِ لا تَرْ تُوهُ لِلدَّهْرِ مُؤْيِدٌ صَمَّاءُ
٢٧ – أَيَّمَا خُطَّةٍ أَرَدْتُمْ فَأَدُّو هَا إلينا تَمشى بها الأَمْلَاءُ
٢٨ – إنْ نَبَشْتُمْ ما بينَ مِلْحَةَ فالصَّا قِبِ فيهِ الأمواتُ والأحياءُ
٢٩ – أو نَقَشْتُمْ فالنَّقْشُ تَجْشَمُهُ ا لنَّاس وفيه الصَّلَاحُ الإِبْرَاءُ
٣٠ – أَوْ سَكَتُّمْ عَنَّا فكُنَّا كَمَنْ أَغْـ ـمَضَ عَيْنًا فى جَفْنِها أَقْذَاءُ

---

٢٥ – المنون : المنية . تردِى : تُهلك . أرعن : جبل ، ويقال للجيش العظيم أرعن لأنه يشبَّه بالجبل . الجون : الأسوَد (وهو من الأضداد يكون الأبيض ويكون الأسود) . ينجاب عنه : ينشق عنه ويتفرق . العَماء : الغيم الرقيق ، ومثله الضباب . والمعنى : وكأن المنون ترمى بنا جبلا فلا تضرنا ولا تؤثر فينا كما لا تضر الجبل .

٢٦ – مكفهر ، معناه هذا الجبل متراكم بعضه على بعض ممتنع مارد على الحوادث . لا ترتوه : الرَّتْو هو الشد والجمع وهو من قولهم : رتَوتُ القوس ، إذا كان وترها مسترخيا فشده . مؤيد : داهية قوية تغلب كل من تعرض لها . صماء : معناه لا جهة لها لشدتها وامتناعها .

٢٧ – فأدوها إلينا : فابعثوا ببيان ذلك إلينا . الأملاء : الجماعات واحدهم ملأ ، وقيل الملأ هم الرؤساء والأشداء .

٢٨ – إن نبشتم : إن أثرتم ما كان بيننا وبينكم من القتل فى الوقعات التى كانت بين ملحة فالصاقب ، ظهر عليكم ما تكرهون من قتلى قَتَلْنا لم تدروا بثأرهم . ملحة : مكان والصاقب : جبل . فيه الأموات والأحياء : أى فى هذا النبش والأمر الذى يثيرونه موتَى قد ذهبوا ونُسُوا ومات أمرهم ، وفيه أحياء قد بقوا حديث أمرهم ، ففى إثارة ذلك ما يعرِّف فضلَنا عليكم وادعاءكم علينا الباطل .

٢٩ – أو نقشتم : التأويل ، إن استقصيتم – وفى الاستقصاء صلاح أى انكشاف للأمر – صرتم من ذلك إلى ما تكرهون . الإبراء : البراءة . يقول : وعسى أن يكون الإبراء منا فسيتبين للناس ويصير عاره عليكم فى الاستقصاء والنقش ، فتركه خير ، فما راحتكم فيه .

٣٠ – يقول : وإن سكتم عنا فلم تستقصوا كنا نحن وأنتم عند الناس فى علمهم بنا سواء ، وكان أسلم لنا ولكم ، على أنّا نسكت ونغمض عينا على ما فيها منكم (وهذا مثل) . أقذاء : من القَذَى وهو شيء يسقط فى العين من غبار أو نحوه .

٣١ – أو مَنَعْتُم ما تُسْأَلُونَ فمَنْ حُـ ـدِّثْتُمُوهُ لَهُ عَلينا العَلاءُ
٣٢ – هَلْ عَلِمْتُمْ أيَّامَ يُنْتَهَبُ النَّا س غِوارًا لِكُلِّ حَيٍّ عُواءُ
٣٣ – إذْ رَفَعْنا الجِمَالَ مِنْ سَعَفِ البَحْـ ـرَيْنِ سَيْرًا حتَّى نَهاها الحِسَاءُ
٣٤ – ثُمَّ مِلْنَا على تَمِيمٍ فأُحْرَمْـ ـنَا وفينا بَنَاتُ مُرٍّ إمَاءُ
٣٥ – لا يُقِيمُ العَزِيزُ بالبَلَدِ السَّهْـ ـلِ ولا يَنْفَعُ الذَّلِيلَ النَّجاءُ
٣٦ – ليس يُنْجِي مُوَائِلاً مِنْ حِذارٍ رأْسُ طَوْدٍ وحَرَّةٌ رَجْلَاءُ
٣٧ – فمَلَكْنا بذلك النَاسَ حتَّى مَلَكَ المنذِرُ بنُ ماءِ السَّماءِ

---

٣١ – العلاء : من العلو والرفعة . والمعنى : لأى شىء امتنعتم عن إصلاح ما بيننا مع ما تعرفون عن عزنا وقوتنا ؟ من حدَّثكم فأبلغكم أنه اعتلانا فى قديم الدهر فطمعتم من أجل ذلك فينا ؟

٣٢ – أيام ينتهب الناس : إشارة إلى أحداث تاريخية عمت فيها الفوضى إثر تصدع ملك آل جفنة . الغوار : إذا غار بعض الناس على بعض . لكل حى عواء : صياح مما ينزل بهم من الإغارة عليهم . يقول : فنحن حين كان الناس هكذا لم يطمع فينا أحد من العرب لأننا أعزهم ، وكنا يومئذ أمنع العرب ، فلا تطمعوا أنتم فى ظلمنا وضررنا ، فإن لنا عزًّا ثابتا .

٣٣ – قوله « إذ رفعنا الجمال » يخبر عن مغازيهم ، أى قد أغرنا على من لقينا من الناس حتى انتهينا إلى النخل . نهاها : كفَّها ومنعها : الحِسَاء : جمع حِسْىِ البحر ، والحسى : الماء الجارى (يقصد الخليج العربى) يقول : فلما بلغنا الحساء لم يكن وراءها مُغار .

٣٤ – تميم هو ابن مر . فأحرمنا : عففنا عنهم ، وفينا إماء لو شئنا وطئناهن .

٣٥ – لا ينفع الذليل النجاء : أى الهرب .

٣٦ – الموائل : الهارب طلبا النجاة . الحذار : ما يخاف ويحاذر . « والحرَّة » من الأرض : التى جبالها وحجارتها سُود . الرجلاء : الحجارة الصعبة الشديدة .

٣٧ – فى هذا البيت إقواء ، فحرف الروى مكسور ، وهو مضموم فى القصيدة كلها .

٣٨ – وهُوَ الرَّبُّ والشَّهِيدُ على يَوْ ـ مِ الحِيَارَيْنِ والبَلَاءُ بَلَاءُ
٣٩ – مَلِكٌ أَضْلَعُ البَرِيَّةِ لا يُو ـ جَدُ فيها لِمَا لَدَيْهِ كِفَاءُ
٤٠ – فاتْرُكُوا البَغْيَ والتَّعَدِّي وإمَّا تَتَعَاشَوْا فَفِي التَّعَاشِي الدَّاءُ
٤١ – واذْكُرُوا حِلْفَ ذِي الْمَجَازِ وماقُدِّ ـ مَ فيهِ العُهُودُ والكُفَلَاءُ
٤٢ – حَذَرَ الخَوْنِ والتَّعَدِّي وهَلْ يَنْـ ـقُضُ ما في المَهَارِقِ الأَهْوَاءُ
٤٣ – واعْلَمُوا أَنَّنَا وإِيَّاكُمُ فِيـ ـمَا اشْتَرَطْنَا يومَ اخْتَلَفْنَا سَوَاءُ
٤٤ – أَعَلَيْنَا جُنَاحُ كِنْدَةَ أَنْ يَغْـ ـنَمَ غَازِيهِمُ ومِنَّا الجَزَاءُ
٤٥ – أَمْ عَلَينا جَرَّى حَنِيفَةَ أَوْ ما جَمَّعَتْ من مُحَارِبٍ غَبْرَاءُ
٤٦ – أَمْ جَنَايَا بَنِي عَتِيقٍ فمَنْ يَغْـ ـدِرْ فإنَّا مِنْ حَرْبِهِمْ بُرَآءُ
٤٧ – أَمْ عَلَيْنَا جَرَّى العِبَادِ كَمَا نِيـ ـطَ بِجَوْزِ الْمُحَمَّلِ الأَعْبَاءُ
٤٨ – أَمْ عَلَيْنَا جَرَّى قُضَاعَةَ أَمْ لَيْـ ـسَ علينا مِمَّا جَنَوْا أَنْدَاءُ

---

٣٨ – الرب : عنى به المنذر بن ماء السماء أهل الحيارين : الحياران بلدان .

٣٩ – ليس في البرية أحد يكافئه ولا يستطيع أن يصنع مثل ما يصنع من الخير .

٤٠ – التَّعاشي : التَّعامى .

٤١ – ذو المجاز : موضع بمكة ، وهو الموضع الذى أخذ عمرو بن هند الملكُ على تغلب وبكر العهود والمواثيق ، وأصلح فيه بين الحيين ، وأخذ منهم رُهُنا من أبنائهم من كل حى ثمانين رجلا ، فذلك قوله « وما قدم فيه العهود » .

٤٢ – المهارق : الصحف .

٤٤ – الجناح : الإثم . أى أتغنم كندة فيكم ويكون جناح ما صنعوا علينا .

٤٥ – جرّى : ذنوب . محارب : أى لصوص محارب . الغبراء : الصعاليك .

٤٧ – العباد : هم العباديون ، أصابوا فى بنى تغلب دماء فلم يدرك بنو تغلب بثأرهم منهم . نيط : علق . الجوز : الوسط . المحمل : البعير . الأعباء : جمع عبء وهو الثقل .

٤٨ – جنوا : أى فعلوا بكم . أنداء : جمع ندى وهو الخير . أى لم نجن خيرا مما فعلوه بكم حتى تحملونا ذنوب هؤلاء الذين أذنبوا إليكم . وفى هذا البيت وما قبله تعيير من الشاعر لبنى تغلب لما فعلته بها بعض القبائل أو البطون .

٤٩ – لَيسَ مِنّـا الْمُضَرَّبُونَ ولا قَيْـ ـسٌ ولا جَنْدَلٌ ولا الحَـدَّاءُ
٥٠ – أم عَلَيْنا جَرَّى إيادٍ كَمَا قِيـ ـلَ لِطَسْمٍ : أخُوكُـمُ الأبَّاءُ
٥١ – عَنَنًا باطِـلًا وظُلْمًا كَمَا تُعْـ ـتَرُ عَنْ حَجْرَةِ الرَّبِيضِ الظِّبَاءُ
٥٢ – وثَمانُـونَ مِنْ تَمِيـمٍ بأيْدِيـ ـهِمْ رِمَاحٌ صُدُورُهُنَّ القَضَاءُ
٥٣ – لم يُخَلُّوا بَنـى رِزَاحٍ بِبَرْقَـا ءِ نِطاعٍ لَهُمْ عليهِمْ دُعـاءُ
٥٤ – تَرَكُوهُـمْ مُلَحَّبِيـنَ فآبُـوا بِنِهَابٍ يَصَمُّ فيهِ الحُـدَاءُ
٥٥ – وأتَوْهُـمْ يَسْتَرْجِعُونَ فَلَمْ تَرْ جِعْ لَهُمْ شَامَةٌ ولا زَهْـرَاءُ

---

٤٩ – هؤلاء قوم من بنى تغلب ضربوا بالسيوف فعيرهم بهم . الحدّاء : قبيلة من ربيعة ، ويقال هو رجل من ربيعة .

٥٠ – كان جديس وطسم أخوين ، فكسرت جديس على الملك خراجها ، فأخذت طَسْم بذنب جديس ، يقول : فتريدون أن تحملوا علينا ذنوب الناس ، كما قيل لطسم : إن أخاكم كسر الخراج فنحن نأخذكم بذنبه .

٥١ – عننا : اعتراضا . تعتبر : تُذبح . الحجرة : حظيرة الغنم . الربيض : جماعة الغنم . وكان الرجل ينذر إذا بلغت شاؤه مائة أن يذبح شاة عن كل عشرة منها ، فكان إذا بخل بذبح غنمه صاد الظباء وذبحها عن غنمه ، ليوفى بها نذره . فقال الشاعر : أنتم تأخذوننا بذنوب غيرنا كما ذبح أولئك الظباء عن غنمهم .

٥٢ – وثمانون من تميم ، معناه أن عمرًا أحد بنى زيد مناة بن تميم ، خرج فى ثمانين رجلا من بنى تميم غازين ، فأغار على ناس من بنى تغلب يقال لهم بنو رِزَاح ، كانوا ينزلون أرضا يقال لها نطاع ، قرية من اليمن ، فقتل فيهم وأخذ أموالا كثيرة . وقوله « صدورهن القضاء » معناه الموت .

٥٤ – ملحبين : مقطعين بالسيوف . يضم فيه الحداء ، معناه أن الإبل والمواشى – التى أخذت من بنى رزاح – لها جلبة ورغاء ، فجلبتها أكثر من أن يسمع فيها الحداء .

٥٥ – ثم آبوا يسترجعون : أى رجعت بنو رِزاح وقد اجتمعوا إلى بنى تميم يسترجعون ما أخذوا منهم ، فلم يرجع لهم شامة ولا زهراء ، أى رجعوا خائبين ولم يرجعوا بناقة سوداء ولا بيضاء .

٥٦ — ثُمَّ فَاءُوا مِنْهُمْ بِقَاصِمَةِ الظَّهْـ ... ـرِ ولا يَبْـرُدُ الغَليــلَ الماءُ
٥٧ — ثُمَّ خَيْلٌ مِنْ بَعْدِ ذَاكَ مَعَ الْغَـ ... ـلَّاقِ لَا رأفـةٌ ولا إبْقَـاءُ
٥٨ — ما أصابُـوا مِنْ تَغْلِبِيٍّ فَمَطْلُو ... لٌ عليْـهِ إذا تَوَلَّـى العَفَـاءُ
٥٩ — كَتَكالِيفِ قَوْمِنَا إذْ غَزَا المُنْذِرُ ... هَلْ نَحْـنُ لابْـنِ هِنْـدٍ رِعَـاءُ
٦٠ — إذْ أَحَـلَّ العَـلَاةَ قُبَّـةَ مَيْسُو ... نَ فَأَدْنَـى دِيارِهـا العَـوْصَاءُ
٦١ — فَتَـأَوَّتْ لَهُـمْ قَرَاضِبَـةٌ مِنْ ... كُلِّ حَيٍّ كأنَّهُـمْ الْقَـاءُ

---

٥٦ — فاءوا : رجعوا . فرجعوا بقاصمة الظهر : أى قصمت بنو تميم ظهورهم ، حيث ساقوا أموالهم . ولا يبرد الغليل الماء : أى الذى فى صدورهن من الحزن والبلاء الذى نزل بهم لا يبرده الماء ، أى لا يسكنه .

٥٧ — يريد : غزتكم بعد بنى تميم خيل من الغلَّاق . لا رأفة : أى ليس لأصحاب الغلاق رأفة بكم ولا إبقاء عليكم .والغلاق : رجل من بنى يربوع بن حنظلة من تميم كان على هجائن النعمان بن المنذر ، وكان أغار على بنى تغلب فقتل فيهم .

٥٨ — يقول : جاءكم الغلاق ومن معه وأصابوا فيكم ، فكل من أصابوا من بنى تغلب فقد طل دمه ، أى أهدر دمه ليس له من ينتصر له . وقوله « عليه إذا تولَّى العفاء » أى على دمه العفاء ، والعفاء : الدروس (وهذا دعاء يراد به التهكم) .

٥٩ — التكاليف : من التكلف ، يعير بنى تغلب . وذلك أنه لما قتل المنذر بن ماء السماء انحازت طائفة من بنى تغلب عنه ، وقالوا : لا نعطى أحدا من ولده طاعة ! فلما ولى عمرو بن هند — وهو عمرو بن المنذر بن ماء السماء ، وكانت أمه هند بنت عمرو بن حجر بن الحارث آكل المرار — بعث إلى الذين انحازوا عن أبيه من بنى تغلب يدعوهم إلى الرجوع إلى طاعته وإلى الغزو معه ، فأبوا أن يجيبوه ، وقالوا : مالنا نغزو معك ، أرعاءٌ نحن لك ! فإنما حكى الحارث فى قوله « هل نحن لابن هند رعاء » قول بنى تغلب .

٦٠ — المعنى : لما قدم عمرو بن هند بميسون الغسَّانية وقد قتل أباها أنزلها العلياء القرية من العوصاء . العلياء والعوصاء : موضعان .

٦١ — تأوت : اجتمعت حين دعاهم إلى الغزو . القراضبة : الصعاليك . الألقاء : جمع لقىً وهو الخامل الذى لا يعرف .

٦٢ — فَهَدَاهُمْ بالأَسْوَدَيْنِ وأَمْرُ اللـ ... ـهِ بِلْغٌ يَشْقَى بِهِ الأَشْقِيَاءُ
٦٣ — إذْ تَمَنَّوْنَهُمْ غُرُورًا فَساقَتْـ ... ـهُمْ إليكُمْ أُمْنِيَّةٌ أَشْرَاءُ
٦٤ — لَمْ يَغُرُّوكُمْ غُرورًا ولكِنْ ... يَرْفَعُ الآلُ جَمْعَهُمْ والضَّحَاءُ
٦٥ — أَيُّهَا الشَّانِئُ المبلِّغُ عَنَّا ... عِنْدَ عَمْرٍو وهَلْ لِذَاكَ انْتِهاءُ
٦٦ — مَلِكٌ مُقْسِطٌ وأَكْمَلُ مَنْ يَمْـ ... ـشِي ومِنْ دُونِ ما لَدَيْهِ الثَّنَاءُ
٦٧ — إرَمِيٌّ بِمِثْلِهِ جَالَتِ الْجِنُّ ... فَآبَتْ لِخَصْمِهَا الأَجْلاءُ
٦٨ — مَنْ لَنَا عِنْدَهُ مِنَ الْخَيْرِ آيا ... تٌ ثَلاثٌ فى كُلِّهِنَّ الْقَضَاءُ
٦٩ — آيةٌ : شارِقُ الشَّقِيقَةِ إذْ جا ... ءُوا جَمِيعًا لِكُلِّ حَيٍّ لِوَاءُ
٧٠ — حَوْلَ قَيْسٍ مُسْتَلْئِمِينَ بِكَبْشٍ ... قَرَظِيٍّ كأَنَّهُ عَبْلاءُ

---

٦٢ — أى هدى عمرو بن هند أصحابه وجمعهم حين غزا بهم . والأسودان : التمر والماء . بِلْغ : نافذ .

٦٣ — تمنونهم : تمنوا لقاءهم . وذلك أنكم قلتم : من عمرو ومن معه ؟ إنما معه قراضبة قد جمعوا له من كل مكان لقتالنا .

٦٤ — لم يأتوكم عن غرة . الضحاء : ارتفاع النهار . الآل : السراب .

٦٥ — أيها الشانئ : يريد به عمرو بن كلثوم التغلبى ، يقول : أنت تبغضنا وتشى بنا عند عمرو بن هند ، ومبلّغ عنا ما لا نعرفه . « هل لذاك انتهاء » : أراد : هل لذلك غاية تنتهى إليها .

٦٦ — المقسط : العادل .

٦٧ — إرمى : نسبة إلى عاد ، أى ملكه قديم . بمثله جالت الجن : الجن فى هذا الموضع يراد به دهاة الناس وأبطالهم . جالت : من المجالاة وهى المكاشفة . يقول : بمثل عمرو بن هند كاشفت الجن الناس ، فآبوا ، أى رجعوا . الأجلاء : جمع الجلا وهو الأمر المنكشف .

٦٨ — يقول : نحن أنصح الناس للملك .

٦٩ — شارق الشقيقة : بنو الشقيقة وهم قوم من بنى شيبان جاءوا يغيرون على إبل لعمرو بن هند ، وعليهم قيس بن معديكرب ، وهو أبو الأشعث بن قيس ، فردتهم بنو يشكر وقتلوا فيهم .

٧٠ — مستلئمين : لبسوا الدروع . عبلاء : هضْبة بيضاء .

٧١ – وصَتِيتٍ مِنَ العَوَاتِكِ ما تَنْهَاهُ إِلَّا مُبْيَضَّةٌ رَعْلَاءُ
٧٢ – فَجَبَهْنَاهُمُ بِضَرْبٍ كَمَا يَخْرُجُ مِنْ خُرْبَةِ الْمَزَادِ الْمَاءُ
٧٣ – وحَمَلْنَاهُمُ عَلَى حَزْمِ ثَهْلانَ شِلَالًا وَدُمِّيَ الأَنْسَاءُ
٧٤ – وفَعَلْنَا بِهِمْ كَمَا عَلِمَ اللهُ وما إِنْ للحَائِنِينَ دِمَاءُ
٧٥ – ثُمَّ حُجْرًا أَعْنِى ابنَ أُمِّ قَطَامٍ ولَهُ فارِسِيَّةٌ خَضْرَاءُ
٧٦ – أَسَدٌ فى اللِّقَاءِ وَرْدٌ هَمُوسٌ وَرَبِيعٌ إِنْ شَنَّعَتْ غَبْرَاءُ
٧٧ – وفَكَكْنَا غُلَّ امْرِئِ القَيْسِ عَنْهُ بَعْدَمَا طَالَ حَبْسُهُ والعَنَاءُ

---

٧١ – الصتيت : الجماعة . العواتك . نساء من كندة من الملوك . وقوله « ما تنهاه إلا مبيضة رعلاء » أى لا يكف هذا الجمع إلا ضرب شديد مُوضِح عن بياض العظم . الرعلاء : الضربة الشديدة التى تكشف العظم . وبنو العواتك : خرجوا مع قيس ابن معديكرب .

٧٢ – عزلاء المزادة : مسيل الماء منها . المزادة : القربة .

٧٣ – الحزم : ما غلظ من الأرض . شبه شدة ما أصابهم وما حملوهم عليه من القتل بشدة هذا الحزم ... وقد دُمِّيَتْ من الجراح نساؤهم .

٧٤ – وما إن للحائنين دماء : من عصى فإنه يقتل ولا يجد من يطلب بدمه .

٧٥ – ثم : أى الآية الثانية التى صنعنا بحُجر : كان حجرٌ غزا امرأ القيس بن المنذر بن ماء السماء بجمع من كندة كثير ، وكانت بكر بن وائل مع امرىء القيس ، فخرجت إليه بكر بن وائل فردته وقتلت جنوده .. وقوله « وله فارسية خضراء » أى كتيبة خضراء من كثرة السلاح . فارسية : أى سلاحها من عمل فارس .

٧٦ – الهموس : المختال . إن شنَّعت : إذا أقحطوا كان لهم ربيعا . والتشنيع : إذا أجدبت السنة وقل مطرها وبناتها فذلك هو التشنيع . الغبراء : السنة القليلة المطر .

٧٧ – يعنى بامرئ القيس بن المنذر بن ماء السماء ، وهو أخو عمرو بن هند من أبيه ، وكانت غسان قد أسَرَته يوم قُتل أبوه المنذر ، فأغارت بكر بن وائل مع عمرو بن هند على بعض أهل الشام ، فقتلوا ملكا لغسَّان ، واستنقذوا امرأ القيس ، وأخذ عمرو ميسون بنت ملك غسَّان التى ذكرها الحارث .

٧٨ – وأَقَدْنَاهُ رَبَّ غَسَّانَ بالمُنْـ ـذِرِ كَرْهًا إذْ لا تُكَالُ الدِّماءُ
٧٩ – وفَدَيْنَاهُمُ بِتِسْعَةِ أَمْلَا كٍ نَدَامَى أَسْلَابُهُمْ أَغْلَاءُ
٨٠ – ومعَ الجَوْنِ جَوْنِ آلِ بَنِى الأَوْ سِ عَنُودٌ كأنَّها دَفْوَاءُ
٨١ – ماجَزِعْنَا تَحْتَ العُجَاجَةِ إذْ وَلَّـ ـتْ بأقْفَائِهَا وحَرَّ الصِّلاءُ
٨٢ – وَوَلَدْنَا عَمْرَو بْنَ أُمِّ أُنَاسٍ مِنْ قَرِيبٍ لَمَّا أتانا الحِبَاءُ
٨٣ – مِثْلُها تُخْرِجُ النَّصِيحَةَ للقَوْ مِ فَلَاةٌ مِنْ دُونِها أَفْلَاءُ

تم شعر الحارث بن حلزة
ويليه مجموعة من الأبيات المتفرقة
لم ترد بالديوان ، جمعها كرنكو وأثبتها
فى نهاية ما نشره من الديوان بمجلة المشرق

---

٧٨ – أقدنا : قتلنا . لا تكال الدماء : كانت الدماء كثيرة ، لاتكال لكثرتها .

٧٩ – الأملاك : جمع ملك . وكان المنذر بن ماء السماء بعث خيلا من بكر بن وائل فى طلب بنى حجر آكل المرار حين قُتل حُجر ، فظفرت بهم بكر بن وائل ، وقد كانوا دنَوا من بلاد اليمن ، فأتوا بهم المنذر بن ماء السماء فأمر بذبحهم وهو بالحيرة .

٨٠ – الجون : ملك من ملوك كندة . وكان الجون جاء يمنع بنى عمرو بن حُجر آكل المرار ومعه كتيبة كثيرة السلاح ، فهزمته بكر ، وأخذوا ابن الجون فأتوا به المنذر . العنود هاهنا : كتيبة تمنع ملكها . الدفواء : العقاب . أى تنقض الكتيبة كما تنقض العقاب .

٨١ – يقول : لم نجزع حين لقينا الجون وهو فى جمع كثير . العجاج : الغبار . أقفائها : أعجازها .

٨٢ – ولدنا عمرو بن أم أناس : يريد عمرو بن حُجر الكندى ، وكان جد الملك عمرو بن هند وهند بنت عمرو بن حجر آكل المرار ، وكانت أم عمرو بن حجر أم أناس بنت ذهل بن شيبان ، وعمرو بن أم أناس هذا هو جد امرئ القيس الشاعر . من قريب : أى السبب بيننا وبينه قريب ليس بالمتباعد ، إذ أمه بنت ذهل بن شيبان . لما أتانا الحباء : حين أتانا حباء الملك عمرو بن حجر لما خطب إلينا ورآنا أهلا لمصاهرته .

٨٣ – هذه القرابة بيننا وبينك أيها الملك تخرج نصيحتنا لك . فلاة من دونها أفلاء : نصيحة كثيرة مثل الفلاة التى دونها أفلاء كثيرة . أفلاء : جمع فلاة .

١٢/٢١٦

ومن منحول الشعر إلى الحارث بن حلزة ما رواه له الجاحظ فى كتاب البيان والتبيين (ج ١ ص ١٨٩) ونسبه ابن الشجرى فى حماسته (ورقة ٣٨ من نسخة خط فى خزانة الكتب فى باريس) للحارث بن كَلَدَة .

(البحر البسيط)

١ – لا أَعْرِفَنَّكَ إنْ أَرْسَلْتَ قافِيةً
تُلْقِى المَعاذِيرَ إنْ لم تَنْفَعِ العِذَرُ
٢ – إنَّ السَّعيدَ لَهُ فى غَيْرِهِ عِظَةٌ
وفى التَّجارِبِ تَحْكيمٌ ومُعْتَبَرُ

١٣/٢١٧

وقال الحارث بن حلزة (مجموعة المعانى ص ١٣٨) .

(البحر الكامل)

وتَنُوءُ تُثْقِلُهَا رَوَادِفُهَا فِعْلَ الضَّعِيفِ يَنُوءُ بالْوَسَقِ

١٤/٢١٨

وقال الحارث بن حلزة (اللسان ج ١٥ ص ٢١٠ فى الهامش) .

(البحر الوافر)

فما يُنْجِيكُمُ مِنَّا شِبَامٌ ولا قَطَنٌ ولا أَهْلُ الْحَجُونِ

١٥/٢١٩

وقال الحارث بن حلزة (اللسان ج ١٢ ص ٣٧٨) .

(البحر الوافر)

وَلَمَّا أَنْ رأيتُ سَرَاةَ قَوْمِى مَسَاكَى لا يَثُوبُ لَهُمْ زَعِيمُ

١٦/٢٢٠

وقال الحارث بن حلزة (اللسان ج ١٦ ص ٣٧) .

(البحر البسيط)

ياللرِّجَال ليومِ الأَرْبِعَاءِ أَمَا يَنْفَكُّ يُحْدِثُ لى بَعْدَ النُّهَى طَرَبَا

هذا البيت ورد فى شعر عبد الله بن مسلم الهُذَلِيُّ (٣٤٧ ق ١) وهو الصواب .

١٧/٢٢١

وقال الحارث بن حلزة (معجم البكرى ٧١٦) .

(البحر الخفيف)

أَسَنَا ضَوْءِ نارِ صَخْرَةٍ بالقَفْـ ـرَةِ أَبْصَرْتَ أم تَنَصَّبْتَ برقُ

١٨/٢٢٢

وروى الأصمعى بيتا لا وجود له فى معلقته (ابن قتيبه كتاب الشعر ص ٩٦) .

(البحر الخفيف)

فَمَلَكْنَا بِذَلِكَ النَّاسَ إِذْ مَا مَلَكَ المنذِرُ بْنُ ماءِ السَّماءِ

وروى صاحب اللسان (ج ٣٠ ص ٧١) : حتَّى مَلَّكَ .

الفهارس

١ – فهرس الأشعار

ر

ل

م

هـ

المقصورات

ى

٢ - فهرس الشعراء

ف

ق

ك

ل

م

ن

* * *

٣ - فهرس الأعلام والقبائل ونحوها

ت

ث

ج

ح

خ

د

ذ

ر

ز

س

غ

ل

م

ن

هـ

و

ى

٤ – فهرس البلدان والمواضع ونحوها

٥ – فهرس أيام العرب

* * *

٦ – المصادر والمراجع

١ – الآمدى :

المؤتلف والمختلف ، ومعه معجم الشعراء . القاهرة . مكتبة القدس سنة ١٣٥٤ هـ . بتصحيح الدكتور ف . كرنكو .

٢ – إبراهيم أنيس :

من أسرار اللغة . القاهرة .

٣ – د . إبراهيم عبد الرحمن محمد :

قضايا الشعر فى النقد الأدبى . القاهرة ، مكتبة الشباب ، سنة ١٩٧٧ م .

٤ – ابن الأثير :

الكامل فى التاريخ . القاهرة ، الطباعة المنيرية

٥ – أحمد أمين :

فجر الإسلام . القاهرة . مكتبة النهضة المصرية . ط ١١

٦ – أحمد فائق :

مدخل إلى علم النفس . القاهرة ، مكتبة الأنجلو المصرية سنة ١٩٦٦ .

٧ – أحمد محمد البجاوى وآخرون :

أيام العرب فى الجاهلية .

٨ – أحمد محمد الحوفى :

تيارات ثقافية بين العرب والفرس . القاهرة ، دار نهضة مصر ، سنة ١٩٦٨ .

توثيق الشعر الجاهلى . مطبعة مخيمر سنة ١٩٦٧ .

٩ – الأصفهانى :

الأغانى (ساسى) و (بيروت) و (دار الكتب المصرية) .

١٠ - الأصمعى :
الأصمعيات . تحقيق أحمد محمد شاكر وعبد السلام محمد هارون . القاهرة ، دار المعارف ، الطبعة الثانية .
١١ - ابن الأنبارى :
شرح القصائد السبع الطوال الجاهليات ، تحقيق عبد السلام محمد هارون . دار المعارف سنة ١٩٨٠ .
١٢ - إيليا حاوى :
فن الشعر الخمرى وتطوره عند العرب ، بيروت ، دار الثقافة .
١٣ - البحترى :
الحماسة . بيروت ، دار الكتاب العربى ، الطبعة الثانية سنة ١٩٦٧ .
١٤ - البغدادى :
خزانة الأدب . تحقيق عبد السلام محمد هارون . القاهرة ، دار الكاتب العربى سنة ١٩٦٨ .
١٥ - بلاشير :
تاريخ الأدب العربى . ترجمة إبراهيم كيلانى . بيروت ، دار الفكر سنة ١٩٥٦ .
١٦ - التبريزى :
شرح ديوان الحماسة . تحقيق محمد محيى الدين عبد الحميد . القاهرة ، المكتبة التجارية .
١٧ - أبو تمام :
ا - ديوان الحماسة . شرح التبريزى .
د - الوحشيات ، وهوالحماسة الصغرى . تحقيق عبد العزيز الميمنى . القاهرة ، مكتبة الحلبى .
١٨ - الجاحظ :
الحيوان . تحقيق عبد السلام محمد هارون . القاهرة ، مكتبة الحلبى .

١٩ - جواد على :
تاريخ العرب قبل الإسلام . بيروت ، دار العلم للملايين ، سنة ١٩٧٠ .
٢٠ - جورجى زيدان :
العرب قبل الإسلام . بيروت ، سنة ١٩٦٩ .
٢١ - ابن حبيب :
المحبر . بيروت ، المكتب التجارى ، تصحيح الدكتورة أيلزه ليختن .
٢٢ - ابن حزم :
جمهرة أنساب العرب . تحقيق عبد السلام محمد هارون . القاهرة ، دار المعارف .
٢٣ - حسن السندوبى :
شرح ديوان امرىء القيس ، ومعه أخبار المراقسة وأشعارهم . القاهرة ، المكتبة التجارية .
٢٤ - الخطيب القزوينى :
تاريخ بغداد . القاهرة ، مكتبة الخانجى سنة ١٩٣١ .
٢٥ - ابن خلكان :
وفيات الأعيان .
٢٦ - دائرة المعارف الإسلامية .
٢٧ - ابن دريد :
الأشتقاق . تحقيق عبد السلام محمد هارون . القاهرة .
٢٨ - الذهبى :
ميزان الاعتدال فى نقد الرجال . تحقيق على محمد البجاوى . القاهرة ، مطبعة الحلبى .
٢٩ - الزوزنى :
شرح المعلقات السبع . القاهرة ، مكتبة صبيح سنة ١٩٦١ .

٣٠ – السيد فرج :
القيادة والحرب عند العرب . القاهرة ، دار المعارف ، سلسلة اقرأ ، العدد ٤٠٢ .
٣١ – السيوطى :
بغية الوعاة فى طبقات اللغويين والنحاة . تحقيق محمد أبو الفضل ابراهيم . القاهرة .
٣٢ – شفيق جبرى :
أبو الفرج الأصفهانى . سلسلة نوابغ العرب .
٣٣ – شوقى ضيف :
العصر الجاهلى . القاهرة . دار المعارف ، الطبعة السادسة .
٣٤ – الطبرى :
تاريخ الرسل والملوك . تحقيق محمد أبو الفضل ابراهيم . القاهرة ، دار المعارف سنة ١٩٦٧ .
٣٥ – طه حسين :
فى الأدب الجاهلى . القاهرة . دار المعارف ، سنة ١٩٦٤ .
٣٦ – ابن عبد ربه :
العقد الفريد . القاهرة . مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر سنة ١٩٤٤ .
٣٧ – عبد العزيز الدورى :
نشأة علم التاريخ عند العرب . بيروت ، المطبعة الكاثوليكية .
٣٨ – عبد الله درويش :
دراسات فى العروض والقافية . القاهرة ، مكتبة الشباب .
٣٩ – ابن العماد :
شذرات الذهب .
٤٠ – عمر رضا كحالة :
معجم المؤلفين . دمشق ، مطبعة الترقى ، سنة ١٩٥٨ .

٤١ – فيليب حتى وآخرون :
تاريخ العرب (مطول) . بيروت ، دار الكشاف ، الطبعة الثانية ، سنة ١٩٦١ .
٤٢ – ابن قتيبة :
الشعر والشعراء . تحقيق أحمد محمد شاكر . القاهرة ، دار المعارف ، سنة ١٩٦٦ .
٤٣ – القفطى :
إنباه الرواة على أنباه النحاة . القاهرة . طبعة دار الكتب المصرية سنة ١٩٥٥ .
٤٤ – القلقشندى :
نهاية الأرب فى معرفة أنساب العرب . تحقيق إبراهيم الإبيارى . القاهرة ، الشركة العربية للطباعة والنشر سنة ١٩٥٩ .
٤٥ – القالى : الأمالى . القاهرة .
٤٦ – كارل بروكلمان :
تاريخ الأدب العربى . ترجمة الدكتور عبد الحليم النجار . القاهرة ، دار المعارف ، الطبعة الثانية جـ ١ .
٤٧ – كتاب بكر وتغلب :
الهند . مطبعة نخبة الأخبار سنة ١٣٠٥ هـ .
٤٨ – كتاب النقائض . ليدن .
٤٩ – لسان العرب .
٥٠ – لويس شيخو .
شعراء النصرانية . بيروت ، مطبعة الآباء اليسوعيين ، سنة ١٨٩٠ م .
٥١ – المبرد :
الكامل فى اللغة والأدب . تحقيق الدكتور زكى مبارك وآخرين .
٥٢ – محمد أحمد خلف الله :
صاحب الأغانى .

٥٣ – محمد حسين هيكل :
الصديق أبو بكر . القاهرة ، دار المعارف ، الطبعة السابعة .
٥٤ – محمد الخضرى :
محاضرات فى بيان الأخطاء العلمية والتاريخية التى اشتمل عليها كتاب فى الشعر الجاهلى . ملحق مجلة القضاء الشرعى . القاهرة ، مطبعة الشباب .
٥٥ – محمد بن سلام :
طبقات فحول الشعراء . القاهرة ، دار المعارف .
٥٦ – المرزبانى :
معجم الشعراء . تحقيق عبد الستار أحمد فرج . القاهرة ، دار إحياء الكتب العربية عيسى البابى الحلبى سنة ١٩٦٠ .
٥٧ – المفضل الضبى :
المفضليات . تحقيق أحمد محمد شاكر وعبد السلام هارون . القاهرة ، دار المعارف ، الطبعة الرابعة .
٥٨ – موسوعة الشعر العربى . بيروت .
٥٩ – الميدانى :
مجمع الأمثال . القاهرة ، طبع عبد الرحمن محمد سنة ١٣٥٢ هـ .
٦٠ – ناصر الدين الأسد :
مصادر الشعر الجاهلى وقيمتها التاريخية . القاهرة . دار المعارف ، الطبعة الرابعة .
٦١ – نالينو :
تاريخ الآداب العربية . القاهرة ، دار المعارف ، الطبعة الثانية .
٦٢ – ابن نباتة المصرى :
سرح العيون ، شرح رسالة ابن زيدون .
٦٣ – ابن النديم :
الفهرست . طبع ليبزج .
٦٤ – النعمان القاضى :
شعر الفرق فى العصر الأموى . القاهرة ، دار المعارف .

٦٥ - النويرى :
نهاية الأرب فى فنون الأدب . القاهرة ، دار الكتب المصرية ، سنة ١٩٤٩ .
٦٦ - ياقوت الحموى :
معجم الأدباء . سلسلة الموسوعات العربية ، القاهرة ، مكتبة الحلبى .

الدواوين :

٦٧ - ديوان الأعشى الكبير . شرح وتعليق د . محمد حسين . القاهرة ، مكتبة الآداب بالجماميز سنة ١٩٥٠ .
٦٨ - كتاب الصبح المنير فى شعر أبى بصير ، مجموعة ما أنشد للمسيب بن علس . مطبعة آدولف هلز هوسن سنة ١٩٢٧ .
٦٩ - ديوان الخرنق .
تحقيق الدكتور حسين نصار . القاهرة ، دار الكتب المصرية سنة ١٩٦٩ .
٧٠ - ديوان طرفة بن العبد .
تحقيق الدكتور على الجندى . القاهرة ، دار المعرفة سنة ١٩٥٨ .
٧١ - ديوان الحارث بن حلزة . مجلة المشرق ، السنة العشرون . عام ١٩٢٢ م ص ٦٩٣ - ٧٠٨ . نشر المستشرق فريتس كرنكو .
٧٢ - ديوان عمرو بن قميئة . تحقيق حسن كامل الصيرف .

* * *

٧ – فهرس الموضوعات

ديوان بنى بكر فى الجاهلية (شعر من لا ديوان له)

ومعه

مجموعة ما أنشد للمسيب بن علس

وديوان الحارث بن حلزة (نشره جب)

(١) أشعار بني تيم اللات :

(٢) أشعار بني حنيفة :

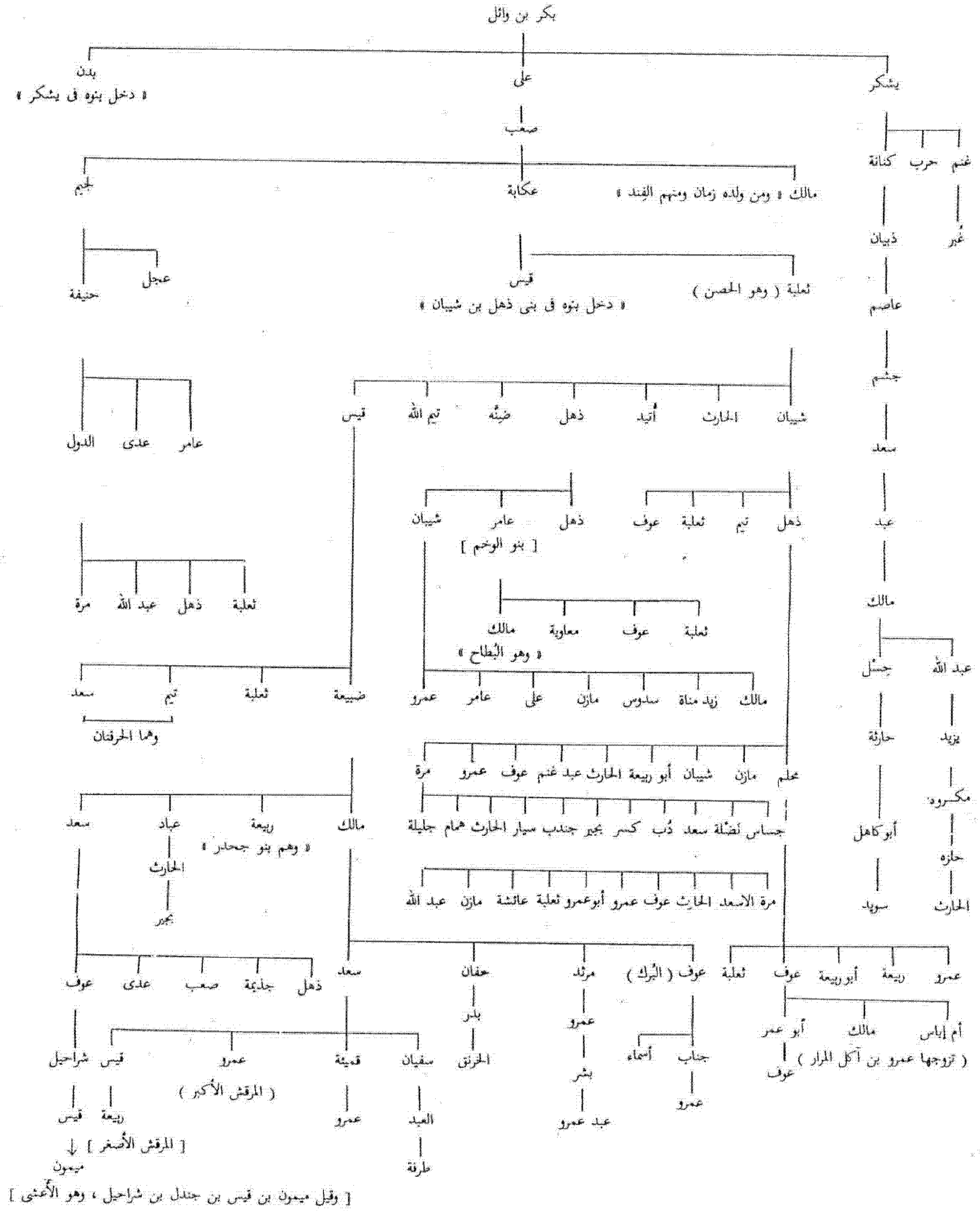
(٣) أشعار بني زمان :

(٤) أشعار بني شيبان :

(٥) أشعار بنى عجل :

(٦) أشعار بنى قيس بن ثعلبة :

الفهارس الفنية :



شجرة نسب بكر بن وائل